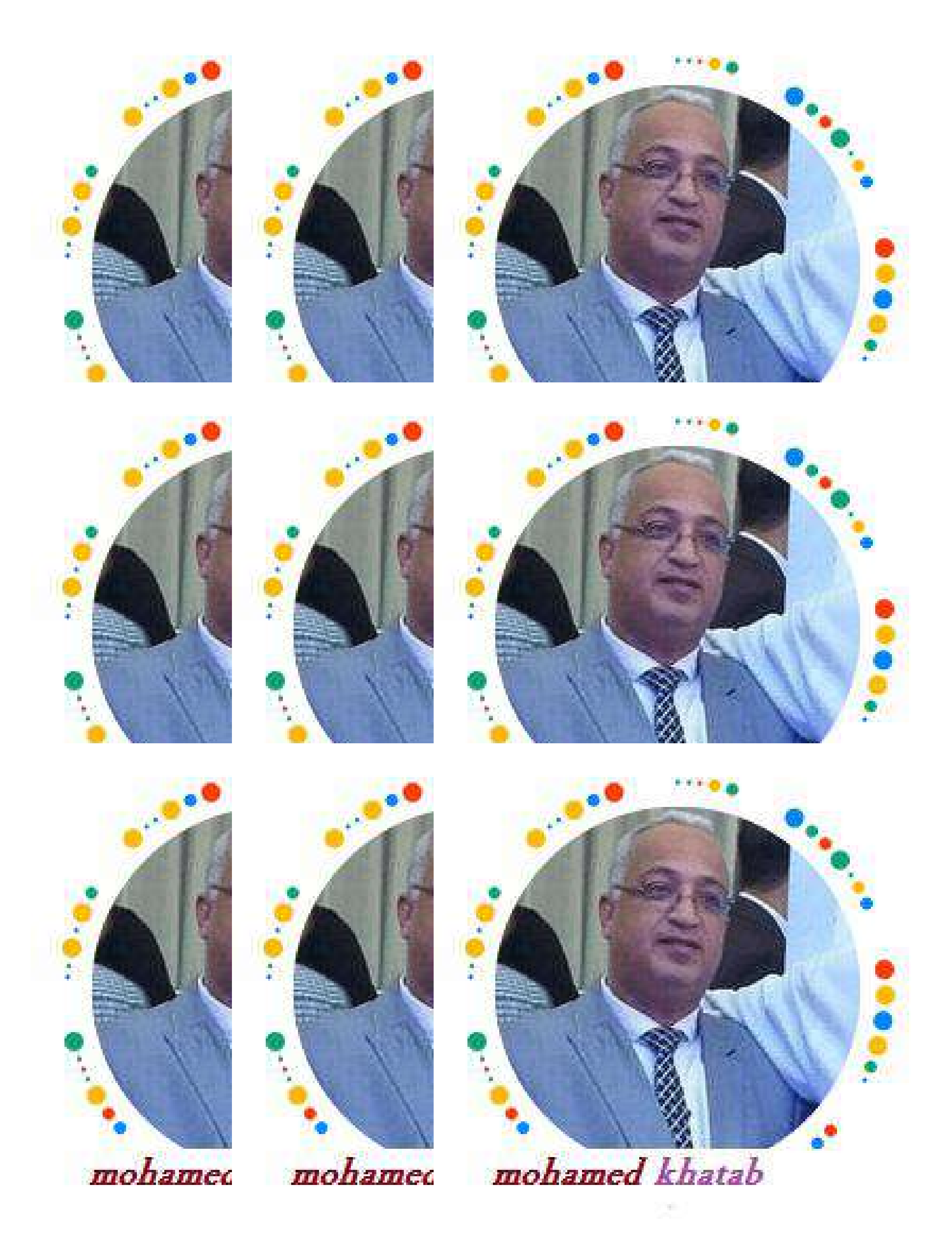
سليم حسن

موسوعة مصر القديمة

الجزء الخامس عشر


mohamed khatab

موسوعة مصر القديمة (الجزء الخامس عشر)

من أواخر عهد بطليموس الثاني إلى آخر عهد بطليموس الرابع

تأليف
سليم حسن



موسوعة مصر القديمة (الجزء الخامس عشر)

سليم حسن

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: سيلڤيا فوزي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١٦٩٨ ٠

صدر هذا الكتاب تقريبًا عام ١٩٥٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٩.

المحتويات

تمهيد

كانت آخر مرحلة وصلنا إليها في الجزء السابق من مصر القديمة هي الأحداث الجِسام، والإصلاحات الجبارة، والتطورات السياسية المثيرة، والأنظمة الاجتماعية الحديثة التي وقعت في عهد «بطليموس الثاني» الذي يُعَدُّ عهده بحق زمنَ رخاءٍ وسؤددٍ وفَلَاحٍ، في داخل البلاد المصرية وخارجها بالنسبة لما كانت تصبو إليه نفسه وأُسْرته من قبل، وكذلك ما كان يرغب فيه الشعب الهيلانستيكي المستعمر.

حقًّا؛ بلغت أرض الكنانة في عهد هذا العاهل ظاهرًا شأوًا بعيدًا في الزراعة والتجارة والصناعة لم تصل إليه قط في أيام أعظم فراعنة مصر في كل عهود التاريخ المصري القديم، كما امتدت فتوحها في آسيا، وبحر إيجا، وبلاد النوبة إلى آفاق لم يكن يحلم بها أعظم الفاتحين من الفراعنة. ولا غرابة في ذلك؛ فقد كانت كل الأحوال في الواقع مهيئة «لبطليموس الثاني» ليصل إلى ما وصل إليه من قوة، وجاه، ونفوذ عند توليه عرش ملك مصر. فقد ترك له والده «بطليموس الأول» إمبراطورية ثابتة الأركان عظيمة السلطان في داخل البلاد وخارجها. وتدل الظواهر على أنه تأَثَّرَ نهجَ والده، وسار على خطته شوطًا بعيدًا في سبيل التقدم المادي والعلمي؛ مما جعل عصرَه مضربَ الأمثال من حيث النعمة والرفعة والسيطرة العالمية التي كان يتمتع بها بين الممالك الهيلانستيكية المجاورة له، والمحيطة به في تلك الفترة من تاريخ العالم المتمدين الذي وضع أسسه «الإسكندر الأكبر».

والآن قد يتساءل المرء: لماذا أفلح البطالمة الأُول في السيطرة على مصر والسير بها قدمًا في داخل البلاد، ومد فتوحهم وسلطانهم ونفوذهم في الخارج (؟) والجواب على ذلك لا شك يرجع إلى سببين رئيسين يأخذ الواحد منهما بزمام الآخر:

السبب الأول: هو أن البطالمة عندما استقر لهم الملك، وتمكنوا من أرض الكنانة، اتضح لهم أنهم في الواقع لا يملكون شعبًا واحدًا، بل شعبين مختلفين لا تربط الواحد منهما بالآخر روابط وثيقة من حيث السلالة والدين والثقافة. وهذان الشعبان هما: الشعب الهيلاني المستعمر، والشعب المصري المغلوب على أمره. ومنذ البداية كان كل من هذين الشعبين ينظر للآخر بنظرته الخاصة؛ فالشعب الهيلاني كان ينظر إلى الشعب المصري نظرة الحاكم للمحكوم، أو بعبارة أخرى نظرة الشعب المستعمر للشعب المقهور، الذي يريد أن يستنفد كل ما لديه من مجهود ومال لإثراء نفسه، والعيش عالة على حسابه في بحبوحة ورخاء. ومن جهة أخرى، كان الشعب المصري الذي فقد استقلاله حديثًا ينظر لأولئك المستعمرين نظرة ملؤها الحقد والكراهية والبغضاء، وبخاصة عندما نعلم أن الشعب المصري منذ أقدم عهوده كان محافظًا على عاداته وطباعه وأخلاقه إلى أبعد حدود المحافظة، وقد ظل كذلك حتى دخول الإسلام في وطنه.

وقد ظهرت براعة البطالمة، وحسن سياستهم وتدبيرهم للأمور في التوفيق — ولو ظاهرًا — بين جماعة الهيلانيين المستعمرين وبين المصريين، على الرغم فيما بينهم من خلافات بينة، والواقع أن «بطليموس الثاني» ومن قبله والده «بطليموس الأول»، منذ بداية حكمه وجد أن توحيد الهيلانستيكيين والمصريين من كل الوجوه الحيوية كان ضربًا من المحال. فقد كان لكل من الطرفين تقاليده وعاداته وأخلاقه، ومن ثَم أخذ يعالج الأمور بالنسبة لهذا الموقف الحرج بصبر وأناة وحكمة بالغة.

فمن الوجهة المصرية: كان «بطليموس الثاني» يعلم تمام العلم من ماضي تاريخ أرض الكنانة أنه لم يتمكن فاتح من السيطرة عليها إلا إذا كان فرعونًا من نسل الإله «رع»، والسبب في ذلك يرجع إلى أن رجال الدين والشعب المصري كذلك كانوا ينظرون إلى الفرعون على أنه ابن الإله «رع» أول ملك سيطر على العالم المصري، ومن ثم كان لزامًا على البطالمة لإرضاء الشعب المصري أن يعتنقوا الديانة المصرية القديمة، وكذلك أن ينسبوا أنفسهم إلى سلالة «رع»، وعندما انتهجوا هذا السبيل استقر لهم الملك، وأصبحوا في مأمن على ملكهم، وبخاصة أن زمام الشعب المصري كان في أيدي الكهنة المصريين، الذين كان ينظر إليهم على أنهم أقوى طائفة في البلاد يمكنها أن توجه الشعب بأسره كما

تريد في زمن السلم والحرب، وبذلك ضمن «بطليموس الثاني» عن طريق استمالة الكهنة إليه أن يجعل الفلاحين، وكل اليد العاملة تحت تصرفه يوجههم كيفما شاء، وذلك بوصفه إله يُعبَد ويُطاع في الأرض.

بقي بعد ذلك على «بطليموس الثاني» أن يسيطر على جماعة الهيلانستيكيين، الذين كانوا خليطًا من الإغريق والمقدونيين وغيرهم ممن أتوا مع الإسكندر والبطالمة من بعده من جهات أخرى من البلاد الهيلانية، وكانت أول خطوة خطاها في هذه السبيل أن ألَّه نفسه كما فعل «الإسكندر» من قبل مدعيًا أنه من نسل «هيراكليس» الإله الإغريقي، وقد لاقى في بادئ الأمر مشقة وعنادًا من جهة الإغريق والمقدونيين المستعمرين؛ وذلك لأنهم لم يتعودوا عبادة الأفراد، ولكنه بعد جهد عظيم وصل إلى غرضه وفرض نفسه إلهًا على المستعمرين، ومن ثم نرى أنه كان يعتبر نفسه إلهًا على المصريين منحدرًا من نسل «رع»، ومعبودًا منحدرًا من صلب هيراكليس عند الإغريق والمقدونيين وغيرهم ممن وفدوا من البلاد الهيلانية، وأصبحوا أصحاب الكلمة العليا في مصر. وهكذا نرى أن «بطليموس» كان إلهًا للمستعمرين يُعبَد على طريقتهم، وإلهًا للمصريين يُعبَد على شاكلتهم، ولا نزاع في أن كلًّا من الجماعتين كان لها ديانتها الخاصة، وطرق عبادتها التي تسير على مقتضى تعاليمها؛ ولذلك نجد أنه منذ عهد «بطليموس الثاني» — ويجوز من قبله — كانت توجد في مصر طائفتان من الكهنة؛ وهما: طائفة الكهنة المصريين، وطائفة الكهنة الهيلانستيكيين. ولقد كان التنافس بينهما في أول الأمر على أشده، وكان «بطليموس الثاني» يعمل جاهدًا على إرضاء كل من الطائفتين، وذلك إما بإغداق الهبات أو بإقامة المباني الدينية.

وقد كانت سياسة البطالمة منذ البداية تهدف إلى أن يوحدوا بين العبادة المصرية والعبادة الإغريقية المقدونية؛ باستمالتهم إلى عبادة إله واحد وهو الإله «سرابيس» الذي كان يمثل عند المصريين في إلههم الشعبي بـ «أوزير»، وعند الإغريق في إلههم «ديونيسوس». وقد أسهبنا القول في ذلك في غير هذا المكان، وعلى الرغم من قبول الطرفين هذه العبادة المشتركة فإن كل طائفة كانت تعبد إلهها على حسب تقاليدها، وطرقها الخاصة بها التي ورثتها عن أجدادها.

ولا نزاع في أن مركز البطالمة بالنسبة لشئون العبادة في مصر كان دقيقًا يحتاج إلى مهارة وحذق ودهاء وحسن تصرف؛ حتى تسير الأمور في البلاد دون وقوع خلافات أو مصادمات، ومن أجل ذلك نجد أن «بطليموس الثاني» كان يقظًا حذرًا في سلوكه مع الطائفتين، وذلك على الرغم من أن كلًّا من الهيلانيين والمصريين كانوا قد اتخذوه إلهًا

بطريقة خاصة، ولكن لما كانت الأغلبية الساحقة من سكان وادي النيل من المصريين القدامى، وكان يتوقف على مجهوداتهم ثراء البلاد ورخائها؛ لأنهم كانوا الأيدي العاملة في زراعة الأرض، وفي الصناعات والحرف بوجه عام، فإن «بطليموس الثاني» عمل جهده على أن يكونوا طوع بنانه، ولكن لم يكن ليتأتى له ذلك إلا بإرضاء طائفة الكهنة المصريين الذين كانوا يُعتَبَرون قادة الشعب المصري من الوجهة الروحية، وقد فطن إلى أن الوسيلة الوحيدة لضم طبقة الكهنة إلى جانبه: هي إقامة المباني الدينية، وبذل الهبات السخية للمعابد من أراضٍ تُحبَس عليها، ومن قرابين تُقرَّب في طول البلاد وعرضها إلى آلهتهم.

ولعَمْرُ الحق، فإن هذه هي نفس الطريقة التي سار على هديها فراعنة مصر في كل زمان، وبخاصة في العهد الأخير من حكمهم؛ إذ رأوا أن توطيد سلطان الفرعون وقتئذٍ على عرشه كان يتوقف على إرضاء الكهنة بإقامة المعابد والهبات الكريمة، والواقع أن «بطليموس الثاني» كان أول من استجاب إلى رغائب الكهنة المصريين بصورة ملموسة. فقد أخذ في إقامة المعابد الضخمة في كل من الوجهين القبلي والبحري، وكذلك أصلح ما تهدم من المعابد القديمة، فكان لا يختلف بما أنجزه من مبانٍ دينية عن عظماء الفراعنة في أمجد عصورهم، ولقد أفردنا للأعمال الدينية العارمة التي تمت في عهد هذا العاهل فصلًا خاصًّا تحدثنا فيه عما أقامه من معابد جديدة، وما أصلحه من مؤسسات كانت قد تداعت، ونخص بالذكر من بين المعابد التي رفع بنيانها معبد «إزيس» المعروف الآن بمعبد الفيلة، وهذا المعبد قد حُفِظ لنا حتى الآن، ويُعَدُّ درة من أنفس الدرر التي خلفها لنا البطالمة من حيث العمارة والفن والدين المصري القديم بما نُقِش عليه من فنون وصور ومناظر.

وعلى الرغم من أن «بطليموس الثاني» قد أقام الكثير من المعابد المصرية الفخمة؛ مما يدل على أن مصر كانت وقتئذٍ في بحبوحة من العيش الرغيد، وأن الأهلين كانوا يتمتعون بعيشة ناعمة، فإن ذلك في الواقع كان لا ينطبق إلا على جماعة الهيلانيين المستعمرين وطبقة الكهنة من المصريين والإغريق وحسب، أما الشعب المصري الأصيل، أو بعبارة أخرى طبقة الفلاحين والكادحين، فقد كانوا يكدون ويكدحون لا لأنفسهم، بل لإرضاء شهوة الملك الذي لم يكن له هم إلا جمع الأموال لإنفاقها على شن الحروب لمد سلطانه على البلاد المجاورة، أو ليبذلها على شهواته وملاذِّه هو ومن حوله من رجال بلاطه وبطانته الذين كانوا كلهم من الأجانب. ومن أجل ذلك، يُعتَقد أن بذور الفتنة التي قامت في البلاد بعد موقعة رفح ترجع أصولها إلى عهد بطليموس الثاني الذي استنزف دم المصريين.

ولم يكن الفلاح يملك شيئًا من الأرض إذ كانت كلها ملكًا «لبطليموس»، والواقع أنه لم يكن للمصريين من الأمر شيء، إلا رجال الدين، وحتى رجال هذه الطائفة فإنهم قد ظلوا متوارين عن الأعين ما دام الملك لا يمس أملاكهم الخاصة، ويستولي على ما ينتجه الفلاح بعرق جبينه وقوة ساعده، ويغدق عليهم بعضه إما في إقامة المعابد أو حبس الأوقاف على الآلهة، هذا فضلًا عما كانوا يملكونه من ضِياعٍ شاسعة تركها لهم البطالمة دون فرض ضرائب عليها. ومن أجل ذلك، كان الوفاق تامًّا بين الفرعون وبين الكهنة ما دام يغدق عليهم الخيرات، ولا يضايقهم في ممتلكاتهم واستقلالهم في معابدهم، وكان الكهنة من جانبهم يمجدونه في أعين الشعب بإصدار المراسيم والمنشورات في هذا الصدد كلما دعت الحاجة إلى ذلك، وكان كل ذلك على حساب الفلاح الكادح الذي كان يفني زهرة حياته بين الفأس والمحراث، ومع ذلك كان لا يكاد يكسب قوت يومه إلا بشق الأنفس؛ لكثرة ما كان يدفع من ضرائب فادحة كانت لا تُحصى، وليت الأمر قد اقتصر على ذلك، بل كان على هذا الفلاح الفقير أن يؤدي أعمال السخرة لسيده ومليكه.

هذا، ولم نقرأ عن واحد من هؤلاء الفلاحين أو من المصريين جميعًا أنه قد نال مكانة رفيعة في وظائف الدولة أو حتى شغل مكانة متوسطة؛ إذ كانت كل هذه الوظائف في أيدي طبقة الأجانب من الإغريق والمقدونيين، وكذلك كانت الحرف الراقية موقوفة على المستعمرين، ولم نسمع في مدة العهد الأول من حكم البطالمة أن مصريًّا كان وزيرًا أو وكيلًا لوزير، أضف إلى ذلك أن كل الحرف والمهن الحقيرة كان يقوم بها المصريون الذين لم يكونوا يعملون في الحقول، وحتى الكهنة أنفسهم لم يكونوا جميعًا في بحبوحة من العيش؛ فقد كان من بينهم طوائف تعمل في أحقر المهن، كما كانوا يعملون كذلك في زراعة الأرض كالمستعمر.

وخلاصة القول: أن «بطليموس الثاني» كان ينظر إلى البلاد المصرية على أنها ضيعته الخاصة، يهب من خيراتها من يشاء، ويحرم من يشاء، ولقد ظل «بطليموس الثاني» يسير على هذه السياسة حتى نهاية حكمه مع المصريين لا همَّ له إلا جمع المال ومد سلطانه في الخارج.

أما طائفة المستعمرين — وهم قلة — فكانت لهم حياة أخرى خاصة بهم على النقيض من حياة الفلاح الكادح، والواقع أن هؤلاء المستعمرين الذين كان معظمهم من الإغريق والمقدونيين كانوا يعيشون بمعزل عن الشعب المصري لدرجة كبيرة؛ والسبب في ذلك يرجع إلى أنهم كانوا يجهلون اللغة المصرية الشعبية جهلًا تامًّا، ولم يهتموا يومًا ما

بتعلمها؛ لأنها كانت من جهة لغة صعبة جدًّا، ومن جهة أخرى لأنهم لم يكونوا في حاجة إليها لأنهم كانوا الأسياد المسيطرين على أرزاق الناس شأن كل مستعمر.

وأخيرًا كان السكان المصريون قد انقطعوا عن العالم الخارجي، وأصبحوا لا صلة لهم به أو بعلومه، وكذلك لم يكن للمستعمرين صلة بالمصريين من الناحية العلمية، بل كان اتصالهم وعلمهم وثقافتهم متجهة نحو ثقافة بلادهم الأصلية، والواقع أن الثقافة الإغريقية وقتئذٍ كانت قد انتقلت منذ موت «الإسكندر» وتقسيم إمبراطوريته إلى عواصم الدول التي قامت حديثًا، وكونت العالم الهيلانستيكي وبخاصة الإسكندرية، وكانت كلها تقوم على مبادئ الحضارة والعلوم الإغريقية، ومن ثم أخذت الدول الهيلانستيكية الحديثة التي قامت على أنقاض إمبراطورية «الإسكندر» تتنافس في ميدان العلوم والمعارف والآداب الإغريقية بدرجة عارمة جعلتها محط أنظار العالم المتمدين، فكان يحج إليها العلماء والطلاب من كل أنحاء العالم الهيلانستيكي، وعلى رأسها الإسكندرية التي كانت قبلة للعلم والأدب في كل أنحاء العالم.

وقد رأينا أن البحوث العلمية البحتة قد خطت خطوات واسعة، كما أُحيِيَتْ الآداب القديمة الإغريقية والبحوث التاريخية المصرية، كما فتحت بحوثُ العلماء آفاقًا جديدة غير أن معظمها كان بعيدًا عن الحضارة المصرية إلى حد بعيد؛ فكان لا يُشار إليها إلا من طرف خفي بوصفها مصدر الحضارات القديمة في نظر الإغريق وحسب.

وفي تلك الفترة كان الشعب المصري الأصيل منقطع الصلة عن جماعة الهيلانيين المستعمرين، ويعيش بعيدًا عنهم من حيث الثقافة فكان في عزلة تامَّة، ومن ثَم كانوا يعيشون في عقر دارهم كما كانوا يعيشون من قبل دخول الاستعمار الأجنبي، على زراعة الأرض ومزاولة الحرف والصنائع التي ورثوها عن آبائهم، ولكن بجهد أكبر تلبية لمطالب «بطليموس» الذي كان لا يبحث ولا يريد إلا المال، وقد وصلت إلينا معلومات قيمة عن حياتهم، وحياة المستعمرين من الإغريق والمقدونيين الاجتماعية والدينية من أوراق البردي التي كشف عنها أعمال الحفر في القرنين الأخيرين مما تحدثنا عنه كثيرًا في الجزء السابق من مصر القديمة.

ومما يُؤسَف له جد الأسف أن ما وصل إلينا من أوراق ديموطيقية عن العهد الأول البطلمي، وبخاصة في عهد كل من «بطليموس الأول» والثاني قليل جدًّا بالنسبة لما وصل إلينا عن الإغريق، ويرجع السبب في ذلك — على ما يُظَن — إلى عدم كثرة المعاملات المصرية خارج دائرة بيئتهم، يُضاف إلى ذلك: أن الموضوعات التي كانوا يحررون بها وثائق في

معاملاتهم مع المستعمرين كانت قليلة جدًّا، بل ربما كانت تنحصر فيما يخص الأرض وزراعتها وإيجارها، أما المعاملات التي كانت تجري بين المصريين أنفسهم فكانت كثيرة وفي موضوعات شتى، وقد أخذت هذه الوثائق تكثر منذ عهد «بطليموس الثالث» الذي بدأ يحكم مصر منذ عام ٢٤٦ق.م.

والحقيقة أن هذا العاهل تولى حكم الإمبراطورية المصرية وهي — ظاهرًا — في أعظم أوجها، وظل يدير شئونها بحزم وحكمة حتى عام ٢٢١ق.م والقول السائد أن مصر وصلت في عهده قمة مجدها؛ إذ نجده قد زاد في ممتلكاتها في الخارج، وأفلح في تسيير الأمور في الداخل بصورة مرضية، وقد بدأ حكمه بضم سيريني «برقة» إلى أملاكه بعد أن تزوج من «برنيكي الثانية» ابنة ملكها المتوفَّى؛ وبعد ذلك نراه يقوم بالحرب السورية الثالثة دفاعًا عن عرش ابن أخته ملك السولوكيين وقتئذٍ، وقد انتهت هذه الحرب باستيلائه على «سوريا الجوفاء» بعد أن عقد صلحًا مع «سليوكوس الثاني» ملك الإمبراطورية السليوكية، وبعد هذه الحرب التي لم يلقَ فيها مقاومة تُذكَر عاد «بطليموس الثالث» إلى مصر منتصرًا ظافرًا، وقام بعد ذلك بإصلاحات داخلية خلدت ذكراه في التاريخ العالمي، وكان على وفاق تام مع الكهنة في هذه الإصلاحات، وبخاصة التقويم السنوي الذي جاء ذكره في منشور «تانيس»، ويرجع الفضل إلى الكهنة المصريين في أنهم قد فطنوا إلى تصحيح التقويم السنوي وجعله ٣٦٥ $\frac{1}{4}$ يومًا بدلًا من ٣٦٥ يومًا، وهو التقويم الذي عمل بمقتضاه «يوليوس قيصر» فيما بعد.

على أن أهم ما كانت تصبو إليه نفس «بطليموس الثالث» هو إقامة المعابد المصرية الضخمة إرضاءً للكهنة والشعب المصري، ولاجتذابهم إلى جانبه، ولا غرابة إذن أن نراه أخذ في إقامة معبد للإله «حور» في «إدفو»، وهذا المعبد يُعَد من أروع المعابد المصرية بهجة وفخامة وضخامة، ولحسن الحظ بقي سليمًا حافظًا لرونقه حتى الآن، وما عليه من نقوش ومناظر لا تزال تقدم لنا صفحة من المتون المصرية التي بها أمكن الوقوف على الكثير من الشعائر المصرية التي تضرب بأعراقها إلى الماضي البعيد.

والواقع أن الفضل كل الفضل يرجع إلى هذه النقوش في معرفة كل جزء من أجزاء المعبد، وماهية كل حجرة من حجراته بصورة لا لبس فيها ولا إبهام، وأهم من ذلك توصل علماء الآثار بعد حل كل الرموز التي على جدران هذا المعبد إلى معرفة أنواع العبادات والصلوات التي كانت تُقام فيه يوميًّا، وبخاصة الصلوات الثلاث التي كانت تُؤدَّى فيه يوميًّا، وكذلك الخطوات التي كانت تُتبَع عند أدائها؛ وهذه كانت صلاة الصبح وهي

أهمها ثم صلاة الظهيرة ثم صلاة المغرب، وأخيرًا وليس آخرًا نُقِش على جدران هذا المعبد تفاصيل الأعياد العظيمة التي كانت تُقام سنويًّا؛ وهي: عيد رأس السنة أو عيد تتويج الصقر المقدس، وعيد النصر، وأخيرًا عيد الزواج أي عيد زواج الإله «حور» صاحب «إدفو» بالإلهة «حتحور» صاحبة معبد «دندرة»، وكان يُحتفَل بهذه الأعياد سنويًّا، ومن العجيب أن هذه الصلوات وهذه الأعياد كان لا يشترك فيها الشعب؛ إذ كانت وقفًا على صنف خاص من الكهنة.

هذا، وقد امتد نشاط هذا العاهل إلى إقليم الفيوم وبخاصة إصلاح أراضيها، وإدخال المحاصيل الجديدة في مزارعها، كما وطن فيها الجنود المرتزقين الذين حاربوا معه في ساحة القتال في «آسيا» وقد استن سنة جديدة في أراضي هذا الإقليم؛ إذ قد وهب كل جندي قطعة أرض تكون ملكًا له ولأولاده من بعده ما داموا يعملون في الجيش، وبذلك ضمن بقاءهم في مصر تحت تصرفه عند قيام أية حرب، وقد بدأ الإغريق والمقدونيون في تلك الفترة يتزوجُون بالمصريات ولكن على نطاق ضيق، وكان أولادهم يحملون أحيانًا أسماء مصرية وأسماء إغريقية في آنٍ واحد.

وعلى أية حال، تُعتَبَر فترة حكم هذا العاهل أحسن فترة في تاريخ حكم البطالمة بوجه عام، وبخاصة عندما نعلم أن إمبراطوريته قد امتدت في بلاد «آسيا» وجزر أرخبيل اليونان إلى مسافات بعيدة، كما أصبح مهيب الجانب عظيم السلطان بين الممالك الهيلانستيكية المعاصرة له، ويرجع الفضل في ذلك إلى أن ملوك البطالمة على وجه عام كانوا يفضلون السلم على الحرب في مواقف كثيرة.

ومما يُؤسَف له جد الأسف أن الملك الذي خلف «بطليموس الثالث» لم يكن كفأً لتولي زمام تلك الإمبراطورية العظيمة التي كانت في قمة مجدها، وآية ذلك أن «بطليموس الرابع» (٢٢١–٢٠٥ق.م) الذي خلف والده «بطليموس الثالث» كان منذ بداية حكمه ملكًا خليعًا. فقد كان مضرب الأمثال في عيشة الخلاعة والفحش والفسوق والدعارة إلى أبعد حد، وقد ساعده على هذه العيشة المشينة في أول سني حكمه بطانة السوء الذين كانوا ملتفين حوله، فاستولوا على مشاعره، وقادوه كما قادوا البلاد إلى مزالق التهلكة والفوضى في نهاية الأمر.

وقد كانت باكورة أعماله أن وزيره «سيسيبوس» قد حرضه على قتل عمه وأخيه وأمه، وأخيرًا أوعز إليه بقتل «كليومنيس» ملك إسبرتا الذي كان قد أجار والده فأجاره ومعه زمرة من جنوده المرتزقين بالإسكندرية. ومما زاد الطين بلة أن «أجاتوكليس» وزيره

ونصيحه وأخته «أجاتو كليا» حظية الملك تقودهما أمهما قد استولوا على زمام الأمور في البلاد، وقد بدأ الفساد يسري في كل مرافق البلاد إلى أن طمع في الممتلكات المصرية جيرانها وبخاصة «أنتيوكوس» الثالث ملك سوريا وبابل. فقد استولى على أملاك مصر في سوريا، ثم زحف بجيشه حتى أبواب الحدود المصرية وكاد أن يستولي عليها، لولا أن المصريين وقفوا في وجهه، وانتهى الأمر بتوقيع هدنة تمهيدًا لإبرام صلح دائم، غير أن مصر لم ترضَ بشروط الصلح، وأخذت تستعد للحرب كرة أخرى بغية استرداد «سوريا الجوفاء» التي كانت موضع نزاع مستمر بين البطالمة والسليوكيين منذ بداية حكم البطالمة، وفعلًا دلت شواهد الأحوال على أن مفاوضات الصلح بين الطرفين قد فشلت لأن مصر قد رفضت كل مطالب «أنتيوكوس»، ومن ثم أخذ يستعد للزحف على مصر التي كانت بدورها تستعد خفية لملاقاة عدوها. فقد كانت تدرب جيشًا مصريًّا في الإسكندرية آنذاك.

وقد زحف فعلًا «أنتيوكوس» بجيشه حتى حدود مصر وعسكر بالقرب من «رفح» حيث كان الجيش المصري على أهبة الاستعداد لخوض معركة فاصلة، وكان من حسن طالع «بطليموس الرابع» أن وزيره قد جند فرقة من أبناء مصر الشجعان، ودربها على أحسن النظام لخوض غمار هذه الحرب؛ وذلك بعد أن فطن إلى أن الجنود المرتزقين لا يمكن الاتكال عليهم في حرب مثل هذه. هذا، وكان الجنود المصريون محرمًا عليهم الانخراط في سلك الجندية؛ لأن البطالمة كانوا لا يأمنون جانبهم، كما كان المصريون يشاركونهم في نفس الشعور، ولكن الضرورة حتمت تجنيدهم للدفاع عن وطنهم على الرغم من كل اعتبار، وفي ساحة القتال أظهر الجنود المصريون من ضروب البسالة وحسن البلاء في موقعة «رفح» التي دارت رحاها بين الفريقين ما جعل كفة النصر في جانب الجيش البطلمي عام ٢١٧ق.م.

وكان من نتائج هذه الموقعة الفاصلة أن استرد «بطليموس الرابع» «سوريا الجوفاء» وغيرها من المواقع على ساحل «سوريا»، وبعد انتصار «بطليموس» قام بحملة إلى بلاد «سوريا» وهناك قابله الشعب السوري بكل ترحاب، وبعد ذلك عاد إلى مصر حاملًا معه كل تماثيل الآلهة التي كان قد استولى عليها الأعداء من قبل في حروبهم؛ وبذلك أرضى طائفة الكهنة. غير أن النصر الذي أحرزه المصريون في ساحة القتال قد أيقظ في نفوسهم روح العزة الوطنية، والشعور بشخصيتهم، وبخاصة عندما نعلم أن كل مقاليد الأمور كانت في يد الأجانب، وأنهم ليس لهم من الأمر شيء، وأنهم الكادحون المغلوبون على أمرهم يعملون ويكدحون؛ ليجني ثمرةَ جهدِهم الأجانبُ الذين برهنوا في ساحة القتال على أنهم

مخنثون جبناء؛ ومن أجل ذلك بدأ المصريون بالخروج على نظام الحكم البطلمي وإعلان العصيان، وقد كان ذلك أولًا في الدلتا حيث كان لا يزال فيها بعض سلالات الفراعنة السابقين الذين حتمت عليهم الأحوال أن يختفوا عن الأنظار، وهؤلاء قد ترأسوا العصيان وأقاموا لأنفسهم حكومة في قلب مناقع الدلتا.

وهكذا استمرت حرب العصابات بين المصريين والبطالمة لا تخمد نارها، ولم تلبث بعد ذلك أن امتدت بذور الثورة إلى الصعيد، وسنرى فيما بعد أن المصريين قد نصبوا عليهم ملوكًا من المصريين كانوا يحملون الألقاب الملكية وتزيوا بزي الفراعنة.

وفي تلك الأثناء كان «بطليموس الرابع» وبطانته لا حول لهم ولا قوة قبل هذه الثورات، ومع ذلك كان لا ينفك عن الانغماس في شهواته وملذاته بصورة لا يُعرَف لها مثيل كما فصلنا القول في ذلك، وهكذا استمر في تهالكه على الكأس والطاس والفجور والعصيان حتى مات في أحضان الغانيات والغلمان؛ ومما زاد الطين بلة: أن زوجه «أرسنوي الثالثة» التي عاشت طوال حياتها مبعدة عنه وعن شئون الملك قد اغتيلت بدورها بتحريض من «أجاتوكليا» حظية الملك الأولى، وقد كان لاغتيالها رنة حزن وأسي في قلوب الشعب الإسكندري الذي انتقم لها كما سنرى بعد.

وعلى أية حال فقد اختفى «بطليموس الرابع» من مسرح الحياة تاركًا الملك لطفل صغير كانت قد أنجبته له «أرسنوي الثالثة» قبل وفاتها بقليل.

ومن الغريب المدهش أنه على الرغم من عيشة الخلاعة واللهو التي كان يعيشها «بطليموس الرابع» فإنه كان يتمتع بمزايا حسنة لا يمكن إغفالها. فقد رأيناه بعد عودته من بلاد «سوريا» يغدق الإنعامات على رجال الدين والمعابد المصرية، كما أخذ في إقامة المعابد في كل أنحاء البلاد بصورة تلفت النظر إرضاء للمصريين، كذلك نجده قد أخذ في الإشادة بعبادة الإله «ديونيسوس» وإقامة شعائره، وبخاصة لأنه كان إله الخمر والشراب من جهة، ومن جهة أخرى كان يقابل عند المصريين على وجه التقريب الإله «أوزير». يُضاف إلى ذلك أنه في عهده أخذت قوة الكهنة تزداد لدرجة أنهم حتموا استعمال المراسيم المصرية، وترجموها إلى الإغريقية بعد أن كانت لا تُستعمَل قط في المراسيم الإغريقية، وأخيرًا وليس آخرًا نجد أن «بطليموس الرابع» أخذ في تنصيب كهنة يُعيَّنون سنويًّا لعبادة «بطليموس الأول» وجعله إلهًا رسميًّا هو وزوجه «برنيكي»، وذلك على غرار ما كان يُعمَل «لبطليموس الثاني» وزوجه «أرسنوي الثانية». يُضاف إلى ذلك أن «بطليموس الرابع» كان مؤلفًا وشاعرًا، فقد كتب روايات وأشعارًا أهداها إلى «هومر» أبي الشعراء الإغريق.

وعلى أية حال، فإن التاريخ يقف موقف الحائر عما وصل إلينا من روايات متضاربة عن هذا العاهل، والخلاصة: أنه قد جمع بين المجون والخلاعة والدعارة والتدين والعلم والأدب.

وعلى أية حال، فإن عصره يُعتبَر عصر تحول في تاريخ أرض الكنانة؛ إذ في عهده دبت الروح الوطنية في الشعب المصري الأصيل، وأخذ ينفض عن نفسه عار الاستعباد الذي لم يرضَ به قط طوال تاريخه المديد إلا تحت الضغط الشديد. والواقع أن البلاد في تلك الفترة قد أخذت تنحدر نحو الانحلال والفوضى بسبب الثورات التي قام بها المواطنون المصريون، وقد استمرت الأحوال من سيئ إلى أسوأ إلى أن جاء الرومان فاغتصبوا مقاليد الأمور في أرض الكنانة بسهولة ويسر.

هذا من الناحية السياسية الهيلانستيكية، أما من ناحية الشعب المصري نفسه — إذا استثنينا جماعة الثوار — فقد كان يعيش عيشة التقشف والضنك، يكدح طول يومه في الحقل أو في المعمل أو في خدمة المستعمر في الأعمال الحقيرة. ولا غرابة إذن إذا كان كل ما وُجِد له من آثار لا يدل على أي تدخل في شئون حكومة البلاد في الداخل أو في الخارج.

وينحصر كل ما تركه لنا المصري في هذه الفترة من آثار مدونة في طائفة من الوثائق الديموطيقية التي تضع أمامنا صورة واضحة عن المعاملات التي كانت تجري بين المصري وأخيه المصري، وأحيانًا بين المصري وبين المستعمر الهيلانستيكي، وكلها محصورة في الشئون الاجتماعية المحلية، ومما يؤسف له جد الأسف أن هذه الوثائق لم يُعثَر عليها في مناطق متفرقة من مناطق القطر المصري، بل وُجِدَت أغلبيتها في مناطق معينة محددة معروفة، وبخاصة في منطقة «طيبة» التي تُعَد المصدر الرئيسي للأوراق الديموطيقية في العصر البطلمي.

ومما يلفت النظر في هذا الموضوع أن الوجه البحري لم يُعثَر فيه على أوراق ديموطيقية من هذا العهد حتى الآن، وقد يكون السبب في ذلك عدم ملاءمة الجو لحفظ مثل هذه الوثائق لشدة الرطوبة فيه. هذا، وقد عُثِر كذلك في «الفيوم» على عدد عظيم من أوراق البردي التي كشفت اللثام عن حقائق هامة في تاريخ هذه الفترة من حكم البطالمة.

وعلى أية حال، فإنه على الرغم من أن ما لدينا من وثائق ديموطيقية لا تمثل مختلف جهات القطر، فإنها مع ذلك تميط اللثام عن كثير من أوجه الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية في أعظم مدينة مصرية قديمة، وما جاورها من قرى. والواقع أنه أصبح

في متناولنا الآن من هذه الوثائق ما يحدثنا عن إيجار الأطيان والبيوت وبيعها وشرائها، كما وصلت إلينا وثائق عن رهونات ووصايا وقضايا نزاع وأوقاف، وقسمة وإيصالات ضرائب وهبات وسلفيات وشكاوى وبيع، ووظائف وتعهدات وتسديد ديون وتنازلات، وعقود زواج وعقود طلاق، هذا بالإضافة إلى وثائق خاصة بتأليف مؤسسات دينية تعاونية ووثائق ضمانات عن عقار وأشخاص.

ومن الموضوعات الهامة التي كشفت لنا عنها هذه الوثائق بصورة غير مباشرة؛ ما كان في البلاد وقتئذٍ من حِرَف وصنائع ووظائف كهنية وحكومية، وقد وصلنا إلى ذلك مما عرفناه عن أصحاب هذه الوثائق والحرف التي كانوا يحترفونها، يُضاف إلى ذلك أن نفس الأسماء الأعلام في هذه الوثائق كانت كلها مركبة تركيبًا مزجيًّا مع أسماء آلهة، ومن ثم كان في مقدورنا أن نعرف الآلهة الذين كانوا يُعبدون في هذه المدن بصورة بارزة.

هذا، وقد عرفنا كذلك من هذه الأوراق الديموطيقية الحالة التي انحدرت إليها مدينة «طيبة» في تلك الفترة، يُضاف إلى ذلك ما كشفته لنا عن المعتقدات الدينية في تلك الفترة، وكذلك حالة الطبقة الدنيا من رجال الكهنة، وما وصلوا إليه من فقر وبؤس، والواقع أن مثلهم كان كمثل الفلاح الكادح الذي لا ينال قوت يومه إلا بشق الأنفس.

هذا، ولدينا بعض وثائق فريدة في بابها تكشف لنا عن نواحٍ هامة في حياة المجتمع المصري، وما كان بين أفراده من ارتباط وثيق جاء عن طريق تأليف الجمعيات، وبخاصة الدينية منها. فقد كانت هذه الجمعيات تسعى إلى رفع مستوى الأفراد من الناحية الخلقية والاقتصادية، وكذلك لدينا وثائق من هذا العهد تدل على عناية الأسرة بتنشئة الطفل، ورضاعته حتى يصبح عضوًا عاملًا صحيحًا في المجتمع المصري.

ونقرأ بين سطور بعض هذه الوثائق وجود بعض عادات ومعتقدات قد انحدرت إلينا من الماضي البعيد، ولا تزال باقية في عهدنا الحالي، نخص بالذكر منها تقديس الأولياء والشهداء وعبادتهم بوصفهم آلهة، وحبس الأوقاف عليهم وعبادتهم.

ومن الأشياء البارزة التي تكشف عنها وثائق هذا العهد عبادة الحيوانات، فقد ازدادت بصورة واضحة، وقد بولغ في تقديس هذه الحيوانات لدرجة عظيمة لم يُسمَع بها من قبل في العهد الفرعوني لدرجة أن إنقاذ قطة من الحريق كان يُعتَبر أهم من إخماد النار نفسها.

ومن أهم الموضوعات التي ظلت غامضة في حياة الأسرة المصرية حتى جاء عهد البطالمة، وكشف عنها اللثام موضوع الزواج والطلاق، والواقع أنه لم تصل إلينا وثيقة

صريحة عن الزواج في العهد المصري القديم، وقد ظلت الحال كذلك إلى العهد الديموطيقي وبخاصة في العهد البطلمي، حيث عُثِر على سلسلة وثائق خاصة بالزواج صريحة، نُصَّ فيها على ما كان للزوجة من حقوق، فكان على الرجل أن يدفع لها صداقًا، وأنها تصبح شريكة له في كل أملاكه بحق الثلث، وأن أولادها من بعدها يحلون محلها، وأن حقوقها كانت محفوظة لها فيما يتعلق بجهازها الذي كانت تحضره معها إلى بيت الزوجية، كما هي العادة الآن في مصر في كثير من الأحوال، وعندما كان الرجل يطلق المرأة دون سبب يشينها، فقد كان لها الحق في تعويض باهظ كان الرجل في معظم الأحيان لا قبل له في تحمله؛ ومن ثم نجد أن وثائق الطلاق كانت نادرة على ما يُظَن لهذا السبب، ومن الغريب أنه في العهد الفارسي كانت العصمة أحيانًا في يد الزوجة، هذا وقد وجدنا وثائق زواج كانت المرأة هي التي تدفع صداقًا لزوجها.

وأخيرًا نلحظ أن العقود المصرية في هذا العهد كانت تُكتَب بصيغ خاصة على حسب الموضوع تكرر في كل الحالات المشابهة تقريبًا، والشيء الذي يلفت النظر في هذه الوثائق بوجه عام هو أنها كانت مكتوبة بدقة وعناية؛ مما يدل على يقظة أصحاب الحقوق، وحذرهم من الوقوع في أي ملابسات قد تسبب سوء فهم ومقاضاة، والواقع أن الإيضاحات التي تحتويها هذه الوثائق لا تجعل مجالًا لأي شك أو إبهام في كلمات العقد.

هذه نظرة عامة عما جاء في هذه الفترة من عهد البطالمة الأول، وما كان فيها من أحداث، وبخاصة الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية التي كان يعيشها الشعب المصري الأصيل الذي ظل تاريخه في عهد البطالمة مجهولًا إلى حد بعيد، واللهَ نسأل التوفيق لما فيه خير الوطن.

وإني أقدم هنا عظيم شكري للأستاذ إبراهيم كامل الأمين بالمتحف المصري؛ لما بذله من مجهود صادق في قراءة تجارب هذا الكتاب، ورسم بعض أشكاله، كما أشكر السيد نبيه إبراهيم كامل على ما قام به من مجهود لعمل الفهرس، كما أشكر السيد آدم مدير مطبعة كوستا وهيئة الفنيين؛ لما بذلوه من إتقان وعناية في إخراج الكتاب.

الفصل الأول

الآثار التي خلفها بطليموس الثاني

تحدثنا في الجزء السابق من هذه الموسوعة عن النهضة العلمية الهيلانستيكية في مصر، وعن تقدم الزراعة والتجارة في عهد الملك «بطليموس الثاني»، كما تناولنا بالبحث العلاقات التي كانت قائمة وقتئذٍ بين الشعب الإغريقي والشعب المصري من جهة، والعلاقات التي كانت بين المستعمرين الإغريق فيما بينهم من جهة أخرى، ثم أجملنا القول عن اليهود الذين استوطنوا مصر عامة، وما كان لهم من شأن بوجه خاص في الإسكندرية عاصمة ملك البطالمة، وسنحاول هنا في مستهل هذا الكتاب أن نجمع بقدر المستطاع ما نعرفه حتى الآن من الآثار التي خلفها لنا بطليموس الثاني في طول البلاد وعرضها، وهي بلا نزاع كلها آثار دينية مصرية محضة خاصة بالشعب المصري، وكذلك سنعمل جهد الطاقة في جمع أهم المخطوطات الديموطيقية التي من عهد هذا العاهل، وهي كذلك خاصة بالشعب المصري، وأحوال معاشه من كل الوجوه.

وهذه الآثار وهذه المخطوطات ستكون عونًا لنا على وضع صورة توضح لنا مركز الشعب المصري الأصيل إذا ما قُورِنت بالصورة التي صورناها عن الشعب الإغريقي في تلك الفترة من الزمن، وسيرى المطلع على هذه الوثائق فيما بعد على أن كلًّا من الشعبين الإغريقي والمصري كاد يعيش بمعزل الواحد عن الآخر، وأن المصري لم يتأثر بدرجة تُذكَر من الشعب المستعمر، بل كان كعادته هو الذي أثر في عادات الإغريق وأحوالهم وجعلهم يقلدونه.

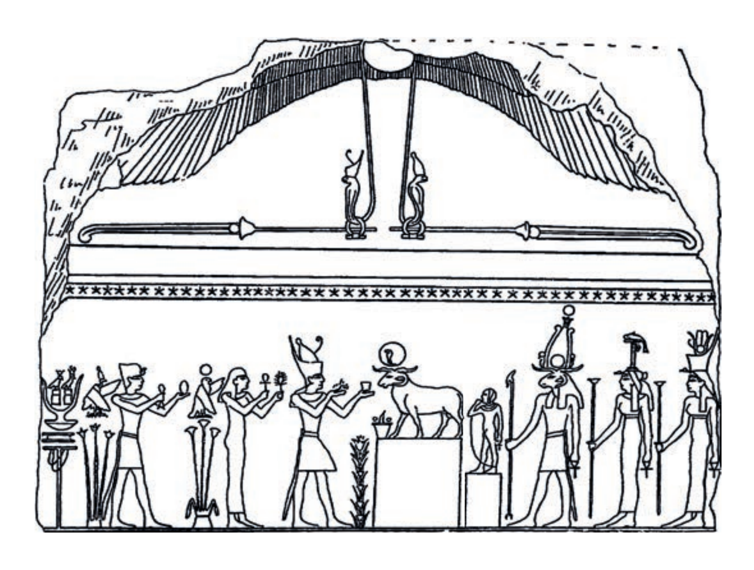
(١) الآثار المصرية التي تُنسَب للملك بطليموس الثاني أو التي عُمِلت في عهده

تدل الآثار التي كُشِف عنها حتى الآن من عهد الملك «بطليموس الثاني» على أنه على الرغم من أنه كان مقدوني المنبت وصاحب ثقافة إغريقية، قد وجه عناية كبيرة وجهدًا عظيمًا لإقامة المباني المصرية الدينية العظيمة الشأن بدرجة لا تقل عن العناية والجهد اللذين كان يبذلهما فراعنة مصر القدامى أنفسهم. والواقع أنه لا غرابة فيما بذله «بطليموس الثاني» هذا بالذات، إذا علمنا أنه كان أول ملوك البطالمة الذين فطنوا تمامًا إلى ما كان للديانة المصرية القديمة من أثر في نفوس أفراد الشعب المصري، وما كان لطائفة الكهنة المصريين من قوة جبارة وسلطان عظيم على تسيير الشئون المصرية من دينية واجتماعية وسياسية إذا ما قُورِنت مصر بالبلاد الشرقية الأخرى، أو بالأمم الغربية في تلك الفترة من الزمن.

دلت كل الوثائق التي في متناولنا على أن «بطليموس الثاني» كان أول ملك بطلمي سار على نهج الفراعنة القدامى من الوجهة الدينية تمشيًا مع رغبات الشعب المصري الأصيل، فقد تزوج من أخته من أمه وأبيه؛ ليحفظ الدم الملكي الإلهي من أن يختلط بدم أجنبي كما كان المتبع عند ملوك مصر القدامى منذ بداية العهد الفرعوني. على أن هذا الإجراء لم يكن يتفق مع التقاليد الإغريقية قط، بل كان يُعتَبَر فسقًا وزنًى ولكن السياسة اقتضت ذلك.

وتمشيًا مع التقاليد المصرية سمى بطليموس الثاني نفسه ابن «رع» أو ابن «آمون»، ومن ثم أخذ هذا العاهل يعظِّم شعائر الدين المصري القديم في كل أنحاء البلاد، ويقيم من أجل ذلك المعابد الجديدة، ويصلح ما كان قد تهدم منها، كما حبس عليها الأوقاف ومنحها الهبات. وخلاصة القول: فإن «بطليموس الثاني» أحيا الشعائر المصرية في كل معابد مصر إرضاء لميول الشعب ورغباته، وتدل شواهد الأحوال على أن أخته «أرسنوي الثانية» على أرجح الأقوال هي التي كانت قد رسمت له خطة التشبه بالفراعنة في كل أحوالهم الدينية كما أشرنا إلى ذلك من قبل.[١]

[١] راجع مصر القديمة، الجزء ١٤.



شكل ١-١: لوحة «منديس».

(١-١) أهم آثار بطليموس الثاني في الوجه البحري

لوحة «منديس» التذكارية[٢]

من أهم الآثار التذكارية التي أقامها «بطليموس الثاني» اللوحة المعروفة باسم لوحة «منديس»، وقد عُثِر عليها في معبد تيس «منديس» المقدس،[٣] وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري، وقد صُنِعَتْ من الحجر الرملي، ويبلغ ارتفاعها ١٫٤٧ مترًا وعرضها ٧٨ سنتيمترًا.

[٢] انظر الشكل رقم ١-١.

[٣] راجع: Kurt Sethe, hieroglyphische Urkunden Der Griechische, Römischen Zeit in: Urkunden des Agyptischen Atertum II, Leipzig (1904). P. 28–54; Ahmed Kamal, Cat. Gen. Steles Ptolémaiques etc. P. 159–168; Die Aegyptische Gotterwelt. P. 168–188; Heinrich Brugsch, Thesaurus, 629–631, 658–669; 730–740.

وصف اللوحة: يُشاهَد في الجزء الأعلى المستدير من هذه اللوحة قرص الشمس المجنح الذي يتدلى منه صِلَّان أحدهما على رأسه تاج الوجه القبلي، والآخر يلبس تاج الوجه البحري، ويحمل كل منهما خاتمًا، ونُقِش بجانب الصِلِّ الذي على اليمين المتنُ التالي: «بحدتي» الإله العظيم رب السماء ذو الريش المبرقش، الخارج من الأفق والمشرف على القطرين معطي الحياة والقوة.

ونُقِش أعلى هذا الصل: «نخبيت البيضاء» صاحبة «نخن».

ونُقِش بجانب الصل الذي على اليسار نفس المتن الذي نُقِش على اليمين، وفي أعلى هذا الصل نُقِش: الإلهة «وازيت» ربة «دب» و«ب»؛ ونقش بين الصلين: معطي الحياة والثبات والقوة مثل «رع».

وفي أسفل قرص الشمس نُقِش متنان أفقيان. فالذي على اليسار جاء فيه: «يعيش ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين، وسيد الشعائر «وسر-كا-رع-مري امن». ابن «رع» من صلبه، رب التيجان (بطليموس) عاش مخلدًا.»

ونُقِش على اليمين: «حياة التيس المقدس الإله العظيم حياة «رع»، والثور، والمخصب وأمير الشابات، محبوب بنت الملك، وأخت الملك والزوجة الملكية سيدة الأرضين (أرسنوي) عاشت مخلدة».

ومُثل أسفل المتن السالف، السماء بنجومها، وفي أسفلها منظران: أحدهما على اليسار، والآخر على اليمين؛ فالذي على اليسار يُشاهَد فيه الأسرة المالكة تقدم قربانها، وعلى اليمين الآلهة المحترمون، ونشاهد أولًا من الأسرة الملكية «بطليموس الثاني» يخطو إلى الأمام، وتقف بالقرب منه الإلهة «أتو» في صورة ثعبان على نبات بردي، وترتدي على رأسها تاج الوجه البحري، ويمسك الملك بيده آنية تحتوي على زيت معطر يقدم منه بأصبعه شيئًا إلى أنف التيس، ونُقِش معه المتن التالي: «تقديم العطر إلى والده، وتقديم المر إلى أنف الإلهة.» وتتبع الملك الملكة «أرسنوي»، وكانت — عند إقامة هذا الأثر — قد مضى على موتها سبعة أعوام أو يزيد، وقد نُقِش أمامها: حاملة المروحة والآلهة التي تحب أخاها، (والمحبوبة من) التيس، وسيدة كل الأرض (أرسنوي)، وتمسك بإحدى يديها رمز الحياة وبالأخرى مروحة، تشبه سنبلة القمح، وتقول بمناسبة ذلك للتيس: إني أحميك في تاجك، وبذلك تكون عظيمًا وعاليًا أكثر من كل الآلهة الأخرى.

ويُشاهَد خلف الملكة نبات بردي يجثم عليه صقر بجناحين منتشرتين، ومعه النقش التالي: «بحدتي» الذي ينشر جناحيه ليحمي أمه، وخلف الملك والملكة يُشاهَد ولي

العهد الفتى «بطليموس» ويحمل نفس الاسم الذي يحمله والده — ملك الوجه القبلي والوجه البحري وابن «رع» — ويحمل في يده آنية فيها زيت عطر، وشريط من النسيج، ويقول للتيس: «إني ركبت لك أعضاءك، وضممت إليك جسمك معًا في المقصورة «تننت» وهو بذلك قد لعب الدور الذي لعبه «حور» الذي جمع أعضاء والده «أوزير» المزقة في تلك المقصورة، وقبالة ولي العهد تشاهد الحية «نخبيت» مرتدية تاج الوجه القبلي، مرتكزة على نبات زنبق، وخلف ولي العهد يُشاهَد إلهة في صورة عقاب تقف على نبات هو زنبق الوجه القبلي، وهذه هي الإلهة «نخبيت» بجناحيها منتشرتين؛ لتحمي ولي العهد، وتلبس تاج الوجه القبلي، ومعها النقش التالي: ««نخبيت» البيضاء القاطنة في «نخن» (= المقاطعة الثالثة من مقاطعات الوجه القبلي) الخفية، والرخمة الكبيرة التي تحمي ابنها بجناحيها.» وفي نهاية الصورة نشاهد خلف الأسرة الملكية علامة غير عادية؛ وذلك أنه يرى فوق حامل علامة المقاطعة الاسم التالي: قاضي الإلهين ورب الأرضين. ولا بد أن ذلك يعني اسم بلدة، والواقع أنها — على حسب ما جاء في السطر التاسع من نقوش موكب «منديس» الذي خرج منها — هي «تمويس» Themuis، ومن جهة أخرى يتفق هذا الاسم مع التقاليد بأنه هو «تحوت» إله الأشمونين (الواقعة في المقاطعة الخامسة عشرة) الذي فصل بين الإلهين «حور» و«ستخ»، والنقش الغامض الملحق بذلك خاص بكلام هذا القاضي: «ملك الوجه القبلي وملك الوجه البحري، الحوران والأخوان قد اتحدا … الأرضين.»

هذا، ونشاهد على الجانب الأيمن من المنظر الذي مثل فيه الآلهة قاعدة مُثل عليها تيس يخطو إلى الأمام، وقد مُثل بصورة كبش ملفوف بمنديل، ويحمل على رأسه قرص الشمس، ونُقِش فوقه: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري، الروح (با) الحية لرع، وروح «شو» الحية، وروح «جب»، وروح «أوزير» الحية، وروح الأرواح وحاكم الحكام؛ والتيس وريث الإله (رع؟ أو أوزير؟) في مقصورة «تننت» (مقصورة الإله «سوكاريس» في منف).» وهذا هو التيس الذي عُثِر عليه حديثًا، ونصبه بطليموس الثاني إلهًا، وهو الذي بإرادته أُقِيمت لوحة «منديس» التي نحن بصددها.

والإله الذي يأتي بعد هذا التيس هو الطفل «حربو خراتيس» الذي مثل في صورة طفل بأصبعه في فمه، وفوقه المتن التالي: ««حور» هذا الطفل، الإله العظيم القاطن في «ددت» (= تل الربع الحالي)، ومن يجلس على عرشه مع «إزيس» (أي على حجر أمه «إزيس») ومن أعطيت إياه الأرضين لمؤنته.»

والإله الثالث في المنظر هو رجل يخطو إلى الأمام برأس كبش وتاج عالٍ، ومعه المتن التالي: «التيس، سيد «ددت»، الإله العظيم، «رع» العائش، والثور الملقح، المسيطر على الغواني، ورب السماء، ملك الآلهة معطي الحياة مثل «رع».»

وهذا هو التيس المتوفَّى الذي أحل محله «بطليموس الثاني» التيس الجديد، وأنه هو كذلك الذي سماه «بطليموس الثاني» في السطر الذي فوق الصورة «المحبوب»، وهو يقول للملك: إني أجعل عظماء كل البلاد الأجنبية تخضع لسلطانك.

والصورة الإلهية الرابعة في المنظر تمثل إلهة تحمل على رأسها رمز المقاطعة ١٦ من مقاطعات الوجه البحري، وهذا الرمز يمثل سمكة الدرفيل، وتُسمَّى «حات محيت» (راجع أقسام مصر الجغرافية في العهد الفرعوني ص٨٤) ومعها المتن التالي: ««حات — محيت»، القوية القاطنة في «ددت»، وزوج الإله في معبد التيس، وعين «رع» وربة السماء وأميرة كل الآلهة.» وهي تقول للملك: إني أمنحك الحب في قلب الآلهة، وقلب عدوك يجب أن يكون تعسًا.

والآلهة الخامسة في المنظر هي امرأة بتاج ملكة، ومعها المتن التالي: ابنة الملك، وأخت الملك، وزوجه الملكة العظيمة والتي يحبها والإلهة التي تحب أخاها، (أرسنوي)، وهي تقول لزوجها الذي عاش بعدها: إني أصلي من أجلك لسيد الآلهة حتى يجعل سنينك بوصفك ملكًا مرتفعة العدد.

وفي أسفل هذا المنظر يأتي المتن الرئيسي في اللوحة، ويحتوي على ثمانية وعشرين سطرًا، وهاك ترجمتها حرفيًّا:

> (١) يعيش «حور» الشاب القوي ممثل الرخمة والثعبان «السيدتين» (المسمى) عظيم القوة، و«حور الذهبي» (المسمى) الذي جعله والده يظهر (بمثابة وريثه على عرش مصر)؛ ملك الوجه القبلي والوجه البحري، رب الأرضين (المسمى) (وسر-كا-رع-مري-آمون) (قوية روح رع محبوب آمون)؛ وابن «رع» (المسمى) سيد التيجان «بطليموس» المحبوب من التيس (أو الروح) سيد «ددت» (منديس)، الإله العظيم حياة «رع» والثور الملقح، والمسيطر على النساء، والإله الوحيد، عظيم الهيبة (أو العظيم بوساطة رأس التيس)، ملك الآلهة والناس، والمُشرق في الأفق بوجوهه الأربعة، والذي يضيء السماء والأرض بأشعته، والذي يأتي كالنيل، وبذلك تعيش الأرضان، وإنه النسيم لكل الناس، والآلهة تمجده، والإلهات تصلي له في صورته، التيس

الحي، العظيم الهيبة، وسيد الآلهة. الإله الكامل، صورة «رع»، والصورة الحية للتيس أول أهل الأفق (أي الذين يسكنون في الأفق)، والنطفة الإلهية للتيس، والثور الملقح، والابن الحقيقي للتيس الذي أنجبه؛ لينظم المعابد وليقوِّم مقاطعات الإله، وبكر أولاد التيس، والذي خلقه التيس «وانن».

ومن يجلس على عرش سيد الآلهة، والصورة الفاخرة لطفل المقاطعات (= اسم إله فتى) ومن ولدته (أمه) بمثابة سيد (= ملك)، والحاكم وابن الحاكم ومن وضعته حاكمة؛ ومن سلمت له وظيفة حاكم الأرضين وهو لا يزال في الرحم، ولم يكن قد وُلِد بعد، وقد تسلم هذه الوظيفة فعلًا وهو في قماطه، وكان يحكم فعلًا وهو لا يزال رضيعًا.

وقد صار سيدًا، حلو الحب؛ وهو الذي كانت هيبته (مثل) هيبة التيس الذي في مقاطعة السمكة («حات محيت» المقاطعة ١٦ من مقاطعات الوجه البحري)؛ الملك القوي، الجبار البأس، الشجاع. والذي يقبض بقوته، ومن يحارب في ساحة القتال، والقوي بوساطة سلطان (السحر)؛ القوي الساعد، الضارب أعداءه.

قيم النصيحة، ومن ينتهز الفرص، ومن فيه قوة «بعل»، ورب العدالة، ومن يحب القانون، ومن قلبه يدخل في طريق الإله، في حين كانت مصر نائمة، ومن يكثر المعابد.

وأنه جدار من نحاس وراء الناس (لحمايتهم)، عظيم الرهبة، وجبار الخوف (الذي ينشره) والخوف منه في كل الأرضين، ومن لإرادته (تنحني كل الأعداء)، وكل الناس (مصر) يبتهجون برؤيته لأنه يحميهم.

وحبه في قلب الآلهة؛ لأنهم يعرفون أعماله الطيبة نحوهم، وكل المعابد مفعمة بقربانه، وشطرا (مصر) بمثابة شطري «حور» و«ستخ».

ملك الوجه القبلي والوجه البحري (بطليموس الثاني).

في عام … الشهر الأول من فصل الشتاء أتى جلالته ليمجد «البا»[٤] سيد «ددت» (منديس) وليرجو الحياة من رب الحياة، ويطلب شرف الملك إلى ربه.

[٤] الـ «با» هنا معناها الروح أو التيس، والمقصود هنا التيس المقدس.

وقد عمل ما ترغب فيه التيوس العظام، وقد زار جلالته التيس الحي، وذلك عندما قام للمرة الأولى بزيارة الحيوان (المقدس)، بعد أن اعتلى عرش (والده).

وزار جلالته والده (؟) (التيس المقدس) بالطريقة اللائقة مثلما كان يعمل ما عمل الملوك في الأزمان الغابرة منذ أول زيارة حدثت.

وقد أمسك جلالته حبل مقدمة سفينة هذا الإله، وأبحر شمالًا في البحيرة الكبيرة، ثم أقلع جنوبًا في قناة «عقن» (أحد فروع النيل) كما فعل ملوك الوجه القبلي والوجه البحري من قبله، وقد أتم كل شعائر الزيارة كما هو مدون، إلى أن وصل إلى «ددت» (منديس) و«عنبت» (تمويس).

وقد جعله (أي التيس) جلالته يظهر (في موكب) في مقصورته (محفته التي تُحمَل على الأكتاف)، وعندئذ تقدم (الملك) خلف هذا الإله سيده الذي يحبه (الإله)، وسافر الإله نحو «وب-نتروي» (قاضي الإلهين — والمقصود هو بلدة على مقربة من «تمويس» على ما يُظَن) وهي المكان الذي زاره للمرة الأولى.

وقد مر جلالته «بضيعة التيس» (اسم معبد تمويس (؟))، وقد وجد في معبد التيس كيف كان يسير فيه العمل على حسب أوامر جلالته بإزالة الفساد الذي أحدثه الأجانب الخاسئين (يقصد الفرس) فيه، وأمر جلالته أن يتم العمل فيه (المعبد) أبديًّا.

وقد فحص جلالته مثوى هذا التيس المقدس الذي يسير العمل في تجديده، وقد كلف (الحارس) أن ينظفه (المثوى) يوميًّا، وأن يوضع هناك تيس «عنبت» على عرشه.

وأصدر جلالته توجيهاته في هذا المعبد، وأدى صلواته الروحانية للتيس المقدس، كما وُجِدت في كتابة «تحوت».

وبعد ذلك عاد جلالته إلى مقر ملكه، وقلبُه فَرِح بما فعله لآبائه التيوس العظماء الأقوياء الأحياء في «عنبت»، وقد منحته (مكافأة على ذلك) ملكًا عظيمًا في سرور.

وبعد ذلك ارتبط جلالته (بالزواج) مع أخته (بحماية) الإله … «والإله الذي يعيش أنفه» (لقب أوزير) وروح إله الشرق، وقد ثبت لقبها (أي الملكة) بوصفها: الأميرة عظيمة الحمد، التي تتبع للسيد (الملك)، حلوة الحب، جميلة

الطلعة، والتي استولت على صلى الجبين (مع تاجي الوجه القبلي والوجه البحري)، ومن ملأت القصر بجمالها، محبوبة التيس، والتي تعتني بالتيس، أخت الملك وبنت الملك وزوجة الملك العظيمة محبوبته، وأميرة الأرضين «أرسنوي».

في السنة الخامسة عشرة الشهر الثاني من فصل الصيف، صعدت هذه الآلهة إلى السماء، وانضمت [أعضاؤها مع من خلق جمالها ...]

وبعد شعيرة فتح الفم لهذه الآلهة بعد أربعة أيام صعدت بمثابة روح، وقد غنى لها القوم في «عنبت» وأُقِيم لها عيد (جنازي) وصارت روحها تعيش هناك بجانب التيوس الأحياء، كما عُمِل للتيوس والآلهة والإلهات منذ الأزل حتى اليوم.

وبعد ذلك أصبحت (المدينة «عنبت») مكان أفراح المملكة لكل الآلهة؛ وأنها مدينتهم لتجديد الشباب مرة أخرى، وفيها يشمون الهواء النقي، وأنها مدينة الفرح لكل الإلهات، وفيها تعود الحياة من جديد؛ وذلك لأن الإله يُضمَّخ بالمر والزهور، ويُبخَّر بالبخور في كل عشرة أيام.

وأمر جلالته بإقامة روحها (تمثالها) في كل بيوت الآلهة، وكان ذلك جميلًا في قلب الكهنة خدام الإله؛ وذلك لأن حالتها كانت عُرِفت بأنها الهيبة، وذلك بسبب امتيازها بالنسبة لكل إنسان، وقد جُعِلت صورتها في مقاطعة السمكة (الدرفيل) تظهر (في المواكب) بجانب الأرواح الحية (للتيوس) مثل (تماثيل) أولاد الملوك التي كانت معها سويًّا (أي مع الصورة)، وصورتها (أي الملكة) قد وُضِعت في كل مقاطعة مثل نساء حريمه (كاهنات التيس) التي معها (أي التماثيل الأخرى) سويًّا.

وقد ثبت اسمها (أي الملكة) بوصفها: محبوبة التيس، والإلهة التي تحب أخاها «أرسنوي».

وقد أنشأ جلالته الآن جنوده (حرسه) من الشباب الجميل من أولاد جنود مصر، وكان رؤساؤهم من أولاد «تامري» (مصر)، وكانوا له هناك بمثابة محبين؛ وذلك لأنه كان يحب مصر أكثر من أية بلدة (أجنبية) كانت تخدمه، ولأنه عرف طِيبةَ قلبِهم نحوه.

أما فيما يتعلق بضريبة السفن المعدية في كل مصر قاطبة، وهي التي كانت تُجبَى إلى بيت (مال) الملك، فإن جلالته قد أمر أن فريضة ضرائب السفن

لكل مقاطعة «محيت» (المقاطعة ١٦ من الوجه البحري) لا تُجبَى، وعندئذ قالوا أمام جلالته: أنهم (أي سكان مقاطعة الدرفيل) منذ زمن رع لم يؤدوا أية ضريبة، ولكن كل من كان يدخل في مدينته (منديس) ويخرج كان ينبغي عليه أمام سيد المتع الذي … يجلس …؟
وبعد ذلك أعطاه «رع» (أي أعطى التيس) الأرضين لمئونته، ويجب عليه (التيس) أن يتمتع مع أهل مصر بطعامه (أي ينبغي عليه أن يأخذ نصيبه من جمع الضرائب) مثل ما قرره والده العظيم رع قبل أن وُجِد (التيس).
أما عن مقدار نصيب الضرائب الخاص بكل بلد مقاطعة فإن ما يدخل الإدارة الملكية يُستبعَد، وهكذا أمر جلالته أن نصيب الضرائب الخاصة بمعبد التيس بالإضافة إلى تلك التي من مقاطعته لا يُجمَع، وقد أخذ (الملك) معرفة بأمر أصدره «تحوت» عن «رع» لملوك الوجه القبلي والوجه البحري، وقد نُشِر (في الأزمان المبكرة) هو كما يلي:

ينبغي أن ينشرح قلب ملك الوجه القبلي والوجه البحري بالعدالة، وذلك عندما يجعل قربات (دخل) التيس الحي يُزاد، وينبغي أن يسعد ملك بالعدالة (حقًّا) عندما يجعل قربات «البا» (التيس) سيد «ددت» (منديس) تزداد، وبذلك تكثر قربان الإله، وتتسع أملاك المعبد، ويعمل كل شيء ممتاز لبيته (معبده)، ولكن إذا نقصت قربانه فإنه لا بد من جراء ذلك أن يُهلِك مليونًا من الناس، ولكن عندما يُؤكَل خبز قربانه (أي يكثر) فإنه يجلب بذلك المئونة في كل البلاد؛ وعندئذ يفيض النيل على الحقول بخبز قربانه، وروحه هي التي تغذي الملك.

وفكر جلالته في أن يخفف عبء ضرائب «تامري» (مصر) وأن يجعل الأرضين في عيد من أجل التيس الذي خلق جماله. فأصدر جلالته أمرًا بمبلغ ٦٧٠٠٠٠ دينًا في كل سنة تُدفَع من الإدارة الملكية إلى نهاية السنين (إلى الأبد) ومثل هذا لم يعمله أي ملك من الذين كانوا قبله، وقد فرحت كل الأرض حتى عنان السماء، وصلى الناس للإله (شكرًا) لاسم جلالته العظيم.
وفي مرة جميلة أخرى نظمها جلالته أراد أن يحفر قناة عند الجانب الشرقي من «كمت» (مصر) وبذلك يقيم حدوده في وجه الأرض الأجنبية (الصحراء) ليحمي المعابد، ومثل هذا العمل لم يعمله أي ملك قط من الذين كانوا قبله.

وفي السنة الواحدة والعشرين جاء إنسان ليقول لجلالته أن بيت والدك «با» رب «ددت» (منديس)، قد تم عمله قاطبة. فما أجمله أكثر من حالته السابقة، على حسب الأمر الذي أصدره جلالتك! فقد نُقِش باسمك وباسم والدك (التيس) وباسم الإلهة الأخت التي تحب أخاها «أرسنوي».

وأمر جلالته ابنه باسم البا الذي أنجبه؛ ليقيم عيد حماية (الإهداء) «ضيعة (معبد) التيس» وذلك برحلة على الأخضر العظيم (البحر الأبيض المتوسط) بالسفن، وبترتيب لعيده الخاص ببيت الماء البارد الحلو لمدة ستة عشر يومًا. ولقد كان يومًا جميلًا في السماء والأرض، وقد جعل التيس الأمير العظيم يدخل بيته، وكان (التيس) يجلس على عرشه العظيم، وكل الآلهة كانوا يجلسون في مقاصيرهم، وكانت حقًّا أرواحهم (أي أرواح الآلهة) كلهم، وكان كل معبد يحمل صورته، وكل مقاطعة كان فيها تماثيله، وقد (أضاءها) بوصفه التيس الحي، وكل عيد له كان عيدًا لهم (أي الآلهة)، وقد احتُفِل بعيد كبير في كل الأرض بالابتهاج حتى عنان السماء، وبدعاء الآلهة لاسم جلالته. وبعد ذلك غُودِر بيت سيده، واتجه (المشتركون في العيد) نحو مقر الحكم (الإسكندرية) ليسروا قلب جلالته، وكان الكهنة خدام الإله خلفهم يحملون طاقة زهر وقلبين (تعويذة؟ أو بمثابة علامة سرور؟) لجلالته؛ فعطروا جلالته بالمر، ومسحوا ملابسه بزيت عطري؛ ثم أمر جلالته بإحضار شيء منه إلى بيت الملك، وعلى ذلك عُمِل لأولاد الملك كلهم كما عُمِل له.

وفي عام (٢٢ أو بعد ذلك) شهر ... من فصل الفيضان وصل إنسان وأتى ليخبر جلالته: تأمل أن التيس الحي الذي ظهر في الحقل الغربي لبلده «ددت» (منديس) وهو المكان الذي وُجِد فيه للمرة الأولى، وقد أُحضِر (التيس) إلى المكان «دمشنت» (مكان مقدس في منديس) ليت جلالتك تُجلِسه على عرشه، ومُرْ بمجيء رجال بيت الحياة ليشاهدوه. وعندئذ أرسل جلالته إلى معابد الوجه القبلي والوجه البحري؛ ليجعلوا رجال بيت الحياة يأتون مع كهنة المقاطعات والكتبة والكهنة خدام الإله ... ومع العلماء الذين في مدنهم؛ وبعد أن شاهدوه رجال «بيت الحياة» تعرفوا على صورته على حسب الأنموذج (المعلوم)، وقد ثبت لقبه بوصفه الروح الحية لرع، وروح «شو» الحية، وروح «جب» الحية، وروح «أوزير» الحية، كما عُمِل منذ الأجداد على حسب ما هو مدون كتابةً.

وقال الكهنة لجلالته: إنه حقًّا الروح الحية، ولقبه قد قرره رجال «بيت الحياة» لجلالتك، وحظيرته قد تم كل عمل فيها على حسب الذي أعطاه الأمر جلالته. ليت جلالتك يأمر بأن يجلس على عرشه في حظيرته.

وتأمل فإن جلالته كان نير القلب (الفكر) مثل «تحوت» وفحص حالة أمير الحيوانات العظيمة (مصر) ولم يعمل مثل ذلك أي ملك في الأزمان السالفة قبله، وقد جعل تماثيل للآلهة العظام من كل المقاطعات تظهر (في موكب) وكذلك الإلهة الأخت التي تحب أخاها «أرسنوي» وهي التي كانت في يدها مروحة لتحمي بها الحيوان المقدس، وكذلك رموز حياتهم (بمثابة تعاويذ) في رقابهم (أو بمثابة صولجان) (؟) أي سيدة لأرضين (أي الملكة التي وُصِف هنا تمثالها على حسب تمثيلها في الصورة التي فوق النقش باللوحة). وأمر جلالته أن يظهر هؤلاء الآلهة على حسب مقاطعة الدرفيل (المقاطعة ١٦ المنديسية) (في موكب) مع الكهنة خدمة الإله والكهنة المطهرين، في حين أن قواد الجيش التابعين له وعظماء جلالته كانوا خلفهم، وبعد ذلك أُجلس تيس «عنبت» (أي تمويس) على عرشه واحتُفِل بعيد (وحفل في معبده) … كما فعل ذلك جلالته للمرة الأولى عندما زار الحيوان (المقدس) عندما اعتلى عرش والده.

وفي الشهر الثاني من فصل الشتاء اليوم السادس عشر أتت تماثيل هذه الآلهة إلى «ددت» (منديس) في حين كان الكهنة خدمة الإله، والكهنة المطهرون، وعظماء رجال جلالته، وقواد الجيش التابعون له، كانوا خلفهم وقد أدوا شعائرهم للتيس … وفي اليوم ١٨ من الشهر الثاني من فصل الشتاء أُقِيم عيد ومهرجان في بيته، وظل هناك (أي الآلهة الآخرين) سويًّا معه مدة أربعة أيام، ومن ثم عادت «منديس» إلى شبابها كما أصبحت «عنبت» في عيد، وكان سكانها في بهجة وكل دائرتها (أي ما جاورها) في فرح (يغني ويطبل) ومقاطعة الدرفيل كانت في سرور وابتهاج … والبا (التيس) سيد «ددت» (منديس) عاد مرة أخرى إلى الحياة، ومن ثم فإنه أصبح روح كل إله.

ليت الذي فعله جلالته يكون مكافأتُه مدَّ سنيه بوصفه ملك إلى الأبدية، وبذلك تطول إلى أبد الأبدين، ومملكته تبقى باسمه، وبذلك يجلس ابنه على عرشه حتى نهاية السرمدية، ولا تبيد حتى حدود الأبدية في حين أن الآلهة تدعو له (بالصحة إلى الأبد).

هذا، ومن الوجهة الدينية يلفت النظر ما جاء من نقوش على حافتي هذه اللوحة؛ إذ نشاهد اسم الملك، واسم التيس في أربعة أسطر من نقوش عُمِلت للزينة وُضِعت سويًّا حيث نجد فيها كل مرة أن صورة التيس ومعه علامة الحياة يمدها للاسم الحوري للملك؛ ونجد في المتن أن التيس الجديد هنا موضح كما هو مدون بتكرار في العبارة التالية: «إن التيس يمنح الحياة لحور الملك «بطليموس».»

فالنقوش التي على الحافة اليسرى هي السطران الأولان:

> تيس سيد «ددت»، والإله العظيم حياة رع، وروح «رع–حور–أختي»، والذي يشرق بوصفه عينه اليمنى والذي يسيح يوميًّا في السماء ليحيي الأرضين، وأنه يعطي كل دائرة السماء عينه، وكل لمحة عينه الفاخرة للملك «بطليموس».

«الحافة اليسرى» السطر ٤:

> التيس سيد «ددت»، والإله العظيم الحي من «رع» والروح الحية للإله «شو» والذي ينعش السماء والأرض بريحه لأجل أن تحيا كل الناس به، وأنه يعطي كل حياة بوساطة الهواء النقي، وتشم الأنف النسيم للملك «بطليموس».

«وعلى الحافة اليمنى» نقرأ في السطرين الأولين:

> التيس، رب «ددت»، الإله العظيم الحي من «رع»، والروح الحية لأوزير، وأنه فتى نضر مثل العين اليسرى … وأنه يمنح (نيلًا) عظيمًا في زمنه للملك «بطليموس».

«وعلى الحافة اليمنى» كذلك جاء:

> التيس، رب «ددت»، الإله العظيم الحي من «رع»، وروح «جب» الحية، وأنه يجعل تربة الأرض نضرة، ويجعل النبات ينمو لأجل أن تحيا الأرضان، وأنه يعطي كل ما يحضره النيل، وكل النباتات التي على ظهر الأرض لأجل الملك «بطليموس».

ويقدم لنا المنظر الذي في أعلى اللوحة، وكذلك ما مُثِّل على حافتيها صورة عن دنيا «منديس» وهذا يمهد لنا فهم المتن الذي نُقِش على اللوحة، والواقع أننا نجد أن كل تيس في «منديس» له — على الأقل في القرن الثالث قبل الميلاد — لقبه الخاص به؛ مما يميز حالته وعلاقته بآلهة المقاطعات الأخرى، والواقع أنه في حالات كثيرة يكون للاسم معنى مزدوج؛ وذلك أن كلمة «با» يمكن أن يكون معناها الروح كما يمكن أن يكون معناها التيس، والواقع أن التيس الكبير يُدعى «الحي من رع»، والثور والملقح والمشرف على النساء، في حين أن التيس الفتي يُسمَّى روح أربعة الآلهة، وهي التي استمد منها قوته، وهي التي يسعد بها الناس.

فبالنسبة للإله «رع» يُدعى عينه اليمنى وبذلك أصبح يمثل النور، وبالنسبة لأوزير فهو عينه اليسرى وبذلك أصبح يمثل النيل، وبالنسبة للإله «شو» أصبح يمثل الهواء الذي تتنفس به المخلوقات، أما بالنسبة للإله «جب» فهو يمثل إله الأرض الذي ينبت عليه نباتات الحقول، ومن ذلك نفهم أولًا التقارب بينه وبين معبد «هليوبوليس» (المقاطعة ١٣) مع الإلهين «رع» و«رع–حور–أختي»، يضاف إلى ذلك علاقته مع الإله «أوزير» الذي يعيش في وطنه «بوصير» (المقاطعة التاسعة) التي يجري فيها النيل الخصيب، أما الإله «شو» فمقره سمنود (المقاطعة ١٢) والإله «جب» فإنه كان يُعبَد في المقاطعات الشرقية ١٩–٢٠، ومن ثم نرى أن التيس قد حلت عبادته في دائرة تحيط ببلده «منديس» مقر عبادته الرئيسية.

وأخيرًا تجد أن قد «حول» تأليف ثالوث لتيس «منديس» كما هي الحال في كل معابد القطر، وقد قيل إن زوجه هي الإلهة «حات محيت» وهي تُمثَّل بقلة في صورة سمكة. أما العضو الثالث في هذه الأسرة الإلهية فقد مُثِّل في صورة حور الصغير ابن «إزيس» وقد أخذ ذلك عن أسرة «أوزير» أي ثالوثه، ولكن ليس بينه وبين والديه علاقة داخلية تبرر نسبته إليهما.

هذا، ونجد في هذا المتن أن الأسرة البطلمية قد اخترعت بدعة جديدة؛ وذلك بإضافة «أرسنوي» إلى زمرة الإلهات، وقد كانت عبادتها لا تقتصر على «منديس» بل كانت تُعبَد في مقاطعات أخرى، وبخاصة الفيوم، وهي المقاطعة الواحدة والعشرون من مقاطعات الوجه القبلي، وقد سُمِّيت هذه المقاطعة في العهد البطلمي باسمها.

ملخص اللوحة: عندما تولى «بطليموس الثاني» عرش ملك مصر (٢٨٥–٢٤٧ق.م) كانت أول زيارة قام بها لمعبد تيس «منديس» المقدس، وقد كان أول ما قام به هناك في الشهر الأول من فصل الشتاء (السنة هنا مهشم مكانها) أنه أدى على الوجه الأكمل الشعائر العادية التي يسبح فيها التيس في سفينته في النيل شمالًا وجنوبًا، وبذلك زار «ددت» كما زار «عنبت» (أي «منديس» و«تمويس») كما أمر بإتمام معبد «التيس» الذي أُجلِس على عرشه بمهرجان.

هذا، ونعلم أن «بطليموس الثاني» قد تزوج أولًا من «أرسنوي الأولى» ابنة «ليزيماكوس» ثم تزوج من أخته «أرسنوي الثانية» وبذلك كان أول من تزوج على حسب التقليد الفرعوني وهو زواج الملك من أخته، وقد أصبح فيما بعد هذا النوع من الزواج سُنَّة عند البطالمة، ولما حضرت «أرسنوي» الوفاةُ في الخامس عشر من حكمه في الشهر الأول من فصل الصيف (عام ٢٧٠ق.م) أمر بطليموس في الحال أن يُعلَن الحداد عليها، وقد شرفت بالشعائر التي منحها أباه التيس المقدس بعد موتها، وقد أُقيم لها تمثال بوصفها إلهة في مقاطعة «محيت» كما أُقيم لها تماثيل في مقاطعات أخرى، وقد ظهرت في المواكب بمثابة زوج الإله.

هذا، وقد نال «بطليموس الثاني» ثناء المصريين وشكرهم له، وبخاصة في المقاطعة السادسة عشرة التي قام لأهلها بخدمات منوعة، فقد كون لنفسه حرسًا خاصًّا من الفرق المصرية. يُضاف إلى ذلك أنه أعفى من الجزية مقاطعة «محيت»؛ وذلك لأن العوائد كانت محددة، وسفن المعدية في كل البلاد كانت تديرها الإدارة الملكية، وقد نزل الملك عن جزء آخر من الضرائب لمعبد التيس، وكان يُؤدَّى للإدارة الملكية؛ وذلك لأن الكهنة على حسب منشور للإله تحوت وضعه بعناية مع الإله الأعظم «رع» وبمقتضاه يجب أن يكون قربان التيس منديس محميًّا، وكذلك فيما يخص الضرائب التي كانت تُدفَع نقدًا من كل أنحاء البلاد، فإن هذا الملك قد نزل عن جزء منها، وكذلك حفر الملك قناة في شرقي الدلتا بمثابة حد فاصل بين مصر والبلاد الأجنبية، وهذه القناة لم تكن على ما يُظَن تُعتبَر عملًا في فرع النيل السابع البلوزي، بل كان مجرى بعضه طبيعيًّا وبعضه الآخر حفرته يد الإنسان، وكان يتفرع من عند القاهرة شمالي منف ثم يخترق وادي طميلات ويصب في البحر الأحمر، وقد أشار «بطليموس الثاني» إلى هذه القناة في لوحة بتوم كما سنرى بعد.

وفي السنة الواحدة والعشرين من حكم هذا العاهل (٢٦٤ق.م) أمر الملك «بطليموس الثاني» بإتمام بناء معبد تيس «ددت»، وأرسل ابنه ولي العهد بطليموس ليشترك في عيد ظل قائمًا مدة ستة عشر يومًا وفي خلاله اقْتِيدَ التيسُ العظيم إلى بيته الجديد، كما وُضِعت الآلهة الأخرى في مقاصيرها.

يُضاف إلى ذلك أنه كانت حاضرة هناك صور آلهة من كل المعابد، وبعد ذلك أظهر الكهنة عرفان الجميل، والشكر للملك عندما ساروا جميعًا إلى مقر الملك حيث عطروا الملك بالمر وعطر الزهور كما عطروا الأمراء والأميرات.

وبعد ذلك بعدة سنين مات التيس المقدس، وكان لا بد من اختيار تيس آخر ليحل محل التيس المتوفَّى؛ وقد عُثِر على التيس المطلوب الذي توفرت فيه كل الصفات في حقل يقع غربي «ددت»، وبأمر من الملك جاء أعضاء بيت الحياة المتضلعين في هذه الأمور من مقاطعات أخرى، واجتمعوا سويًّا لإبداء رأيهم في هذا التيس الجديد على حسب ما هو مقرر في الكتب، وكذلك ليقرروا لقبه على حسب المعتاد. هذا وقد صرح بطليموس لتماثيل آلهة آخرين من أنحاء البلاد الأخرى أن تحضر إلى مقاطعة «محيت» وأن تشترك في الموكب مع الكهنة ورجال الجيش، وقد وصلت في اليوم السادس عشر من الشهر الثاني من فصل الشتاء إلى «ددت» وبعد ذلك أُقيم عيد في اليوم الثامن عشر، وقد استمرت الأفراح مدة أربعة أيام في «ددت» و«عنبت»، وفي حضرة سائر الآلهة نُصِّب التيس بما يليق به من احترام، وهللت مقاطعة «محيت» فرحًا وسرورًا بذلك.

هذا، وكان حادث تنصيب التيس الجديد لا بد مدعاة للأمر بالفراغ من نقش لوحة منديس التي أُقيمت في معبد «منديس» وهي التي فصلنا فيها القول هنا فيما سبق.

لوحة «بتوم» (تل المسخوطة)[5]

عُثِر للملك «بطليموس» الثاني على لوحة في بلدة «بتوم» القديمة، وهي المعروفة الآن باسم «تل المسخوطة». صُنِعت هذه اللوحة من الجرانيت الرمادي، ويبلغ ارتفاعها ١٫٢٨ متر وعرضها ٠٫٩٨ مترًا، وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري، وقد نشرها أولًا الأثري «نافيل»

[5] انظر الشكل رقم ١-٢.

الذي كشف عنها أثناء الحفر في منطقة تل المسخوطة، ثم نشرها من بعده مع تراجم ناقصة بعض العلماء.[٦]

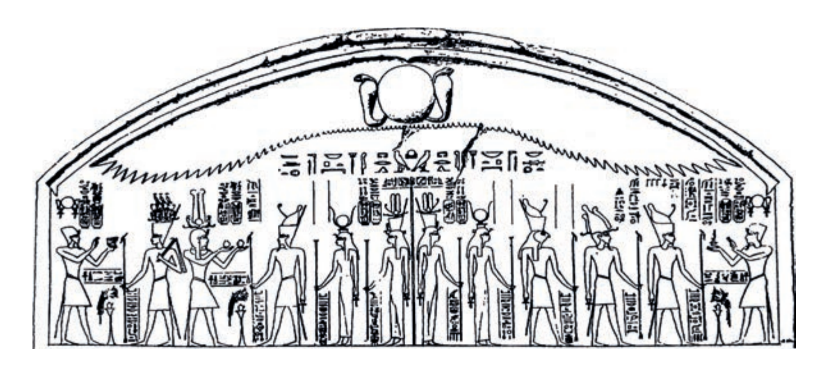
وقبل أن نصف هذه اللوحة ونضع ترجمة لها يجدر بنا أن نستعرض ملخصها تسهيلًا لفهم المتن الذي تحتوي عليه.

سافر «بطليموس الثاني» في السنة السادسة من حكمه أي حوالي ٢٧٩ق.م إلى بلدة «بتوم» حيث كان يوجد معبد الإله «آتوم» صاحب «تكو» وكان قد تم بناؤه، وفي اليوم الثالث من الشهر الثالث من فصل الفيضان سافر إلى مقاطعة الخطاف الشرقية، وزار معبد «بر-قرحت» كما زار معبد «آتوم» في «مامي»، وقد عُني بطليموس بوجه خاص بحبس الأوقاف من أجل القربان، وبعبارة أخرى لإطعام الكهنة. أما معبد آتوم المقام في بلدة «بتوم» فقد نزل له عن دخل كان يجيء له من ضرائب القناة التي كانت توصل بين البحر الأحمر والبحر الأبيض (سطر ٦–١٠) وفيما بعد سافر «بطليموس الثاني» إلى بلاد الفرس حيث كان لا يزال مظهر حكم الإسكندر الأكبر هناك يفوق كل شيء، وهناك وجد بطليموس تماثيل الآلهة المصريين التي اغتصبها ملوك الفرس العظام من وادي النيل، وعلى ذلك أمر بحملها أولًا إلى مقاطعة الخطاف الواقعة على الحدود المصرية، ثم نقلها بعد ذلك إلى «منف» وهناك كلف أحد أمنائه بتوزيعها على المعابد، وبذلك أُعيدت تماثيل الإله «آتوم» في سفينة للملك، ويُحتمَل أنها السفينة التي كان فيها الملك نفسه (سطر ١١–١٥).

وفي السنة الثانية عشرة من توليه عرش الملك زار بطليموس مقاطعة الخطاف الشرقية، وهي المقاطعة الثامنة من مقاطعات الوجه القبلي (راجع جغرافية مصر القديمة ص٧٦) ومعه أخته وزوجه «أرسنوي الثانية» وكانت نتيجة هذه الزيارة أنه أنجز حفر القناة التي تربط بين البحرين الأحمر والأبيض وكذلك حصنها، وكان ذلك في العام السادس عشر من حكمه (سطر ١٥-١٦).

---

[٦] راجع Naville, The Store-City of Pithom (1881); 4th Ed. (1903), 5-6. Plates 8–10; Brugsch und Erman in A. Z. 32 (1894), 74–87, J.P. Mahaffy, The Empire of the Ptolemies (1895), 138, Naville A.Z. 40 (1902), 66–75, Sethe Hierog. Urk, des Griechisch–römischen Zeit in Urk. Des Aegypt. Altertum II, 81–105, Ahmed Bey Kamal, Steles Ptolem. et Romaines I (1905), 171,2 (1904) Pl LVII No. 22–88; Roeder, Die Aegyptische Götterwelt. P. 108–128.



شكل ١-٢: لوحة «بتوم» (تل المسخوطة).

وكانت الأوقاف والإعفاءات من الضرائب التي نزل عنها هذا الملك في خلال السنين المنصرمة لمعبد «آتوم» عظيمة جدًّا، وهامة لدرجة أن الكاتب الذي كُلِّف بوضع نقوش لوحة «بتوم» التي نحن بصددها جعلها بارزة بصورة واضحة في الأسطر من ١٧ إلى ٢١ والأسطر من ٢٦–٢٧، وذلك حتى عام ٢١ من حكمه أي عام ٢٦٤ق.م.

أما هذه الأوقاف فكان جزء منها عبارة عن مؤن تُورَّد يوميًّا أو سنويًّا لتغذية كل موظفي معبد «آتوم»، كما كان جزء منها يُورَّد في صورة مواد غفل لأجل تشغيل معامل المعبد؛ وأخيرًا كان يُورَّد جزء منها في صورة ضريبة تُجبَى من تجارة السفن التي كانت تسير في قناة السويس، ومن القوافل التي كانت تخترق الصحراء، ويُلحَظ أن جزء اللوحة الذي جاء فيه ما للكهنة من حقوق قد حُشِر في موضعين في سياق الحوادث التي عددها بطليموس، والواقع أن ما أثبته الكهنة من حقوق لهم كان هو السبب الخاص الذي من أجله أُقِيمت هذه اللوحة؛ ذلك لأن طائفة الكهنة كانوا يريدون إثبات حقوقهم ودعاويهم بصورة واضحة على الملأ.

تصف لنا اللوحة بعد ذلك حادثًا آخر في عهد هذا العاهل، غير أن السنة التي وقع فيها لم تُذكَر؛ وذلك أن الملك قد زار بحيرة «كم–ور» (الماء الراكد) وهي بحيرة التمساح في أيامنا، وقد أقام بطليموس على شاطئها مدينة جديدة أطلق عليها اسم أخته «أرسنوي» الثانية (ومن المحتمل كذلك أنها كانت تمتد جنوبًا على الشاطئ الشرقي للقناة)، وفي عهد هذا الملك أبحر أسطول من بحيرة «كم–ور» أي من القناة إلى إقليم «خمتي» (سيناء) ومن

ثم إلى أراضي السود، ثم عاد الأسطول إلى بحيرة العقرب[٧] محملًا هدايا للملك والملكة. ومن المحتمل أنه في هذه المناسبة أو مناسبة أخرى أُسِّست مدينة باسم الملك بطليموس تُسمَّى «بطولمايس تيرون» Ptolemais Theron على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر على مستوى ارتفاع بلدة «مروي» الواقعة في أعالي وادي النيل، وهذه المدينة الجديدة كانت تُعتبَر بمثابة ثغر تُورَّد فيه الفيلة التي كان يأمر هذا الملك بإحضارها على سفنه من البحر الأحمر إلى مياه «كم-ور»، ومن أجل ذلك كان الملك يفرض بعض المال للإله «آتوم» صاحب «تكو» عندما كان الأمر قاصرًا على ضريبة المرور (سطر ٢٠–٢٥).

والحادثة الأخيرة التي وُصِفت في هذه اللوحة هي تعظيم ثلاثة العجول المقدسة؛ والظاهر أنه ليس لها أية علاقة مقبولة مع «بتوم»، ومن أجل ذلك يظن الإنسان أن العجل «أبيس» كان تابعًا لمنف والعجل «منيفيس» كان تابعًا لمدينة «هليوبوليس» أما العجل الثالث ذو البشرة المبرقشة، وهذه هي الميزة الوحيدة التي يُميَّز بها عن العجلين السابقين، فإنه يُعتبَر عجلًا مقدسًا في بلدة «بتوم»، وأنه لمن المستحب أن يُحدَّد مكانه في هذه البلدة كما كانت توجد عبادة العجل في «هيلوبوليس» موطن الإله آتوم (٢٥-٢٦). هذا ويتألف نهاية النقش من العبارات الخاصة بإقامة لوحة من الحجر للإله «آتوم» صاحب «تكو»، وقد كانت إقامتها بمناسبة عيد الاحتفال بتتويج الملك.

وتدل شواهد الأحوال على أن لوحة «بتوم» كانت عملًا موحدًا نُفِّذ تصميمه في معبد «تكو»، كما تدل نقوش اللوحة على أنها حُفِرت بيدي حفارين مختلفين، والواقع أن من يطلع على نقوشها يجد أن النقوش من سطر ٢٤ قد حُفِرت بإتقان أحسن من الأسطر السابقة. يُضاف إلى ذلك أن لغة المتن ليست لغة متينة موفقة؛ إذ في الغالب نجد أنها مصوغة في عبارات مبهمة، وفي معظم الحالات نلحظ أن جملها رديئة التركيب، والظاهر أنها من تأليف أحد سكان أهل الحدود الذين لا يعرفون اللغة المصرية معرفة تامَّة أو على الأقل كانوا لا يعرفون اللغة المقدسة، وهي لغة النقوش التي يرجع عهدها للأزمان القديمة جدًّا؛ وفضلًا عن ذلك فإنهم على ما يظهر كانوا لا يعرفون تدوينها بصورة صحيحة.

وربما كان كاتب هذه اللوحة من دم أهل البدو الأسيويين الذين يسكنون الصحراء شرقي «بتوم»، ولكنه مع ذلك كان قد تعلم اللغة في معبد كانت فيه التقاليد لا تزال

[٧] البحيرات المرة.

متبعة، ومن الجائز أنه قد تعلم في معبد «هيلوبوليس» ومن هنا أحضر معه طرق التلاعب بالألفاظ؛ ومن ثم نجد في لوحتنا الغموض في الألفاظ والجمل التي لا يمكن لكل واحد حلها إلا إذا كان صاحب معرفة واسعة في اللغة.

هذا، وقد وقع في المتن — من جراء عدم المعرفة والإهمال في رسم الرموز — عدة أخطاء كانت على ما يظهر تحدث أحيانًا من رسم علامات خاطئة بصورة محسة، وأحيانًا من رسم العلامات الهيروغليفية بصورة مشوهة أو حذفها أحيانًا.

وكان يحدث ذلك من عدم ترتيب الكلمات، وأخيرًا نجد أن الحفار لم ينقش الكلمات بصورة نظيفة واضحة؛ إذ كثيرًا ما تجده قد نقش على الحجر شكل الإشارة الهيروغليفية بصورة تقريبية، ومن الجائز أن هذه الإشارة تدل على معانٍ كثيرة لا يمكن معرفتها إلا من سياق الكلام، ولا نزاع في أن كل هذه الصعوبات قد اعترضت أولئك الذين حاولوا حل رموز هذه اللوحة؛ لأنهم لم يصلوا إلى تأليف متن صحيح يمكن فهمه وترجمته على الوجه الأكمل؛ ومن أجل كل ذلك سنترك جانبًا كل الصعوبات التي ستعترضنا أثناء الترجمة.

بقي علينا الآن قبل الشروع في وصف اللوحة وترجمتها أن نعرف شيئًا عن محتوياتها من الوجهة الدينية فالإله «آتوم» الذي جاء ذكره في اللوحة لم يُذكَر لنا شيء عن طبيعته، ومن الجائز أنه في عناصره مشتق من نفس عناصر إله «هليوبوليس»، وإذا أردنا أن نربط هذا الإله بإله الشمس «رع–حور–أختي» كما هو موجود في هليوبوليس فإن ذلك بالنسبة لبتوم لا يقدم لنا شيئًا يُعتمَد عليه.

أما الإله «أوزير» الذي كان يُعبَد في كل المدن خلال العهود المصرية المتأخرة فقد اتخذ له موطنًا بلدة «بر–قرحت»، وتدل شواهد الأحوال على أن «بر–قرحت» هي تل المسخوطة.[8] هذا وقد جاء ذكر المكان المسمى «رو–يابت» (باب الشرق) ويقع في المقاطعة الثامنة من مقاطعات الوجه البحري، ويُعتبَر على الأقل في العهد الإغريقي عاصمة هذه المقاطعة، وكان «أوزير» يُعتبَر إله هذا المكان وله علاقة به، وقد اتخذه موطنًا له في هذه الفترة لا «العرابة المدفونة».

هذا، وقد جاء ذكر بقية ثالوث «أوزير» وهما «إزيس» و«حور» ابنهما. أما «حتحور» سيدة بلدة «عنت» التي ذكرت بأنها والدة الملك (سطر ٢) فإنها تُعَد صورة من صور

[8] راجع G. Die. Geogr. II. P. 136.

«إزيس» ويرجع أصلها إلى «هليوبوليس» التي تقع بجوارها بلدة «عنت» (عيان) وهي عاصمة حكومة قديمة ترجع إلى ما قبل التاريخ، وأخيرًا نجد مع هؤلاء الآلهة الذين ذكرناهم هنا الملكة «أرسنوي الثانية» التي قضت نحبها في العام الخامس عشر من حكم أخيها وزوجها بطليموس الثاني الذي ألهها وعبدها.

والآن نعود إلى وصف هذه اللوحة وترجمتها: يُشاهَد في أعلى هذه اللوحة المستدير قرص الشمس المجنح تعلوه العلامة الدالة على السماء، ويكتنف قرص الشمس صلان نُقِش معهما المتن التالي؛ من اليسار:

> بحدتي الإله العظيم الرب ذو الريش المبرقش الخارج من جبل الأفق.» وفي الأسفل قرص الشمس المجنح نشاهد منظرين مصورين، ففي المنظر الذي على اليمين يُرى الملك واقفًا ومنقوش معه طغرائيه: «ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين (وسر-كا-رع-مري-امن) ابن «رع» رب التيجان «بطليموس»، ويُقدَّم تمثال الإلهة «ماعت» لوالده «آتوم» ليمنحه الحياة، ونُقِش مع الإله «آتوم»: «كلام يقوله «آتوم» الإله العظيم صاحب «تكو» المبجل إلى أبد الآبدين، رب السماء وملك الآلهة. إني أمنحك السرمدية والحياة الدنيا وأبدية الملك.

ثم نشاهد بعد ذلك الإله «أوزير» ومعه المتن التالي الذي يوجهه للملك:

> كلام يقوله أوزير رب «را-يابت» (فم الشرق) الذي على رأس معبد «قر-حت» رب … وإني أمنحك تاج «رع» في السماء.

ويُشاهَد بعد ذلك في نفس المنظر الإله «حور» برأس صقر مرتديًا التاج المزدوج … يقول للملك:

> إني أمنحك القوة والنصر في كل الأرضين في سلام مثل «رع».

ثم نشاهد الإلهة «إزيس» ومعها المتن التالي تخاطب به الملك:

> إني أمنحك كل الأرضين في سلام مثل رع.» وأخيرًا نشاهد الملكة «أرسنوي الثانية» المؤلهة ومعها المتن التالي: «الابنة الملكية والأخت الملكية والزوجة الملكية

(التي تشرح قلب «شو» ومحبوبة الآلهة) والعظيمة وربة الأرضين «أرسنوي» صورة «إزيس» و«حتحور».

وتقول للملك:

إني أتمنى لك أعيادًا ثلاثينية كثيرة من الآلهة.

والمنظر الذي على اليسار هو نفس المنظر على اليمين. فنشاهد «بطليموس الثاني» يحضر أولًا العين السليمة (الموحدة بالقربان) ويقدمها للإله: إهداء العين السليمة لوالده لأجل أن يمنحه الحياة. ثم نشاهد إلهًا بدون لحية تتدلى من رأسه خصلة شعر الطفولة، ويقول للملك: «إني أمنحك كل الأرضين وكل الأراضي الأجنبية مثل «رع» أبديًّا.»

ويُرَى على اليسار منظر آخر يُقدِّم فيه الملكُ النبيذَ للإله «آتوم» ويكافئه على ذلك «آتوم» بمنحه ملك والده بقلب منشرح مثل «رع». ثم نشاهد الإلهة «إزيس» كما ترى في المنظر الذي على اليمين، والمتن الذي فاه به الملك مهشم وتجيبه إزيس بقولها: «إني أمنحك كل الأرضين في سلام وأهل الأقواس مجتمعين تحت قدميك.»

وأخيرًا نشاهد «أرسنوي الثانية» ومعها المتن التالي: الابنة الملكية والأخت والزوجة الملكية (التي تشرح قلب «شو» محبوبة الآلهة) العظيمة ربة الأرضين «أرسنوي»؛ صورة «إزيس» و«حتحور»، وتقول للملك: «إني أرجو لك حياة والدك «آتوم» وأن يعطيك أعيادًا ثلاثينية «عديدة».

ثم يأتي بعد هذا الوصف — للمنظرين اللذين في الجزء الأعلى من اللوحة — المتن الرئيسي:

(١) يعيش حور، الشاب القوي (ممثل) الرخمة والثعبان (نبتي) (المسمى) عظيم القوة حور الذهبي (المسمى) الذي جعله والده يظهر (على العرش). ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين (المسمى) (وسر-كا-رع قوية روح «رع») المحبوب من آمون ابن «رع» رب التيجان (المسمى) بطليموس العائش مثل «رع» أبديًّا محبوب «آتوم» الإله العظيم حياة «تكو» (تل المسخوطة) … يعيش «آتوم» أول الأحياء، والذي يعيش على الأرض مثل «رع» أبديًّا، والذي منه (أي آتوم) يعيش كل الناس، والمحبوب (أي الملك) من الآلهة والإلهات لمقاطعة «الخطاف الشرقية» والذي يعيش أبديًّا (أي الملك).

يعيش الإله الكامل طفل آتوم، ومن سيد الحياة (أي آتوم) وحد له الأرضين، وارث «آمون» الفاخر لـ «وننفر»، ومن قرر له «آتوم» حظه أبديًّا؛ والصورة الحية لآتوم، والإله العظيم، والعائش في «تكو» (بتوم) والصورة الفاخرة للإله «حور أختي» والنطفة الإلهية لآتوم سيد الأرضين في «هليوبوليس»، والنبت الصالح للإله «خبري» (الشمس)، ومن أنشأته أمه «حتحور» سيدة «عنت» (بلدة على خليج السويس)، ومن خرج من الفرج والتاج معقود على جبينه، ومن يجلس على قفاه «وادد» (ثعبان، إله حارس) عندما يتسلمه، ومن أنشأته الإلهة (رننوتت؟) ليكون ربًّا، ومن أنجبه «آتوم» الذي أوجده ليكون صاحب سلطان على عرشه بوصفه ملكًا، وكذلك بوصفه حاكمًا على العرش، وبوصفه طفله «حور» الذي وحد القطرين، والإله العظيم المسيطر على «تكو». ملك الوجه القبلي والوجه البحري «حور» صاحب الساعد القوي، وإنه في المقدمة أمام عرش السيدين (حور وست)؛ وهو الذي جعله والده «آتوم» فاخرًا أمام الملايين لأجل أن يصد أعداء هذه الأرض، وهو الذي رفع له عرش والده في قصر مئات الألوف على العرش الذي وطده له «تحوت»، المحارب من أجل مصر، ومن يحمي أطفالها، والحارس الطيب الذي أسعد مصر، ومن يرعى الجياد عندما ينشغل من أجل الأرضين (مصر) والأراضي الأجنبية، ومن يبني السفن البحرية على الأخضر العظيم (البحر الأحمر) (؟)، ومن يقبض على الأراضي الأجنبية الحمراء بقوة أصابعه، ومن يصد البلاد الأجنبية عن مصر (كمت) ومن الخوف منه في «الأخضر العظيم»، والفزع منه عند سكان الرمال، ومن (ساعده) قوي ضد كل البلاد الأجنبية في الأرض، وعلى الماء عندما يأتون مقهورين، والملك القوي، والفتى، وعظيم البلاد الأجنبية، عالي الساعد في يوم التلاقي والحرب، ومن يقضي على العدو، ويصد المهاجم، ومن يصرع العدو بأعمال قوية عدة (؟) ومن ينتزع القلوب من أجسام الناس ولو أنهم تضرعوا إليه، الشجاع القوي، رب الجياد والعربات الجميلة التي يخطئها العد، ومن من أجله سفن الشحن، وعدد وفير من السفن المسماة «سيد الإلهين» (سفينة لها مقصورة تُوضَع فيها صور الآلهة) تمخر عباب «الأخضر العظيم» ومن سفنه تسير على القنوات و… على أفرع النهر دون أن يراها العدو، وسفن شحنة كبيرة وسفن البحر ملكه (تحضر) حمولتها (؟).

وأنه يبزغ مثل الشمس بأشعته في الصباح عندما يرونه (؟) (أي الناس) يحارب في ساعة الغضب، والنجوم (الآلهة؟) تسبح بجلالته مثل «رع» عندما يسبح في سفينة المساء.

الملك الطيب «بطليموس» … الإلهة «شتا» (السرية) صاحبة «سما-بحدت» (المقاطعة السابعة عشرة من مقاطعات الوجه البحري) مثل والده «آتوم» عندما … معبد (؟).

له شجاعة «رع» (؟) صاحب بيت الشرق على الشاطئ الذي على ساحل إقليمه (ساحل المقاطعة السابعة عشرة (؟)).

في السنة السادسة من عهد جلالة (الملك) بلغ أن قصر جلالة والده آتوم الإله العظيم القاطن في «ثكو» قد تم.

الشهر الثالث من فصل الفيضان اليوم الثالث: ذهب الملك بنفسه إلى مقاطعة الخطاف مأوى (؟) والده «آتوم»، وكانت كل الناس في ابتهاج وشوارعها كانت ملئت بالهتافات.

ولما أضاءت الأرض في اليوم الرابع استيقظ الملك في عيده في حياة وسعادة وصحة، وقد وصل جلالته إلى ضيعة «بر-قرحت» (لقب بلدة «تكو»)، وأتم قصر والده «آتوم» الإله العظيم القاطن في «تكو» عندما ظهر هذا الإله على الأرض (أي في يوم تتويجه)؛ وقد جهز هذا البيت (المعبد) بجهاز، وفكر في لوازم والده «آتوم»، وقد عمل جلالته لهذا البيت الجميل ما عمله ملك الوجه القبلي والوجه البحري بطليموس والده؛ ولا يوجد بيت جميل مثله عمله ملوك الوجه القبلي والوجه البحري، وقد أسسه لوالده المقدس ملك الوجه القبلي والوجه البحري ورب الأرضين (قوية روح رع محبوب آمون) ابن رع رب التيجان «بطليموس» العائش مثل رع أبديًّا.

ووصل جلالته إلى «مامي» (بلدة بجوار «تكو»)، واهتم هناك بوالده «آتوم» وعمل جلالته فيما يخص كل قربانه مثلما عمل أي ملك على الأرض، وبمثابة ملك عائش أبديًّا، وقد عينه له «رع» بمثابة مئونته؛ وأنه الإله الفاخر (الملك) الذي أحيا قربان معبد والده (أي معبد آمون)، وذلك عندما دخل (أي الملك) في أرضيه (أي أرض آتوم)، وأُدِّيَتْ (لآتوم) الشعائر التي تُعمَل لملك في قصره

الذي كان في أرضه (أي أرض آتوم) وكانت الجياد موجودة على حسب رغبته، وكان ملكًا ساميًا في أرض الإله (الصحراء الشرقية)، وإلهًا لسكان الصحراء. والهدايا التي يحضرونها له كانت فاخرة.

وسار الملك إلى المقصورة، وقد أمدها بقربانه، وقد أتى بالنيل لتموينها، وقد أتى بوصفه «آتوم» الذي أُحْيِيَ من جديد. ثم عاد جلالته ثانية (؟) وشكر الإله لسلطانه.

وأمر (الملك) أن تُؤَدَّى له (أي لآتوم) مئونته (ما يلزم له)، وأهدى مدينة بر-آتوم (بيت آتوم) «برجو» (قناة وادي طميلات أو فرع منها) مع كل جزيته بالإضافة إلى كل الضرائب التي تُجبَى منها، وكذلك قناة الشرق وقناة «برجو» وسهلها الشرقي حتى بحيرة العقرب بما في ذلك أهلها، وقد عمل جلالته هذه الأشياء لوالده «آتوم» حاكم الحكام.

إحضار التماثيل من بلاد الفرس: وسار الملك إلى إقليم «آسيا»، ووصل إلى أرض الفرس، ووجد هناك تماثيل (آلهة) كثيرة من مصر، وأحضرها إلى «كمت» (مصر)، وقد أتت مع ملك الوجه القبلي والوجه البحري «بطليموس» إلى شبه جزيرة «سيناء»، وسار بها جلالته إلى مصر، واستقبلت من سكان مصر بالفرح على حسب إرشاد هؤلاء الآلهة. وبعد ذلك أتم جلالته تعويذة التحول لأجل أن تعود آلهة مصر من هناك إلى مصر، وأتت أمام جلالته لأنه أراد إعلاء شأنها كما أراد «آتوم» أن يمد مملكته حتى الأبدية، وكان (الملك) على الشاطئ عندما وصلت إلى قناة سهل الشرق من مصر حتى مقاطعة الخطاف، وكانت مصر قاطبة في فرح وشكرت الإله على قُوَّته؛ لأنه كان ملكًا عادلًا لهؤلاء الآلهة، ولم يفعل قط مثل ذلك في هذه الأرض.

وذهبت (تماثيل الآلهة) إلى عرش «بتاح» (إله منف) وأُجْلِسوا عليه.

وفي الشهر الرابع من فصل الشتاء اليوم العاشر، قال جلالته لكاتبه الملكي: مُرْ بإرسال أمر ملكي لمعابد القطرين لإحضار المستشارين الذين انْتُخِبوا من بين الكهنة أصحاب المكانة من بيوت الآلهة؛ ليرحبوا بآلهة مصر (؟) وأن يأتوا إلى المكان الذي كان فيه جلالته أمام هؤلاء الآلهة، وقد وجد القائد العظيم لمقاطعة الخطاف الشرقية أنه لا بد من مضي عشرة أيام حتى يصلوا إلى المكان الذي كان فيه جلالته. وقد ذهبت آلهة مصر إلى مصر، وقد جاءت آلهة «بر-آتوم» (معبد آتوم) الذي في «تكو» لتثوي هناك، وكانت مثواهم الأبدي، وكان قلب جلالته (في الأصل: وجه) فرحًا بذلك فوق العادة.

وبعد ذلك، أصدر جلالته مرسومًا (بأن يكرم) رجال بلاطه هؤلاء الآلهة. ثم أخذها الملك في سفينته معه، وذهب نحو «تكو» وأجلسها هناك، وكرمها جلالته أمام والده «آتوم» الإله العظيم العائش في «تكو» بوصفه ملكًا مخلدًا.

وكانت مصر في قبضته، والبلاد الأجنبية تحت موطئ نعليه، وابنه مثبت على عرش «رع»، وعرشه هو عرش «حور» أول الأحياء مثل «رع» أبديًّا، ملك الوجه القبلي والوجه البحري (قوية روح رع محبوب أمن) ابن «رع» (بطليموس) الذي يبقى على عرش والده «آتوم»، وأنه عظيم في قطريه.

وفي السنة الثانية عشرة الشهر الأول من فصل الزرع اليوم الثالث عشر من عهد جلالته: تعرف (الملك) على رغبته فاخترق «تامري» (مصر) مع الأميرة الوراثية، عظيمة الحمد وسيدة الظرف، حلوة الحب، زوج الملك، وحاكمة الأرضين (أرسنوي) ابنة الملك رب الأرضين (بطليموس) والإلهة التي تحب أخاها.

ووصل (الملك) إلى مقاطعة الخطاف الشرقية، وكانت مدينة والده «آتوم»، وقد فكر الملك مع أخته — زوج الملك وأخته — في حماية مصر هناك من البلاد الأجنبية.

وفي السنة السادسة عشر الشهر الأول من فصل الفيضان في عهد الجلالة، حفر (الملك) قناة على حسب رغبته لوالده «آتوم» الإله العظيم العائش في «تكو» لأجل أن يسعد آلهة مقاطعة أول الشرق (المقاطعة الرابعة عشرة) (راجع: كتاب أقسام مصر الجغرافية في عهد الفراعنة ص ٨٤)، وأول القناة في شمالي «أونو» (هليوبوليس)، ونهايتها هي بحيرة العقرب (الآن البحيرات المرة)، وأقام جدارًا عظيمًا عند صحرائه الشرقية على ربوة حتى لا يكون هناك ما يدعو إلى الضحك؛ وذلك لأجل إبعاد العُصَاة الذين يخرجون على الآلهة إذا انقضَّ (البدو) على مصر.

قائمة بالهدايا التي قدمها الملك «آتوم» في بتوم: قائمة لأجل أن يعرف الملك ما يعطيه بمثابة مجموعة لوالده آتوم، فتقول (القوائم) عن ذلك: فاكهة (دقيق (؟)) مزدوجة الجودة ١٤٨ هنا (لتر)، فاكهة موضوعة في أوانٍ عددها ثلاث عشرة جرة، ثلث من المحصول (؟)، بقر أربعمائة، قطيع (؟) من الدواجن، نبيذ مزدوج الجودة من بلاد «خارو» (سوريا)، عصير فاكهة (؟) جيد هنًّا واحدًا، شراب عصير التفاح هنًّا واحدًا، عسل نحل ثمانية هنات … ١٣ هنًّا، لبن ١٤٨ هنًّا، عصير تفاح سائل قوي ستة هنات، تين ستة هنات، سمن سائح (جبنة؟) نصف هن، دهن مطبوخ ثلاث دبنات (أي: ما ثمنه ثلاث دبنات)، «عطور» ثلاث دبنات، بخور صابح ثلاث دبنات، زيت نباتات ثلاث دبنات، فاكهة اللوتيس مذابة، زيت أشجار وزيوت أخرى.

توريدات يومية لمعبد آتوم: توريدات بمثابة جزية يومية لمعبد آتوم رب الآلهة. حساب (؟).

كل فاكهة وبلح لا مثيل لها ... ١٦٠٠ هنًا. أقراص فيها شهد أربعة هنات، فاكهة مجففة ٢٢ سلة، سن فيل صنعته المعابد سبعة دبنات ... خمسة دبنات، بوص ألف حزمة، ملابس شرائط ملكية (عمائم للجنود؟)، ألف ... قمصان زاهية وأربطة ونسيج.

توريدات سنوية لمعبد «آتوم»: أعطى مدينة «بر-آتوم» بمثابة توريدات سنوية أوقفها ملك الوجه القبلي والوجه البحري (بطليموس): فاكهة مزدوجة الجودة ٨٠٠ هنًا، عصير فاكهة هنا واحدًا، زيت طيب (نبيذ (؟)) من «خارو» (سوريا)، ٣٣ عصير تفاح واحد، عسل نحل ٢٦ هنًا.

توريدات الملك لمقاطعة «بيتوم»: كل ما أمر جلالته لأرض الشرق: فاكهة (دقيق؟) ٢٨٠، ثيران ١٠١، زيت (؟)، (نبيذ (؟)) مزدوج الجودة ١٣، خضر ١٠٠١، فطائر (؟) ثلاث أوانٍ؛ ربع من كل عوائد القوافل من الصحراء الجنوبية؛ فضة ١٢٦٠ دبنًا وستة قدات بمثابة ضريبة من قناة أرض الشرق (وادي طميلات) بمثابة نصيب (؟) في جميع الضرائب. لوتس من الشاطئ: واحد.

أوقاف الملك للإله «آتوم»: ما وهبه ملك الوجه القبلي والوجه البحري «بطليموس» قربانًا للإله المقدس «آتوم» الإله العظيم العائش في «تكو» ...

سمن مطبوخ، ولبن مطبوخ: هنا واحدًا.

التوريدات السنوية التي قدمها الملك لمعبد «آتوم»: إن كل ما أوقفه جلالته من نقد حسب بالثيران لوالده «آتوم» بمثابة توريد سنوي من الفضة: ٢٣٠٠ دبنًا يساوي من الثيران ... ١٠١، وهذا فضلًا من مواد القربان لهذا الإله بمثابة مئونة لهذا الإله مما يحضره له السمار الوحيدون من جزيرة.

الملك يؤسس مدينة «أرسنوي» على القناة: وبعد ذلك وصل جلالته إلى بحيرة «كم-ور» وأسس مدينة عظيمة للملك، وسُمِّيَتْ بالاسم العظيم لابنه الملك «بطليموس»، وأقيم معبد «للملكة أرسنوي» التي تحب أخاها، ونُصْب (تماثيل) الإلهة أخته هناك، وأُدِّيَت كل شعائر تأسيس المعبد هناك بوساطة الكهنة، والكهنة المطهرين لوالده «آتوم» الإله العظيم العائش في «تكو» كما عمل لمعابد الوجه القبلي والوجه البحري.

الملك يرسل حملة إلى الساحل الاستوائي: في الشهر الأول، نادى جلالته سفن الشحن الكبيرة وسفن البحر وكل البحارة، وذلك فضلًا عن حرس كثيرين، وكل شيء

جميل من أرض مصر والبلاد الأجنبية برئاسة القائد الأول لجلالته، فنُشِرَت القلاع، ثم رسا عند بحيرة «كم-ور» مثل الفهد؛ وكانت السماء مغطاة بالغمام، وسار في وسط هذه البحيرة، ووصل إلى أرض سيناء، ثم سار نحو أرض السود النائية … وأحضر له … حقيقي … و… الملك، وبعد ذلك أقلع من هذه الجهة، ثم عاد إلى بحيرة العقرب وأحضر كل شيء يحبه الملك وأخته زوج الملك التي تحبه.

تأسيس ميناء «بطليموس ترون» لترسل إليها الفيلة: وأُقِيمَتْ مدينة عظيمة باسم الملك العظيم للوجه القبلي والوجه البحري وسيد الأرضين «بطليموس» وقد أمدها (أي القائد) بجنود جلالته، وبكل موظف من أرض مصر وأراضي الأسيويين (أو الأراضي التي خضعت له)، وأنشأ فيها (أي المدينة) حقلًا، وفلَّحها بالمحاريث التي تجرها الثيران، ولم يحدث مثل ذلك منذ الأزل، وقد اصطاد هناك فيلة كثيرة، وقد أُحضِرت بمثابة أعجوبة للملك على سفنه في الأخضر العظيم (البحر الأحمر) وكذلك أُحضِرت له بالمثل على قناة جبل الشرق، ولم يأتِ مثلَ هذا العمل أيُّ ملك في الأرض قاطبة، وأتت سفنه (أي سفن البحر) إلى سفنه الباقية في بحيرة «كم-ور» مثل الفهد.

انتشار الرخاء في مصر: وقد تكون عمال في … لمصر، فقد وُجد الشبع بعد الجوع عند الشعب، وكانت هناك الصناجة، واللبن، والزيت، والملابس، وعرف الناس أن معجزة الملك كانت كبيرة في قلوبهم، وقد أتى إليه أمراؤهم حاملين جزيتهم، وكان الخوف أمام جلالته في قلوبهم، وبذلك أدَّوا جزيتهم إلى بيت المال.

مساعدة الإله «رع» رب العالمين للملك على أوقافه «لآتوم»: وهذا الأثر الذي أقامه الملك فيها هو أثر لوالده «آتوم» الإله العظيم العائش في «تكو»، وقد عمله رع له، وبذلك عمل ما يحبه «آتوم»، وقد عمله «رع»؛ أي هذا الأثر لأبيه الذي يحبه لابن رع رب التيجان «بطليموس».

الملك يمجد العجول المقدسة: وبعد ذلك قدس «الملك» العجلين «حابي» (عجل أبيس في منف) والعجل «مر-ور» (عجل منفيس في هليوبوليس) والعجل ذو الجلد المُبَرْقَش (؟) وعمل على أن توضع سويًّا إلى أن تدخل من جديد في مثواها (حظيرتها)، وكان جلالته والزوجة الملكية معها (أي العجول) سويًّا، ولم يعمل قط مثلَ ذلك أيُّ ملك حكم في هذه الأرض.

قائمة الهبات بالنقد التي عملها الملك لمعابد البلاد: قائمة بكل ما فعله جلالته تكريمًا بمثابة هبات في معابد الوجه القبلي والوجه البحري كجزية سنوية: واحد في المائة من الذهب أعطاها جلالته، ويساوي ١٥٠٠٠٠ «دبنًا من» الفضة.

وقف الملك لمعبد «بر-قرحت»: قائمة بما وهبه جلالته بمثابة تكريم في معبد «بر-قرحت»: وهي ضرائب تُحصَّل من هذه المدينة وضرائب تُحصَّل من الأهالي بمثابة جزية سنوية:٩٥٠ دبنًا من الفضة، وقد عمل جلالته هذا في العيد الثلاثيني الأول (؟) لوالده «آتوم»، وقد أهدى «آتوم» أعضاءه بالحياة فيها (في الأعضاء). وقد تسلم هناك مئونته من يدي «إزيس» و«نفتيس»؛ أي في الشهر الثالث من فصل الفيضان آخر يوم في الشهر.

أوقاف الملك لمعابد مختلفة حتى عام ٢١ من حكمه: السنة الواحدة والعشرون الشهر الرابع من فصل الشتاء في عهد الجلالة قائمة بما حبسه جلالته من أوقاف لمعابد الوجهين القبلي والبحري القربان (الضرائب) المحصلة من بيوت مصر (تامرى): ٩٠٠٠ دبن من الفضة ضرائب مستحقة على الأهالي بمثابة جزية سنوية ٦٦٠٠٠٠ دبن من الفضة.

إقامة الأثر (اللوحة): وقد نقش هذه المكرمات التي عملها لوالده «آتوم» ولآلهة مصر الآخرين على هذه اللوحة أمام وجه والده «آتوم» الإله العظيم العائش في «تكو» عندما ظهر بمثابة ملك (عند تتويجه) بعد أن أتمَّ بيته فيها (أي في «تكو»)، وكان الآلهة والناس الذين فيها في حبور يحمدون الله على ذلك يوميًّا؛ لأنه جعل اسم جلالته العظيم يبقى في هذه الأرض أبديًّا أثناء كان يظهر على عرش حور أول الأحياء، وينبغي أن يبقى ابنه على عرشه في حين أن تكون مصر في قبضته، والبلاد الأجنبية خاضعة لسلطانه، وأهل الأقواس التسعة جميعًا تحت قدميه مثل «رع» سرمديًّا.

الإسكندرية

يوجد بمتحف الإسكندرية الجزء الأسفل مجموعة تماثيل لبطليموس الثاني وزوجه «أرسنوي الثانية» وأخته «فيلوترا»، وهي مصنوعة من الجرانيت الأسود،[٩] وهذا الثالوث

[٩] راجع A. S. V. P. 126; L. R. IV, 237. (LXIII), note 3.

يشبه ثالوث معبد «هليوبوليس» المحفوظ الآن بمتحف «الفاتيكان»، ولا بد أنه يمثل نفس المجموعة التي نحن بصددها، وقد بقيت لنا بعض النقوش على الجزء الباقي لنا من ظهر هذه المجموعة، ويُلحَظ أن كلًّا من الأختين قد مُثِّل بالحجم الطبيعي، ويُشاهَد الملك في هذه المجموعة قاعدًا على اليمين.

صفط الحناء

وجدت في قرية «صفط الحناء» لوحة غارقة في بركة هذه القرية، وهي في الأصل من معبد فاقوس، وقد نشر نقوشها «نافيل»[١٠] وجاء عليها: زوجة الملك وأخته «أرسنوي»، وهذه اللوحة مؤرخة بالسنة الثانية والعشرين من حكم هذا الملك.

«تانيس» (صان الحجر)

عُثِر على الجزء الأعلى من لوحة مصنوعة من الحجر الجيري لبطليموس الثاني، وقد مُثِّل فيها وهو يقدم قربانًا للإله «حور سما توي» وللإله «مين» والإلهة «بوتو» وللإلهة «أرسنوي الثانية»، وتدل شواهد الأحوال على أنه وُجِد على مسافة ثلاثمائة متر جنوب الركن الجنوبي الغربي لسور المعبد، وهذا الجزء من اللوحة محفوظ الآن بالمتحف البريطاني.[١١]

ووجد كذلك في «تانيس» قطعة مربعة من الحجر الجيري عليها نقوش مُثِّل عليها بطليموس الثاني والملكة «أرسنوي الثانية»، والطُغْراءات التي على هذا الأثر هي: (١) «حورت» ربة التيجان (أرسنوي … محبوبة). (٢) ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين (نيسوت خنوم … مري نترو). (٣) ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وسر-كا-رع-مري — أمن). (٤) ابن رع رب الأرض «بطليموس».[١٢]

---

[١٠] راجع Naville, Goschen and Shrine of Saft El–Henna. Pl. 8. (D). Cf. P. 18; Sethe Urk. II. P. 107.

[١١] راجع Petrie Tanis I. Pl. XV, (2) Cf. PP. 31–2; B. M. Guide Sculpture, (1909). P. 256.

[١٢] راجع B. M. Guide, Sculpture. P. 256. Porter and Moss IV. P. 40–1.

بوبسطة (تل بسطة الحالي)

وُجِدت قطعة من تمثال للملك بطليموس الثاني عُثِر عليها في «تل بسطة» وهي محفوظة الآن في «رومة» «بفيلا الباني».

وهاك ترجمة النص الذي جاء على هذا التمثال: (١) … في دائرة الآلهة، وكان كل إنسان يمدح الأعمال الطيبة التي قام بها بمهارة في صنع الأسلحة، والمهارة في الشد عن القوس؛ والمدرب على ركوب الخيل عندما يزحف على بلاد آسيا حتى أماكن … (٢) … يخضع لسلطانه، وحامي «قفط»، ومن يهتم بها تمامًا، ومن يوقع مذبحة في أعدائه، وحماها دائمًا بتذكرها دائمًا في قلبه دون جرح إلى الأبد الإلهة «باست» العظيمة ربة بوبسطة.[١٣]

بانوب

وُجِدت قطعة من الحجر في «بانوب»، ويُحْتَمل أنها في الأصل من معبد بهبيت.[١٤] جاء عليها: حور الذهبي الذي جعله والده يظهر ملك الوجه القبلي والوجه البحري بطليموس محبوب إزيس العظيمة أم الإله سيدة «بهبيت». إنه جدد لها.

وفي «بهبيت» نفسها اشترك بطليموس الثاني في إقامة معبد الإلهة إزيس، وقد تحدثنا عن هذا المعبد في الجزء الثالث عشر من مصر القديمة (راجع كذلك Porter & Moss IV. P. 40–1).

سمنود

عُثِر في سمنود على قطعة عليها رأس بطليموس الثاني والعلم،[١٥] وكذلك عُثِر على قطع من الجرانيت الأحمر لبطليموس الثاني، وعلى واحدة منها منظر فيه الملك يقدم قربانًا من النبيذ.

---

[١٣] راجع Urk. II. P. 70.

[١٤] راجع Ree., Trav. XXXV. P. 114–115.

[١٥] راجع P. and M. IV. P. 48.

صا الحجر (سايس)

عُثر في معبد هذه البلدة على قطعة من ناووس مصنوع من حجر واحد، وهي محفوظة الآن بمتحف اللوفر، وتحتوي على أحد عشر سطرًا، وقد أُرِّخَت بالسنة العشرين من حكم بطليموس الثاني، وجاء فيها ذكر نوع من المجالس جمع في هذا العام في «سايس»؛ لأجل تأليه الزوجة الملكية «أرسنوي الثانية» ولتنظيم عبادتها.[١٦]

وهاك النص الذي جاء على هذا الأثر:

(١) يعيش حور الشاب الشجاع، ابن «رع» من صلبه محبوبه بطليموس عاش مثل رع سرمديًّا. محبوب «نيت» العظيمة، والأم الإلهية التي ولدت رع، الحاكمة، عظيمة الوجه البحري.

محبوب … (٢) … لقد نُصِّب حاكمًا على مصر، وهو ملك شجاع، كثير المعجزات، ومن يغتصب الغنائم من أرض آسيا، قوي الساعد، ناجح، وسيد القوة والشجاع يساعده، ومن يضرب أهالي الصحراء الشرقية والغربية، ومن يضرب … (٣) … ومن يحزُّ رءوس أعدائه، ومن لا يخطئه رأس واحد من أعدائه، الثابت القلب، ومن يخوض غمار المعمعة، أحمر العينين (من الغضب)، والمنتصر على أعدائه عندما يقبض على سيفه، وواسع القلب … (٤) الجميل الوجه على السفينة، والشجاع على عربة القتال، وقائد أحسن الجياد، ومن لا يتقهقر على جواده، السيد الساحر على … ومن قلبه يفرح عندما يقترب من القتال، وهو الإله «منتو» في ساعته (أي في ساعة غضبه)، والفهد اليقظ على … (٥) … ومن سفنه الحربية واسعة، ومن سفنه النهرية عديدة والتي لا تُحْصَى، ومن جياده عظيمة، الممتاز في قيادة الجياد، والكثير العربات أكثر من الملوك (الآخرين) «حور» الذي يحكم أراضي «الفنخو» (سوريا) … (٦) … نصيحة الآلهة، ومن أحضر لجيش الإلهة «نيت» شبانه (؟) ليحمي «سايس» (صا

---

[١٦] راجع A. S. VII, 92 (lll), 93 (IV).

الحجر) ليسعد قومه، ومن يريح قلب آلهة السماء (؟) الذين أعطوه دائرة الأرض؛ لأنه عمل ما تحب صاحبة التاجين؛ لأنها «شب نبتي»، (= الإلهة نيت) وكثير الآثار ... وعمل ما تحبه آلهة مصر، الثور القوي (بطليموس) العائش مثل رع محبوب «نيت» ربة «سايس».

الملك يقرر في السنة العشرين من حكمه تجميل مدينة «سايس» في السنة العشرين خاطب جلالته العظماء الذين كانوا بجانبه:

أحضروا إليَّ الأمراء وحكام المقاطعات والكهنة خدمة الإله في الوجه القبلي والوجه البحري ... (٨) ... والإلهات لأنها ابنة هذا الإله. وتكون هذه المدينة أكثر جمالًا عما كانت عليه من قبل، وعندئذ قالوا أمام جلالته: يا أيها الملك يا سيدنا، سيُنَفَّذ كل ما قال جلالتك ... (٩) ... ليستشيروه ... لمصر معهم، وعلى ذلك عادوا إلى المكان الذي فيه جلالته؛ ليزيدوا أرض «سايس» وليحيوا الأرض بعد أن كانت في ضيق، وعلى ذلك قام بنشاط ليحسنها ... (١٠) ... لتصير أكثر جمالًا.

كهنة سايس يرجون بطليموس الثاني أن يزُفَّ تمثال «أرسنوي» المؤلهة في موكب، والملك يجيب ملتمسَهم، واشترك في الحفل في موكب عظيم إلى المعبد واقترب الكهنة خدمة الإله والكهنة آباء الإله من معبد «نيت» إلى المكان الذي كان فيه جلالته، وقالوا في حضرة جلالته:

أيها الملك سيدنا، ليت تمثال ملكة الوجه البحري ربَّة الأرضين «إزيس أرسنوي» محبة أخيها تظهر ... (١١) ... خلفه، والعربات والجياد الكثيرة جدًّا التي لا يحصى عددها، والقواد والجنود الذين يخطئهم العدُّ، وظهر الملك في المعبد الأم ربَّة ...[١٧]

[١٧] راجع Urk. II. 75–80; Boreux. Guide-Catalogue, Sommaire, (1932), I. P. 79.

هليوبوليس

عُثِر في «هليوبوليس» على ثلاثة تماثيل ضخمة للملك «بطليموس الثاني» وزوجه «أرسنوي الثانية» وملكة ثالثة أخرى غير معروفة من نفس العهد، وهي محفوظة الآن بمتحف الفتيكان، وهاك النصوص:[١٨]

على تمثال الملك: ملك الوجه القبلي والوجه البحري «وسر-كا-رع-مري-أمن» ابن «رع» من صلبه ومحبوبه رب التيجان «بطليموس» عاش سرمديًّا. المشرف على عرش «حور» وأول الأرواح الحية … محبوب «حور أختي».

على تمثال «أرسنوي الثانية»: (١) ابنة الملك وأخت الملك وزوج الملك ربة الأرضين «أرسنوي» … (٢) الأميرة الوراثية ابنة جب (إله الأرض)، الأميرة ابنة الإله «مرحو» (إله في صورة ثور) عظيمة الزينة، عظيمة الحمد، ابن ملك وأخت الملك وزوجه؛ سيدة الأرضين، وصورة إزيس، ومحبوبة «حتحور»، ربة الأرضين «أرسنوي» التي تحب أخاها الملك (؟)، محبوبة «آتوم» رب الأرضين و«عين شمس».

على تمثال الملكة المجهولة الاسم (ربما كانت أخت الملك «فيلوترا»): الأميرة الوراثية، حور صاحبة الساعد القوي؛ عظيمة الزينة وعظيمة الحمد …

كوم «أبو بلو»

الواقعة في غربي الدلتا. يوجد في هذه البلدة معبد قديم، وقد وُجِدت من بين أحجاره قطع مستعملة ثانية عليها اسم بطليموس الأول وبطليموس الثاني.[١٩]

[١٨] راجع Urk. II. P. 71–72; Porter and Moss IV. P. 63. حيث نجد كل المصادر التي كتبت على هذا الأثر.

[١٩] راجع Porter and Moss. Vol. IV. P. 68.

محاجر المعصرة

وجدت في محاجر «المعصرة» لوحة مناظرها مهشمة لبطليموس الثاني و«أرسنوي»، وفيها يُرى الملك وزوجه، وهما يقدِّمان القربان للآلهة.[٢٠]

(١-٢) أهم آثار بطليموس الثاني في الوجه القبلي

الكوم الأحمر[٢١]

وُجِدت قطع من الحجر عليها طغراء بطليموس الثاني مستعملة في قرية «شارونا» غير أنهما وُجِدا مُهشَّمَيْنِ؛ ومع ذلك يمكن التعرف على اسم هذا الملك ولقبه مما تبقى من الطغراءين.

السلاموني

مركز «أخميم»: يوجد في هذه الجهة مقصورة مقطوعة في الصخر، ويرجع عهدها للملك «آي» أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وقد أصلحها «حور ماع خرو» رئيس كهنة الإله «مين» في عهد بطليموس الثاني، ويُشاهَد في القاعة الخارجية لهذه المقصورة غربي المدخل صفان من النقوش يُرَى فيها «بطليموس الثاني» أمام الإله «مين» وإلهة، وأمام «مين» وإلهين شرقي المدخل، وعلى عارضتي الباب نقرأ على ما يُظَنُّ اسم «بطليموس الثاني» وملكة تُدْعى «بطولمايس» (؟) وقد وُصِفت بأنها من سلالة «نقطانب الأول». هذا، وقد نُقِشت أنشودة للإله «مين» أنشدها «حور ماع خرو» الذي أصلح هذه المقصورة[٢٢] وتتألف من ثمانية أسطر.

---

[٢٠] راجع Vyse operations carried on at the Pyramids of Giza III. Plate opposite P. 100.

[٢١] راجع Smolenski, Nouveaux vestiges du temple de Kom El-Ahmar près de Charouna in A–Z. P. 26-7.

[٢٢] راجع L.D. Text II. PP. 163–7; P. and M. Plan. P. 2; Rec. Trav. XXXVI. Pl. IV, (ii), Cf. PP. 53-4, Urk. II. 27.

والنقش الذي جاء مع الملكة «بطولمايس» هو:

الأميرة الوراثية عظيمة الثناء، ربة الرقة، سيدة الأرضين جميلة المحيا، والزوجة الملكية العظيمة ربة الأرضين والابنة الملكية (للملك) (خبر-كا-رع) «بطليموس» والزوجة الملكية (…) محبوبة «مين» رب بانوبوليس (= «أبو» = كفر «أبو» الحالي القريب من «أخميم»).

والأنشودة التي نقشها «حور ماع خرو» الذي أصلح هذه المقصورة هي:

الإله «مين-رع» سيد «أبو» الذي يناطح تاجُه ذو الريشتين عنانَ السماء، الإله العظيم صاحب القصر العظيم، ملك الآلهة، و«حور الكبير» في «أبو» … والإله العظيم رب السماء والأرض والماء وجهات الدنيا الأربع، و«رع» سيد مصر، وابن «إزيس» والمحبوب من «آمون» والإله «شا» صاحب «بري-نيسوت»، (= مكان في المقاطعة الساوية) والإله «خبر» رب تاج أمره،[٢٣] والإلهة «عبر-أست» (= المجهزة بعرش) في «أبو» وهي أم الإله التي تحمي ابنها، «سوكار-أوزير» في «أبو»، و«إزيس» العظيمة أم الإله … و«حقت» التي على قمة «أخيم»، و«حورندوتيس» في «إبو» و«مين» على سلمه، و«حور» الذي يكافئ والده، و«إين-إنس محيت» صاحبة «أخميم»، والتاسوع العظيم الذي على رأس «أبو» لَيْتَهم يعطون الحياة والعافية والصحة وعمرًا طويلًا جدًّا جميلًا في «أبو»، الكاهن سماتي (كاهن «مين») كاتب الملك ومحضر العين السليمة والعظيم، الذي يشبه «حور» في «أبو» والفهد وقريب الملك والمبجل «وأم» الإله وكاهن «مين» سيد شست، والكاهن الأكبر سماتي «المسمى» «حور ماع-خرو» ابن الكاهن خادم الإله، والكاهن الأعظم سماتي … وكاتب بيت الإله لمين التابع … طائفة الكهنة (؟) «حور» الذي وضعته ربة البيت في «تفنوت-شريت-حر، حمس».

[٢٣] أي ما يأمر به.

تعليق: هذا المتن يقدم لنا أولًا تعدادًا للآلهة الهامة في «أخميم»، وهي التي بطبيعة الحال يقابلها آلهة آخرين تماثلها في هذا العصر؛ فعلى رأس هؤلاء الآلهة الإله «مين» صاحب التاج ذي الريشتين، وهو يشغل نفس المكانة التي يشغلها حور ورع إلى آخره، والإله «خبر» يعتبر إله السماء مع الإله المَحَلِّي «شا» صاحب «برى نيسوت»، ونشاهد معه بمثابة إلهة رئيسية «إزيس» العظيمة تقابلها الإلهة «عبر-أست» الإلهة المحلية في «أخميم»، وهذا الاسم هو نعت للإلهة «إزيس» في الواقع … وهناك إله آخر ثالث، وهو الإله «حورندوتيس» وهو يماثل في مكانته الإله «مين» الذي على سلمه، وأخيرًا إلهة أخرى «أين-أنس» التي نعتت بوضوح سيدة «أخميم»، ولا بد أن عبادتها هنا كانت قديمة، ويمكن من النقوش الأخرى التي في المقصورة أن نستخلص النتيجة التالية وهي: أن الإله «مين» يقابل «حورندوتيس» و«أين-أنس محيت» تماثل «إزيس»، واللقب المحلي الذي كان بطبيعة الحال يحمله «مين» نفسه فهو «مين» صاحب «أبو» وسيد «أخميم»، وخلافًا لذلك ليس لدينا إلا الآلهة «أين-أنس» التي تُلَقَّب «بالتي على رأس أخميم» ومن المحتمل أن هذه الإلهة المحلية القديمة قد أصبحت تُدْعَى هي و«إزيس» أم الإله كما هي الحالة في «قفط» فقد كانت هناك صورة من صور إزيس تقف بجانب الإله مين بوصفها أمه، وفي هذه الحالة يكون مين يمثل «حور» بن «أوزير».

وفضلًا عن ذلك فإن هذه الأنشودة لها أهمية؛ فقد ذكرت لنا الشخصية الرئيسية وهو «حور ماع-خرو» بن «حوري» الذي خُصَّ بثواب هذا النقش. هذا، وتدل النقوش التي في هذه المقصورة على أن هذا الكاهن الأكبر للإله «مين» هو الواضع فكرة تجديد هذا المكان المقدس في العهد البطلمي ومنفِّذها، والظاهر أنه عاش في العهد الأول من عصر البطالمة، ولدينا فيما قام به «حور ماع-خرو» حالة من أندر الحالات التي نجد فيها أن فردًا غير ملك يقوم بعمل تأسيسي في مكان مقدس لم يذكر فيه مرة واحدة إهداء ملكي كما هو المتبع في كل المباني الدينية.

قفط

يقال إنه وُجد في معبد هذه المدينة قاعدة تمثال للملك بطليموس الثاني مصنوعة من الجرانيت، وهذا الأثر أُهدِي للإله «خنسو» إله الشفاء، والملكة «أرسنوي» المؤلهة، وتقول

مس «موس» إنه وُجد في كنيسة الغرب، وهو الآن في متحف «ليون»،[٢٤] وقد كان سبب إهدائه هو أن بطليموس الثاني كان قد مرض مرضًا خطيرًا، ولكنه نجا من خطر الموت على يدي الإله «خنسو» رب الشفاء و«أرسنوي الثانية» المؤلهة، وهاك النص:

> ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «وسر-كا-رع-مري-أمن» ابن رع رب التيجان بطليموس. الإله «خنسو» الذي يعمل استشارته في طيبة؛ والإله العظيم الذي يحارب الشر. لقد خلص جلالته الذي يحبه من عالم الآخرة. معطي الحياة مثل رع أبديًّا. (٢) الباقية الابنة المحبوبة «أرسنوي»، الأخت الإلهية التي تحب أخاها.

«قوص»: معبد حور-سأزيس وحقات

وُجِد في محراب معبد «قوص» ناووس من البازلت الأخضر مَهْدِيٌّ للإله حور سأزيس. أهداه بطليموس الثاني، والنقش الذي على هذا الناووس قام بعمله «سنو-شبسس». للإله حور سأزيس صاحب «قوص»، وهاك النص:

> حور ملك الوجه القبلي والوجه البحري الشاب القوي ممثل الرخمة والثعبان = نبتي (المسمى) عظيم القوة؛ حور الذهبي (المسمى) الذي توجه والده. ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين (المسمى) «وسر-كا-رع-مري-أمن» ابن رع رب التيجان (المسمى) «بطليموس».
>
> لقد عمل أثرًا لوالده ناووسًا فاخرًا سرمديًّا. «حور» بن «أوزير» و«إزيس» المتربع على عرشه العظيم، الإله العظيم الذي في ناووسه، ملك الآلهة عظيم الملك. عمله ليُعطى الحياة أبديًّا مثل رع.[٢٥]

---

[٢٤] راجع Sethe, Urk. II. 108 (22); Porter and Moss. V. P. 131; Rec Trav. XVI, 43-4 XOIII.

[٢٥] راجع L. D. IV. 7g. Cf. Text II, 257-8; Sethe Urk, II. 73-74.

معبد المدمود

أقام البطالمة ومن بعدهم الرومان معبدًا للإله «منتو» هو الذي أقيم على أنقاض معبدي الدولة الوسطى، والأسرة الثامنة عشرة، وقد عُثر في هذا المعبد على عدة قطع كثيرة من الحجر عليها اسم بطليموس الثاني.[٢٦]

أرمنت

عُثر للملك بطليموس الثاني في الحفائر التي عملت في «أرمنت» في مدفن البوخيوم (مدفن العجول) على ثلاث لوحات للعجل بوخيس.

(أ) لوحة من الحجر الرملي ارتفاعها ٥٥ سنتيمترًا.

الترجمة: المنظر: قيادته لبيت والده.

السنة الثالثة عشرة ٢٥ أمشير [في عهد جلالة ملك الوجه القبلي] والوجه البحري (المسمى) «قوية روح رع، محبوب آمون» في هذا اليوم ذهبت إلى السماء روح هذا الإله النبيل، والروح المحسنة (٢) وروح رع الحية ومظهر رع، الذي أنجبته «ثنو-حب»، وكانت مدة حياته عشرين سنة وثمانية أشهر وثلاثة عشر يومًا (٣) واليوم الذي وُلِد فيه كان السنة الرابعة عشرة ١٩ بئونة … لملك الوجه القبلي وملك الوجه البحري «بطليموس» وقد ظهر الإله ووضع في طيبة … في السنة الرابعة عشرة ٢٣ مِسْرَى ليته يبقى على عرشه إلى أبد الآبدين.

(ب) اللوحة الثانية لبطليموس الثاني، وهي مصنوعة من الحجر الرملي، وعرضها ٤٦ سنتيمترًا، ولم يبق من هذه اللوحة إلا قطع من قمتها، والمنظر هنا يظهر فيه الملك يقدم نبيذًا أمام العجل «بوخيس».

(ج) لوحة من عهد «بطليموس الثاني» للعجل «بوخيس»، لم يبق من هذه اللوحة إلا قطعتان من أعلاها، ولما كان لدينا في الواقع لوحة مؤرخة من هذا العهد، وآخر تاريخ فيها هو (السنة الثالثة عشرة ٢٧٠ق.م) فإن من المعقول أن نفرض أن هذه اللوحة تشير

---

[٢٦] راجع Rapport sur Ies fouilles de Medumoud, 1930: fig. 62. PP. 78, 1931, fig. 18 cf. P. 27.

إلى عجل آخر، وقد دلَّ على أن هذا العجل يُحْتَمل أنه قد وُلِد عام ٢٧٠ق.م ومات عام ٢٥٢ق.م هذا ولدينا أوستراكون ديموطيقية ذُكِر فيها موت عجل في ١٠ بابه في السنة ٣١ من عهد ملك من القرن الثالث قبل الميلاد، وعلى ذلك فإنه من المحتمل أن التاريخ ٢٥٢ق.م قد أصبح مؤكدًا، وأنه هو هذا الثور الذي مات في ١٠ بابه.[٢٧]

«قفط» معبد «إزيس»[٢٨]

عُثر على لباس رأس من تمثال للملكة «أرسنوي الثانية» وُجد بين البوابة الثانية والثالثة لمعبد «إزيس» في «قفط» وهذه القطعة محفوظة الآن في لندن (يونيفرستي كولدج) وتدل شواهد الأحوال على أن هذه القطعة من أحد التماثيل التي أقامها «سن-نو-شبسس».

وهاك النص:

> الأميرة الوراثية عظيمة الحمد، سيدة الوجه القبلي والوجه البحري، مهدِّئة القلب بلطف … (٢) الابنة الملكية والأخت الملكية والزوجة الملكية، التي تريح قلب «حور» الشاب القوي … (أرسنوي) محبوبة … «إزيس».

قفط

وُجدت في معبد «قفط» قطع من الإردواز أو البازلت من تمثال عليه نقوش لعظيم يدعى «سن-نو-شبسس» الذي عاش في عهد بطليموس الثاني، ويحمل ألقابًا كبيرة تدل على عظيم مكانته في البلاط الملكي فقد كان يُدْعى: رئيس الحريم الملكي ورئيس أتباع الملكة «أرسنوي» الأولى، هذا فضلًا عن أنه كان كاهنًا (خادم الإله) لآلهة مختلفين، وقد أحضر «بيتري» قطعة من قطع هذا التمثال إلى المتحف المصري عام ١٨٩٤ أما باقي القطع فقد وجدها هذا الأثري مستعملة ثانية في المباني المقامة باللبنات في الجزء الجنوبي الغربي

---

[٢٧] راجع The Bucheum, Vol. II. PP. 3, 4, 29.

[٢٨] Petrie Koptos. Pl. XXXVI, (3). PP. 21–2, Sethe Urk. II. P. 73.

من المعبد، وكل هذه القطع موجودة الآن بالمتحف المصري،[٢٩] وهاك ترجمة ما جاء على هذه القطع:

(١) المتن الذي على الجانب الأمامي من صحفة الظهر: جاء فيه ذكر إقامة تماثيل للملك والملكة في معبد «إزيس» صاحبة «قفط» ويرجو — من أجل ذلك — من الآلهة أن تقيم عيدًا ثلاثينيًّا للملك وهاك النص:

> (١) … مقاطعة «قفط» في معابد المدن. الزوجة الملكية التي تحكم المملكة. سيدة المدن والمقاطعات القاطنة في «نتر — شمعت» (سام قفط في العهد البطلمي) لقد عمل ما يحبه قلبها من كل عمل فاخر من الحجر الصلب، وذلك بإقامة تماثيل لملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «وسر-كا-رع-مري-أمن» ابن رع رب التيجان «بطليموس» عاش مخلدًا، وكذلك للأميرة الوراثية زوج الملك، ولم يعمل مثل هذا التمثال في هذه الأرض ليحل محل الأميرة؟
> لتضاعف الأعياد الثلاثينية لرب الأرضين «وسر-كا-رع-مري-أمن» ابن «رع» رب التيجان «بطليموس» عاش مخلدًا …

يرجو صانع التمثال زائر المعبد أن يسمع كلمته وبما له من فضيلة يقدم قربانًا:

> (٢) … الأحياء ليعرف اسمه في «نترت شمعت» (قفط) تعالوا أنتم وقولوا للذي خلقني، وصلوا لي من أجل ما عملته، وإني تابع دائم، وقدِّموا لي خبزًا، وجعة وثيرانًا وطيورًا ونبيذًا ولبنًا وماء باردًا، وكل شيء جميل طاهر حلو مما يخرج على مائدة «إزيس» العظيمة أم الإله على حسب ما يعمل يوميًّا لأني عظيم … «الذي يحمي الحامل» والذي يطعم الصغير الذي لا أمَّ له، وجدار الحياة حول مقاطعته.

[٢٩] راجع Cairo Museum 70031; Roeder Naos (Cat. Gen.). Pl. 33 (a) PP. 113–117, Cf. 65 (d); Largc block Petrie; Koptos. Pl. XX, Cf. PP. 19–22; Sethe, Urk. II. 55–59; See Gauthier L.R. IV, 235 (lll). 238–9 (lxxi); Daressy Notes et Remarques in Rec. Trav. XVI, 128.

رجاء آخر مماثل لزائري المعبد ليتولوا صيغة القربان:

إن رئيس حريم الزوجة الملكية لملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «وسر-كا-رع-مري-أمن» ابن رع رب التيجان «الإسكندر» عاش مخلدًا وأرسنوي (المسمى) «سن-نوشبسس»: يأكل إنسان يريد أن يرى قرص الشمس (أتون) وتحيط به عين الإله «أتون»، وكل إنسان يأتي … أرض إزيس …؟

(٢) النقش الذي على الجانب الأيمن المستند عليه التمثال (بقية المتن السابق):

… (إزيس العظيمة والأم الإلهية) با «حوربو خراد» الواحد العظيم الذي على رأس الخفيين، ويا أيتها الآلهة والإلهات الذين في «نترت شمعت» (قفط) ليتهم يعطون قربانًا من كل شيء جميل طاهر حلو للأمير الوراثي والحاكم، وحامل الخاتم الملكي والسمير الوحيد «سن-نوشبسس»؛ لأنه …

(٣) النقوش التي في الخلف من صفحة الظهر: ويلحظ أن هناك عدة أسطر ناقصة لا يُعرَف عددها.

(٤) مديح الملك «بطليموس الثاني»:

… (١) حدوده والذين يسكنون في البحرين «الأبيض والأحمر» … (٢) وجماله يشرق على كل إنسان ويضيء «آتون» (قرص الشمس) النهار وهو في … (٣) … بمثابة رباط للريشتين مثل والده «مين» صاحب «قفط» ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «وسر-كا-رع-مري-أمن» ابن رع رب التيجان «بطليموس» عاش مخلدًا.

(٥) مديح «سن-نو-شبسس»:

(٤) … السمير الذي في مقدمة الشعب، العظيم في إدارته، والكبير في وظيفته، وصاحب المكانة الأولى في القصر، ومن يرفعه الملك في مكانته، ومن يقص عليه آراء كل الناس … (٥) … على مائة (أي على حسب رأيه) والدائرة الكبيرة في كل الأرضين، والعظيم الذي يقف على يمينه (أي يمين الملك)، ذرب الفم،

والمحبوب في قاعة الأسرار، ومن يأخذ بتعاليم الإله الكامل (أي ملك) مرطب … الملك … (٦) … ومن لا يفترق قلبه عن بيت السرور (؟) ومن لا يحيد عن تعاليم الملك، ومن يطرح الآثام جانبًا واللسان الشرير، ومن لا يخون، ومن يقبض «على زمام» الأمور … رب الأرضين … (٧) محبوب رب هذه الأرض، ومن يتمسك بالطريق التي يحبه (أي الملك)، حامي «قفط» وحامي المقاطعة الخامسة من مقاطعات الوجه القبلي (راجع جغرافية مصر القديمة ٤٢–٤٤) ومن أقام المعابد … ومن يفكر بفكره، ومن يسهر على حماية الناس، ومن ينفذ الرأي أمامه في القصر … (٨) … على يمين وعلى يسار الذي أنجبه «سيا» (الصقر المقدس) ليجعل أقواله حسنة، ومن يسير على ماء الآلهة (أي على حسب ما يحب)، ومن لا يجعل سجينًا يبقى في سجنه دون فائدة؛ والرجل الذي يكون تحت تصرفه (أي تصرف الملك) في اللحظة الفريدة (أي الخطرة) ومن يؤدي له على معرفة مشاريع …؟ ومن لا تشتكي الناس منه … ومن تُرجَى صحته ليل نهار لما يخرج من فيه. وهو وتد المَرْسَى لحبل الغريق (؟) ومنجاة الغريق (العوامة التي تنجي الغريق) التي تثبت عند انقطاع الهواء (؟)، ومن يناديه البائسون للمشورة، ومن أمامه تُحمى أعضاؤهم من كل أذى، ومن يحمي المظلوم، ومن يحمي الهرم، وحارس الحراس، ومن يُقْصِي الثائر عن الضعيف؛ رجل الدقة ومن يعرف العدالة، العالم بالتقرير مثل كثير من الناس، ومن ينطق حسنًا وينطق بالخير، ورجل الساعة، ومورد الشارب، ومن تُسَرُّ به العينان يوم العيد … الكبير المعرفة في زمنه … ثقة سيده، والمدير العظيم لبيت الحريم لجلالته، ورئيس أتباع الأميرة الوراثية عظيمة الحمد، سيدة القطرين فرحة القلب لطيفة، حلوة الحب، جميلة الطلعة، ومن تقبض على التاجين، ومن تملأ القلب بجمالها، الزوجة الملكية العظيمة، ومن تُرضِي قلبَ ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين «وسر-كا-رع-مري-أمن» ابن رع رب التيجان «بطليموس» عاش مخلدًا و«أرسنوي». (١٢) كاهن أوزير و«حور» و«إزيس»، في «حا جفاو» (قصر المئونة أو قاعة المئونة وهو اسم من أسماء معبد «قفط» أو قاعة مخصصة للثالوث الأوزيري)؛ والآلهة في معبد «حا-جفاو»، و«إزيس-أتسو» (اسم لإزيس، وهو في الأصل صندوق بقايا

الجسم في العرابة المدفونة القاطنة في «قفط») وفهد الجنوب وفهد الشمال، الآلهة «روتي»، «شو وتفنوت» ابنا رع القاطنين في «قفط»، و«إزيس» العظيمة المقدسة المشرفة على البيت العظيم، و«أوزير» المشرف على ساحته «وبتاح سكر» الإله العظيم القاطن في «شتا» (معبد الإله سكر) وأوزير «قفط» في «حتنوب» (المكان الذي كانت توضع فيه جثة أوزير؛ حيث كانت تقام أحفال كثيرة لقيامة «أوزير») (المسمى) «سن-نوشبسس».

(٦) الأمير سن-نو-شبسس يمجد إلهه «مين» يقول لسيده:

إني أتعبد إليك يا «حور»، وأصلي للإله «مين» صاحب «قفط». حور صاحب الذراع المرفوع، عظيم الحب، والذي يخترق السماء بتاجه، رب انشراح القلب في معبده، ملك الآلهة، حلو الحب، ثور أمه، والمشرف على مثواه الكبير، والإله العظيم في معبدي الأرضين، والمشرف على المقاطعة، والمتربع على عرشه، والمولود من أعضاء الإله، ومن يقدم القربان لوالده، ونطفة الآلهة المظفر في ... والمشرف على البلاد الأجنبية، ومحبوب الشعب، وموحد الشباب، ومن يمقت قول الكذب، وريح الحياة الذي يعيش الناس به، ومن يمنح الحياة لمن على مائه (أي على هواه) جميل الوجه، صاحب العينين المزينتين (لقب للآلهة)، الجميل أكثر من الآلهة، ومعجزته أكثر من معجزة التاسوع الإلهي، ومن يهدي كافة الآلهة سخمت في جبل بخنت (الغرب) ... يمشي على شاكلته، ومن يشفي المريض، وينعش المتألم، صاحب الصورة الجميلة لمن يضعه في قلبه، ومن ينعش صاحب الحنجرة الضيقة.

(٧) يفتخر «سن-نو-شبسس» بأنه يخدمه بإخلاص: إني خادمك وأسير على هواك، وقلبي يعرفك وهو لا يزال في البيضة، ولا يقصر عن ...

وبلدك العظيمة جدد لها دائرة قرابينها بدقة، وعينه لا تنام ليلًا، ولا يتعب نهارًا، ومن يبحث عن جمالك في قلبي.

(٨) الأعمال التي أتمها هذا الأمير في المعبد:

لقد وجدت «حا جفاو» (المعبد) آيل للخراب، وتلف عظيم ... فأقمت جدارًا حوله من جديد طوله ١١٠ ذراعًا، وعرضه ٤٥ ذراعًا، وسمكه عشر أذرع، وقطعت

أحجارًا من المحاجر لرقعته، بدلًا من كومة ارتفاعها ست أذرع، ولأرفع أرض المعبد إلى امتدادها، وأسست حجرة … من شجر الصنوبر (عش) وطعَّمْتها بالنحاس، وحفرت اسم جلالته، وصنعت كل أدواته من النحاس بما لم يوجد من قبل، وزدتُ في بيته من كل شيء جميل، وزودت مائدة قربانه بالطعام، وضاعفت قربانه من بيت القربان، وثبَّت كهنته المطهرين … (١٩) … «وصنعت له» بابًا من الحجر الجيري الأبيض الصلب طوله ١٦ ذراعًا، وعرضه ست أذرع عند قمَّة بابه، ونقشت عليه الاسم العظيم لجلالته، ومصراعًا بابه من خشب الصنوبر المصفح بالنحاس، وزاويتاه من نحاس آسيا وصرحه من جهة الشمال مبنيٌّ باللبنات أمام «إزيس» … (٢٠) … ونقش اسم جلالته العظيم وطوله ١٨ ذراعًا، وعرضه ست أذرع، وصرحه من اللبنات.

(٩) أشياء أخرى أتمها من أعمال مفيدة، وبخاصة إقامة ناووس من قطعة حجر واحدة لحور بن إزيس في «قوص»:

لقد أقمت ناووسًا لصرح «حور» بن «أوزير» وابن «إزيس» الجالس على العرش العظيم والإله العظيم في ناووسه، وجدَّدتُ آثار بيت أوزير …

يلتمس سن-نو-شبسس مكافأته على ما قام به من عمل طيب:

ليت … يعمل ما يحب قلبي (؟) فليتك تضاعف قرابيني في عهد رب الأرضين، وحبي عند الملك، وليتك ترفع مدة حياتي على الأرض؛ ١١٠ عامًا، وأن يكون مقرِّي الأخير جميلًا بعد الشيخوخة وأن أثوي في جبَّانة «قفط» الجميلة …

ألقاب «سن-نو-شبسس»:

(٢٢) …

روتي «شو وتفنت» أتباع «رع» في قفط، وإزيس العظيمة الإلهية في سماء المكان العظيم، و«أوزير» في ساحته الإلهية.

دندرة

يوجد في مجموعة فان لير بأمستردام منظران على قطعتين من الحجر؛ إحداهما تمثل صورة الإلهة سخمت، والأخرى مثُلَ عليها «بطليموس الثاني» يقدم صورة الإلهة «ماعت» للإله «بتاح».[٣٠]

معبد «إدفو»

تدل شواهد الأحوال على أن بطليموس الثاني لم يشترك في بناء معبد «إدفو» وأن الذي وضع أساسه هو ابنه بطليموس الثالث كما سنرى بعد، غير أن اسمه قد جاء مرات عدة، وذلك لأن الملوك الذين جاءوا بعده ألهوه هو وزوجه «أرسنوي الثانية».[٣١] ففي مدخل المعبد: (٨٨–٩١) نشاهد على الجدار في الصف الأعلى في المنظر الثاني والمنظر الرابع «بطليموس السابع» يقدم لوحة ودواة للإله «تحوت» كما يقدم قربانًا لكل من بطليموس الثاني و«أرسنوي الثانية».[٣٢]

داخل قاعة العمد: (١١٠–١١٤) يشاهد في الصف الثالث من أعلى بطليموس الرابع أمام «بطليموس الثاني» و«أرسنوي» المؤلهين.

في داخل المحراب: (٢١٦-٢١٧) يشاهد في الصف الأعلى والصف الثاني ستة مناظر قربان يُرى في كلٍّ منها بطليموس الرابع يقدم قربانًا و«بطليموس الثاني» و«أرسنوي» الثانية.[٣٣]

وفي الدهليز حول المحراب: (٢٣٥–٢٤٣) يُشاهد بطليموس الثاني و«أرسنوي» الثانية في منظر في الصف الأعلى.[٣٤]

---

[٣٠] راجع Amsterdam, Van Leer Egyptisehe Oudheden in Mededeingen en Verhandeltingen Ex Oriente Lux No. 3 (1936): Pl. III, (7,8). Cf. PP. 12–13.

[٣١] راجع Chassinat, Le Temple d, Edfon III. PP. 190–2.

[٣٢] راجع Porter and Moss vol. Vl. P. 136.

[٣٣] راجع Porter and Moss Ibid., P. 146.

[٣٤] راجع Ibid., P. 148.

وعلى خارج المعبد نفسه: (٢٩١–٢٩٤) يُشاهد في الصف الأعلى سبعة عشر منظرًا يُرى في الخامس عشر منها بطليموس السابع أيرجيتيس الثاني يقدم البخور والقربان السائل أمام «بطليموس الثاني» وأرسنوي الثانية المؤلهين.[٣٥]

معبد الفيلة[٣٦]

تدل النقوش التي على معبد «الفيلة» على أن بطليموس الثاني قد أقام الجزء الداخلي من المعبد، وزيَّنه بالمناظر مبتدئًا بالحجرة الأولى حتى الحجرة العاشرة، وهذا أقدم جزء في معبد «إزيس».[٣٧]

الحجرة الأولى

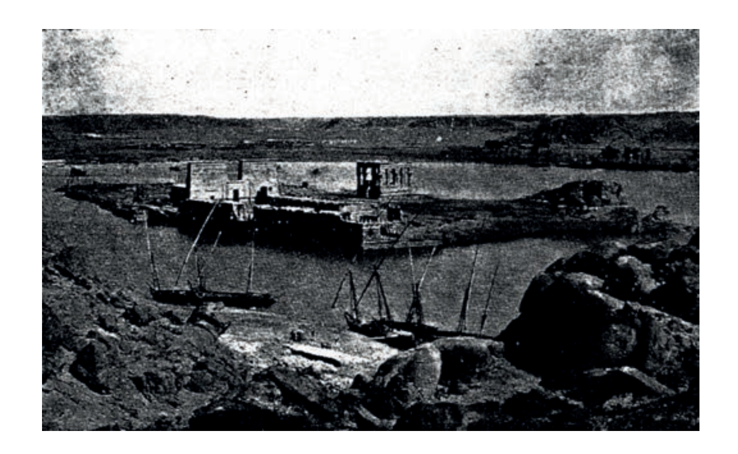
المدخل(٢٨٦–٢٨٧): يُشاهد على العَتَب الخارجي منظر مزدوج، فالذي على اليسار يُرَى فيه الملك بطليموس الثاني تتبعه الإلهة «بوتو» ويتقبل رمز الحياة من «تفتوت»، ويهرول ومعه الدفة والمجذاف (؟) نحو «إزيس» و«حتحور»، وعلى الجانب الأيمن يُشاهَد الملك تتبعه الإلهة «نخبيت» ويتسلم رمز الحياة من الإلهة سخمت، ويهرول بآنية نحو «إزيس» و«نفتيس»، وعلى عارضة الباب الغربية تشاهد أربعة صفوف يُرى فيها الملك يقدم مسوحًا للآلهة، كما يقدم جرة في هيئة بولهول للإلهة ساتيس (إلهة الشلال) والحقل للإلهة «إزيس»، والملك واقف … وعلى العارضة الشرقية نشاهد أربعة صفوف يُرى فيها الملك يقدِّم نسيجًا لإزيس وصناجة للإلهة «عنقت» (إلهة الشلال) وطعامًا لحتحور والملك يُرى واقفًا …

---

[٣٥] راجع Ibid., 156.

[٣٦] انظر الشكل رقم ١-٥، وهو مبين عليه الأرقام الواردة في الوصف.

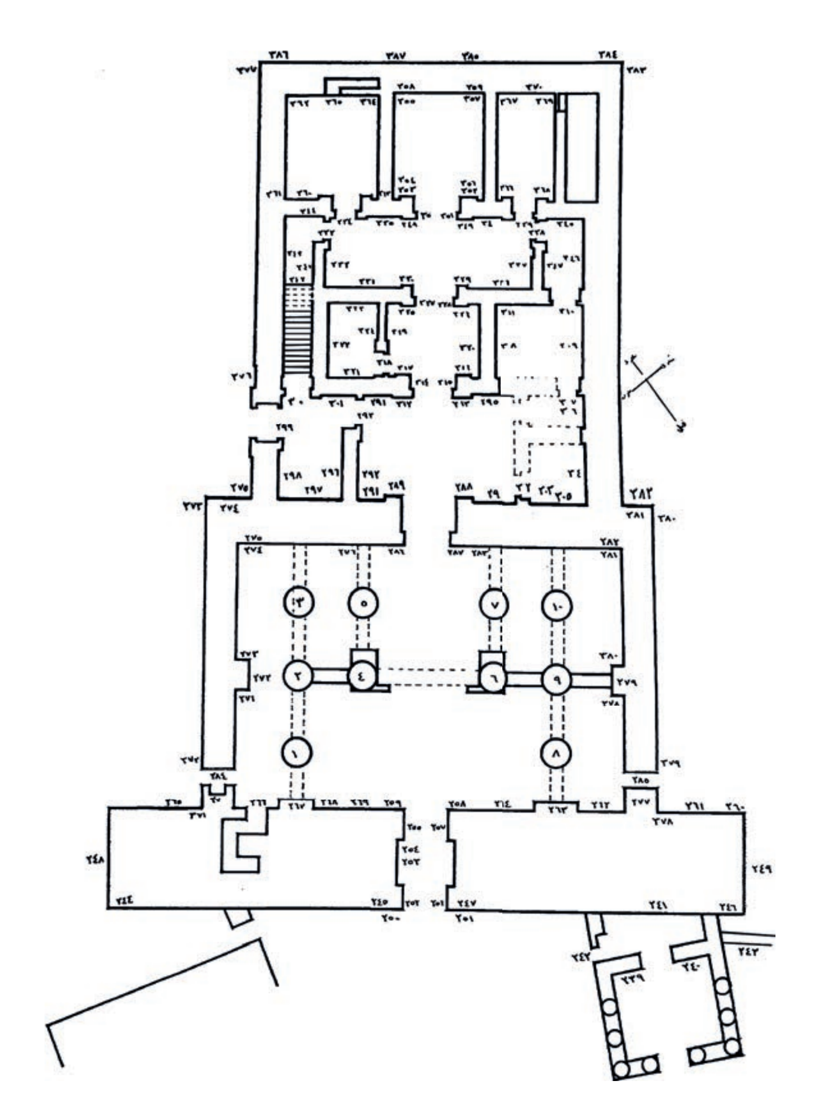
[٣٧] راجع Benedite, Le Temple de Philae in Mem. Miss. Arch. Fr. XIII. Pls. IXLIII. PP. 1–127; Plan. See Porter and Moss VI. P. 230.



شكل ١-٣: معبد إيزيس (الفيلة).



شكل ١-٤: الفيلة: البوابة الثانية لمعبد إزيس وبيت الولادة.



شكل ١-٥: معبد إزيس بالفيلة.

الباب الداخلي (٢٨٨–٢٨٩): يُشاهَد على العَتَب في الوسط «إزيس» جالسة أمام أسماء «بطليموس» بين علم أبيس وعلم الصقر، وعلى الجانب الأيسر يشاهد الملك يقدم عطور المر للإلهة «نفتيس»، وعلى الجانب الأيمن يقدم الملك نبيذًا لحتحور، ونقرأ نعوت بطليموس أسفل العلم، وخلف بطليموس في المنظر الغربي، وهاك ترجمتها:

> «الإله الكامل» كثير الأعياد، ومن أطعمه مليون سنة على مائدته. الإله الكامل ابن حور في القوة، وأنه ممتاز الطيبة.[٣٨]

وعلى القائمة الشرقية للمدخل نشاهد خمسة صفوف يُرى فيها الإلهة آتوم، وخنوم، و«نوت»، وسفخت–عابو يكتبون وتتبعهم الروح «كا»، وعلى العارضة الغربية خمسة آلهة، وهم «آمون رع» و«أونوريس» و«إزيس»، و«منتو» و«تحوت» يكتبون وتتبعهم الروح أيضًا.

وفي المدخل كذلك (٢٩٠) نشاهد ثلاثة صفوف يُرى فيها الملك يهرول ومعه طائر ويقدِّم عصًا لإزيس، كما يُشاهَد ومعه مكنسة وآنية أمام «إزيس» و«نفتيس»، ثم يغادر الملك قصره ومعه الإله «أنموتف» وأعلام، ثم نراه (٢٩٧) في ثلاثة صفوف وهو يقدِّم قلادة لإزيس ويقرب لها كذلك ملكًا، ثم يغادر القصر ومعه الكاهن سم وأعلام.

ونرى الملك (٢٩٢) في ثلاثة صفوف يقدِّم تمثال «ماعت» للإله «آمون رع–كاموتف»، ويقدِّم آنية نمست لفرعون مؤلَّهٍ، ثم نشاهده يطهره كل من تحوت وحور. هذا ونقرأ خلف الملك في الصف الأعلى المتن التالي:

> الإله الكامل الذي يشرق مثل ابن «إزيس».

ونشاهد على الجدار (٢٩٢) في الصف الأعلى الملك يقدم نبيذًا للإلهة «إزيس» ونقرأ خلف إزيس المتن التالي: إحي (ابن حتحور أو إزيس) مطهر الذهبية (الذهبية لقب تنعت به «حتحور»).[٣٩]

---

[٣٨] راجع Sethe, Urk, lI. P. 113, 30 and 110.

[٣٩] راجع Urk, II. P. 115, 15.

(٢٩٤): نشاهد ثلاثة صفوف يُرى فيها الملك يقدم نسيجًا للإلهة «جب» كما يقدم الزهور والدجاج للإله حور سأزيس، ويُتَوِّجه الإلهان «آتوم» ويقدم له «منتو» صولجانات العيد الثلاثيني. هذا، ونقرأ في متنٍ خلفَ الملك في الصفين الأعلى والثاني وخلف الإله «حور سأزيس» المتن التالي: الإله الكامل الذي يحيطه الآلهة بجماله عندما تشرق في أعيادها،[٤٠] الإله[٤١] الكامل اللامع الأشراق.

(٢٩٥): نشاهد الملك ممثلًا في ثلاثة صفوف. فيُرى أولًا بصورة مهشَّمة أمام «إزيس» وهي ترضع ملكًا صغيرًا وأمام «بوتو»، ثم يُشاهَد الملك أمام إزيس مع «أرسنوي الثانية» كما يُرى الملك والإله «خنوم» يقوده للإلهة «إزيس».

الحجرة الثانية

المدخل (٢٩٣) (أ – ب): يُشاهد على العَتَب الخارجي في الجزء الأعلى سطران من النقوش، وفي الجزء الأسفل يُشاهد الملك مع «إزيس»، وجنوب قائمة الباب يُشاهد الملك مقدِّمًا حقلًا لإزيس في أسفل.

ويُشاهد متن في الجزء الأعلى من العَتَب. السطر الأول منه جاء فيه:[٤٢]

> الإله الكامل عظيم القوة، رب الشجاعة مثل ابن «إزيس»، المعقود عليه التاج الأبيض، وحامل التاج الأحمر، وضام التاجين، والمنشئ من جديد بمثابة تاج «آتف» (أي تاج أوزير).

ويُرى على سمكي الباب (جـ، د) عمود من النقوش على كل منهما، وجاء في الذي على الجانب الشمالي المتن التالي:[٤٣] «الإله الكامل وريث «رع» الذي وضعه على عرشه، والذي اختاره ليصير ملكًا على مصر.» ويُشاهد على سمك الباب (جـ) الملك يتقبل الحياة

[٤٠] راجع Ibid. P. 115, 48.

[٤١] راجع Ibid. P. 116, 51.

[٤٢] راجع Sethe. Urk, II. 111, (23), 17.

[٤٣] راجع Sethe, Urk, II. P. 109, (23), 3.

من «إزيس» وعلى العَتَب الداخلي نقرأ ألقاب الملك، وعلى قائمة الباب الجنوبية نقرأ المتن التالي:

> الإله الكامل جم الأعياد الثلاثينيَّة، ومن أطعمه مليون سنة من القمح على مائدته. الإله الكامل الذي يصل سلطانه إلى ما يحيط به البحر.[٤٤]

(٢٩٦): يشاهد هنا الملك أمام «إزيس».

(٢٩٩) الباب الغربي للحجرة الثانية (أ، ب): نقرأ على العَتَب الداخلي، وعلى قائمتي الباب ألقاب الملك «بطليموس الثاني» ونقرأ على سمكي الباب (ج، د) سطرًا من النقوش على كلٍّ، جاء فيهما:

> الإله الكامل الذي يمتطي العربة مثل …[٤٥] «والإله الكامل الذي ينقضُّ على البلاد الأجنبية بسرعة.»

وعلى سمك الباب نقرأ نعوت الملك بطليموس الثاني ذكر بعضها الأستاذ زيته[٤٦] وهاك ترجمتها:

> الإله الكامل صورة «آتوم» نفسه، والإله الكامل وريث رع، ورب القوة مثل ابن «إزيس».
> الإله الكامل الذي اختاره رع؛ ليكون ملك مصر والأرض الحمراء (الصحراء)
> الإله الكامل ابن آمون الذي اختاره على رأس الأبدية.
> الإله الكامل الحاكم الشجاع الذي يعمل على مد حدوده حتى قرن الأرض (نهاية الجنوب).
> الإله الكامل الذي يقبض على القوس، ومن جعل الرجال كإناث، الإله الكامل صاحب الجياد العدة التي لا تُحصَى، والإله الكامل صاحب السفن العديدة، ومن سفنه مجتمعة على النهر. الإله الكامل المسيطر على الأرزاق.

---

[٤٤] راجع Ibid, II, P. 113, 31, 112, (23), 22.

[٤٥] راجع Sethe, Urk, II. 112, 24, 23.

[٤٦] راجع Sethe, Urk, II, 109–15, 1, 2, 4, 6, 19, 25–9, 36–7, 39–40.

والإله الكامل كثير المحاصيل (من الحبوب) …
الإله الكامل «رع» مصر (أي شمس مصر) وقمر البلاد الأجنبية.
الإله الكامل نيل مصر ورمنت (غلة) كل فرد (مثل الإلهة «رمنت» ربة المحاصيل).
الإله الكامل جبل الذهب والفضة في كل بلد أجنبية.
الإله الكامل حور الذي يحمي مصر.

وبديهي أن الكهنة في المتون السالفة الذكر أرادوا أن يُشِيدوا بمناقب بطليموس الثاني الذي أصبح فرعونًا حقيقيًّا في نظرهم للبلاد؛ فأشادوا أولًا بأصله الإلهي، وأنه من نسل «آتوم» كما تحدثوا عن شجاعته وقوته، ثم نوَّهوا عن سعادة هذا الفرعون وثرائه، كما ذكروا أعماله الخيرية التي قام بها في مملكته.

(و) ويُشاهَد على سمك الباب الملكُ يقدِّم وليمة لإزيس.

الحجرة الثالثة

(٣٠٤): يُشاهَد الملك يقدم أزهارًا للإلهة «إزيس» (٣٠٥) ويشاهد الملك وهو يقدم كحلًا للإله «حور» وأمه «إزيس». هذا، ويشاهد خلف «إزيس» وخلف الملك المتن التالي: الإله الكامل الذي يجعل بيوت الآلهة بهجة.[٤٧]

الحجرة الرابعة

(٣٠٦): يُشاهد الملك يقدم قربانًا لإزيس.

ولهذه الحجرة ردهة صغيرة يُشاهد عند مدخلها (٣٠٧) قطع صغيرة من عتب الباب وقائمته وسمكه، وعلى السمك نقرأ: الإله الكامل أوزير محبوب ابنه أكثر من أي ملك، عظيم الآثار، عظيم الأعجوبة.[٤٨]

---

[٤٧] راجع Sethe, Urk, II., 115, 41.

[٤٨] راجع Sethe, Urk, II,. 110, 7.

(٣٠٨): يُشاهد مناظر مزدوجة؛ ففي الصف الأعلى يُرى الملك يقدم قلادة للآلهة «أوزير» و«إزيس» و«نفتيس»، كما يقدم صدرية لـ «أوزير-أونوفريس» و«إزيس» و«حتحور»؛ في الصف الثاني يقدم الملك عطور المر للإله «خنوم» والإلهتين «ساتيس» و«عنقت»، وهؤلاء الآلهة الثلاثة هم ثالوث الشلال، كما يقدم تمثال معات لثالوث طيبة (آمون وموت وخنسو)، وفي الصف الثالث يقدم الملك للآلهة «أوزير» و«إزيس» و«حور سأزيس» قربانًا، كما يقدم عطور المر للآلهة «أوزير-أونوفريس» و«إزيس» و«حور بن أوزير».

والصف الأعلى من المنظر الذي على اليسار نقرأ المتن التالي لإزيس:[٤٩]

> إني أمنحك البلاد الأجنبية الجنوبية، وأمنحك بلاد «بنت».

(٣٠٩): نشاهد في هذا المنظر الملك يقدم بخورًا وماء قربانًا أمام كومة من القربان، وجاء في المتن الذي فوق القربان ما يأتي:[٥٠]

> الإله الكامل سيد القربان والطعام، ومن يقدم القربان لأمه «إزيس» بالملايين ومئات الألوف والألوف ومئات وعشرات المرات من جميع الأشياء الجميلة.

(٣١٠–٣١١): يُشاهد في هذا المنظر في الصف الأعلى الملك يقدم طوقًا للإلهة «إزيس» ويتعبد للإله «أوزير-أونوفريس» كما يقدم عقد منات السحري للإلهة «إزيس» وقد نقشت أنشودة في كل منظر، وفي الصف الثاني يُرى الملك وهو يفتح باب الناووس الذي يحتوي على تمثال «أوزير» وناووس يحتوي تمثال «حتحور»، ويقدم مرآة لإزيس، وفي الصف الثالث يُشاهد الملك منبطحًا على الأرض أمام «إزيس» كما يرى أمام الإله «أوزير-أونوفريس» وأمام «إزيس»، وفي كل حالة نقشت أنشودة.

(٣١٠): نشاهد على قاعدة الجدار هنا، الملك يتبعه إله النيل ومعه متن.[٥١]

[٤٩] راجع Ibid. P. 120, c 4.

[٥٠] راجع Ibid. P. 113–114, 33.

[٥١] راجع L.D. Text, IV. P. 161 (upper pant.), Benedite, Ibid. P. 19.

الحجرة الخامسة

(٣١٢–٣١٣): يُشاهد على العَتَب الخارجي منظر مزدوج يرى فيه الملك يقدم نبيذًا للإله «أوزير–أونوفريس» وللإلهة «إزيس» وللإلهين «أوزير» و«إزيس»، ويُرى على قائمة الباب الغربية ثلاثة صفوف يُشاهد فيها الملك يقدِّم عِقْد منات للإلهة حتحور وتعويذة للإلهة «سخمت» وخبزًا للإلهة «إزيس»، وعلى قائمة الباب الشرقية نشاهد ثلاثة صفوف؛ يُرى فيها الملك يقدم عِقْد «منات» للإلهة إزيس ومرآة لإلهة برأس أسد، وعلى رأسها ثعبان كما يقدم أزهارًا لإزيس.[٥٢]

(٣١٤–٣١٥): نقرأ على سمكي الباب متنًا جاء فيه:

> الإله الكامل الذي يجعل الأراضي خصبة، والذي يقيم المعابد كما كان الحال في الزمن الأول، والذي يكثر الدخل من رزق الأرض؛ الإله الكامل القوي الساعد الذي يحيط بذراعيه «تامري» (مصر).

(٣١٦–٣١٧): يشاهد على العَتَب الداخلي منظر مزدوج يُرى فيه الملك يقدم نبيذًا للإلهة «أوزير» و«إزيس» و«أوزير–أونوفوريس» و«إزيس»، وعلى قائمة الباب الشرقية يشاهد الملك في ثلاثة الصفوف الباقية يقدم بخورًا لإزيس، وأزهارًا للعجل «أبيس» كما يقدم للعجل «منيفيس» (الذي يقدس في عين شمس) قربانًا، ويشاهد على قائمة الباب الغربية أربعة صفوف يُرى فيها الملك يقدم لإلهة جرة، وخبزًا للإله «سماور»، وخبزًا للإله «أجبور»، ويقف أمام «إزيس» وقد نُقِش متنٌ مؤلف من عمود خلف كل قائمة من قائمتي الباب، وهاك النص:[٥٣]

> الإله الكامل عظيم البطش الذي يعمل الخيرات لأمه «إزيس» العظيمة ربة «الفيلة» ويفسح الطريق ... بيت.

---

[٥٢] راجع Urk, II. 115, 42, 112, 20.

[٥٣] راجع Ibid., II, 115, 44.

(٣١٨–٣١٩): يُشاهد على هذا الجدار في الصفين الأعلى والثاني الملك يقدم قائمة قربان، كما يُشاهد الملك معه البخور، ومتن شعيري أمام «أوزير» سيد «أباتون»، وفي الصف الثالث يُشاهد الملك يقدم الطعام للإله «أوزير» المحنَّط.

(٣٢٠): يشاهد على هذا الجدار في الصفين الأعلى والثاني الملك ومعه قائمة قربان، وكذلك متن تطهير، ويُشاهد أمام «إزيس» يقدِّم لها البخور وأنشودة مهشَّمة بعض الشيء، وعلى القاعدة حول الحجرة تشاهد آلهة النيل.[٥٤]

الحجرة السادسة

المدخل من الداخل (٣٢٢): يُشاهد في الصف الأعلى من هذا الجدار الملك، وباقي المنظر مهشم، وفي الصف الأسفل يُرى الملك يقدم تمثال «ماعت» لثلاثة آلهة.

(٣٢٢): يُشاهد الملك في الصف الأسفل يقدم ماء قربان لإلهين وأزهار للإله وإلهة.

الحجرة السابعة

(٣٢٥–٣٢٦): يشاهد الملك على العَتَب الخارجي لهذه الحجرة في منظر مزدوج؛ فيُرى وهو يقدم الصناجة على الجانب الأيسر من العَتَب، كما يقدِّم النبيذ على الجانب الأيمن لإزيس و«حربو خراتيس». هذا، ويُشاهد على قائمة الباب ثلاثة صفوف حيث يُرى الملك يقدم أوراق شجر للإله «مين» وتعويذة للإلهة «سخمت» ونبيذًا لأوزير، وعلى برواز في الخلف سبع بقرات مقدسة وثور «كاكاو ثاي–حموت» وأَصْلال، وعلى قائمة الباب الشرقية لهذه الحجرة لم يبق إلا صفَّان من النقوش يُشاهد فيهما الملك يقدم صورة «ماعت» للإله «تحوت» وصناجة للإلهة «حتحور»، وعلى اللوحة خلف ذلك ثلاث بقرات مقدسة وهي «إهت» و«هسيس» و«شمات حور» وإلهات برأس ثور.

---

[٥٤] راجع .Beneditc oP. cit, on Pls. IX–XII. PP. 26, 31, 33

(٣٢٧): وعلى سمكي الباب عمود من النقوش على كل سمك، جاء عليهما ما يأتي:[٥٥]

الإله الكامل الذي يعمل الخير في بيت أمه «إزيس» والذي جدد كل شيء في زمنه.
الإله الكامل الذي يعطي طعامه لأمه «إزيس» والذي يهديها أرض الحدود حتى إقليم الاثني عشر ميلًا النوبي.

(٣٢٩–٣٣٠): ويُشاهد على العَتَب الداخلي منظر مزدوج فيُرى الملك تتبعه «نفتيس» و«حتحور» على الجانب الأيمن، كما يُرى وهو يقدم نبيذًا «لأوزير» و«إزيس» ونقش على قائمتي الباب ثلاثة أعمدة من النقوش، وفي أسفل يُشاهد الملك وهو يتقبل الحياة من «إزيس» في كل من النقشين.

(٣٣١–٣٣٥): يشاهد على الجدران ستة مناظر، في الصف الأعلى يُرى الملك وهو يقدم صورة «ماعت» ومعها أنشودة للآلهة «أوزير» و«إزيس» و«حربو خراتيس» كما يقدم المسوح لإزيس، وتعويذه للإلهة «حتحور» والبخور وماء الطهور «لإزيس»، والزهور للآلهة «خنوم» و«ساتيس» و«عنقت»، والبخور لإزيس، والمتن الذي مع «إزيس» موجود في المنظر الثاني، وهاك ترجمته: «إني أمنحك بلاد «بنت».»

(٣٣١)، (٣٣٢)، (٣٣٥): وفي الصف الثاني يُشاهد الملك يقدم العين السليمة (وزات) للآلهة «رع-حور أختي» و«تفنوت» و«شو-رع»، كما يقدم النبيذ مع أنشودة للإلهة «إزيس» وصَنَّاجة وعقد منات لإزيس، وفي الصف الثالث يقدم الملك الزهور مع أنشودة «لأوزير-أونوفريس» و«إزيس» و«حورسإزيس»، ويقدم صناجه للإلهة «إزيس» وطعامًا لها أيضًا.

(٣٣٦–٣٤٠): يُشاهد في الصف الأعلى ستة مناظر يُرى فيها الملك يقدم نسيجًا مع أنشودة للآلهة «أوزير-أونوفريس» و«إزيس» و«حربو خراتيس» كما يقدم صَنَّاجه لإزيس، وتعويذة غريبة لحتحور، وعِقْد منات لإزيس، وصورة العدالة لثالوث طيبة، ونبيذًا لإزيس و«نفتيس».

[٥٥] راجع Urk, II, 116, 47, 49.

(٣٣٦) (٣٣٧)، (٣٤٠): الصف الثاني يُشاهد فيه الملك يقدم العين السليمة مع أنشودة لحور و«حتحور» و«نفتيس» وقربانًا سائلًا مع أنشودة لإزيس، وكذلك إناء عطور على هيئة بولهول لإزيس و«نفتيس» وفي الصف الثالث ينشد أنشودة أمام «أوزير» و«إزيس» و«حتحور» وكذلك ينشد أنشودة أمام «إزيس». كما يقدم قربانًا من الخبز لإزيس و«أرسنوي الثانية»، وهاك جزءًا من أنشودة المنظر الأول:[٥٦]

> الوريث للعرش: إني أمنحك حدودك حتى الجهة التي تحبها، وإنك ملك الوجه القبلي والوجه البحري على عرش حور، والبلاد الأجنبية كلها تحت نعليك.

وعلى الأساس حول هذه الحجرة بما في ذلك قائمتي الباب والمدخلين؛ يُشاهَد الملك يتبعه آلهة النيل.[٥٧]

الحجرة الثامنة

مدخل الحجرة (٣٣٣) (أ–ب): يُشاهد على العَتَب الخارجي لهذه الحجرة «مرت» إلهة الوجه البحري (وتسمى في المتن «حعبي») تتعبد (وهي إلهة موسيقى) والإلهة «عنقت» جالسة، وبينهما طُغْراءات الملك وألقابه في أسفل، ويُشاهد على قائمة الباب الجنوبية ثلاثة متون.[٥٨]

وعلى سمك الباب يتقبل الملك الحياة من «إزيس».

(٣٤١): يشاهد منظران يقدم فيها الملك للإلهة سخمت. كما يُرى راكعًا.

(٣٤٣): ثلاثة مناظر يُرى فيها الملك راكعًا، ثم يُرى واقفًا أمام حتحور برأس بقرة، ثم يقدم نبيذًا «لإزيس» و«نفتيس».

---

٥٦ راجع Sethe, Urk, II, 120, e 5.

٥٧ راجع Sethe, Urk, II, 119, (26), a.

٥٨ راجع Benedite op. cit., on Pls. XIV–XX. PP. 41, 43, 45, 47–8, 49, 51.

الحجرة التاسعة

المدخل عند (٣٣٨): يُشاهد على العَتَب الخارجي «بطليموس الثاني» تتبعه «مرت» الوجه القبلي (إلهة الموسيقى) ويقدم قربانًا سائلًا وبخورًا للإلهة «ساتيس» ومعها متن في أسفل، ويوجد متن إهداء على العارضة اليمنى للباب، وهاك النص:[٥٩]

> ملك الوجه القبلي والوجه البحري الشاب الشجاع ... إلخ.
> لقد عمله بمثابة أثره لأمه إزيس واهبة الحياة وسيدة «فيلة».
> لقد عمل لها قاعة قربان للتاسوع الإلهي، وهي المكان الذي يرتاح فيه كل آلهة الفيلة، وإنه يحميها.

(٣٤٥): يشاهد الملك أمام الإله «شسمو» برأس كبش.

(٣٤٦): يشاهد الملك يتبعه كاهنين يحملان محرابًا، ويقدم كتانًا للإلهة إزيس والإله «حاربوخراتيس».

(٣٤٧): يشاهد الملك يقدم كتانًا للإله «أوزير» والإلهة «إزيس»، وعلى الأساس حول الحجرة تُشاهد آلهة النيل راكعة مع تماثيل صغيرة.[٦٠]

الحجرة العاشرة

(٣٤٨)-(٣٤٩): يُشاهد على عتب الباب منظر مزدوج، ويُرى فيه الملك يقدم النبيذ للإله «أوزير» والإلهة «إزيس» كما يُشاهد على عارضة الباب الشرقية ثلاثة صفوف يُرى فيها الملك يقدم عِقْدًا للإلهة «إزيس» ونبيذًا للإلهة حتحور، وكحلًا للإلهة «إزيس» وكذلك يُشاهد ثلاثة صفوف على قائمة الباب الغربية ظهر فيها الملك يقدم طعامًا لإزيس وبخورًا للإلهة «نفتيس» وزهورًا لإزيس.

---

[٥٩] راجع Sethe, Urk, II, 117–118, B.

[٦٠] راجع Benedite, op. cit., on Pl. XXI, PP. 55–6. Brugsch. Thesaurus, 1261–2, XV.

(٣٥٠ و٣٥١): نقشت على سمكي الباب نعوت جاء فيها:[٦١]

> الإله الكامل رب دخل الأغذية، وفير المحصول أكثر من رننوتت (ربة المحاصيل) ومن يأتي إليه النيل العظيم في ميعاده.
> الإله الكامل الذي يكثر الحبوب ويضاعف الثيران في الأرضين.

(٣٥٢)–(٣٥٣): العَتَب الداخلي. يُشاهد على العَتَب الداخلي مناظر مزدوجة، فعلى الجانب الأيسر يُرى الملك يقدم نبيذًا للإلهة «إزيس» ويتقبل الملك في هيئة صقر الحياة من الإلهة «بوتو» وفوقه قرص الشمس المجنح، ونقش على قائمتي الباب ستة أعمدة من النقوش ومثل الملك وهو يتقبل الحياة من الإله «تحوت» (على القائمة اليسرى) ومن حار سأزيس (على القائمة اليمنى). مع عمود كتابة إهداء خلف كل من قائمتي الباب، وهاك بعضَ متنِ الإهداء الذي على الجانب الغربي:[٦٢]

> يعيش ملك الوجه القبلي والوجه البحري الشاب الشجاع (يأتي بعد ذلك ألقاب الملك) عمله بمثابة أثر لأمه «إزيس» واهبة الحياة ربة الفيلة، الفاخرة سيدة معبدي القطرين. الذي يصدُّ البدو القاطنين جنوبي الصحراء الشرقية الخاسئين حتى أقطار «حور»، وهو الذي أقام لها قدس الأقداس وعلَّاه، وجعله مرتفعًا حتى أفق السماء، وجعلها تظهر بمثابة ملك الوجه القبلي والوجه البحري على عرش حور، وعلى عرش «جب» سرمديًّا.

(٣٥٤)–(٣٥٥): يُشاهد على هذا الجزء من هذه الحجرة في الصف الأعلى ثلاثة مناظر يُرى فيها الملك يقدم نسيجًا لإزيس وللإلهة «نوت» كما يقدم صندوقًا للإله «أوزير–أونوفريس» وللإلهة إزيس وهي ترضع طفلًا، كما يقدم صورة «ماعت» لإزيس و«لنفتيس».

وفي الصف الثاني نشاهد ثلاثة صفوف يظهر فيها الملك يقدم عِقْد «منات» للإلهتين «إزيس» و«سخمت» كما يقدم عطورًا «لأوزير–أونوفريس» و«إزيس»،

[٦١] راجع Sethe, Urk, II, 113, (23), 32; 114, (23), 34.

[٦٢] راجع Ibid., II, 117 (24), A.

ويقدم صنَّاجه للإلهتين «إزيس» و«حتحور»، وفي الصف الثالث نشاهد كذلك ثلاثة صفوف يظهر فيها الملك يقدم أزهارًا للإلهتين «حتحور» و«بوتو» كما يقدم كتانًا «لأوزير–أونوفريس» وإزيس مجنحة، ويقدم ماءً لكل من إزيس و«أرسنوي». هذا، ونقرأ نعوت الملك في الصف الأعلى ذكرها الأثري زيته وهي:[٦٣]

الإله الكامل ابن «إزيس»، المنتقم للإله و«ننفر» (وننفر أوزير المتوفَّى).
الإله الكامل القوي الساعد، والذي يحيط مصر (تامري) بذراعيه الإله الكامل غذاء مصر (كمت) وإله كل الناس.
والنيل العظيم يأتي إليه من مغارته (منبعه عند أسوان كما اعتقد المصريون).

ومن الصف الثاني المذكور سابقًا ذكر زيته المتون التالية:[٦٤]

الإله الكامل الذي يعطي مئونته أمه «إزيس»، وإنه يهديها حدودها حتى إقليم الاثني عشر ميلًا.
الإله الكامل تمثال رع الحي وريث «وننفر» (أوزير).
الإله الكامل الذي يعمل الخير في «سنموت» (بيجه) مجدد كل شيء.

(٣٥٦)–(٣٥٧): يُشاهد على هذا الجدار في الصف الأعلى ثلاثة مناظر يظهر فيها الملك واقفًا أمام كلٍّ من «إزيس» و«نفتيس»، ثم يُرى متعبدًا للإلهين «آمون رع» و«موت»، ويقدم تعويذة غريبة لكلٍّ من «إزيس» والإلهة «تفنوت».

وفي الصف الثاني يظهر الملك في ثلاثة مناظر، وهو يقدم طوقًا لكلٍّ من «إزيس» و«تفنوت»، وصورة الإلهة «ماعت» لكل من «خنوم» و«ساتيس» كما يقدم كحلًا لإزيس التي ترضع ملكًا صغيرًا، و«عنقت»، وفي الصف الثالث ثلاثة مناظر كذلك يظهر فيها الملك يقدم ماءً لحتحور وهي ترضع ملكًا صغيرًا، وتتبعه «أرسنوي الثانية»، ويقدم

[٦٣] راجع Sethe, Urk, II, 110–115, (23), 9, 21, 38.

[٦٤] راجع Sethe, Urk. II, 116, (23), 49 a; 109, (23), 5; 116, (23), 48.

صنَّاجه وعقود «منات» لإزيس و«نفتيس» والإلهة نخبت، ويقدم العين وزات (السليمة) للإله «حور سأزيس» و«حتحور» … والمتن الذي خلف نفتيس، وجزء من المتن الذي خلف «موت» ذكرهما «زيته»[٦٥] وهاك الترجمة — وهو مديح في الملك «بطليموس الثاني»:

الإله الكامل ابن «أوزير» والذي أنجبته «إزيس».
وهو الذي يغمر بيتها بجماله.
الإله الكامل مضاعف القربان، ومن مخازن غلاله تناطح السماء محيي الأرضين بفطنته ومقيم الأعياد.

والمتون التي على الصف الثاني هي:[٦٦]

الإله الكامل ابن الإله «خنوم» ومن أنجبته «ساتت» و«عنقت»، ومن يعمل الحياة لكل إنسان، ابن النيل منشئ الحقل.
الإله الكامل التمثال الحي المنتقم لوالده.
الإله الكامل عظيم القوة، قوي الساعد، وهازم البلاد الأجنبية.

نعوت الملك والمتن الذي خلف الملكة من الصف الثالث[٦٧]: الإله الكامل الذي يعمل الخيرات لأمه «إزيس» معطية الحياة.
والذي يملأ بيتها بكل شيء جميل.
الإله الكامل … أكثر من كل …؟
الذي خرج من صُلْب … بعد أن تُنُبِّئ له بالملك؟

نعوت الملكة: الأميرة الوراثية عظيمة الثناء، ربة اللطف، حلوة الحب، سيدة القطرين حاكمة مصر، ربة الأرضين «أرسنوي الثانية» عاشت سرمديًّا، الزوجة الملكية والابنة الملكية والأخت. ابنة آمون ربة الأرضين «أرسنوي» الإلهة التي تحب أخاها.

---

[٦٥] راجع Sethe, Urk, II, 110–14 (23), 8, 35.

[٦٦] راجع Sethe, Urk, II, 110–112, (23), 12, 10, 18.

[٦٧] راجع Sethe, Urk, II, 111–116, (23), 45, 16; 106, (21) A.

(٣٥٨)-(٣٥٩): يُشاهد الملك في هذه الحجرة في الصف الأعلى في منظرين مزدوجين يقدم آنية عطور على هيئة بولهول لإزيس كما يقدم للإلهة «حتحور»، وفي الصف الثاني يُرى الملك واقفًا وبجانبه منقوش أناشيد أمام إزيس، وفي الصف الثالث يقدم الملك ماءً لإزيس ويقف أمامها، ويوجد متن خلف «إزيس» في الصف الثاني، وهاك ما جاء فيه:[٦٨]

إني أمنحك الجنوب حتى إقليم الكنوز (= بلاد النوبة جنوبي مروي) وبلاد النوبة لك خاضعة أبديًّا، وإني أمنحك الشمال حتى أقاليم السماء والأخضر العظيم (البحر الأحمر) لك خاشع الرأس أبديًّا.

هذا، ويُشاهَد حول أساس هذه الحجرة آلهة النيل.

الحجرة الحادية عشرة

المدخل (٣٣٤): يُشاهد على العَتَب الخارجي الألقاب الملكية، كما يُشاهد على قائمة الباب الشرقية متنُ إهداءٍ لبطليموس الثاني، كما يُرى هذا الملك يتقبل الحياة من «حتحور».

ويُشاهد على العَتَب الداخلي ألقاب بطليموس الثاني، وعلى الجدار الجنوبي لهذه الحجرة (٣٦٠) يُرى بطليموس الثاني يتقبل الحياة من «إزيس»، وعلى الجدار الغربي (٣٦١-٣٦٢) نُقِشتْ ثلاثة مناظر يُرى فيها بطليموس الثاني يقدم مرآة للإلهة «عنقت»، وتعويذة غريبة الشكل للإلهة «بوتو» كما يقدم نبيذًا لإزيس.

ويُشاهد على الجدار الشرقي (٣٦٣-٣٦٤) ثلاثة مناظر يقدم فيها الملك عقد «منات» للإلهة إزيس وبخورًا للإلهة «نخبت» ونبيذًا للإلهة «نفتيس»، وعلى الجدار الشمالي (٣٦٥) يقدم بطليموس الثاني صَنَّاجه لإزيس و«موت» و«حتحور» كما نُقِش عليه متن في مديح الملك جاء فيه:[٦٩]

> الإله الكامل «أحي» الخاص بالذهبية (أحي بن «الذهبية» وهو لقب الإلهة حتحور) الذي يرفع الصناجة لحضرتها ليكسب حبها، ومن يرضي قلبها كل يوم.

---

[٦٨] راجع Sethe, Urk, II, 119. (26), B.

[٦٩] راجع Sethe, Urk, II, 111, (23), 14.

الحجرة الثانية عشرة

المدخل (٣٣٩): يشاهد على العَتَب الخارجي ألقاب الملك بطليموس الثاني كما يشاهد على قائمة الباب الغربية متن، وكذلك نرى الملك وهو يتقبل الحياة من إزيس أسفل المتن، ونقش على قائمة الباب الشرقية عمود متن.

أما على العَتَب الداخلي فنرى ألقاب بطليموس الثاني. هذا، ويُشاهد على قائمتي الباب متن تجديد نقشه «بطليموس الثالث».

ويُشاهد على الجدار الغربي لهذه الحجرة (٣٦٦–٣٦٧) ثلاثة مناظر يُرى فيها «بطليموس الثاني» يقدم بخورًا وماءً للإلهة «ساتيس» وكحلًا للإلهة «وبست» (إلهة تحرق الشر وهي إلهة جزيرة بيجة بأسوان) والعطور للإلهة «إزيس».

وعلى الجدار الشرقي (٣٦٨–٣٦٩) نشاهد ثلاثة مناظر يقوم فيها الملك بتقديم النسيج لإزيس، وتعويذة غريبة للإلهة «سخمت» ونبيذًا للإلهة إزيس.

وعلى الجدار الشمالي (٣٧٠) نرى الملك يقدم الماء لإزيس و«حتحور».

الأقاليم النوبية التي كانت تقدم محاصيلها للإلهة إزيس سيدة معبد الفيلة، في عهد بطليموس الثاني:[٧٠]

(١) سنموت: اسم لإقليم زراعي في المقاطعة الأولى من مقاطعات الوجه القبلي التي كانت عاصمته الفتنين، وهذا الإقليم يقابل الآن جزيرة «بيجة» الحالية المواجهة لجزيرة الفيلة جنوبي الخزان، وقد أصبحت «سنموت» في العصر الإغريقي عاصمة المقاطعة الأولى من مقاطعات بلاد النوبة من الشمال إلى الجنوب.[٧١]

(٢) حت خونت: اسم من الأسماء التي أُطْلِقت على جزيرة «الفيلة» التي تؤلف جزءًا من المقاطعة الأولى من مقاطعات الوجه القبلي، وهي تحدد البداية نحو الجنوب للإقليم المصري الحقيقي، وفي العهد الإغريقي أصبحت «فيلة» عاصمة لأحد المراكز التي انقسمت إليها بلاد النوبة.[٧٢]

---

[٧٠] راجع Bénédite, Philae, T. S, L.D. T. IV, 159; Sethe, Urk, II, 120, 27.

[٧١] راجع G. Dic. Geogr. V. P. 40.

[٧٢] راجع Ibid., V. P. 120.

(٣) بر-مرت: إقليم من أقاليم بلاد النوبة المستقلة (ويدعى بالإغريقية موروت Μορоθ) ويمكن تقريب هذا الاسم من قرية «مرة» الحالية الواقعة على الشاطئ الأيمن للنيل قبالة «دندور».[٧٣]

(٤) باكت: اسم الإقليم الثاني عشر (المقدس للإله حور) وعاصمته تدعى كذلك بنفس الاسم، ومن الجائز أن هذه العاصمة هي حصن «باك» أو «باكي».[٧٤]

ونجد في المتن بعد ذلك ستة أسماء قد سقطت من هذه القائمة:

(٥) اتفيتي: أحد الثلاثة عشر مركزًا التي تتألف منها بلاد النوبة (كنستي) ومنه كان يستخرج المصريون نوعًا من أحجار الكرنالين، وكانت تُعبَد فيه آلهة تمثل حتحور محلية، وقد وضعها الأثري «بدج» بالقرب من بوهن (وادي حلفا) الحالية.[٧٥]

(٦) تاواز: هذا المكان وجد أحيانًا ببلدة أوتوبا Autoba وأحيانًا ببلدة تاسيتيا τασιτια البطليمية، ولكن من جهة أخرى يرى الأثري «بدج» أنها بلدة بالقرب من وادي حلفًا، وهذا الإقليم كان ينتج الزمرد؛ ومن المحتمل أن اسم هذه البلدة قد اشتُق من اسم هذا الحجر الكريم الأخضر.[٧٦]

(٧) بانبست: الإقليم الثامن من أقاليم بلاد النوبة المستقلة، وكذلك يطلق نفس الاسم «بانبست» على عاصمة الإقليم، والإله الذي يُعبَد فيه بصورة بارزة هو الإله تحوت (بنوبس) وقد اختلف الأثريون في موقع هذا الإقليم؛ فمنهم من يقول إنه في بلاد النوبة السفلى (كوتة-أوفندنية) أو «المحرقة» ومنهم من يضعه شمالي «نباتا»، وقد تحدثنا عن موقع هذا الإقليم في غير هذا المكان (راجع مصر القديمة الجزء ١٢) حيث إن «كنوبس» تقع في إقليم الشلال الثالث مكان جزيرة «أرجو».[٧٧]

(٨) بتن حور: يقال إن هذا الإقليم يقع بين الشلالين الثالث والرابع، وفيه يعبد الإله «حور» بوجه خاص.[٧٨]

---

[٧٣] راجع Ibid, II. P. 87.

[٧٤] راجع Ibid., II. P. 7.

[٧٥] راجع Ibid., I. P. 36 and 117.

[٧٦] راجع G. Dec. Georgr. T. VI. P. 9.

[٧٧] راجع Ibid., II. P. 38.

[٧٨] راجع Ibid., II, P. 154.

(٩) نابت (نباتا): إقليم سوداني يقع عند نهاية الحدود الجنوبية من أول الإمبراطورية المصرية في عهد الأسرة التاسعة عشرة بالقرب من جبل «برقل».

ومدينة «نباتا» كانت مقدسة للإله آمون صاحب طيبة، وقد سماها الجغرافيون الإغريق «نباتا» وقد أُرِيد الربط بينها وبين «أبت» وهو معبد آمون في طيبة.[٧٩]

(١٠) مروي: بلدة «مروي» هي عاصمة الجزيرة التي تسمى بنفس الاسم، وقد أصبحت عاصمة المملكة النوبية بعد انحطاط «نباتا».[٨٠]

(١١) بح-قنس: يقع هذا الإقليم في أقصى الجنوب من بلاد النوبة، وهو أحد الثلاثة عشر قسمًا التي انقسمت إليها بلاد النوبة.[٨١]

معبد الدكة (بيسلكيس)

لا نزاع في أن «بطليموس الثاني» كان له يد في إقامة بعض المباني في معبد «الدكة» فقد وُجِد اسمه منقوشًا مع زوجه «أرسنوي الثانية» على عُمُد مدخل المعبد، وقد هُشِّمت كل العُمُد إلا أجزاء من العمود الشرقي عليها اسم بطليموس الثاني، وكذلك وُجِد اسم بطليموس الثاني في النقوش التي على الباب الداخلي للمعبد.[٨٢]

الواحة الخارجة: معبد آمون في «هيبيس»

من المحتمل أن بطليموس الثاني هو الذي أقام البوابة الكبيرة في معبد الواحة الخارجة، ويُشاهد على الجزء الأيسر من سمك المدخل الملك يقدم رمز ملايين السنين لثالوث «طيبة» (آمون وموت وخنسو) وإلى الإله «شو» والإلهة «تفنوت».[٨٣]

---

[٧٩] راجع G. Dic. Geogr. III. P. 86-7.

[٨٠] راجع Ibid., III. P. 12.

[٨١] راجع Ibid., II. P. 148.

[٨٢] راجع Porter and Moss., VII. P. 44-45.

[٨٣] Temple of Hlbis in El Kharga Oasis. P. III. Pls. 71, 80; Porter and Moss, VIII. P. 278.

الفصل الثاني

الوثائق الديموطيقية التي من عهد بطليموس الثاني

أوردنا فيما سبق عند التحدث عن «بطليموس الأول» عددًا عظيمًا من الوثائق الديموطيقية، وبخاصة الوثائق المحفوظة بالمتحف البريطاني، وهي التي ترجمها وعلق عليها الأستاذ «جلانفيل»، ثم الأوراق المحفوظة بمتحف فيلادلفيا ومتحف القاهرة، وهي موضوع رسالة الأستاذ مصطفى الأمير، وسنتابع هنا أولًا ترجمة ما وجد من نصوص ديموطيقية خاصة بالملك «بطليموس الثاني» من هذين المصدرين السابقين؛ لأهميتهما من جهة، ولارتباطهما الواحد بالآخر من جهة أخرى كما أثبتنا ذلك من قبل.

(١) وثائق المتحف البريطاني[١]

(١) الورقة الأولى (رقم ١٠٥٣٧) مقاسها ١٣٫٣ × ١٧٫٢سم. اللوحة رقم ١٢.

الموضوع: مستند عن ضريبة دفعتها «تيأنتي» ابنة «جحو»، وهذه الضريبة خاصة بثمن شراء بيت رجل يُدعى «بابوخي» بن «أوي-رع» (؟).

كاتب الوثيقة: هو «بتيزي» بن «بشنخنس».

[١] Glanville. Cat. Dem. Pap. P. 40 ff.

التاريخ: ١٤ مايو سنة ٢٨٤ق.م (وإذا سلمنا أن هذا المستند من عهد بطليموس الثاني فإن التاريخ لا بد أن يكون ٢٨٣-٢٨٢ق.م على أرجح الأقوال).

نص المستند: دفعت المرأة «تيأنتي» ابنة «جحو» قدتين ونصف قدت، وهي ضريبة العشر عن البيت الذي اشترته من «بابوخي» صانع الصاري (؟) في شهر أمشير من السنة الواحدة والعشرين (= أبريل ٢٨٤ق.م) وذلك بحضور «أكزنانتوس» مأمور الضرائب ووكيل الحصاد.

كتبه: «بتيزي» بن «بشنخنس» في السنة الواحدة والعشرين في الرابع من برمودة.

ومن هذه الوثيقة نفهم أنه كانت توجد ضريبة تُدفَع عند شراء أي بيت، وكانت تقدر على ما يظهر بعُشْر الثمن، وقد حضر هذا الشراء مأمور الضرائب، ويُلْحَظ أن المأمور في هذه الوثيقة كان إغريقيًّا لا مصريًّا مما يبرهن على ما يظهر أن الوظائف الحكومية وقتئذٍ كانت في أيدي الأجانب المستعمرين، كما أوضحنا ذلك في الجزء السابق من هذه الموسوعة.

(٢) الورقة الثانية (رقم ١٠٥٣٠) ومقاسها ٨ × ٣٨٫٨ سنتيمترًا.

الموضوع: مستند عن ضريبة دفعتها «تيأنتي» ابنة «جحو» عن ثمن شراء بيت من «بابوخي» بن «أوي-رع» (؟).

الكاتب: «أوزير-ور» بن «أسبوتو» Espoteu.

التاريخ: ٧ مارس سنة ٢٨٣ق.م.

نص الوثيقة: دفعت «تيأنتي» ستة قدات فضة، وهي ابنة «جحو» السقاء، وذلك ضريبة العشر للكُتَّاب التابعين لوكلاء (مركز؟) طيبة، لأجل بيت «بابوخي» صانع الصاري، وهو الذي باعه (أي البيت).

كتبه كاتب أرض مركز طيبة (المسمى) «أوزير-ور» بن «أسبوتو» الكاهن (خادم الإله) في السنة الثانية ٦ طوبة من حكم بطليموس بن «بطليموس».

(٣) الورقة الثالثة (رقم ١٠٥٣٦) ومقاسها ٩٫٥ × ٢٠٫٣ سنتيمترًا (PI. 12).

الموضوع: مستند عن ضريبة دفعتها «تيأنتي» ابنة «جحو» عن شراء بيت تيحور ابنة «حار سائيسي».

الكاتب: «أسمن» بن «بهيب».

التاريخ: ٢٢ يناير سنة ٢٧٨ق.م.

نص العقد: دفعت تيأنتي ستة قدات فضة، وهي ابنة «جحو» السقاء بمثابة ضريبة السدس عن البيت الذي اشترته من المرأة «تيحور» ابنة حار سائيسي المرتل بحضور «زنودوروس» مأمور الضرائب (؟).

كتبه: «أسمن» بن «بهيب» الذي … ضريبة، والوكيل هو «بهيب» بن «حارنوفي» في السنة الخامسة ٢٣ هاتور.

(٤) الورقة الرابعة (رقم ١٠٥٣٥) مقاسها ١٤٫٤ × ١٠٫٥ سنتيمترًا.

الموضوع: مستند عن ضريبة دفعتها «تيأنتي» ابنة «جحو» عن شرائها بيت «تيحور» ابنة «حار سائيسي».

الكاتب: «أوزير-ور» بن «أسبوتو».

التاريخ: ١٩ أبريل سنة ٢٧٩ق.م.

نص الوثيقة: قدتان فضة دفعتهما «تيأنتي» ابنة «جحو» السقاء بمثابة ضريبة العشر لكُتَّاب وكلاء طيبة لأجل بيت «تيحور» ابنة «حار سائيسي» المرتل، وهو الذي باعته.

كتبه كاتب أرض مركز «طيبة» «أوزير-ور» بن «أسبوتو» الكاهن (خادم الإله) في السنة السادسة شهر أمشير من عهد «بطليموس» بن «بطليموس».

(٥) الورقة الخامسة (رقم ١٠٥٢٩) مقاسها ٥٫٤ × ٣٩٫٣ سنتيمترًا.

الموضوع: مستند عن ضرائب دفعتها تيأنتي ابنة حجو عن ثمن بيتي «بابوخي» بن «أوي-رع» (؟) و«تيحور» ابنة «حار سائيسي».

الكاتب: «زيوح» بن «جخنسر تايس».

التاريخ: ٢٨ فبراير سنة ٢٧٦ق.م.

النص الذي على وجه الورقة: ستة قدات أي ثلاثة ستاتر؛[٢] أي ستة قدات ثانية، وهي التي دفعتها «تيأنتي» ابنة «جحو» بمثابة عشر الثمن لبيت «بوباخي» بن «أوي-رع»

[٢] يلاحظ هنا أن هذه هي الورقة الوحيدة من مجموع هذه المستندات التي ذكر فيها النقد المصري، وما يقابله من النقد الإغريقي.

(؟) وثمن بيت «تيحور» ابنة «حار سائيسي»؛ أي بيتان مجموع ما باعته، وهذا العشر لأجل كتَّاب التحصيل وضباط «طيبة».

كتبه كاتب أرض طيبة «أزيوح» بن «جخنسر–تايس» كاتب طائفة الكهنة في السنة التاسعة أول طوبة من عهد الفرعون بطليموس بن بطليموس.

وكتب على ظهر الورقة ما يأتي:

ما تسلمه هو ستة قدات من «شب؟ تت» ابن … قدتان أحموس بن لاشاني قدتان.

وما أعطته إياي هو قدتان.

تعليق: هذه الوثائق الخمس عبارة عن مستندات رسمية عن ست دفعات ضرائب، ويُلْحَظ أولًا أنه في أربع حالات منها كانت ضريبة العشر تدفعها «تيأنتي» عن بيتين اشترتهما (وضريبة العشر كانت فريضة على نقل الملكية، وكانت تزداد أحيانًا إلى الخمس في عهد البطالمة الذين جاءوا بعد)، وأحد هذين البيتين هو بيت «بليهى» و«تيحور» والآخر لرجل غير معروف يُدْعى «بابوخي» بن «أوي–رع» (؟).

وقد دُوِّنَتْ ثلاثَ دفعاتٍ عن كل بيت، ولكن على الرغم من أن «تيأنتي» اشترت بيت «بوباخي» منذ خمسة أعوام ونصف قبل أن تشتري بيت «تيحور» فإن آخر (؟) دفعات ضرائب مستحقه على كلٍّ منهما قد دفعت في وقت واحد، ودونت سويًّا في الوثيقة ١٠٥٢٩.

ويُلحَظ أنه كان يُسْتَعمل طرازان من الصِّيَغ في تحرير هذه المستندات؛ إحداهما قصيرة، والأخرى طويلة؛ فالقصيرة استُعملت في الدفعة الأولى، والطويلة استعملت في المستندات الأربعة الباقية. هذا، ويُخيَّل أن الصيغة القصيرة كانت تسمى فيها الضريبة النصيب (ب تن) وهو اللفظ الإغريقي العادي المعبر عن «أبومويرا» Apomoira أي العشر أو ضريبة العشر، وهي التي أصبحت تطلق بوجه عام في تلك الفترة على ضريبة السدس التي كانت تُحصَّل عن إنتاج الكروم والحدائق، وقد كتب الكثيرون عنها واختلفت الآراء فيها، ويمكن تلخيص موضوعها فيما يلي: عندما تولى «بطليموس الثاني» عرش الملك كان للمعبد المصري حق فرض ضرائب على ملاك الكروم والبساتين وحدائق المطابخ تقرر مقدارها على حسب المحصول، وقد سُميت بالإغريقية «أبومويرا» وكان المَتحصَّل

منها يُصرَف في إقامة الشعائر الدينية عند المصريين، وهذا الحق في فرض هذه الضريبة كان إرثًا ورثته الآلهة عن العهد الفرعوني على ما يبدو، ولكن في عام ٢٦٤ق.م أحدث «بطليموس الثاني» تغيرًا محَسًّا في هذه الضريبة فحدَّد هذا العاهل هذه الضريبة المسماة «أبومويرا» فجعلها سدس المحصول على أن يُدفع عينًا لا نقدًا (أي إن هذا السدس كان يدفع بعدد من جِرار النبيذ الناتج من الكروم)، وكانت تُدْفَع نقدًا على البساتين وحدائق المطابخ.

وقد قُرِّرت هذه الضريبة بقانون جديد أصدره الملك لعبادة «أرسنوي الثانية» التي كانت مؤلَّهة، وتُنْعَت بالإلهة «فيلادلفوس» فكانت تُصْرَف على إقامة شعائرها وتقديم القربان لها، وقد قرر فرض هذه الضريبة من عام ٢٦٥–٢٦٤ق.م فما بعدُ، على ألا يكون في أيدي الكهنة، بل في يد الحكومة.

والواقع أن كلَّ ذلك لا غبار عليه، غير أن تفسير هذا الإجراء قد نظر إليه علماء الآثار في العهد البطلمي بنظرتين متضادتين؛ الأولى: أن فريقًا عده خسرانًا لدين الدولة أي الديانة المصرية القديمة، وفائدة لدخل التاج؛ أي إنه كان حدثًا يعد نَهْبًا كما يقول المؤرخ «مهفي»، ولكن تدل شواهد الأحوال على أن هذا الإجراء كان يُعَد حيلة سياسية للتغطية على الاستيلاء على الإيرادات المقدسة التي كان يسعى إليها «بطليموس الثاني» تحت ستار هبة أو وقف ديني، وعلى حسب هذا الرأي نجد أن كل ضريبة «أبومويرا» قد حُوِّلت إلى خزانة الملك، وأنه قد عوَّض المعابد المصرية عن ذلك بما كان يعطيه للمعابد بصفة إعانات أو إحسانات سنوية، وهذا الرأي القائل بأن هذا الإجراء كان في غير مصلحة المعابد، وفي فائدة الملك قد وافق عليه — خلافًا للمؤرخ «مهفي» — المؤرخون «بوشيه لكلرك» و«روستوفتزف» و«شوبارت». ومن جهة أخرى نجد أن الرأي الآخر — وهو الذي نادى به المؤرخ «أتو» — على النقيض من الرأي السابق، وهو القائل إن هذا الإجراء كان في صالح المعابد المصرية، وتفسير ذلك أن ضريبة «أبومويرا» التي فرضتها الحكومة قد سُلِّمت بأكملها لإقامة الشعائر الدينية، واستُعملت فعلًا — كما يقول «أتو» — للتضحيات والقربان، وأن ما جنته الحكومة من هذه الضريبة هو أن أصبح الكهنة مرتبطين بهذه الضريبة كما كانوا يرتبطون بأية هبة بنظام الحكم القائم قانونًا في البلاد، وكذلك بالإلهة «أرسنوي» التي من أجلها خُصِّص هذا الإيراد بوصفها ميتة، ومن أفراد البيت المالك.

أما المؤرخ العظيم «فلكن» فقد كان بالنسبة لهذه الضريبة قلبًا في رأيه، وذلك لأنه عندما كتب في مؤلفه المسمى «أوستراكا»[٣] رأيه في هذا الموضوع نجد أنه قد وافق على الرأي الأول، ولكن نجده في نفس هذا المؤلف في ص٦١٥ قد أعاد النظر في رأيه هذا، ووافق على رأي «أتو»، وأخيرًا نجده في كتاب آخر من كتبه[٤] يعود ثانية إلى القول بأن قانون عام ٢٦٤ق.م الخاص بضريبة «أبومويرا» كان ضربة قاسية لطبقة الكهنة المصريين، وذلك لأن ضريبة «أبومويرا» التي كانت حتى الآن مخصصة للكهنة المصريين قد حُوِّلت لصالح بطليموس الثاني.

ومما سبق نرى أنه ليس لدينا دليل حتى الآن يبرهن على أن ضريبة «أبومويرا» كانت تستعملها الحكومة لأغراض دنيوية، ومن ثَمَّ فإنه لما كان البطالمة يهبون مبالغ كبيرة للمعابد المصرية البحتة فإنه ليس لدينا سبب يجعلنا نفرض أن الـ «أبومويرا» لم تكن جميعها مخصصة لعبادة «أرسنوي» في المعابد المصرية.

وإذا كان الأمر كما ذكرنا فإنه لا يكاد يحق لنا أن نظن أن المعابد قد تضررت ماليًّا بالإجراء الذي عُمِل عام ٢٦٤ق.م، بل نجد من جهة أخرى أن سَنَّ هذا القانون كان القصد منه الزيادة في مراقبة الدولة للديانة المصرية، وكذلك خلق إغراء جديد في نفوس رجال الدين لحب الأسرة المالكة، واتباع سياستها، وبخاصة عندما نعلم أن «بطليموس الثاني» كان أول من تشبه بالفراعنة المصريين، وعلى أية حال لا يمكن القول أن هذا الإجراء كان عملية نهب واغتصاب، بل يجوز وصفه بأنه إجراء ينطوي على الاستعباد المقنَّع، وطالما استُعبد الإنسان إحسانًا، وهذا يتفق على ما يُظَن مع سياسة البطالمة عامَّة وقتئذٍ؛ لأنه لم يكن من صالحهم، أو من أغراضهم إفقار المعابد المصرية، بل كان قصدهم ومطمح آمالهم السيطرة على كهنة المعابد المصرية لا من أجل إيراداتها؛ بل الواقع أن ملوك البطالمة كانوا على استعداد للإنفاق على شعائر الديانة المصرية؛ وذلك لكي تصبح هذه الديانة آلة لإخضاع عقول الشعب المصري لحكمهم وسياستهم.[٥]

---

[٣] Wilcken Ostraka, vol. I, (1899). P. 158.

[٤] Wilcken Grundzuge, (1912). P. 94–95.

[٥] راجع Thompson, The Theban Ostraka. P. 24, No. 10; S. Wallace Tastion in Egypt from Augustus to Diocletian. PP. 53; Bevan History. P. 183 ff.

ومما سبق نفهم أن ضريبة أبومويرا «العشر» كانت في هذا الوقت؛ أي في بداية عهد «بطليموس» الثاني المبكر، أي قبل تحوليها لإقامة شعائر «أرسنوي» الثانية؛ تذهب للمعابد مباشرة وتدفع غلة، والضريبة التي وُصِفت في مستنداتنا هنا ضريبة دُفِعت نقدًا، والظاهر أنها كانت مستحقة على «تيأنتي» بسبب شرائها البيتين؛ أي إنها كانت بالدقة مثل نفس الضريبة التي سميت العشر في الإيصالات الأخرى، هذا إذا سلَّمنا (أولًا) أن القدتين ونصف قدت التي دفعت في كل حالة بمثابة «ب-تن» (أي نصيب ١ / ٦) وفي الوثيقة ١٠٥٣٧ على بيت «بابوخي» وفي الوثيقة ١٠٥٣٦ على بيت «تيحور» تقابل قيمة سدس محصول الكروم والحدائق الذي كان يُدْفع غلة لا نقدًا أبدًا، وهذا يعني أننا نحمل الترجمة الديموطيقية بما لا يتفق مع الواقع، و(ثانيًا) كانت ضريبة العشر فعلًا في ذلك الوقت يحصِّلها موظفو الحكومة، وهذا لا يكاد يكون هو الواقع قبل أن حوَّل بطليموس هذه الضريبة لإقامة شعائر «أرسنوي فيلادلفوس» في عام ٢٦٥-٢٦٤ق.م، والظاهر أن معلوماتنا المستقاة من المصادر الإغريقية بوجه عام، ومن قوانين الإيرادات التي سنَّها «بطليموس الثاني» بوجه خاص لا يمكن تطبيقها على هذا الموضوع بسبب الأحوال التي كانت تجري في العهد المبكر جدًّا من عهد البطالمة.

(٢) الأوراق الديموطيقية المحفوظة في متحف جامعة «فيلادلفيا» والقاهرة

(٢-١) وثيقة طلاق يرجع عهدها إلى حكم الملك بطليموس الثاني

وهي من الأهمية بمكان؛ لأنه لم يُعْرَف حتى الآن إلا ثماني أوراق دُوِّنت بالديموطيقية، منها واحدة ممزقة تمامًا، وثلاثة أخرى ممزقة بعض الشيء، وعلى ذلك لا يوجد عدا الورقة التي سنترجمها هنا إلا أربع ورقات سليمة أطولها محفوظة بالمتحف البريطاني، والثلاث الأخر قصيرة ومحفوظة بمتحف برلين.[٦]

[٦] راجع Mlzrain journal of Papyrology, l. P. 136.

ترجمة الورقة:

التاريخ: السنة الرابعة شهر طوبة من عهد الملك له الحياة والفلاح والصحة بطليموس له الحياة والفلاح والصحة ابن بطليموس له الحياة والفلاح والصحة.

الطرفان المتعاقدان: (١) لقد أعلن حانوتي «أمنؤبي» في غربي طيبة (واسمه) «أمنحوتب» بن «باتحوت» وأمه (هي) «تاماتري» (٢) المرأة «تيحاب» ابنة «بكرور» وأمه «تيبا».

العقد: لقد سرحتك بوصفك زوجة، وإني بعيد عنك على حسب قانون الزوجية، وإني أنا الذي قلت لك اتخذي لنفسك زوجًا.

ولن يكون في استطاعتي أن أقف في وجهك في أي مكان تذهبين لأجل أن تتخذي لنفسك زوجًا هناك.

الصيغة القانونية: وليس لي أي حق مهما كان على الأرض باسم زوجة من اليوم فصاعدًا عن طيب خاطر دون إبطاء، ودون أي ضربة.

كتبه: «توت» بن «أسمن».

وكُتِب على ظهر الورقة إمضاءات أربعة شهود، وذكر كل واحد منهم اسمه واسم والده.

والأوراق الأخرى التي من عهد «بطليموس الثاني» أصلها من سجل أوراق أسرة يرجع عهدها إلى ما قبل الإسكندر الأكبر، وقد ترجمنا بعض هذه الوثائق في عهود الملوك التي حُرِّرت في زمنهم إلى «عهد بطليموس الثاني» وهاك الوثائق التي حُرِّرت في عهد الملك الأخير.

(٢-٢) الوثيقة الأولى: عقد بيع جزء من بيت

التاريخ: السنة الثالثة من عهد بطليموس بن بطليموس (أي بطليموس الثاني) أول مارس سنة ٢٨٢ق.م.[٧]

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: المرأة «تامين» ابنة «حح» وأمها (هي) «أسحار-بخرات».

---

[٧] راجع Ph. X. Mizraim, VIII. Pl. 11–12.

الطرف الثاني: حانوتي «أمنؤبي» في غربي طيبة (المسمى) «وسرور» بن «جحو» وأمه (هي) تامين، ابني.

العقد: لقد نزلت لك عن ٢ / ٣ بيتي المبني والمسقوف الواقع في القسم الشمالي من طيبة في بيت البقرة، وحدوده هي:

جنوبه: بيت مستروفوروس Mistrophoros (كاهن) معبد آمون (واسمه) «بتاشوخي» وبيت محنط جبَّانة «جمى» (المسمى) «بليهي» بن «تتارتايس» وبيت لشرحه «بشنيمن» «حارسئيس» وبيت حانوتي «أمنؤبي» في غربي طيبة «بتنفرحتب» بن «ألوجي»: أي أربعة بيوت مبنية ومسقوفة وشارع الملك بينها.

شماله: بيت حانوتي «أمنؤبي» في غربي طيبة «أفو» بن «جحو» وبيت «كلوج» بن «بامني» وهو مِلْك أولاده، وبيت صائغ معبد «آمون» «تثمن» بن «حور»، ويملكه «فيب» بن «تثمن»: المجموع ثلاثة بيوت مبنية ومسقوفة.

شرقه: بيت «بتسمتن» ملك عامل في حوض ترميم السفن (واسمه) «بتنفتوم» بن «أسمن» وبيت كاتب مقاطعة طيبة (واسمه) «فيب» بن «بتحر برع» وهو ملك أولاده، والمجموع بيتان مبنيان ومسقوفان.

غربه: بيت الكلازيريس (= جندي) معبد آمون (المسمى) «حور» بن «شيشنكعنخ» وبيت شرحه «بتحار برع» بن «برسي»؛ أي بيتان مبنيان ومسقوفان لتتم حدود البيت بالإضافة إلى ثلثيك من قبوري، ومزارات قبوري التي في جبَّانة «جمى» وهي التي حررت لك من أجلها اتفاق (بيع) في السنة الثالثة عشرة شهر برمودة من عهد بطليموس (سوتر الأول) فهي ملكك و٢ / ٣ البيت ومقابرك ومزارات مقابرك السابقة الذكر.

الصيغة القانونية: ليس لي أي حق — مهما كان — عليك فيما يتعلق بها من الآن فصاعدًا، وإن من سيأتي إليك بخصوصها باسمي أو باسم أي شخص مهما كان فإني سأبعده عنك؛ ولك الحق عندي بسبب حق اتفاق البيع الذي حرَّرتُ لك بخصوصها في السنة الثالثة عشرة شهر برمودة من عهد الفرعون بطليموس (سوتر) الأول (٢٢ يونيو سنة ٢٩٢ق.م) وذلك بأن أدفع لك حقها في أي وقت فضلًا عن المستند أعلاه؛ لأتمم وثيقتين، وإني سأؤدي لك تعهدها (ضمان ملكيتها) في أي وقت.

كتبها: «بنحور» بن «أسمن».

وشهد على العقد ١٦ شاهدًا، وفي أسفل العقد توجد أربع نسخ منه تأكيدًا لصحته.

(٢-٣) عقد إيجار من عهد بطليموس الثاني [٨]

التاريخ: السنة الثامنة شهر بَشَنْس من عهد الفرعون بطليموس ... (الثاني ٢٨ يونيو سنة ٢٧٧ق.م).

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: تي (با) ابنة «جحو» وأمها (هي) «تامين».

الطرف الثاني: «تائنت» ابنة «جحو» وأمها (هي) «تامين».

العقد: لقد أجرت ... في القسم الشمالي لطيبة في بيت البقرة ... وحدود هذا البيت ... ابن «الوج»:

الشمال: بيت ... بينهما.

وشرقه: بيت «حاربائيسي» بن «بانا» المحنِّط ... الجدار الساند.

غربه: ... بيتك كله الذي اشتريته من المرأة «تيحور» ...

وسأسكن البيت ... من السنة التاسعة شهر بَشَنْس اليوم الأول حتى السنة العاشرة شهر برمودة اليوم الأخير؛ أي ١٢ ١/٦ شهرًا أي سنة، أي ١٢ ١/٦ شهرًا ثانيةً والخشب والباب ... لن يكون في قدرتي أن أقول هذا الإيجار تجدد لمدة سنة ... وسأقوم بأداء ذلك لك على حسب الشرط في أي وقت ... انتهاء ... وسأخلي البيت المذكور أعلاه في حضرتك، وإذا قصرت في ... المذكور أعلاه فإني سأدفع قطعتين من الفضة (دبنين) أي عشرة ستاتر أي قطعتين من الفضة ثانية.

كتبه: «أسمن» بن «فيب».

شهد على ذلك اثني عشر شاهدًا.

---

[٨] راجع Ph. VII. Mizraim. Pl. VIII.

(٢-٤) وصية من عهد بطليموس الثاني [٩]

التاريخ: السنة الثانية عشرة، شهر كيهك، من عهد «بطليموس» بن «بطليموس» (٢٩ يناير سنة ٢٧٢ق.م).

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: حانوتي أمنؤبي في غربي طيبة (المسمى) أمنحوتب ابن «بارت» وأمه (هي) «تامين».

الطرف الثاني: المرأة «تيبا» ابنة «جحو» وأمها (هي) «تامين»

العقد: لقد أرضيت قلبي لأتفق على ثمن كل شيء أملكه، وقائمتها هي: نصيبي الذي يخصني في بيت المرأة «تامين» ومقابري التي في جبَّانة «جمى» ومرتباتها وسلعها، وكل شيء يأتي منها، وكل شيء يُتَسلَم منها، وما سيضاف إليها من حقل المعبد والبلد، وكل شيء وكل ملكية أملكها من بيت وأرض غير مبنية وأرض ... ودخل وعبد وأمة وماشية، وفضة ونحاس، ونسيج وأي نوع من الحبوب وأي أثاث حجرة، وأية حجة بيت فقد وهبتها لك وهي ملكك، وكل ما أملك مما سبق ذكره بالإضافة إلى كل ما سأحصل عليه.

الصيغة القانونية: ليس لي أي حق — مهما كان — عليك بخصوصها (أي الأشياء المذكورة أعلاه) ولن يكون لأيِّ إنسان حقٌّ في استعمال السلطة عليها مهما كان بما في ذلك شخصي، إلا أنت من اليوم فصاعدًا، وإن من سيأتي إليك بخصوصها باسمى أو باسم أي شخص مهما كان فإني سأجعله يتنحَّى عنك، وإني سأطهرها لك من كل حق ومن كل أمر مهما كان في أي وقت، فحقوقها حقوقك في كل مكان تكون هي فيه، وكل مستند يكون قد عُمِل بخصوصها، وكل مستند يكون لي فيه حق شرعي فإنه يكون حقَّك بالإضافة إلى حقها، ويكون حقي الشرعي فيها حقك.

أما عن اليمين أو البينة الذي سيُطلَب إليك أداؤه في محكمة العدل باسم الحق المخوَّل باسمها على حسب المستند الذي حُرِّر لك، ويُقْضَى عليَّ بأدائه فإني سأؤديه دون ادِّعاء أيِّ حق أو أي شيء مهما كان عليك.

كتبه: «بنحور» بن «أسمن».

---

[٩] راجع .Ph. XIII. Mizraim. Pl. VIII, 15-16

شهد على ذلك ١٦ شاهدًا.

وتوجد أربع نسخ من هذه الوثيقة كتبها أربعة من ضمن الشهود.

(٢-٥) عقد زواج من عهد بطليموس الثاني[١٠]

التاريخ: السنة الواحدة والعشرون شهر أبيب في عهد بطليموس بن بطليموس ابنه (أي بطليموس الثاني الذي كان شريكه في الملك) ٢٤ أغسطس ٢٦٤ق.م في حين كان «فيليب» بن الإسكندر كاهن الإسكندر والإلهين الأخوين (أدلفي)، وكانت «منسترات» Mensstrate ابنة تساركوس Thesarkos حاملة السلة الذهبية Kanephoros لأرسنوي فيلادلفوس.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: كاهن «أمنؤبي» في غربي طيبة (المسمى) «بارت» بن «أفو» وأمه (هي) «تارت».

الطرف الثاني: المرأة «تنفرت» ابنة «وسررو» وأمها (هي) «تيبا».

العقد: لقد اتخذتك زوجًا، وقد وهبتك قطعة فضة واحدة؛ أي خمسة ستاتر، أي قطعة واحدة من الفضة ثانيةً، وذلك بمثابة صداق، وسأعطيك أربعة مكاييل من القمح كل يوم، ونصفها مكيالان من القمح، أي أربعة مكاييل من القمح ثانيةً كل يوم، وستة قدات؛ أي ثلاثة ستاتر، أي ستة قدات ثانيةً لأجل ملبسك كل سنة، وهنا واحدًا من الزيت كل شهر، أي اثني عشر هنا كل سنة، ونصف قدت؛ أي ربع ستاتر، أي نصف قدت ثانية مصروف جيب كل شهر، وتسعة قدات لأجل طعامك وملبسك، وسأعطيها إياك كل يوم وكل شهر وكل سنة.

الصيغة القانونية: وإنه في قدرتك أن تحجري (عليَّ) فيما يخص المتأخر من مؤنتك وملابسك التي تكون مستحقة عليَّ في مدة سنة، وإني سأعطيك إياها، وإذا طلقتك أو كرهتك أو أحببت امرأة أخرى غيرك فإني سأعطيك خمس قطع من الفضة؛ أي خمسة وعشرين ستاتر، أي خمس قطع من الفضة ثانية، فضلًا عن قطعة الفضة هذه؛ أي خمسة ستاتر، أي قطعة الفضة المذكورة أعلاه، وهي التي أعطيتك إياها

[١٠] راجع Ph. XIV. Mizraim, VII. P. 9–10.

صداقًا لك، وذلك لتكمل ست قطع من الفضة؛ أي ثلاثين ستاتر، أي ست قطع من الفضة ثانية، وإني سأعطيك نصف كل شيء وكل متاع أملكه وما سأحصل عليه، وأنا معك من اليوم فصاعدًا دون الحاجة إلى إبراز مستند مهما كان ضدك.

كتبه: «أسمن» بن «فيب»

الشهود: ستة عشر شاهدًا.

(٢-٦) عقد رهن من عهد بطليموس الثاني[١١]

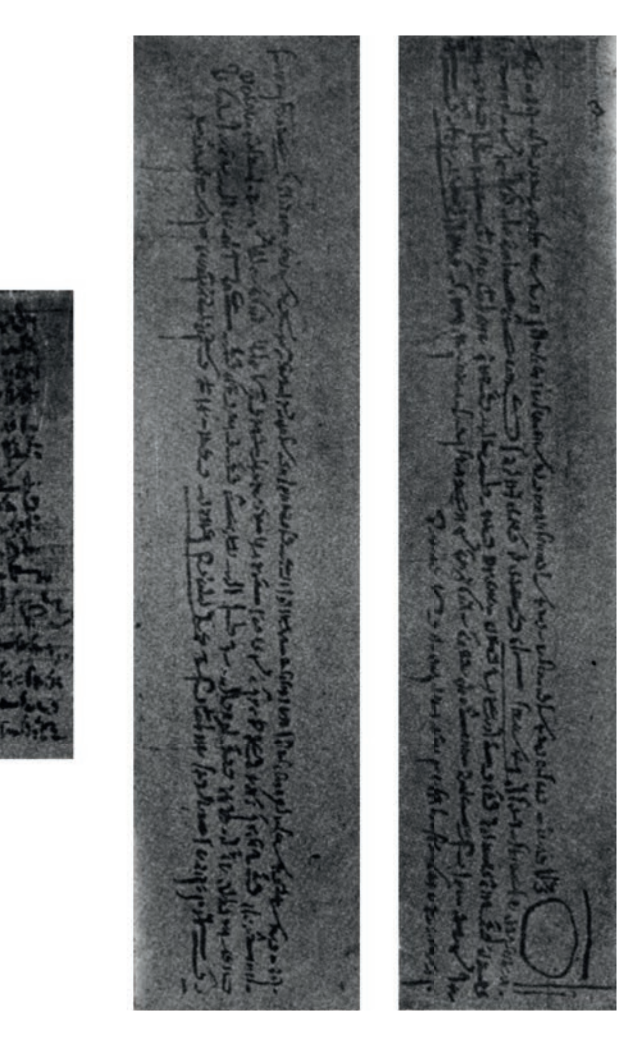
التاريخ: السنة السادسة والعشرون، شهر أمشير من عهد الفرعون بطليموس بن بطليموس وابنه بطليموس (بطليموس الثاني وشريكه في الملك بطليموس الثالث ٢٦ مارس سنة ٢٥٩ق.م) في حين كان «مديوس» Medeios ابن «لاجون» Lagon كاهن الإسكندر والإلهين الأخوين، وفي حين كانت «متالا» Metala ابنة أنتروجتوس (فيلادلفوس)، «حاملة السلة الذهبية» Kanephoros لأرسنوي فيلادلفوس.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: المرأة «كالهيب» ابنة «بآمون» وأمها (هي) «تامين» والمرأة «تشرت-توت» ابنة «بمنخ» وأمها (هي) «تاهيب» وهما امرأتان في شهر واحد.
الطرف الثاني: الكاتب «بل» بن «خراترسيف» وأمه (هي) «تامي».

العقد: عندك ثلاث قطع فضة؛ أي خمسة عشر ستاتر، أي ثلاثة قطع فضة ثانية، وهي مستحقة علينا مقابل النقود التي أعطيتَها إيانا، وسنردها في السنة السادسة والعشرين شهر أمشير في آخر يوم منه، وإذا لم نردها حتى عام ٢٦ شهر أمشير آخر يوم فيه؛ فعندئذ تكون قد جعلت قلوبنا تتفق على الثمن فضة عن بيت المرأة «تامين» ابنة «بامي» والمرأة «تاهيب» ابنة «بامي»، أختها، وهي أمنا (أي المرأة تامين)، وهو الذي (أي البيت) أخذ في التداعي، وحجرة المخزن به مبنية ومسقوفة، ويقع في المركز الجنوبي الشرقي لبلدة «جمي» بالقرب من سور «جمي»، وحدوده هي:

جنوبه: بيت المرأة «تيآمون» ابنة «أسمن»، وهو ملك أولادها.

[١١] راجع Ph. XV. Mizraim, VIII, 13-14.



شكل ٢-١: عقد رهن من عهد بطليموس الثاني.

شماله: بيت عامل فخار «جمي» (اسمه) «أسمن» ذو الإحليل المنتشر ابن «بتيآمون» وهو ملك حارس ميناء طيبة «بائيزي» بن «بامين» وأمه (هي) «تيآمون».

شرقه: البوباستيون (مدفن القطط).

وغربه: سور «جمي» الكبير.

الصيغة القانونية: ليس لنا أي حق — مهما كان — عليك باسمه (أي البيت) ولن يكون لأي فرد — مهما كان بما في ذلك أنفسنا — أية سلطة عليه إلا أنت من اليوم فصاعدًا، وإن من سيأتي إليك بخصوصه باسمنا أو باسم أي شخص مهما كان فإنا سنجعله يتنحَّى عنك، وإذا لم نجعله يتنحَّى عنك «طوعًا» فإنا سنجعله يتنحَّى عنك «قهرًا» وسنطهره لك (أي البيت) من كل كتابه، ومن كل ادِّعاء، ومن كل أمر مهما كان، وكل مستند هو ملكك، وكل حقوقه في كل مكان يكون فيه (أي المستند) وكل مستندات تكون قد حُرِّرت بخصوصه لنا فهي ملكك، بالإضافة إلى حقها، وكل حق شرعي لنا باسمها فهو لك، واليمين أو البينة «أو المصادقة» الذي سيطلب إليك في ساحة العدل باسم الحق المخوَّل لك بمقتضى المستند أعلاه، وهو الذي حرَّرناه لك ليجعلنا نؤديه لك فإنا سنؤديه دون أن ندعي أي حق عليك، أو أي أمر مهما كان.

كتبه: «بشنمين» بن «خراترسيف».

شهد: ستة عشر شاهدًا.

(٢-٧) عقد اتفاق من عهد بطليموس الثاني [١٢]

التاريخ: السنة الرابعة والثلاثون شهر بَشَنْس من عهد بطليموس بن بطليموس الإله «فيلادلفوس» (٢٢ يونيو عام ٢٥١ق.م) حينما كان «نيوبتولمس» Neoptolemos ابن كرايزيس Kraisis كاهن الإسكندر والإلهين الأخوين، وحينما كانت «أرسنوي» ابنة نيكولاوس Nikolaos الكاهنة (حاملة السلة الذهبية) أمام «أرسنوي فيلادلفوس».

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: المرأة «تيبا» ابنة «أفو» وأمها هي «تارت».

الطرف الثاني: حانوتي «أمنمؤبي» في غربي طيبة (المسمى) «جحو» بن «وسرور» وأمه (هي) تيبا، ابني.

[١٢] راجع Ph. XVI. Mizraim, VIII, Pl. VII, 17-18.

العقد: لقد جعلت قلبي يوافق على ثمن نصف البيت المبني والمسقوف بالإضافة إلى نصف فنائه الذي عند بابه، وهو واقع (أي البيت) في القسم الشمالي من «طيبة» غربي حرم معبد «منتو» سيد «واست» وحدوده هي:

جنوبه: بيت الكاتب «حرنوفي» بن «أو بتاح» المبني والمسقوف والأرض الفضاء ملك كلازيري (جندي) معبد آمون (المسمى) «ثتو» بن «بارت».

شماله: بيت «بتحربرع» بن «باكوس» المبني والمسقوف، وهو ملك أولاده وشارع الملك بينهما.

شرقه: بيت صانع الشمع لمعبد آمون، واسمه «خنسو» بن «وزاي حور» المبني والمسقوف، وهو ملك أولاده.

غربه: بيت الكاتب «حرنوفي» بن «أوبتاح» المبني والمسقوف وفناؤه عند بابه.

وهذه هي كل حدود البيت الذي أعطيتك نصفه ونصف فنائه، وكذلك نصف مزارات قبوري الواقعة في جبَّانة «جمي»، ونصف أوليائي الذين دُفِنوا فيها (أي إيراد الأولياء) ونصف شهدائي، ومزار قبر «أسخومنو» الصائغ، ومزار قبر الصائغ «حارسئيس» بن «أريستن»، ومزار قبر «أستوت» خادم (كاهن) «أبيس» (أبو منجل) لقد أعطيتك إياها وهي ملكك؛ أي نصف بيتك المذكور بالإضافة إلى نصفك في فنائه.

وأنصافك في مزارات قبوري وأوليائي، ونصفك من شهدائي وأرباح أملاكهم وكل شيء يأتي منهم، أو سيضاف إليهم من الحقل والمعبد والبلد، وكذلك نصف أثاثي في كل حجرة، وقلبي راضٍ عن ذلك، وقد تسلمت ثمنها من يدك تمامًا دون أي مؤخر وقلبي راضٍ بذلك.

الصيغة القانونية: ليس لي أي حق مهما كان عليك بخصوصها (أي ما ذكر أعلاه) وليس لأيِّ فرد الحقُّ حتى نفسي في أن يكون له سلطان عليها، إلا أنت من اليوم فصاعدًا، وإن من سيأتي إليك بخصوصها باسمي أو باسم أي شخص مهما كان فإني سأجعله يتنحَّى عنك، وإني سأطهرها لك من كل ادِّعاء، ومن كل أمر مهما كان في أي وقت، وإن مستنداتها ملكك وحُجَجها في كل مكان توجد فيه، وكل مستند حُرِّر بخصوصها، وكل مستند كان قد حرِّر لي بخصوصها، وكل مستنداتٍ أكون أنا به صاحب حق عليها فهو ملكك، وكذلك حقها؛ وكل حق مخوَّل لي باسمها فهو ملكك،

واليمين أو البينة الذي سيُفرَض عليك في ساحة العدل باسم الحق الذي يخوِّله المستند أعلاه، وهو الذي حررته لك ليجعلني أؤديه فإني سأؤديه.

وعليك أن تعطي ثلث الأولياء وثلث الشهداء المذكورة أعلاه، وهي التي أعطيتك إياها، للمرأة «تنفرت» ابنة «وسرور» والمرأة «تخبيس» ابنة أمنحوتب، وهما ابنتاي، بالإضافة إلى ثلث دخل مزارات قبورهما ملكهما، وثلث كل شيء يأتي منها، وكل شيء يتسلم من الحقل والمعبد والبلد.

وعليك أن تنزل عنها لهما (أي المرأتين)، وقد نزلت لك عن كل شيء حُرِّر عاليه إلا الثلث الخاص بالمرأتين دون ادعاء أي حق مهما كان عليك.

كتبه: كاتب مواطني طيبة ابن كاهن «آمون» «حرمحب» بن الكاهن والد الإله (المسمى) «أسمن».

شهد: ستة عشر شاهدًا.

(٣) الأوراق الديموطيقية المحفوظة في مجموعة ريلندز من عهد بطليموس الثاني[١٣]

الوثائق التي من عهد بطليموس الثاني في هذه المجموعة ثلاث، وكلها مؤرخة بشهر «هاتور» السنة الخامسة من حكم هذا العاهل؛ أي نوفمبر سنة ٢٨١ق.م وبمعنى آخر حرِّرت هذه الوثائق بعد الوثيقة رقم ١١ من مجموعة «ريلندز»[١٤] وهذه الوثائق تؤلف وحدة مع سابقتها من عهد الإسكندر الرابع وبطليموس الأول.

وتدل الظواهر على أن الكاهن المرتل «بليهي» الذي جاء ذكره في اتفاقية البيع التي عقدها مع زوجه، وهي التي بمقتضاها أصبح بيته ملكها، قد مات، وأن الموصي لها بهذا البيت وهي «تيحور» أرملة على ما يظن، وتبيع البيت الذي يؤلف مادة الوثيقة رقم ١١ في مجموعة «ريلندز»، إلى امرأة أخرى تدعى تا … والظاهر أنها إحدى أقاربها، والوثيقة رقم ١٢ عبارة عن πρασιs، والوثيقة رقم ١٣ هي نزول عن نفس البيت

---

[١٣] راجع Catalogue of the Demotic Papyri in the John Rylands Iibrary. Manchester, Griffth, vol. III, P. 124ff.

[١٤] راجع Manchester. Griffth, vol. III. P. 121 ff.

لنفس الطرفين، وفي وثيقة منفصلة وهي الوثيقة رقم ١٤ نجد أن والد «تيحور» يعمل بالِمثْل فينزل عن البيت لنفس المرأة، ومن ذلك يظهر أنه كان له حق في ملكية ابنته، وأنها بلا شك كانت أرملة، ولم تُرْزَق أطفالًا، والآن نعود إلى درس هذه الوثائق الأربع لارتباطها الواحدة بالأخرى:

الورقة رقم ١١: وهي عبارة عن بيع بيتٍ وكل الممتلكات الأخرى من رجل إلى امرأة؛ أي إن الوثيقة عبارة عن وصية في صالح زوجه (؟).

التاريخ: السنة الواحدة والعشرون شهر برمهات من عهد الملك بطليموس.

الطرفان المتعاقدان: إن مرتل القرد «بليهي» بن «تترتايس» وأمه «تشنخومت» (؟)، قد أعلن للمرأة «تيحور» ابنه «حارسئيس» وأمه (هي) «تاباستي».

نص العقد: لقد جعلت قلبي يرضى بالفضة (النقد) ثمنًا لجميع وكل شيء ملكي، بالإضافة للأشياء التي سأكسبها من بيت وأرض فضاء، وأرض ودخل وعبد وأَمَة، وفضة وذهب ونحاس وملابس، وأي نوع من الحبوب، وثور وحمار، وأي نوع من الماشية الصغيرة، وأي براءة وأي اتفاق مع مستأجر، وأي مفاوضة عن بيت، أو أثاث أية حجرة (؟) وأي آلات بيت. هذا بالإضافة إلى بيتي المبني والمسقوف الكائن في القسم الشمالي من «ني» (طيبة) الواقع في مقر البقرة، وحدوده هي:

جنوبه: بيت الحانوتي «أمنؤبي» غربي «طيبة» (المسمى) «بتنفرحتب» ابن «إتوروس».

شماله: بيت الكاتب «بتمستو» بن «بخلخنس» وبيت حانوتي «أمنؤبي» في غربي طيبة (المسمى) «بتامنؤبي» بن «أسمن» وهو الذي تسكنه المرأة «ونمين» (؟) ابنة «بتامنؤبي» وذلك يعني بيتين مبنيين ومسقوفين، وشارع الملك بينهما.

غربه: بيت مرتل جبَّانة «جمي»، «حارسئيس» بن بتامنؤبي، المبني والمسقوف، وجداره الغربي بمثابة جدار ساند لي.

وغربه: بيت المرأة «تاهيب» ابنة «بتنفرحوتب» المبني والمسقوف، ونافِذتِي تطل على غرب البيت المذكور.

هذه هي حدود كل البيت، وكذلك نصيبي في الموميات التي أملكها في جبَّانة «جمي» ونصيبي في الموميات التي تخص الكاهن المرتل للقرد (المسمى) «تترتايس» بن «جحو»، والدي.

الصيغة القانونية: لقد أعطيتها إياك وهي ملكك: متاعك البيت المبني والمسقوف المذكورة حدوده أعلاه، وكذلك نصيبك في مومياتي التي في جبَّانة «جمي» ونصيبك في موميات «تترتايس» بن «جحو»، والدي.

وقد تسلمت ثمنها نقدًا من يدك ... إلخ.

وعند النهاية بعد عبارة: «سأعملها.» تأتي فقرة أخرى:

وإني ملككِ طالما أنا حي، وإني ملكك وأنا ميت، وإنك أنتِ التي لها سلطان عليَّ في خيمة تحنيطي (؟) وعلى دفني، وذلك دون إثبات أية براءة، أو أية كلمة في الأرض ضدي.

كتبه: ... ابن ...

هذا، وتوجد مع العقد أربع نسخ كتبها شهود أربعة.

وهذه البردية الجميلة هي الثانية من نوعها المؤرخة من عهد بطليموس «سوتر» وإنه لمن الغريب أن تكون الأخرى من نفس الطراز وهو أمر غير عادي جدًّا، وإنه يكاد يكون من المؤكد أن تمثل هذه الوثيقة وصية في صورة بيع صوري:

الورقة الثانية عشرة: الموضوع: اتفاق بيع.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: «تيخو» الذي وُصِف في الوثيقة السابقة ببيع البيت.

الطرف الثاني: إلى امرأة تُدْعَى تيانت (؟) ابنة «جحو» وأمها «تاميني» والوصف يتفق مع الوصف الذي جاء في العقد السابق إلا عند ذكر الحد الشرقي؛ فإن بيت مرتل جبانه «جمي» المسمى (حارسئيس) بن «بتامنؤبي» وجداره الغربي يكون لك بمثابة جدار ساند، وغربه بيت المرأة «تاهيب» ابنة «بتنفرحتب» والمنور بينهما.

والكاتب: هو «بوحور» بن «أسمن».

ثم يأتي بعد ذلك ست نسخ من نفس العقد كاملة.

ويوجد على ظهر الورقة ستة عشر شاهدًا كالمعتاد، ومن بينهم أربعة من أصحاب النسخ الست السالفة الذكر.

والورقتان الأخريان هما عبارة عن تنازلين تَتِمَّة لعقدي البيع السالفي الذكر، والكلمة المصرية للتعبير عن «النزول» قد ترجمت إلى الإغريقية بدقة، ويمكن التعبير

عنها بعبارة «كتابة التخلي» أو «الابتعاد» وليس لدينا ترجمة لنص «نزول» بالإغريقية إلا واحد، ويرجع إلى العهد الروماني، ومع ذلك وُجِد ممزقًا شر مُمَزق.[15]

وعلى الرغم من أنه لم تصل إلينا تراجم لوثائق «نزول» من المصرية إلى الإغريقية؛ فإن لدينا عدد من التنازلات الإغريقية تشبه كثيرًا النموذج المصري، وكلها ترجع إلى نهاية القرن الثاني ق.م وأهم مثال لدينا موجود بمتحف برلين، ولا يكاد الإنسان يشك في أن صورة التنازل في العقد الإغريقي قد أُخِذت عن أصل مصري.[16]

(٣-١) البرديات التي في مجموعة «هوسفالد» من عهد بطليموس الثاني

بيع قطعتين من الأرض

(أ) الموضوع: بيع قطعتين من الأرض:[17]

التاريخ: في السنة الواحدة والعشرين شهر بابة من عهد الملك بطليموس بن بطليموس وبطليموس ابنه (مشتركًا معه) حينما كانت أكزنورد (؟) ابنة «أجزيبوليس» Agesipholis حاملة السلة الذهبية لأرسنوي المحبة لأخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: المزارع خادم «حور» صاحب «إدفو» (المسمى) «بتوزيرس» بن «باتوس» بن «باخوس» Pachois.

الطرف الثاني: المزارع خادم «حور» صاحب «إدفو» (المسمى) «أونيس» Ones ابن «باتوس» و«سنموس» Senemus.

العقد: يقول الطرف الأول للطرف الثاني: لقد دفعت لك الثمن كاملًا، وإنك شرحت قلبي بالثمن نقدًا مقابل حقلي الذي من أرض «حور» صاحب «إدفو» والواقع في جزيرة الأثل، وحدوده هي:

في الجنوب: حقل المزارع خادم «حور» صاحب «إدفو» المسمى «حور» بن «باخويس» بن «با-رهو».

[15] راجع Spieglberg. Pap. dem. Strassburg. P. 11.

[16] راجع Berlin Griechische Urkunden, 998, col. ii, 10 B. C.

[17] راجع Dic Demotische Papyri Hausswaidt. P. 1–3.

في الشمال: حقل «حور» بن «أسبويريس».

في الشرق: النهر الكبير.

في الغرب: حقل حامل اللقب السابق المسمى «حاربإزيس» بن «باسوس» Pasos ابن «با-رهو».

وزيادة على ذلك حقلي العالي الذي يقع في حقول الملك التي في «تكوي» T-Koi، وهو الذي ذكرت حدوده عاليه ... والمجموع قطعتان من الأرض.

وقد بعتهما لك مقابل نقد، وقد أعطيتني ثمنها نقدًا وقد تسلمته من يدك كاملًا غير منقوص، وقلبي منشرح بذلك؛ وإنهما ملكك؛ أي هذان الحقلان المذكوران أعلاه بأشجارهما ودومهما التي تُنْبِت فيهما.

الصيغة القانونية: وليس لي أي حق أو قضية (أو) أية كلمة في الدينا باسمها عليك من اليوم فصاعدًا، وليس لأي إنسان في الدنيا يمكن أن يكون له سلطان عليها خلافك، وكل إنسان في الدنيا يظهر أمامك بسببهما ليقول لك ابعد عنهما، فإني حينئذ أُبْعِده من نفسي عنك فيما يخص الحقلين، وإني سأطهرهما لك من كل مستند ومن كل قضية، ومن كل كلمة في الدنيا في كل زمان، وكل مستند كان قد أُبْرِم بخصوصهما، وكل مستند كنت قد أبرمته بخصوصهما، وكذلك كل مستند بمقتضاه يكون لي الحق فيهما فإنه ملكك، وكذلك ملكك مستنداتهما وقضاياهما، وكذلك ملكك أوراقهما القديمة وأوراقهما الجديدة (أي الحُجَج القديمة والجديدة) في كل مكان هي (الحجج) فيه، وهما ملكك مع حقوقهما وقضاياهما، وملكك كل ما يخصهما، وبمقتضاه يكونان من حقك واليمين أو البينة الذي يطلب إليك أو يطلب إليَّ إعطاؤه أمام المحكمة فإنك تؤديه (أو) فإني أؤديه بمقتضى حق كل كلمة أعلاه دون رفع أية دعوى أو كلمة في الدنيا أطلبها منك.

كتبه: «بخراتيس» بن «فيبيس».

(ب) عقد التنازل:

التاريخ والمتعاقدان: كما في العقد الأول (أ).

العقد: يقول الطرف الأول للطرف الثاني: إني بعيد عنك فيما يخص حقلك الذي يشمل قطعتين من الأرض؛ وهما حقلك الجزيري الذي يقع في جزيرة الأثل التي ضمن أرض معبد «حور» صاحب «إدفو»، وحقلك العالي الذي يقع ضمن حقول الملك.

وحدودهما هي:

في الجنوب: حقل المزارع خادم «حور» صاحب «إدفو» بن «باخويس» بن «با-رهو».

في الشمال: حقل «حور» بن إسبوئريس Sspocris.

وفي الشرق: النهر العظيم.

وفي الغرب: حقل «حاربئزيس» بن «باسوس» بن «با-رهو».

تأمل إن هذه الحدود الخاصة، بحقليك المذكورين أعلاه بما فيهما من أشجارك ودومك التي تنبت فيهما.

وليس لي أي حق ولا إجراء قانوني أو أية كلمة بخصوصهما عليك من اليوم فصاعدًا، ولا ينبغي لأي إنسان أن يكون له سلطان عليهما إلا أنت، وكل إنسان في العالم يظهر ضدك بسببهما فإني بنفسي سأبعده، وإذا لم أبعده طوعًا فإني سأبعده كرهًا دون مشادة، وإني سأطهرهما لك من كل كلمة في كل زمن، وإنك في حمايتي بحق مستند النقد الذي حررتُه لك في عام ٢١ شهر بابة من عهد الملك العائش أبديًّا. هذا بخلاف مستند التنازل أعلاه، وهما صكان أكتبهما لك بحقك في كل زمان دون أي أذى.

إمضاء المسجل كما في العقد الأول (أ).

وعلى ظهري العقدين كتبت أسماء ستة عشر شاهدًا بيد كاتب بعينه.

عقد بيع أرض من عهد بطليموس الثاني.[١٨]

(أ) مستند بنقد:

التاريخ: السنة الواحدة والعشرون شهر طوبة من عهد الملك بطليموس بن بطليموس وبطليموس ابنه عندما كانت «جزينوهروتا ابنة أجسيبوليس» Agesipolis حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي محبة أخيها».

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: يتحدث المزارع خادم «حور» صاحب «إدفو» بن «با-رهو» وأمه تدعى «تاسوس».

[١٨] راجع Papyrus Hauswald, 10 P. 33–39.

الطرف الثاني: إلى المزارع خادم حور صاحب إدفو المسمى «بامي» (؟) ابن «حور» وأمه (هي) تا-رهو.

نص العقد: لقد دفعتَ لي حقي كاملًا، وقد جعلت قلبي منشرحًا بالثمن نقدًا مقابل حقلي العالي الذي يقع في حقول الملك، وهو الذي في براح «تكوي»، وحدوده هي:

في الجنوب: حقل المزارع خادم «حور» صاحب «إدفو» (المسمى) «باسوس» بن «با-رهو».

في الشمال: حقل «حاربخويس» الذي يحمل نفس اللقب السابق بن «با-رهو».

في الشرق: حقل جزيرتي الذي يقع في أرض معبد «حور» صاحب «إدفو» والذي يفصل بينهما الشارع.

في الغرب: الـ ... «حور» بن «باخويس».

هذه هي حدود حقلي العالي المذكور أعلاه بما فيه من أشجار دوم تنمو فيه، وهي التي تقع خارج أشجار دوم «هاربلس».

وليس لي أي حق، ولا أية مخاصمة قضائية، أو أية كلمة في العالم باسمه عليك من اليوم فصاعدًا، ولا ينبغي لأي إنسان في العالم أن يظهر ضدك بخصوصه (أي الحقل) ليستولي عليه، وذلك بقوله: إنه ليس ملكك، وذلك باسمي (أو) باسم أي إنسان في العالم، وعندئذ فإني نفسي أبعده عنك بخصوصه (أي الحقل)، وإني أطهره لك من كل مستند، ومن كل قضية، ومن كل كلمة في العالم في كل زمن، وكل مستند حرِّر عنه هو ملكك، وكذلك كل مستنداتٍ حرِّرت لي (شخصيًّا)، وكذلك ملكك كل برديته القديمة (أي الحُجَّة القديمة الخاصة بالحقل) وكذلك برديته الجديدة في أي مكان أنت فيه، وهو ملكك مع حقوقه وقراراته، وملكك جميع وكل مالي من حقٍّ فيه.

واليمين والبينة اللذان يُطْلَب أداؤهما منك أو مني، واللذان تؤديهما أو أؤديهما أمام القضاء بخصوص الحقوق عن كل كلمة في العالم فإني سأؤديها دون إقرار أو أية كلمة في العالم تحدث معك.

المسجل: كتبه «باخراتيس» ابن «فيبيس» (؟).

(ب) عقد تنازل عن الحقل السابق:

التاريخ والطرفان المتعاقدان: هما نفس ما جاء في العقد السابق (أ).

صيغة العقد: يقول الطرف الأول للطرف الثاني: إني بعيد عنك فيما يخص حقلك العالي الذي يقع في حقول الملك، وهي التي في براح «تكوي» بي-خموتني-أنتي-أسي، حدوده:

في الجنوب: حقل المزارع خادم «حور» صاحب «إدفو» (المسمى) «باسوس» بن «با-رهو».

في الشمال: حقل «حاربخويس» الذي يلقب باللقب السابق ابن «با-رهو».

في الشرق: حقل جزيرتي الذي يفصل بينهما الشارع.

في الغرب: الـ ... «حور» بن «باخويس».

وهذه هي حدود حقلك العالي المذكور أعلاه بالإضافة إلى أشجار دومك التي تنبت فيه، وهو الذي يقع خارج أشجار دوم «حاربلس».

الصيغة القانونية: وليس لي أي حق، ولا قرار محاكمة، أو أية كلمة في العالم باسمه عليك من الآن فصاعدًا، ولا ينبغي لأي إنسان في العالم أن يكون له عليه سلطان إلا أنت، وكل إنسان في العالم يظهر بسببه ضدك ليستولي عليه، وذلك بقوله: إنه ليس ملكك، باسمي أو باسم أي إنسان في العالم فإني عندئذ أُقْصِيه بنفسي عنه (الحقل)، وإذا لم أقصه عنك طوعًا فإني أقصيه كرهًا، وإني أطهره لك من كل كلمة في العالم في كل زمان، وإنك في حمايتي بحق عقد الشراء هذا، وهو الذي أبرمته لك في شهر طوبة عام ٢١ من عهد الملك العائش أبديًّا، وذلك خلافًا لعقد البيع وهما عقدان، وإني أعمل لك حقك في كل زمان دون أذى.

المسجل: كما في العقد السابق.

تقديم الشهود: نجد في كل مرة في وثائق الشهود قبل تأريخ اسم الشاهد المعني؛ الجملة التالية: إنه حاضر بمثابة شاهد، أو إنه يشهد، وفي نهاية كل المتن تأتي في المكان الذي يكون فيه إمضاء المسجل العبارة التالية: «لقد كتب ذلك بمثابة ضمان لصحة المستند.»

هذا، وقد دُوِّن على ظهر الورقة من العقدين ستة عشر شاهدًا.

(٣-٢) البرديات التي في أوراق ليل الديموطيقية من عهد بطليموس الثاني

عقد ضمان من أجل سجين [١٩]

التاريخ: (السنة الثامنة والثلاثون وهي) السنة التاسعة والثلاثون ٢٠ طوبة من عهد «بطليموس» بن «بطليموس».

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: إن المزارع الملكي من قرية سوخوس المسمى «تيوس» ابن «باعاسس» وأمه (هي) هريوس Herieus يقول للطرف الثاني «فيلو كزنوس» Philoxenos رئيس حرس مركز تمستيس وفي … قد وقعا.

نص العقد: تعهد الطرف الأول بضمان المزارع الملكي «جيل-إزيس» بن «توتمحب» وأمه هي «تاتيمونيس» Tatimounis وهو الذي سُجِن بوساطتك، وإنك قد أودعته عندي، وإني أتعهد بأن أجعله يحضر أمامك، أو أمام ممثلك في قرية «سوخوس أرسنوي» الواقعة في المركز أعلاه من أول (عام ٣٨) (وهو عام ٣٩ في العشرين من شهر طوبة المذكور أعلاه)، وذلك خلال كل الوقت الذي تمر فيه للتفتيش في المركز المذكور أعلاه، وإذا طلبته فإني سأحضره إلى المكان الذي تقول لي أحضره فيه (في مقاطعة) «أرسنوي»، وذلك في خلال مدة خمسة أيام من طلبك، وذلك في أثناء كل الوقت الذي ستمر فيه للتفتيش على المركز المذكور، وذلك دون أن يكون في مقدوره أن يلجأ (إلى معبد الإله) أو إلى مذبح للملك أو إلى مكان قسم (أي الحلف) أو في مكان التجاء؛ وإذا طلبته ولم أحضره إلى المكان الذي تقول لي أحضره فيه في مدة خمسة أيام من طلبك له، وذلك في أثناء كل الوقت الذي ستمر فيه للتفتيش على المركز المذكور أعلاه في المقاطعة المذكورة سابقًا فإني سأخضع لكل الشروط التي «ستفرضها» علي قهرًا في اليوم الذي سيلي خمسة الأيام المذكورة، وذلك قهرًا وبدون تأخير، وكل شيء وكل عقار أو ما يمكنني كسبه «سيكون» الضمان للحق المقرر في العقد المذكور أعلاه، وذلك إلى أن أسلك معك على حسب الشرط، وإنه ليس من حقي أن أقول: إني سلكت معك على حسب ما دوِّن أعلاه في العقد المذكور الذي بين يديك، وإن من يمثلك سيكون له صفة حق تنفيذ كل الشرط الذي سيفرضه عليَّ بسبب كل ما هو مدوَّن أعلاه، وإني سأوافق على أمره إجباريًّا وبدون تأخير.

---

[١٩] راجع Papyrus Demotiques De Lille Tome I. P. 13.

كتبه: «ماريس» بن «نيتوس».

العقد الخارجي على نفس الورقة

السنة الثامنة والثلاثون، وهي التاسعة والثلاثون ٢٠ طوبة في عهد الملك بطليموس بن بطليموس الإله مهلك الشر العائش سرمديًّا حينما كان كاهن الإسكندر والإلهين المتحابين، تلبولموس Tlepolemos ابن «أرتاباتس» Artabates ... ابنة «منماخوس» Menmachos حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي فيلادلفوس» (وباقي المتن كما جاء في المتن الداخلي السابق).

بيان عن ماشية صغيرة من عهد بطليموس الثاني[٢٠]

عثر في بلدة «جعران» من أعمال الفيوم على تسع قطع من البردي مكتوبة بالديموطيقية، كلها بأسلوب واحد على وجه التقريب، وتحتوي هذه القطع على اعترافات بحيازة ماشية صغيرة، وسنحاول هنا أن نضع رواية واحدة كاملة من هذه الاعترافات مستقاة من هذه المجموعة، وهذه الاعترافات تحتوي كل منها على كتابة داخلية وأخرى خارجية ولكنها موحدة، ومن الغريب أن يوجد من بين تسع القطع ما يؤلف نسخة كاملة من هذه الاعترافات، وهاك النص الكامل كما جمعه الأستاذ «سوتاس» من شتات هذه القطع:

> السنة الرابعة والثلاثون، وهي السنة الخامسة والثلاثون من عهد الملك بطليموس بن بطليموس.
>
> اليمين الذي حلفه فلان ابن فلان لمدير المركز (المسمى) «ديوجين»: بحياة الملك بطليموس بن بطليموس «وأرسنوي» الإلهة المحبة لأخيها، وبالإلهين المتحابين، وهما الإلهان العائشان: إن الخراف التي أملكها بأكملها والخراف الصغيرة والماعز التي سجلتها هي على حسب القاعدة، إني لم أنقص منها أي خروف قط، وليس في نفسي فيما يتعلق بها (الخراف) أية مداراة أو كذب، وإذا كنت قد أديت هذا اليمين على حسب الحقيقة فإني أكون في حضرة الملك، ولكن إذا كنت حانثًا في يميني فإني أكون ملعونًا من الملك.

---

[٢٠] راجع Papyrus Demotiques de Lille P. 37 ff.

الماشية الصغيرة: الخراف (العدد) منها ما هو ذكور (عدده) ... خراف صغار من الصنف الأول أو الثاني لتحوت (أي السنة الأولى أو الثانية بالنسبة للسنة المصرية التي تبتدئ بشهر توت) والذكور منها (عدده) خراف صغار من الصنف الثاني، والذكور منها (عدده)، والماعز (عددها).

كتبه فلان ابن فلان.

(٤) الأوراق البردية الديموطيقية التي من عهد بطليموس الثاني بمتحف القاهرة

(٤-١) عقد اتفاق بإيصال [٢١]

التاريخ: السنة الرابعة والعشرون شهر توت (= ٢٦٣-٢٦٢ق.م) من عهد الملك بطليموس العائش أبديًّا ابن بطليموس.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: «بتوزريس» تاجر الزيت من أهالي تيبتينس (أم البريجات) يقول:

الطرف الثاني: لـ با ... مبعوث السكرتير المالي أو يمكونوموس ولـ «أموتيس» الكاتب المحلي.

نص العقد: لقد أعطاني فلان ابن فلان و«بانسيس» Panesis ابن «نختيريس» Nechtyris و«حور» بن «بتحار» ... مجموعهم ثلاثة أشخاص (؟) ... زيت ١ / ٣ وزيت دجم ١ / ٢ وزيت طيب ٢ / ٣ فيكون المجموع ١ $\frac{١}{٢}$ ونصفها ٢ / ٣ ١ / ١٢ أي ١ $\frac{١}{٢}$ ثانية بمثابة اتفاق في ٣٠ من شهر توت، وإنه واجب عليَّ لك مقابل ذلك أن أدفع القيمة في البنك في السنة الرابعة والعشرين شهر ٣٠ بئونة.

كتب في السنة ٢٤ شهر توت ٣٠ منه، وإني أدفع نقدًا ١ $\frac{١}{٢}$ (أو ١ $\frac{١}{٢}$ قدت من الفضة (؟)) في البنك، هذا بصرف النظر عن قيمة سعر الزيت المدون عاليه.

---

[٢١] Sethe: Domotische Urkunden zum Aegyptischen Burgschaftsrechte Vorzuglich der Ptolemarzeit. P. 706, No. 2; Seidel, Demotische Ur–Kundenlehre. P. 25. No. 82; Cairo, .eat. Gen. 31219

(٤-٢) عقد اتفاق من عهد بطليموس الثاني[٢٢] بإيصال

التاريخ: السنة السابعة عشرة (= ٢٦٩-٢٦٨ق.م) شهر هاتور اليوم الأول منه من عهد الملك بطليموس بن بطليموس العائش أبديًّا …

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: إن … بنت حتب سبك (؟) تاجر الزيت من أهالي تبتنيس يقول لـ …

الطرف الثاني: «بانسيس» بن «نختيريس» تاجر الزيت.

صيغة العقد: لقد أعطيتني … ١، و١ / ٤ و١ / ٨ زيتًا بمثابة اتفاق في شهر بابة على حسب ما هو مدون، خنس-خروت السكرتير المالي لهذا الجزء من بولمون Polemon، ويجب علي في مقابل ذلك أن أدفع القيمة نقدًا في بنك الملك في يوم من الأيام الخمسة التي يقال لي فيها «ادفع» والتي نحددها (أي في مدة خمسة الأيام المحددة للإنذار).

كتبه: «حارسئيسي» بن «بتي» … على حسب أمر … ابنة «حتب سبك» السنة السابعة عشرة في ٢٢ شهر هاتور.

(٤-٣) عقد اتفاق بإيصال من تبتنيس (أم البريجات)[٢٣]

التاريخ: السنة الرابعة والعشرون شهر توت (= ٢٦٣ق.م) من عهد الفرعون بطليموس بن بطليموس.

(٤-٤) عَقْد سَلَفيَّة[٢٤]

التاريخ: السنة السابعة شهر توت من عهد الملك بطليموس بن بطليموس (= ٢٧٩ق.م).

---

[٢٢] Ibid. P. 607–8; and P. Cairo 31225, cat., Gen., Cairo, II. Pl. 103; Seidel Demotische Urkundenlehre. P. 24, No. 74.

[٢٣] راجع Seidel, Demotische Urkundenlehre. P. 25, No. 83; Cairo, 31277.

[٢٤] راجع Cat Mus., Cairo, No. 31, 73 a; Seidel Ibid. P. 24, No. 65.

ومتن هذه الورقة مهشَّم إلى درجة كبيرة، ولكن يدل ما تبقى على أن «بتنيس» Peteniesis ابن سوكونوبيس (؟) قد استلف سلفية من موظف كبير في «تبتنيس» (أم البريجات).

(٥) الأوراق البردية الديموطيقية في متحف اللوفر من عهد بطليموس الثاني

يوجد بمتحف «اللوفر» عدة وثائق ديموطيقية من عهد بطليموس الثاني، وكان أول من نشرها الأثري «ريفيو» الذي يُعَدُّ بحق من أوائل الذين نهضوا بهذه اللغة بعد «بروكش» العالم الألماني الكبير، وأوراق اللوفر الديموطيقية تأتي من حيث التأريخ بعد أوراق ريلندز، وقد عُثِر عليها كلها في طيبة.

وفيما يلي قائمة بهذه الأوراق التي من عهد بطليموس الثاني:

(١) عقد تنازل مؤرخ بالسنة الثامنة شهر كيهك من عهد بطليموس الثاني (٢٧٧ق.م)[٢٥] والشهود على هذا العقد ١٦ شاهدًا.

(٢) نزاع على ملكية من عهد بطليموس الثاني.[٢٦]

التاريخ: السنة الثامنة شهر كيهك من عهد الملك بطليموس بن بطليموس (٢٧٦ق.م) (؟).

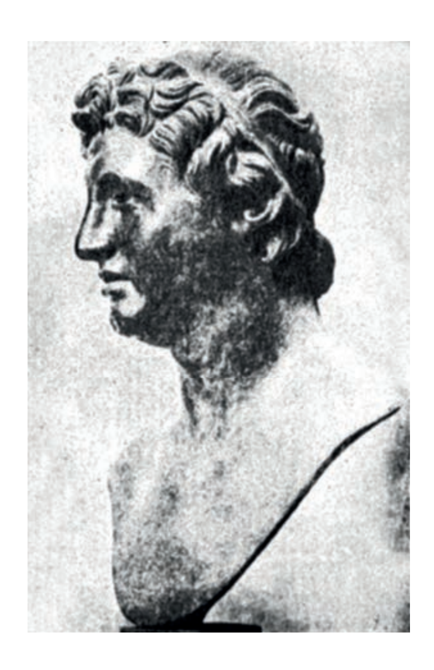
الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: حانوتي «أمنحوتب» في غربي طيبة (المسمى) «بخل-خنس» ابن «باناس» Panas، وأمه (هي) «تا-عو» يقدم شكوى ضد (يرفع دعوى علي).

الطرف الثاني: «عنخ-آمون» بن «جمو-حب» وأمه (هي) «تشن-خنس» وأخوه «توتورتايوس» بن «توت-من»، وأمه هي «تشن-خنس»، وهما معًا شخصان على حسب أمر «نس-خنس» ابنة «تيوس» وأمها (هي) «تابا» قائلة: تقول «نس-خنس»

---

[٢٥] Louvre, 2428, Révillout Chrestomathie Demotique. P. 214; Revue Egypt. Pl. 23.

[٢٦] Louvre, 2484, 2437, Rev. Egypt, 5. Pl. 23; Sethe Burgschaftsur–Kunden. P. 756–7, Rév. Chrest. Dem., 209 ff; Révlllout proprlété P. 43.



شكل ٢-٢: بطليموس الثالث عن تمثال نصفي بمتحف نابولي الوطني.

ابنة «تيوس» المذكورة أعلاه (ما يأتي): حدث في عام ٩ (على حسب ما جاء في نسخة «ريفيو») شهر كيهك من عهد الملك العائش أبديًّا أن المرأة «تشن-خنس» ابنة «بتي-هاربي» أن أمها قد حررت لي مستندًا بنقد (و) تنازلًا فيما يخص بيتًا مبنيًّا ومسقوفًا، وكذلك فناءه (يأتي بعد ذلك وصف البيت)، وتقول في المستند الذي حررته لي عن هذا البيت: إن كل من سيظهر ضدك بخصوصه (أي البيت) باسمي أو باسم أي شخص في العالم مهما كان فإني سأعمل على إبعاده عنك، وإني سأجعل هذا البيت مطهرًا لك من كل قضية، أو أي شيء آخر في العالم في كل زمن، وينادي «عنخ-آمون» بن «جمو-حب» في نفس المستند قائلًا: إني سأجعله لك طاهرًا من كل شيء في العالم في كل زمن، وقد حرر لي «توتورتايوس» بن «توت-من» المذكور أعلاه عقد تنازل فيما يخص بيتي وفناءه ويقول فيه: وإني سأجعله لك طاهرًا من كل شيء في العالم وفي كل زمن، وقد ذهبت لاستعمال بيتي المذكور أعلاه وفناءه، وقد وقف في

وجهي «تي-جو-دي» بن «توتورتايوس» نفسه وأناس آخرون، ومنعوني من العمل فيه قائلًا: لدي كلام عنه (أي البيت)، وقد عمل أشياء سببت لي خسارة بسبب منعه لي عن بيتي المذكور أعلاه وفنائه ما مقداره عشر قطع فضة؛ أي خمسون ستاتر أي عشر قطع فضة ثانية.

وإني أطالب بأن يتنحَّى «تي-جو-دي» والناس الآخرون فيما يخص بيتي المذكور أعلاه وفناءه.

وإني أطلب أن يُؤمَر بأن يترك لي البيت طاهرًا على حسب المستند الذي حرره لي بخصوص تطهيره لي منه في كل وقت.

أما «عنخ-آمون» بن «جمو-حب»، و«توتورتايوس» بن «توت-من» وهما الشخصان المذكوران أعلاه فإني سأتتبعهما فيما يخص البيت المذكور أعلاه وفناءه إلى أن يعملا لي الحق فيه في كل زمن، وعندي شيء آخر كذلك قد قالاه لم أجده في هذا المستند الذي حررته، وهو أن يعملا تقديرًا ضدهما أكثر من تقديري.

(٣) عقد تنازل من عهد بطليموس الثاني عن بيت.

التاريخ: السنة الحادية عشرة شهر برمودة (= ٢٧٤ق.م).[٢٧]

وشهد على العقد ١٦ شاهدًا.

(٤) اتفاق على بيع نصف بيت باعته والدة لابنها مع الاعتراف بحقه في نصف دخل وظيفة سقاء ملكها، وهذا الاتفاق مؤرخ بالسنة التاسعة عشرة شهر هاتور (٢٦٧-٢٦٦ق.م) وقد نسخ منه أربعة نسخ وشهد[٢٨] عليه ١٦ شاهدًا.

(٥) إيصال بدفع ضرائب عن بيع بيت مؤرخ بالسنة العشرين شهر مِسْرَى (= ٢٦٥ق.م) عُثِر عليه في طيبة.[٢٩]

(٦) عقد زواج مؤرخ بالسنة الثالثة والثلاثين شهر كيهك (= ٢٥٢ق.م).[٣٠]

---

[٢٧] Rév. Chrest. Dem. P. 227; Revue Egypt., 5. Pl. 22; Louvre. 2426.

[٢٨] Louvre, 2424; Chest. Dem. P. 231.

[٢٩] Louvre, 2241; Chrest. Dem. P. 288.

[٣٠] Louvre, 2433; Chrest. Dem. P. 241.

(٧) عقد سداد نقد اقترضه رجل من زوجه، وقد رهن لها في مقابل ذلك نصف بيت ونصف وظيفة سقاء، والعقد مؤرخ بالسنة السادسة والثلاثين من حكم بطليموس الثاني شهر أمشير (= ٢٤٩ق.م) وهو من نسخة واحدة وشهد عليه ١٦ شاهدًا.[٣١]

وقد ترجم كل هذه الأوراق الأستاذ «ريفيو» وعلى الرغم من وجود بعض الأخطاء؛ فإن ما قام به في زمنه يعد من أعظم الأعمال في حل رموز هذه اللغة المعقدة.

ومما هو جدير بالذكر هنا أن بعض هذه الأوراق بالذات لها علاقة بأوراق «فيلادلفيا» وأوراق المتحف البريطاني التي تحدثنا عنها — فيما سبق — في الجزء الرابع عشر؛ وكان أول من كشف عن هذه العلاقة الأستاذ جلانفيل.[٣٢]

هذا، وقد يطول بنا الكلام عن الأوراق البردية الديموطيقية التي من عهد الملك بطليموس الثاني، وقد جمع كل ما ظهر منها الأستاذ «زيدل» ونوه عن محتوياتها باختصار.[٣٣]

[٣١] Louvre, 2443, Chrest. Dem. P. 246.

[٣٢] Glaville, Catalogue. P. 51, 54.

[٣٣] Demotische Urkundenlehre. P. 23–8.

عصر بطليموس الثالث (إيرجيتيس الأول)

بطليموس العائش أبديًّا محبوب بتاح وارث الإلهين الأخوين المحبين المختار من رع الحياة والقوة لآمون.

كان بطليموس الثالث — كما ذكرنا سابقًا — هو الابن البكر لبطليموس الثاني والملكة «أرسنوي الأولى» وقد سبقت الإشارة إلى أن «أرسنوي الثانية» قد تبنته بعد أن نجحت في جعل بطليموس الثاني يهجر أمه وينفيها في آسيا الصغرى، وقد اعتبر بطليموس هذا رسميًّا بأنه ابن «أرسنوي الثانية»، ومن ثَمَّ نجد أن اسم تتويجه قد سبق بنعت: وارث الأخوين الإلهين المحبين (فيلادلفس) وهو اللقب الذي كان يطلق على «أرسنوي الثانية» و«بطليموس الثاني»، وتدل النقوش التي في أيدينا على أن «بطليموس الثالث» كان قد اشترك — على الأقل — اسمًا مع والده في حكم البلاد فترة من الزمن تبلغ حوالي اثنتي عشرة سنة؛ أي من السنة الخامسة عشرة من حكم بطليموس الثاني حتى السابعة والعشرين.

والظاهر أنه كان قد ولد حوالي عام ٢٨٢-٢٨١ق.م وعندما خلَّف والده على عرش الملك كان يبلغ حوالي الخامسة والثلاثين من عمره (عام ٢٤٦ق.م) ويبدو أن مدة حكمه — كما جاء على الآثار — تبلغ حوالي ستة وعشرين سنة، وتدل البحوث الدقيقة على أن بطليموس الثالث (إيرجيتيس) تولى الملك حوالي ٢٧ يناير سنة ٢٤٦ وتوفي حوالي

١٦ فبراير سنة ٢٢١ق.م[١] وعلى أية حال يظهر أنه قد بقي بعيدًا عن تولي زمام الأمور في البلاد فعلًا حتى مات والده، بل ومن المحتمل أن «أرسنوي الثانية» التي تبنته قد عدته في بادئ الأمر ابن أبيه أو بعبارة أخرى ابن سفاح؛ ومن أجل ذلك يُلْحَظ أن هذا الأمير المنكود قد وصل إلى سن النضوج دون أن يتعلم من فنون الحكم وسياسة الملك نصيبًا عمليًّا؛ وذلك لأن مدة اشتراكه مع والده كان مجرد متفرج وحسب، ولا غرابة في ذلك فإن كل مقاليد الأمور كانت في يد «أرسنوي الثانية»، وقد ظلَّ خامل الذكر أيام اشتراكه مع والده إلى أن رأينا اسمه يُنْقَش في المراسيم، والواقع أننا لا نعلم شيئًا عن صباه، كما لا نعلم حتى الآن أي اسم من أسماء أساتذته الذين ربَّوه صغيرًا. من أجل ذلك لم نجد واحدًا من بين شعراء بلاط والده قد تحدث عنه اللهم إلا بكلمات مبهمة وتلميحات مذرية، وذلك لأنه لم يكن له مكانة أو شخصية بارزة.[٢]

وقد جاوز بطليموس الثالث، العقد الثالث من سني حياته دون أن يكون له زوجة شرعية وبيت خاص به، ومن المحتمل أنه كان يسير على حسب التقليد البطلمي في أسرته، وذلك أن زواج الملك في هذه الأسرة الملكية كان لا يحدث إلا عند توليه الملك؛ ومن ثم قد فُسِّر عدم زواج بطليموس الثالث من وريثة عرش «سيريني» حتى اليوم الذي تولى فيه الحكم، وتمَّ فيه القران، فأصبح بذلك في وقت واحد ملك مصر وسيريني.[٣]

وأول عمل قام به بطليموس الثالث عند ارتقائه عرش الملك كان وضع حد للقطيعة التي مر عليها ثلاثون عامًا بين «سيريني» وبين مصر، وقد تم ذلك بالزواج من «برنيكي» ابنة «ماجاس»، وكانت نتيجة هذا الزواج ضم بلاد قرنيقة من جديد إلى الدولة المصرية، غير أن قرنيقة مع ذلك بقيت محافظة على سيادتها الداخلية التي كان من مظاهرها البارزة اتخاذ عملة خاصة بها تميزها عن مصر.

[١] The Reigns of the Ptolemies, Von Theodore, Creasy Skeat. P. 27 ff.

وراجع كذلك مصر القديمة جزء ١٤.

[٢] Bouché–Leclereq, Histoire; Tom. I. P. 245, note. 2.

[٣] Strack, Die Dynastie der Ptolmaer, Berlin (1897). P; 182 and 194, 13.

الحرب السورية الثالثة

ذكرنا في الجزء الأخير من هذه الموسوعة[٤] أن بطليموس الثاني قد بدأ حربه الثالثة في «سوريا» وأنه على أية حال قد نال في بادئ الأمر انتصارًا سياسيًّا؛ لأنه حوالي عام ٢٥٣ق.م قد أفلح في كسب صداقة «أنتيوكوس» وضمه إلى جانبه، وذلك بإغرائه بالزواج من ابنته «برنيكي» التي كانت أصغر منه سنًّا، وقد فصلنا القول في ذلك في الجزء السابق، ويلوح أن «أنتيوكوس» بعد أن علم بموت صديقه «بطليموس الثاني» أراد أن يعيد أواصر المحبة والصفاء بينه وبين زوجه «لاؤديس» التي كان قد هجرها هي وأولادها بإبعادهم إلى «آسيا الصغرى»، وقد كان الاتفاق بين بطليموس الثاني وبين «أنتيوكوس الثاني» أن يترك الأخير زوجه «لاؤديس» مع أولادها في آسيا الصغرى وأن تبقى «برنيكي» ابنة «بطليموس الثاني» معه في عاصمة الملك «أنطاكية»، وأن يكون ابنها إذا أنجبت ولدًا الوريث للعرش، وقد أنجبت فعلًا «برنيكي» ولدًا وأصبح وريثًا لملك السليوكيين؛ ومن ثَمَّ تمَّ لبطليموس الثاني ما كانت ترمي إليه سياسته التي كان قد وضع خطتها قبل مماته.

ولكن على أثر موته أخذت الأوضاع تتغير بصورة لم تكن في الحسبان؛ والظاهر أن «لاؤديس» قد أغرت «أنتيوكوس» بحيلها ليذهب إليها في «أفيسوس» حيث كانت تقيم، وفعلًا تم لها ما أرادت، غير أن — على ما يبدو — كان ذهابه إلى «أفيسوس» خدعة دبرتها «لاؤديس» لتقضي على حياته؛ فقد ظهر أنه على أثر هذه الزيارة عاجلت «أنتيوكوس» المنية على حين غفلة عام ٢٤٦ق.م والشائع أن «لاؤديس» قد دست له السم فمات من أثره،[٥] ولم تلبث أن أرسلت أعوانها في «أنطاكية» للقضاء على «برنيكي» وطفلها الذي كان لا يزال في المهد، ويقال إن «برنيكي» قد قاومت مهاجميها مقاومة عنيفة وحاربتهم بشجاعة جبارة، غير أن ذلك لم يُجدِ نفعًا؛ إذ قد لاقت حتفها هي وطفلها على أيدي أعوان «لاؤديس»، وعلى أثر موت برنيكي وابنها أُعلن «كاللينيكوس» بن «لاؤديس» ملكًا على إمبراطورية «السليوكيين» ولقب «سليوكوس الثاني»، ولا نزاع

[٤] راجع مصر القديمة الجزء ١٤.

[٥] ومما تجدر الإشارة إليه أننا لا نعلم على وجه التأكيد على حسب ما لدينا من مصادر إذا كان موت بطليموس الثاني قد سبق موت «أنتيوكوس» أو جاء بعده.

في أن تولي «سليوكوس» هذا عرش الملك كان يعد تحديًا صارخًا لمصر، ومن ثم أعلن بطليموس الثالث الحرب على سليوكوس؛ ليثبِّت عرش ابن أخته، ولم يكن — على ما يظهر — قد علم بموت أخته وابنها.

وقد دلت الحوادث على أن بطليموس الثالث (إيرجيتيس أي المحسن) الذي اعتلى عرش البطالمة كان رجلًا قوي الشكيمة، وأنه قد ورث عن جده بطليموس الأول شجاعته، وعلى العكس لم يرث شيئًا عن والده الذي كان منكبًا على الشهوات في آخر أيامه، وكذلك على جمع الأموال الطائلة، والابتعاد عن خوض غمار الحروب بقدر المستطاع.

والواقع أن ما لدينا من معلومات عن الحروب التي قامت بين بطليموس الثالث وأتباع «لاؤديس» ضئيلة جدًّا لقلة المصادر الأصلية، هذا فضلًا عن أن ما نعرفه عن هذه الحروب كان نقلًا عن كتاب لا يُعْتَمد على رواياتهم مما جعل الشك في هذه الروايات كبيرًا جدًّا.

وسنحاول هنا أن نسرد الروايات التي وصلت إلينا عن هذه الحروب، ثم نستخلص منه نتيجة بقدر المستطاع.

فمن أهم الروايات التي وصلت إلينا عن هذه الحرب رواية أُخِذت عن نقش أُقِيم في مدينة أدوليس Adulis القريبة من وادي حلفا، ومن المحتمل أن الذي نقشها هناك كان أحد الضباط البطلميين الذين كانوا قد أرسلوا إلى هذا الإقليم لصيد الفيلة التي كانت تُسْتَعمل في الحروب وقتئذٍ، ومما يؤسَف له أن النقش الأصلي قد ضاع، وأن كل ما نعتمد عليه هو نسخة نقلها إلينا راهب يُدْعَى «كوزماس» Cosmas عاش في القرن الثامن بعد الميلاد، وهاك النص:

> الملك العظيم «بطليموس» بن بطليموس والملكة «أرسنوي» الأخوان الإلهان ابنا الملك بطليموس والملكة برنيكي الإلهان المحسنان ونسل «هيراكليس» من جهة الأب، وابن «زيوس» من جهة الأم لديونيسوس، ابن «زيوس» الذي قد ورث من والده مملكة مصر ولوبيا وسوريا وفينيقيا وقبرص و«ليسيا» و«كاريا» وجزر سيكلاديس، قام بحملة إلى آسيا ومعه قوات من المشاة والخيالة وعمارة بحرية وفيلة من بلاد التروجوديت (= سكان الكهوف كما كان يسميهم الإغريق في هذا العهد) ومن أثيوبيا وهي التي كان يصطادها والده نفسه للمرة الأولى في هذه الأماكن، وأحضروها لمصر، ودربوها على الأعمال الحربية؛ ولكن عندما أصبح سيد كل البلاد التي على هذا الجانب من نهر الفرات و«سيليسيا»

و«بامفيليا» و«أبونيا» و«الدردنيل» و«تراقيا» وكل القوات الحربية في هذه الممالك، وكذلك الفيلة الهندية، وبعد أن جعل كل حكام الأسرات المحلية في جميع هذه الأقطار من أتباعه، عَبَر نهر الفرات، بعد أن جعل تحت سلطانه «مسوبوتاميا» و«بابيلونيا» و«سوزيانا» وفارس، وميديا، وسائر البلاد حتى «بكتريا»، وبعد أن بحث عن أي شيء مقدس كان قد حمله معهم الفرس من مصر، وبعد أن أعادها ثانية لمصر مع الكنوز الأخرى من هذه الممالك إلى مصر، أرسل قوات في القنوات.

وعند هذا الحد وُجِدت اللوحة التي عليها النقش مهشَّمة كما روى «كوزماس».

والرواية الثانية عن الحرب الثالثة في سوريا وصلت إلينا عن ثلاث فقرات من الإصحاح الحادي عشر للنبي «دانيال» وهي:

ويقوم من فرع أصولها قائم مكانه، ويأتي إلى الجيش، ويدخل حصن ملك الشمال، ويعمل بهم ويقوى (٨) ويسبي إلى مصر آلهتهم أيضًا مع مسبوكاتهم وآنيتهم الثمينة من فضه وذهب، ويقتصر سنين عن ملك الشمال (٩) فيدخل ملك الجنوب إلى مملكته، ويرجع إلى أرضه.

وعبارة التوراة في ذاتها غامضة، والمقصود بقوله يقوم فرع من أصولها؛ أي من أصل الملكة المقتولة، وهي «برنيكي» المصرية ملكة سوريا، ويعني بأصلها والدها بطليموس الثاني، وما يقصد بالذي «يقوم من فرع أصولها.» هو أخوها بطليموس الثالث، ويقصد «بملك الشمال» هنا ملك «سوريا» «سليوكيس» الثاني، ويقصد بحصن ملك الشمال الحصون المنيعة التي في مملكة السيلوكيين بوجه عام.

وعلى أية حال فإن هذا المصدر قد كُتِب بعد الحادث بنحو ثمانين عامًا، وقد علَّق المؤرخ «سنت جروم» على ما جاء في الإصحاح الحادي عشر السالف الذكر من النبي دانيال، وهذا التعليق مأخوذ عن كتاب قديم يرتكز على أساس تاريخي، وذلك أن «سنت جروم» قد أخذ معلوماته عن المؤرخ «بروفيري» الذي كان — لا بد — أمامه عند كتابة هذا التفسير بعض المؤلفين الإغريق الذين لم تصل إلينا حتى الآن مؤلفاتهم، ويقول «سنت جروم» في هذا الصدد:

عندما قُتِلت «برنيكي» ومات والدها «بطليموس فيلادلفوس» في مصر تولى أخوها بطليموس «إيرجيتيس» المُلْك بوصفه ثالث عاهل من أصل هذه السلالة،

> وكان في هذه الحالة أخاها، وقد أتى بجيش عظيم، ودخل إقليم ملك الشمال؛ أي إقليم سليوكوس المسمى «كاالليتيكوس» الذي كان يحكمه مع والدته «لاؤديس» في «سوريا» وسار فيها بمهارة فنال الكثير لدرجة أنه استولى على «سوريا» و«سيلسيا» والأجزاء العليا عبر الفرات، وكل آسيا تقريبًا، وعندما سمع أن في مصر فتنة قامت، وأنها آخذة في الازدياد، نهب مملكة السليوكيين، ثم حمل معه ٤٠٠٠٠ تلنتا من الفضة، وأقداحًا ثمينة، وصور الآلهة وعددها ٢٥٠٠ ومن بينها تلك التي كان قد أحضرها «قمبيز» عندما استولى على مصر إلى بلاد الفرس، وأخيرًا لما كان الشعب المصري متعلقًا بتماثيل آلهته فإنهم سموه «إيرجيتيس» (= المحسن)؛ لأنه أعاد لهم آلهتهم بعد مضي سنين عدة. هذا، وقد استبقى سوريا في قبضة يده، أما «سيليسيا» فإنه عين صديقه «أنتيوكوس» حاكمًا عليها كما نصب أكزانتيبوس Xanthippus وهو أحد قواده على الإقليم الواقع خلف نهر الفرات.

ولدينا رواية أخرى من التاريخ اللاتيني الذي وضعه تروجوس بومبسيوس Trogus Pompsieus نقلها عنه المؤرخ «جوستن» جاء فيها: أنه عندما أعلن في مدن آسيا أنها (أي برنيكي) وابنها الطفل قد حوصرا في أنطاكية فإن المدن بالنسبة لشرف محتدها شعرت بالحزن لمثل هذه الكارثة التي لا مبرر لها، وأرسلت كلها مددًا؛ وكذلك فإن أخاها «بطليموس» قد استولى عليه الفزع بسبب الخطر الذي كان يحدق بأخته، وطار على جناح السرعة من بلاده بكل ما لديه من قوة حربية، ولكنه قبل أن تصل النجدة فإن «برنيكي» — التي لم يكن في الإمكان القبض عليها بالقوة — قد خُدِعت بالخيانة وقُتِلت غدرًا، ومن ثَمَّ عم السخط، وعلى ذلك فإنه عندما كانت كل المدن التي ثارت، وأخذت في تجهيز أسطول عظيم فإنه استولى عليها الهلع مما رأت من قسوة «لاؤديس»، حتى إن أولئك الذين كانوا يريدون حمايتها قد قلبوا لها ظهر المجن، وانضموا إلى بطليموس وجيشه الذي لولا قيام فتنة في بلاده دعته إلى العودة إلى وطنه لكان في مقدوره أن يستولي على كل ممتلكات السليوكيين.[٦] هذا، ويحدثنا «جوستن» أن مدن «آسيا» عندما علمت أن «برنيكي» كانت محاصرة في دفنه Daphné[٧] أرسلت إليها نجدة في الحال.

---

[٦] Justln, XXVII, 1, 5 ff.

[٧] «دفنه» على مقربة من أنطاكية.

أما المؤرخ بوليانوس Polyaenus فقد تحدث لنا أولًا عن مقتل «برنيكي» وابنها، ويقص علينا قصة غريبة، فيقول: إن قتلة الأمير الصغير قد وضعوا مكانه طفلًا آخر، وقدموا له كل الاحترام الملكي، أما «برنيكي» فإنهم قتلوها خيانة في وسط المفاوضات معها؛ غير أن تباع «برنيكي» أخفوا جثتها، ووضعوا مكانها امرأة تظهر بأنها قد جرحت فحسب، لدرجة أن الشعب قد ظن أن كلًّا من «برنيكي» وابنها كان لا يزال على قيد الحياة؛ وذلك إلى أن وصل بطليموس والدها (هكذا في الأصل) إجابة لطلبهما، وذلك بإرسال خطابات باسمهما كأنهما لا يزالان على قيد الحياة، وعندما وصل بطليموس بجيشه أمكنه أن يجعل نفسه سيد كل الإمبراطورية السليوكية من جبال «توروس» حتى بلاد الهند دون أن يدخل غمار موقعة حربية.[٨]

هذا، ولدينا رواية أخرى عن شجاعة «برنيكي» ومتابعة قاتل ابنها، فقد جاء في رواية رواها «فالير ماكسيم»[٩] وهي ما يأتي: إن برنيكي قد امتطت عربة وهي مسلحة، وقفت إثر قاتل ابنها وهو فرد يدعى «كانوس» Caeneus كان قد أرسلته «لاؤديس» فضربه بحجر فخر صريعًا.

وخلاصة القول من كل هذه الروايات التي لا تستند على وثائق أصلية أنه على إثر موت «أنتيوكوس الثاني» نشبت حرب بين الملكتين المتعاديتين فقد حاربت «لاؤديس» من أجل وراثة العرش لابنها، وكانت صاحبة نفوذ قوي في آسيا الصغرى؛ حيث كان أخوها الإسكندر قائد شطربية ليديا، وكان أكبر أولادها في تلك الفترة قد ناهز التاسعة عشرة من عمره، وقد أُعْلِن هناك ملكًا باسم «سليوكوس» الثاني؛ ولكن القصة التي تقص علينا أن «أنتيوكوس الثاني» كان قد تصافى مع زوجه «لاؤديس» ثانية، وأقرَّ تولي سليوكوس ابنه من بعده على عرش البلاد فإنها كانت على ما يبدو قصة دعاية، وإن كانت مع ذلك محتملة.

أما «برنيكي» بنت «بطليموس الثاني» فكان أهل أنطاكية يعاضدونها، وبخاصة عندما نعلم أن بعض القواد في هذه البلدة كانوا ينحازون إلى جانبها، يضاف إلى ذلك أن بعض أهل المدن كانوا يعتقدون أن ابنها هو الوارث الشرعي لوالده «أنتيوكوس»،

---

[٨] Polyaenus, VIII, 50.

[٩] Valeer Maxime, IX, 10, Ext. I.

وبخاصة أن أصدقاءها قد أذاعوا — بطبيعة الحال — القصة التي كانت شائعة وقتئذٍ، وهي التي ذكرت أن «لاؤديس» قد سمت «أنتيوكوس».

وقد زحفت قوة حربية من «سوريا» أو من قبرص لمساعدة «برنيكي» واستولت على ميناء «سليوسيا» Seleuceia البحرية («بيريا» Pirea).

ومن المحتمل أن الحامية هناك قد انضمت إلى جانبها. هذا، ونعلم أن حاكم قبرص وقتئذٍ كان قد دخل «سليوسيا» بقطعة من الأسطول، وذهب بنفسه إلى «أنطاكية» حيث استُقْبِل استقبالًا ملكيًّا من القواد والحكام والشعب، وتقابل مع «برنيكي» ليتخذ الاحتياطات اللازمة معها، وقد بقي لدينا جزء من التقرير الذي كُتِب باسمه، وهو يعتمد على الجريدة الرسمية، ومما يُدهِش أن ذكر «برنيكي» قد جاء في هذا التقرير، ووُضِعت فيه بأنها أخته، ومن ذلك يظن بعض المؤرخين أن كاتب هذا التقرير هو بطليموس الثالث نفسه، ولا نزاع في أن هذا القائد — المشار إليه هنا — كان تابعًا قد أطلق على الملكة لقبها هذا (أي أخته)،[١٠] غير أن بطليموس الثالث لم يكن وقتئذٍ يحكم «قبرص»؛ وفضلًا عن ذلك فإن هذه الجزيرة كانت دائمًا إقليمًا يحكمه أخ أصغر من البيت المالك؛ ومن المحتمل جدًّا أن كاتب هذا التقرير هو «ليزيماكوس» أخ الملك بطليموس الثالث، وقد كان غرض «ليزيماكوس» — إذا صح أنه هو كاتب هذا التقرير — عزل «لاؤديس» والاستيلاء على مبلغ الألف وخمسمائة تالنتا التي كان يقصد إرسالها لها، ومن أجل ذلك أرسل قوة حربية إلى «سيليسيا» حيث استولت هناك على «سولي» وعلى النقود. أما قائد الشطربية المسمى «أريبازوس» فقد قُتِل أثناء محاولته الذهاب إلى «لاؤديس»، وفي النهاية استولت مصر على كل الشطربية.

أما ما حدث خلال ذلك في «أنطاكية» فغامض، وكل ما نعرفه أن قوة حزب «لاؤديس» قد سيء تقديرها، وذلك أن قصة «ليزيماكوس» عن استقباله هناك فإنها إن دلت على شيء فتدل على أنها كانت بمثابة اعتذار بعد الحادث، وأن موضوع نفيه بعد ذلك فعلًا إلى الوجه القبلي يمكن أن يوحي بخيبته في عدم قدرته على إبقاء قوة كافية في عاصمة الملك، والواقع أن حزب «لاؤديس» قد أعلن الثورة وبطريقة ما قتل كل من «برنيكي» وابنها الطفل.

---

[١٠] Dittenberger Grientis Graeci Inscriptiones, Selectae, 219, 224.

وقد وقعت هذه الحوادث في خريف عام ٢٤٦ق.م وذلك عندما زحف بطليموس الثالث على أنطاكية بجيشه البري، وفيلته الأفريقية التي كان قد دربها له والده على فنون الحرب، وقد ترك زوجه «برنيكي» خلفه في مصر، وكانت تخاف عليه من شر هذه الحرب، ومن أجل ذلك يقال إنها تضرعت إلى السماء أن يحميه، وقدمت قربانًا من أجل ذلك خصلة من شعرها الجميل طالبة أن يعود سالمًا غانمًا من حروبه، وقد سبَح خيال الفلكي الإسكندري المسمى «كونون» ما شاء له الخيال حتى إنه كان من حسن حظه أن تعرَّف على خصلة الشعر هذه تسطع بين نجوم السماء؛ ولا تزال مجموعة النجوم التي تدعى «كوما برنيكي» Coma Bernices تمثل في مصورات النجوم المتداولة بيننا تحمل اسم هذه الكلمة.

والظاهر أن بطليموس الثالث لم تعترضه مقاومة تذكر في «سوريا»؛ وذلك لأن أهل المدن والموظفين كانوا متشيعين بين الفريقين المتعاديين، ولم يكن أي منهما يعرف أي الملكين كان الحاكم الشرعي، وتدل الظواهر على أن نساء حاشية «برنيكي» قد أفلحن في إخفاء خبر موتها وموت ابنها الطفل حتى وصل بطليموس الثالث، وقد استمر الأخير بدوره في إخفاء هذا الحادث، ومن ثم لم يعد غازيًا أجنبيًّا لبلاد سوريا بل جعل نفسه البطل المناضل عن حقوق الوارث الشرعي لعرش سوريا، وتحدثنا الوثائق التي ورثناها عن هذه الحروب أنه فتح كلَّ آسيا حتى حدود «بكتريا» (الفرس)، وقد أضاف الكتاب المصريون فيما بعد إلى ذلك بلاد «أرمينيا» و«تراقيا» و«مقدونيا»، والاستيلاء على مقدونيا يعد تعظيمًا رمزيًّا لاستيلائه فيما بعد على «أبيرا» Abera كما سنرى بعد.

ولا نزاع في أن أعظم عمل قام به هذا العاهل المصري هو دون شك وصوله إلى «سليوسيا» الواقعة على نهر «دجلة» حيث انضم إليه هناك قواد الشطربيات الشرقية فقد أرسل إليهم رسائل باسم «برنيكي»، وبعد أن تم له ذلك نصب قائدًا من قبله على الشطربيات الشرقية، ثم عاد إلى مصر بما لديه من غنائم حرب.

ومن المؤكد أنه لم يعبر في سيره جبال توروس. على أن ما تركه لنا بطليموس من وثائق عن نفسه تُشْعِر بأنه على حسب التقاليد المعروفة قد استُدْعِي إلى مصر بسبب قيام ثورة في بلاد دلتا النيل، ومن المحتمل كذلك أنه على أثر افتضاح خبر موت «برنيكي» وابنها رأى بطليموس الثالث أنه من الحكمة والمصلحة لبلاده عدم الاستمرار في هذه الحروب، وبذلك برَّر عودته إلى أرض الوطن؛ ليحميها من شر الفتن.

ولا يبعد أن فتوحه لم تكن إلا مجرد استعراض حربي قام به في تلك الممالك؛ ليظهر ادعاءه بأنه يمثل الحاكم الشرعي، ومن ثَمَّ لم يلقَ أية مقاومة؛ غير أنه — لا بد —

كان قد ترك قوات كبيرة في «سيليسيا» و«سوريا» للمحافظة على الأمن وخوفًا من قيام ثورات معادية.

والحرب التي جاءت على أعقاب ذلك كانت تُعْرَف في بادئ أمرها بحرب «لاؤديس» ولا بد أن هذا الاسم كان في أول الأمر هو القوة الدافعة؛ وذلك على الرغم من أن «سليوكيس» الثاني ابن لاؤديس كان لا يزال حدث السن فإنه قد أظهر كفاية مُحسَّة في حكمه.

وفي عام ٢٤٥ق.م أخذت الأحوال الداخلية في تلك البلاد تتغير إلى النقيض، وذلك أنه لما شاع خبر موت «برنيكي» وابنها أصبحت نتيجة ذلك الخبر ظاهرة للجميع، وصار الموقف يتلخص في أن يبقى «سليوكيس الثاني» على عرش الملك، أو أن يبقى بطليموس الثالث ملكًا على كل هذه الأصقاع المترامية الأطراف فضلًا عن ملك مصر.

غير أن الأحوال السياسية العامة لم تساعد بطليموس على البقاء في هذه البلاد ملكًا، وذلك لأن المدن الإغريقية كانت مدينة للملك «أنتيوكوس الثاني» بما وهبها من حرية؛ ولذلك التفت حول ابنه، وقد بدأ فعلًا «سليوكوس» يجمع الجيوش لمقاومة بطليموس الثالث، وكان يعاضده أسطول إغريقي في عرض البحر، وقد بقيت لدينا صورة حية عن حوادث هذه الحروب، وبخاصة عما حدث مع «أزمرنا» حوالي عام ٢٤٤ق.م إذ كانت تعمل قلبًا وقالبًا مع الملك «سليوكوس» بحرية تامة؛ فقد كانت له أكثر من حليف، فكان لديها السلطات باسم «سليوكوس» بأن تقدم وعودًا تشمل مصاريف على خزانته؛ يضاف إلى ذلك أن هذا العاهل قد زوج أخته «لاؤديس» من «متريداتس» ملك «بونتوس»، وذلك بالإضافة إلى أنه أعطاه جزءًا من «فرجيا» بمثابة مهر أخته، كما زوج أخته «ستراتونيس» من أرياراتيس Ariarathes ملك «كابادوشيا»، وبذلك كسب لنفسه ولاء هذين الملكين.

وفي ربيع عام ٢٤٤ق.م اجتاز جبال «توروس»، وقد كان من نتيجة هذه الحملة أن الحُكْم المصري قد تداعى في هذه الأصقاع إلا على الشاطئ، فإن الحكم المصري كان لا يزال قائمًا، والواقع أن هذا الملك قد استرد كل الشرق ومعظم سوريا السليوكية، وقد أصبح بعد أن ألهه قومه يُدْعَى «كالنينكوس» (أي المنتصر)، وعلى أية حال خابت محاولة له قام بها لغزو جنوب «سوريا»، وبعد ذلك عاد إلى «أنطاكية»، وعلى أثر ذلك قامت قوة مصريَّة بحصار «دمشق»، ولكن هذا الملك الفتي تمكن من خلاصها، وقد انتهت الحرب بإعادة حدود سوريا القديمة إلى ما كانت عليه، ولم يبق تحت سلطان مصر إلا «سليوسيا» وبيريا Pieria وكل بلاد «فينيقيا».

أما في البحر فكان نجاح «سليوكوس» أقل شأنًا؛ إذ قامت عاصفة هوجاء حطمت أسطوله. غير أنه قد ظهرت عوامل أخرى في تلك الفترة جعلت القوة تنتقل إلى أيدٍ أخرى، وتفسير ذلك أن العمل السياسي الذي كان قد قام به «أنتيوكوس الثاني» وهو الانضمام إلى مصر عام ٢٥٣ق.م قد وضع حدًّا للتعاون بين بيت الأنتيجونيين وبيت السليوكيين بصورة حاسمة، والواقع أنه ليس لدينا ما يوحي بوجود تحالف بين هذين البيتين ما بين عامي ٢٤٦–٢٤٥ق.م فقد كان على «سليوكوس» أن يحمي شاطئه إذا كان ذلك في قدرته، وبحلول عام ٢٤٦ق.م كان أنتيجونوس قد استعاد «كورنثة» كما استعاد قوة أسطوله، وقد رأى هذا الرجل الذي كان قد طعن في السن فرصة — بما لديه من قوة بحرية — للانتقام من مصر لمساعدتها «الإسكندر» صاحب «كورنثة»، وكذلك باستعادة «ديلوس» إلى حظيرته، وتدل الظواهر على أنه قد ظهر بقوته الحربية في عام ٢٤٦ق.م أو في ربيع عام ٢٤٥ق.م في البحر الإيجي، وقد استطاع بما لديه من قوة أن يهزم الأسطول المصري على مسافة من «أندروس» Andros، وقد كان هذا الأسطول في حراسة «كورنثة»؛ يضاف إلى ذلك أن «سليوكوس» استرد «ديلوس» والكثير من جزر «سيكلاديس».

ولم يبق لمصر إلا «تيرة»، وقد احتفل هذا الملك باسترداد «كورنثة» في تلك الفترة بإقامة آنيتين تذكارًا لذلك النصر أقامهما في عام ٢٤٥ق.م في ديلوس؛ فأقام إحدى هاتين الآنيتين في بانيا Paneia للإله «بان» حاميه، وهو الذي قد ساعده بلا شك في «أندروس» كما كان قد ساعده من قبل في ليزيماكيا Lyzimacheia ونصب الأخرى في «سوتيريا» Soteria (= عيد الخلاص) وذلك تعظيمًا للآلهة المخلصين؛ أي كل الآلهة الذين نجوه، وكتبوا له الفوز والنصر، وليس لدينا ما يثبت أن مصر قد عقدت معه أي صلح فعلي؛ وذلك لأنها فضلًا عن تحالفها مع الحلف «الآخي» عام ٢٤٣ق.م فإنها اشترت مساعدة القائد «أراتوس» مواطن سيسيون (مؤسس الحلف الآخي، وهو الذي سمَّه فيليب الثالث المقدوني فيما بعد عام ٢١٣ق.م) لمدة أعوام. أما من جهة محاربة «أندروس» فقد كان الحرب معها نهائيًّا، وذلك لأن مصر لم تحارب مقدونيا في البحر، كما بقيت قيادة البحر في يد «أنتيجونوس» إلى أن تركوا أسطولهم يتداعى، وتركوا بحر «إيجة» دون سيد له.

غير أن موقعة «أندروس» لم تقض بطبيعة الحال على أسطول مصر العظيم، وذلك أنه في حين كان «سليوكوس» يسترد شمال سوريا كانت مصر تستعمل قوتها البحرية في نقل معدات الحرب إلى ميدانها القديم؛ أي ساحل «آسيا الصغرى» حيث كانت الأحوال هناك مواتية لها كما سنرى بعد هذا، وقد وقعت «أفسوس» فريسة لها

بخيانة القائد السليوكي «سوفرن» Sophron، وقد انضمت إليها «ميلوتوس» بوصفها حليفةً فاستولت على «ساموس» (قبل عام ٢٤٣ق.م) وكذلك نصب حاكم مصري على «برين» Priene، وبحلول عام ٢٤١ق.م كانت مصر قد استولت على جنوبي «أيونيا» حيث سمِّيت هناك بلدة «لبدوس» من جديد باسم «بطلمايس»، ولكن الشمال؛ أي زميرنا Symrna و«إريترا» Ergthrae وكولوفون Colophon في الداخل قد بقيت في أيدي السليوكيين، وقد احتفظت بممتلكاتها السابقة؛ ومن المحتمل كذلك أنها استولت من جديد على بعض أماكن في «بامفيليا» Pamphylea وفقدت «سيليسيا الشرقية» ثانية إلا سولى Soli وماللوس Mallus و«سليوسيا»؛ غير أنها احتفظت بالجزء الغربي منها، وفي الجهة الشمالية من «أيونيا» يُلْحَظ أن بطليموس الثالث قد توسع بصورة محسَّة في مد سلطانه. أما جزيرة «خيوس» Chios فقد ارتأت سلامتها في الانضمام إلى «أيتوليا» Aetolia، ولكنه استولى كذلك على «لزبوس» (هذا إذا لم تكن من قبل من أملاك مصر) وعلى ساموتراس Samothrace ومن المحتمل على «أبيدوس» وكرسونيز Chersonese في تراقيا؛ هذا بالإضافة إلى «ليزيماكيا» و«سستوس» Sestos والساحل الشرقي مع «أنوس» Aenies و«مارونا» Maronea و«سيبسلا» Cypsela الواقعة في «هبروس» Hebrus حيث نفِّذ حكم الاعدام في حاكمها «أداوس» Adaeus، ومن المحتمل كذلك أن قائد بطليموس التراقي قد استولى على «أبديرا» بعد وفاة «أنتيجونوس» كما تدل على ذلك النقود التي ضُرِبت هناك، وهي التي لم تكن مقدونية على حسب معاهدة عام ٢٩٧ق.م بل كانت من أملاك السليوكيين.[١١]

وفي عام ٢٤١ق.م عقد «سليوكوس» صلحًا مع «بطليموس الثالث»، ونرى من نتائجه أن «بطليموس الثالث» قد رسخت قدمه أكثر من سلفه على طول الساحلين الشرقي والشمالي لبحر «إيجة» في عام ٢٧٢ق.م؛ ولكنه في مقابل ذلك فقد السيادة البحرية؛ إذ انتقلت وقتئذٍ إلى يدي مقدونيا التي كان في مقدورها بأسطولها أن تتدخل تدخلًا ملحوظًا في بلاد الإغريق.

وعلى أية حال نستخلص من هذه الحروب أنها قد أتت بنتيجة واحدة، وهي أن الشرق الأقصى قد ضاع تمامًا من أيدي السليوكيين، وبخاصة عندما نعلم أن الملك

[١١] .II. Von Frltze, Momisma III, P. 28

«أنتيوكوس» لم يكن له ولد في السن الذي تؤهله لحكم بلاد «بابل» يضاف إلى ذلك أنه لا هو ولا «سليوكوس» الثاني كان عندهما الوقت للالتفات إلى الشرق ومهامه.

حرب الأخوين[١٢]

وقد حدث في خلال اشتعال نار الحرب التي أوقدها سليوكوس الثاني في سوريا على بطليموس الثاني أن الأول قد نزل لأخيه «أنتيوكوس» — الذي كان يلقب «هيراكس» (الصقر) — عن آسيا الصغرى شمالي «توروس»؛ ولكن لم يكن المقصود من ذلك أنه شريك له في الحرب، بل بوصفه ملكًا مستقلًا في هذا الجزء من الإمبراطورية، وتدل شواهد الأحوال على أن «سليوكوس» قد اتخذ هذه الخطوة الخارقة لحد المألوف لضرورة ملحة. وتحدثنا المعلومات التي وصلت إلينا أن «لاؤديس» كانت قد انتزعت هذه البلاد بمثابة ثمن المساعدة التي قدمتها من جنود في آسيا الصغرى، ولكن كثيرًا من القصص التي تُحكى عن «لاؤديس» لا يُعْتَمد على صحتها، ومن البَدَهي على أية حال أنه كان يوجد عصيان في تلك الجهات مما يساعد على تفسير السرعة التي أتمَّ بها «بطليموس» فتح ساحل آسيا الصغرى، ونعلم أن «سليوكوس» بعد أن تهادن مع «بطليموس الثالث» وأصبح حرًّا، أخذ في استرداد آسيا الصغرى حيث كان بطليموس على ما يُحْتَمل يساعد «أنتيوكوس» طمعًا في إضعاف السليوكيين ودولتهم، وليس من المعروف لدينا أن «لاؤديس» قد اشتركت في هذه الحرب مع أنها كانت لا تزال على قيد الحياة في عام ٢٣١ق.م.[١٣]

وقد غزى سليوكوس بلاد «ليديا» بنجاح، وفصل عدة مدن بما في ذلك «زمرنا» من أخيه غير أنه لم يتمكن من الاستيلاء على «ساريس»، وفي السنة التاليه هاجم «ميترايداتس» Mithredatis الذي كان يساعد «أنتيوكوس»، في حين أن الأخير تحالف مع الغالي «جالاتيا» وأتى لنجدته «ميتراتديس» ومن ثم نشبت معركة بالقرب من «أنسيرا» Ancyra بين الأخوين مُزِّق فيها شمل جيش «سليوكوس» على يد الغاليين، وقد نجا «سليوكوس» بشق الأنفس، وولى الأدبار هاربًا مخترقًا جبال «توروس» أما

---

[١٢] .Cambridge, Ancient History, vol. VII. P. 715 ff

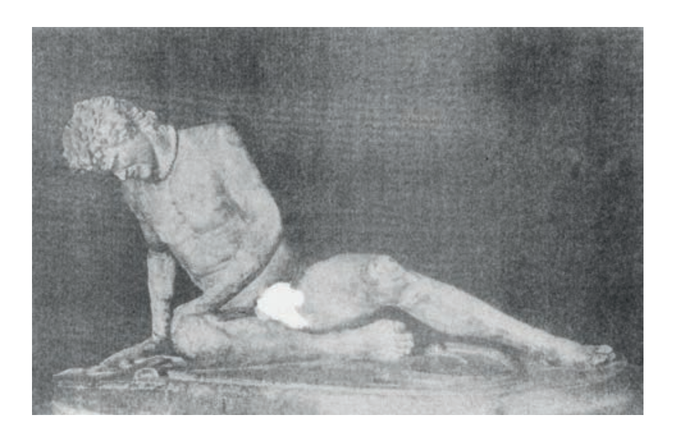
[١٣] Babylonian Tablet published by C. F. Lehmann. Haupt, Zeits, f., Assyriology VII. P. .330, Mr. Sidney Smith,s translation

«أنتيوكوس» فإنه قوَّى نفسه بالزواج من إحدى بنات «زيلاس» ملك «بثينيا» والظاهر أنه قد عُقِد صلح بين الأخوين قبل عام ٢٣١ق.م وبمقتضاه ترك «سليوكوس» «آسيا الصغرى» شمالي جبال «توروس» لأخيه «أنتيوكوس»، ولا نزاع في أن هذه الحرب قد أحدثت اضطرابات في «آسيا الصغرى» وهيَّئت الفرصة للأسر الصغيرة المستقلة فيها لتنمو، كما حدث في أسرة «أوليمبيكوس» Olympichus في إقليم «كريا»؛ وكذلك في أسرة «مواجيبتيس» Moagetes في «سيليرا» Celyria وغيرهما.

يضاف إلى ذلك أن هذه الحروب قد شجعت الغاليين على أن يأملوا في قلب الحكم الثابت المستقر في هذه الجهات؛ إذ الواقع أنهم على الرغم مما اتصف به رجالهم ونساؤهم من فضائل عالية فإنهم مع ذلك كانوا مخربين، وأعداء للمدينة التي كان يمثلها ويدافع عنها بيت السليوكيين؛ ومن ذلك كان تحالف «أنتيوكوس» معهم — وكان يختلف عن استخدامهم بوصفهم جنودًا مرتزقة — يُعدُّ تقريبًا بمثابة خيانة بالنسبة للأغراض السامية التي كانت تقصدها المدنية الهيلانستيكية. هذا ولدينا في تلك البقعة حاكم آخر رأى فرصة سانحة أمامه للاستيلاء على مكانة أمير سليوكي قد خَلَتْ، وأعني بذلك عرش ملك «برجامم» الذي أصبح خاليًا بعد موت مليكه «إيمينيس» Eumenes، ولم يترك وراءه وريثًا لملكه عام ٢٤١ق.م وقد خلَّفه على العرش ابن أخيه «آتالوس» Attalus وكانت أمه «أنتيوكويس» السليوكية أخت «لاؤديس» وبذلك نرى أن أسرة برجامنيز الطموحة قد تحالفت مع الأسرة القديمة؛ إذ كان أنتيوكوس وآتالوس الصغير ولدا عمٍّ مباشرين.

وتدل الظواهر على أن كل ولاية في «آسيا الصغرى» حتى بلاد السليوكيين نفسها كانت تدفع جزية للغاليين مقابل الكفِّ عن تخريب بلادهم، غير أن هذه الحال لم تدم؛ إذ نجد على ما يظهر أن «أتالوس» قبل حوالي عام ٢٣٠ق.م هبَّ في وجه الغاليين، وامتنع عن دفع الإتاوة التي كانت مفروضة عليه لهؤلاء الطغاة، ومن ثَمَّ دخل في حربٍ مع إحدى قبائلهم وهزمها بالقرب من نهر «كايكوس» Caicus، ومن ثَمَّ أجار هؤلاء الغاليين «أنتيوكوس» فأجارهم؛ وبذلك أصبح حليفًا لهم، وهكذا صاروا سلاحًا للقضاء على مملكة هيلانستيكية، وفعلًا توغل هؤلاء الغاليون في «برجامم» حتى جدران معابدها حيث هزمهم «آتالوس» هزيمة منكرة، وكان من نتائج هذا النصر أن أطلق عليه لقب ملك، وعلى أثر هذه الهزيمة قلب الغاليون ظهر المِجَنِّ لأنتيوكوس وتركوه وحيدًا بعد قتل والد زوجة «زيالاس» Zealas؛ وعندئذ انتقم «آتالوس» لنفسه انتقامًا حاسمًا من أعدائه فهزم «أنتيوكوس» في ثلاث مواقع؛ الواقعة الأولى: في «فريجيا» التي على الدردنيل،

والواقعة الثانية: في عام ٢٢٩ق.م عند «كولوي» Koloe في «ليديا»، والواقعة الثالثة: في «هارباسوس» في «كاريا»، وبذلك اضطر العدو إلى إخلاء إقليم البحر بنظام من الشمال إلى الجنوب، ومن المحتمل أن «بطليموس الثالث» قد أرسل مددًا ماليًّا له بوصفه صديقه الوراثي، وكان يرمي من وراء ذلك إضعاف «السليوكيين»، ولم ينقض عام ٢٢٨ق.م حتى طرد «آتالوس» الملك «أنتيوكوس» شرقًا، وجعل كل بلاد آسيا الصغرى التابعة لبيت السليوكيين شمالي جبال توروس تحت سطيرته.



شكل ٣: جريح من الغاليين.

ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد أن «آتالوس» عندما احتفل بانتصاراته على أعدائه؛ أنه أبرز بوجه خاص هزيمته للغاليين وحدهم، وعد قهرهم انتصارًا للهيلانستيكية على الهمجية، والواقع أننا لم نجد إلا اليسير جدًّا من الملوك الذين أعلنوا انتصاراتهم بطريقة مشرفة أحسن من التي قدمها لنا هذا العاهل؛ ففي أثينا أقام على الجدار الشمالي من الأكروبول أربع مجاميع من التماثيل اثنتان منهما أسطورية المَغْزَى والأخريان تاريخيَّة الهدف، ومن ثَمَّ نرى أن الموقعة التي تمثِّل الأثينيين والأمازونيين أسطورية، وتقابلها موقعة الأثينيين مع الفرس، في حين أن موقعة الآلهة مع التيتانز Titanus[١٤]

[١٤] أول سلالة إلهية أنجبها «أوراتوي» إله السماء و«جا» = الأرض.

وتقابل موقعة «آتالوس» مع أولئك القوم الذين سماهم «كاليماكوس» التيتانز الذين ولدوا متأخرين والمقصود بهم الغال.

هذا، ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن «آتالوس» كان يُعَدُّ في الواقع إلهًا على الأرض، وذلك على الرغم من أنه لم يُطْلَق عليه رسميًّا لقب إله، وقد مثل عقب انتصاراته العظيمة على مدرج معبد «أثينا» في «برجامم» سلسلة صور من البرنز تدل على انتصاراته، من ذلك صورة الغالي المحتضر الذي نصب في الكابيتول، وقد خلده الشاعر الإنجليزي بيرون بوصفه المحارب المحتضر، وكذلك المجموعة التي مثل فيها الغالي وهو يقتل زوجه، ثم بعد ذلك يطعن نفسه بخنجر، وهذه تعد نسخًا من المرمر يُحْتَمل أنها كانت معاصرة لصور منفردة، وهذه الحرب قد قدمت لنا دافعًا بل حافزًا لمدرسة جديدة تمثل الواقعية في فن النحت.

ومن المحتمل أنه في عام ٢٢٧ق.م قام «أنتيجونوس دوسون» ملك مقدونيا بغزو بلاد «كاريا» هذا مع العلم أن مقدونيا قد ظلَّت نحو خمسين سنة دون أن تقوم بغزو آسيا الصغرى، وعلى ذلك فإن حملة «دوسون» هذا تُعدُّ غريبة لدرجة أن بعض المؤرخين قد ظن أنها لم تحدث قط، ولكن هذه الحملة تعد مثل الحملات التي قام بها «كاسندر» وفيليب الخامس، والبرهان على ذلك لا يعوزنا؛ وذلك أنه لما كان «دوسون» يريد مدَّ نفوذه في البحر أكثر مما فعله كلٌّ من «جوناتاس» وديمتريوس الثاني، فإنه من المحتمل أنه كان يعمل جاهدًا لمدِّ نطاقٍ حربي عبر بحر إيجة ليبعد مصر عن مقدونيا، ولكن فضلًا عن مساعدة مصر لأثينا في عام ٢٢٩ق.م وذلك عندما رهنت أثينا النسخ الأصلية من أعمال الشعراء «إيسكيلوس» وسوفوكليس و«إيريبيديز» للملك «بطليموس الثالث» مقابل مبلغ خمسة عشر تالنتا، وكذلك معاونتها ماليًّا لآراتوس، فإن احتلالها لأبديرا الذي جعلها على مقربة من مقدونيا كان يُعدُّ استفزازًا مباشرًا لدوسون.

والظاهر أن «دوسون» قد استولى على بعض الأماكن في كاريا، كما ظهر بعض المقدونيين في «ميليتوس» في قوائم الغرباء، غير أن الحوادث في بلاد الإغريق قد استدعته، ومن ثم تداعت فتوحه، ومن المحتمل أنه نزل عنها لبطليموس الثالث في عام ٢٢٣ق.م وكان غرضه من ذلك أن يُقْصيَه عن معاضدته «كليومنيس» الإسبرتي.

أما «آتالوس» فكان في عام ٢٢٨ق.م طليق اليد؛ وذلك لأن «سليوكوس» كان منهمكًا في استرداد «بارثيا» من «أرساسيس» الثاني، ولكنه خاب في ذلك بسبب اضطرابات قامت في «سوريا»، وفي عام ٢٢٧ق.م نرى أن «أنتيوكوس» بعد أن طُرِد من «آسيا

الصغرى» عقد معاهدة مع عمته «إستراتونيس» مطلقة «ديمتريوس الثاني» الذي كان يعيش في أنطاكية ليخلع سليوكوس ويستولي على كل ملكه، ومن المحتمل أنه كان قد وعدها بالزواج إذا نجح في تنفيذ مشروعه، ومن ثَم قامت بثورة في أنطاكية في حين أن «أنتيوكوس» قام بغزو «مسوبوتاميا»، وأجبر «سليوكوس» على مغادرة «بارثيا»، وفي نهاية الأمر طرده سليوكوس واستردَّ أنطاكية وأعدم «إستراتونيس» ولكن المنية عاجلته في عام ٢٢٦ق.م قبل أن يصفِّي حسابه مع «آتالوس».

أما «أنتيوكوس» فقد أصبح منذ الآن مجرد مغامر ينتقل من مكان لآخر، وقد أفلت من القبض عليه مرات عدة إلى أن قضى على حياته بعض الغاليين في «تراقيا»، وبعد وفاة «سليوكوس» خلَّفه ابنه الإسكندر باسم «سليوكوس» الثالث المخلص، وهو الذي أرسل أخاه الصغير «أنتيوكوس» ليحكم بابل، كما أرسل عمَّه «أندروماكوس» لاسترداد آسيا الصغرى من «آتالوس»، وقد ساعد «أندروماكوس» هناك أحد الحكام المسمى «ليزباس» غير أن «آتالوس» كان دائمًا هو المنتصر، وفي النهاية قبض على «أندروماكوس» وأرسله إلى مصر، وأنشأ عيد نصر Nikephoria، وبعد ذلك اجتاز «سليوكوس» الثالث جبال «توروس» بنفسه، غير أننا نقرأ عقب ذلك أنه قُتِل في «فريجيا» في صيف عام ٢٢٣ق.م ولكن قائده «إبيجنيس» Epegenes الذي كان محبوبًا هناك أمكنه أن يعود بالجيش سالمًا إلى بلاده، وعلى أعقاب ذلك نجد أن «أخايوس» بن «أندروماكوس» وابن عم سليوكوس، وهو الذي كان قد عيَّنه سليوكوس ليحكم آسيا الصغرى، قد استولى على زمام الأمور هناك، وكان رجلًا قادرًا حتى إن بعض القوم كانوا ينتظرون منه أن يستولي على تاج الملك، ولكنه أعلن «أنتيوكوس» ملكًا على البلاد وعاقب قتلة الملك ثم عاد إلى إقليمه، وهناك هاجم «آتالوس» وأجبره على التقهقر إلى داخل حدود «برجامم» نفسها، وبحلول عام ٢٢٠ق.م كان قد استرد «أخايوس» كل أملاك السليوكيين في آسيا الصغرى.

أنتيوكوس الثالث ومصر

أظهر أنتيوكوس الثالث عند تولِّيه عرش الملك قدرة ونشاطًا عظيمين، هذا بالإضافة إلى أنه كان إلى حدٍّ ما كريمًا متزنًا، وكان معاصروه يطلقون عليه لقب «الملك العظيم» وهو اللقب الذي كان يُطْلَق أحيانًا على «أنتيوكوس الأول» و«بطليموس الثالث». على أنه عند تولِّيه لم يكن نسبيًّا صاحب تجارب وحنكة، وذلك على الرغم من أنه حكم باسم أخيه مدة، وذلك لأنه كان لا يزال حدث السن؛ إذ لم يكن وقتئذٍ يتجاوز الثامنة عشرة، يضاف

إلى ذلك أن شهرة ابن عمه «أخايوس» قد غطت عليه، وفوق كل ذلك نجد أنه كان قد وقع تحت سلطان «هرمياس» الذي كان قد نصَّبه والده «سليوكوس الثالث» وزيرًا لشئون الدولة، وقد اضطُر الملك «أنتيوكوس» إلى أن يكل إليه شئون «آسيا الصغرى»؛ إذ لم يكن لديه سبيل غير ذلك، يضاف إلى ذلك أنه لما رأى ألا سبيل لحكم الشرق إلا من «سيليسيا» كما أنه لم يكن هناك فرد من أعضاء الأسرة المالكة يمكنه القيام بهذه المهمة، فإنه وضع بعض السلطات في يد «مولون» وفي يد أخيه «الإسكندر»؛ وهما قائدان في شطربيتي «ميديا» و«فارس» على التوالي، ومن المحتمل أن تقسيم السلطة بهذه الصورة كان على ما يظهر أقل خطرًا من أي تصرف آخر، ولكن دلت الأحوال على أن الإسكندر كان يسير على حسب ما يُمْلِيه عليه «مولون».

وعلى أية حال فإن تنصيب حاكم من غير أسرة السليوكيين كان يُعدُّ أكثر خطرًا من عدم وجود أي حاكم قط؛ ومن ثم نجد أن «مولون» بعد مضي عام واحد أعلن عصيانه على البيت المالك كما فعل «ديودوتوس» Diodotus من قبله، وعلى أثر ذلك أرسل الملك قوة صغيرة لإخضاعه، ولكنها باءت بالهزيمة واحتل «مولون» الإقليم الغني المسمى «أبوللونياتيس» Apolloniates على نهر دجلة، وأعلن نفسه ملكًا، وفي خريف عام ٢٢٢ق.م استولى على معسكر الشتاء في «كتزيفون» Ctesiphon المقابلة لمدينة «سليوسيا» التي كان يقصد الاستيلاء عليها.

وفي عام ٢٢١ق.م عقد «أنتيوكوس» مجلسًا (ولا بد أنه كان قبل موت بطليموس الثالث)، غير أنه انقسم على نفسه؛ وذلك لأن القائد المحبوب «إبيجنيز» Epigenes كان قد نصح للمجلس بمهاجمة شخص «مولون» في حين أن «هرمايس» كان يناصر الرأي القائل بالعمل على غزو جنوب سوريا، وبإرسال قائد لقهر الخارج على العرش، وقد انتهى المجلس بالأخذ برأي «إبيجنيز»، وذلك لأن جنوب سوريا وفلسطين على الرغم من أن قيمتهما لا يمكن أن تعوض فقدان «بابل»، ومن جهة أخرى نجد أن المؤرخ «بوليبيوس» على الرغم من أنه قد مثَّل «هرمياس» بأنه يسعى لمصلحته الشخصية، وأنه لا يخرج عن كونه خائنًا، فإنه كانت هناك ملحوظات لها قيمتها قد غابت عنا؛ وذلك أن مصر وقتئذٍ كانت على ما يُظَن تعمل جاهدة لكسب «آخايوس» لجانبها، ومن المحتمل كذلك أن «هرمياس» و«سوسيبيوس» وزير بطليموس كانا في نضال سياسي الواحد ضد الآخر، وأن «هرمياس» كان يخشى أن تُنْتَزع سوريا من «أنتيوكوس الثالث»؛ وبذلك تترك لمصر ساحة حرة، وعلى أية حال سار «هرمياس» في سبيله، في حين أن «إكزنوتاس» Xenoetas

الآخي الأصل أرسل لمحاربة «مولون» الخارج، وفي تلك الفترة نرى أن «أنتيوكوس الثالث» قد تزوج من «لاؤديس» ابنة «ميتريداتس» صاحب «بونتوس» Pontus، ثم قام بغزو وادي «مارسياس» في آخر العام.

ومهما يكن من أمر نجد أنه قد اعترض سير فتوحه قلعتا «بروخي» Brochi و«جرها» Gurha وهما تُشْرِفان على مدخل الوادي الذي كان في قبضة «تيودوتوس» Theodotus صاحب أيتوليا Aetolia.

وقد انضم إلى «إكزنوتاس» بعض الحكام الموالين للعرش، وعبروا نهر «الفرات» لمهاجمة «مولون»، وفي الحرب التي نشبت أظهر كل من القائدين عدم الكفاية الحربية بصورة محسة، ولكن «مولون» استفاد بما لديه من قوة ليهاجم «إكزنوتاس» على حين غفلة منه، ويحطم جيشه؛ وقد انتصر فعلًا، وتابع نصره هذا بالاستيلاء على «سليوسيا» وأخضع كل «بابل» و«كالديا» لسلطانه، وبعد ذلك ولَّى شطره نحو «بارابوتاميا» Par-apotamia وتابع سيره حتى وصل شمال «دورا–أوروبوس» Doura–Europus الواقعة على نهر الفرات، وفي أثناء حصاره «دورا» الواقعة على نهر «دجلة» في «مسوبوتاميا» ظهر أمامه «أنتيوكوس» بجيشه، وكان من جراء هزيمة «إكزنوتاس» أن أصبح من المحتم على «أنتيوكوس» أن يأخذ قيادة الجيش في يده؛ ومن أجل ذلك تخلَّى عن غزو «سوريا» وركز كل قوة جيشه في «أباما»، غير أنه كان وقتئذٍ مفلِّسًا؛ إذ لم يصل إليه مال لا من آسيا الصغرى ولا من الشرق حتى إن بعض الجنود الذين لم تُدْفَع أجورهم أعلنوا عليه العصيان، وقد انتهز «هرمياس» هذه الفرصة، وعرض على الملك أن يدفع له أجور هؤلاء الجنود إن هو أخلى سبيل إبيجنيز مناهضه، وقد اضطر أنتيوكوس إلى إجابة طلبه، ومن ثَم حصل هرمياس على الأمر بقتل إبيجنيز Epigenes غير أن هذا الحادث قد أدى إلى قيام ثورة في إقليم «سيرهستيس» Cyrrhestice الذي كان على ما يظن مسقط رأس «إبيجنيز»، وقد استمرت هذه الثورة حتى عام ٢٢٠ق.م.

وفي ديسمبر وصل «أنتيوكوس» إلى أنطاكية نيسيبيس Antioch Nisibis، في أوائل عام ٢٢٠ق.م ثم عبر نهر «دجلة» وانحدر على شاطئه الشرقي، وفك حصار «دورا»، وعندما وصلت الأخبار بمجيء أنتيوكوس أخذ جيش «مولون» يتألب عليه، وذلك لأن خيرة جنوده، وهم السكان الإغريق والمقدونيون، كانوا على ولاء لبيت السليوكيين، وقد اضطُر «مولون» لمنازلة عدوه في معركة، غير أن الجناح الذي كان يواجه «أنتيوكوس» في ساحة القتال انضم إليه عندما رأوا جنود الملك، ومن ثَم اضطُر «مولون» وأخوه الذي

كان معه في ساحة القتال إلى الانتحار فرارًا من التعذيب، وعلى أية حال فإنه قد مُثِّل بجثة «مولون» بصلبها على ملأ من الناس، ولكن لم يأت أنتيوكوس من أعمال القسوة والعنف شيئًا آخر، بل على العكس أظهر الرأفة بالمقهورين؛ وذلك أنه عندما رأى «هرمياس» يقتل ويعذب رجال «سليوسيا» البارزين، أوقفه عند حده عن ارتكاب مثل هذه الفظائع، يُضاف إلى ذلك أنه خفَّض الغرامة التي كانت مفروضة على المدينة من ألف تالنتا إلى مائة وخمسين تالنتا.

وبعد أن هدَّأ «أنتيوكوس» الأحوال في الشطربيات، وكافأ «ديوجنيز» على أعماله العظيمة بتنصيبه حاكمًا على «مديا»، عبر جبال «زاجوراس» Zagoras، وأرغم «أرتابازانس» Artabazanes حاكم «أذربجان» — ويحتمل أنه كان حليف «مولون» — أن يعترف بالخضوع لسلطانه؛ لأن أسرته كانت منذ زمن بعيد مستقلة، وبعد أن هدأت الأحوال بهذه الكيفية اقترح عليه صديقه وطبيبه أبوللوفانيس Apollophanes أنه يمكن الحكم بطريقة أحسن دون الحاجة إلى هرمياس، ولما كان «أنتيوكوس» يشعر بنفس الشعور فإنه قضى على حياته خلسة، وعندئذ، قامت نساء بلدة «أباما» بدورهن وقتلن زوجه وأسرته، وقد كان هذا حادثًا شنيعًا، غير أنه لم يكن الوحيد من نوعه في التاريخ الإغريقي.

وفي عام ٢٢٠ق.م عاد «أنتيوكوس» إلى «سوريا»، غير أن غيابه كان له نتائج في آسيا الصغرى حققت ما كان يراه «هرمياس»؛ وذلك أن «آخايوس» كان في الظاهر مُوالٍ للملك، على الرغم من أن كلًّا من مصر و«مولون» كان قد عرض عليه عروضًا سخيةً؛ ليكون في صفِّ أي منهما، ولكن «أخايوس» في عام ٢٢٠ق.م خُيِّل إليه أن من المحتمل ألا يعود «أنتيوكوس» إلى بلاده لحرج مركزه، ومن ثَم بدأ ينضم إلى الخارجين في «سيرستيس»؛ ليستولي على أنطاكية والتاج معًا.

غير أن مَثَلَه في هذا كان كمَثَل «مولون»؛ إذ قد أخطأ في حسابه بالنسبة لأحساسيس رجاله. حقًّا نجده قد استولى على تاج «لأوديسيا» في «فريجيا»، ولكن عندما شعر المستعمرون من الأجناد في جيشه أنه يزحف على «أنطاكية» أعلنوا عليه العصيان، ومن ثَم حَوَّل هجومه على إحدى القبائل بدلًا من غرضه الأصلي، وعلى الرغم من أن «أنتيوكوس» قد علم أن «أخايوس» غَيْر موالٍ له، فإنه رأى من باب الحكمة أن يتركه الآن وشأنه، والواقع أن «أخايوس» كان مشغولًا تمامًا في «آسيا الصغرى» حتى عام ٢١٧ق.م؛

وعلى ذلك ظهر موقف غريب في بابه: وذلك أن «أنتيوكوس» قام بغزو مصر وهو في حالة أمان نسبي مع ثائر قوي خلفه، وذلك زعمًا منه أن جنود هذا الثائر لن يزحفوا عليه؛ وعلى ذلك لم يتخذ أي إجراء رسمي عن حقيقة أنه قد فقد فعلًا آسيا الصغرى.

وفي هذه الأثناء فتح «أخايوس» «ميلياد» Milyad وجزءًا من «بامفيليا» حيث كانت مصر قد فقدت كل ما لها فيها من سلطان.[١٥]

[١٥] Cambridge, Ancient History VII. P. 715–27.

الفصل الثالث

أحوال مصر الداخلية في عهد بطليموس الثالث (أيورجيتيس)

(١) مقدمة

ليس لدينا دليل مادي يدل على أن النشاط الحربي الذي أظهره بطليموس الثالث في سنِي حكمه الأولى قد استمر؛ ومع ذلك نجد أن بعض الكتاب قد وضعوا له صورة خيالية تدل على أنه كان أعظم ملوك البطالمة، والواقع أننا لا نعرف إلا القليل عنه خلافًا لما ذكرناه عن قصة فتوحه في آسيا، وهي القصة التي بولغ فيها، ومهما كانت مشاريع بطليموس من الوجهة الحربية بعد خيبته في تلك الحرب التي ذكرناها قبلُ، فإنا لا نعرف شيئًا عنها؛ إذ قد حضرته الوفاة في غضون عام ٢٢١ق.م وقد كان من جرَّاء ذلك أن كُسرت حدة تحمُّس «أنتيوكوس» العدائية تجاه مصر على حين غفلة، ولزم الهدوء.

(٢) النشاط العلمي والاجتماعي والديني

والواقع أن نشاط بطليموس الثالث قد ظهر بصورة بارزة في ميادين أخرى، نخص بالذكر منها نشاطه في تشجيع العلوم، والآداب، والزراعة، والدين بوجه خاص.

ولا نزاع في أن بطليموس الثالث لا يكاد يقل عن والده في تشجيع العلوم والآداب؛ فقد أضاف الكثير إلى مكتبة الإسكندرية، لدرجة أنه أحيانًا كان يُنْسَب إليه خطأً أنه هو المؤسس لها بسبب كثرة الكتب التي جمعها وأضافها إليها، ولا يغيب عن ذهننا القصة المعروفة عن الحيلة التي احتال بها على أخذ المخطوطات الأصلية التي خلَّفها الكُتَّاب «أيسكيلوس» Aeschylus و«سوفوكليس» Sophocles و«إيرريبديز» Euripides،

والواقع أن هذا العمل كان كافيًا وحده ليبرهن على شغفه بالوصول إلى تنمية مكتبة الإسكندرية.

ومن بين عظماء الرجال العلماء الذين ذاع صيتهم، وانتشر علمهم في الإسكندرية في عصره، نخص بالذكر منهم «أراتوستنيس» و«أبوللونيوس روديوس» Apollonius Rhodius والعالم النحوي «أريستوفانيس»، ويكفي ذكر هؤلاء وحسب؛ لنبرهن على أن الأدب والتعليم في مدرسة الإسكندرية كانا لا يزالان محتفظين بشهرتهما السابقة في هذه العاصمة العظيمة، وقد تحدثنا عن «أراتوستنيس» في الجزء السابق من هذه المجموعة،[1] وسنتحدث هنا عن الاثنين الآخرين.

(٢-١) أبوللونيوس روديوس

ولد هذا الشاعر في الإسكندرية في «بطولمايس»، وقد وصفه بعض الكتاب بأنه مواطن بلدة «نقراش»، وتدل شواهد الأحوال على أنه وُلِد في النصف الأول من حكم بطليموس الثالث أي حوالي ٢٣٥ق.م وعلى ذلك فإن فترة نشاطه العلمي تقع في عهد «بطليموس الرابع» «فيلوباتور» (٢٢١–٢٠٤ق.م) وخلفه بطليموس الخامس «إبيفانيس» (٢٠٤–١٨١ق.م) وقد تعلم في صغره على «كاليماكوس»، ولكنه — فيما بعد — نشبت بينهما عدواة مريرة، ويقال إنه أغضب معلمه بسبب أنه كان يحب الشعر الغنائي الإغريقي، وأراد أن يحاكي شعراءهم في بساطتهم، ومن ثَم حنق عليه معلمه «كاليماكوس»، بل يقال إنه أظهر احتقاره لشعره، وقد ألَّف في صغره قصيدة عن حملة أرجوناتوس Argonauts ولكنه بعد أن فرغ منها، وقرأها على الإسكندريين وجد أنها لم ترق في نظرهم، وقد عزى ذلك لغَيرة الشعراء الآخرين المعاصرين منه، وبخاصة أستاذه «كاليماكوس»، وقد آلمه ذلك فغادر الإسكندرية إلى جزيرة «رودس»، وفي خلال ذلك كتب «كاليماكوس» قصيدة مضادة لما كتبه «أبوللونيوس»، وقد اتَّخذ الأخير جزيرة «رودس» موطنًا له، وهناك نال نجاحًا عظيمًا بعد أن نقَّح كتابه، وقرأه على أهل «رودس» وقد قابلوه بالاستحسان والترحيب، ومن ثَم أطلقوا عليه اسم «أبوللونيوس الرودسي»، ومع ذلك فإنه عاد إلى الإسكندرية، وقرأ على أهلها شعره فأُعْجِبوا به أيما إعجاب، ويقول المؤرخ «سويداس» Suidas إن أبوللونيوس خلَّف «أراتوستنيس» بوصفه مديرًا لمكتبة الإسكندرية.

[1] راجع مصر القديمة الجزء الرابع عشر.

(٢-٢) أرستوفانس

يعد «أرستوفانس» من أشهر مشاهير رجال علم النحو عند الإغريق، وكان تلميذًا لكلٍّ من «زنودوتوس» Zenodotus و«أراتوستنيس» كما كان معلمًا للعالم «أريستاركوس» Austarchus وقد عاش حوالي عام ٢٦٤ في عهد بطليموس الثاني، ثم في عهد بطليموس الثالث، وكانت في يده الإدارة العليا لمكتبة الإسكندرية، وقد أجمع القدامي على وضعه بين أعظم النقاد والنحويين، وقد أسس لتعاليمه مدرسة في الإسكندرية، ونال شهرة عظيمة بما أسداه من فضل على اللغة الإغريقية والأدب الإغريقي، وإليه — هو وتلميذه «أريستاركوس» — يُرْجَع الفضل في وضع قانون الكُتَّاب الاتباعيين (الكلاسيكيين) الإغريق، وقد أظهروا في الواقع في انتخابهم ذوقًا سليمًا، وذلك باستثناء بعض المختارات.

هذا، وكان «أريستوفانيس» أول من أدخل النبرات Accents على اللغة الإغريقية. على أن الموضوع الذي كان يشغل باله أكثر من أي شيء؛ هو النقد، وتفسير أعمال الشعراء الإغريق القدامي وبخاصة «هومر»، وقد نشر أعماله نشرًا جديدًا، وكان كذلك مثله كمثل تلميذه «أريستاركوس» مولعًا بالنقد أو بتفسير الكلمات والجمل، وكذلك كانت عنايته متجهة نحو الموضوعات العالية من النقد لقصائد «هومر»، يضاف إلى ذلك أنه شغل نفسه بنفس الروح والهمة في فحص أعمال الشعراء الإغريق، والتعليق عليها، مثل أعمال «هزيود» Hesiod و«بندار» Pendar و«الكاوس» Alcaeus وسوفوكليز، و«أريبديز» و«أنا كرون» Anacreon و«أرستوفانيس» وغيرهم، ومما يؤسف له أنه لم يبق لنا من كل أعماله إلا نتف مبعثرة في الشوليا Scholia التي كتبت عن هؤلاء العلماء الذين سبق ذكرهم.[٢]

(٢-٣) الفيوم والإغريق حتى نهاية عهد بطليموس الثالث

تحدثنا في الجزء الرابع عشر من مصر القديمة عن الحياة الاجتماعية للطبقة الدنيا من المصريين، وعلاقتها بطبقة الحكام الإغريق في خلال القرن الثالث قبل الميلاد (مصر القديمة جزء ١٤) ثم تحدثنا عن المجتمع الإغريقي في خلال القرن الثالث ق.م كما جاء

[٢] راجع Dictionary of Greek and Roman Biography and Methology. Vol. I. P. 316, f.f.

ذلك في أوراق زينون (مصر القديمة جزء ١٤) وذلك بشيء من التفصيل، والآن يجدر بنا أن نتحدث عن المجتمع الهيلانستيكي في خلال القرن الثالث، أو بعبارة أخرى المجتمع الإغريقي المصري في تلك الفترة من تاريخ مصر؛ لما لدينا من مصادر وفيرة عن هذه المدة، وبخاصة في إقليم الفيوم.

والواقع أن العصر الهيلانستيكي يُعدُّ من أهم العصور في تطور الفكر العالمي كما يقول المؤرخ الكبير «رستوفتزف»[٣] وهذا العهد قد بقي مدة لا يُعرَف عنه إلا القليل بالنسبة للعصور الأخرى؛ إذ نجد أنه قد صمت المؤرخون عن ذكر شيء عنه تقريبًا في المدارس، وأحيانًا حتى في الجامعات كان يعامل معاملة غير مستحبة، ولا نزاع في أن قلة المصادر كانت السبب في هذه الفجوة السحيقة إلى درجة كبيرة، وقد ظلت الحال كذلك إلى عهد قريب جدًّا عندما أخذت الكشوف الحديثة في مصر تطالعنا بالوثائق التي أخذت تنير لنا السبيل بكشح هذه الظلمة التي كانت تخيم على هذه الفترة من تاريخ وادي النيل.

والذي نفهمه عادة من التعبير «بالمجتمع الهيلانستيكي» بوجه خاص هو جزؤه الإغريقي، أو الجزء الذي أصبح هيلانستيكيًّا، ومع ذلك قد يكون أكثر صوابًا، وأعظم فائدة إذا فحصناه في مجموعه ملاحظين سير طريقة الحياة عند السكان الوطنيين والمهاجرين، وكذلك فحص العوامل التي أثرت على العلاقات المتبادلة بين المواطن والمستعمر، وكذلك على تطور هذا المجتمع الجديد الذي لم يكن بأية حال من الأحوال متناسقًا من الوجهة السلالية.

وفي الحق نجد في المصادر التي بين أيدينا — وهي السائدة حتى الآن بصرف النظر عن بعض مصادر قليلة الأهمية — مقالات عظيمة عن تصوير هذا الموضوع تشمل مواد غنية ومتنوعة جدًّا، ولكنها لا ترسم لنا إلا الخطوط العريضة لهذا التطور، أما عن المقالات التي خُصِّصت لموضوعات خاصة في هذا الصدد؛ فإنها لا توضح لنا إلا وجهة واحدة من الموضوع، ومن ثَم تفصله بصورة مصطنعة عن الوجهات الأخرى، وعلى ذلك فإن هذا الموضوع يستحق العناية، وإذا تناولنا حالة واحدة على سبيل المثال فإنه لا يمكن تحديد ميدان البحوث إلا من وجهة الموضوع وحسب، بل كذلك من وجهة الزمن والإقليم، وبهذه الكيفية نعطي في إطار ثابت صورة مفصلة ومحكمة للكل، وبعبارة

[٣] راجع Rostovtzeff, Social and Economic History of the Hellenistic World. P. 316.

أخرى تمثل «المجتمع الهيلانستيكي» بصفة غير شاملة، وعلى ذلك يكون صعب الفهم بعض الشيء، ولكن نأخذ مثلًا ملموسًا؛ وأعني بذلك فحص مجتمع إقليم أو قرية في خلال مدة من الزمن قصيرة بعض الشيء، فلتكن مثلًا لمدة جيل من الناس، ومن المحتمل أن مثل هذا المثال يسمح لنا أن نفهم بصورة أحسن الظواهر التي تحدث في هذا العصر في هذه الدنيا التي نسميها في أيامنا الهيلانستيكية.

والواقع أننا نجد المواد اللازمة لتحقيق هذا الطراز من البحوث في مملكة واحدة وهي مصر، ويرجع الفضل في ذلك إلى الأوراق البردية التي تؤلف المصادر الوحيدة، وتلقي كثيرًا من الأضواء على تفاصيل حياة المجتمع، ومما تجدر ملاحظته أنه لا بد أن نفهم أن المشاهدات والنتائج التي تُسْتَخلص على ضوء هذه المواد لا يمكن أن تُعَمَّم إلا بشيء من التحفظ، وذلك لأنه يجب ألا يغيب عنا الاختلافات في التركيب السلالي والاجتماعي والاقتصادي في مصر في تلك الفترة، ومع ذلك فإن الصبغة العامة للعصر الهيلانستيكي تخوِّل لنا أن نقرر هذه الملاحظات، وهذا ما لا يمكن وجوده في العصور السابقة لذلك العهد.

والآن لا بد لنا أن نفهم أولًا في موضوعنا أن أوراق «زينون» كانت لها أهمية خاصة في تاريخ المجتمع الإغريقي المصري، ومع ذلك فإنه تظهر في البحوث الخاصة بمصر كذلك صعوبات هائلة، وذلك لأن المصادر البردية على الرغم من شيوعها وغزارتها فإنها لا تزال مع ذلك متناثرة جدًّا، وأن ما يكشف منها حتى الآن لا يأتي إلا عن طريق الصدفة بدرجة ملموسة. فمنذ القرن الأول من حكم البطالمة نجد أن مديرية الفيوم هي التي تقدم لنا أغنى الوثائق، وهذه تنحصر بوجه خاص في ثلاث مجموعات من المتون: وهي مجموعة أوراق «بترى» وأوراق «مجدولا» Magdola (يمكن الاطلاع عليها الآن ودرسها؛ إذ قد نشرها العالم «جيرو»)، وسجلات «زينون» التي كُشِف عنها عام ١٩١٥ وقد تحدثنا عنها في الجزء الرابع عشر من هذه الموسوعة.

وهذه الأوراق موزعة الآن في مجاميع عدة من مجاميع البردي في أوروبا وأمريكا والقاهرة، ومما تجدر ملاحظته هنا أن المجموعتين الأوليين اللتين تؤلفان إلى حدٍّ كبير مجاميع من المتون جاءت بطريق الصدفة العارضة، لا تشملان على تلك الوحدة الداخلية في مفرداتها التي تتميز بها سجلات «زينون»، وهذه السجلات الأخيرة تتجاوب بدرجة عظيمة مع ما يلزمنا لموضوعنا، وذلك لأنها توضح بصورة مفصلة حياة مستعمرة صغيرة، وهي بلدة «فيلادلفيا» من أعمال الفيوم، وما يحيط بها من أماكن في السنين

التي تقع ما بين عامي ٢٥٧ إلى ٢٣٩ق.م وهذا ما يسمح لنا بأن نفهم تطور المجتمع الإغريقي المصري في إقليم معين، وفي خلال مدة قصيرة إلى حدٍّ ما (أي في عهد بطليموس الثاني، وجزء من عهد بطليموس الثالث).

والواقع أن الباحثين لم يستعملوا حتى الآن أوراق «زينون» في تاريخ مصر الهيلانستيكي إلا من الوجهة الاقتصادية والوجهة الإدارية. هذا، ولا نعرف أي مؤرخ قد بحث بعمق المعلومات الثمينة التي تنطوي عليها متون هذه السجلات من حيث تاريخ المجتمع الإغريقي المصري؛ هذا إذا استثنينا الإشارات العابرة التي ذكرها كلٌّ من المؤرخ «رستوفتزف»، و«برمانز» في مؤلفاتهما العظيمة، وكذلك ما جاء في كتاب السيدة «بريو» عن الإغريق في القرن الثالث[٤] وفي عدة مقالات لها في المجلات العلمية، وبخاصة كرونيك ديجبت Chronique d’Egypte.

وعلى أية حال فإن المؤرخين قد أحسوا منذ زمن طويل بقيمة هذه المجموعة من الوثائق المرتبطة ببعضها بعضًا من حيث التاريخ الاجتماعي الإغريقي المصري، وأحسن من عبر عن هذا الرأي هو الأستاذ «رستوفتزف»؛ إذ يقول: إن درس سجلات «زينون» هام بوجه خاص؛ لأنها تضع أمامنا — أكثر من أية مجموعة وثائق — تفاعل القوى المختلفة، والمبادئ التي كانت تنشط في مصر البطليمية.[٥]

أول ما يصادفنا فيها زينون بن أجريوفون Agreophon من مواطني بلدة «كونوس» Caunos عام ٢٦١–٢٦٠ق.م[٦] وكان في هذا الوقت في خدمة «أبولونيوس» وزير بطليموس الثاني، وكان يدير أعمال سيده في «سوريا» وفي فلسطين، وفي المدن التي على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، ومنذ بداية عام ٢٥٨ق.م حتى أوائل عام ٢٥٦ق.م كان يشغل وظيفة السكرتير الخاص عند الوزير «أبولونيوس»، وحوالي نهاية عام ٢٥٦ق.م استوطن «فيلادلفيا» حيث تولى هناك إدارة ضيعة «أبولونيوس» الواقعة في ضواحي هذه البلدة، وقد عرفنا من البردية رقم ٥٩٨٣٢ من أوراق زينون أنه كان يشغل هذه الوظيفة حتى نهاية حكم بطليموس الثاني (حوالي عام ٣٨ من حكمه)، ولما كان هذا المتن غامض القراءة جدًّا فإن الأثري «أدجار» رأى فيه كذلك أنه يرجع إلى السنة

---

٤ C. Preaux: Grec au IIIe siècle.

٥ Social and Economic History of the Hellenstic World. P. 42.

٦ P. C. Z. 59801.

الأولى أو الثانية من عهد بطليموس الثالث، وبعد ذلك أخلى سبيله الوزير «أبولونيوس» الذي لم يظهر اسمه بعد ذلك في متون «زينون» وكذلك صودرت أملاكه، وهذه الوثيقة ظهرت بأنها قد طوَّحت بالاعتقاد المعترف به بوجه عام، وهو القائل أن «زينون» قد بقي في خدمة الوزير «أبولونيوس» حتى لاقى نهايته المحزنة، وهو يقوم بأعباء وظيفته.

والمحتمل جدًّا أن «أبولونيوس» قد رأى عندما أحس باقتراب الكارثة التي كانت تهدده بالسقوط أن يسرِّح «زينون» خوفًا من أن يعرِّضه لنفس المصير المحزن الذي كان ينتظره هو، وهذا هو السبب في أن «زينون» قد أشار بوضوح لهذا الحادث في طلبه الذي وجهه للملك حتى يتفادى غضبه، وعلى ذلك فإنه على حسب نص هذا المتن يصبح التاريخ التقريبي لنهاية مجال حياة «أبولونيوس» في الوزارة وسقوطه من عليائه على أكثر احتمال هو السنة الأولى أو الثانية من حكم «بطليموس الثالث»، ومنذ هذا التاريخ لم يظهر زينون إلا بوصفه فردًا عاديًّا.

ومن بين أربع المدد من حياة «زينون»: ٢٦٠–٢٥٨، ٢٥٨–٢٥٦، ٢٥٦–٢٤٦، و٢٤٦–٢٣٧ (ويحتمل حتى عام ٢٣٠ق.م) فإن العهدين الأخيرين هما اللذان يقدمان لنا وثائق تدل على علاقات وثيقة بينهما من وجهة نظر الإقليم، والمتون المؤرخة من أول ٢٥٦ق.م خاصةٌ في معظمها بفيلادلفيا وضواحيها القريبة جدًّا؛ وعلى ذلك فإن ما نكتبه هنا يرتكز بوجه أساسي على هذه المتون، وكذلك على الوثائق التي قبلها في الفيوم و«فيلادلفيا».

كانت مقاطعة الفيوم منذ أقدم العهود الفرعونية؛ بل في عصورها قبل التاريخ موضع عناية المصريين من حيث الزراعة، وبخاصة في عهد الدولة الوسطى، فقد أقام فيها ملوك الأسرة الثانية عشرة مشاريع الري والزراعة، ولما جاء العهد البطلمي أخذ ملوكهم في العناية بهذه البقعة، واستثمارها بدرجة عظيمة، واتخذها ملوك البطالمة في الواقع حقلًا للتجارب الزراعية والحيوانية، وجلبوا لها الأشجار والحيوان من بلادهم وبلاد أخرى، كما تحدثنا عن ذلك من قبل.

وقد أسس في الفيوم الوزير «أبولونيوس» ضيعة أهداها له الملك «بطليموس الثاني» على غرار ما كان يحدث في مصر الفرعونية، وقد حدث ذلك قبل أن يتسلم «زينون» زمام إدارتها.

وأقام «أبولونيوس» ببلدة فيلادلفيا ووكل شئون إدارتها إلى «زينون»، وكان يعمل باسم سيده، وقد عُني بأمرها لدرجة أنها أصبحت صورة مصغرة من مدينة الإسكندرية تحيط بها مصرها الخاصة بها.

والواقع أنه لم يكن لزينون من السلطان في «فيلادلفيا» إلا ما تخوِّله له وظيفته، وكان يحمل لقب المُشْرِف على شئون الضَّيْعة الخاصة للوزير «أبولونيوس»، ولم يكن له الحق في أن يحمل هذا اللقب رسميًّا؛ وذلك لأنه في طلبات عدة وُجِّهت إليه لم يُسْتَعمل فيها هذا اللقب Epestate ومع ذلك فإنه بسبب علاقته الخاصة بالوزير الذي كان يدير الحياة الاقتصادية في كل مصر؛ فإن وظيفته قد أصبحت رسمية في عدد كبير من الحالات، وعندما سقط «أبولونيوس» رُدِّت الضَّيْعة للملك الذي اضطُر أن يضع على رأسها موظفًا عاديًّا، وبعبارة أخرى حاكمًا لم يكن على أية حال — ولا بد من تأكيد ذلك — حاكم قرية فيلادلفيا، ولكن حاكم ضواحيها.

كانت ضيعة «أبولونيوس» تقع على مقربة من «فيلادلفيا»؛ أي في الجزء الشمالي الشرقي من الفيوم، وعلى مسافة قريبة من وادي النيل ومن «منف» حيث توجد الضَّيْعة الثانية التي كان يملكها الوزير «أبولونيوس»، وعلى حسب ما جاء في بردية «ليل»[٧] تكون مستطيلًا عظيمًا يبلغ ضلعه حوالي خمسة كيلو مترات، ولا بد أن نسلم أن هذا الوزير كان يملك أراضي في الفيوم، وبخاصة في هذا الجزء من تلك المقاطعة التي كانت تسمى فيما بعد «موريس»، وكذلك كان يملك أرضًا خارج حدود ضيعته؛ نظرًا لأنها كانت لا يمكن أن تشمل كل القرى التي فيها الأراضي الصالحة للزراعة التي يملكها «أبولونيوس» وهي «هفايستسياس» (منف) وكويتاي Koitai و«تانيس» و«هربيط» وغيرها.

وعلى مقربة من فيلادلفيا كانت تقع كذلك قرية «سيرون» ويحتمل أن أرضها تؤلف جزءًا من ضيعة «منف»، ومعلوماتنا عن أراضٍ أخرى كان يملكها هذا الوزير محددة جدًّا؛ أما كرو كوديلوبوليس (= بلد تمساح = الفيوم) بوصفها عاصمة المقاطعة فكانت بوجه خاص تُعْتَبر المركز المالي.

وتحدِّثنا الوثائق الخاصة بالضَّيْعة أن الإغريق الذين يُنْسَبون إلى «آسيا الصغرى» وبخاصة الذين وفدوا إلى الفيوم من إقليم «كاريا» وجزر بحر «إيجة»؛ أنهم كانوا يحتلون المكانة الرفيعة. هذا، وكان يوجد بها كذلك الإغريق الأصليون الذين وفدوا من صقلية وإيطاليا، ومن بلاد اليونان نفسها، ومن «تساليا» و«تراقيا» و«مقدونيا»، هذا فضلًا عن الكثير من سكان سيريني (برقة) وإغريقيين من مدينتين مصريتين، وهما نقراش و«كانوب» (القريبة من الإسكندرية).

---

[٧] Sottas. Pap. Lille I.

أما عن أصل السكان المصريين فإن أسماء القرى التي كانوا يسكنونها فقد لَفَتَ المؤرخُ «روستوفتزف» النظر في كتابه «ضيعة كبيرة» A large Estate إلى الحقيقة القائلة: إن الجزء الأعظم من بينها قد استعير من أسماء بلاد الدلتا، أو من بلاد مصر الوسطى.

واشتغل عدد عظيم من المصريين في الضَّيْعة، وكان لهم في «فيلادلفيا» فعلًا بيوتهم، وفي الفيوم كانوا مستوطنين فيها نهائيًّا، وقد عمل «زينون» على جلب عمال إلى فيلادلفيا من التخوم البعيدة كالواحات، ومن تبتونيس Tebtunis كما كان يجلب إليها من القرى المجاورة[٨] ولكن نقابل غالبًا جدًّا أسماء أماكن قريبة بعض الشيء من الفيوم مثل هفايستاتياس و«كركسوخا» وسمنود ... إلخ، ومن بين المقاطعات المجاورة للفيوم مقاطعة «منف» التي تمد ضيعة «أبولونيوس» بالعمال، وسبب ذلك أن ضيعة أبولونيوس الثانية كانت توجد في هذه المقاطعة، ومعظم هؤلاء المزارعون وكذلك العمال الذين كانوا يعملون في نقل الأتربة وفي البناء،[٩] يضاف إلى ذلك أن عددًا كبيرًا كان يأتي من بلده «آكانتون» Akanthon القديمة، وكانت مقاطعة «أهناسيا المدينة» تورد عمالًا أخصائيين في تحضير الكتان والحبال[١٠] وكذلك النحالين والعمال، أما مقاطعة «أفروديتويتوبوليس» (أطفيح الحالية) فكان يُجْلَب منها كذلك المزراعون والعمال الذين كانوا يعملون في تصليح الأرض. هذا وكان يوجد من بين رجال الضَّيْعة رجال جُدُد وفدوا من البلاد النائية.[١١]

والواقع أنه كان يفِدُ على ضيعة «أبولونيوس» الزراع والصناع والأخصائيون من أنواع مختلفة جدًّا، وخلاصة القول أن الأغلبية الساحقة من السكان كانت تتألف من وافدين جدد، ونقرأ كثيرًا من الشكاوى والتظلمات في سجلات «زينون» من إغريق ومصريين على السواء يعبرون فيها عن أنهم غرباء في هذه البيئة، ولكن على الرغم من ذلك فإنهم كثيرو العدد مستقرين هناك؛ بل وكانوا يعملون على جلب أسرهم.[١٢]

---

[٨] P. C. Z. 59295.

[٩] P. C. Z., 59295.

[١٠] P. C. Z., 59782.

[١١] P. C. Z., 59346, 11; 59280; P.S.I. 623.

[١٢] P. C. Z., 59192; P.M.Z., 33; P.M.Z., 42.

وكانت ضيعة «أبولونيوس» الواقعة في مقاطعة «منف» على الأقل تحت إدارة «زينون». هذا ونجد في كثير من الحالات أنه كان من الصعب حل مسألة أي الضيعتين كانت المقصودة؛ وذلك لأنهما — اقتصاديًا — كانتا مرتبطتين الواحدة بالأخرى ارتباطًا وثيقًا، وكذلك من حيث الموظفين، وهذا هو السبب الذي من أجله أنه عندما نضع صورة للمجتمع العائش في فيلادلفيا، وفي الضَّيْعة القريبة منها ملك «أبولونيوس» يجب أن نرجع أحيانًا للمصادر الخاصة بمنف.

علاقة فيلادلفيا بالإسكندرية

لا نزاع في أن دنيا فيلادلفيا الصغيرة الواقعة على تخوم الفيوم لم تكن مفصولة عن سائر مصر، وذلك لأن العلاقات الحية جدًّا كانت تربطها بوجه خاص مع «منف» وضواحيها، ومن جهة أخرى كان يوجد المركز الموجه للضيعة ومقره الإسكندرية، ولكن يتساءل المرء ما الذي كانت تمثله الإسكندرية بالنسبة لسكان الفيوم المتوسطي الحال؟ حقًّا كانت الإسكندرية بالنسبة للطبقة الفقيرة جدًّا، دون النظر إلى جنسيتهم، بعيدة جدًّا وقريبة جدًّا؛ وفي القريب العاجل أصبحت موضوع كراهية لهم كما يشهد بذلك مثلًا قطع الكتابة التي تدعى نبوءة صانع فخار، وكذلك بوجه خاص ما جاء في ورقة البهنسا.[١٣]

أما عن الجنود المرتزقين أصحاب الإقطاع، وموظفي الإدارة، ورعايا «أبولونيوس» وكذلك المهاجرين الذين لم ترسخ أقدامهم في أرض مصر — الإسكندرية — فإن أبهة البطالمة وسلطانهم قد رفعتهم في نظر أنفسهم؛ وذلك لأنهم كانوا كذلك هيلانيين.

وفضلًا عن ذلك فإن تلك القوة قد ضمنت الطمأنينة والأمان بالنسبة لدخلهم، ولم يكونوا يهتمون بشئون السياسة؛ ومن ثَم لم تجد السياسة في سجلات «زينون» إلا مكانة ضئيلة جدًّا.[١٤]

وكانت حاشية الملك تظهر في مراسلات «زينون» بمناسبة الزيارات العديدة للفيوم ولبلدة فيلادلفيا، ولا نعرف على وجه التأكيد إذا كان الملك نفسه كان قد زار فيلادلفيا، ولكن بلا نزاع قد زار «منف» التي كانت الطريق لكل رجال البلاط الذين كانوا يشبهون

---

١٣ P. Oxy. 2332.

١٤ P. C. Z., 59019, 59242, 59251, 59674, 59627, 59177.

أرجال الجراد التي كانت تهدد بالحراب،[١٥] وغالبًا ما كان يأتي ذكر البلاط الملكي بمناسبة الهبات التي يغدقها الملك على يدي كل من «أبولونيوس» و«زينون» وآخرين.

هذا وكان يحتفل بمهابة وأبهة بِعِيد تتويج الملك، وبخاصة بالعيد الكبير المسمى «بطولمايا» Ptolemaieia، وتدل الوثائق على أن اسم بلاط الملك «بطليموس الثاني» قد جاء ذكره أكثر من ذكر بلاط «بطليموس الثالث» وهذا ما يفسر بسهولة حقيقة قصة «زينون» و«أبولونيوس»، ومع ذلك فإن بلاط بطليموس الثالث الذي يظهر أمامنا في المتون القليلة التي وردت في سجلات زينون تجعلنا نرى ما كان يجري في الداخل من وسط الحمايات، والمؤامرات المتبادلة بين رجال البلاط. ففي بلاط بطليموس الثاني لم يكن «زينون» في حاجة إلى حماية أخرى أو سند له إلا ما كان يعطيه إياه «أبولونيوس».[١٦]

أما في عهد حكم الملك بطليموس الثالث فقد كان «زينون» في حاجة إلى التماس عطف رجال البلاط أصحاب النفوذ[١٧] والجاه، ولكن على الرغم من ذلك فإن نفوذهم قد بقي كبيرًا، وحتى في هذا كان يمكنه دائمًا أن يساعد أصدقاءه في وقت الضيق.

ويُلْحَظ هنا أن مراسلات «زينون» ترسم لنا حاشية أبولونيوس وبيته في الإسكندرية بصورة أكثر تفصيلًا من التي تقدمها لنا عن البلاط الملكي، وبخاصة ما نجده في الوثائق التي وُجِدت في سجلاته ما بين عام ٢٥٨ق.م وعام ٢٥٦ق.م ونجد ذلك بوجه خاصٍّ في قوائم مخصصات مبالغ الأطعمة لحاشية «أبولونيوس» أثناء رحلته في أنحاء مصر، وكذلك في الخطابات التي وصلت إلى زينون من الإسكندرية، وكذلك إلى «أبولونيوس»، وأخيرًا الخطابات التي كان يرسلها إلى زينون أصدقاؤه، وهؤلاء كانوا مستخدمين إسكندريين عند أبولونيوس، وأكثر هؤلاء الأصدقاء ارتباطًا بزينون كان على ما يُظَنُّ «أمينتاس» Amyntas وهو مقدوني في خدمة «أبولونيوس»، والظاهر على ما يبدو أنه لم يغادر الإسكندرية، وكان في يده إدارة شئون الوزير في الإسكندرية مع آخر يُدعَى «أريستوس»، والطبيب العادي لأبولونيوس المسمى «أرتميدوروس» Artemidoros، وكان «أرتميدوروس» هو مدير بيت «أبولونيوس»، ومن الصعب أن تحدد صلته مع «أمينتاس»، أما «أريستوس» فكان على ما يظهر في خدمة كل منهما.[١٨]

---

[١٥] P. C. Z., 5916, 59247.

[١٦] P. S. I., 353; P. London Invent., 2307.

[١٧] P. C. Z., 59571.

[١٨] P. S. I., 392; P.M.Z., 55 ff.

وكان أسطول الوزير النهري تحت قيادة «كريتون» Criton، وكان معروفًا بعنايته بمرءوسيه،[١٩] ويجب أن نذكر هنا من بين أعضاء حاشية الوزير مترودوروس Mitrodoros وهو على ما يظهر لا بد قد كان له نفوذ عظيم في البلاط الملكي، ونذكر كذلك مدير ميدان الرياضة البدنية المسمى «هيروكليس» Hierocles وأخاه أمين المخزن المسمى «كتزياس» Ctesias وأمين خزانة «أبولونيوس» المسمى «بيزيكليز» Piesecles والخباز «فيلون» Philon وكثيرين غيرهم.

وقد ساح أبولونيوس كثيرًا في أنحاء مصر، فكان يسقط مثل أرجال الجراد على المدن والقرى التي كان يزورها، ويشيع فيها الفوضى، وعدم الاستقرار عند الموظفين،[٢٠] وكان الوزير يتبعه رجال للنظر في الشكاوى وعملاء، وكان المبعوثون من المدن الإغريقية يأتون إليه؛ ليقابلوه في القرية،[٢١] أما «زينون» فكان يقوم بدور الوسيط بين العملاء و«أبولونيوس»، وكان أولئك الذين يلتمسون حمايته كثيرين جدًّا حتى في العامين ٢٤٨–٢٤٧ق.م.[٢٢]

وكان لعدد كبير من سكان الإسكندرية في فيلادلفيا منازلهم وعقارهم، نذكر من هؤلاء الطبيب «أرتميدوروس» ووكيل الوزير و«ديوتيموس» Diotimos، و«نيكاندروس» Nicandros و«بيزيكليز» Pesicles وصديق «زينون» المسمى «بلاتون»، وفي عهد بطليموس الثالث كان هناك صاحبه فيلون Philon ، وكان رجلًا له نفوذ هائل في بلاط بطليموس الثالث، وكان يفد سكان من الإسكندرية؛ ليقيموا في فيلادلفيا بسبب حرفهم، مثال ذلك المهندس «كليون» وتيودور Theodore وهما محترفان، وكذلك كان يفد عليها منشدو شعر «هومر»، وتدل الوثائق كذلك على أن زينون كان يقوم بإنجاز عدد عظيم من الشئون لأصدقائه في العاصمة فكان يرسل إليهم في مناسبة خنزيرًا صغيرًا أو نبيذًا أو عسلًا.

وقد زار زينون الإسكندرية مرات عدة بعد أن استقر به المقام في فيلادلفيا، وكانت هذه الزيارات التي قام بها في عهد بطليموس الثاني، ولم تكن لأعمالٍ بل كانت زيارات بمناسبة أعياد أو احتفالات في البلاط.

---

[١٩] P. C. Z., 59205; P.M.Z., 42; P.C.Z., 59025, 59805.

[٢٠] P. C. Z., 59096, 59541.

[٢١] P. Ryl. 653, P. Col. Z, 11.

[٢٢] P. C. Z., 59341.

ومنذ عهد بطليموس الثالث لم يذهب إلى الإسكندرية إلا بصفة رسمية؛ ليحضر قضية الخباز «فيلون»، وكذلك لم يذهب سكان آخرون من الفيوم إلى العاصمة إلا لأجل أن يصرفوا شئونهم الرسمية هناك قبل كل شيء.[٢٣]

تأليف سكان الفيوم الاجتماعي

كان المجتمع كما ظهر في سجلات «زينون» غير متكافئ جدًّا من الوجهة القومية؛ إذ كانت تتميز هناك نزعتان كأنهما خطَّان فاصلان، وذلك بصورة واضحة، وأعني بذلك أن الفريق الأول كان يتألف من الأجانب — وحتى الإغريق — أي كل الأجانب الذين يفدون إليها ممن سُموا في ذلك العصر بالعالم الهيلاني، والفريق الثاني هم المصريون؛ أي كل السكان الأصليين للبلاد، والفريق الأخير قد اتحد واندمج فيه كل القوميات في الكره المشترك الذي كان يُبْديه الفقراء نحو الأغنياء، وعدم ثقة الأغنياء في الفقراء، ولم نر أن أحد الفريقين قد قهر الآخر، على أن الرجل المتوسط الحال لم يكن قد تربى فيه بعد الضمير أو الوعي، وعلى أية حال إذا أراد الإنسان أن يصف الحالة فإنه لا بد من تنظيم الصورة، وذلك لأننا إذا لم نتتبع إلا خطًّا واحدًا من هذين الخطين الفاصلين فإن الحقيقة تصبح مشوهة، وعلى ذلك لا بد لنا في بحثنا أن نلحظ الاثنين معًا، وبعد أن نصور حياة الطبقات المختلفة للمجتمع، وهي التي لم تكن معروفة إلا بمركزها الاقتصادي، ندرس على حدة المجموعتين الكبيرتين من القوميات؛ الإغريق والمصريون.

فالمجتمع المصري ينقسم فيما بينه طائفتين كبيرتين؛ هما: أحرار، وعبيد، وإن كانت العبودية تلعب هنا — بوصفها عاملًا اقتصاديًّا — دورًا أقل أهمية عما تقوم به في أجزاء أخرى من العالم الهيلانستيكي، والواقع أننا في سجلات «زينون» نشاهد أنه يمر أمامنا أكثر من أربعين شخصًا لم نميز — بصورة لا تقبل الشك كثيرًا — إذا كانوا عبيدًا أم لا؛ إذ نجد عددًا منهم يظهر أنه مستقل بدرجة لا بأس بها.

وفي المجتمع الحر نلحظ أن عمال ضيعة «أبولونيوس» هم الذين يُوضَعون في المنزلة الأولى، ويمكن أن نميز من بينهم ثلاث طبقات: الأولى: تشمل أولئك الذين يشتغلون في بيت زينون، وفي مكاتبه في فيلادلفيا (في أعمال البناء) وفي كرومه وحدائقه، وأولئك الذين

---

[٢٣] راجع B. G. U. 1297.

يزرعون أراضي الضَّيْعة، ويديرون أشغالًا مختلفة خارج حدودها. والطبقة الثانية: هم العمال الذين كانوا يشتغلون مدة موسم، وتُدْفَع أجورهم شهريًّا. والطبقة الثالثة: هم عمال اليومية.

أما عن رعايا زينون النظاميين، وبخاصة أولئك الذين كانوا مرتبطين بشخصه ارتباطًا كبيرًا فقد كان يُطْلَق عليهم اسم «بابديس» وهؤلاء كان معظمهم رجالًا أحرارًا، ومن المحتمل أن هذا التعريف لا يدل إلا على أنهم كانوا مرتبطين ارتباطًا شديدًا مع بيت زينون، أو بيت «أبولونيوس». هذا، ونعلم أن كل العمال النظاميين الذين كانوا في خدمة «أبولونيوس» وحتى أولئك الذين لم يمكن توطنهم في فيلادلفيا إلا مؤقتًا كانوا يتسلمون هنا مُؤَنهم من الغلة بمتوسط واحد إلى واحد ونصف «شوينكس» من الشعير يوميًّا، وكان زينون وأخوته وضيفانه يتسلمون نصيبهم من الشعير من أحسن صنف، وكان يُوزَع أحيانًا الزيت والنبيذ، أما المرتب الشهري فكان يختلف ما بين ثمانية وعشرة أوبولات، وقد يصل إلى عشرة درخمات، بل يجوز أكثر من ذلك. يضاف إلى ذلك الملابس السنوية، التي كان يتراوح ثمنها ما بين ١٤، ٢٥، ٣٠ درخمة، وكان هذا المبلغ يصل إلى أكثر من ذلك بكثير في بطانة «زينون» المقربين جدًّا إليه، وكان مرتب الفرد يكمل بهدايا صغيرة في مناسبة الأعياد، ومع كل ذلك كنا نسمع شكاوى تقدم غالبًا من تأخير صرف المرتبات.

وهناك بعض العمال الذين كانوا يحْصُلون كذلك على مساكن كما يلوح من البيوت التي أقامها «أبولونيوس» لهذا الغرض في «فيلادلفيا»، ومن المحتمل أن «زينون» نفسه قد تصرف في الأماكن التي وُضِعت في المناقصات لأجل بناء بيوت لسكن العمال، وكان تحقيق بناء هذه البيوت عملًا خاصًّا بأولئك الذين كان لهم فائدة شخصية في ذلك؛ ولكن بما كان يقدمه زينون من مساعدة مالية محتفظًا مع ذلك بما له من حقوق في الموقع عندما كان يتم البيت فإنه بذلك يصبح هو المالك،[٢٤] وكان بعض العمال يتسلمون كذلك طرودًا من الضَّيْعة يمكنهم أن يفيدوا منها، وذلك بَدَهي بوصفهم مؤاجَرين؛ ومن بينهم طائفة على حدَةٍ كان يتألف منها العملاء المزارعون لزينون، وهم الذين كانوا قبل كل شيء مؤاجرين لأرض «أبولونيوس» وبعض عماله فقط، وفي هذه البيوت وفي هذه الأراضي كانت توجد الحيوانات.

[٢٤] P. C. Z., 59620–21; and P.C.Z. 59499, 85 ff.

وكان مدير ضيعة «أبولونيوس» يسهِّل أحيانًا لمستخدميه الأعمال المالية أو التجارية، ولم تكن الحماية التي تحاط بها إدارة الضَّيْعة قاصرة على عمالها، بل كانت تشمل كذلك أسر هؤلاء العمال.

وقد يحدث أن عدة أشخاص من نفس الأسرة يكونون في الضَّيْعة، أو في حاشية «أبولونيوس». على أنه ليس لدينا دلائل يمكن أن نعرف بها الطريقة التي كانت أكثر انتشارًا لتجنيد العمال، ولا نزاع في أن العلاقات، ومساندة الوالدين والأصدقاء، وكذلك كل نوع من أنواع الحماية كانت قد لعبت دورًا هامًّا في هذا السبيل، وعلى أية حال فإن ذلك أحد الأسباب التي من أجلها يمكننا أن نلحظ سيادة إغريق آسيا الصغرى، وبخاصة رجال «كاريا» الذين كانوا في بطانة كلٍّ من «أبولونيوس» وزينون.

وكان العمال الموسميون يتسلمون أجورهم شهريًّا (أو كانت تُدْفَع لهم أجورهم مرتين في الشهر، أو كانوا يأخذون أجورهم لمدة بضعة شهور مؤخرًا)، وكانوا يأخذون كذلك مئونتهم من الغلة، ومن المحتمل أن الزيادة التي كانت تُسْتَقطع مقابل الملابس كانت تُعْطَى مرة واحدة في السنة، ولا تحسب من ضمن أجورهم. هذا ولدينا بعض حقائق تدل على تكليف الأخصائيين بوجه خاص لمدة قصيرة بأعمال موسمية مثل أخصائي الكروم، والبستانيين، وعمال قطع الأحجار … إلخ، وكان يساعدهم في عملهم عمال يومية، وهؤلاء كانوا يؤلفون طائفة العمال الذين كانت أجورهم أقل ما يمكن، هذا مع العلم بأنهم لم يكونوا يعملون إلا بضعة أيام غير منتظمة، وبوجه عام لم يكونوا يجنون شيئًا آخر غير أجرهم اليومي الذي كانوا يأخذونه نقدًا.

جماعات المحترفين والطوائف الاجتماعية

والواقع أننا إذا استثنينا السكان الذين كانوا يعملون مباشرة في أرض الضَّيْعة، أو في بيت «زينون» فإن كل السكان تقريبًا الذين كانوا في الضواحي قد ارتبطوا بصورة خاصة مع ضيعة «أبولونيوس» العظيمة، ومع ذلك كانت هناك درجات مختلفة من حيث الاستقلال، وكذلك درجات مختلفة في الاستغلال الجزئي الاقتصادي الذي كانوا يتمتعون به؛ فنجد أن أسفل طبقة في المجتمع أي الكتل البشرية المجهولة، وهم الذين يسمون «اللاوي»، وهذه الطبقة من الشعب — التي تعتبر أحط طائفة — ليست متكافئة من حيث السلالة، وإن كان المصريون يؤلفون منها السواد الأعظم، ومن هذه الطبقة

تجند عمال اليومية، وبوجه خاص صغار المؤاجَرين الذين كانوا يزرعون أراضي الضَّيْعة جماعات في حين أن أصحاب اليسار كانوا يزرعون الأرض كل على حدة.

هذا وقد تحدثنا عن هذه الطبقة في غير هذا المكان (راجع مصر القديمة الجزء ١٤). كما تحدثنا كذلك عن الأفراد الذين كانوا يقومون بتربية الحيوان والعمال والصيادين، وقد صادفنا هناك عددًا عظيمًا من المصريين الذين كانوا يؤجرون حمامات، وحوانيت جعة، أو تجار تجزئة. أما في أعمال الري والبناء فإن الإغريق هم الذين كانوا يلعبون الدور الموجه. هذا، ونجد اليد العاملة الضرورية بسهولة منذ قرون في مصر، وذلك لإقامة السدود، وحفر الترع، ويرجع الفضل في ذلك إلى نظام السُّخْرة الذي كان سائدًا، وقد كان الموقف مماثلًا فيما يخص أنواع أعمال البناء الأخرى، فكان أصحاب الحرف ذوو الشهرة، مثل نحاتي الأحجار، يتقاضون أجورًا عالية جدًّا، وعلى العكس كان ضاربو الطوب يتقاضون أجورًا ضئيلة جدًّا على عملهم.

وأهم حرفة كانت منتشرة في مصر هي صناعة الفخار، وكانت صناعة النسيج منظمة على أساس مبادئ تختلف قليلًا عن صناعة الفخار. فقد كان «أبولونيوس» يملك مصانعه في ضيعته بمنف في حين نجد في فيلادلفيا عددًا من الناس — وبخاصة من الإغريق — يضعون نسيجهم في البيت، وهذه الحرفة كانت تزاولها كل الأسر.

وهناك أصحاب حرف آخرون لم يظهروا في سجلات «زينون» إلا بصفة عارضة، وكان صغار ملاك القوارب الذين يؤجِّرون خدماتهم لأبولونيوس يشتغلون بصيد السمك، وأحيانًا كان يُفرَض هذا النوع من الخدمات على سكان الضواحي بوصفه سُخْرة، وكذلك في أمور الملاحة في النيل نجد أن المصريين هم الذين كانوا متفوقين حتى إنهم كانوا يشغلون وظائف هامة جدًّا في هذه الحرفة. أما الإغريق فنجدهم يعملون في أسطول الوزير في معظم الأحيان.

وكثير من الجنود أصحاب الأراضي كانوا يتسلمون أراضيهم في الأماكن القريبة جدًّا من فيلادلفيا، أو في مقاطعة «منف». أما المسائل المرتبطة بهذه الفئة فإنها كانت تؤلف جزءًا من مجموع مسألة أراضي الجند في مصر، وقد تحدثنا عن ذلك في غير هذا المكان.

ويُلحَظ أن الموظفين الذين يظهرون في سجلات «زينون» لا يحتلون فيها — في معظم الأحيان — إلا مكانًا من الدرجة الثانية، وذلك لأن الغالبية العظمى بينهم ليست في نظرنا إلا مجرد وظائف لا الرجال الأحياء الذين يشغلونها، وعلى ذلك لا يمكننا أن نذكر عنها شيئًا له قيمة من حيث مكانتهم في المجتمع.

أما الكهنة فهم بصفة عامة من المصريين جميعًا، وتحدثنا عنهم في غير هذا المكان أيضًا (راجع مصر القديمة الجزء ١٤).

ومن الغريب أن ممثلي أعلى طبقة في المجتمع لا يظهرون — إذا استثنينا بعض حالات شاذة — إلا بصفة عابرة، فمن ضمن هؤلاء الشواذ الوزير «أبولونيوس»، وأقرب الناس في بطانته، وكذلك أعضاء البلاط الملكي الذين كانوا يختلفون على الفيوم لأغراض مختلفة … وغيرهم، وهم على أية حال قليلون جدًّا.

وكانت هناك عوامل كثيرة تعمل في الحياة الاجتماعية لمصلحة التدخل المتبادل، وامتزاج القوميات سويًّا، ويجب أن نقتبس من ذلك قبل كل شيء الحياة اليومية، والعمل، والحياة الأسرية؛ حيث نصادف الزواج المختلط منذ زمن مبكر في هذه الفترة.

ومن جهة أخرى نصادف عوامل أخرى في كل خطوة تقريبًا تعترض السكان الأصليين مع الوافدين الجدد أي الفاتحين، وهذه العوامل بوجه خاص هي: اللغة والثقافة والعادات والتقاليد، أضف إلى ذلك حقيقة أن كل السكان المصريين كانوا عيالًا على الإغريق المستعمرين سواء كان ذلك على الملك أو الموظف أو الفرد العادي، وإذا استثنينا بعض شواذ من الإغريق الذين يظهرون في سجلات «زينون» فإنهم بوجه عام أكثر ثراء، وأعظم قوة، وذلك لأن المصريين كانوا يقومون بالأعمال اليدوية، ولا يشغلون إلا الأماكن القليلة الأهمية من حيث الوظائف.

والواقع أن إغريق الفيوم — على حسب ما جاء في سجلات «زينون» — هم زينون نفسه وبطانته المقربة إليه جدًّا، ومن أجل ذلك دُهش الأستاذ «روستوفتزف» عندما لمس حقيقة أن الإنسان يصادف هناك عددًا عظيمًا جدًّا من أهالي «كاريا» أو من المدن المجاورة لها في آسيا الصغرى، فكانوا يؤلفون على حدِّ قول القائل وكرًا كاريًّا، وهؤلاء كانوا في بادئ الأمر على علاقة وثيقة مع وطنهم القديم، ومع ذلك فإنه بمرور الزمن ضعفت عُرَى هذه الروابط إلى أن أصبح الاتصال مع الوطن الأصلي والأهل يقل شيئًا فشيئًا، والواقع أن الوافدين الجدد أخذوا يتأقلمون بسهولة، ويتعودون على الأحوال السياسية المختلفة جدًّا عن العادات التي تُعتَبر من خصائص الهيلانيين، ومع ذلك فإنهم ليسوا إغريقَ العصر الكلاسيكي؛ إذ الواقع أنهم ليسوا إغريقًا إلا بروحهم، وثقافتهم، وهذا إلى أن النسبة المئوية من الدم الإغريقي الذي يجري في عروقهم قليلة جدًّا؛ ولم تكن الأحداث السياسية تهم «زينون» أو الإغريق الذين التفُّوا حوله؛ إذ إن عاطفة الوطنية في هؤلاء الأجانب قد حلَّ محلها عاطفة الولاء نحو الملك الذي كان يسمح لهم أن يشتركوا في

أبهته وثرائه، وذلك بالصلات الشخصية التي كانت تربطهم مع «أبولونيوس» أو مع آخر على شرط أن يكون أكثر قوةً منهم، وأخيرًا بما كان لديهم من ضمير فخور بانتسابهم لأسرة الهيلانيين العظيمة، وإنهم يُعدُّون داخل الإطار الضيق لَجماعة صغيرة من الناس ارتبطوا بأصلهم المشترك — وأحيانًا بقرابتهم — وبنفس التقاليد، والتعليم، والثقافة، والمصالح المشتركة، وبمكانة مشابهة لمكانتهم في المجتمع.

هذا، ونجد أكبر مظهر لتماسك هذه الجماعة — على ما يُظَن — في رسائل التوصية التي نجدها كثيرًا جدًّا في سجلات «زينون» وأحيانًا يمكننا أن نلحظ كذلك مظاهر القبول والمحبة المتبادلين بين أعضاء الجالية الإغريقية، أما عن مسألة دخل «زينون» الشخصي ودخل بطانته فقد تحدثنا عنه في غير هذا المكان.

حياة «زينون» الأسرية

كان والد زينون يُدعَى «أجريوفون» من أهالي «كونوس»، ولا نعرف عن حياته شيئًا كثيرًا.[٢٥]

والواقع أن العلاقات الأسرية للإغريق الآخرين لا تجد صداها إلا نادرًا في مراسلات «زينون»: فنجد أطفالًا يريدون أن يعملوا بجانب آبائهم، كما نجد آباءً يريدون أن يقضوا سِنيَّهم الأخيرة بجانب أبنائهم، ويلعب الأبناء والإخوة الكبار دور ربِّ الأسرة، وفي ذلك تظهر المرأة بوصفها زوجة، وتشغل وقتها غالبًا في النسيج، وكذلك نجد نفس الحال في ضيعة «أبولونيوس»؛ إذ نجد النساء يشتغلن في مهن النسيج، وكذلك نجد الخدمات النسوية عديدة في الإسكندرية، وكذلك في «فيلادلفيا»، وفي حالات كثيرة يكون من الصعب علينا معرفة إذا كان العمال عبيدًا، أو رجالًا أحرارًا، وكذلك نجد في سجلات «زينون» نساءً مشتغلاتٍ أصحاب ثراء يقدمن نقودًا، ويقمن بضمانات، ويُظهِرن في نشاطهن كثيرًا من المواهب والمبادرة.

ولم تقدم لنا سجلات «زينون» عن الحياة الثقافية والموضوعات الشيقة عن السكان الإغريق في فيلادلفيا إلا تفاصيل قليلة جدًّا؛ إذ نجد أن كل بطانة زينون تقريبًا هم رجال أعمال يعملون طوال الوقت في البحث وراء مكسب جديد، ومع ذلك فإن ذلك لا

[٢٥] Eos, XLVIII, 2 (Symbolae Raphaeli Tausenschlag dedicatae II). PP. 133–143.

يعني أن الحياة الثقافية كانت معدومة تمامًا؛ لأنه لدينا متون وقطع من متون تشهد على النقيض من ذلك (وبوجه خاص ما جاء في الورقة رقم ٥٩٥٨٨ من أوراق زينون بمتحف القاهرة حيث نحد نقيض ترجمة «أدجار» وأن الموضوع هو نسخ كتب).[٢٦]

ومع كلٍّ فإنه ليس من الصواب أن نبحث في فيلادلفيا عن الدائرة الأدبية التي نجدها في جزيرة «كوس» Cos حيث كان الجو العقلي الذي بلغ غاية شأوه في بلاط الإسكندرية البطلمي.

وكان المواطن الذي يجمع بين الإغريق الذين وفدوا من أركان مختلفة من دنيا الهيلانيين في عهد بطليموس الثاني هو الجمناز، أو مدرسة الألعاب الرياضية، ولدينا عدد كبير من المتون تحتوي على معلومات عن مكان التدريب على الألعاب الرياضية المفتوح في الإسكندرية في بلاط «أبولونيوس»، وكذلك في جمناز فيلادلفيا.

وكان «زينون» وأصدقاؤه يكتشفون، ويعملون على حسابهم الخاص شبان المستقبل الذين سيتبارون في الألعاب الرياضية، ومن جهة أخرى قد يكون من المحتمل أنهم كانوا يهتمون بذلك من الوجهة المالية؛ لما يجنونه من فوائد مادية عند فوز أبطالهم الذين دربوهم على الألعاب.

أما من جهة أنواع التسلية الأخرى عند الإغريق المصريين فإنا لا نعرف عنها إلا القليل من أوراق «زينون»، ويمكن أن نذكر هنا لعبة الضامة (؟) والصيد. وخلافًا لذلك فإن هؤلاء الإغريق كانوا ينظرون بأهمية كبيرة إلى تربية الكلاب والخيل، هذا ولا يمكن القول بأنهم كانوا لا يكترثون بجمال الطبيعة وسحرها، فقد تغنوا بالأشجار الجميلة (وهي شيء نادر في مصر) وبالحقول النضرة المغطاة بالخشخاش المزدهر، كما كانوا يحيون حياة دنيوية ملؤها النشاط والمرح، فيتزاورون، ويقيمون الولائم المتبادلة فيما بينهم.

وكانت الولائم والمقابلات في معظم الأحيان تُنظَّم بمناسبة الأعياد، وفي خلال أعياد كثيرة كانت تُقام المسابقات أو الألعاب، بل وكانت تقام مسابقات شعرية، أو موسيقية، وكانت هذه هي اللحظات التي يتشبَّث بها الإنسان لينسى هموم الحياة الدنيا وما يحيط به من أحزان، فيلهو في أحضان العلم، والأصدقاء، وكانت الإسكندرية وقتئذٍ الفرصة التي يرى فيها القوم أبهة البلاط الملكي ويُعجَبون بثراء البطالمة وعظمتهم.

[٢٦] U. Wicken. Arch., f. Pap. 10. P. 239–40; P. Col. Z., 60 and others.

وفي خلال فرح الأسياد وابتهاجهم كان الخدم يشاركونهم كذلك، فيحصلون بمناسبة الأعياد على هدايا صغيرة، بل وأحيانًا كان أسيادهم يهدونهم خنازير صغيرة لمائدتهم الخاصة.

وكان القوم يحتفلون بصورة عامة شاملة، وبأبهة ما بعدها أبهة بأعياد الأسرة البطلمية، وبوجه خاص عِيدَيْ «بازليا» Baseleia و«تيادلفا» Theadelpheia وكذلك عيد «أرسنوي» كان يُحتَفل به في الإسكندرية لا في الفيوم وحسب كما ظن بعض المؤرخين.

ومن بين الأعياد الأخرى نذكر في المكانة الأولى أعياد «دميتر» Demeter يضاف إلى ذلك أن عيد «تسموفوريا» Thesmophoria كان يُحتَفل به كذلك في الإسكندرية، وكان ذلك في الوقت نفسه الذي يحتفل به في «أثينا»، وكان عيد «أزيا» Isieia وهو عيد قد أصبح هيلانيًّا لدرجة عظيمة يتمتع بشعبية عظيمة،[٢٧] وهو في الأصل عيد مصري قديم للإلهة «إزيس». هذا ونجد في سجلات زينون ذكر عيد النيل.[٢٨]

أما الديانة في دنيا بلدة فيلادلفيا الإغريقية الصغيرة فكان لها بوجه عام صورتان؛ الأولى: وهي ما يمكن أن نسميه الصورة الرسمية، وفيها كان يظهر الحماس في الأحفال بالأعياد، وبالضحايا المقررة، ومما يلفت النظر أن القوم كانوا يحتفلون بوجه خاص بالأعياد الأسرية، وهي بلا شك الأعياد البعيدة كل البعد عن أي معنًى ديني، وكذلك كانوا يحتفلون بأعياد إزيس المصرية، ومن الآلهة «أولمبيا» الإغريقية، الإلهة «ديميتر» (إلهة الأرض) وكانت أكثر الآلهة تقديسًا، وكانت عبادتها تحتل المكانة الأولى عند النساء.

والصورة الثانية: هي الديانة «الخاصة» وهي — بصرف النظر عن التعبد للآلهة الأجداد، وكانت عاطفة راسخة في بيت الأسرة — عبارة عن حب استطلاع ورغبة ملحة باحثة عن قوى خارجة عن نطاق الطبيعة؛ لحلِّ لغز المستقبل — أي الحياة الأخرى — والشفاء من المرض، والمساعدة في الشدائد، وكل إنسان كان له طائره في عنقه (عفريته) وكل العالم مليء بقوى مجهولة يمكن أن تقهر، ويمكن استثمارها، وبمقتضى هذه القاعدة أخذ السحر ينمو بتوسع في المستقبل، وكذا التنجيم، وديانات التعاليم، ولكن في سجلات زينون لم نجد شيئًا من ذلك.

---

[٢٧] P. O. Z., 59586.

[٢٨] P. O. Z., 59176.

ولا بد أن نشير هنا إلى أننا عندما تكلمنا بشيء من التفصيل عن حياة الإغريق في مصر فإننا قد حصرنا بحثنا كلية في طبقة واحدة اجتماعية، وأعني بذلك بطانة زينون المقربة إليه جدًّا، ومع ذلك فإن سكان «فيلادلفيا» كانوا منوعين جدًّا، ويظهر ذلك بوضوح حتى في اللغة، وفي طريقة التعبير. أما في الحياة الاقتصادية فإن التباين قد ظهر بصورة بارزة.

هذا، وتنعكس فروق مستوى الحياة والمكانة الاجتماعية في حالة الطبقات الدنيا من السكان نحو الطبقة التي تتمتع بأعظم الامتيازات؛ فنجد مثلًا أن الوزير «أبولونيوس» كان يبعث منظرُه الخوفَ والاحترام حتى في نفوس أقرب مساعديه، وهذه المشاعر نجدها موضحة في خطاباتهم. هذا، ولا يقل خطورة عدم رضى وكيل الوزير المسمى «ديوتيموس» Diotimus الذي يظهر في حديثه مع «زينون» الغطرسة والتمسك بالرسميات، وكان «أبولونيوس» يُعتَبر في نظر الطبقة الدنيا من المجتمع الإغريقي كأنه إله صاحب سلطان مسيطر. على أن عدم الاتصال المباشر مع الوزير تقريبًا قد جعل من المستحيل العيب في حقه، أو توجيه أي نقد لشخصه. هذا، وكان زينون القائم مقامه في «فيلادلفيا» هو آخر أمل، وآخر نجدة لكل المضطهدين والبائسين؛ لأن أبولونيوس كان لا يختلط مع الشعب، ومن ثم كان يمثل في «زينون».

والواقع أن الإغريق الذين كانوا يؤلفون البطانة الملتفة حول زينون، هم تلك الطبقة المتوسطة من المجتمع التي يمكن ملاحظة سماتها بكل وضوح في وثائق زينون، وهم في الواقع جماعة من الناس كانوا يحسُّون بعلوٍّ منزلتهم على الناس الذين لم يكن لديهم ما يعيشون منه إلا ما تعمله أيديهم، وعلى أصحاب المرتبات الصغيرة من صغار الصناع، ومع كل الكتلة البشرية المجهولة من الطبقة الدنيا، ولكنهم كانوا كذلك مجموعة من الناس يُعرَفون تمام المعرفة على أنهم كانوا عيالًا على الأغنياء الذين يتمتعون بأكبر سلطان، وأكثر ثروة. على أن الذين كانت تتألف منهم هذه الطبقة المتوسطة لم يكونوا يحكمون مصر مباشرة، ولكن كانوا يؤلفون على وجه التأكيد إلى درجة كبيرة حياتها الاقتصادية.

وخلاصة القول: أن الصورة التي رُسِمت للمجتمع الإغريقي المصري في الفيوم على حسب ما جاء في سجلات «زينون» لا تزال ناقصة، والسبب الأول في ذلك: هو أنها قد رسمت لنا من مصادر إغريقية كلية على وجه التقريب، وهذه المصادر كُتِبت في أغلب الأحيان بأيدي إغريقية، كما أنها كانت موجهة للإغريق، وكذلك هم الذين حفظوها لنا

حتى الآن، وعلى ذلك فإن المجتمع المصري لم يظهر لنا في هذه الصورة إلا كما يظهر في مرآة معكوسة، ولذلك فإن أعظم مجهود بذل من جانبنا لوضع هذه الصورة لا يمكن أن يغيِّر من الحقيقة القائلة إن معلوماتنا الخاصة بهذه الصورة قليلة العدد، كما أنها أكثر حصرًا من التي تتعلق بالإغريق.

وكذلك نجد في الوسط الهيلاني، لأسباب مماثلة، أن «زينون» وبطانته المقربة منه جدًّا قد وُضِعوا في المكانة الأولى؛ ومن ثَم لم نر طبقات الشعب الأخرى والطوائف الاجتماعية إلا من وجهة نظر هذه البطانة، ويُلحَظ أن دنيا العبيد هي التي تتألم من هذا الوضع أكثر من أناس آخرين بوصفهم قد ضاعوا في وسط تعابير مبهمة، ومن ثَم اختفوا عن ميدان نظرنا.

وعلى ذلك فإنه لما كانت وثائق سجلات «زينون» لا تخول لنا إلا أن نرسم صورة ناقصة جدًّا عن المجتمع فإنه لا بد أن نتساءل؛ هل هذا كان يستحق مشقة أن نشرع في هذا الجهد؟ وهل لم يكن من الأصوب أن نأخذ في الاعتبار كل المصادر الخاصة على الأقل بمصر في القرون الثلاثة الأولى من عهد البطالمة، وعلى هذا الأساس نحلل المجتمع الناشئ على ضفاف النيل مع محاولة تميزه؟ والواقع أنه ليس هناك من شك في أن عملًا كهذا ضروري جدًّا، ومفيد، يزيد في معلوماتنا عن العالم والمجتمع الهيلاني، وذلك على أساس المصادر الخاصة بهذه البلاد، وهي وفيرة جدًّا فيها.

ومع ذلك فإن المصادر وحدها (من بينها الأوراق البردية التي تتفوق على كل مصادر أخرى) تسبغ عليها صبغة أخرى بالكلية، والسمة العامة التي تُلحَظ في مواد الأوراق البردية، وبوجه خاص الحالة الممزقة والعرضية التي وُجِدت بها، ولا يُستَثنى من ذلك من وجهة النظر هذه المتون التي من العصر البطلمي الأول، وعلى هذا الأساس يمكن أن نستنبط عددًا من النتائج أكثر عامية؛ ويمكن أن نلحظ من جهة مفعولَ بعضِ القوى والميول، وظهور بعض الظواهر، ومن جهة أخرى لا يمكن أن نعرض الصورة المستمرة للمجتمع العائش في حالات تاريخية وجغرافية مجسمة تمامًا.

والواقع أنه ليس لدينا إلا وثائق «زينون» التي نجد فيها الرابطة والمادة الكافيتين اللتين تمركزتا حول شخص واحد، وفي مدة واحدة، ومكان واحد، وعلى أية حال فإن هذه السجلات إن لم تكن قد كونت مرآة نموذجية فإنه ليس لدينا، دون أي شك، أحسن منها.

وعلى أية حال فإن أية كتابة في هذا الموضوع لا تكون لها قيمتها الحقيقية إلا عندما يُوضَع مؤلف يشمل جميع المسائل التي تبحث في الحياة الاجتماعية في مصر في عهد البطالمة الأول.

والصورة التي وضعناها هنا عن المجتمع العائش في فيلادلفيا وضواحيها على الرغم من أنها ناقصة فإنها تسمح لنا مع ذلك أن نضع بعض ملحوظات، وأن نستخلص النتائج التي يمكن في بعض الأحوال نسبتها إلى مصر كلها. فإذا كانت حتى الحياة في المديريات المصرية الأخرى أكثر هدوءًا، وأقل حرارة، وأن المصري لا يقابل فيها الإغريقي إلا نادرًا جدًّا، فإن هذه الفروق كانت من جهة الكم لا من جهة القيمة، وعلى ذلك يمكنُنا — على ما يبدو — أن نَجْرُؤَ بأن نفرض أن مجتمع الفيوم في منتصف القرن الثالث كان من حيث النقط الأساسية جدًّا يشبه المجتمع الذي يعيش فيه الناس في جزء آخر من أرض القرى المصرية في كل مكان، حيث نجد فيه التحسينات الجديدة التي أوجدها «بطليموس الثاني».

ولا نزاع في أن معرفتنا بالوسط المصري كانت ناقصة أكثر مما يجب، وأنه بوجه خاص في الجزء الإغريقي من المجتمع يمكننا أن نلحظ التغييرات التي استُحدثت في البلاد.

ومما هو جدير بالذكر هنا أن «زينون» عندما أضاف أوراقه الأخيرة في السجلات التي وصلت إلينا بعد عشرين عامًا من مكثه في الفيوم، فإن عالم بلدة فيلادلفيا لم يتغير إلا قليلًا عما كان عليه في عام ٢٥٧ق.م وكل ما زاد هو أن الإغريق قد ثبَّتوا أقدامهم أكثر من ذي قبل في الأرض المصرية، وأن الرابطة بينهم وبين وطنهم القديم قد ضعُفت، وكذلك روابط الدم قد تضاءلت شيئًا فشيئًا.

يضاف إلى ذلك أن تضامن طبقات المجتمع والإحساس بالتبعية إلى جماعة من الناس المتساوين في مركزهم الاجتماعي كانت تقوى أكثر فأكثر، وقد أصبحت الفائدة الاقتصادية سببًا في العمل الحر الذي كان آخذًا في القوة بصفة مستمرة، ومن المحتمل أن قلوب القوم أخذت تشعر أنها أكثر ارتباطًا بالآلهة الخفية التي في المعابد المصرية، يُضاف إلى ذلك أن لغة المتون قد أصبحت غنية بالتعبيرات الجديدة — وهي قليلة العدد مع ذلك — التي من أصل مصري، وكذلك يُلحَظ أن صِيَغ الوثائق المحررة قد تنوعت شيئًا فشيئًا عن مثيلتها الإغريقية السابقة.

وتحليل رسائل «زينون» يظهر منه متناقضات عديدة تميِّز هذا المجتمع الإغريقي-المصري، فمن جهة نجد المصريين يقفون في وجه الإغريق في حين أن الآخرين،

وهم فقراء الإغريق، قد ضاعوا تقريبًا، ولم يكد يكون لهم أثر في غمار الطبقة الفقيرة من السكان الأصليين، في حين أن المصريين الأغنياء قد حافظوا على علاقاتهم الحبية مع الهيلانيين.

ويُلحَظ أن النزعة إلى المحافظة على الصبغة القومية المميزة قد تصادمت مع نزعة الاندماج، وبدرجة ما مع النزعة التي كانت ترمي إلى تخفيف حدة الخلافات التي تفصل بين الجماعتين من حيث القومية، فقد كان الإغريقي يحتقر الفقير المصري، ولكن في الوقت نفسه كانت التقاليد المصرية القديمة للبلاد على ضفاف نهر النيل تجعله يشعر باحترام له ممزوج برهبة. أما المصري فكان يشعر بخوف من الإغريقي كما كان لا يأمن له، على أن ذلك لم يمنعه أن يبحث عن مساعدته عند حلول المصائب والملمات به.

أما في الحياة الاقتصادية فإن النزعة إلى الاستقلال كانت تتصادم مع التبعية العامة التي كانت تسود دوائر الاقتصاد في عهد البطالمة الأول. هذا، وكانت الخدمة من أجل الملك، سواء أكانت مباشرة أو غير مباشرة، هي السبيل الوحيد للثراء، ولكن في الوقت نفسه كان ذلك سببًا في انتقاص حرية الفرد بصفة أكيدة في العمل الذي كان لا غنى له عنه في هذه الحالة، ومن المعلوم أن ملكية الأرض لم تكن موجودة، ومع ذلك فإن الأرض كانت هي التي تؤلف في مصر أضمن مصدر للدخل، ولم يكن في مقدور أي شخص أن يمتلك أرضًا، وكان هناك عدد عظيم من الناس مرتبطين بالأرض على الأقل موسميًّا سواء كان ذلك بالإيجار أو بالهبة.

ولا نزاع في أن تراكم مثل هذه الظواهر المتناقضة تميِّز المرحلة الأصلية في تطور المجتمع. فكل شيء يعمل من نفسه، ويتألف، ويتبلور، ولم يكن هناك شيء ثابت أو مستقر، بل كان كل شيء في حالة غليان، وفي فاعلية جبارة، وكأن الإنسان في هذه الحالة يقول إن هذا المجتمع لم يكن قد وُجِد بعدُ، وإنه كان في سبيل الظهور إلى عالم الوجود، وعلى ذلك فإنه من الصعب جدًّا أن تُصاغ الأحكام المتساوية لإعطاء صورة متناسقة، ومن المحتمل هنا أنه يجب على الإنسان أن يبحث عن سبب سوء المفهومات العديدة في العلم الحديث الذي أصبح ممثلوه هم الذين يعاملون المجتمع في العهد البطلمي الأول بوصفه موضوعًا ثابتًا، وكأنه صورة ثابتة ناضجة دون أن يعرف أو يرى أو يفهم المتناقضات التي كانت تمزقه.[٢٩]

[٢٩] Petrie II. P. 99.

الجنود المرتزقة في الفيوم

وفي عهد «بطليموس الثالث» ازداد عدد الجنود المستعمِرين بدرجة عظيمة؛ وذلك لأن الحملة العظيمة التي سار على رأسها هذا العاهل إلى آسيا الصغرى كان من نتائجها أنه بعد أن عاد مظفرًا أراد أن يكافئ جنوده الذين أحرزوا نصرًا عظيمًا في هذا الميدان، يُضاف إلى ذلك أنه قد عاد ومعه عدد عظيم من الجنود الذين كانوا يقاتلون في جيش سليوكوس بوصفهم أسرى حربٍ فأسكنهم في الفيوم، وهؤلاء كان السواد الأعظم منهم إغريقًا أو مقدونيين من الذين كانوا يرغبون في أن يكون لهم وطن سعيد في مصر، أو في آسيا الصغرى على السواء، وقد كان من بينهم يهود مما كان يزيد في عدد العنصر اليهودي الذي كان فعلًا كثير العدد في مصر في تلك الفترة.

هذا ونلحظ أنه في عهد هذا العاهل نحد أن الأرض التي كانت تُمنَح للجنود المرتزقين قد حُوِّلت إلى أملاك خاصة لهم في عهده، وهذا الإجراء يُعدُّ دليلًا على رأيه في الفوائد والأضرار التي تنجم من النظامين؛ القديم: وهو أن الأرض كانت تظل ملك الملك، والآخر: وهو أنها تصبح ملكًا للجندي، وتبقى في أسرته تتوارثها أخلافه حتى يمكنه أن يجند منهم كلما أراد.

(٢-٤) بطليموس الثالث والسعي في إصلاح التقويم المصري

منذ العام السادس من حكم «بطليموس الثالث» ٢٤١ق.م حتى حضرته الوفاة، وكذلك طوال مدة حكم خلفه بطليموس الرابع (٢٢١–٢٠٤ق.م) لم نعثر على عملة من التي قيمتها درخمتان أو ثلاث درخمات من الفضة مؤرخة بسني حكم واحد منهما، والواقع أن التواريخ التي اتخذها كلٌّ من بطليموس الثالث والرابع ترجع إلى عصر يبتدئ بعام ٣١١ق.م؛ أي أول عهد الحكم الحقيقي للبطالمة، وذلك باعتبار أنهما خلفا الإسكندر الرابع الذي مات في عام ٣١١ق.م كما ذكرنا ذلك آنفًا (راجع مصر القديمة الجزء ١٤)، ولا نزاع في أن بطليموس الثالث كان قد أراد أن يؤسس — على غرار الملوك السليوكيين — تأريخًا يكون في الوقت نفسه قوميًّا وأسريًّا، والواقع أن ملوك السليوكيين في آسيا كانوا يؤرخون نقودهم بتاريخ موت الإسكندر، ومن المحتمل أن بطليموس الثالث قد أراد أن يسير على نهج هذا التاريخ الذي كان من الجائز أن يُصبِح فيما بعدُ تأريخًا دوليًّا في العالم الهيلانستيكي.



وجه. ظهر.

شكل ٣-١: عملة نقدية لبطليموس الثالث محفوظة بالمتحف المصري، صورة مقدمة من الدكتور عبد المحسن الخشاب.

والواقع أن بطليموس هذا كان ذوَّاقًا للعلوم الدقيقة؛ ويمكن الحكم عليه بذلك بما لاقاه العالم الجغرافي والرياضي العظيم أراتوستينيس من حظوة ومكانة رفيعة مرموقة كما أشرنا إلى ذلك من قبل (راجع مصر القديمة الجزء ١٤) ومن المحتمل أن هذا الملك كان يستشير علماء «الميوزيون»، ولا بد أن الفلكيين والرياضيين الإسكندريين هم الذين اقترحوا عليه إصلاح التقويم المصري، وإغفال التقويم المقدوني الذي كان يسير على حسب التوقيت القمري، ولكن التقويم المصري إذا أُصلح وتخلص من أسلوبه العادي، وهو السنة التي تتألف من ٣٦٥ يومًا وحسب فإنه يصبح من المستطاع أن يحل محل الأخير بما يعود بالفائدة، كما يصبح التقويم القومي الصحيح، وقد يأخذنا العجب عندما نعلم أنه قبل قرنين من الزمان من عهد «يوليوس قيصر» قد فكر الكهنة المصريون في أن ينفذوا نفس الإصلاح الذي قام فعلًا به «يوليوس قيصر»، والواقع أننا علمنا بهذا الإصلاح من منشور ملكي وضعه مجلس كهني اجتمع في مدينة «كانوب» ويُقال إن الغرض الذي كان يرمي إليه هذا المنشور هو التغلب على عادات الشعبين، وذلك بتحسين التقويم المصري بالعلم الإغريقي، والرأي السائد أن هذا الإصلاح جاء عن طريق العلم

الإغريقي، غير أن المؤرخ «ستراك»[٣٠] والعالم «فلكن»[٣١] يميلان إلى الاعتقاد بأن الكهنة المصريين لا بد أن يرجع إليهم الفضل في المبادرة باقتراح هذا الإصلاح، ومما لا شك فيه أن علوم الفلك التي ورثها الكهنة عن أسلافهم كانت كافية لتجعلهم يصوبون الهدف في وضع تصميم السنة الكبيسة.

أما أولئك الذين ينسبون هذا الإصلاح إلى علماء الإغريق فلأن ذلك يرجع إلى تمسك المصريين بعاداتهم القديمة والمحافظة عليها إلى أقصى حدٍّ، ولكن هذا الرأي لا يُعتدُّ به، وبخاصة عندما نعلم أن «إسترابون» قد قال: إن علم الفلك أخذه الإغريق عن المصريين.

والواقع أنه قد عُمل مجهود مزدوج لوضع تاريخ ثابت يمكن بوساطته حساب السنين، وذلك بدلًا من أنها كانت تُحسَب بعدد أعوام حكم الملك، فيقال سنة كذا من سني حكم الملك فلان الحاكم، وهذه الطريقة للتأريخ لا نزاع كانت غير عملية، وغير علمية في وقت واحد، وعلى مر الزمن وازدياد عدد الملوك الذين حكموا تعقدت الأمور أكثر فأكثر؛ ومن أجل ذلك كان لا بد من إيجاد حلٍّ لذلك.

وقد كانت السنة المصرية العادية المستعملة عند كل من الإغريق والمصريين هي السنة المصرية التي حُدِّدت أيامها بـ ٣٦٥ يومًا، وتبتدئ بأول يوم في شهر «توت» وإن كان الإغريق في العادة يضعون الشهر المقدوني عند تأريخهم الوثائق، ولما لم تكن عند المصريين سنة كبيسة بزيادة يوم على السنة العادية فإن السنة المصرية كانت تُسقِط يومًا كل أربعة أعوام، وبذلك كانت السنة الطبيعية بعد مرور ١٦٤٠ سنة قد زِيد عليها سنة كاملة، وقد جاء ذلك من إضافة يوم كل أربع سنين، ومن ثَم نجد أنه بهذه الطريقة تنقلب الأوضاع، فمثلًا نجد أن عيد سنة من السنين كان يُحتَفل به في تاريخ معين على حسب السنة المصطنعة يكون مرة في وسط الشتاء، ولكن بعد مرور ٧٣٠ سنة يكون انعقاد نفس العيد في منتصف الصيف.

ولأجل إصلاح العقبة الأولى اتُّخذ عام ٣١١ق.م بمثابة عهد ثابت، كما ذكرنا، ولأجل التغلب على العقبة الأخرى فإن الكهنة المصريين قد تغلَّبوا عليها، وذلك بما جاء في المرسوم الذي نشروه باسم الملك «بطليموس الثالث»، ولكن كانوا هم الواضعين الحقيقيين له. غير أن شواهد الأحوال دلت على أنه لم يُنفَّذ، ولكن الفكرة كانت موجودة، إلى أن عُمِل

[٣٠] Strack, Gottingischc Geherte Anzeige for 1900, No. 8. P. 648.

[٣١] U. Wlleken, Griechische Ostraka aus Aegypten and Nubien I. P. 783.

بها في عهد يوليوس قيصر، ومن ثَم بدأ التاريخ العلمي الصحيح، وهو ما نسميه التاريخ المسيحي.

(٢-٥) بطليموس الثالث والدين

لا نزاع في أن ما تركه لنا بطليموس الثالث من آثار دينية يدل دلالة واضحة على أنه كان من أنصار تشجيع رجال الدين سواء أكانوا إغريقًا أم مصريين.

فبعد أن عاد من حملته في بلاد آسيا نجده قد أخذ في تطوير عبادة أجداده، وبعبارة أخرى ديانة الحكومة فنرى في تلك الفترة أن «بطليموس» وزوجه «برنيكي» قد أصبح يُطلَق عليهما الإلهان المحسنان، وذلك مع «الإسكندر» ومع الإلهين الأخوين.

هذا، ولدينا وثيقة رسمية مؤرخة بالسنة ٢٤٠–٢٣٩ق.م جاء فيها: في عهد الملك بطليموس بن بطليموس و«أرسنوي»، الإلهين الأخوين، في السنة الثامنة، حينما كان «أونوماستوس» Onomastos ابن «برجون» كاهن الإسكندر، والإلهين الأخوين، والإلهين المحسنين، وحينما كانت «أرخسترات» Archestrate ابنة «كتسيدس» Ctisides حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي فيلادلفوس» … أما عبادة بطليموس سوتر، و«برنيكي» فقد بقيت مميزة، ولم يُذكَر كاهنهما في تأريخ الوثائق.[٣٢]

مرسوم كانوب

فطن ملوك البطالمة من بادئ الأمر أن مفتاح سَيْر الأحوال في البلاد المصرية قاطبة كان في يد رجال الدين، ولذلك كان كل منهم عندما يتولى عرش ملك أرض الكنانة يبذل جهده لإرضاء طبقة رجال الدين بوجه عام؛ ولا غرابة في ذلك فقد كان كل ملوك البطالمة على دين الفراعنة، وكان كل واحد منهم يلقب نفسه فرعونًا؛ ولذلك فإن «بطليموس الثالث» عندما تولى عرش الملك لم يحِدْ عن طريقة أسلافه في معاضدة الكهنة، ومحاولة الارتباط بهم، وإرضائهم، ولا أدل على ذلك من المرسوم الذي صدر في عهد هذا العاهل، ونُشِر في كل أنحاء البلاد، والظاهر أن بطليموس كان يرغب في أن يجعل الكهنة يتَّكلون عليه

[٣٢] Grenfell and Hunt. The Hibch Papyri, (1906). P. 89.

تمام الاتكال؛ ومن أجل ذلك كان يجتمع بهم سنويًّا، ليتخذ القرارات التي يراها، وترضي رجال الدين في آن واحد.

وأهم مرسوم كُشِف عنه حتى الآن في عهد «بطليموس الثالث» هو مرسوم كانوب، فقد كانت أهدافه متعددة، ومادته تكشف لنا عن معلومات قيمة تلقي ضوءًا كبيرًا على عهد هذا العاهل، وقد كان صدوره في ٦ مارس سنة ٢٣٧ق.م.

وهذا المرسوم نُقِش بثلاث لغات؛ وهي: المصرية القديمة (أو اللغة المقدسة)، والديموطيقية، والإغريقية، وقد عُثِر حتى الآن على أربعة نسخ منه، وهي كالآتي:

(١) لوحة «تانيس»: وُجِدت النسخة الأولى من هذا المرسوم في تانيس نُقشت على لوحة من الحجر الجيري، كشف عنها في عام ١٨٦٥ في «صان الحجر» مهندس فرنسي أثناء أعمال حفر قناة السويس، وقد نشرها وترجمها الأثري «لبسيوس»،[٣٣] وهذه اللوحة محفوظة الآن بالمتحف المصري برقم ٢٢١٨٧.[٣٤] وبعد ذلك ترجمت هذه اللوحة إلى لغات مختلفة، وقد علق عليها كل من «ريناخ» Reinach و«روزلر» Roesler و«فشر» Wescher و«برش» و«شارب» Sharpe و«ريفيو» Revillout وبركش، وقد ترجم[٣٥] الأخير الرواية الديموطيقية، وكذلك ترجمها «بيريه» Pierret و«شاباس» وغيرهم.

(٢) كوم الحصن:[٣٦] والنسخة الثانية عُثِر عليها في كوم الحصن عام ١٨٨١ ميلادية، وهي محفوظة كذلك بمتحف القاهرة برقم ٢٢١٨٦، وهي لوحة من الحجر الجيري عثر عليها «مسبرو» وترجم النص الإغريقي «مولر»، ثم ترجم هذا النص مع الروايات الديموطيقية المؤرخ «مهفي».

(٣) والنسخة الثالثة عبارة عن قطعة من لوحة من البازلت الأسود،[٣٧] وكانت في الأصل مستعملة «أسكفة» لأحد المساجد بالقاهرة في عهد الحملة الفرنسية، والمتن الإغريقي الذي عليها قد زالت معالمه تقريبًا، ولم يبق من المتن الديموطيقي إلا سطران، ولم تُنشَر بعدُ محتويات هذه القطعة حتى الآن بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا.

---

[٣٣] Das bilingue Dekret von Canopus, Berlin, 1866.

[٣٤] Die Zweisprache Inschrift von Tanis; Wien. 1867.

[٣٥] Brugsch, Thesaurus, VI. P. 1554 ff.

[٣٦] Pierret, Deeret de Canope.

[٣٧] Journal des Savants. 1883. P. 214–229.

(٤) مدينة الكاب:[٣٨] وأخيرًا لدينا متن رابع عُثر عليه في أثناء أعمال الحفر التي قامت بها البعثة البلجيكية في مدينة «الكاب» القديمة، وهذا المتن هو عبارة عن قطعة من الحجر الرملي البالي جدًّا، وقد نجح كل من الأثري عباس بيومي، والأثري «جيرو» في الوصول إلى الكشف عن هذه النسخة الأخرى من مرسوم كانوب، وتحتوي بوجه خاص على رواية جديدة هامَّة في المتن الإغريقي في فقرة استوقفت النظر،[٣٩] وقد جمع الأثري زيته كل هذه النصوص عدا النص الأخير ورتبها، وتحدث عن مصادرها.[٤٠]

وأخيرًا جمع الأثري «شبيجلبرج» النصوص الإغريقية والمصرية والديموطيقية وترجمها، وعلق عليها بعد أن أفاد من أغلاط من سبقه.[٤١]

وهاك ترجمة نص القرار على حسب النص المصري القديم والإغريقي والديموطيقي، وهي لا تختلف كثيرًا الواحدة عن الأخرى.

(١) التاريخ: السنة التاسعة اليوم السابع من شهر «أباليوس» في اليوم السابع عشر، الشهر الأول من فصل الشتاء. كان سكان مصر تحت حكم جلالة ملك الوجه القبلي والوجه البحري (بطليموس محبوب بتاح عاش أبديًّا) ابن الملك بطليموس و«أرسنوي» الأخوين الإلهين، حينما كان كاهن الإسكندر المرحوم وكاهن الأخوين الإلهين والإلهين المحسنين هو «أبولانيدس» بن «موسكيان»، كما كانت «مناكرادا» ابنة «بيلامنا» حاملة السلة أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

(٢) المقدمة: في هذا اليوم قرر المشرفون على المعابد، والكهنة (خَدَمة الآلهة) والكهنة السريون، والكهنة مطهرو الإله الذين يلبسون الآلهة ملابسهم، وكتبة كتَّاب الإله، والعلماء والكهنة آباء الآلهة، والكهنة جميعًا الذين أتوا من شطري الوادي، أي الوجه القبلي والوجه البحري في اليوم الخامس من شهر «دياوس» الذي احتفلوا فيه بعيد

---

[٣٨] Mahaffy, The Empire of the Ptolemies. P. 229 ff.

[٣٩] A. S., Tom. XLVI, (1947). P. 373–378 avec une planche.

[٤٠] Sethe. Urk II. P. 125.

[٤١] Spiegelberk. Die Demotischen und Hierlyphische. Text der Dekret–von kanopus 239/8. v. Chr Und Memphis (Rosettana) 197/6 v. Chr.

رأس السنة لجلالته، وفي اليوم الخامس والعشرين من هذا الشهر الذي تولى فيه جلالته وظيفته العظيمة من والده، وقد تجمعوا في بيت الإله الخاص بالإلهين المحسنين في «بر-جوتي» (كانوب).

(٣) بداية وضع المرسوم. الملك والملكة يبرهنان على أنهما محسنان لمعابد مصر: حدث هنا أن ملك الوجه القبلي والوجه البحري (بطليموس العائش أبديًّا محبوب بتاح) ابن بطليموس و«أرسنوي» الإلهان الأخوان، والأميرة برنيكي أخته وزوجه والإلهان المحسنان كانا يفعلان الخير كثيرًا جدًّا في معابد مصر في كل زمان.

(٤) الملك والملكة يهتمان بالحيوان المقدس: وهما يهتمان كذلك في كل وقت بشعائر العجل «أبيس» والعجل «منيفيس»، وكل الحيوانات المؤلهة في مصر، وقدَّما أشياء كثيرة (أي قربات كثيرة، ومعدات عدة).

(٥) الملك يحضر التماثيل المصرية التي كان قد استولى عليها «الفرس»: وقد فعل من أجل المحافظة على بقاء صور الآلهة التي كانت قد اغتصبها الفرس الخاسئين من مصر، وقد زحف جلالته على أرض «آسيا» وخلَّص «التماثيل» وأحضرها ثانية إلى «تامرى» (مصر) ووضعها (ثانية) في مكانها في المعابد التي كانت قد انتُزعت منها فيما مضى.

(٦) الملك يحافظ على السلام في البلاد، ويحارب من أجل ذلك البلاد النائية: وقد حمى مصر من الحرب، وذلك عندما حارب خارجها في الوديان البعيدة أقوامًا أجنبية كثيرة، وحارب رؤساءهم الذين يسيطرون عليهم.

(٧) الملك والملكة حَمَيا رعاياهما بسَنِّ القوانين: وقد عدلا بين كل أهالي مصر (تامرى = أرض الدميرة) وكل أهل الأراضي الذين كانوا رعايا لجلالتيهما.

(٨) عندما حدث فيضان منخفض نجده حمى المهددين بالجوع باتخاذ احتياطات واسعة، وبذلك أوجد له ذكرى باقية عند سكان البلاد: وعندما حدث فيضان منخفض في زمنهما حزنت قلوب كل سكان مصر بسبب ما وقع، ولما فكر في الكوارث التي وقعت في زمن الملوك السالفين عندما حدث نيل منخفض لسكان مصر في زمنهم، فإن جلالته اهتم بنفسه مع أخته، ومن ثم احترق قلبهما من أجل سكان المعابد وسكان مصر قاطبة، وفكَّرا كثيرًا جدًّا في فرض ضرائب كبيرة رغبة في أن يجعلا الناس يحيون، وعمِلا على جلب الغلال إلى مصر من «رتنو الشرقية» (سوريا) ومن أرض «كفتيو» ومن جزيرة سيناء الواقعة في الأخضر العظيم (البحر الأبيض المتوسط) ومن أراضٍ أجنبية كثيرة، وذلك بأن دفعا

فضة كثيرة مقابل ذلك بأسعار عالية، وبذلك نجا سكان مصر، ومن ثم أصبحوا يعترفون بأعمالهم الخيرية إلى الأبد؛ وكذلك خدماتهما العدة العائشين منهم، ومن سيأتي بعدهم.

(٩) الملك والملكة يكافآن على كل هذه الأعمال الخيرة من الآلهة: ومن أجل ذلك جعلت الآلهة وظيفتيهما ثابتة بوصفهما حاكمين للوجه القبلي والوجه البحري، وكافآهما بكل الخير حتى نهاية الأبدية.

(١٠) وبناء على ذلك قرر الكهنة مضاعفة احترام الملك والملكة وتعظيمهما: عافية وصحة! (أي للملك)، وقد وضع كهنة مصر (تامرى) في قلوبهم أن يكثروا ويفخموا الشعائر العدة لملك الوجه القبلي والوجه البحري (بطليموس محبوب بتاح العائش مخلدًا) والأميرة «برنيكي»، الإلهان المحسنان، في المعابد، والاحترام الخاص بالإلهين الأخوين الحاميين اللذين أوجداهما، وبذلك عظموهما.

(١١) قرار بتعيين كهنة للإلهين المحسنين، وإنشاء طائفة خامسة: والكهنة الذين في كل معابد مصر هم أولئك الكهنة الذين سيُسمَّون باسم كهنة الإلهين المحسنين، ويجب أن يُضَم لهم اسم وظائف الكهنة خدمة الإله، ويجب أن يُكتَبوا على حسب ذلك في كل وثيقة، وأن يُنقَش على الأختام التي يحملونها ما يدل على أنهم كهنة الإلهين المحسنين، وفضلًا عن ذلك تضاف إلى أربع طوائف الكهنة الموجودين فعلًا في جماعة الكهنة لكل معبد طائفة أخرى يُطلَق عليها طائفة الإلهين المحسنين (إيرجيتيس) وذلك لأنه من حسن الحظ حدث أن ولادة الملك بطليموس بن الإلهين المحبين قد وقع في اليوم الخامس من شهر «دياوس» وهو الذي كان بداية خير لكل الناس.

(١٢) اختيار الكهنة الجدد، وحقوقهم، وترتيبهم: وقد دُوِّن في هذه الطائفة (من الكهنة) كل من أصبحوا كهنة منذ السنة الأولى، وكل من سيصبح كذلك حتى شهر مِسْرَى من السنة التاسعة، وكذلك أولادهم إلى أبد الآبدين. أما أولئك الذين كانوا من قبل كهنة حتى السنة الأولى فإنهم سيبقون في نفس طوائفهم التي كانوا فيها من قبل، وكذلك أطفالهم فإنهم منذ الآن سيوضعون في نفس الطوائف التي فيها آباؤهم.

(١٣) يجب أن يكون لطائفة الكهنة الجدد نفس الحقوق التي يتمتع بها الكهنة القدامى: أما فيما يخص العشرون كاهنًا أصحاب المشورة، وهم خمسة من كل طائفة، فإن هؤلاء الكهنة أصحاب المشورة سيُزادون إلى خمسة وعشرين، والخمسة المضافون يؤخذون من الطائفة الخامسة التابعة للإلهين المحسنين، وهؤلاء الذين انتُخبوا من

الطائفة الخامسة للإلهين المحسنين فإنهم يشتركون في شعائر التطهير، وكذلك في كل الأحفال الأخرى التي كانت تقام في المعابد، وهذه الطائفة سيكون لها رئيس كما في الطوائف الأربع الأخرى.

(١٤) ويجب أن يُقام عيد سنوي كبير للإلهين المحسنين خلافًا للعيد الشهري مثل آلهة مصر العظام. ومعلوم أنه في كل شهر كان يقام عيد للإلهين المحسنين في كل المعابد على حسب المرسوم الذي صدر من قبل، في الأيام: الخامس، والتاسع، والتاسع والعشرين من كل شهر، وأنه كان يُحتَفل للآلهة العظماء الآخرين في كل سنة بأعياد وأحفال دينية، وكذلك يجب أن يُقام عيد كبير في زمنه من السنة من أجل ملك الوجه القبلي والوجه البحري (بطليموس العائش أبديًّا المحبوب من بتاح) ولأجل الأميرة «برنيكي» وهما الإلهان المحسنان، وسيُحتفل به في شطري البلاد، وفي كل مصر، وهو اليوم الذي سيشرق فيه النجم «سبد» (إزيس) وهو اليوم المعترف به في كتابات بيت الحياة بأنه السنة الجديدة كما يقال.

وهو الذي يُحتَفل به في السنة التاسعة في اليوم الأول من الشهر الثاني من فصل الصيف، وهو الذي يحتفل فيه بعيد أول سنة لبوبسطة، وعيد «بوبسطة الكبير»، وعندما يكون زمن حصاد كل الفاكهة وفيضان النيل، وإذا تغير طلوع النجم «سوبد» إلى يوم آخر بعد مضي أربع سنوات فإنه لا ينبغي أن يتغير، بل يُحتَفل به في أول يوم طلوع القمر في شهر بئونة، وهو اليوم الذي كان قد احتُفل به في الأصل في السنة التاسعة، وكذلك ينبغي أن يحتفل به خمسة أيام والتاج معقود على رأسه، وتُقدَّم القرابين على مائدة القربان، وتقدم قربان المشروبات، وكل شيء يعمل يكون كالمعتاد، ولأجل أن تتوالى الفصول بنظام مطلق على حسب نظام العالم الفعلي، وألا يحدث أن بعض الأعياد الدينية التي يُحتَفل بها في الشتاء لا تقع أبدًا في الصيف — وذلك بسبب أن النجم يتقدم يومًا كل أربعة أعوام — وحتى لا يحدث أن بعض الأعياد من بين الأعياد الأخرى التي تُقام الآن في الصيف تقام في الشتاء في الأزمان التي ستأتي بعد، كما حدث ذلك فيما مضى، وتحدث الآن كذلك إذا بقيت السنة مؤلفة من ثلاث مائة وستين يومًا، وخمسة الأيام التي زيدت باسم أيام النسيء الخمسة، فإنه منذ الآن سنضيف يومًا مخصصًا لعيد الإلهين المحسنين كل أربع سنوات لخمسة أيام النسيء قبل السنة الجديدة حتى يعلم الكل أن ما كان ناقصًا من قبل في نظام الفصول والسنة، وفي القواعد الموضوعة بخصوص النظام العام للعالم قد أصلحه وتمَّمه الإلهان المحسنان.

(١٥) موت الأميرة الصغيرة، وتقديسها: ولما كان من المفهوم أن الملك بطليموس والملكة برنيكي الإلهين المحسنين قد أنجبا ابنة تُدعَى «برنيكي» وقد أعلن في الحال أنها ملكة، فقد حدث أن هذه الابنة قد ذهبت فجأة — وهي عذراء — إلى عالم الأزل، وأن كهنة كل البلاد كانوا يأتون بجوار الملك كل سنة، وكانوا كذلك بالقرب منه، فإنهم أسهموا في إقامة جَنَّاز عظيم حزنًا بسبب هذا الحادث، وبعد أن التمسوا من الملك والملكة أقنعوهما بأن يضعوا الإلهة مع أوزير في معبد «كانوب»، الذي لم يكن من بين معابد الدرجة الأولى وحسب، بل من بين أكثرها احترامًا عند الملك، وفي كل البلاد، وكان موكب قارب أوزير المقدس لهذا المعبد يُبتَدأ سنويًّا من المعبد الذي في «هيراكليون» في اليوم التاسع والعشرين من كيهك عندما كان أولئك التابعين لمعابد الدرجة الأولى يقدمون ضحايا على موائد القربان التي أقاموها على كلا جانبي الطريق، وبعد ذلك كانوا يؤدون أحفال تأليهها، وختام الجنَّاز بأبهة وتفصيل كما هي العادة في حالة العجل «أبيس» والعجل «منيفيس».

وقد قرر: أن تُؤدَّى احترامات أبدية للملكة «برنيكي» ابنة الإلهين المحسنين في كل معابد البلاد، ولما كانت قد ذهبت للآلهة في شهر طوبة، وهو الذي غادرت فيه الحياة ابنة الشمس (تفنوت) في الزمن الأوَّلي، وهي التي كان قد سماها والدها تاجة، وأحيانًا نظرة، وأقام لها عيدًا وموكبًا قارب في معظم معابد الدرجة الأولى في هذا الشهر، وهو الذي حدث فيه تأليهها في الأصل (فقد تُقرِّر) أن يقام للملكة «برنيكي» كذلك، ابنة الإلهين المحسنين في كل معابد البلاد في شهر طوبة، عيد وموكب قارب لمدة أربعة أيام من السابع عشر، وهو الذي كان يحدث فيه في الأصل الموكب، وختام الحزن، وكذلك توضع صورة مقدسة لها من الذهب المُطعَّم بالجواهر في كل من معابد الدرجة الأولى والثانية، ويُنصَب في المحراب (الداخلي) وهي التي سيحملها بين ذراعيه الكاهن خادم الإله، أو أولئك الكهنة الذين يدخلون قدس الأقداس لأجل إلباس الآلهة، وذلك عندما يحدث الذهاب إلى الخارج، وعند أعياد الآلهة الآخرين، وذلك لأنه عندما يراها الجميع يمكن أن تُحتَرم وتعبد مثل (صورة) برنيكي سيدة العذارى، وأن يوضع لباس الرأس الملكي على صورتها، على أن يكون مختلفًا عن الذي وُضِع على رأس والدتها «برنيكي» وسيحتوي على سنبلتي قمح يكون في وسطها التاج الذي في صورة صل، وخلف ذلك صولجان بردي مناسب كالذي تمسكه الإلهات في أيديهن، وأن يكون كذلك ملفوفًا حوله ذيل صل التاج حتى إن الرمز الذي يدل على اسم «برنيكي» على حسب النظام الرمزي للكتابة المقدسة يؤخذ من صورة لباس رأسها الملكي.

وعندما تقام أعياد كيكليا Kikellia (أعياد في الإسكندرية) في شهر كيهك قبل سياحة أوزير الثانية، فإنه على العذارى والكهنة أن يجهزوا صورة أخرى لبرنيكي سيدة العذارى، وعليهم أن يقدموا كذلك ضحية، والشعائر الأخرى التي تُؤدَّى في هذا العيد، وسيكون ذلك مشروعًا بنفس الطريقة لأية عذارى أخريات يخترن تأدية الشعائر العادية للإلهة، وكذلك ينبغي أن تغني لها الأناشيد العذارى المختارات اللائي في خدمة الإلهة، وعليهن أن يرتدين ملابس الرأس المتعددة الخاصة بالآلهة الذين هن كاهناتهن، وعندما يأتي الحصاد المبكر فعلى العذارى المقدسات أن يحملن سنابل قمح لتُوضَع أمام صورة الآلهة.

وعلى الرجال والنساء المغنين أن يغنوا لها يوميًّا في الأعياد، وفي مجتمعات سائر الآلهة أيضًا، ومهما كانت الأناشيد التي أَلَّفها الكتبة المقدسون يمكن أن تسلم لمعلم (الكورس)، ويجب أن تُدوَّن منها نسخ في الكتب المقدسة.

ولما كانت جرايات القمح تعطى الكهنة من الأملاك المقدسة عندما يُؤتَى بها لكل الطائفة، فإنه لا بد أن يُعطَى بنات الكهنة من الدخل المقدس على أن تُحسَب من أي يوم يولدن فيه، والإعالة قد قررها الكهنة المستشارون في كل معبد، وذلك على حسب نسبة الدخل المقدس، والخبز الذي يُقدَّم لزوجات الكهنة يجب أن يكون له شكل خاص، وأن يسمى خبز «برنيكي»، وعلى الفرد الذي يعين مشرفًا وكاهنًا أكبر في كلٍّ من المعابد وكتاب المعابد أن ينسخوا هذا المنشور على لوحة حجر، أو برنز باللغة الهيروغليفية، وبالمصرية (الديموطيقي) وبالإغريقية، وعليه أن ينصبها في أظهر مكان في المعابد التي من الدرجة الأولى والثانية والثالثة؛ لأجل أن الكهنة في كل البلاد يمكنهم أن يظهروا أنهم يحترمون الإلهين المحسنين، وكذلك أولادهما كما هو متفق عليه.

تعليق: والآن يتساءل المرء ما الذي نستطيع استنباطه للتاريخ من هذه الوثيقة التي أفاض كاتبها أو كاتبوها القول بصورة مبالغ فيها؟ والواقع أنه بعد فحص دقيق لم نصل بالضبط إلى الأسباب الأصلية التي حدت إلى إنشاء مرسوم كانوب بالصورة التي وصلت إلينا، فعلى حسب ما يُرى مما جاء فيه نفهم أنه كان قد حرره الكهنة الذين اجتمعوا في مجلس ديني احتفالًا بالعيد السنوي لولادة الملك، وبُعَيد تتويجه في وقت واحد عام ٢٣٨ق.م وذلك على حسب التقاليد المصرية القديمة، ويرجع ذلك إلى أن كل ملك من ملوك البطالمة كان يُعدُّ نفسه فرعونًا حقيقيًّا إرضاءً للكهنة، ولتنفيذ أغراضه السياسية.

والواقع أن جماعة الكهنة قد عددوا في هذه الوثيقة المكرمات والأيادي البيضاء التي أسداها إليهم الملك «بطليموس الثالث» وابنته الأميرة الصغيرة «برنيكي» وهي التي كان قد حضرتها الوفاة أثناء انعقاد المجلس الديني هذا على حين غفلة.

ولكن نجد المؤرخ بوشيه لكلرك Bouché-Leclercq[٤٢] يعتقد أن الغرض الأصلي من هذا المرسوم هو ما جاء في فقرة قصيرة جدًّا في المتن الإغريقي والمتن الهيروغليفي،[٤٣] وهذه الفقرة خاصة بإصلاح التقويم المصري الذي تحدثنا عنه آنفًا.

والحقيقة أن السنة المصرية المؤلفة من اثني عشر شهرًا كل منها ثلاثون يومًا مضافًا إلى ذلك خمسة أيام النسيء كانت لا تزال متأخرة عن التقويم الحقيقي بربع يوم عن كل سنة شمسية حقيقية، ولذلك كان النقص في نهاية زمن معين يظهر لدرجة أن فصول السنة نفسها كانت تضطرب، فإذا كان كل أربع سنوات يضاف إليها يوم تكميلي للسنة — لأنها كانت متأخرة بمقدار ربع يوم في كل سنة — فإنه يمكن تفادي النقص تفاديًا فعليًّا، وهذه هي النتيجة التي كان يرمي «بطليموس الثالث» للحصول عليها، على أنه لم يكن في استطاعته أن ينجح في الوصول إلى غرضه، هذا على حسب رأي «بوشيه لكلرك»، وذلك لأن العادات الكهنية القديمة كانت تقوم في وجه أي تغيير، ومن أجل ذلك أخذ الكهنة حذرهم مقدمًا، فخلصوا أنفسهم من هذه المسئولية بقولهم في صلب المتن: «حتى يعلم الجميع أن ما كان خاطئًا فيما مضى في ترتيب الفصول، وفي القواعد الموضوعة فيما يخص النظام العام للعالم قد صُحِّح وتُمِّم بالإلهين المحسنين.»[٤٤]

وهذا الرأي — كما ذكرنا آنفًا — قد ناقضه بعض كبار المؤرخين ممن يُعتَمد على آرائهم. هذا فضلًا عن النعرة التي نجدها كثيرًا في كتابات المؤلفين الغربيين، وهي التي تنسب كلَّ شيء إلى الفكر الإغريقي والعلم الإغريقي الذي برهنت البحوث الحديثة عن أنه مرتكز في أصوله على العلم المصري بصفة قاطعة.

ومهما يكن من أمر فإنه من الواضح تمامًا أن مجموع ما جاء في المرسوم من حيث اللغة يحتوي على عدة تعابير مستعارة من الصيغ الحكومية الإغريقية، ولا يحتوي على أي لقب ملكي على حسب التعبير الفرعوني. يضاف إلى ذلك أن الروايات الثلاث، وهي

---

[٤٢] Bouché Leclercq, Histoire des Lagides, I.P. 268 and 273 .

[٤٣] 1. 32–37 of the Greek text and 1. 19–23 of the hieroglyphic Text.

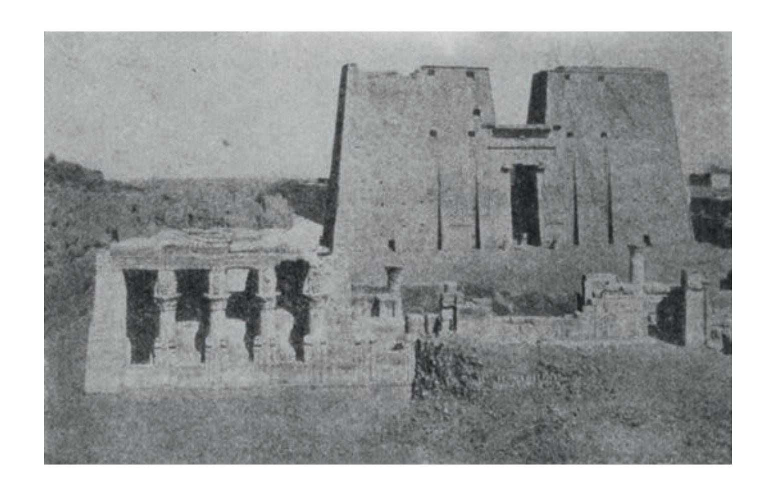
[٤٤] 1. 36-7 of the Greek Text of the decree of Canopus, trnsIation of Muller.

الإغريقية والديموطيقية والمصرية القديمة، تتفق بقوة بالغة من حيث التعابير، لدرجة أن بعض المؤرخين يظن أن الأصل قد كُتِب بالإغريقية، ثم تُرجِم إلى المصرية القديمة، وإلى الديموطيقية مما يدل على النفوذ الإغريقي وقتئذٍ، وأن هذا النفوذ نراه قد قلَّ عندما وضع المصريون أنفسهم — فيما بعد — مرسوم منف (أي حجر رشيد) باللغة المصرية، ثم تُرجِم إلى اليونانية، وعلى أية حال فإن هذه آراء مصدرها الحدس والتخمين، والثابت من كلٍّ من المرسومين؛ مرسوم كانوب، ومرسوم منف أن الكهنة المصريين كان لهم نفوذهم العظيم؛ لأن الشعب كان في صفهم دائمًا، هذا ونلحظ على أية حال أن مرسوم «كانوب» قد احتوى على حشوٍ كثير؛ من ذلك المكانة التي تحتلها عبادة الملك حتى في الحياة الكهانية العادية، كما يظهر لنا كذلك أنه ليس هناك إلا فرق طفيف عند الشعب المصري بين الملوك والآلهة، ولا أدل على ذلك من أن موت برنيكي الصغيرة الذي حدث أثناء انعقاد المجلس الديني قد أدَّى إلى إضافة فقرة جديدة في منهاج الكهنة أصحاب الشورى، وقد توسَّع هؤلاء المستشارون من الكهنة — بكثير من البشر والاغتباط — في ذكر المكرمات التي أدوها للأسرة المالكة، وقد كوفئوا عليها بطبيعة الحال حتى عمَّت هذه المكافأة جميع طوائف الكهنة، من أكبرها إلى أصغرها، كما نقرأ ذلك في نص المرسوم.

وعلى أية حال فإن ما أظهره هؤلاء الكهنة من حفاوة زائدة، وملق مبالغ فيه للأسرة المالكة، قد قابله الملك «بطليموس» الثالث بالشكر والعرفان للجميل؛ إذ نجده، فضلًا عن الأوقاف التي حبسها عليهم، في العام التالي لصدور مرسوم كانوب يحتفل بإقامة معبد في إدفو في السابع من شهر أبيب من العام العاشر من حُكْمه (٢٣ أغسطس سنة ٢٣٧ق.م) وأهداه للإله «حور» وهو الإله الذي يقابل عند اليونان الإله «أبوللون»، غير أن بناءه لم يتمَّ في عهده، وقد استمر العمل فيه — كما سنرى بعد — حتى آخر عهد البطالمة؛ أي في عهد بطليموس «نيوس ديونيسوس» الذي لُقِّب بالزمار.

هذا، ونجد أيادي هذا الملك البيضاء على رجال الدين في كثير من أنحاء البلاد المصرية، كما سنتحدث عن ذلك بعد في مكانه، وبخاصة إقامة المعابد، وإصلاح ما تهدم منها، أو إضافة الكثير لما هو قائم، فكان شأنه في ذلك شأن عظماء فراعنة مصر الأقدمين الذين كان يسير على نهجهم في إرضاء الآلهة، أو بعبارة أخرى إرضاء رجال الدين أصحاب السلطان الحقيقي في البلاد.

والواقع أن العالم الحديث مدين لبطليموس الثالث بوضع الحجر الأساسي لمعبد إدفو الذي يُعدُّ في نظر العالم الآن عامة بأنه أضخم معبد ديني يقدم لنا صورة صادقة واضحة عن هيئة المعبد المصري، وعن العبادة التي كانت سائدة في عهد قدماء المصريين، وكذلك عن عمارة المعابد في زمنهم، فقد ترك لنا قدماء المصريين مباني دينية كثيرة غاية في الروعة والجمال الفني، ولكن كلها قد أَخْنى عليها الدهر فهُدِّمت أو شوِّهت بدرجات مختلفة؛ فلم نجد فيها معبدًا كاملًا في ضخامة معبد «إدفو» الذي يعبر أحسن تعبير عن الفكر الديني عند قدماء المصريين.



شكل ٣-٢: معبد حور إله إدفو وبيت الولادة، أقيم في عهد بطليموس الثالث عام ٢٣٧ق.م وانتهى عام ٥٧ق.م.

ومن أجل ذلك سنحاول هنا أن نعطي صورة واضحة — بقدر ما تسمح به الأحوال — عن وصف المعبد، والعبادة التي كانت تُؤَدَّى فيه، والأعياد التي كان يُحتَفل بها في داخله، كما كانت في العهد الفرعوني، وبقيت مستمرة حتى العهد البطلمي بصورة واحدة لم تتغير.

ومصادرنا في هذا الموضوع تنحصر في النقوش التي على جدران هذا المعبد، وهي التي تناولها بالبحث الأستاذ «الليو»[٤٥] في مقال له عن عبادة حور «إدفو» وما كتبه «فرمان»[٤٦] في مقالٍ له عن هذا المعبد، والمؤلف الضخم الذي خلَّفه لنا الأستاذ «شسيناه» عن معبد إدفو.

[٤٥] M. Alliot, Le Cuite d, Horus à Edfou au temps des Ptolémés, Revue de I,Histoire des Religions, 137. P. 59–104.

[٤٦] Fairman: Worship and Festivals in an Egyptian Temple.

الفصل الرابع

معبد إدفو وقيمته الأثرية

لا نزاع في أن معظم المعابد الفرعونية المنتشرة في أنحاء البلاد المصرية من الإسكندرية حتى الشلال الرابع قد أصبح معظمها الآن إما مشوَّهًا أو خرِبًا باستثناء معبد أبو سمبل الذي يُعدُّ درَّة في جبين الدهر الذي قاومه؛ ولا غرابة في ذلك فإنه قد نُحِت في الصخر الأصم.

والواقع أن معظم المعابد المصرية المبنية بالحجر قد أُعيد بناؤها، أو أضيف إليها أجزاء في العصور الفرعونية البحتة، وفي العهدين البطلمي والروماني، غير أن يد التخريب — كما قلنا — قد امتدت إليها جميعًا على كرِّ الأزمان، وتقلُّب الدهور، حتى أصبحت غير متناسقة في أجزائها الباقية، ومن ثَم أصبح من الصعب على الزائر الحديث العادي أن يتعرف على تصميمها الأصلي، أو أن يكوِّن لنفسه فكرة سليمة واضحة عن طبيعتها وحالتها التي كانت عليها عند إقامتها، يُضاف إلى ذلك أنه أصبح من العسير جدًّا على الفرد العادي أن يتصور كيف كانت تؤدَّى في هذه المعابد العبادات، وتُقام فيها الصلوات على حسب الطرق المصرية القديمة، والواقع أن حسن الحظ قد حفظ لنا معبدًا يكاد يكون كاملًا من كل الوجوه، ويسدُّ كل نقص تقريبًا نلحظه في المعابد الأخرى، وأعني به معبد «إدفو» الذي يُعدُّ أحدث المعابد المصرية التي أقيمت في أرض الكنانة على الطراز الفرعوني الأصيل.

وليس لدينا أي شك في أن كلًّا من معبد «إدفو» ومعبد «دندرة» يختلف عن معابد العصر الفرعوني بأنه محفوظ بدرجة كبيرة نسبيًّا، كما يمتاز بطبيعة نقوشه الكثيرة والرسوم والمناظر التي تغطي جدرانه، وتمتاز المتون التي على جدران هذين المعبدين بأنها مطوَّلة، وتغطي جدران حجراتهما تمامًا، ومما يلفت النظر أنه قد ذُكِر على جدران

كل حجرة أو قاعة أو دهليز من مباني هذين المعبدين الاسم المميز لها بصورة واضحة، كما ذُكِر الغرض الذي خصصت له هذه الحجرة أو القاعة، يضاف إلى ذلك أنه قد نُقِش، فضلًا عن ذلك، ما في هذه الحجرات أو القاعات من زينة كما حُدِّدت كذلك مساحتها.

وتحتوي كل حجرة أو قاعة في العادة على متون إضافية نُقِشت على جدرانها كُرِّر فيها ذكر اسمها، هذا فضلًا عن أن هذه المتون تقدم لنا معلومات وافية عن الغرض الذي من أجلها أُقِيمت، وقد عُنِي الكهنة بوضع إيضاحات عدة حتى للزائر المعتاد الذي يعرف أسرار اللغة المصرية القديمة؛ من ذلك أن اسم كل باب قد نُقِش عليه، كما نقشت كذلك على كل باب متونٌ توضح في أي وقت كان يُستَعمل، ولأي غرض أُقِيم، ولدينا فضلًا عن ذلك سلسلة متون تشرح لنا الأعياد التي كان يُحفَل بها في المعبد في كل سنة، كما تذكر لنا تاريخ الأحفال الخاصة بكل عيد، وعدد أيام الاحتفال به، وأحيانًا تقدم لنا هذه النقوش ملخصًا عن الأحفال التي كانت تُقام في المعبد.

وهذا الكنز العظيم من الوثائق الموضحة والمفسرة في أغلب الأحيان بمناظر محفوظة لنا حتى الآن حفظًا جيدًا إلى حدٍّ بعيد نسبيًّا إذا ما قرنت بمتون معابد أخرى؛ يساعدنا على أن نصف ماهية كل جزء من أجزاء المعبد من أصغر مقصورة فيه إلى أكبر قاعة أو ردهة، وكذلك ما فيه من نافورات المياه إلى البوابات والمسلات الشاهقة.[١]

وليس من العسير علينا بما لدينا من نقوش أن نعيد تأثيث بعض حجرات المعبد، وإعدادها كما كانت عليه، كما أنه من المستطاع أن نحدد كيف وأين كانت تُجهَّز القرابين التي كانت تقدَّم في المعبد في الأيام العادية وفي الأعياد، كما يمكن كذلك تحديد الأبواب التي كان يدخل منها الناس والكهنة إلى المعبد، وكذلك يمكن تعقُّب ترتيب الشعائر والطرق التي كانت تسير فيها المواكب العظيمة الإلهية، وأخيرًا يمكن معرفة ماذا كان مصير القرابين الضخمة التي كانت تُقدَّم في المعبد بعد انتهاء إقامة الشعائر والاحتفال بالأعياد.

هذا، ولا يفوتنا أن نذكر هنا حقيقةً هامةً لا بد من الإدلاء بها في هذا البحث، وهي أن هذه المتون المنقوشة على جدران هذه المعابد كانت بوجه عام — على الرغم من حداثة عهدها — ترتكز على تقاليد قديمة مأخوذة عنها، كما هي عادة المصري

---

[١] Chronipue d’Egypte, No. 57, (January 1954). PP. 29–45.

بالتمسك بالقديم، وبخاصة في المسائل الدينية، يُضاف إلى ذلك أن المتون التي على جدران هذه المعابد ترجع من جهة مفرداتها في غالبها إلى العهود الأولى من الحضارة المصرية القديمة، ومن أجل ذلك فإنه لو اعتُني بفحصها فحصًا علميًّا دقيقًا لمدتنا بمعلومات أصيلة منقطعة القرين عن الشعائر الدينية المصرية التي كانت في معابد الفراعنة، وهي التي لم نعثر عليها فيما بقي لنا من النقوش التي أبقت عليها عوادي الدهر في معابد الدول القديمة، والوسطى، والحديثة، والعصر المتأخر من تاريخ أرض الكنانة.

وعلى أية حال فإن معبد «إدفو» الذي وضع أساسه «بطليموس الثالث» الذي كان على ما يظهر مهتمًّا بالمسائل الدينية المصرية إلى حدٍّ بعيد، يحتل مكانة فريدة في بابها بين كل المعابد المصرية القائمة في وادي النيل حتى يومنا هذا، ولا غرابة في ذلك فهو المعبد الوحيد الذي ظلَّ محفوظًا لنا نسبيًّا، وإن كانت بعض أجزائه المكملة لا تزال مدفونة تحت مباني بلدة «إدفو» الحالية تنتظر من يميط اللِّثام عنها حتى يصبح بعد ذلك معبد «إدفو» أعظم معبد في العالم المصري من حيث الروعة والجلال والكمال والفائدة العلمية.

أُقِيم معبد «إدفو» في مدة قصيرة من الزمن إذا ما قُرِن بغيره من المعابد الأخرى، ويظهر لنا الآن على ما هو عليه وحدة كاملة؛ إذ لم تمتد إليه يد التخريب بصورة بينة في خلال الألفي سنة التي مضت على اليوم الذي وضع فيه أساسه.

والمعبد الأصلي لا يزال سليمًا؛ فسقفه لم يُمَسَّ بسوء، وأعمدته لا تزال قائمة في أماكنها، أما المسلتان اللتان كانتا منصوبتين أمامه عند المدخل كما هي العادة في كل المعابد المصرية الكبيرة، وكذلك بعض المقصورات التي كانت مقامة على سطحه فإنها اختفت، في حين أن البحيرة المقدسة التي كانت تُحفَر في كل معبد، وكذلك مخازن المعبد ومذابحه والمباني الأخرى الخاصة بالإدارة، فإن جيمع ذلك — كما نوَّهنا من قبل — لا يزال مدفونًا تمامًا تحت منازل إدفو الحديثة الواقعة شرقي المعبد.

ومن كل ما سبق سرده نفهم أن معبد «إدفو» يمكن أن يقدم لنا أحسن فرصة ممكنة حتى الآن لدرس المعبد المصري كما كان في العهد الفرعوني من كل الوجوه، وكذلك يمكن للباحث بوساطته درس النشاط الديني المنوع الذي كان يُجرَى بين جدرانه يوميًّا طوال العام.

ولما كان عهد البطالمة يعدُّ في نظر الكهنة المصريين عهدًا فرعونيًّا خالصًا، وأن الاستعمار الإغريقي لم يكن له أي تأثير على عبادتهم، بل على العكس قد أثرت المعتقدات

المصرية في العقائد الإغريقية، فإن ما نقشه هؤلاء الكهنة على جدران هذا المعبد وغيره من معابد القطر في عصر البطالمة يُعدُّ صورةً طبق الأصل من الشعائر والمعتقدات المصرية التي تضرب بأعراقها إلى أقدم العهود الفرعونية؛ ومن أجل ذلك يجدر بنا أن نقدم موجزًا مختصرًا جدًّا عن العبادات اليومية التي كانت تُقام فيه، ونصف بعض الأعياد السنوية التي كان يُحتَفل بها في هذا المكان المقدس، والمقصود هنا وصف الشعائر الدينية بكل اختصار، كما جاء ذكرها في النقوش على جدران هذا المعبد، وقد أفاض في وصفها الأثري «الليو» في كتابه «العبادة» كما أشرنا إلى ذلك من قبل، ومن أراد المزيد فليرجع إلى هذا السِّفر الجليل[٢] الذي اعتمدنا عليه كثيرًا في بحث موضوعنا هذا.

(١) تاريخ بناء معبد إدفو

تدل نقوش معبد «إدفو» على أنه كان قد أُهدِي للإله «حور بحدتي» وهو صقر مقدس يمثَّل عادة في صورة إنسان برأس صقر، ويحتوي معبد «إدفو» على تمثال لهذا الإله بهذه الصورة، كما يحتوي على تماثيل تصوره في صورة صقر وحسب.

ومما يسترعي النظر أنه كان يُوجَد بجوار المعبد محراب للصقر المقدس يسكن فيه ويحكم لمدة سنة، وهذا الصقر كان طائرًا حيًّا يُنتَخب سنويًّا ويتوَّج، وكان يوم انتخابه وتتويجه يُعَد عيدًا من أعظم الأعياد السنوية كما سنذكر ذلك بعد.

وتشمل أطوار بناء معبد «إدفو» ثلاث مراحل؛ الأولى: مرحلة المبنى الأصلي، وهي نواة المعبد، وتُعَد بذاتها معبدًا كاملًا، وتشمل قاعة عمد، وقاعتين أخريين، ومحراب، وعدة حجرات جانبية، وقد بدأ «بطليموس» الثالث بناءه في عام ٢٣٧ق.م وبعد مضي ٢٥ عامًا كان قد تمَّ البناء الرئيسي، وقد وُضِع آخر حجر في بنائه في ١٧ أغسطس سنة ٢١٢ق.م؛ أي في السنة العاشرة من عهد «بطليموس الرابع فيلوباتور». أما تزيين الجدران بالمناظر والنقوش فقد أُنجِزت في ست سنوات، وانتهى العمل منها في عام ٢٠٧ق.م وفي نفس السنة رُكِّب الباب الكبير في مكانه، وبعد ذلك قامت ثورة في الوجه القبلي لم تخمد نارها إلا في السنة التاسعة عشرة من حكم «بطليموس الخامس» «إبيفانيس».

[٢] .Alliot, Le culte d’Horus au temps des Ptolémées, 2 Tomes

وعندما عادت السكينة إلى البلاد استمر العمل في المعبد، وفي اليوم الثالث من فبراير سنة ١٧٦ق.م؛ أي في السنة الخامسة من عهد «بطليموس السابع» (فيلومتور) رُكِّبت أبواب المعبد، ولوازم أخرى في أماكنها. أما تلوين المناظر، والنقوش، وتزيين بعض الجدران بصفائح من الذهب، وتأثيث المعبد فقد تمَّ في السنين القليلة التي تلت ذلك.

وفي ١٠ سبتمبر عام ١٤٢ق.م؛ أي في السنة الثامنة عشرة من عهد «بطليموس التاسع إيرجيتيس الثاني» احتُفل بافتتاح المعبد بأعياد وأفراح، وعلى أية حال فإن قاعة العُمُد الصغيرة لم تكن قد تمَّت إلا بعد عامين من هذا التاريخ؛ أي في ٢ يوليو سنة ١٤٠ق.م، وعلى ذلك فإن بناء المعبد وتزيينه استغرق حوالي ٩٧ عامًا بما في ذلك فترات إيقاف العمل الطويلة التي سببتها الثورات وغيرها. أما قاعة العُمُد والردهة الأمامية والبوابات فلم يكن قد بُدئ فيها، وقد تمَّ بناء قاعة العُمُد في ٥ سبتمبر عام ١٢٢ق.م؛ أي في السنة السادسة والأربعين من حكم بطليموس التاسع، أما الردهة الأمامية فقد أُقيمت بعد ذلك ببضع سنوات.

وأخيرًا تم إقامة البوابات، وتركيب الأبواب الكبيرة للمدخل في ٥ ديسمبر عام ٥٧ق.م؛ أي في السنة الخامسة والعشرين من عهد بطليموس «نيوس ديوسس» الثاني عشر،[٣] وهكذا نرى أن المعبد كان قد تمَّ في الوقت الذي جاء فيه «يوليوس قيصر» لفتح بريطانيا، وعندما أخذ نجمُ الإمبراطورية الرومانية يعلو ويسطع في كل العالم. كما نرى أن مدة إقامة معبد إدفو كله قد استغرقت نحو مائة وثمانين سنة تخللتها بعض فترات عُطِّل فيها العمل.

ويقع معبد إدفو الهائل داخل سور شاسع يحيط به جدار سميك من اللبنات، وبابه الرئيسي يقع في الجهة الجنوبية بانحراف بسيط نحو الغرب من المحور الرئيسي للمعبد، ولا يمكن الإنسان الآن معرفة مقدار الامتداد الحقيقي لهذا السور؛ لأن الجدران القائمة حتى يومنا هذا — وهي المصنوعة من اللبنات — قد اختفى جزء كبير منها تحت بلدة إدفو الحالية، وعلى أية حال تحدِّثنا النقوش الباقية على أنه كانت تقع في هذا الجزء المدفون بُحيَرة المعبد المقدسة، ومذبح المعبد، ومطابخه، ومخازنه، وحظائر ماشيته، ودواجنه، وطيوره التي كانت من كل نوع، والمظنون أنه كانت توجد هناك

[٣] Weigall, Guide. P. 333.

الخمائل المقدسة التي كانت تربَّى فيها الصقور المقدسة، هذا بالإضافة إلى الأدوات الخاصة بالمعبد، ويُحتَمل كذلك أن بعض مساكن الكهنة كانت قائمة في هذه البقعة المباركة.

ويقع خارج حرم المعبد مباشرة في الغرب من المدخل الرئيسي وعلى زاوية مستقيمة؛ المعبد المسمى «بيت الولادة» (مميزى)، ولا بد أن هذا المبنى كان يواجه من الشرق معبد الصقر المقدس الذي اختفت كل معالمه الآن إلا قاعدة مائدة قربان، وأخيرًا يقع على بعض مسافة من الغرب أو الجنوب الغربي ما يُسمَّى بالمعبد العلوي، ومباني أخرى غير معروف أصلها، والظاهر أنها قد لعبت دورًا هامًّا في الأحفال الخاصة بعِيدَي الزواج المقدس، وعيد «بحدتي» وسنتحدث عنهما فيما بعد، ولا يزال موقع المعبد العلوي هذا مجهولًا.

واتجاه معبد إدفو هو من الجنوب إلى الشمال، وكان مقامًا أمام كل جناح من جناحي بوابته أو صَرْحَيه صاريان ومسلة كما هي العادة في المعابد المصرية، غير أن هذه قد اختفت الآن، وكان يوجد كذلك فوق الباب الرئيسي A وبين جناحي البوابة شرفة الصقر التي كان يصل إليها الإنسان من الردهة الأمامية (١) بسلم يقع في الجناح الشرقي للبوابة.

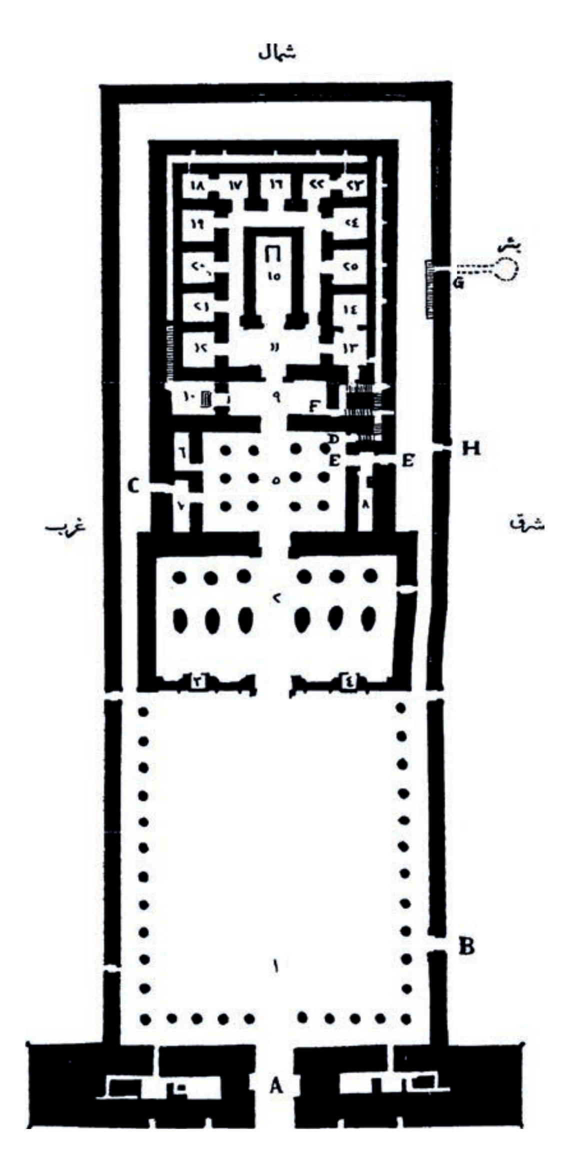
وردهة المعبد الأمامية شاسعة، ومكشوفة، ذات عُمُد يبلغ عددها اثنين وثلاثين عمودًا مقامة في جنوبها وفي شرقها وغربها، ولها بابان في كلٍّ من جداريها الشرقي والغربي.

وأهم هذه الأبواب الأربعة وأكبرها الباب الذي في الجنوب الشرقي B،[٤] وكانت تدخل منه الإلهة «حتحور» إلى المعبد عند وصولها من دندرة إلى إدفو عند بداية عيد الزواج المقدس، وذلك بعد أن تكون قد اجتازت حرم المعبد من باب في الجزء المدفون الآن من السور الشرقي.[٥]

والأسماء المتداولة الاستعمال لهذه الردهة الأمامية كما جاء في النقوش هي: (أ) ردهة القربان. (ب) ردهة البوابة. (ج) ردهة الطهور. ولا بد أنه كانت توجد مائدة قربان في هذه الردهة غير أن كل معالمها قد اختفت، وكانت العادة أن تُحرَق قربات

[٤] انظر الشكل رقم ٤-١ الخاص بتصميم معبد إدفو.

[٥] Chassinat, Le temple d’Edfou, VI, 7, 5–8, VII, 18, 10–19, 2; Edfou V, 370, 11–371, 9; 374, 3–14.



شكل ٤-١: معبد إدفو.

كثيرة في هذه الردهة عند الاحتفال بعيد السنة الجديدة، ومن المحتمل كذلك أن القربات كانت تُحرَق في مناسبات أخرى، وقد ذُكِر كثيرًا أن قربات كانت تقدم للإله رع ثلاث مرات يوميًّا، والظاهر أن هذه القربات كانت تقرب في أعياد خاصة بالصلوات الثلاث اليومية التي كانت تقام في المحراب.

(٢) قاعة العُمُد الخارجية

وتقع قاعة العُمُد الخارجية (٢) لهذا المعبد في شمالي الردهة الأمامية، وتسمى هذه القاعة: «القاعة الأمامية» أو «الردهة العظيمة» كما جاء في النقوش، وهذه القاعة كانت أعلى قاعة عن سائر قاعات المعبد، كما كانت أوسعها، وتقع في الجزء الشمالي من المعبد، وتحتوي على اثني عشر عمودًا عظيمة، ويحتوي جدارها الجنوبي على حائط ساتر يبلغ ارتفاعه كارتفاع نصف القاعة تقريبًا، ويُشاهَد في هذا الجدار ثلاثة عُمُد داخلة في الجدار على جانبي المدخل … وتتمتع هذه القاعة خلافًا لسائر أجزاء المعبد بإضاءة حسنة، ويُرى في الجدار الشرقي لهذه القاعة باب للخدم، وقد أُقِيمت مقصورتان صغيرتان مرتكزتان على جدارها الجنوبي، ومن ثَم يُشاهد في غربي الباب الرئيسي من هذه القاعة «بيت الصباح» (٣) وهو خاص بتطهير الملك قبل تأدية الشعائر؛ وفي شرقي الباب يوجد بيت الكتب (٤) وهو مكتبة صغيرة للمعبد تحتوي على نخبة من الكتب اللازمة لإقامة الشعائر، وكان يشرف على هذه الكتب كاهن مرتل يؤدي ما عليه من واجبات طوال اليوم.

(٣) البناء الأصلي للمعبد وأجزاؤه

ويُشاهَد البناء الأصلي للمعبد الذي يُعتَبر نواته خلف الردهة العظيمة. فيرى الزائر:

أولًا: قاعة عُمُد (٥) تسمى (أ)[٦] الفناء العظيم أو (ب)[٧] قاعة العُمُد العظيمة، وأحيانًا تسمى (ج)[٨] فناء العيد.

---

[٦] Chassinat, Le temple d’Edfou, VII, 17, 3.

[٧] Ibid, IV, 6, 4.

[٨] Ibid, II, 11, 13.

ويوجد في الركن الشمالي الغربي لهذه القاعة المعمل (٦) الذي كان يُجهَّز فيه البخور والعطور، وفي الجنوب منها توجد حجرة النيل (٧) التي في جدارها الغربي حجرة استقبال وباب C يؤدي إلى الممر العام، ومن هذا الباب كانت تدخل القربات اليومية إلى المعبد، وعلى الجانب الشرقي لهذه القاعة مدخل مؤدي إلى السلم الحلزوني D الذي يُصعَد منه إلى سطح المعبد، ويوجد ممر E في الجدار الشرقي كانت تدخل منه القربات اليومية، وفي جنوبي هذا الممر خزانة المعبد (٨) وهي التي كان يُحفظ فيها الأدوات الثمينة، وأواني المعبد.

وخلف قاعة العُمُد الداخلية السالفة الذكر توجد قاعة القربان[٩] (٩) ويوجد في غربها قاعة الانتظار المؤدية إلى السلم الغربي (١٠)، وفي شرقها يوجد المدخل الرئيسي المؤدي إلى الطريق الشرقية الحلزونية F، وفي الشمال تقع القاعة الوسطى[١٠] وهي المكان الذي يرتاح فيه الآلهة، وتسمى كذلك قاعة التاسوع[١١] (١١) حيث توجد المحاريب الخفيفة الحمل الخاصة بآلهة المعبد، ويوجد في غربها مقصورة الإله[١٢] «مين» (١٢)، ويُشاهد في شرقي الحجرة الوسطى باب يؤدي إلى حجرتين تقومان بدور هام في عالم المعبد. فالحجرة التي في أقصى الجنوب تسمى حجرة مائدة الطعام[١٣] (١٣) وهي مفتوحة الأسقف، وجدارها الشمالي يقوم مقام واجهة حجرة خاصة على ارتفاع بسيط وتسمى «حجرة المكان الطاهر»[١٤] (١٤) وكان يُحتَفل في هاتين الحجرتين ببعض الشعائر الأولى لعيد الملابس، وعيد السنة الجديدة.

أما الجدار الشمالي للقاعة الوسطى ففيه واجهة المحراب، وأبواب الدهليز الذي يحيط به، والمحراب أو قدس الأقداس (١٥)، وهو الذي يُسمَّى العرش العظيم[١٥] فهو في الواقع عبارة عن مقصورة مستطيلة تمامًا، ومسقوفة، ولا يصل إليها نور خارجي، وهي

---

[٩] Ibid, IV, 6, 3; VII, 16, 5.

[١٠] Ibid, IV, 5, 12; VII, 15, 7.

[١١] Ibid, IV, 13, 13.

[١٢] Ibid, IV, 6, 2, VII. 15, 9.

[١٣] Ibid, IV, 6, 2; VII. 6,1.

[١٤] Edfu, IV, 5, 9–11; 13, 12; VII, 15, 3–7.

[١٥] Edfu, IV, 5, 9–11, 12, 12; VII, 15, 3–7.

داخل إطار كبير في المعبد، وأهم محتوياتها ناووس كبير من الجرانيت الأسود لا يزال موجودًا هناك، وكان في الأصل يحتوي على صور العبادة، وعلى الناووسين الخفيفي الحمل اللذين في صورة قاربين، وكان واحد منهما مخصصًا لتمثال «حور»، والآخر للإلهة «حتحور»، وكانا يُستَخدمان في بعض المواكب.

هذا، وكان يُحتَفل في المحراب بالصلوات اليومية، ويحيط بالمحراب سلسلة مقاصير صغيرة مفصولة عنه بدهليز، وأول هذه المقاصير وأهمها مقصورة تسمى مسن (١٦) أو «قصر الشجاعة»[١٦] أو «لذيذة السكنى»، وتقع على محور المعبد خلف «قدس الأقداس» مباشرة، وهذه الحجرة تحتوي على ناووس من الجرانيت الأسود وُضِع فيه محرابان صغيران يحتوي كل منهما على تمثال واحد للإله حور في هيئة صقر، والآخر يحتوي على تمثال للإلهة «حتحور»، وبالقرب من هذين الناووسين كان يوجد تمثال يمثل الإله حور في صورة أخرى من أشكاله وهي «حور الذهبي». يضاف إلى ذلك أنه كانت تُحفَظ في هذه الحجرة حربتان للإله حور.[١٧]

وتقع في غربي قاعة «مسن» أو «قاعة الشجاعة» القاعة التي تسمى «كربت»؛[١٨] (١٧) وهي عبارة عن كهف تحت رقعة المعبد، ولها ملحق يدعى قصر الأمير[١٩] (١٨) وهاتان الحجرتان بالإضافة إلى الحجرة الأولى التي على الجانب الغربي من الدهليز، وهي الحجرة الخاصة بالكربت (١٩) كانت متصلة بوجه خاص بعبادة الإله أوزير وأسراره.[٢٠]

وفي الجنوب تقع الحجرة التي تسمى عرش الآلهة (٢٠)[٢١] وحجرة قصر الملابس (٢١) وتحتوي على السجل الإقليمي والواردات من النسيج الملون والعطور التي كان يُحتاج إليها في المعبد لإقامة الشعائر.

ويقع في شرق حجرة «مسن» الحجرة التي تسمى قصر الساق (٢٢) وهي التي خُصِّصت للإله «خنسو»، وكذلك ملحقها الذي يسمى «مقصورة حتحور» (٢٣).

---

[١٦] Edfu, IV,5, 1; 13, 7.

[١٧] M. Alliot, Le eulte d’Horus à Edfu. P. 314. 26.

[١٨] Edfu, IV, 5, 4; 13, 11; VII, 13, 3.

[١٩] Edfu, VII, 13, 3.

[٢٠] Edfu, IV. 5, 6; VII, 14, 1–2.

[٢١] Edfu, IV. 5, 6; VII, 14, 1–2.

وفي الجنوب من هاتين الحجرتين السابقتين الحجرة المسماة «عرش رع» (٢٤) وكان المفروض أن الإله «رع» يرتاح في هذه الحجرة التي كان يُحتَفل فيها كذلك بصلاة المغرب، وأخيرًا الحجرة المسماة حجرة العرش (٢٥).

وكان يصل الزائر إلى سطح المعبد بسلمين؛ فكان الموكب الخاص بالأعياد السنوية يتخذ سبيله إلى السطح من السلم الشرقي الحلزوني F ويسير على طول الجانب الشرقي من السطح إلى أن يصل إلى جوسق صغير يُدعَى «مكان العيد الأول»،[٢٢] وكان في الأصل مقامًا في الركن الشمالي الشرقي للسقف، وهذا البناء قد اختفى الآن؛ ولكن لا بد أنه كان يشبه الجوسق الذي يحمل نفس الاسم، وهو الذي لا يزال موجودًا على سطح معبد «دندرة»[٢٣] وكان للجوسق بابان؛ فالرئيسي منهما يقع في الجهة الجنوبية، والآخر — وهو الأصغر — يقع في الجهة الغربية، ومن هذا الباب يسلك الموكب طريقه إلى السلم النازل الذي كان يبتدئ عند الركن الشمالي الغربي من السطح، ويُلحَظ أن السطح، وبوجه خاص «مكان العيد الأول»، كان هو الموقع الذي تُقام فيه أهم الشعائر للسنة الجديدة والأخيرة.

وكان المعبد محاطًا بجدار مبني بأحجار ضخمة تفصله عن باقي حرم المعبد، وعندما يبتدئ الإنسان سَيْره من بوابة المعبد يلحظ أن الجدار أولًا يكوِّن الحائطين الشرقي والغربي للردهة الأمامية، ولكن نجد من واجهة قاعة العُمُد شمالًا أن هذا الجدار يؤلف الحائط الخارجي «للممر الطاهر» الذي يحيط بالمعبد.

وهذا الممر الطاهر أو المشى كان من أقدس أجزاء حرم المعبد، وكان يُعتَبر الطريق التي تمر فيها المواكب الدينية، وبخاصة عيد الإله «سوكاريس»، وكانت هناك أبواب من الشرق والغرب لمنع غير رجال الدين من الدخول؛ ففي الجدار الشرقي من «الممر الطاهر» كان يوجد بابان؛ فالأول: في أقصى الشمال C ويؤدي إلى ممر حُفِر تحت أساس الجدار نفسه، ويفضي إلى البئر المقدسة التي كان يُمنَح منها الماء الطاهر اللازم لصلاة المعبد، والباب الثاني H: ويقع جنوب الباب الأول، ويؤدي إلى الأجزاء المدفونة الآن من حرم المعبد، وهي التي تحت البلد الحديثة، وكان يُجلَب بوساطته كل الطعام والقربات اللازمة لخدمة المعبد، وكذلك كان يدخل منه موظفو المعبد بوجه عام، وذلك بعد تطهير أنفسهم

---

[٢٢] Edfu, VII, 14, 4.

[٢٣] Chassinat, Le Temple de Dendera, Tom. I. Pla. 40–12.

في البحيرة المقدسة استعدادًا لتأدية ما فُرِض عليهم في المعبد، وأخيرًا كانت تُؤخَذ من هذا الباب كذلك القربات إلى خارج المعبد بعد الصلاة، وبعد أخذ الكهنة أنصبتهم منها.

وإذا استثنينا قاعة مائدة القربان (١٣) وكذلك الفتحتين اللتين في قاعة العمد الكبرى فإنا نجد أن المعبد كان عاريًا عن أي ضوء يأتي إليه من الخارج إلا الضوء الذي كان يتسلل من الباب الذي يقع بين قاعتي العمد الداخلية والخارجية عندما يُفتَح، وعلى ذلك فإن الأجزاء الداخلية جدًّا من المعبد كانت في ظلام دامس، ولا نزاع في أن ضوء المشاعل التي كانت تُستَخدم أثناء تأدية الشعائر، وهو يتحرك على نقوش المعبد البراقة، وعلى المناظر المطلية بالذهب، وهي التي كانت على الأبواب والمحاريب، وعلى أدوات العبادة؛ قد زاد في الحس بالرهبة والعظمة والجلال التي كانت تغمر المعبد.

وهذا الشعور بالرهبة الخفية كان يعْظُم ويتجلَّى كلما تقدم الإنسان في سيره من قاعة إلى قاعة مخترقًا المعبد؛ إذ إن مستوى رقعة المعبد يرتفع شيئًا فشيئًا، كما كان في الوقت نفسه ينخفض مستوى السقف شيئًا فشيئًا، وهكذا كان المعبد معدًّا لإقامة الأحفال العدة التي تُقام فيه، وبديهي أن تأسيس معبد كهذا كان مصحوبًا بأحفال دقيقة محكمة، وقد حُفِظت لنا حتى الآن سلسلة أحفال خاصة بتأسيس معابد بصورة مفصلة كانت تقام في المعبد، غير أن المقام يضيق عن حصرها هنا، وعلى أية حال فإنه عندما كان يتم كل شيء في المعبد كان يُهدَى ويتسلمه سيده،[٢٤] ومن حسن الحظ أن الأيام قد أبقت لنا على رواية مختصرة عن شعيرة «إدفو» الخاصة بتقديم المعبد لربه،[٢٥] وهذا الاحتفال كان يجمع بين شعيرة فتح الفم والشعيرة اليومية التي كانت تُقام في المعبد، وهما في أصليهما موحدتان، ومن المحتمل أن تماثيل «حور» والآلهة الموجودة معه في المعبد كانت تُجمَع في إحدى قاعات المعبد، ومن الجائز أنها كانت قاعة العُمُد الخارجية.

والأحفال التي كانت تُقام في المعبد يمكن تلخيصها بسهولة في خمسة رءوس؛ أولًا: كانت التماثيل تُطهَّر بالغسل والتبخير، وذلك بتقديم قطع من النطرون والبخور لأجل تطهير أفواهها، وبعد ذلك كانت تُفتَح أفواه التماثيل وأعينها، وذلك باستعمال آلات منوعة؛ ثم يتلو ذلك عملية إلباس التماثيل، وكانت تحتاج إلى دقة؛ إذ كانت تُعطَّر

---

[٢٤] J. E. A. 32. P. 81, No. 32.

[٢٥] A. M. Blackman and H.W. Fairman. The consecration of án Egyptian Temple according to the use of Edfu. J.E.A. 32. P. 75–91.

وتحلَّى بلباس رأس من نسيج يحتوي على أربعة الألوان المخصصة لذلك، وكذلك الشارة المناسبة، وبعد الفراغ من إلباس التماثيل كانت تُقدَّم أمامها وجبة، ويُلحَظ أنه في شعيرة فتح الفم كانت هذه الوجبة تُعدُّ في نهاية الأحفال، ولكن في أحفال تقديم المعبد في «إدفو» كان يأتي بعد الوجبة حفل فتح الفم ثانية، ويظهر أنه عند هذه النقطة كان الكهنة يزورون كل قاعة، وكل مقصورة في المعبد، ويبخرونها، ويرشُّونها بالماء، ويفتحون فم المناظر المصورة كأنها مخلوقات.

وكان المقصود من هذا العمل الأخير أن التماثيل لم تكن وحدها هي التي أصبحت حية نشطة وحسب، بل كان كل المعبد بما فيه من رسوم لا بد أن يصبح حيًّا نشطًا أيضًا، ومن ثم يمكن للآلهة أن تكون الآن حاضرة كما تريد في صورها الطاهرة على المناظر، وتكون كل الأشياء الجامدة المصورة في المعبد قد أصبحت حقيقة بما تمثله من طعام وأوانٍ وقربات نباتية، وما أشبه ذلك،[٢٦] وعند هذه النقطة كان ينتهي الاحتفال، وبعد ذلك كانت تُعاد التماثيل بحفل إلى مقرها، ثم تقدم وجبة خاصة للكهنة وللعمال الذين اشتركوا في بناء المعبد وزخرفته، وكان حفل الإهداء يُكرَّر سنويًّا، ومن ثَم كان المعبد يُعاد بناؤه سنة فسنة، كما كانت تُجدَّد حياته بالكيفية السابقة كل سنة، ومما يؤسف له أنه في «إدفو» لم يذكر لنا بوضوح إعادة هذا الإهداء سنويًّا أبدًا، ولكن ما لدينا من أدلة من الأزمنة المبكرة يوحي بأنه من المحتمل جدًّا أنه كان يحتفل به في عيد أول يوم في السنة الجديدة.[٢٧]

وهكذا نرى أن المعبد كان قد بُنِي الآن، وقدِّس، وملئ بالحياة، وبعد ذلك يتساءل المرء عن أوجه النشاط التي كانت تحدث في داخله، وكذلك يتساءل عن الصلوات والأعياد التي كان يُحتَفل بها في طوال العام كله في بيت الإله؟

والجواب على ذلك هو أن الأحفال التي كانت تؤدَّى في المعبد في الأصل هي من نوعين: فمن جهة، لدينا الشعيرة اليومية وتشمل ثلاث صلوات رئيسية في داخل المعبد، ومن جهة أخرى لدينا أعياد التقويم السنوي، وهي أعياد عظيمة تختلف مدة إقامتها، وكانت تُقام في تواريخ مختلفة خلال العام.

---

[٢٦] J. E. A., 32, 90, also Ibid, PP. 84–85.

[٢٧] Ibid., 32, P. 81. and Journal of New Eastern Studies, 8. P. 340–1.

وكانت الأحفال الأولى؛ أي اليومية التي تقام في داخل المعبد يحفل بها عدد معين من الكهنة أما غير الكهنة وعامة الشعب فلم يكن لهم شأن في إقامتها. أما الأحفال الأخرى، فكانت تقام في هيئة مواكب فخمة بهيجة تستعرض فيها دائمًا التماثيل الإلهية، وكانت تقام أحيانًا في داخل المعبد فقط، ولا يُسمَح للشعب الاشتراك فيها، وأحيانًا تُقام داخل حرم المعبد، وفي هذه الحالة كان الشعب يشترك فيها أحيانًا إلى حدٍّ ما، وفي حالات أخرى كانت هذه المواكب تتهادى إلى معابد أخرى خارج حرم المعبد، وحينئذٍ كان أفراد الشعب — بطبيعة الحال — يمكنهم أن يروها ويسيروا في ركابها إلا في الشعائر الخاصة المقدسة فكان لا يشترك فيها العامة، ويُقْتَصر فيها على رجال الدين.

(٤) الصلوات التي تقام في المعبد

وقد قدم لنا الأثري «الليو» في بحثه العظيم عن أعياد حور في «إدفو» صورة تامة رائعة عن الصلوات اليومية التي تُقام في المعبد مُدعَّمة بالمصادر كما أشرنا إلى ذلك من قبل.[٢٨]

والخطوط العريضة الرئيسية لتصوير هذه الصلوات — كما يقول «فرمان» — صحيحة تمامًا، وإن كانت بعض التفاصيل الهامة لم تُدعَم فيها آراؤه بالمتون.

ويتحدث «الليو» عن صلوات وأعياد «قياسية» ويشير بكلمة قياسية لكل الصلوات التي تُقام في المحراب، وهي الشعائر اليومية، وإلى صورة أشد إحكامًا يسميها صلاة شرعية في المحراب (أي فريضة مشروعة)، ويُعتَبر هذا الطراز الأخير من الصلوات خاصًّا بالأعياد القمرية الخمسة، والأعياد الخاصة بثلاثة الأسابيع للشهر الشمسي (الأسبوع عشرة أيام)، والفرق بين هذه الأعياد والصلوات اليومية العادية؛ هو أنه عند إقامة الصلاة المفروضة كانت صلاة الصبح تُقام بأحكام أدق وبأبهة أعظم وباحتفال أكبر، أما صلاة الظهيرة وكذلك صلاة المغرب؛ فكانتا على حسب الشعيرة القياسية.

ويدَّعي «الليو» أن كل المتون في المعبد التي لا تقع في طريق القائمين بالأعياد الرسمية في الصلاة العادية — وهي التي في رأيه تقع في منتصف قاعة العمد الداخلية (٥) شمالًا — خاصة بالصلاة المفروضة، وإن كثيرًا من المتون التي على الطريق الفعلي للصلاة العادية خاصة كذلك بالصلاة المفروضة، وعلى أية حال يعترف هذا الأثري بأنه من

[٢٨] Revue de l’histoire des Reilgions, 137, 59–104.

الصعب عزل الواحدة عن الأخرى، ويرى «الليو» أنه لحل هذه المسألة لا بد أن نعزو كل الأحفال الدقيقة الفنية إلى الصلاة الشرعية المفروضة (ربما يعني بالصلاة الشرعية هنا الفرض الواجب، ويعني بالصلوات الأخرى السُّنة، كما هي الحال في الشريعة الإسلامية).

وكذلك يدعي هذا الأثري أن البابين الجانبيَّين (C, E) الخاصين بقاعة العُمُد الداخلية كانا مفتوحين لأداء الصلاة اليومية، وأنه منهما كانت تدخل مياه الطهور والقربان، والكاهن الذي يقوم بالشعائر، ويقول كذلك إنه لما كانت الأبواب الأخرى في المعبد موصدة فإن الملك أو نائبه لم يكن في استطاعته أن يدخل من الباب الرئيسي لقاعة العُمُد (٢)، وعلى ذلك فإن ارتداء الملابس العادية والتطهير في بيت الصباح (٣) لم يكن من المستطاع عملها عند الصلاة اليومية العادية، ولكن كان الكاهن القائم بأداء الشعائر يظهر نفسه في البحيرة المقدسة الواقعة شرقي المعبد، ويُلحَظ أنها تقع خارج المساحة المقدسة الحقيقية.

وعلى الرغم من أنه لا يُشكُّ في وجود أحفال أكثر دقة وإحكامًا من الصلاة اليومية العادية فإنه لم يذكر شيئًا عن زمن إقامتها، ومن المعقول أن ندعي وجود أحفال خاصة أثناء أعياد الشهرين القمري والشمسي، ولكن متون «إدفو» قد سكتت سكوتًا بينًا عن هذه الأحفال، والواقع أنه ليس لدينا متن يوحي بفرض وجود شعيرة يومية خاصة أكثر دقة وإحكامًا من الشعيرة اليومية العادية، وأعياد السماء، وأعياد الأزمان، وأعياد التقويم.

ومن المهم أن نلحظ أنه في مدينة «هابو» كانت الأعياد القمرية ضمن أعياد السماء،[٢٩] ولا يوجد في «إدفو» ما يشير إلى ذلك إلا مصدر واحد يمكن الأخذ به لوجود عيد قومي، وحتى ذلك قد ورد في نسخة واحدة فقط يحوم الشك حول صحتها، والفقرة المشار إليها هي:

> إن الصورة المقدسة للذي على عرشه العظيم قد نُقِشت على جدرانه مع نقوش الآلهة الذين يظهرون معه في كل مرة في عيده الخاص بالربع الأخير من الشهر.[٣٠]

---

[٢٩] Medinet Habu, ed. Chicago III. Pl., 148, 318, 367, 391; Pl., 150, 440, 452; In the Edfu name list the only festivals under the name of Heliopolis are the “festivals of the sky”, all those listed being days of lunar month (Edfu, I, 333, 13), cf. J.E.A., 38, 21, Pap. harrin .161, 13; 346. 6 = Bibliotheca Aegyptiaca V, 20, 10, 40, 2

[٣٠] .Edfu I, 368, 11–12

ولا بد أن نشير هنا إلى أن الفعل «يظهر» في هذه العبارة قد استُخدم بمعناه الفني؛ أي «يظهر في موكب» ومن ثَم فإنه على حسب هذا التفسير لهذه الفقرة يكون المعنى: أن الأعياد القمرية والشمسية كان يُحفَل بها في مواكب كالأعياد التقويمية، وأنها كانت مميَّزة عن الشعائر اليومية، وقد يكون من الصواب — بما لدينا من معلومات حتى الآن — أن نسلِّم بأنه ليس لدينا إلا طراز واحد من الصلوات اليومية. أما الجدال الدائر حول أن الأبواب الجانبية لقاعة العمد كانت لا تُفتَح إلا عند قيام الصلاة اليومية فقط؛ فيتعارض مع ما جاء في عدة فقرات؛ إذ لدينا بيان واضح بأن أبواب الصرح أو البوابة الكبيرة كانت تُفتَح في الصباح عندما يرتفع قرص الشمس وتغلق في المساء،[٣١] ولدينا متن آخر يشير إلى المعبد بوجه عام، وهو يحدثنا عن أن أبوابه تُفتَح عند اكتمال القمر حينما تضيء أشعته الأرض،[٣٢] وفي مكان آخر ذِكْر عن قاعة العُمُد؛ أن مصراعي بابها يُفتَحان على ردهة القربان (١) لأجل أن يعبد «رع» ثلاث مرات يوميًّا، ويدخل منه موظفو المعبد ثلاث مرات؛ ليقوموا بواجباتهم يوميًّا.[٣٣]

أما الادعاء بأن الكاهن الذي يقوم بدوره في الصلاة اليومية كان يدخل من الأبواب الداخلية فيرجع من جهة إلى سوء الفهم الخاص بفتح المعبد، ومن جهة أخرى إلى ترجمة المتن الذي على الأبواب الجانبية ترجمة خاطئة — كما يقول «فرمان» — وذلك أن «الليو» يعتبر أن الكاهن الذي يبخر قِرْبات الماء عندما كانت تحضر إلى المعبد كان هو الكاهن الذي في المحراب، وذلك بسبب أنه، لا بدَّ، قد كان هو الكاهن الذي يشغل أعلى درجة؛ لأنه كان يتبع الكاهن الذي كان يحمل الماء، والواقع أنه لا يوجد في المتون ما يقدم لنا أية إشارة عن أيٍّ من الكهنة الذين كانوا يدخلون من الباب الجانبي قد احتفلوا فعلًا بالصلاة في المحراب، بل قد ظهر بوضوح أن الكاهن الذي يحمل البخور كان يقدم قربانًا من الماء وحسب،[٣٤] ومن ثَم ليس لدينا ما يدل على أسبقيته.

وحقيقة الأمر هي أن الملك كان هو — نظريًّا — الفرد الذي يؤدي العبادة (الصلاة). أما عمليًّا فإنه من البديهي أن ذلك كان أمرًا مستحيلًا، ولكن من جهة أخرى نجد أن

[٣١] Edfu VIII. 58, 14, 15.

[٣٢] Edfu I, 20, 1–3 on the left.

[٣٣] Edfu III, 335, 7–8; Cf. V, 2, 2–3.

[٣٤] Edfu II, 139, 8.

المتون لا تقدم لنا برهانًا قاطعًا عن شخصية نائبه أو ممثله في أداء هذه الصلوات؛ ففي متن خاص بُعيد السنة الجديدة ذُكِر أن الملك نفسه بوصفه الأمير العظيم (وهذا لقب خاص بالكاهن الأكبر في إدفو) هو الذي كان يدخل المقصورة، ويصعد سلم الناووس، ويكشف عن وجه الإله.[٣٥]

وفي مكان آخر في إشارات بديهية للشعائر اليومية نقرأ: «إني كاهن (خادم الإله) وابن كاهن. إن الملك هو الذي أمرني أن أرى الإله.[٣٦] أو إن جلالته هو الذي أمر (؟) الكاهن أن «يعبد» الإله.»[٣٧] وفي فقرات أخرى يقول الملك: «إني أنا الذي ينظر ويتأمل الصورة الخفية، وإني أنا الذي يرسل الكاهن (خادم الإله) ليرى الإله.»[٣٨] أو يقول: «إني أنا الذي أزين جلالتك بالملابس، ويعمل الكاهن حسب أمري.»[٣٩]

ولما كان الكاهن الأكبر يعتبر خادم الإله؛ أي خادم الإله الرئيسي الذي يُشْرِف على الكهنة خدمة الإله في المعبد، فإن المتن الذي اقتبسناه الآن هنا يشير إليه، وفي الحق إننا لم نقرأ حتى الآن أن الكاهن الأكبر، أو أي كاهن قد ذُكِر قط بأنه دخل من أي باب جانبي عن قصد؛ ليقوم بالصلاة في المحراب، ويقول الأستاذ «فرمان» إنه يشك كذلك فيما يخص حذف شعائر بيت الصباح من الاستعدادات للصلاة اليومية.[٤٠]

وكانت مياه القربان تمنح من البئر المحفورة تحت الجدار الشرقي للمعبد، وكان القصد من ذلك ضمان الطهارة التامة، ومن ثَم يُستَنبط أنه بطبيعة الحال أن مياه البحيرة المقدسة التي كانت تقع خارج جدران المعبد لم تكن من الطهر بحيث تكفي لهذا الغرض، والظاهر أنه لا يكاد يكون محتملًا أن الكاهن القائم بالخدمة، والذي كان يدخل قدس الأقداس؛ ليكشف الحجاب عن الإله، ويتأمله، ويلمسه، كان عليه أن يتطهر بماء البحيرة المقدسة فقط، وأنه كان عليه أن يمر في جزء من حرم المعبد الذي كان يُعدُّ أقل طهارة من الوجهة الشعيرية من المعبد نفسه.

---

[٣٥] Edfu I, 554, 3–4.

[٣٦] Edfu III, 83, 10.

[٣٧] Edfu II, 114, 8; وقد ترجم «الليو» هذه العبارة بصورة مختلفة تمامًا راجع: Alliot. Culte I, 15 et Note 2.

[٣٨] Edfu I, 420, 13 = XII. PI. 344.

[٣٩] Edfu I, 429, 15–16 = XII. PI. 346.

[٤٠] Blackman, The House of the Morning. J.E.A. 5, 148–65.

ومن كل ما سبق يتضح — على ما يُظَن — أن كل أبواب المعبد كانت مفتوحة عند الفجر، وأنه ليس هناك سبب لإنكار أن الكاهن القائم بالخدمة كان يدخل من الباب الرئيسي لقاعة العُمُد الصغيرة، وكان يطهِّر نفسه في «بيت الصباح»، والكهنة من الذين ذكروا بأنهم يدخلون المعبد بعد التطهير في البحيرة المقدسة كانوا من صغار الكهنة الذين لا يدخلون قط «قدس الأقداس».

والآن نتناول بالبحث ما كان يحدث في إقامة الشعائر اليومية،[٤١] ويرجع الفضل في دراسة هذا الموضوع وشرحه للأستاذ «الليو» فهو الذي أماط اللثام للمرة الأولى عن قيام صلوات ثلاث يومية في المعبد؛ الأولى: عند مطلع الفجر، والثانية: عند الظهيرة، وكانت أقل أهمية من سابقتها، والثالثة: عند الغروب، وكانت صلاة الصبح أهم هذه الصلوات بدرجة كبيرة. كما كانت صلاة الظهيرة أقلها أهمية، ويجب أن نشير هنا إلى أن موضوع هذه الصلوات كان مهملًا في الكتب الهامة عن العبادة والتخشع.

صلاة الصبح

فقبل طلوع الفجر كان لا بد من القيام بأعمال تحضيرية ضخمة؛ فكان من واجب كاهنين أن يملآ إناءً للطهور من بئر مقدسة G، وبعد ذلك كان يحمل واحد منهما الإناء، والآخر يمشي أمامه ويبخره، وكانا يسيران حول الممر في اتجاه مضاد، ويدخلان المعبد من باب يقع في الجهة الغربية (٢) ويؤدي إلى حجرة النيل (٧)؛ ومن ثَم إلى قاعة العُمُد الداخلية (٥)، وفي حجرة الاستقبال للباب وفي حجرة النيل كان الماء يُبارَك ويُهدَى، وكان واجب الكاهنين عندئذ أن يملآ كل أواني القربان.

وفي الوقت نفسه كانت تدخل القربات من الباب الواقع شرق قاعة العمد الداخلية E. أما المذابح والمطابخ الواقعة شرقي المعبد فكان يوجد فيها رجال يعملون من قبلُ منذ مدة طويلة قبل طلوع الفجر. فكانوا يذبحون ثورًا، ويحضرون القربات المنوعة التي كانت تُقدَّم أمام الآلهة، وفي اللحظة الموقوتة كانت تُحمَل القربات مارةً بالباب الشرقي H

---

[٤١] راجع عن هذا الموضوع: Moret, Le ritual du culte Journalier en Egypte; Blackman, The sequenc of the Episodes in the Egyptian Daily Temple, Journal of the Manchester Egyptian and oriental Society. (1918–19), PP. 27–53.

الذي في جدار حرم المعبد، ومن ثم إلى المعبد من الباب الشرقي E لقاعة العمد الداخلية، وكانت القربات تُحرَس وتُطهِّرها الكهنة، والظاهر أنه في الوقت نفسه نجد أن كهنة آخرين ممن كان عليهم واجبات يؤدونها في المعبد، قد دخلوا من نفس الباب، وذلك لأنهم كانوا قد طهروا أنفسهم في البحيرة المقدسة.

وبعد تطهير القربات وتبخيرها كانت تؤخذ إلى قاعة القربات (٩) وعندئذ كانت بعض القربات السائلة والقربات الأخرى، لا بد، قد أحضرت إلى قاعة التاسوع (١١) حيث كانت تحضر المحاريب خفيفة الحمل الخاصة بالآلهة الذين يَثْوُون في المعبد، وفي ذلك الوقت يكون الكاهن الذي يقوم بالخدمة قد دخل بما يليق به من هيبة من الباب الرئيسي لقاعة العُمُد الصغيرة التي تسبق المحراب.

ويُلحَظ أنه قد نُقِش على كل من سمكي قائمتي هذا الباب اعتراف مختصر بالبراءة كان يتلوه الكاهن على ما يظهر عند دخوله، وبعد ذلك كان يلتفت نحو الشمال، ويُؤخَذ إلى بيت الصباح (٣) وكان يظهر هناك باحتفال، ويرتدي ملابسه، ويتقلد مكانته، ويتناول وجبة خفيفة، وبعد إتمام كل شيء، وفي خلال إنشاد الأناشيد كان يسير في حفل رهيب نحو المحراب الذي كانت أبوابه لا تزال مُوصَدة.

ومن البديهي أنه لم يكن هناك مكان على جدران المعبد يتسع لكل سلسلة الأحفال التي كانت مدونة في شعائر «آمون»؛ إذ لم يوجد في معبد «إدفو» إلا تسعة عشر منظرًا من الصلوات اليومية منقوشة على جدران المحراب؛ ولا بد أن نفهم أن هذه كانت نخبة من الأحفال الأكثر أهمية، وليس من الضروري أنها كاملة، بل إن هذه كانت عبارة عن رواية مختصرة عُمِلت خصيصًا لمعبد «إدفو»، ولا بد أن ضيق المكان نفسه هو أهم تفسيرٍ محتمل لعدم وجود أي ذِكْر بالمرة للشعائر الافتتاحية مثل فتل الشعلة، وإضاءتها، وتسلُّم المبخرة، والبخور، ووضع البخور على النار؛ كل هذه الأشياء كانت من الأمور الأساسية الأولية لإقامة الصلاة، وكانت عند هذه اللحظة، وعندما كانت أبواب المحراب تفتح، ترتل أنشودة صباح، وهذه الأنشودة كانت منقوشة على واجهة المحراب،[٤٢] وفيها نجد أن «حور» والآلهة القاطنين معه في المعبد وأعضاء «حور» وشارته، وكذلك أجزاء المعبد كلٌّ على حدته كانت تُخاطَب وتؤمر بأن تقشع عن نفسها غشاوة النوم، وتعود

[٤٢] Blackman and Fairman "A group of texts inscribed on the facade of the Sanctuary of the temple of Horus at Edfu; Miscellenia Grego–riana. PP. 397–428".

إلى الحياة، وهذه الأنشودة طويلة جدًّا وكانت تُرتَّل كل يوم، ولكن لا بد أنه كانت توجد أنشودة للصباح، وهي إما أن تكون هذه الأنشودة المذكورة أو رواية مختصرة منها.

وبعد ذلك كان يدخل الكاهن المحراب، ويتقدم نحو الناووس، والصلاة التي كانت تأتي على أثر ذلك كانت تتألف من سبع مراحل؛ الأولى: نرى فيها الكاهن يصعد درجات السلم إلى الناووس، ويفض أختام الباب، ويشد المزاليج، ويفتح الأبواب، وبذلك يكشف عن تمثال الإله، ثم يتلو هذه المرحلة كشف وجه تمثال الإله، واحتفال رؤية الإله، وذلك عندما يتلو الكاهن: «لقد رأيت الإله، والقوة تراني، والإله يفرح عند رؤيتي، ولقد تأملت تمثال الجعل المقدس المجنح، وهو الصورة المقدسة للصقر المصنوع من الذهب.»[٤٣] وهذه اللحظة بلا نزاع كانت تُعتَبر من أهم اللحظات في كل الصلاة؛ وذلك لأن الإله قد دخل مرة أخرى في تمثاله، واتخذ مقره في بيئته.

والمرحلة الثالثة: تحتوي على عبادة الإله، وقد تبعها تقديم عطور (المر)، والحفل الذي ذُكِر آخرًا يرمز ظاهرًا إلى تقديم وجبة، ويحتل مكان تقديم رمز العدالة بمثابة قربان، يحدث عند هذه النقطة في شعيرة آمون.

والمراحل الثلاث النهائية كانت خاصة بإلباس الإله؛ فكان تمثاله يُمَس بالعطور، وتقدم الأنسجة الأربعة التي أشارت إليها الشعيرة، وبعد ذلك يُطهَّر التمثال بالماء من أواني الشعائر، ثم ينسحب الكاهن، ويوصد بابي الناووس والمحراب، ونجد هنا كذلك أن شعائر «إدفو» كانت تختلف عن شعائر آمون في أن التطهير كان يسبق إلباس التمثال، ولكن بوجه عام كانت الصلوات متشابهة تشابهًا كبيرًا.

وفي حين كانت هذه الأحفال تؤدَّى في المحراب كان كهنة آخرون يزورون المقاصير التي تفتح على الدهليز، وكذلك على كل أجزاء المعبد الأخرى، ويؤدون شعائر خاصة مختصرة من التي كانت تؤدَّى في وقت واحد في المحراب نفسه، وعلى ذلك كان كل المعبد والآلهة قد تعطروا، واغتسلوا، ولبسوا ملابسهم، واستعدوا ليوم آخر.

ومن المحتمل أنه بعد انتهاء هذه الصلاة مباشرة كانت الشعائر المسماة «عودة القربان المقدسة» تؤدَّى،[٤٤] وذلك أنه من الطبيعي أن جزءًا صغيرًا من القربان الذي

---

[٤٣] Edfu I, 26, 4–6 Alliot Cult I. P. 79.

[٤٤] J. E. A., 35, 85.

أُحضِر إلى المعبد قد وضع رمزيًّا على مائدة قربان الإله، وبعد انتهاء الصلاة وشبع الإله من قربانه كانت تعود إلى الكهنة فتؤخذ إلى خارج المعبد من البابين الشرقيين (E, H)، وبعد ذلك كانت تقسم بين الكهنة بنسب معتدلة على حسب وظيفة كل فرد له نصيب فيها.

صلاة الظهر

أما صلاة الظهر فالتفاصيل عنها ضئيلة جدًّا إلى حدٍّ بعيد، ولا نزاع أنها كان أقل أهمية عن صلاة الصبح[٤٥] ويعتبر «الليو» أنها تحتوي في الأصل على قربات سائلة، وملء الأواني في كل أنحاء المعبد، ولم تكن تُقدَّم فيها قربات إلى المعبد، وكذلك كان المحراب يبقى موصدًا، وفي حين أن الحال كان من المحتمل وقوعه على هذا الوضع فإنه من الضروري أن نشير إلى أنه توجد أربعة متون على الأقل تُذكَر بوضوح إحضارَ القربات بوصفها مميزة عن القربات السائلة، إلى المعبد ثلاث مرات يوميًّا، وأن هذه القربات تحتوي أصنافًا مختلفة من الخبز، والزهور، والأوز، والحبوب.[٤٦]

صلاة المغرب[٤٧]

وصلاة المساء كانت تُقام قبل غروب الشمس مباشرة، وكانت بوجه خاص تكرارًا لصلاة الصبح، ولكن على نطاق أقل دقة وتفصيلًا، وأهم خلاف بينهما أنها — على ما يظهر — تقام في الحجرة التي تُدعَى عرش رع (٢٤) لا في المحراب؛ فقد كان المظنون أن روح «رع» تعتزل العالم لترتاح أثناء الليل، وأنه من هذا المكان كان يصعد إلى السماء عند الفجر.

هذه كانت الصلوات الثلاث الرئيسية التي كانت تقام في أوقاتها المعلومة كل يوم خلال طول العام. فهل كانت هذه الصلوات هي كل أوجه النشاط الذي يحدث في المعبد

٤٥ Alliot, Culte, 107–20, 83, 16–84 2; 207, 7–10; 230, 2–4.

٤٦ Edfu VI, 105, 2–3; VII.

٤٧ Alliot, Culte I, 12–32.

في الأيام العادية؟ والواقع أن هذه السؤال لا يمكن الجواب عليه بصورة مقنعة تمامًا حتى الآن؛ غير أنه لا بد من ذكر ثلاث حقائق غريبة؛ وذلك أنه لدينا متن نُقِش على الباب الشرقي لقاعة العُمُد الصغيرة يتحدث عن التعاويذ الخاصة بغسل الصور المقدسة الكبيرة لجلالة «رع» خلال ساعات النهار الاثنتي عشرة.[٤٨]

ولدينا تعويذة أخرى في المكتبة تقول: إن المرتِّل الأول كان يعمل واجبه فيها في خلال ساعات النهار الاثنتي عشرة،[٤٩] وأخيرًا يحدثنا متن على قائمتي باب القاعة التي تسمَّى عرش «رع» أن الكهنة خدمة الإله كانوا يمرون في طريقها إلى القصر البحدتي (أي قصر حور) لأجل أن يكشفوا عن وجه صاحب الحياة اللذيذة (هذا نعت للإله حور صاحب «بحدت»)[٥٠] من وقت المساء دون انقطاع خلال ساعات الليل الاثنتي عشرة، وكانت المُؤَن في أيديهم لأجل أن توضع على مائدتها ... ويشبع بالقربان، والآلهة والإلهات الذين في ركابه يأكلون معه، وعلى ذلك فلا مهرب من أن نستنبط أنه كانت توجد بعض شعائر تقام في المعبد في كل ساعة من ساعات الليل والنهار، غير أننا لا نعرف شيئًا محسًّا عن كنه هذه الشعائر.

(٥) الأعياد الموسمية

كان في المعبد تقويمان[٥١] للأعياد يميزان عن الشعائر اليومية العادية التي كان يُحتفل بها في «إدفو» خلال العام، وعلى الرغم من سوء الحظ أن السجل غير كامل في بعض أجزائه فإن التقاويم نفسها وبعض نتف من المعلومات المبعثرة المأخوذة من متون أخرى تُرِينا أنه كان يُحْتَفل بأكثر من أربعين عيدًا خاصًّا في المعبد في خلال عام واحد، وهي أعياد كانت تختلف في طولها من يوم إلى خمسة عشر يومًا، ومعظم هذه الأعياد ليست

---

[٤٨] Edfu III, 356, 1.

[٤٩] Edfu III, 339, 9–10.

[٥٠] Edfu I, 282, 12–15.

[٥١] Edfu I, 359, 15–18 = XII, Pl. 324; V, 397, 5–401, 5; 394, 10–395, 7 = XIII. Pls. 494, 491, 489; Alliot, Culte I, 206–15; Edfu, V, 348, 4 353, 6; 354, 2–360, 2 = XIII. Pls. 485, 486.

إلا مجرد أسماء بالنسبة لنا، فلا نعلم أي شيء عن كنهها أو طولها، وفضلًا عن ذلك فإنه من الجائز أن بعض هذه الأعياد كانت قد حُذِفت من القائمة.

وفي خلال جزء كبير من الشهر الرابع من السنة، وهو الشهر الرابع من فصل الفيضان، كانت تقام أعياد خاصة بالإله أوزير في كل معابد مصر، وفي معبد «إدفو» لدينا ثلاث حجرات كانت بوجه خاص لها علاقة بعبادة «أوزير» (انظر تصميم المعبد الحجرات ١٧، ١٨ و١٩)، وتحتوي على جزء من تمثيلية أوزير، وكان مفروضًا أن ساق «أوزير» محفوظة في المعبد، بل هناك ادعاء يُفتَخر به جاء فيه أن «أوزير» كان قد حُنِّط في «إدفو»،[٥٢] ومن المؤكد أنه كانت هناك عبادة لأوزير، غير أن التقويم يتجاهل ذلك كلية، إلا ما جاء من إشارات عن عيد «سوكاريس» الذي كان يُعقَد في اليوم السادس من الشهر،[٥٣] على أنه لو بقيت لنا بعض الحجرات التي كانت مقامة فوق السطح لكنا في مركز أحسنَ يمكننا من أن نتحدث بما كان فيها من نقوش عما كان يحدث، ولكن ما لدينا من معبد «إدفو» وحده لا يمكن أن نعتبره مادة كافية نستطيع بها أن نرسم صورة كاملة؛ ولذلك فإن الحصول على قصة صحيحة تامة عن تمثيلية أوزير لا بد لنا من الانتظار إلى أن تَخْرُج لعالم الوجود طبعةٌ كاملة دقيقة عن المواد الغزيرة لنقوش «دندرة» و«فيلة»، وعلى ذلك فإن ما لدينا من نقوش لا يمكننا أن نستخلص منه بدقة إلا أربعة أعياد من الأعياد العظيمة، وهذه يمكن أن نضع لها صورة بشيء من الدقة والتفاصيل.

وهذه الأعياد الأربعة هي: (١) عيد السنة الجديدة. و(٢) عيد تتويج الصقر المقدس. و(٣) عيد النصر. و(٤) عيد الزواج المقدس.

وسنتحدث عن كلٍّ من هذه الأعياد ببعض الإيضاح بقدر ما لدينا من معلومات أكيدة مستنبطة من النقوش.

---

[٥٢] Edfu, V, 164, 6–7; Cf. 163, 17–164, 1.

[٥٣] Edfu, V, 399, 1–6; 6, 7–8; VI, 9, 7–8; Edfu, V, 163, 16–165, 2; VI, 136, 11–142, 6; 281, 12–282, 13.

عيد رأس السنة

يتفق وقوع عيد رأس السنة في مصر في نفس اليوم التقليدي الذي يزيد فيه النيل، أي على الأقل عندما يكون التقويم والسنة يسيران بخطوة واحدة، والأحفال التي تُقام في هذا اليوم، وهي التي تعتبر بشير فيضان مانح للحياة هي على ذلك بطبيعة الحال أولًا خاصة بالتجديد؛ أي تجديد الحياة، والخصب للآلهة ولمصر، وللناس، وفوق كل شيء للفرعون الذي يتوقف عليه رخاء مصر، وهذا التجديد رُمِز له باتحاد أشعة الشمس مع تمثال الإله، وقد خصِّصت الحجرتان اللتان أُطلِق عليهما حجرة «مائدة الطعام» (١٣) و«المكان الطاهر» (١٤) وكذلك السلالم التي يُصعَد منها وينزل بها من السقف، والجوسق، ومكان العيد الأول؛ لتسهيل هذا الاتحاد البالغ الأهمية.

وكان أول من فحص عيد السنة الجديدة هو «الليو» فقد درسه درسًا[٥٤] وافيًا، وسنتحدث عن هذا العيد على حسب ما جاء في مؤلف «الليو» وإن كانت هناك بعض اختلافات ذكرها الأثري «فرمان» في ثلاث نقاط؛ أولًا: ليس من المؤكد تمامًا أن العيد قد أُقِيم في «إدفو» مدة أحد عشر يومًا كما يقول «الليو» وذلك لأن الأحفال قد بدأت في اليوم الثلاثين من الشهر الرابع من فصل الصيف (آخر يوم في السنة القديمة) واستمر مدة خمسة أيام النسيء، وعلى حسب «الليو» انتهى في اليوم الخامس من الشهر الأول من فصل الفيضان، والصعوبة هنا هي أن التسجيلين لليومين الرابع والخامس لهذا الشهر لا يحتويان على تلميح لعيد السنة الجديدة، ولكن يسميان على التوالي عيد «البحدتي» وعيد «حور البحدتي»،[٥٥] وفضلًا عن ذلك نجد أن تقويم «كوم أمبو»[٥٦] يبين بوضوح أن العيد انتهى في اليوم الرابع من الشهر. هذا ولا يمكن تقديم حل نهائي لهذه المسألة.

النقطة الثانية: هي أن «الليو» قد حاول أن يبرهن على أن «مكان العيد الأول» كان هو اسم الجوسق الذي على السطح، وكذلك اسم الحجرة المسماة «مائدة الطعام» (١٣) وبذلك يقسم الأحفال مرحلتين؛ المرحلة الأولى: الأيام التي قبل يوم السنة الجديدة، وذلك

[٥٤] Alliot, Culte I, 303–433.

[٥٥] Edfu, V, 397, 6, 314, no, 426.

[٥٦] De Morgan Ombos I.

عندما حدثت الأحفال في وبين «حجرة مسن» (١٦) وحجرة «مائدة القربان» و«المكان الطاهر» (١٤) والمرحلة الثانية: في يوم السنة الجديدة والأيام التي أتت بعده، وذلك عندما امتدت إلى سطح المعبد والجوسق، والواقع أنه ليس لدينا أي متن في «إدفو» أو في «دندرة» يطبق عبارة «مكان العيد الأول» على أي جزء في المعبد خلافًا للجوسق الذي على السطح.

ورأي «الليو» يرتكز على حقيقة أنه في «دندرة»[٥٧] كانت الحجرة التي تقابل حجرة «مائدة الطعام» في «إدفو» تسمى أحيانًا: «فناء المكان الخاص بالعيد الأول»، وإذا كان ذلك يعني أي شيء فإنه يعني أكيدًا أن الحجرة لا يمكن أن تكون «مكان العيد الأول»، وإلا فإن في الإمكان كذلك أن نسميها المكان الطاهر، وذلك لأن اسمًا غير عادي لنفس هذه الحجرة هو «فناء المكان الطاهر».[٥٨]

ويقول «فرمان»: إنه لما كان تقويم «إدفو» يقول صراحة: إنه في اليوم الأخير من السنة، وفي أيام النسيء كان يذهب الإله إلى «مكان العيد الأول»، فإني أرى خلافًا لرأي الأثري «الليو» أنه قبل وبعد أول يوم في السنة الجديدة كانت الأحفال تشمل موكبًا يذهب إلى السطح، وأخيرًا ينكر «الليو» أنه لم تكن تقع أية مرحلة من مراحل إلباس الإله على سطح المعبد، وهذا الرأي كذلك من المستحيل الأخذ به؛ لأنه يوجد ملخص للأحفال في دندرة يشير صراحة لمراحل إلباس الإله بعد أن دخلت «حتحور» الجوسق،[٥٩] ولكن نجد أنه في كل من «إدفو» و«دندرة» أن لوازم اللباس كانت تُحمَل إلى السطح، وفي إدفو يوجد بوجه خاص بيان واضح يشير إلى أن إلباس الإله كان يتم هناك.[٦٠]

لم تؤثر أحفال السنة الجديدة في المحراب والتماثيل التي كانت تُحفَظ فيه، بل كانت تبدأ في حجرة «مسن» (١٦). فكان الملك أو نائبه بصحبة كبار كهنة المعبد، يدخلون الحجرة ويؤدون الشعائر الافتتاحية الخاصة بالصلاة اليومية؛ فكان يعتلي سلم الناووس ويفتحه ويكشف عن وجه الإله، وبعد صلاة قصيرة كان يُنقَل كل من محراب

---

[٥٧] Chassinat, Le temple de Dendera IV, 185, 14, 186, 5.

[٥٨] J. Dumichen Baugeschichte des Dendera tempels XIV, 10.

[٥٩] Chassinat Dened., V, 117, 1–4; Mariette Dendera III, 37, 1; Dumas A.S. 51, 384–8 Cf. Mariette Dend. IV, 11; Dumischen Altaegypti–schen Kalendar inschriften, 82–3.

[٦٠] Edfu I, 555, 11–14.

حور وحتحور، ويوضع على حامل مستطيل منفرد يعلو كل منها سرادق يرتكز على أربعة عُمُد في كل منها حلقة من المعدن في كل من جوانبه الأربعة، وكان المعتاد أن يخصص لكل محراب وحامله تسعة كهنة يُدعَون في العادة الرفاق؛ وكانوا هم المسؤلين عن حمله في كل مواكب اليوم، وكانوا يسندون المحاريب على أيديهم، وبوساطة حبال توضع حول رقابهم، ثم في داخل الحلقات المتصلة بالحامل.

وهؤلاء الكهنة كانوا يمثلون أولاد «حور» الأربعة وأولاد «مخنتي-إنرتي»، أما «مخنتي إنرتي» نفسه الذي لم يقم بدور الحامل فقد كان يعمل بمثابة مشرف على جماعة من الحمَّالين، وبعد تأليف الموكب في طابور مزدوج، وحربة حور المقدسة أمام حور، وحربة «خنسو» أمام «حتحور» كان يشق طريقه على طول الدهليز الذي كان يحيط بالمحراب.

وفي نهاية الأمر يصل إلى «مائدة الطعام» (١٣) و«المكان الطاهر» (١٤) وفي الوقت نفسه كانت توضع على كل موائد القربان قربات ثمينة تشمل قربات محروقة في كل أنحاء المعبد، وقبل كل شيء في الردهة الأمامية؛ أي فناء القربات (١)، وعندئذ كانت محاريب حور وحتحور، وكل آلهة المعبد تجتمع في «المكان الطاهر» (١٤) وفي الجهة الجنوبية كانت تقدم لهم قربان، ويكشف عن التماثيل، ثم تكرر بعد ذلك مراحل إلباس الثياب الخاصة بالشعيرة اليومية في كل شكل ثمين متقن، ويصحب ذلك إنشاد أناشيد خاصة.

وعند هذه اللحظة يكون الوقت قد حان لإعادة تكوين الموكب والسير به إلى سطح المعبد، وكانت الطريق تبتدئ من حجرة مائدة الطعام (١٣) إلى القاعة الوسطى (١١)، ومن ثم إلى قاعة القربات (٩) حيث كان الموكب يتحول نحو اليسار مارًّا بالباب F ثم يأخذ طريقه صاعدًا في السلم المتعرج حتى يصل إلى السطح، وأخيرًا إلى الجوسق، وقد وصل إلينا وصف مفصل بوجه خاص عن الموكب، ولما كان كل من الطابورين في الواقع كالآخر تمامًا فإننا نصف طابور «حور» وحسب؛ فكان القسم الأول من الموكب مؤلفًا من كهنة يُحتَمل أن عددهم خمسة عشر يحملون الأعلام المقدسة، وكانت وظيفتهم إفساح الطريق لفتحها، وإزالة كل شر أو خطر من طريق الإله.

وخلف هؤلاء يلي كهنة آخرون بعضهم مقنعين يمثلون آلهة كانوا يحملون طعامًا وشرابًا، وملابس، وقربات أخرى، ثم يأتي بعد هؤلاء حاشية الإله المقربين منه؛ ويتألفون من كهنة أصحاب مراتب عالية، والكاهن الأعظم خلفهم على مقربة جدًّا من الناووس،

وفي مقدمتهم كان يسير كاهن مرتل، وكهنة آخرون يحملون ملابسَ وأحجارًا نصف كريمة، وبخورًا وماء قربات، ويمشي خلف هؤلاء مباشرة رجل يرتدي بذلةً ملكيةً حاملًا حربة «حور» المقدسة، وخلفه تأتي الملكة والملك حافيان، وينظران من فوق أكتافهما إلى ناووس الإله الذي كان خلفهما مباشرة، وكانت الملكة تلعب بالصناجة وهي ماشية، أما الملك فكان يحرق البخور، ثم يأتي بعد ذلك الناووس الخفيف الذي فيه الإله «حور» يحمله تسعة الرفاق، ثم يجيء بعد الإله كهنة آخرون كل يحمل أحد الآلهة القاطنين في المعبد وهو في صندوقه الخفيف، وأخيرًا كان ينتهي كل طابور بحامل مروحة.

وكانت تماثيل الآلهة يُؤتَى بها إلى الجوسق، وكلها متجهة نحو الجنوب، ومجموعة على الجانبين، وخلف «حور»، وفي حين كانت قربات أخرى تؤدَّى كانت الشعائر تقام مرة أخرى فيُكشَف عن وجه التمثال، وتُزال الملابس القديمة، ويعطر التمثال، ويرتدي ملابسه الجديدة، وتُقدَّم له وجبة، ولا نزاع أن اللحظة الرهيبة في الحفل كانت دون أي شك لحظة الكشف عن وجه الإله، وكانت تتم على ما يُعتَقد عند الظهيرة، وفي تلك اللحظة كانت أشعة الشمس تُرسَل على التمثال، وكان الاتحاد الخفي للشمس مع الإله هو الغرض الذي يرمي إليه هذا الحفل، وبعد كل هذه المراسيم كان يتألف الموكب من جديد، ويمر بالباب الغربي للجوسق، وأخيرًا يصل إلى المعبد وإلى مكان سُكْنى الآلهة على التوالي بالنزول من السلم الغربي.

ولا بد أن نتحدث هنا عن نقطتين أخريين لم تُفحَصا سابقًا عن هذا العيد. ففي تقويم «كوم أمبو»[٦١] جاءت إشارة خاصة «بفتح الفم» في أثناء «العيد الأول» وعلى الرغم من أن هذا الحفل لم يُذكَر في أيٍّ من المتون الخاصة بعيد «السنة الجديدة» في «إدفو» أو في دندرة، فإنه لمن المهم جدًّا أن نذكر هنا أن تقويم «إدفو» قد حدثنا بأنه في اليوم التاسع عشر من الشهر الأول من فصل الصيف (الشهر التاسع من شهور السنة) قد أقيمت الأحفال الآتية: موكب هذا الإله الفاخر «خنسو» صاحب «بحدت» إلى سطح المعبد، وكشف الوجه، وإلباس الملابس، وتقريب عطور، وغناء مدائح، إجراء عملية فتح الفم[٦٢] … وأهمية هذه الفقرة في أنها بلا شك تشير إلى أحفال على السطح تشبه أحفال «عيد السنة الجديدة».

[٦١] De Morgan Ombos II, 52, No. 596.

[٦٢] Edfu V, 400, 80–401, 2.

وإذا كان ما قيل هنا صحيحًا عن شعيرة فتح الفم في عيد أول السنة — كما يقول «فرمان» — فإنه يكون لدينا بذلك حقيقة جديدة وهامة جدًّا؛ وذلك لأن الوقت التقليدي لإهداء معبدٍ كان إما في مساء يوم أول سنة جديدة أو في يوم سنة جديدة، ومن ثَم يقترح «فرمان» أن الأحفال التي كانت تقام على سطح المعبد في يوم سنة جديدة كانت تشمل إعادة إهداء المعبد وإلهه السنوي، فكأن الاتحاد مع الشمس لم يجلب فقط تجديد الخصب والرخاء لمصر، بل كان يجدد لمدة سنة أخرى حياة «إدفو» وقواها وحور والآلهة الذين عاشوا معه في المعبد.

والأحفال التي وصفت الآن، على الرغم من أنها كانت تؤثر في سعادة الشعب المصري ورخائه فإنها كانت خفية عن العالم الخارجي، وذلك لأن أبواب المعبد كانت موصدة عندما كان يُحتَفل بها، ولم يشاهدها واحد من عامَّة الشعب.

وقد كان المظنون حتى الآن أنها قد انتهت برجوع الموكب إلى المحراب الثانوي، ولكن على أية حال وفي تقويم في معبد «دندرة» نقرأ ما يأتي:

> والآن بعد الأحفال الخاصة بالصلاة المقدسة يكون قد تمَّ — عندما تحل الساعة الثامنة من النهار — تأدية كل الأحفال الخاصة بإخراج هذه الآلهة العظيمة حتحور، سيدة «دندرة» وعين «رع» في «رافع الجمال» في موكب مع تاسوعها إلى «ردهة السماء العظيمة» فتكون متحدة مع والدها، ويشاهد جمالها قوم الشمس، وتدخل بيتها بخطًى وئيدة. ثاوية في مكانها هذا.[٦٣]

وهذه الكلمات لا يمكن أن تعني على وجه التأكيد إلا أنه بعد الظهر، بعد أحفال السنة الجديدة كانت الآلهة حتحور والآلهة المعاشرين لها في المعبد يخرجون من نواويسهم ويستعرضون لبعض الخاصة من القوم، لا للشعب بوجه عام، في قاعة العُمُد الخارجية للمعبد؛ على أن ذِكْر قارب الموكب يبرهن على أن ذلك لم يكن موكبًا يسير على سطح المعبد؛ لأن طريق السلم كانت ضيقة لا تتسع لقارب وحامليه، ومع أن ذلك لم يُذكَر في متون «إدفو» فإن الأحفال في «إدفو» و«دندرة» كانت متشابهة لدرجة يظهر فيها أنه كان هناك احتمال معقول أن في «إدفو» كان «حور» يخرج كذلك من ناووسه

[٦٣] Mariette Dendera I, 62 f; Brugsch Thesaurus, 365.

ويستعرض على ما يظن في الردهة الأمامية، وهي التي من أسمائها «ردهة السماء العظيمة».[٦٤]

ومن المعقول أن يتساءل المرء فيما إذا كان هناك أي فرق بين الأحفال التي كانت تقام قبل السنة الجديدة، والتي كانت تقام بعدها؛ وذلك لأنه يظهر بطبيعة الحال أنه غير محتمل أن نفس الشعائر بالضبط كانت تؤدَّى في كل عيد دون أي فرق خاص عن عيد رأس السنة الهام، ولكن مما يؤسَف له أن المتون والمناظر الأثرية لا تساعدنا في هذه النقطة، وعلى ذلك فإن الإنسان في هذه الحالة يكون مضطرًا للالتجاء إلى الحدس والتخمين، وعلى أية حال فإنه من المحتمل أن المواكب والأحفال في المعبد وعلى سطح المعبد في خلال ستة الأيام قبل السنة الجديدة لم تكن إلا مجرد مقدمة، وكانت تقام على نطاق متواضع.

والواقع أن الاتحاد الحقيقي مع الشمس كان يتم في اليوم الأول من السنة، وقد كان، فضلًا عن ذلك، يميَّز بأنه اليوم السنوي لإعادة إهداء المعبد، ومن الجائز كذلك أن يوم أول السنة والأيام التي تليه كانت مميزة عن الأيام التي سبقتها بأحفال خاصة لها علاقة بعبادة الملك الحاكم وأجداده، وهم الذين لعبوا دورًا بارزًا في أحفال السنة الجديدة كما يؤكد ذلك «الليو»[٦٥] وقد تحدثنا عن ذلك في مرسوم «كانوب».

عيد التتويج

والعيد الثاني العظيم الذي سنتحدث عنه هنا هو عيد تتويج الصقر المقدس، وكان يُحتَفل به في اليوم الخامس من الشهر الأول من فصل الشتاء (الشهر الخامس من السنة) ويرجع الفضل الأول في دراسة هذا العيد وترتيب النقوش الخاصة به في مبعد إدفو للأثري «الليو».[٦٦]

وتفاصيل هذا العيد سهلة نسبيًّا عندما نريد إعادة بنائها، ويرجع الفضل في ذلك إلى مجموعة فاخرة من النقوش تتألف من ثمانية مناظر عظيمة تصحبها متون مطولة

[٦٤] Edfu V, 6, 10, Cf. VII., 18 8–9.

[٦٥] Alliot. Culte I, 358–60.

[٦٦] Alliot, Culte. Revue de l’histoire des Relig., 137, 88–95.

دوِّنت في الصفين الأول والثاني للواجهة الداخلية للجدار الشمالي لحرم معبد «إدفو» مضافًا إلى ذلك متون عدة مبعثرة في أجزاء أخرى من المعبد.

وتدل المناظر على أن تمثال «حور» الذي مثِّل برأس صقر متوج بالتاج المزدوج يؤخذ من ناووس المحراب (١٥) ويوضع على مِحفَّة خفيفة الحمل مفتوحة من جوانبها، ولكن يعلوها مظلة خفيفة، وكان يحمل هذه المِحفَّة كهنة مقنعون؛ فأولئك الذين كانوا في المقدمة يلبسون قناع الصقر، والذين في المؤخرة يلبسون قناع ابن آوى، وهم في ذلك يمثلون أجداد ملوك المملكتين العتيقتين اللتين كانت تتألف منهما مصر وهما «هيراكنبوليس» في الوجه القبلي و«بوتو» في الدلتا.

ويُحتَمل أن الموكب كان يشبه جدًّا في نظامه موكب عيد السنة الجديدة؛ فكان يأتي في مقدمته الكهنة حاملين الأعلام، ويأتي بعدهم أعضاء طائفة الكهنة، والإله في مِحفَّته، وأخيرًا يأتي كهنة يحملون آلهة في نواويسهم، وكان من صفات هذا الموكب أنه كان يسير في صمت فلا يتكلم رجل مع زميله،[٦٧] وكان الموكب يمر داخل المعبد مخترقًا أبواب الصرح، وبعد أن يجتاز البوابة التي في الجدار الجنوبي لحرم المعبد يتحول نحو اليسار سائرًا إلى معبد «الصقر المقدس» وهنا تتحول المِحفَّة، وتواجه نواويس الآلهة الذين كانوا مجتمعين أمامه مع حامليهم، وعندئذ تكون قد حانت اللحظة لانتخاب الملك الجديد، والطريقة في ذلك كانت بالوحي؛ فكان يُنادَى اسم كل إله على انفراد حتى يكون في مقدور «حور» أن يشير إلى الذي وقع عليه اختياره، ولم ينتخب واحد من الآلهة الذين نودي عليهم، والظاهر أن مِحفَّة حور في هذه الحالة إما أن تكون قد بقيت دون حركة، أو تكون قد عملت حركة تراجع عند نداء كل اسم، وبعد ذلك يدخل الموكب فناء الردهة الأمامية، أو قاعة العُمُد الكبرى لمعبد الصقر المقدس، وفي أثناء وقوف مِحفَّة «حور» في المدخل يجلب مربو الصقور عددًا من الصقور المقدسة التي ربِّيت في الخميلة المقدسة، وفي النهاية يُنتَخب واحد من هذه، ويعترف بأنه هو وارث الإله، والملك الجديد.

بعد ذلك يبتدئ الجزء الثاني من الحفل؛ وذلك أن الموكب الآن قد شمل الصقر المقدس، وألف وعاد أدراجه في طريقه إلى الردهة الأمامية لإقامة حفل الاعتراف به، وبعد الدخول في الردهة الأمامية كانت الآلهة وأتباعهم يدخلون من الباب الذي على الجناح

[٦٧] Edfu VI, 102, 5.

الشرقي للبوابة، ويصعدون إلى سطح الباب الرئيسي الواقع بين جناحي البوابة الكبرى: وهذه كانت تُدعَى شرفة الصقر[٦٨] أو «نافذة الظهور»،[٦٩] والسبب الواضح لذلك هو أن «حور» يكون في مقدوره أن يستعرض خلفه — وهو الصقر المقدس الذي انتُخب حديثًا — أمام الناس.

وليس لدينا ما يشير إلى من هم هؤلاء الناس، ولكن يظهر أنه كانت هناك جماعة من الكهنة وغيرهم من الناس المفضلين في الردهة العظيمة وأمام الصرحين.

ومن المرجح أنه عند هذه النقطة كان يُرتَّل دعاءان؛ الدعاء الأول: خاص بسنة سعيدة، ثم يتلوه دعاء الإلهة «سخمت» وكان الغرض منه أن يُحفَظ الصقر المقدس من كل أنواع الأضرار والأخطار.

وبعد ذلك كان ينزل الموكب من الشرفة، ويدخل المعبد للقيام بإنجاز الجزء الثالث من الإجراءات، وأعني بذلك إجراءات التتويج فكان يوضع الصقر تحت مظلة خفيفة — لأجل إتمام الجزء الأول من صلاة التتويج — على جذع مستطيل أُحكِم حفره؛ ليكون تقليدًا لواجهة القصر البدائية المعروف باسم «سرخ» ثم كان يُعطَّر، ويقلد قلادة رسمية، ويقدم له رمز الأبدية، وأربع الباقات الخاصة بالآلهة «حور البحدتي» و«رع» و«حتحور» و«آتوم».

أما الجزء الثاني من الحفل فكان خاصًّا بتتويج الحاكم الجديد وحمايته، فكان يوضع الصقر والإله حور جنبًا لجنب على عرشين، وكل منهما على ظهر صورة أسد، وكان يُقدَّم للإله الشارة الملكية، وعدد عظيم من التمائم، ثم تُلمَّس شفتاه باللبن، وتغنى أناشيد طويلة لحماية الإله وبيته والأرض التي كان يقف عليها، والسرير الذي كان ينام عليه، والهواء الذي كان يتنفسه، وكذلك كانت التعاويذ الخاصة بحماية الجسم الإلهي تُتلَى أمامه.

وبعد تمام هذه الأحفال كان وقت المرحلة الأخيرة للحفل قد حان، وأعني بذلك إقامة وليمة، وكان يؤلف لهذا الغرض الموكب من جديد، ويعود إلى معبد الصقر المقدس، وهناك كانت تقام صلاة شكر دقيقة قبل أن تُرتَّل أسماء القربان، في حين أن الملك كان يقدم لحومًا مختارة للصقر؛ وهذه القطع من اللحم هي التي كانت تمثل هلاك أعداء

[٦٨] Edfu VI, 93, 11.

[٦٩] Edfu VI, 102, 9.

الإله والملك.[٧٠] أما الوليمة الفعلية فقد مثلت في منظر عنوانه حرق البخور. إحضار الإله إلى لحمه[٧١] (طعامه). هذا، ونجد في الصلاة اليومية — كما أشرنا إلى ذلك من قبل — أن قربان بخور المر كان يُرمَز به إلى وجبة فعلية؛ وذلك لأن الصيغة الخاصة به تحدثنا بأن «رائحة المر لأجل أنفك، وأنها تملأ خيشومك، وقلبك يتسلم أنصبة اللحم على رائحتها.»[٧٢]

وهذه الوليمة هي نهاية الأحفال الرسمية، وفي حين نجد أن الصقر المقدس قد بقي في معبده فإن الإله «حور» كان يُحمَل ثانية إلى ناووسه في محراب المعبد الرئيسي، وكان الشعب في هذه الآونة يُلقي بنفسه في أحضان الفرح والسرور والتمتع بالولائم.

ويلحظ أن التقابل الذي يلفت النظر بين هذه الشعائر، وبين حفل التتويج في أيامنا الحاضرة لا يحتاج أي تحسين جديد، وعلى أية حال لدينا نقطة أخرى تحتاج إلى تعليق قصير؛ إذ لا بد من أن نؤكد من أنه في خلال كل هذه الأحفال كانت هناك وحدة تامة بين الصقر المقدس وحور البحدتي[٧٣] والفرعون. فالعيد في الواقع كان أكثر جدًّا من كونه مجرد اختيار صقر مقدس وتتويجه، بل كان كذلك التجديد السنوي لتتويج الملك الحاكم، فاليوم الأول من الشهر الأول من فصل الشتاء، وهو اليوم الأول من العيد، وقد سمي في التقويم بمثابة يوم عيد السنة الجديدة لحور البحدتي. وأهمية ذلك كما أظهر «جاردنر» في نقده لكتاب «فريزر» عن «أدونيس» و«أنتيس» و«أوزير»[٧٤] أن هذا اليوم يأتي مباشرة بعد أعياد أوزير الكبيرة التي تقع في الشهر الرابع من السنة؛ ففي اليوم الأخير من الشهر كانت تقوم قيامة «أوزير» بوصفه ملكًا متوفى نودي ثانية من قبره ليعيش شبه حياته السابقة ثم دفنه، وفي اليوم التالي وهو اليوم الأول من الشهر الخامس تسلم ابنه حور الملكية، ومن ثم كان هذا هو التاريخ الذي كان يُعتَبر ظاهرًا مناسبًا لتولي أي فرعون عرش الملك، وكان ذلك اليوم هو التاريخ المتفق عليه للعيد سد (العيد الثلاثيني) وهذه الحقائق هي التي وتوضح لنا أهمية هذا التاريخ، وطبيعة تتويج الصقر المقدس.

---

[٧٠] J. E. A., 31, 57–73.

[٧١] Edfu, VI, 305, 2.

[٧٢] Edfu VI, 305, 3-4.

[٧٣] Edfu V, 399, 7.

[٧٤] J. E.A., 2, 121–6, and PP. 122–4.

عيد النصر

كان يحتفل بعيد النصر — وهو ثالث الأعياد التي نَصِفها هنا — مدة خمسة أيام متتالية، تبتدئ باليوم الواحد والعشرين من الشهر الثاني من فصل الشتاء (الشهر السادس من السنة)، وهذا العيد يختلف عن الأعياد التي نصفها هنا في أنه لم تصل إلينا معلومات مفصلة عن الأحفال المنوعة التي كانت تقام فيه، والمتون الطويلة الخاصة بهذا العيد تُعتَبر من طراز خاص، ولا يمكن أن تكون قد اشتملت على كل الشعائر؛ ولذلك فإن الشعائر التي كانت تقام أثناء انعقاده متروكة للحدس والتخمين.

والمتون الرئيسية الخاصة بهذا العيد محفوظة في الصفين الأول والثاني من الواجهة الداخلية للجدار الغربي لحائط حرم المعبد، وهذه المتون محددة المعالم ومفصولة عن كل المناظر الأخرى التي على هذا الجدار؛ إذ إنها نُقِشت بنظام معكوس.[٧٥] ففي الصف الأول نجد المتن الذي يمكن أن نسميه بسهولة: الدراما المقدسة،[٧٦] ونجد في الصف الثاني ما يسمى عادة: «أسطورة قصر الشمس المجنح»،[٧٧] ويتلو ذلك متن أقصر يشير عنوانه إلى شراب مؤلف من عنب وماء.[٧٨]

وموضوع طبيعة المتون التي في الصف الأول موضوع جدال؛ فيقول «فرمان» إنه على الرغم من معارضة رأيه القائل إن هذا المتن وضع في صورة تمثيلية مقدسة تحتوي على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة،[٧٩] وقد عارضه كل من «دريتون» و«الليو» وقد قال الأخيران: هذا المتن لا يمثل دراما، بل يحتوي على سلسلة من الأعمال الشعائرية. وعلى أية حال لا يزال «فرمان» متمسكًا برأيه ومصممًا على القول بأن المتن الذي في الصف الأول هو الذي بقي في الصورة على الجدار في صورة تمثيلية مقدسة.

ولما كانت هذه الدرامة المقدسة توجد في الصف الأول فإنه يظهر من المؤكد أنها قد مثلت في الصباح المبكر قبل المناظر التي في الصف الثاني، ولكن ما سبق ذلك فلا علم لنا به غير أنه مما لا جدال فيه أن تمثال «حور» لا بد كان قد أُحضِر من المحراب

---

[٧٥] راجع ملحوظات الأثرى شاسيناه. Edfu VI, 55-6, 104.

[٧٦] Edfu, VI, 60, 6–90, XIII. Pls. 494–514.

[٧٧] Edfu, VI, 108, 15–132, 5, XIII. Pls.

[٧٨] Edfu, VI, 132, 7–136, 9, XII. Pls. 534, 535.

[٧٩] J. E. A. 28, 32–8; 29, 2–36; 30, 5–22.

إلى البحيرة المقدسة التي كانت بلا نزاع قد أقيم على حافتها جوسق صغير، وأن تمثيل الرواية قد وقع بعضه بجانب البحيرة وبعضه الآخر على مائها في حضرة الكهنة وجم غفير من المخلصين الذين مثلوا في البطانة، وأهم المشتركين هم الملك وكاهن مرتل وكهنة كانوا يقومون بدور الآلهة والبطانة.

والواقع أنه لم يكن هناك إلا تمثيل قليل، والنقطة الهامة كانت تنحصر في إلقاء الخطب الرنانة التي كان يتبعها القليل جدًّا من التعابير الطنانة، ولم يكن فيها إلا تمثيل ضئيل بالمعنى الذي نقصده نحن الآن؛ كما أنه لم يوجد تخصيص في التمثيل، فهي تظهر بمثابة مادة معتمة تتخللها فقرات قليلة لها صبغة أدبية تبعث فيها الحياة، ولكن يجب أن نلحظ أنها لم تكتب لنا أو لقوم لهم آراؤنا وأفكارنا، ولكن في نظر المتفرجين المصريين القدامى كانت الألفاظ والأوضاع — وفوق كل شيء ما تنطوي عليه هذه التمثيلية من أفكار دينية وآراء سياسية — قد جعلتها تمثيلية حقيقية مثيرة، وذات أهمية عميقة جدًّا عند المصريين.

وتضع أمامنا لون الرواية بما فيها من مديح للملك، وبالبيان الذي يقول:

> هنا يبتدئ وقوع انتصار «حور» على أعدائه،[٨٠] والفصل الأول: قُسِّم خمسة مناظر، وهو عبارة عن شعائر الخطاف (نوع من الرماح) المقدس؛ أي إنه كان هناك عشر خطاطيف مصحوبة بكلمات وحركات مناسبة قد رُشِقت بالتوالي في صورة فرس البحر، والفصل الثاني: يحتوي على منظرين لهما علاقة بالابتهاج بالنصر، ففي المنظر الأول: يُرى «حور» جالسًا في سفينته، ويطلب الغوث من الشباب حاملي الخطاطيف، وفي المنظر الثاني: يفرح الناس بحور عندما توج وقلد بشارة الملك، والفصل الثالث: هو عبارة عن الاحتفال بالنصر، ويحتوي على روايتين خاصتين بتمزيق أعضاء «ست» يفصل بينهما فاصل، وأخيرًا الخاتمة: وفيها يعترف بأن «حور» قد انتصر، وأن أعداء الآلهة والملك قد هُزِموا.

ومن المهم أن نلحظ أن هذه التمثيلية قد بدأت بالملك وانتهت بالملك، ولا نزاع في أن التصوير الدرامي لانتصار «حور» والبيان الرسمي عن فوز «حور» والملك قد جعل من

[٨٠] Edfu VI, 61–2.

المؤكد أن أعداء الفرعون قد هُزموا وأهلكوا، وبذلك أصبح مضمونًا لمدة عام آخر أن الملك وشعبه وكل أرض الكنانة قد نالت نصرًا وسلامًا.

والمتن الرئيسي الذي في الصف الثاني هو أسطورة قرص الشمس المجنح[٨١] وهذا المتن ليس خاصًّا بالتعاليم أو الشعائر الدينية العادية، كما أنه ليس بالمتن التمثيلي، بل هو في الواقع قد وُضِع في صورة قصة طويلة عن الحرب بين «حور» و«ست» تتخللها عدة توريات مملة خاصة بالأعمال المختلفة والأماكن التي ذكرت فيها. على أن ذروة هذه القصة قد وضحت في بيانٍ جاء فيه: أن قرص الشمس المجنح لا بد أن يوضع في كل معبد في أنحاء مصر، ثم يستمر المتن في تفسير أن قرص الشمس هو «حور البحدتي» الذي له السيادة على الوجه القبلي والوجه البحري، وأنه هو الذي يهزم دائمًا العدو، وأنه هو الذي في اسمه قد نُقش الحي والميت، ثم ينتهي المتن بقطعة من السحر الخالص، وهي أن جعلًا مجنحًا منقوشًا يوضع على صدر الملك في يوم الشدة، وعندما تُتلَى التعويذة المناسبة تكون النتيجة أن الملك لن يستولي عليه الخوف، وأن أعداءه سيقضي عليهم مباشرة.

ومن ذلك يتضح أن هذا المتن بصورة عامة قد وُضِع تصميمه؛ ليؤكد ويبرهن على أحقية «حور البحدتي» في السيادة على مصر، وكذلك ليؤكد أنه في قدرته أن يحمي الملك كما هي الحال فعلًا.

ومما له معناه هنا أن كل الأسطورة قد أخذت صورة وثيقة تاريخية، وتبتدئ بتاريخ أسطوري: في سنة ٣٦٣ من حكم ملك الوجه القبلي والوجه البحري «رع–حور–أختي».

وهذا يبدو بجلاء كأحد الاستشهادات لسابقة تاريخية كانت أو خيالية، من تلك التي كان قد أُولِع بها المصريون، ومن ثَم يجوز لنا أن نقترح هنا أن هذا الجزء من العيد كان قد فُكر فيه؛ ليكون بمثابة تكملة للدراما المقدسة، وأنه يحتوي على تلاوة تاريخ انتصارات «حور» التي مثلت كذلك تحت ستار وثيقة تاريخية؛ لتبرهن على أحقيته في السيادة.

والجزء الأخير من هذا المتن متصل بوضوح بقربات تحتوي على ماء، وغزال، ووعل، وماشية من ذوات القرون الطويلة والقصيرة، وكل هذه القربات — كما هو معروف — ترمز لأعداء الملك والآلهة، ثم يستمر المتن بعد ذلك مباشرة في ذكر الفقرات الختامية

---

[٨١] J. E. A, 21. P. 26.

لأسطورة قرص الشمس المجنح، وذلك بتحضير التعويذة التي تُتلَى على الجُعَل المُجنَّح الذي وُضع حول رقبة الملك الذي أصبحت أعداؤه في الحال خبرًا بعد عين، على حسب أحد المبادئ الأساسية للسحر المصري؛ وذلك بمجرد التأكيد أنهم خائفون، ولا حول ولا قوة لهم، ويتبع ذلك بيان بأن الأعداء المهزومين قد أُرسِلوا إلى جهات العالم الأربع، وذلك ليكونوا سلالات مختلفة من بني الإنسان، وذلك بصرف النظر بطبيعة الحال عن المصريين، يضاف إلى ذلك ذكر حوادث أخرى عن حروب «حور» مع التَّوْرِيات في الألفاظ التي كان لا محيص عنها، والواقع أن المتن كله يظهر بأنه ملحق لأسطورة القرص المجنح، وغرضه الأساسي — على ما يظهر — هو إقامة شعيرة تعتبر فاصلة وسحرية حامية في نهاية الحفل.

الزواج المقدس

يعد الزواج المقدس[٨٢] وهو آخر الأعياد الكبيرة التي سنفحصها هنا من وجوه عدة، وهو أعظم هذه الأعياد من حيث التشويق والأهمية، وهذا العيد كان شعبيًّا في أصله إلى درجة عظيمة أكثر من الأعياد التي وصفناها فعلًا؛ وذلك لأن جزءًا كبيرًا من الأحفال كان يحدث خارج جدران المعبد كما كان — بدرجة مختلفة — له أثره ومكانته في نفوس كل شعب الوجه القبلي من «دندرة» حتى «الفنتين».

وكان هذا العيد يُحتَفل به في «إدفو» من أول يوم من الشهر القمري في الشهر الثالث من فصل الصيف (وهو الشهر الحادي عشر من السنة) وينتهي في اليوم الذي يبلغ فيه القمر التمام؛ أي إنه كان يمكث مدة خمسة عشر يومًا، وعلى أية حال كانت تبتدئ التجهيزات الأولية فعلًا قبل الاحتفال بأربعة عشر يومًا[٨٣] في درندة، وذلك عندما كانت الإلهة حتحور «تركب» سفينتها العظيمة ويسير بها موكبها في عرض النهر، وبعد ذلك كانت ترسو عند «إدفو»، وهناك كانت تدق أوتادها في وسط أسطول عظيم من القوارب التي كانت تحمل الكهنة والأتقياء من عبادها. هذا، وكان الموكب يقف في طريقه عند طيبة حيث كانت تزور الإلهة «موت» ربة «أشرو» و«كومير» الواقعة بين «أسنا»

---

[٨٢] Edfu V, 29, 9–32, 16; 124, 8–129, 11; 130, 17–136, 4; 34, 2–35, 3.

[٨٣] Edfu VII, 26, 9–12.

و«هيراكونبوليس» قبالة الكاب الحالية، ومن الجائز أنها كانت تقف في أماكن أخرى — وإن كان ذلك لم يذكر — ومن السهل علينا أن نتخيل أنه عندما كان الموكب الوضَّاء يتقدم ببطء فإن ذلك كان يثير أحساسيس النظارة فيرقصون ويمرحون برؤيته، وهم وقوف على شاطئ النهر، ولا نزاع في أن مدة العيد كانت فترة سلام وأفراح، فكان سكان إدفو في ابتهاج يصيحون سرورًا حتى عنان السماء ... وماء الفيضان العظيم قد سكن ثائره، والنيل يفرح مهدئًا أولئك الذين في الماء في حين أن التماسيح قد هدأت كلها، ولم يكن في مقدور واحد منها أن يَثِب من الماء.[٨٤]

وكان الموكب يصل عند المرسى الواقعة شمال إدفو في الساعة الثامنة نهارًا في يوم القمر الجديد، وهناك قابل حتحور «حور بحدت» وأتباعه ووفد من «الفنتين»، وبعد ذلك نزلت «حتحور» من سفينتها، وسارت مع «حور» إلى معبد قريب، وهناك أقيمت أحفال مختلفة أهمها حفل فتح الفم، وتقديم قربات من باكورة فاكهة الحقل، وتقديم الحقل، وحفل «سوق العجول» وتقديم رمز الصدق وقربات طعام عدة، وبعد ذلك ركب الآلهة سفنهم، ثم أقلعوا مع عمدة «كومير» و«هيراكنبوليس» و«الفنتين» وجم غفير من الحجاج إلى «إدفو» في قناة على ما يظن، ودخلوا في النيل عند «أتبو» إلى مكان على مقربة جدًّا من المعبد، وفي أثناء الطريق وقف الموكب عند مكان يدعى «تل جب» حيث أقيمت أحفال أخرى تشمل حفل «فتح فم» آخر، وتقديم قربات محروقة، ثم استأنف الموكب طريقه، وفي النهاية وصلت القوارب إلى «إدفو»، وعندئذ دخل «حور» وزوجه حرم المعبد من الباب الشرقي في الحرم المصنوع في الجدار المبني باللبنات، وبذلك اجتازوا الحرم، ودخلوا الردهة الأمامية من الباب الواقع في ركنه الجنوبي الشرقي B، وبهذا تمت أحفال اليوم، وقد كان هذا هو الزواج الحقيقي، وقد أمضى «حور» و«حتحور» ليلة زواجهما في المحراب.

وفي صباح اليوم التالي — وهو اليوم الثاني من الشهر القمري — حدث تغيُّر يدل على دهاء؛ فلم يظهر أي تأكيد على موضوع الزواج الذي لم يأت ذكره، بل نقرأ بدلًا من ذلك عن «عيد بحدت» مدة أربعة عشر يومًا يبتدئ في هذا اليوم، وقد تألف الموكب، وكان على رأسه خمس الحراب المقدسة، وكل الوفود الزائرين وكهنة، وبلا نزاع كان معظم أهل البلد يتبعونهم، وسلك الكل طريقهم من المعبد مجتازين الصحراء حتى أرض دفن «بحدت» التي تقع على مسافة إلى الغرب أو الجنوب الغربي، وهناك وقفوا عند

---

[٨٤] Edfu V, 30, 3–6.

المعبد العالي فضلًا عن قربات الخبز والجعة والثيران والطيور، وكل شيء طيب، وضحايا محروقة كثيرة، وإنشاد الأناشيد لتقديم القربات السائلة للأرواح المقدسة، واحتفال دوس القبر.

وبعد ذلك اندفع كل الناس لإقامة الأفراح لمدة من الزمن، وبعد ذلك غادر الموكب المعبد العالي، وانطلق في طريقه إلى قاعة «بيت الحياة» وهو مبنى لا يُعرَف موقعه، ولكن يُحتَمل أنه كان من المباني التابعة للمعبد الرئيسي، وهنا أقيمت سلسلة شعائر غاية في التعقيد، وأهم مفرداتها هي ذبح تيس أحمر ووعل أحمر (اللون الأحمر يدل على الشر، وهو لون يجلب سوء الحظ؛ لأنه لون الإله ست) وكميات غزيرة من القربات من كل وصف، وكذلك أطلق أربع أوزات إلى جهات العالم الأربع، وكل واحدة منها تحمل الرسالة التالية لآلهة الجهات الأربع المختصة لكل:

> إن ملك الوجه القبلي والوجه البحري «حور البحدتى» رب السماء قد استولى لنفسه على التاج الأبيض، وتسلم التاج الأحمر.

وبعد ذلك أخذ كاهن يدعى «ابنه المحبوب» قوسًا وفوقه نحو الجنوب والشمال والغرب والشرق.

هذا، ونجد أن طبيعة الشعائر التي تلت قد تغيرت، وأصبحت أكثر مقاومة للمرض؛ فقد أُحضِر فرس بحر مصنوع من الشمع الأحمر منقوش عليه أسماء الأعداء، ثم دونت أسماء أعداء الملك على إضمامة من البردي، وصُنِع فرس بحر من الرمل، وعمل لها كل شيء مؤذٍ، وبعد ذلك أُدِّيَت أحفال دوس السمك، ودوس عدو الملك، ووطئه بالأقدام، والطعن بالسيف، وهذه الأحفال قد تُبِعت بعد ذلك بترجمة فسَّرت بوضوح أن كل هذه كانت رموزًا للأعداء التي قضى عليها بهذه الكيفية، وفي هذا الوقت كان المساء قد حلَّ، وبعد الشراب في الحضرة الإلهية انسحبت الآلهة، واستسلم الناس لليلة طافحة بالمسرات حول المعبد.[٨٥]

والأحفال التي أقيمت من اليوم الثاني حتى اليوم الرابع من «عيد بحدت» كانت على وجه التقريب مماثلة لأحفال اليوم الأول عدا أنه في كل من الأحفال الرئيسية التي كانت

---

[٨٥] Edfu V, 134, 2.

تقام عند المعبد العالي كانت تقع عند تلٍّ مختلف، ومن اليوم الخامس حتى اليوم الثالث عشر من أيام العيد نجد أن التفاصيل عنها ضئيلة للغاية، ولكن بقدر ما يمكن الإنسان أن يجمعه من معلومات كانت الأحفال تقام على نطاق ضيق جدًّا، فلم يظهر هناك أي موكب للجبَّانة،[٨٦] وكل الأحفال الدينية يظهر أنها كانت تؤدى كلها داخل المعبد، وأخيرًا في يوم تمام القمر، وهو اليوم الرابع عشر من عيد «بحدت» كان الوقت قد حل لرجوع «حتحور» إلى «دندرة».

وقد سار في ركابها الناس بنفس الأبهة التي وصلت بها حتى معبد أو مقصورة «أتبو» وهناك أقيم لها احتفال وداع عظيم فعُمِل لها احتفال «فتح الفم» وقدمت القربات، وسار نواتي مركب حور أمامها، وأدى حفل دوس القبر مرة أخرى، وتُلِيت عبادة الخطاف المقدس، وأخيرًا ركبت «حتحور» سفينتها، وأقلعت بها تتهادى نحو الشمال إلى «دندرة».

والوصف السابق يعد أبسط مجمل لأحفال هذا العيد التي تُعتَبر غاية في التعقيد، وهي التي ذكرتها لنا المتون بقليل من التفصيلات، وعلى أية حال ظهر عدد من النقاط غاية في الأهمية؛ فمن الواضح أن هذا العيد لم يكن وحدة قائمة بذاتها، كما أن أقسامه الواضحة تنحصر في قسمين رئيسيين؛ وهما الزواج المقدس الذي حدث في اليوم الأول، وبعبارة أدق الذي حدث بعد ظهر اليوم الأول وفي المساء من نفس اليوم، وعيد بحدت الذي جاء على أعقابه ينقسم كذلك قسمين؛ الأول: مكث أربعة أيام، والثاني: عشرة أيام.

ولكن هناك أكثر من ذلك؛ وذلك أن الميزة البارزة في الأحفال هي التأكيد على إبراز الأحفال التي يحتويها، وكل ما هو معروف الآن في الواقع هو عبارة عن شعائر خاصة بعيد الحصاد مثل شعيرة تقديم باكورة الفاكهة، وقربات الحقل، وسوق العجول، ودوس القبر، وطلق الأوز إلى الجهات الأربع، وكلها مميزات معروفة تمامًا لعيد الحصاد، وحتى دوس العدو تحت الأقدام موجود بوضوح، وهو ممثل في نثر الحَب ودوسه تحت الأقدام عند عيد الحصاد غير أنه تظهر نقطة غريبة؛ وذلك أنه عندما نعتبر عيد الحصاد بأنه احتفال يقع مباشرة قبل حصد المحصول، وأن تاريخه التقليدي هو الشهر الأول من فصل الصيف،[٨٧] وحتى عندما تكون السنة والتقويم متفقين معًا فإن الشهر الثالث من

[٨٦] J. E. A., 35, 98–112; 36, 63–81.

[٨٧] Gauthier. Les fêtse du dieu Min; Frankfort, kingships and the Gods. PP. 188–90.

فصل الصيف يكون قد اشتمل شهر مايو ويونيو عندنا، وذلك بعد الحصاد بكثير؛ لأن الحصاد يحدث في شهر أبريل في الوجه القبلي، ولكن في الوقت الذي كان قد دوِّن فيه متن العيد الذي نحن بصدده وهو الشهر الثالث من فصل الصيف؛ قد جاء متأخرًا في السنة.

ويحتمل أن ذلك كان من يوليو لأغسطس، وهما شهران يأتيان بعد الحصاد والدرس في مصر، وذلك عندما يكون النيل في فيضانه فعلًا، وليس هناك من شك أن الزواج المقدس في «إدفو» كان في الأصل عيد حصاد، وهو في الحقيقة عيد الشهر الأول من الصيف، ولكنه عيد حصاد قد تمَّ في غير فصله المناسب (بسبب عدم الحساب بالسنة الشمسية المضبوطة التي تحتوي على $\frac{1}{4}$٣٦٥ يومًا).

ولكن هناك ما هو أكثر من ذلك؛ فمن المعلوم جيدًا أن أعياد الحصاد هذه كانت قد أصبحت بسرعة أوزيرية الصبغة، وبذلك أصبحت أعيادًا جنائزية، وهذا واضح بجلاء في إدفو، ونعلم أن الزيارة للمعبد العلوي كانت لزيارة جبَّانة مقدسة؛ حيث دفنت الأرواح المقدسة التي كانت تقدم لها القربات أثناء انعقاد العيد، وهذه الأرواح المقدسة كانت من المسلَّم به هي الآلهة الأجداد لمدينة إدفو، ولدينا سلسلة[٨٨] طويلة من المتون خاصة جميعها بهؤلاء الآلهة، وعلاقتهم بهذا العيد الخاص، فهي تحدثنا بأنهم كانوا تسعة آلهة، ثم تذكر أسماءهم، وتحدثنا أن الزيارة السنوية التي كانت تقوم بها حتحور للإله حور قد جلبت لهؤلاء الآلهة حياة ونورًا.

وعلى ذلك فمن البدهي أن هذا الزواج المقدس كان عيدًا مركبًا جدًّا، فالزواج نفسه يعد جزءًا وثيق الصلة بالحصاد، وذلك لأنه يضمن الخصب وكثرة المحصول، وفي «إدفو» نجد أنه قد اتَّحد دون مِراء مع شعائر الحصاد، ومع عبادة الأجداد، وأنه أصبح المثال المصري الكامل للنموذج المثالي لعالم الإنثروبولوجيا للزواج المقدس المرتبط بشعائر الحصاد، وعبادة الأجداد.

والآن بعد أن ألقينا نظرة عامة سريعة على النشاط الذي يحدث في المعبد خلال سنة كاملة، فقد أصبح من الطبيعي بعد ذلك أن نسائل أنفسنا: كيف كان مسلك رجال الدين أمام هذا النشاط المتعدد النواحي؟ وبأية روح كانوا يقومون بأداء واجباتهم؟ والواقع

[٨٨] Edfu I, 173, 3–174; 382, 4–15, II, 51, 352, 8; IV, 102, 17–103, 13; 239, 13–241; V, 61, 17–63; 160, 12; 162, 6; VII, I, 118, 4–119, 8; 279, 16–281, 2; III, 323, 5–12.

أن نقوش المعبد المصري لم تكن قط شخصية فلم تُحدِّثنا قط في عبارات مدونة عن شعور الكهنة ورد الفعل عندهم، ولكن لدينا على بعض أبواب المعبد خطابات موجهة من الكهنة للداخلين في المعبد، وهي تلقي بعض الضوء على السؤال السابق.

وقد جمع كل هذه الخطابات الأثري «الليو» وترجمها،[٨٩] وسنورد منها هنا اقتباسين: فعلى أحد الأبواب مثلًا نقرأ:

> إن كل فرد يدخل من هذا الباب عليه أن يحذر من أن يدخل نجسًا؛ لأن الإله يحب الطهارة أكثر من ملايين الممتلكات، وأكثر من مئات الآلاف من الذهب النضار. فطعامه الصدق، وإنه راضٍ به، وقلبه مسرور بالطهارة العظيمة.[٩٠]

وفي متن آخر يقول الكاهن:

> ولوا وجوهكم شطر هذا المعبد الذي وضعكم فيه جلالته، فهو يسيح في السموات في حين أنه يرى ما يجري فيه، وإنه لمسرور بذلك على حسب كماله. لا تدخلوه مذنبين، ولا تدخلوا فيه أنجاسًا، ولا تنطقوا مَيْنًا في بيته، ولا تطمعوا في أشياء، ولا تسبوا، ولا تقْبَلوا رشوة، ولا تكونوا متحيزين بين رجل فقير ورجل عظيم، ولا تُخْسِروا الميزان والمِكْيال، ولا تلحقوا أضرارًا بحاجيات عين رع (القربان المقدسة) ولا تفشوا أسرار ما رأيتم في المعبد، ولا تمدوا أيديكم إلى أمتعة بيته، ولا تخاطروا بالاستيلاء على متاعه. احذروا فوق ذلك من قولكم غبيا! في القلب، وذلك لأن الإنسان يعيش على فيض الآلهة، والفيض هو ما يسميه الإنسان ما يأتي من مائدة القربان بعد إعادة القربان الإلهية التي كانت عليها (أي على موائد القربان). تأمل فإنه (أي الإله) سواء يسبح في السموات، أو يجتاز العالم السفلي فإن عيناه مثبتتان بقوة على ممتلكاته في أماكنها الحقة.[٩١]

---

[٨٩] راجع Alliot Culte I, 181 95; Marriette Dend. I, 15 e; De Morgan Ombos II 245 No. 878.
ولدينا متون مماثلة في دندرة، وكوم امبو.

[٩٠] Edfu VI, 349, 4–6.

[٩١] Edfu III, 360, 361, 5.

على أنه في استطاعة الرجل الساخر الهازئ بما أوردنا هنا أن يعلق بقوله إذا كانت أمثال هذه التحذيرات ضرورية، فإن هؤلاء الكهنة لا بد أنهم كانوا قد سقطوا في هوة سحيقة بعيدة عن المثل العليا، ولكن على أية حال لا بد من الاعتراف هنا بأنه كان يوجد كهنة أشرار بعيدون عن سبيل الفضيلة، ومع ذلك فأهم من مثل هذه الاعتبارات هو وجود المثل الأعلى فيها، وهذه المتون تضع أمام الكهنة هدفًا ومثالًا أعلى، والواقع لن نكون قد حِدْنا عن جادة الصواب إذ سلَّمنا أنه مع ذلك كان يوجد كهنة قد سعوا بكل إخلاص وتواضع في أن يسلكوا هذا السبيل السوي الذي رسموه.

أما عن الشعب وسلوكه بوجه عام فليس لدينا ما نتحدث به عنه إلا القليل. فمن الواضح أن الأغلبية العظمى من دهماء الناس لم يكن لهم اتصال مباشر بالصلوات اليومية التي كانت تقام في المعبد، أو بالكثير من مختلف العبادات. يضاف إلى ذلك أن الشعب لم يشترك في إقامة أية شعائر خاصة أو مقدسة.

وكل ما نعرفه هو أنه في بعض المناسبات، كعيد تتويج الصقر المقدس وعيد النصر، نرى أنه من المعقول أن نسلِّم أن بعض أشراف المديريات، ويُحتَمل كذلك أعضاء من جماعات المعبد غير طائفة الكهنة كان يُسْمح لهم بالدخول في حرم المعبد، ومن الجائز أنه كان يصرَّح لهم بالدخول في ردهة المعبد الأمامية، ومن ثَم نفهم أنه لم يكن مسموحًا لأي فرد من غير الكهنة بالتوغل في داخل المعبد أكثر من ذلك.

أما رجل الشارع العادي فكان عليه أن يقنع بمعرفة أن هذه الشعائر السرية كانت تقام في داخل المعبد لمنفعته ومصلحته العظمى وحسب، وعلى أية حال كان في مقدوره أن يسهم في الأعياد والمواكب المطبوعة بالطابع الشعبي، فيتمتع بالوجبات المجانية التي كانت تقدم له، وينعم بالأفراح التي كانت دائمًا تصحب مثل هذه الأعياد.

وتدل شواهد الأحوال على أن الشعب كان يتمتع بمثل هذه الملاذ بشهوة، فقد وجدنا ذلك مسجلًا على جدران المعبد أكثر من مرة، والاقتباس التالي يضع أمامنا وصفًا للأفراح العامة في أحد الأعياد، ويعتبر نموذجًا لما كان يجري في تلك الفترة من تاريخ البلاد:[٩٢]

> إنه يقف قبالة مدينته، ويرى معبده، وقد أثرى بكل مئونة، ومدينته في عيد وقلبه متهلل بالفرح، وكل أزقتها في سرور … مُؤَنها يفوق عددها عدد رمال

[٩٢] Edfu IV, 3, 1–8.

الشاطئ؛ فكل أنواع الخير فيها بكثرة مثل عدد حبات الرمل، والثيران ذوات القرن الطويل وذوات القرن القصير أكثر عددًا من أرجال الجراد، وفيها بِركة طير لأجل الطيور، والغزال والوضيحى والوعل وما شابهها يبلغ دخانها عنان السماء (أي الدخان المنبعث من طهيها)، وعين حور الخضراء (كناية عن النبيذ) تجري في ربوعها كالفيضان عندما ينبع من كهفيه (عند أسوان)، وبخور المر على موقده مع البخور تُشَم رائحته على بعد ميل، وإنها (أي المدينة) موشاة بالقاشاني المتلألئ بالنطرون، وهي مكللة بالأزهار والأعشاب النضرة، في حين أن الكهنة خدمة الإله والكهنة آباء الآلهة كانوا مرتدين ملابس جميلة من الكتان، وحاشية الملك قد ارتدوا شعاراتهم، وشبانها سكارى ومواطنوها مبتهجون، وشباتها العذارى يروق النظر إليهن، والفرح شامل، والأعياد في كل الربوع، ولا نوم فيها حتى مطلع الفجر.

ولا يجب علينا — على أية حال — أن نفكر في أن اتصال الرجل العادي بربه ومعبده كان اتصالًا الغرض منه الخلاعة والانغماس في اللذات؛ وذلك لأنه على الرغم من أنه لم يكن مسموحًا له دخول المعبد، فإن المعبد والصلوات التي كانت تقام فيه وإلهه المعبود كانت كلها أمورًا حقيقية في نظر الكثير، كما كانت ضرورية لهم.

فلدينا سلسلة متون منقوشة على البوابة الجنوبية لحرم المعبد تبرهن لنا على أن هذا الاعتقاد في الإله كان موجودًا فعلًا، وأن مؤنًا كانت تُصنَع لحاجة الناس لإقامة الصلاة، ولتقديم قرباتهم. ففي هذه المتون نقرأ أنه مكان الوقوف لأولئك الذين يملكون والذين لا يملكون (ثروة) ليتعبدوا طلبًا للحياة، ولأجل رب الحياة، أو المكان لسماع ظلامات كل المتظلمين، لأجل أن يفصل بين الصدق والكذب، وأنه المكان العظيم لحماية الفقراء، ولتخليصهم من الأقوياء،[٩٣] ويقول كذلك: إنه المكان الذي في خارجه تقدَّم القربات في كل الأزمان، وتحتوي على كل محصول للخدم.

والمتون التي اقتبسناها هنا تبرهن على أنه خارج البوابة الجنوبية مباشرة من حرم المعبد كان في استطاعة عامة الشعب أن يأتوا إلى هناك في كل وقت للصلاة وللعبادة، ولتقديم ظلاماتهم، وليلتمسوا العدالة، وليضعوا قرباتهم المتواضعة أمام الإله.[٩٤] فالمعبد

[٩٣] Edfu VIII, 162, 16–17.

[٩٤] Edfu VIII. 163. 1–2.

إذن كان وحدة حية، وكان النشاط المنوع الذي يُجرَى في داخل جدرانه يُعمَل للصالح العام، ولم يكن رجل الشارع أعمى بالنسبة لإلهه، ولكن كان ينظر إليه بطريقته المتواضعة بأنه السند والملاذ في وقت الشدة والرجاء.[٩٥]

هذه نظرة عابرة على ما جاء في معبد «إدفو» من نقوش دينية، وبخاصة عن عبادة الإله «حور» رب معبد «إدفو»، وكان لا بد من وضع هذا المختصر لأولئك الذين يريدون دراسة عهد البطالمة من الوجهة المصرية البحتة، وهو المرمى الأصلي، والهدف الأساسي في كتابتنا لتاريخ مصر في عهد البطالمة.

ولا نزاع في أن الأجانب الذين كانوا يقطنون وادي النيل في تلك المدة كانوا لا يعرفون شيئًا عما كان يجري في داخل المعابد المصرية، كما أن الكهنة — على الأرجح — كانوا لا يسمحون لأحد من هؤلاء الأجانب بالدخول في معابدهم، ولا أدل على ذلك من أن المصريين أنفسهم من غير رجال الدين لم يكن يُسمَح لهم بالدخول في أعماق المعبد، أو حتى الاشتراك في إقامة الصلوات هناك، وقد نوهنا عن ذلك فيما سبق، ومن أجل ذلك لن نكون قد حِدنا عن جادة الصواب إذا قلنا إن العبادات التي كانت تقام داخل المعبد كانت مصرية بحتة لم تشبها أية شائبة أجنبية، وعلى الرغم من أن النقوش تحدثنا أن الملك كان هو الكاهن الأكبر الذي كان عليه أن يقوم بتأدية الشعائر الدينية فإن من المحتمل جدًّا أنه كان لا يحضرها قط أو يفهم منها كلمة واحدة؛ وكل ما في الأمر أنه كان رمزًا للفرعون الذي لم يكن بد من وجوده في مصر حسب السُّنة التي اتبعت منذ أقدم العهود، وكان الملك على أية حال يمثل على جدران المعبد وهو يقدم القرابين، ويرأس الأحفال، ومع ذلك فإنه من الجائز جدًّا أنه لم يره طوال حياته، ولدينا في معبد إدفو عدة مناظر مُثِّل فيها بطليموس الثالث وهو يقوم ببعض العبادات، وتأدية شعائر دينية نذكر منها ما يأتي:

(١) قاعة العُمُد الداخلية: يُشاهد في المدخل من الداخل بطليموس الرابع أمام بطليموس الثالث «إيرجيتيس» و«برنيكي الثانية» زوجه، وذلك في الصف الثالث من الجدار الغربي (١١٠–١١٤).[٩٦]

[٩٥] Edfu VIII, 164, 11.

[٩٦] انظر تصميم معبد إدفو شكل ٤-١.

(٢) الدهليز الخارجي: الحجرة الخامسة (١٦٥): يُشاهد الملك «بطليموس الرابع» أمام بطليموس الثالث المؤلَّه، ومعه «أرسنوي» (؟) وثالوث «إدفو» وهو يقدم لهم قربانًا، والمنظر على الجدار الشمالي من الحجرة.

(٣) على جدران المقصورة رقم ٩ من الداخل: يُشاهد «بطليموس الرابع» و«أرسنوي الثالثة» يقدمان القربان لكل من «بطليموس الثالث» و«برنيكي الثانية» وذلك على الجدار الغربي (رقم ٢٠٠).

(٤) المحراب: وكذلك في المحراب يُشاهد «بطليموس الرابع» أمام «بطليموس الثالث» و«برنيكي».[٩٧]

(٥) خارج المعبد الأصلي أي على جدار الدهليز من الخارج: هناك متن مؤلف من سطرين ذُكِر فيهما تأسيس المعبد على يد «بطليموس الثالث إيرجيتيس» الأول.[٩٨]

(٦) الواجهة الخارجية — الجدار الغربي: نقرأ على جدران سور المعبد من الخارج على الجدار الغربي تواريخ ذكرها «بطليموس الحادي عشر» عن بناء المعبد وتزيينه في عهد كل من «بطليموس» الثالث والرابع والخامس والسادس ... إلخ.

تعليق: إن أهم ما يلفت النظر في المناظر التي تركها لنا «بطليموس الثالث» في نقوش معبد «إدفو» هو أن اسمه لم يُذكَر فيها بوصفه هو الواضع لها على الرغم من أنه هو الذي أقام البناء الأصلي، ومن ثَم نستنبط أن المعبد لم يُنقَش، ولم يزين في عهده، غير أن ملوك البطالمة الذين أتَوا من بعده لم ينسوا له فضله فذكروا أعماله كما ألَّهوه في أعين الشعب المصري هو وزوجته «برنيكي» وبدهي أن كل ذلك من عمل الكهنة المصريين، ويحق لهم أن يفعلو ذلك؛ فقد كان من أعظم ملوك البطالمة الذين خلَّفوا وراءهم آثارًا ضخمة عديدة في طول البلاد وعرضها، وهي التي سنستعرضها بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا، ويخيَّل إليَّ أن ملوك البطالمة قد أخذوا درسًا مفيدًا من ملوك الأسرة الثلاثين الذين كانوا يتبارون في إقامة المباني الدينية في عهدهم؛ وذلك بعد أن علموا تمام العلم

[٩٧] Portr and Moss VI. P. 146.

[٩٨] Porter and Moss Ibid. P. 157.

أنه لن يستقر عرش الملك لواحد منهم إلا إذا أقام المباني الدينية الضخمة وأرضى الكهنة بكل ما لديه من قوة وسلطان، وإلا كان مصيره الخلع أو الطرد، وقد تحدثنا عن هذا الموضوع بشيء من التفصيل في الجزء الثالث عشر من هذه الموسوعة (راجع الجزء الثالث عشر).

الفصل الخامس

آثار «بطليموس الثالث» في الوجه القبلي

(١) الكرنك

معبد «خنسو»

أقام «بطليموس الثالث» مدخل بوابة أمامية قائمًا بمفرده الآن أمام معبد «خنسو»، وقد كان المدخل في الأصل متصلًا بجدران تمتد من اليمين إلى اليسار من هذا المدخل وتحيط بالمعبد، ولكن تلك الجدران تهدمت تمامًا، ويُشاهد على جدران مدخل البوابة «بطليموس الثالث» يقدم القربان لأجداده ولآلهة آخرين (راجع التصميم):

الواجهة الخارجية: يشاهد على قائمة البوابة الأولى خمسة مناظر؛ فيرى في المنظر الثاني والرابع «بطليموس الثالث» يتعبد إلى ثلاثة أزواج من الآلهة، وفي الصف الثالث نقرأ ألقاب الإلهة «رعت تاوي» (إلهة الشمس للأرضين، وهو اسم لزوجة الإله «منتو»)، وفي المنظر الخامس نقرأ متنًا خاصًّا بالإله «آمون رع» وزوجه الإلهة «موت».[١]

وعلى القائمة الثانية للبوابة نُقش كذلك خمسة مناظر؛ فيشاهد في المنظر الثالث «بطليموس» يتعبد للإله «خنسو» والإلهة «حتحور»، وفي المنظر الخامس يقدم «بطليموس» رمز حقل للإله «آمون رع» وللإله «خنسو» ابنه.

[١] Porter and Moss, Idid. P. 75.

وعلى إفريز المدخل نشاهد الإله القمر يتعبد إليه سلسلة طويلة من الآلهة على كلا الجانبين، وينتهي المنظر بوالدي «بطليموس الثالث» وأجداده، وها هم والداه وأجداده كما ذكرهم الأثري «زيته»[٢] على الوجه الآتي:

(أ) الملك الوالد الإلهي «بطليموس» الإلهان الأخوان.
(ب) ابنة آمون «أرسنوي».
(ج) الوالد المؤله «بطليموس».
(د) الأم الإلهية «برنيكي».

وعلى خارجة المدخل نشاهد أربعة مناظر يقدم فيها «بطليموس الثالث» قربانًا، ففي المنظر الأول من جهة الغرب يُرى «بطليموس» وزوجه «برنيكي» يقدمان نبيذًا للإلهين «خنسو» و«حتحور».

ويوجد خلف الملكة «برنيكي» متن:[٣]

> ملك الوجه القبلي والوجه البحري حاكما مصر، ومن تورد لهما الأرضين و«آسيا» الجزية، ومن يحيي من جديد ...
> ابنه «بطليموس» عاش أبديًّا محبوب بتاح، وربة الأرضين «برنيكي» «الإلهان المحسنان».

وفي المنظر الرابع من جهة الشرق يُشاهد «بطليموس» و«برنيكي» أمام «خنسو» و«حتحور».

المدخل: وفي المدخل نشاهد كذلك خمسة مناظر، يُرى فيها «بطليموس الثالث» مع أربع بقرات أمام الإله «مين»، وفي المنظر الرابع يقدم الملك للإله «أوزير» والإلهة «إبت» (إلهة الأقصر) القربان.

---

[٢] Urk II, 155 (31) B.

[٣] Urk II, 157 (32) B.



شكل ٥-١: مدخل بوابة بطليموس الثالث إيرجيتيس بالكرنك.

أما في المنظر الخامس فقد مثل فيه الملك مع بقرتين أمام الإله «خنسو». نقرأ هنا ألقاب «بطليموس الثالث».

نشاهد خمسة مناظر: ففي المنظر الأعلى منها مثل «بطليموس» يصب القربات، ويطلق البخور أمام آلهة العناصر الأربعة، وفي المنظر الثالث نشاهد الملك، وبيده آنية (حس) أمام كل من «أوزير» و«إزيس»، وفي المنظر الرابع يُرى الإله «خنسو» و«بطليموس» و«برنيكي» وجاء في النقش الذي خلف الملكة المتن التالي:[٤] ملكا الوجه القبلي والوجه البحري خالقا الأقطار، عظيما التماثيل خيِّرا القلب لم يُخلَق مثيلهما منذ عهد الآلهة حتى اليوم، حاميا الآلهة، وحارسا القطرين، وحاميا مصر، ومن تبتهج الآلهة والإلهات عندما يرون جلالتهما يشرقان كإلهين على عرشيهما بمثابة «حور» (الذي تمدح الآلهة والإلهات محياه) و«حورت» (وابنة الحاكمة التي وضعتها حاكمة).

وفي المنظر الخامس يُرى الملك، ومعه طيور أمام الإله «خنسو».

نُقِشت خمسة مناظر: يُشاهد في الرابع منها «بطليموس» يذبح أجنبيًّا أمام «أوزير» و«إزيس» كما يُشاهد في المنظر الخامس يقدم قربانًا لخنسو.

يُشاهد خمسة مناظر يُرى في المنظر الثالث «بطليموس الثالث» أمام «أوزير» و«نفتيس»، والرابع نشاهده أمام آبائه، وفي المنظر الخامس يُرى «بطليموس» ومعه صنَّاجة أمام الإله «خنسو».

الواجهة الداخلية: خمسة مناظر: يُشاهد «بطليموس» في الثالث والرابع منها واقفًا أمام آلهة من بينها «حتحور» وعلى الجزء الأسفل من الجدار نقرأ متن إهداء، وزينة في هيئة صقر.

خمسة مناظر: في المنظر الأعلى يُرى الملك أمام الإله «تحوت» والإلهة «نحم-عاوت» زوجه.

أما قاعدة هذا الجزء فنقش عليها متن إهداء، وزخرفة مؤلفة من أصلال.

تعليق: إذا تأملنا المناظر التي تركها لنا «بطليموس الثالث» على جدران مبناه هذا لاتَّضح لنا أنه لم يتعبد فيها للإله «خنسو» صاحب المعبد وحسب، بل كذلك كان يتعبد للإله الأعظم والد الإله «خنسو» وهو الإله «آمون» وكذلك لأمه «موت»، وهؤلاء يؤلفون الثالوث الأعظم في معبد الكرنك.

[٤] Urk II, 156–7 (32) A.

يضاف إلى ذلك أنه يتعبد للإله «تحوت» إله العلم والمواقيت، ولزوجه الإلهة «نحم-عاوت»، وكذلك كان يتعبد للإله «أوزير» وزوجه «إزيس» وأخته «نفتيس»، وأخيرًا وليس آخرًا نشاهده يتعبد لآبائه وأجداده، ولكن عنايته كانت موجهة بطبيعة الحال لعبادة الإله «خنسو»، فنجده تارة يرقص أمامه بالصناجة، وتارة أخرى يقدم له آنية الشراب. هذا ويلفت النظر أن «بطليموس» يتعبد للإلهة «أبت» معبودة الأقصر.[٥]

النجع الفوقاني

أقيم في هذه البقعة معبد بطلمي غير أنه لم يبق منه شيء يذكر إلا بعض قطع نُقِش عليها اسم «بطليموس الثالث» «إيرجيتيس الأول»، ويقول لبسيوس عن هذا المعبد:

> ويقع هذا المعبد خلف معبد الأقصر الكبير في الجهة الشرقية من بوابة نقطانب في قرية النجع الفوقاني، وهو مقام من الحجر الرملي، وقد نقشت على الأحجار التي تبقت منه كل أسماء «بطليموس» وكذلك وُجِد صفٌّ من آلهة النيل تحضر الهدايا.
>
> وهاك متن مما أورده «لبسيوس»:
>
> «حور» الذي مجَّد الآلهة والإلهات وجهه عندما استولى على ملكه مع والده، (الممثل) لبنتي، والشجاع، والحامي للآلهة … ومصر (تامرى) «حور» الذهبي عظيم القوة، ومن يعمل كل الخيرات للأعياد الثلاثينية للإله «بتاح تنن» مثل الملك «رع» بوصفه ملك الوجه القبلي والوجه البحري (الإلهان الأخوان الوارثان المنتخب من «رع» والحياة القوية لآمون) ابن «رع» (بطليموس عاش أبديًّا محبوب بتاح).[٦]

---

[٥] Porter and Moss, vol. II. P. 74–77.

[٦] Porter and Moss II. P. 89; L.D.T. III. P. 38, 40.

معبد آمون[٧]

البوابة الخامسة: أقامها «بطليموس الثالث»

البوابة السادسة: المدخل يُشاهد على هذه البوابة أربعة صفوف يُرى فيها «بطليموس الثالث» أمام آلهة؛ ففي الصف الأعلى يُرى وهو يقدم القربان أمام «أمحوتب» والإله بتاح رب العدالة جميل الوجه ورب طيبة.[٨]

معبد الإلهة «موت»

جُدِّد مدخل معبد الإلهة «موت» في عهد البطالمة، ويُشاهد طغراء الملك «بطليموس الثالث» عليه: ابن «رع» (بطليموس عاش أبديًّا محبوب بتاح).[٩]

معبد «منتو»

أقام مدخل بوابة هذا المعبد «بطليموس الثالث» و«بطليموس الرابع».

ويُشاهد على الواجهة الخارجية لهذا المدخل في الصف الثالث من النقوش «بطليموس الثالث» ومعه الصنَّاجة أمام الإلهة «موت»، وفي الصف الرابع نقرأ متنًا «لبطليموس الثالث» يقدم رمز الحقل لآمون «رع».

وعلى المدخل في الصف الثالث من النقوش يُرى «بطليموس» وزوجه «برنيكي» أمام «خنسو-تحوت» (أي إله القمر في صورة «تحوت»).

ويشاهد «بطليموس الثالث» في الصفين الأول والثاني مع الأعداء أمام الإله «مين» ويُشاهد وهو يطعن بحربته الإله «ست» إله الشر أمام الإله «سوكاري»، وفي الصف الثالث يُشاهد «بطليموس» أمام «حور» الطفل و«مين» و«إزيس»؛ وفي الصف الأسفل يُرى «بطليموس» أمام «منتو» إله الحرب.

---

[٧] .Porter and Moss II. P. 67

[٨] .L.D.T. III. P. 6; Porter and Moss III. P. 67–8

[٩] .A.S. XXIII. P. 135

وعلى الواجهة الداخلية يُرى «بطليموس الثالث» في الصف الرابع أمام الإله «آمون» وزوجه الإلهة «موت».

(٢) قفط

يوجد في «قفط» معبد كبير أقيم منذ الدولة الوسطى، وأعيد بناؤه في عهد البطالمة.

وقد وُجِدت في خرائب هذا المعبد قطعة من ظهر تمثال باسم «بطليموس الثالث» وهي محفوظة الآن بمتحف «مانشستر» برقم ١٧٥٢.

(٣) المدمود

معبد المدمود

أقام البطالمة — ومن بعدهم الرومان — معبدًا على أنقاض معبد الإله «منتو» القديم الذي لا تزال أنقاضه موجودة بمدينة «المدمود»، وقد أقام «بطليموس الثالث» معبدًا في هذه الجهة، وقد عُثِر على ودائع الأساس في هذا المعبد باسم هذا الملك. هذا ووجد اسمه كذلك على قائمة باب،[١٠] وكذلك وُجدت قطع أخرى أعيد استعمالها في مبانٍ متأخرة من العهد الروماني، هذا بالإضافة إلى مائدة قربان نُقِش عليها اسمه.[١١]

(٤) أرمنت

يظهر أن «بطليموس الثالث» قد جدد أو أقام بعض مبانٍ في معبد «أرمنت»؛ إذ وجدت قطعة من الحجر عليها نقوش مصرية، ومتن إغريقي، وهي الآن بالمتحف البريطاني،[١٢] وقد عُثِر على هذه القطعة في بلدة «أرمنت».

---

[١٠] Rapport sur les fouilles de Medamud. 1931 and 1932; Porter and Moss V. P. P. 143.

[١١] Ibid. P. 140.

[١٢] Ibid., V. P. 161; Bucheum III. Pl. XLIX (26) Cf. PP. 21, 29, 52.

(٥) «أسنا»

معبد الإله «خنوم»

أقام «بطليموس الثالث» على ما يظهر معبدًا للإله «خنوم» على مسافة ميلين ونصف الميل من الشمال الغربي لمدينة «أسنا» الحالية، وقد هُدِم الآن تمامًا، ولم يبق منه شيء، وكانت أنقاضه لا تزال تُرى في باكورة القرن التاسع عشر، وهاك ما نُقِل من مناظر هذا المعبد قبل اختفائه:

واجهة المعبد: شُوهد في النهاية الجنوبية أربعة صفوف من النقوش مثل فيها «بطليموس» أمام الإله «خنوم» والإلهة «نبوت»، أمام مائدة قربان، والإلهة «نيت» ومعها صولجان العيد الثلاثيني أمام «بطليموس الثالث» و«برنيكي الثانية».[١٣]

قاعة العُمُد: شوهد على أسفل جدار هذه القاعة أسماء الأعداء الذين ذبحهم «بطليموس الثالث» في حروبه في «آسيا»، ولا بد أن نلفت النظر هنا إلى أن هذه الأسماء لم تُذكَر معها نقوش بأنها من عهد «بطليموس الثالث» وقد ذكرها لنا الأثري «زيته»،[١٤] وهاك هذه الأسماء:

(١) … ري.
(٢) ماجادنتت مقدونيا.[١٥]
(٣) «برست» «فارس».[١٦]
(٤) «عرمعتي» «علام».[١٧]
(٥) دريكسو «تراقيا».[١٨]
(٦) «سواش» اسم مكان في أفريقيا مجهول الموقع.[١٩]

---

[١٣] راجع عن مصدر هذا المعبد Porter and Moss. P. 118.

[١٤] Porter and Moss Ibid ; Sethe Urkunden II. P. 158.

[١٥] G.D.G. G. Tom. II. P. 24.

[١٦] Ibid II. P. 144.

[١٧] Ibid., I, 153.

[١٨] Ibid, VI. P. 97.

[١٩] Ibid V. P. 19.

(٧) «شابات» سبأ.[٢٠]
(٨) «كرسوتت»؟[٢١]
(٩) «وارشيتي» يحتمل أنها بلدة «أورخ» الكلدية.[٢٢]
(١٠) «شاسوتت» بلاد الشاسو؟[٢٣]
(١١) الاسم هنا مهشَّم.
(١٢) «زاهاتت»: إقليم بحري آسيوي غني بالنبيذ والخشب على ساحل البحر الأبيض من فِلَسْطِين وفينيقيا؟
(١٣) الاسم مهشَّم.

(٦) معبد «بيجه»

وُجِد في الجهات المتاخمة لجزيرة «بيجه» مائدة قربان عليها اسم «بطليموس الثالث» و«برنيكي» الأولى والثانية.[٢٤]

(٧) أسوان

معبد الإلهة «إزيس».

بدأ «بطليموس الثالث» إقامة هذا المعبد، وأكمله بعده «بطليموس الرابع»، ويقع هذا المعبد جنوب بلدة «أسوان» بين خرائب البلدة القديمة، وقد أقيم الجدار الأمامي لهذا المعبد من الحجر الرملي العاري عن كل نقش أو زينة، والمعبد له بابان؛ الباب الرئيسي منهما يقع في وسط الجدار، والصغير في الجانب، ويؤدي كل منهما إلى قاعة المعبد.

ويُلَحظ أن الباب الرئيسي الذي كان يدخل منه العامة إلى مُتوَّج بكرنيش مقعر، وفي أسفله قرص الشمس المجنح، ويُشاهد على عتبة الباب أربعة مناظر، مثل فيها

---

[٢٠] Ibid, V. 100.
[٢١] Ibid., III. P. 176.
[٢٢] Ibid., V. P. 106.
[٢٣] Ibid., VI. P. 109.
[٢٤] L.D. IV, 13 a.

«بطليموس الثالث» وخلفه الملكة «برنيكي الثانية» يقدم نبيذًا للإلهة «إزيس» وكذلك مُثِّل وهو يقدم صورة «ماعت» للآلهة «خنوم» و«ساتيس» و«عنقت»؛ ويُرى وهو يطلق البخور للإله «أوزير-وننفر»، و«إزيس» و«حربوخراد»، وأخيرًا يُرى «بطليموس» واقفًا أمام الإله «سبك» والإلهة «حتحور».

وعلى جانبي الباب نُقشت ثلاثة مناظر يُشاهد فيها «بطليموس الثالث» يقدم صورة «ماعت» إلى «أمنئوبت» في أسوان (يقصد آمون الأقصر) كما يقدم لبنًا لآلهة، ويطلق البخور لإزيس، وعلى الجانب الجنوبي يُشاهد «بطليموس» يُقدم أوراقًا للإلهين «مين» و«آمون» ولبنًا للإلهة «حتحور» وقربانًا للإلهة «إزيس».

وعند الدخول من الباب يُشاهد «بطليموس الثالث» على اليمين يقدم قربانًا للإله «حور» وعلى اليسار للإله «تحوت».

ويلفت النظر أن الباب الصغير الذي كان يدخل منه الكهنة له كرنيش صغير ممثل عليه قرص شمس مجنح. هذا، ويُشاهد على عتب هذا الباب أربعة مناظر يقدم فيها «بطليموس» القربان للآلهة، فعلى اليسار يُرى هذا الملك لابسًا تاج الوجه البحري، وبيده مقمعة، وعصًا سحرية، وقد نُقش أمامه متن قصير يُحذر الزائرين ألا يدخلوا هذا البيت إلا وهم مطهرين، ويُشاهد الملك وذراعه ممتدة بحركة تدل على التحية.

وعلى اليمين يُشاهد المنظر المقابل للسابق، ولكنه هُشِّم بعض الشيء، ويُرى فيه الملك مرتديًا تاج ملك الوجه القبلي، وأسفل هذين المنظرين يُشاهد منظران يمثلان «حعبي» (النيل) أحدهما نيل الشمال والآخر نيل الجنوب.

وتلفت النظر قاعة هذا المعبد بوجه خاص؛ لأنها منقطعة النظير في كل معابد القطر الأخرى، فهي من حيث الشكل مستطيلة، وزواياها قائمة، وسقفها سليم يرتكز على عمودين ثقيلين مربعين تاجاهما مربعان وصلبان، وتوجد فيها أربع نوافذ: واحدة في الشمال، والأخرى في الجدار الجنوبي، وواحدة على كل من جانبي المدخل، والأخيرتان مهشَّمتان، هذا ويشاهد في جدران القاعة عدة كُوَّات كانت توضع فيها لوحات منقوشة، وكذلك نجد مائدتي قربان وقاعدة تمثال، وقد نُقِش على المائدتين متن إهداء، وجدران هذه القاعة خالية من كل زخرف، ومن ثَم يشعر الناظر إلى سطح جدرانها بشيء من الكآبة إذا ما قرنها بما على جدران المعابد الأخرى من أنواع الزينة والزخرف.

هذا، ولا يزال باقٍ على جدران معظم المعابد المصرية في الوجه القبلي بعض الألوان الزاهية التي تشبه في بهجتها لون السماء الصافية، وكذلك التلال والأشجار التي تُشاهد

خارجها، ولكن في معبد أسوان يُفهَم أنه قد قصد — على ما يظهر — عدم استعمال هذه الألوان، وربما كان الإحجام عن تزيين الجدران بمثل تلك الألوان الأخاذة بداية عهد الزهد والتنسك الذي كان قد أصبح فيما بعد يأخذ بزمام الدين في قبضته بصورة قوية، والواقع أن بوادر هذا العهد كانت قد بدأت فعلًا في مصر القديمة الفرعونية منذ الدولة الحديثة.

وفي محراب معبد أسوان؛ أي قدس الأقداس نُشاهِد على الجدار الخلفي في الصف الأعلى منظرًا مزدوجًا يُشاهَد فيه «بطليموس الثالث» يتعبد «لأوزير» و«إزيس» و«حربو خرات» (؟) كما نشاهده من جهة أخرى ومعه الملكة «برنيكي» الثانية يقدم قربانًا «لإزيس» و«نفتيس» و«حتحور».

وفي الصف الأسفل يوجد كذلك منظر مزدوج يقدم فيه «بطليموس» الخبز للآلهة «خنوم» و«ساتيس» و«عنقت» (وهم ثالوث الشلال) و«حارسئيس» من جهة، ويطلق البخور، ويصب الماء للآلهة «أوزير» و«إزيس» و«نفتيس» و«حور» من جهة أخرى.[٢٥]

[٢٥] Mariette Mon. Div. Pl. 26 (d–t); Porter and Moss V. P. 221–223.

الفصل السادس

آثار بطليموس الثالث في بلاد النوبة والواحات

جاء ذكر «بطليموس الثالث» على بعض آثار بلاد النوبة والواحات التابعة لمصر.

الدكة

ففي معبد الدكة الذي أقيم للإله «تحوت» صاحب «بنوبس» على الضفة الغربية للنيل جاء ذكر «بطليموس الثالث» في نقوش هذا المعبد هو وزوجه «برنيكي» الثانية.

أولًا: ذكر اسم هذا الملك مع بطالمة آخرين على عُمُد مدخل هذا المعبد.

ثانيًا: المدخل إلى الردهة الداخلية: وُجِد اسم «بطليموس الثالث» وزوجه «برنيكي الثانية» على مدخل الباب من الداخل.[١]

الواحة الخارجة: «معبد هيبيس»

وجُدت قطع من الحجر عليها متون باسم الملك «بطليموس الثالث» والملكة «برنيكي الثانية» في معبد «هيبيس».

---

[١] Champ. Mon. LVI, (3, 4); L. D. IV, 38, gh.

معبد قصر الغويضة[٢]

يوجد بقصر الغويضة في الواحة الخارجة معبد لثالوث طيبة يرجع أقدم بناء فيه لعهد الأسرة الخامسة والعشرين، وقد زاد فيه أو جدده «بطليموس الثالث».

المدخل للردهة الأمامية: يُشاهد على قائمة الباب الخارجية «بطليموس الثالث» ومعه متن في أعلى الصورة، وعلى سمك الباب يُرى «بطليموس» أمام ثالوث طيبة قاعدًا، وقد هُشِّمت صورة كل من «آمون» و«موت»، وعلى سمك الباب من جهة اليمين نُشاهِد بقايا صور آلهة، كما يُرى «بطليموس» أمام «أوزير» و«حور» وإله جالس.

قاعة العُمُد: وفي قاعة العُمُد يشاهد في المدخل على العَتَب الخارجي منظر مزدوج للملك وزوجه «برنيكي الثانية» يقدمان القربان لثالوث طيبة و«آمون رع»، ويُشاهَد على قائمتي الباب ثلاثة صفوف يقدم فيها «بطليموس» للإله «خنسو» و«موت» و«لآمون رع».

وعلى سمك الباب الخارجي: نُقِش عمودان، وهما متن «لبطليموس الثالث» من جهة اليسار، وللملكة «برنيكي» ومعها الاسم الحوري «لبطليموس الثالث» على السمك الأيمن، وفي الصف الثاني الذي على قائمة الباب من اليسار نشاهد «بطليموس» يقدم نبيذًا للإلهة «موت».

وفي الصف الأعلى نشاهد «بطليموس» يقدم طوقًا للإله «آمون رع» و«خنسو» الصغير، و«آمون رع» و«موت»، وفي الصف الأسفل يُرى «بطليموس الثالث» وهو يُغادر القصر بعلمين، ويطهره كل من «تحوت» و«حور».

ثم يُشاهد بعد ذلك منظران يقدم فيهما «بطليموس الثالث» للإله «منتو» وإلهة، ثم إلى «حور» (؟) و«حتحور».

المدخلان إلى الدهليز، وقدس الأقداس: يشاهد على العَتَب الخارجي منظر مزدوج حيث نجد «بطليموس الثالث» و«برنيكي الثانية» أمام ثالوث طيبة، ثم «آمون رع»، ويُرى على السمكين الخارجيين للباب متنان «لآمون رع» على كلٍّ.

ويوجد على العَتَب الخارجي منظر مزدوج «لبطليموس الثالث» و«برنيكي الثانية» أمام ثالوث طيبة و«آمون رع»، وعلى قائمة الباب اليسرى يظهر «بطليموس»

---

[٢] Porter and Moss VII. P. 45.

ومعه صورة العدالة أمام الإله «شو»، ثم أمام الإلهة «تفنوت» على قائمة الباب اليمنى، كما يُشاهد هذا الملك يقدم رمز الحقل للإله «جب».[٣]

وادي حمامات: بئر الفواخير. معبد الإله «مين»

كان لا بد للملك «بطليموس الثالث» من محاجر لقطع الأحجار لبناء معابده الدينية، ومن أهم هذه المحاجر: وادي حمامات، وقد أقام بالمكان الذي يُطلَق عليه الآن: «بئر الفواخير» معبدًا للإله «مين»، وقد هُدِم هذا المعبد غير أن بقايا طُغْراءات ومتون وُجِدت له في هذه الجهة، ويقول «إنجلباخ» عند زيارته لهذه الجهة ما يأتي: وعند «بئر الفواخير» فحصنا الأكواخ التي كان يسكنها معدنو الذهب، وكذلك بقايا المعبد الصغير الذي بناه «بطليموس الثالث» ولما كان المعبد قد هدِّم تمامًا فقد كان من المستحسن أن نحضر للمتحف المصري بقايا الأعمدة الصغيرة المصنوعة من البازلت، وهي التي وُجِدت ملقاة هناك، وقد سجل «ويجال» ما رآه عند زيارته هذا المعبد، وتدل شواهد الأحوال على أن استخراج الذهب من هذه الجهة كان شاقًّا إلى حدٍّ بعيد.[٤] هذا، قد وُجِدت طغراء «بطليموس الثالث» واسم الإلهة «موت» صاحبة «آشر» في هذه البقعة.[٥]

[٣] Porter and Moss VII. P. 293.

[٤] A.S. XXXI. P. 134; Weigall, Travells in the Upper Egyptian Deserts, PP. 49–50. L.D. Text V. P. 363.

[٥] L.D. Texte V, P. 363.

الفصل السابع

الآثار التي خلفها بطليموس الثالث في الوجه البحري

كان نشاط «بطليموس الثالث» عظيمًا في أنحاء الوجه البحري، وبخاصة عندما نعلم أن تلك الجهات كانت قريبة من عاصمة الملك في الإسكندرية، نذكر منها ما يأتي:

(١) كانوب

عُثر في أساس معبد «أوزير» في كانوب على لوح من الذهب محفوظ الآن بالمتحف البريطاني، وقد نُقِش عليه اسم الملك «بطليموس الثالث» باليونانية، وتدل شواهد الأحوال على أن ودائع أساس هذا المعبد قد وضعت قبل نشر مرسوم «كانوب» في العام التاسع من حكم هذا العاهل؛ وذلك لأن لقب المحسن «إيرجيتيس» وُجِد على هذه اللوحة، والظاهر أن الكهنة المصريين لقبوا هذا الملك بهذا اللقب تكريمًا له عند إقامة لوحة «كانوب» فقط، بل والظاهر أيضًا أن معبد «أوزير» هذا يرجع إلى أوائل حكم هذا الملك؛ لأنه لم يُذكَر على قطعِ ودائعِ الأساس اسمُ أيٍّ طفل من أطفاله.[١]

[١] L.R. IV, P. 257; Strack Dyn. Der Ptol. P. 233; Cf. Bouché-Leclerclq. Hist. des Lagides. I. P. 274, note 2.

(٢) الإسكندرية

السربيوم، وودائع الأساس، ومعبد «بطليموس الثالث».

تحدثنا في الجزء الرابع عشر من هذه الموسوعة عما كان معروفًا عن السربيوم العظيم بالإسكندرية حتى عام ١٩٤٣ ميلادية، وذلك عندما كُشِف في الزاوية الجنوبية الشرقية من الجزء القديم لمعبد السربيوم، وهو المكان المعروف الآن باسم عمود «بومبي» أو عمود «دقلديانوس»؛ على مجموعة من عشرة ألواح من ودائع الأساس، نُقش على كل منها متن مزدوج بالهيروغليفية والإغريقية، وتحدثنا هذه النقوش على أن «بطليموس الثالث» قد أقام معبدًا، كما أقام حرمًا مقدسًا للإله «سرابيس»، وهذا الكشف له أهمية بوجه خاص؛ إذ يبرهن للمرة الأولى على أن الموقع الذي نتحدث عنه هو في الواقع السربيوم المشهور الذي قال عنه «أميانوس مرسيلليتوس»[٢] ليس هناك في العالم ما هو أفخم منه إلا الكبيتول الذي يُعدُّ الفخر الأبدي لمدينة «روما»، وفضلًا عن ذلك يميط لنا اللثام على أن بانيه هو «بطليموس الثالث»، وأخيرًا نعرف أن المعبد البطلمي والحرم المقدس لأبيس كانا قد أقيما في وقت واحد.

هذا، وقد وُجِدت مجموعة من الألواح مماثلة للسابقة في العدد «لبطليموس الثالث» في الزاوية الجنوبية الغربية في الجزء الأقدم من هذا الموقع في ٣١ ديسمبر عام ١٩٤٤ ميلادية.

وقد أسفرت نتائج الأبحاث في السنة الأخيرة من هذا الكشف للمرة الأولى أنه كان يوجد حَرَمان مقدسان للسربيوم؛ واحد منهما مستطيل ويرجع إلى عهد البطالمة، والآخر كذلك مستطيل من العهد الروماني، ويحتوي الحرم المقدس القديم على جدران خارجية وعُمُد داخلية موازية لها، والأسس التي عُمِلت لها كانت كلها قد حفرت في الصخر، والواقع أنه عُثِر في جحر في الصخر أسفل تقابل الجدارين الشرقي والجنوبي على مجموعة الألواح الأولى، أما المجموعة الثانية: فقد عُثِر عليها في موقع مماثل تحت الجدران الخارجية عند الزاوية الجنوبية الغربية، وهذان الجحران نفسهما كانا قد مُلِئا بالرمل بعد وضع الألواح في أسفل، ثم غُطيت بقطع أساس من الحجر الجيري الأبيض، وقد أُزِيلت فيما بعد بيد شخص مجهول لم يَفْطِن كثيرًا أن هناك أشياء ثمينة قد وضعت أسفل منها.

---

[٢] .Reg. Gest. XXII, 16, 12

ويلفت النظر أن واحدًا من هذه الألواح صُنع من ذهب، والثاني مصنوع من الفضة، والثالث من البرنز، والرابع من غرين النيل (؟) والخامس من الزجاج الأخضر غير الشفيف، والسادس من الزجاج اللبني والبنفسجي غير الشفيف، والسابع من الزجاج الأخضر الباهت، والثامن والتاسع من الزجاج الأخضر القاتم، وأخيرًا العاشر وقد صنع من القاشاني (؟) الباهت.

النقوش

دلَّ الفحص على أن كل النقوش التي على هذه الألواح واحدة باستثناء الثامن والتاسع اللذين وُجِد في نقوشهما اختلاف طفيف، وهاك النص:

ملك الوجه القبلي والوجه البحري الوارث للإلهين الأخوين المختار من «آمون»، حياة «رع» قوية، ابن «رع» «بطليموس الثالث» العائش أبديًّا محبوب «بتاح». لقد أقام المعبد والحرم المقدس لأجل «سرابيس».

والنقوش الهيروغليفية التي على المجموعة الثانية تشبه السابقة.
والمتون الإغريقية التي على الألواح في كلا المجموعتين تتفق كلها مع الترجمة التالية:

الملك «بطليموس بن بطليموس» و«أرسنوي» الإلهان الأخوان يقدمان إلى «سرابيس» المعبد والحرم المقدس.

والإلهان الأخوان هما بلا شك «بطليموس الثالث» وزوجه وأخته «أرسنوي»، ومن ثَم نرى أن الذي أقام هذا الأثر والمُهدى له هو «بطليموس الثالث» «إيرجيتيس الأول».

ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد وجود ألواح مشابهة للألواح التي عُثِر عليها في السرابيوم معروفة من قبل، فمن ذلك لوح من الذهب، ولوحان من الزجاج غير الشفيف عُملت «لبطليموس الثالث» عُثر عليها في عام ١٨١٨ بعد الميلاد، وقد وُجِدت على حجر أساس لمعبد «أوزير» في كانوب (أبو قير) وكذلك عُثر على أربعة ألواح من الذهب عام ١٨٥٥ ميلادية في حفرة تحت حجر زاوية مبنًى بطلميٍّ — ولا بد أنه معبد — كُشف عنه أثناء بناء بورصة الإسكندرية.

هذا، ولا نعلم شيئًا عن مكان الألواح التي عُثر عليها في «كانوب» إلا اللوح الذي ذكرنا من قبل أنه موجود بالمتحف البريطاني، وقد كُتب بالإغريقية فقط، ويحتوي على

أربعة أسطر أفقية جاء فيها: الملك «بطليموس الثالث» بن «بطليموس الثاني» و«أرسنوي» الإلهان الأخوان، والملكة «برنيكي» أخته وزوجه يقدمان الحرم المقدس للإله «أوزير».[٣]

(٣) بانوب

قاعدة تمثال من الجرانيت، باعها أحد أهالي المنصورة للمتحف المصري، ويقال إنها جاءت من طلخا[٤] (؟) ونُقش عليها من الجانبين ألقاب «بطليموس الثالث» وطغراؤه، وهاك ترجمة النص: يعيش «حور رع» الذي يفرح به الآلهة والإلهات عندما استولى على الملك من والده ملك الوجه القبلي والوجه البحري (ستب-ني-رع-سخم-عنخ-ني-أمن) ابن «رع» (بطليموس محبوب بتاح عاش أبديًّا) محبوب «أوزير عنزتي» سيد «بهبيت» والإله العظيم حاكم الأبدية (في رواية أخرى) محبوب «إزيس» العظيمة والأم الإلهية ربة «حبت» (بهبيت).

(٤) بهبيت

يوجد في بهبيت الحجر (وهي «حبت» القديمة أو «أزيوم» عند الإغريق والرومان) بقايا معبد تحدَّثنا عنه في غير هذا المكان،[٥] وقد وُجِدت عدة قطع من الأجزاء التي باسم الملك «بطليموس الثالث» في هذا المعبد، ونخص بالذكر منها كرنيش نقش عليه اسم هذا الملك وزوجه «برنيكي الثانية»، وهذا الكرنيش مُحلًّى برءوس «حتحور»، ويُشاهد الملك وهو يقدم القربان «لأوزير»، وقد وُجِدت له هناك كذلك قطع عُمُد من الجرانيت الأحمر، كما وُجِدت له قطعة مثل عليها وهو يطلق البخور أمام قارب «إزيس».[٦]

---

[٣] A.S. Cahier, 2. P. 11.

[٤] A.S. X. 30 IV.

[٥] راجع مصر القديمة الجزء ١٣.

[٦] Edgar & Roeder, Der Isistempel Von Behbet: Rec. Trnv. XXXV. P. 107. A. Z. XLVl. pp. 63–70: Porter & Moss IV. P. 41.

(٥) بطن أهريت Theadelphia

أقام «بطليموس الثالث» معبدًا في هذه البلدة، وأطلق عليه معبد بنفيروس Pnepheros أو Petesuchos–Pnepheros كما كان يدعى في العهد الإغريقي الروماني.

وقد أعيد بناء بوابة هذا المعبد ومائدة القربان في فناء متحف الإسكندرية، وقد وجدت محفة باسمه في دهليز هذا المعبد، وهي الآن في متحف الإسكندرية[٧] أيضًا.

(٦) منف

عثر في «سرابيوم» منف على لوحة مكتوبة بالديموطيقية مؤرخة بالسنة الثامنة عشرة، شهر برمودة من عهد الملك «بطليموس بن بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين الأخوين. في هذه السنة أقيمت مقصورة للعجل «أبيس» الذي وضعته البقرة «كركا»، في السنة الثالثة لأبيس العائش في الأبيوم، وكان ذلك في عهد الكاهن والد الإله والكاهن العامل (المسمى) «إموث» بن «تيوس»، المشرف على مثوى الإله والذي تحت إدارة الكاهن والد الإله والكاهن العامل «نقطانب» بن «حابيمن» كاهن «آمون»، وتحت إدارة الكاهن والد الإله مهندس المعمار العظيم «قمنفر رع» بن «حمنفر رع».

وهاك أسماء الـ «بي» الذين كانوا يخدمون في شهر برمهات مع «بي» آبائهم الذين كتبوا على هذه اللوحة منذ السنة الحادية عشرة حتى السنة الثامنة عشرة من حكم الملك «دارا» حتى السنة الثامنة عشرة من عهد الملك العائش أبديًّا (الملك الحاكم)،[٨] وعلى ذلك نجد أن السنة الثالثة من حياة «أبيس» هذا الذي ولدته البقرة «كركا» تقابل السنة الثامنة عشرة من عهد «بطليموس الثالث»، ومن ثَم فإن العجل «أبيس» هذا كان قد ظهر في السنة السادسة عشرة من عهد الملك «بطليموس الثالث».[٩]

---

[٧] Bereccia ad. Aegyptum (1922). P. 285. Fig. 198. cf. pp. 153–4, 284–54. Ibid. p. 158. fig. 6.

[٨] يأتي بعد ذكر الأسماء، وقد أغفلناها لعدم أهميتها.

[٩] راجع عن هذا الموضوع: A.Z. XXII. P. 117; Revillout Revue Egyptologique, VI. P. 134.

(٧) الفيوم

عثر الأثري «ليفيبر» على قطعتين من الحجر الجيري؛ إحداهما نظيفة، والأخرى يعلوها الملح الناتج من السماد، ويبلغ ارتفاع كل منهما ٢٥ سنتيمترًا، وطول كل منهما ٢٦ سنتيمترًا، والظاهر أن القطعتين من لوحة واحدة، وهاك المتن الذي عليهما:

> لأجل صحة الملك «بطليموس» وزوجه وأخته الملكة «برنيكي» وأطفالهما أهدي للإلهة «توريس» Theoris هذا المحراب وملحقاته من «إريني» Irené وتويكزينا Thoexena من أهالي «سيريني» وهما ابنتا «ديمتريوس» Demetrios و«تاسيس» Thasis وكلاهما يحمل الاسم المصري «نفرسوكوس» و«تاوس» على التوالي.

والإلهة «توريس» إلهة مصرية، وقد وحدها الإغريق بآلهتهم «أثينا» وكانت تُعبَد في «كروكو أزيريس» من أعمال مقاطعة «أرسنوي»[١٠] وفي البهسنا،[١١] وهذه هي المرة الأولى التي نصادف هذه العبادة في الفيوم.

وكان المفروض أنه في بلدة يكون إلهها الأكبر «سوكوس» (التمساح) يجب أن تكون المقصورة التي أقيمت لهذه الآلهة غاية في التواضع، وبخاصة عندما نعرف أن المرأتين اللتين أقامتاها كانتا ترميان إلى التقوى أكثر من الثراء، وهاتان المرأتان إغريقيتان ومصريتان في آن واحد فهما تحملان اسمين مزدوجين؛ أحدهما: إغريقي، والآخر: مصري، فإحداهما: تسمى «أريني» وهو الاسم الإغريقي، وكذلك تسمى «نفرسوكوس» وهو الاسم المصري، والأخرى: تدعى «تويكزينا» بالإغريقية و«تاسيس» بالمصرية، وقد وُلِدَتا من أب مصري ذكر اسمه على حسب العادة المصرية، ومن أم هيلانية من أهالي «سيريني».

هذا، ونعلم أن أهالي «سيريني» كانوا ينخرطون في سلك الجيش المصري بكثرة خلال العهد البطلمي الأول، والواقع أن «ديمتريوس» والد هاتين المرأتين بعد أن انتهى من خدمته العسكرية كان — على حسب العادة — يتسلم قطعة أرض في «أرسنوي»

---

[١٠] Pap. Tebt. 61 (b) 59, 62, 72, 210.

[١١] Pap. Oxysr. 43, Verso. IV, 13; Verso, 13, 579; 806, 491; Pap. Hib. 35, 3.

(الفيوم)، وهناك تزوَّج وأصبح رب أسرة، ولدينا أمثال من هذا الزواج المختلط؛ وهو في الواقع كان نادرًا دون أي شك، ولكن وقوعه لا ينمُّ عن أية معارضة حتى العهد البطلمي الأول الذي استعمر فيه الإغريق بلاد مصر، وبخاصة بين الجنود المرتزقة في مقاطعة «أرسنوي» التي كانت مكتظة بالإغريق، كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

والوثيقة التي بين أيدينا تُؤرَّخ بمنتصف القرن الثالث ق.م، والملك وزوجه اللذان كانا يحكمان في تلك الفترة هما «بطليموس الثالث» و«برنيكي الثانية»، ويمكن أن نستنبط من مجرد ذكر عبارة «وأطفالهما» تاريخ المتن الذي في أيدينا على وجه التأكيد، وهو عام ٢٤٤ق.م.[١٢]

ومما يلفت النظر في هذا الصدد أنه في عام ١٩٣٤ ميلادية كُشِف عن جزء من تمثال من الجرانيت الأسود للإلهة «توريس» عَثر عليه الصاغ «ينجز براملي» Jennigs Bramley على مسافة قريبة من الشمالي الشرقي لبرج العرب في الصحراء الغربية، وأُرْسِل إلى المتحف المصري، ويبلغ ارتفاعه ٣٧ ...؟ (برقم ٦٤٨٢٦) والنقش الذي على وجه التمثال هو ما يأتي: يعيش «حور» الذي يثبت الأرضين صاحب الحكم السعيد و(؟) الملكة التي تحمي مصر الوزيرة ابنة «تحوت» ...

والواقع أننا لم نعثر بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا في أي وقت خلال هذا العصر على اللقب «الذي يثبت الأرضين»، ولكن من جهة أخرى نجد أن نعت «الوزيرة ابنة تحوت» كانت تحمله «برنيكي الثانية» وهي زوجة «بطليموس الثالث» السيرينية الأصل كما كانت تحمله «كليوباترا» الأولى زوج «بطليموس الخامس».

غير أن هذا الأثر لا يمكن أن يكون عمره متأخرًا إلى عهد «بطليموس الخامس» (٢٠٣–١٨١ق.م) وذلك لأن اللقب الآخر الذي على الأثر هو: الذي يحمي مصر، وينسب في مكان آخر لسلفه «بطليموس الرابع» (٢٢١–٢٠٣ق.م)، وبعبارة أخرى فإن اللقبين الأخيرين اللذين على التمثال يظهر أنهما خاصان بالملكة «برنيكي الثانية» السيرينية المنبت، وهي التي عاشت بعد زوجها مدة سنة أو يزيد، ويقال إن ابنها قد حرَّض على قتلها بدس السم لها، وعلى ذلك فإن اللقب «الذي يثبت الأرضين» يُحتَمل أن يكون لقبًا

[١٢] Dittenberger. O.T.S. 64. Note I. Cf. Ibid; 726.

سيريني الأصل «لبطليموس الثالث»، ومن المحتمل أن جزء المتن الذي اختفى كان يحتوي على اسم «برنيكي» وأنها هي وزوجها كانا محبوبين من الإلهة توريس (إلهة الولادة)، وعلى أية حال لا يمكن القول بوجود أية علاقة بين تمثال «توريس» هذه ومحراب توريس إلهة سيريني التي جاء ذكرها في أثر الفيوم، الذي بسببه ساقنا الحديث إلى هذا البحث.

(٨) آثار «بطليموس الثالث» في سيريني (برقة)

عثر في سيريني على بعض آثار يُحتَمل أنها من عهد «بطليموس الثالث» ونخص بالذكر منها[١٣] ما يأتي:

(١) لوحة للسيدة «أزودورا» Isodora السيرينية، وقد مثلت عليها، وهي ترضع طفلًا صغيرًا على حجرها.

(٢) لوحة جاء فيها ذكر «إكزنراتوس» Xeneratos ابن «خارمانتياس» Charmantias من أهالي «برنيكي»، وهاتان اللوحتان محفوظتان بمتحف الإسكندرية.[١٤]

(٣) إناء من الأواني الخاصة بحفظ بقايا الجسم بعد الحرق من سيرنيكا، مكتوب عليه اسم صاحبه.

(٤) هذا ولدينا آنية عثر عليها في بنغازي نُقش عليها اسم «برنيكي» الثالثة ابنة «بطليموس الثالث».

(٥) مدينة بطليمايوس (أو «طولميتا»).

هذه البلدة هي ميناء برقة، والشائع أن هذا الاسم قد أطلقه عليها «بطليموس الثالث» غير أن بعض الكتاب يعتقدون أن «بطليموس الثاني» هو الذي أطلق عليها هذا الاسم.

والذين يأخذون بالرأي الأخير يقدمون متنًا وُجِد في هذه المدينة دليلًا على ذلك، وهذا المتن يدل على أن «أرسنوي الثانية» ابنة «بطليموس الأول» و«برنيكي الأولى» قد كرمت في نفس هذه المدينة، ونحن نعلم من جانبنا أن «أرسنوي الثانية فيلادلفوس» كانت أخت

---

[١٣] A.S. Cahier 12. P. 30.

[١٤] Breccia Alexandrea Ad Aegyptum (1922). PP. 275, 278.

«بطليموس الثاني» وزوجه غير أن الصعوبة في قبول هذا الرأي هي أننا لا نعرف إذا كان هذا المتن معاصرًا «لبطليموس الثاني» أم أنه نُقِش بعد عهده، وعلى أية حال سواء كان «بطليموس الثاني» أو «بطليموس الثالث» هو الذي أطلق عليها هذا الاسم فإنه قد أُقِيمت هناك ميناء كبيرة انتقل إليها جزء كبير من سكان برقة.[١٥]

[١٥] Smith. Dic of Greek and Roman Georgr. I. 378; A.S. Cahier 12. P. 54 ff.

الفصل الثامن

الوثائق الديموطيقية التي من عهد بطليموس الثالث

بدأت الأوراق الديموطيقية تأخذ في الازدياد شيئًا فشيئًا منذ بداية عهد «بطليموس الثاني»، ولكن هذه الزيادة أخذت تظهر بصورة مُحسَّة منذ حكم «بطليموس الثالث» وبخاصة أن أعمال الحفر أخذت تَتْرى لحدٍّ بعيد منذ الكشف عن أوراق «زينون».

وسنورد هنا بقدر المستطاع عددًا كبيرًا من الأوراق الديموطيقية التي تُنسَب إلى عهد الملك «بطليموس الثالث» ومُؤرَّخة بسِني حكمه.

(١) أوراق مجموعة «هوسفالد»

تحتوي هذه المجموعة على عدة وثائق منوعة غير أنها على ما يظهر وجدت في مكان واحد، ومعظمها من عهد الملك «بطليموس الثالث».

(١-١) عقد بيع حقلين وعقد التنازل

مستند بنقد[١]

التاريخ: في السنة الثانية شهر بئونة من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين الأخوين، والملكة «برنيكي» المبجلة، والإلهين الأخوين.

---

[١] W. spiegelberk. Die Demotischen Papyri Hausewaldt, 2 P. 3 ff.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: المزارع خادم «حور» صاحب «إدفو» (المسمى) أونيس Ones بن باتوس Patus و«سنموس» Senemous.

الطرف الثاني: السيدة «تالهو» ابنة «خع-حور» و«رنبت-نفر».

صيغة العقد: يقول الطرف الأول للطرف الثاني: لقد دفعتَ لي الثمن تمامًا، وشرحت قلبي بالثمن فضة مقابل حقل الجزيرة الملكي الذي يقع ضمن أرض معبد «حور» صاحب «إدفو» في جزيرة الأثل، ومساحته نصف ميل من الجنوب إلى الشمال، ولأجل حقلي العالي، وهو الذي من حقول الملك، وتبلغ مساحته ٣ / ٤ ميل من الجنوب إلى الشمال وحدوده هي:

في الجنوب: حقل المزارع خادم «حور» صاحب «إدفو» (المسمى) «حور» بن «باخويس».

في الشمال: حقل المزارع خادم «حور» صاحب «إدفو» «حاربائيسي» بن «باسوس».

في الشرق: النهر العظيم (النيل).

في الغرب: المزارع خادم «حور» صاحب «إدفو» (المسمى) «بالهو» Pa-lehu ابن حور بن «با-لهو».

هذه هي حدود حقل الجزيرة الملكي، وحقل أرضي العالية، وقد بعتهما لك مقابل نَقْد، وقد دفعتَ لي ثمنها نقدًا، وقد تسلمته من يدك كاملًا غير منقوص، وقلبي منشرح بذلك، وإنهما ملكك؛ أي حقل الجزيرة وحقلك العالي المذكوران أعلاه، ويتبعهما الجميز والدوم والزهور التي تنمو هناك، وليس لي أي حق أو أي حكم قضائي أو أية كلمة في العالم عليك تجعل لي حقًّا باسم حقل جزيرتك المذكور أعلاه، وكذلك حقلك العالي من اليوم فصاعدًا، ولا يجوز لأي رجل في العالم أن يكون له أي سلطان عليهما خلافك، وكل رجل في العالم يأتي ضدك باسميهما ليأخذهما منك أو يأخذ أي شيء منهما منك، وذلك عندما يقول: «إنهما ليسا ملكك.» سواء أكان ذلك باسمي أو باسم أي شخص في العالم، فإني سأبعده بنفسي عنك فيما يتعلق بك (أي بملكيتك) وإني سأطهرهما لك من كل كتابة، ومن كل وثيقة خاصة بنقد، ومن كل كلمة في العالم في كل زمان، وكل كتابة خاصة بالملكية قد عملت، وكل كتابة أحرِّرها خاصة بها، وكل كتابة سأحررها عنها فإنها تكون كتابتك ملكك ووثيقتك …

وبرديتك القديمة والجديدة ملكك في أي مكان تكون فيه، وهي ملكك وحقك بقوة القانون، وكل شيء ملكك فيما يتعلق بشرعية وثيقتك.

أما اليمين أو المصادقة الذي يُطلَب منك أو يطلب مني لإثبات الحق فإني أؤديه لك (أو) أؤديه أنا لك عن صحة كل كلمة أعلاه، وإني أؤديه دون رفع أي دعوة أو أية كلمة في العالم.

المسجل: «بابل-في»، كتبه ابن «باخراتس».

يأتي بعد ذلك عقد التنازل عن الحقلين السابقين

التاريخ والطرفان المتعاقدان والمضمون كما جاء في الوثيقة الأولى: يقول الطرف الأول للطرف الثاني: إني بعيد عنك فيما يتعلق بحقل جزيرتك ... إلخ، كما جاء في الوثيقة الأولى مع إضافة: وهي التي حررت لك عنها مستندًا في السنة الثالثة شهر أمشير من عهد الفرعون العائش أبديًّا. يأتي بعد ذلك وصف الموقع كما في صيغة الوثيقة الأولى.

المسجل كما في والوثيقة الأولى.

وعلى ظهر الورقة، نجد أنه قد كُتِب على ظهر كل من الوثيقتين ستة عشر شاهدًا.

(١-٢) عقد بيع أرض وعقد التنازل

بيع أرض

الموضوع: بيع أرض.[٢]

التاريخ: السنة السابعة شهر بَشَنْس من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي»، الأخوين المحبين، عندما كان «أرخيبيوس» (؟) Archebios ابن «فيدون» (؟) Pheidon كاهن الإسكندر والإلهين الأخوين (و) الإلهين المحسنين، وفي حين كانت

[٢] Pap. Hauswaldt Ibid., 2. P. 3 ff.

«كاليسترات» (؟) Kallistrate ابنة «زنودوروس» (؟) Zenodoros حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: يتحدث المزارع خادم الإله «حور» صاحب «إدفو» (المسمى) «حاربائسيس» بن «باسوس» Pasos وأمه (هي) «تابيكيس» Tabckis و«حار-هرج» الذي يحمل نفس اللقب ابن «باسوس» وأمه هي «تابيكيس»؛ المجموع: شخصان عندما تكلما بفم واحد.

الطرف الثاني: للمزارع خادم الإله «حور» صاحب «إدفو» (المسمى) «بابوس» بن «بارهو» وأمه هي «سنآمونيس» Senamunis.

نص العقد: لقد دفعتَ حسابنا كاملًا، وقد شرحت قلبَيْنا بالنقد ثمن الحقول، وهي ثلاثة حقول، وتعريفها كالآتي: حقلنا العالي (أي الذي في الأرض العالية) وهو الذي يقع في ريف «تكوى بي-خموتني-إنتي-إيسي» وحدوده هي:

في الجنوب: حقل «خع-حور» بن «باسوس» بن «بالهو».

في الشمال: حقل «بالهو» بن «حور» بن «بالهو»، وحقل «باي» (؟) ابن «حور».

وفي الشرق: … الفناء الذي نصفه في الشمال مما نملكه، ونصفه الآخر يقع جنوبي ملكية «حاربائسيس» بن «باسوس».

وفي الغرب: حقل «حور» الكبير ابن «بابوس» Pabus.

وحَدُّك عند قناة الخزان.

وخلافًا لذلك حقلنا الآخر الذي يقع غربي الخزان الكبير مع مكان هذا الجرن الذي يؤدي من النهر إلى قناة الخزان الكبير، وقد بعناه لك نقدًا، وقد تسلمنا ثمنه نقدًا، وقد تسلمناه (أي الثمن) من يدك دون باق، وقلبنا منشرح لذلك، وإنه ملكك — أي هذا الحقل المذكور أعلاه — وليس لنا أي حق فيه، ولا أية قضية مخاصمة أو أية كلمة في العالم باسمه ضدك من اليوم فصاعدًا، وليس لأي رجل في العالم سلطان عليه خلافك، وأي رجل في العالم يظهر بسببه ضدك ويقول إنه ليس ملكك سواء أكان ذلك باسمنا أو باسم أي رجل في العالم فإنا نقصيه عنك بسببه.

وإنا نطهرك (أي نعفيك) من أية كتابة، ومن كل قضية، ومن كل كلمة في العالم في كل زمن، وكل مستندات تكون قد أُبْرِمت بسببه، وكل مستندات نكون قد أبرمناها خاصة به، وكل مستندات قد حُرِّرت لنا عنه، وكل كتابات يكون لنا بها حق فيه فإنها ملكك، وكذلك ملكك مستنداتك ووثائقك القضائية، وكذلك ملكك بردياته القديمة وبردياته الجديدة (أي الحجج) أينما كنت، وهي ملكك مع حقوقها، وكذلك ملكك كل حق لدينا من حقول باسمك.

واليمين أو البينة الذي يُطلَب منا أو منك أمام العدالة، وهو الذي تؤديه أو نؤديه نحن بسبب صحة كل الكلمات التي ذكرت أعلاه، فإنا نؤديه لك دون أن ترفع قضية، أو أي كلمة في العالم.

كتبه: «بابل-في» بن «باخراتيس» Pachrates أي إمضاء المسجل الذي كتب العقد المسجل أعلاه.

هذا وكتب في الجهة اليسرى من ذلك بخطين مختلفين:

كتبه «بوئريس» Poeris ابن «حور» مدير «تيوس» Teos كاتب الملك.

وعلى الرغم من أن الموضوع هنا خاص ببيع أرض المعبد فإن كاتب الملك هنا كان يعمل بوصفه ممثلَ الملكِ أو الحكومة الذي يُعدُّ بأنه هو المالك لكل أرض مصر.

وفي الجهة اليمني من أسفل نقرأ ملاحظةً دوَّنها كاتبا هذه الوثيقة عن صلاحيتها؛ لأجل دفع الضرائب المفروضة وقتئذٍ.

عقد التنازل عن هذه الحقول

التاريخ والمتعاقدان: كما جاء في الوثيقة السابقة (٢).

صيغة العقد: نحن بعيدون عنك فيما يخص حقولك التي تتألف من قطع حقول محددة.

تعريفها: حقلك العالي (أي الذي أرضه عالية) الذي يقع في ريف «تكوي» وحدوده هي:

في الجنوب: حقل «خع-حور» بن «باسوس» بن «بالهو».

في الشمال: حقل «بالهو» بن «حور» بن «بالهو»، وحقل «باي» (؟) ابن «حور».

في الشرق: الـ … فناء الذي نصفه نحو الشمال الذي تشغله أنت، والنصف الآخر نحو الشمال وهو ملك «حاربائيسي» بن «باسوس».

وفي الغرب: حقل «حور» الكبير ابن «بابوس».

وحَدُّك عند قناة الخزان العظيم.

وفضلًا عن ذلك فإن حقلك الآخر يقع غربي الخزان مع موضع مرسى التذرية وحدوده هي:

في الجنوب: حقل «حار-مس» بن «حاربكوللوتس» Harpkolleithes وحقل «باخويس» بن «خع-حور».

وفي الشمال: حقل «باتوس» بن «خع-حور» (وحقل) «حاربائزيس» بن «هارللوس» Harellos.

وفي الشرق: حقل «حور» الكبير ابن «بابوس» وحقل «بتيزيس» Petisis أخوه.

في الغرب: الجبل.

وفضلًا عن ذلك سدسك (من الحقل الآخر) وحدوده هي:

في الجنوب: حقل «باتفيس» Patphis ابن «بالهو» الذي يملك ٥ / ٦ (الأخرى).

في الشمال: حقل «باخويس» بن «حاربكوليتس» Harpkolleithes.

في الشرق: حقل «باتفيس» بن «بالهو».

في الغرب: الجبل.

تأمل: إن هذه هي حدود حقلك المذكور أعلاه.

وليس لنا أي حق، ولا أية قضية مخاصمة (أو) أية كلمة في العالم ضدك (تخوِّل لنا حقًّا) باسمه من اليوم فصاعدًا، ولا ينبغي لأي رجل في العالم أن يكون له سلطان عليه خلافك.

وكل رجل في العالم يظهر ضدك بسببه؛ ليستولي عليه منك (أو) يستولي على شيء منه، وذلك عندما يقول إنه ليس ملكك (سواء) أكان باسمنا أو باسم أي رجل مهما كان في العالم فعندئذ نقصيه عنك؛ وإذا لم نبعده عنك بالتراضي فإنا نبعده عنك قهرًا وبدون مشاحة.

وإنا سنطهره لك (أي الحقل) من أي كلمة (نزاع) في العالم في كل زمن، وإنك في حمايتنا بحق هذه الوثيقة، وهي التي حررناها لك في شهر بَشَنْس من العام السابع من عهد الملك العائش أبديًّا، وذلك خلاف هذا التنازل، والمجموع وثيقتان، وإنا سنؤدي لك حقهما في كل وقت دون أية مشاحة.

الإمضاء: كتبها «بابل-في» بن «باخراتيس» (أي الإمضاء مُسجَّل).

وكُتِب مع ذلك بخط آخر: كتبها «بوئريس» Poeris ابن «حور» مدير أعمال «تيوس» كاتب الملك.

وأسفل هذا تأشيرة مدير الخزينة بالإغريقية.

الشهود: يُلحَظ أنه قبل التأريخ يوجد شهاد الوثيقة، كما وضح ذلك من قبل أعلاه، وفي كل مرة يُسبَق اسم الشاهد المَعْنِيِّ بالعبارة: إنه حاضر بوصفه شاهدًا. في حين أنه في نهاية متن الوثيقة نجد في المكان الذي يسجل فيه المسجل القانوني اسمه؛ تعليقَ الشاهد هكذا: لقد حررت هذا. وكذلك تظهر أسماء هؤلاء الشهود الأربعة، ثم يأتي بعد ذلك أسماء الشهود، وعلى ظهر الورقة كُتِبت أسماء ستة عشر شاهدًا مرتين.

(١-٣) عقد زواج من عهد «بطليموس الثالث»[٣]

التاريخ: فُقد الجزء الذي فيه تاريخ هذه الوثيقة مع الثلث الأيمن من الورقة، ومع ذلك فإن وجود اسم المسجل يجعل من المحتمل أن هذا العقد دوِّن في عهد «بطليموس الثالث».

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: خادم «حور» صاحب «إدفو» حار …

الطرف الثاني: المرأة «تالهو» ابنة «بالهو» و«تاتوس».

نص العقد: يقول الطرف الأول للطرف الثاني: لقد اتخذتك زوجة، وأعطيتك دبنًا من الفضة بمثابة صداقك، وإذا هجرتك بوصفك زوجة سواء أكرهتك أم فضلت عليك

[٣] Papyrus Hausewaldt, 4. P. 16.

امرأة أخرى فإني سأعطيك دبنًا من الفضة؛ أي خمسة ستاتر، أي دبنًا من الفضة ثانية، مثل الذي أعطيته إياك صداقًا، فيكون المجموع دبنين من الفضة؛ أي عشرة ستاتر، أي دبنين من الفضة ثانية.

وإني أعطيك فضلًا عن ذلك الثلث من جميع ما بيني وبينك من اليوم فصاعدًا، والأطفال الذين وضعتِهم لي فعلًا، وأولئك الذين ستضعينهم في المستقبل سيكونون مُلَّاك جميع وكل شيء أملكه حاضرًا، وما سأجنيه (في المستقبل)، وابنك البكر هو ابني البكر بين الأطفال الذين أنجبتِهم لي (فعلًا) وبين الذين ستنجبينهم فيما بعد.

تأملي: هذه قائمة بجهازك الذي أحضرتيه معك إلى بيتي.

(...) ... قدتان من الفضة.

وعتق واحد (؟) (على حسب ثمنه): قدتان من الفضة.

شعر مستعار (؟) على حسب ثمنه: ستة قدات من الفضة.

شعر مستعار آخر (؟) على حسب ثمنه: قدتان من الفضة.

جرى واحد بوصفه هدية زواجك المذكور أعلاه وهذا لم أعطه إياك، وعلى حسب ثمنه: دبنًا واحدًا من الفضة.

تأملي إن ثمن جهازك الذي أحضرتيه معك في بيتي يشتمل على: دبنين من الفضة وستة قدات؛ أي ثلاثة عشر ستاتر (قدتين) من الفضة وستة قدات ثانية.

ولا ينبغي لي أن أحلف يمينًا ضدك فيما يخص صداقك الذي حُرِّر عاليه بأن أقول إنك لم تحضريه معك إلى بيتي، وإن جهازك الذي حررت به قائمة قد أحضرتيه معك، ولقد تسلمته من يدك تامًّا غير منقوص.

وفي الوقت الذي أهجرك فيه كزوجة أو أنك تهجرينني بإرادتك فإني أعطيك جهازك الذي أحضرتيه معك في بيتي ثانية عينًا، أو ثمنه نقدًا على حسب الثمن الذي حررته لك، وإني حاميك.

المسجل: كتبه «بابل» ابن «باخراتيس».

يُلحَظ هنا على حسب ترجمة «شبيجلبرج» أن الرجل كان قد عاشر هذه المرأة، وزرق منها أولادًا قبل عقد الزواج، وهناك عقود زواج أخرى تماثل ذلك راجع Rev. Egypt I P. 113.

(١-٤) عقد بيع أرض من عهد «بطليموس الثالث»[٤]

مستند بنقد

التاريخ: في السنة الرابعة من عهد «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» والإلهين الأخوين، عندما كان «أرخلاوس» (؟) Archelaos ابن «أداماس» Adamas؟ كاهن الإسكندر والإلهين الأخوين، وعندما كانت «أرسنوي» ابنة «بوليموكرتيس» Polemokrates حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: المزارع خادم «حور» صاحب «إدفو» (المسمى) «حاربائزيس» بن «باسوس» و«تابكيس».

الطرف الثاني: والمرأة «تائزيس» ابنة «حور» و«تالهو».

نص العقد: يقول الطرف الأول للطرف الثاني: لقد دفعتَ لي الثمن تمامًا، وشرحت قلبي بالثمن فضة ونصف هذا … الفناء هذا «قع-الجميز» الذي ينمو فيه، والذي يقع في حقول الملك، وهو كائن في حقل «تكوي» ونصفه الآخر يملكه «بائزيس» بن «حاربائزيس» ابني وحدوده هي:

في الجنوب: قناة «حار-هروج» بن «باسوس»، وفناء «خع-حور» بن «باسوس».

وفي الشمال: فناء «بالهو» بن «حور» بن «بالهو».

وفي الشرق: جزيرة الحقل.

في الغرب: الحقل العالي.

يضاف إلى ذلك الربع الذي يخصني في جزيرة الحقل التي تقع في أرض معبد «حور» صاحب «إدفو» الواقعة في جزيرة الأثل، وهي التي يملك ربعها ابني «بائزيس» بن «حاربائزيس»، في حين أن «بابوس» بن «باسوس» يملك نصفها، وحدوده هي:

في الجنوب: حقل «حار-هروج» بن «باسوس» وحقل «خع-حور» بن «باسوس».

في الشمال: حقل «باتفيس» (؟) ابن «بالهو».

---

[٤] Die Demotischen Papyri Hauswaldt, 7. P. 25.

في الشرق: النهر العظيم (النيل).

في الغرب: الفناء الذي تملك نصفه.

يضاف إلى ذلك الربع الذي أملكه من الأرض العالية، وهو الذي يقع في حقول الملك، والذي في براح «تكوي بي-خموتني-أنتي إيسي» الذي يملك ربعه ابني «بائزيس» بن «حاربائزيس»، في حين أن نصفه يملكه «بابيس» بن «باسوس» وحدوده هي:

في الجنوب: حقل «حار هروج» بن «باسوس» وحقل «خع-حور» بن «باسوس».

في الشمال: حقل «بالهو» بن «حور» بن «بالهو».

في الشرق: الفناء.

في الغرب: حقل «حور الكبير» بن «بابوس» … إلخ.

وإني بعت نصفي المذكور أعلاه … الفناء بالإضافة إلى الجميز المذكور أعلاه مع ربعي في جزيرة الحقل والأرض العالية نقدًا، وقد أعطيتني ثمنها فضة (= نقدًا)، وقد تسلمتها من يدك كاملة غير منقوصة (أي النقود)، وقد انشرح قلبي بها، وهي ملكك (أي الأرض) وليس لي أي حق أو مقاضاة، ولا أية كلمة في العالم باسمها ضدك من اليوم فصاعدًا، وليس لأي رجل سلطان عليها غيرك، وأي رجل في العالم يظهر بسببها ضدك ليقول لك: «تنَحَّ.» (أي لينزعها منك) (أو) ليستولي منك على شيء منها، عندما يقول لك: «إنها لا تخصك.» سواء كان ذلك باسمي (أو) باسم أي رجل في العالم، وعندئذ فإني أنحِّيه عنك بسببها (أي الملكية)، وإني سأطهرها لك من كل مستند، ومن كل وثيقة قضائية، وكل مستند بمفعوله يكون لي حق شرعي فيما يتعلق بها، فهي ملكك، وكذلك مستنداتها ووثائقها القضائية، وكذلك ملكك برديها القديم والحديث (الحجج) في أي مكان أنت فيه، وهي ملكك بالإضافة إلى حقها وقضاياها، وأنت تملك (جميع) ما لي من سلطان عليها بحق القانون.

واليمين أو البينة الذي يُطلَب منك أو يطلب مني أمام العدالة لأؤديه أو تؤديه بسبب صحة كل كلمة أعلاه فإني أؤديه دون رفع قضية أو أية كلمة في العالم معك (أي تحدث معك).

عقد تنازل عن هذه الممتلكات سابقة الذكر

التاريخ والمتعاقدان: كما جاء في الجزء الأول من هذا العقد (أ).

يقول الطرف الأول للطرف الثاني: إني بعيد عنك فيما يتعلق بنصفك في هذه ... فناء بالإضافة إلى «قع-الجميز» الذي ينمو فيه، وهو الذي يقع في حقول الملك الكائنة في براح «تكوي بي-خموتني-أنتي إيسي» والتي نصفها الآخر ملك «بائزيس» بن «حاربائزيس» ابني، وحدوده هي:

في الجنوب: فناء «حار-هروج» بن «باسوس» و(فناء) «خع-حور» بن «باسوس».

في الشمال: فناء «بالهو» بن «حور» بن «بالهو».

في الشرق: جزيرة الحقل التي تملك ربعه.

في الغرب: الحقل الذي تملك ربعه.

يضاف إلى ذلك الربع من جزيرة الحقل هذه التي تقع في أرض معبد «حور» صاحب «إدفو»، وهي التي تقع في جزيرة الأثل، وهي التي يملك ربعها ابني «بائزيس» بن «حاربائزيس»، في حين أن «بابوس» بن «باسوس» يملك نصفها، وحدوده هي:

في الجنوب: حقل «حار-هروج» بن «باسوس»، و(حقل) «خع-حور» بن «باسوس».

في الشمال: «بالهو» بن «حور» بن «بالهو».

في الشرق: الفناء.

في الغرب: حقل «حور الكبير» بن «بابوس».

تأمل هذه هي حدود الحقل المذكور أعلاه.

ليس لي أي حق أو إجراء قانوني أو أية كلمة في العالم باسمه عليك من اليوم فصاعدًا، وليس لأي رجل حق خلافك، وكل إنسان في العالم يظهر ضدك بسببه ليطردك منه أو ليستولي على شيء منه، وذلك بقوله «إنه ليس ملكك.» سواء أكان ذلك باسمي أو باسم أي رجل في العالم فإني عندئذ أقوم بنفسي لإبعاده عنه (الحقل)، وإن لم أبعده عنك طوعًا فإني أبعده قهرًا دون مشاحة.

وإني سأطهره لك من كل كلمة في العالم في كل زمان، وإنك في حمايتي بحق مستند النقد الذي أمضيته أنا في السنة الرابعة من عهد الملك العائش أبديًّا لهذا التنازل المذكور أعلاه.

وإني أقر لك حقه في كل زمان دون مشاحة.

المسجل: كما في الوثيقة السابقة.

هذا، وقد دوِّن على ظهر الورقة في كل من عقد البيع وعقد التنازل ستة عشر شاهدًا بخط يد واحدة.

(١-٥) عقد بيع أرض من عهد «بطليموس الثالث» (في عام ٢٤١ق.م)[٥]

مستند بنقود

التاريخ: في السنة السابعة من شهر برمودة من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي»، الإلهين الأخوين، عندما كان «أرخيبيوس» Archibios ابن «فيدون» كاهن الإسكندر.

والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين، وحينما كانت «كالي» Kalli … (كريترت) ابنة «زندوروس» حاملة السلة أمام محبة أخيها «أرسنوي».

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: المرأة «تائزيس» ابنة «حور» بن «باخويس» و«تالهو».

الطرف الثاني: المزارع «حور» صاحب «إدفو» بن «تالهو» و«سنآمونيس».

نص العقد: يقول الطرف الأول للطرف الثاني:

لقد وفَّيْتني حقي كاملًا، وشرحت قلبي بالثمن نقدًا.

وإن النصف ملكي الواقع في الجهة الشمالية لهذه … الفناء الذي نصفه الآخر هو ملك «حاربائزيس» بن «باسوس» في جهته الجنوبية، ويقع في براح «تكوي بي-خموتني-أنتى-إيسي»، تأمل: إن حدوده هي:

في الجنوب: … فناء «حار-هروج» بن «باسوس» وأخوه و(فناء) «بتيفيس» (؟) Petephis ابن «بالهو».

[٥] Ibid. 8. 28.

في الشمال: حقل «باي» (؟) ابن «حور».

في الشرق: حقل «حاربوئزيس» بن «باسوس» وأخوه، وهو الذي ربعه ملكي.

في الغرب: حقل «حارئزيس» بن «باسوس» وأخوه الذي أملك ربعه.

هذا بالإضافة إلى الربع الواقع في الجهة الشمالية من الحقل العالي الذي فيه ٢ / ٣ + ١ / ١٢ ملك «حاربائزيس» بن «باسوس» مع أخيه في الجهة الجنوبية، وحدوده هي:

في الجنوب: حقل «حار هروج» بن «باسوس» و(حقل) «خع-حور» أخوه.

في الشمال: حقل «بالهو» بن «حور» بن «بالهو» و«باي» (؟) ابن حور.

في الشرق: العالي ... فناء.

في الغرب: حقل «حور الكبير» ابن «باسوس».

يضاف إلى ذلك ربعي الذي في الجهة الشمالية من جزيرة الحقل التي في أرض معبد «حور» صاحب «إدفو» الواقع في أرض جزيرة الأثل، وهو الذي ٢ / ٣ + ١ / ١٢ ملك «حاربوئزيس» بن «باسوس» بالاشتراك مع أخيه في الجهة الجنوبية، وحدوده هي:

في الجنوب: حقل «حار هروج» بن «باسوس»، و«خع-حور» أخوه.

في الشمال: حقل «باتيفيس» (؟) ابن «بالهو».

في الشرق: النهر العظيم (النيل).

في الغرب: العالي ... فناء.

تأمل: هذه هي حدود كل ما ذكر أعلاه.

وقد أعطيتني قيمته نقدًا.

وقد تسلمته من يدك كاملًا غير منقوص (= الثمن)، وقلبي منشرح به، وإنها (الأرض) ملكك، وليس لي أي حق، أو رفع قضية، أو أية كلمة في العالم باسمها ضدك من اليوم فصاعدًا.

ولا ينبغي لأي رجل في العالم أن يكون له سلطان عليها خلافك.

وكل رجل في العالم يظهر بسببها ضدك لأجل أن يغتصبها منك أو يأخذ جزءًا منها فإني عندئذ أبعده عنك فيما يتعلق بها (أي الأرض).

وإني سأطهرك من كل مستند، ومن كل وثيقة قضائية، ومن كل كلمة في العالم في كل زمان، وكل مستند يكون قد أُبرِم بخصوصها (الأرض) وكل مستند قد حرَّرته بخصوصها، وكل مستند قد حُرِّر لي بخصوصها (وكذلك) أي مستند بمقتضاه، خاص بها، تصبح من حقي فإنها (المستندات) ملكك، والمستندات الخاصة بها ملكك، وكذلك وثائق قضاياها، وأوراقها البردية القديمة وأوراقها البردية الحديثة ملكك في أي مكان كانت، وهي ملكك مع حقوقها وقضاياها السابقة (يقصد هنا القضايا القديمة التي اكتسبت بقوة القانون).

واليمين والبينة اللذان يُطلَبان منك أو مني أمام القضاء تأديتهما أو أؤديهما أنا عن صحة كل كلمة أعلاه، فإني أؤديهما دون رفع أية قضية، أو أية كلمة في العالم تطلب منك.

المسجل: «بابل-في» بن «باختراتيس».

وفي أسفل ذلك كُتِب بخطين مختلفين.

كتبه: «بوئريس» بن «حور» وكيل تيوس كاتب الملك.

وفي أسفل ذلك إمضاء بالإغريقية.

عقد تنازل عن البيع السابق[٦]

التاريخ والطرفان المتعاقدان: كما في الوثيقة السابقة.

نص العقد: يقول الطرف الأول للطرف الثاني: إني بعيد عنك فيما يخص نصفك (أي نصف حقلك) الواقع في الجهة الشمالية لهذه ... فناء (يقصد النصف الذي يخصك من هذا الفناء الواقع في الجهة الشمالية)، وباقي النص كما جاء في الوثيقة السالفة عدا بعض روايات أخرى في التعبير.

---

[٦] Ibid. P. 30.

وبعد ذكر الحدود لآخر حقل نقرأ: تأمل: هذه هي حدود كل الحقول المذكورة أعلاه، وليس لي أي حق، أو أي حكم قضائي، أو أية كلمة في العالم عليك. بمقتضاه يكون له حق في نصفك (نصف الحقل) المذكور أعلاه … الفناء، وربعك في الحقلين المذكورين أعلاه من اليوم فصاعدًا.

ولا ينبغي أن يكون لأي رجل سلطان عليها (الأرض) إلا أنت.

وكل إنسان في العالم يظهر ضدك بسببها؛ ليغتصبها منك (أو) ليأخذ شيئًا منها، وذلك عندما يقول: إنها ليست ملكك، سواء أكان ذلك باسمي (أو) باسم أي رجل في العالم، وعندئذ فإني أبعده بنفسي عنها (الأرض) وإذا لم يكن في استطاعتي إبعاده طوعًا فإني سأبعده قهرًا دون مشاحة.

وإني سأطهرها (الأرض) لك من كل كلمة في العالم في كل زمن.

وإنك ستكون في حمايتي بحق مستند النقد الذي حررته لك في السنة السابعة شهر طوبة من عهد الملك العائش أبديًّا. هذا، فضلًا عن عقد التنازل المذكور أعلاه، وهما مستندان.

وإني أوفِّيك حقك في كل زمان دون أية ضربة واحدة.

المسجل والإمضاءات بخطين مختلفين كما في الوثيقة السالفة إمضاء بالإغريقية.

يوجد على ظهر كل من عقد البيع وعقد التنازل ستة عشر شاهدًا.

(١-٦) عقد بيع أرض من عهد «بطليموس الثالث» (٢٤١–٢٤٠ق.م)[٧]

مستند بنقود

التاريخ: في السنة السابعة شهر بَشَنْس من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين الأخوين، عندما كان «أرخيبيوس» Archibios ابن «فيدون» كاهن الإسكندر والإلهين الأخوين، وعندما كانت «كالِي» ابنة «زنودوروس» حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» حبيبة أخيها.

[٧] Papyrus Hauswaldt, 9. P. 31–33.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: المرأة «تالهو» ابنة «خع-حور» و«رنبت-نفر».

الطرف الثاني: المزارع خادم الإله «حور» صاحب «إدفو» «بابوس» بن «بالهو» و«سنآمونيس».

صيغة العقد: لقد دفعت حقي كاملًا، وإنك قد شرحت قلبي بالثمن نقدًا عن جزيرة الحقل الملكي، وأرضي العالية الواقعة في جزيرة الأثل وفي «تكوي بي-خموتني أنتي-إيسي» وهما متلاصقان، وحدودهما هي:

في الجنوب: حقل «باخويس» بن «حور» بن «باخويس».

في الشمال: حقل «باتوس» بن «بالهو الكبير» و«بابويس» بن «حابائزيس».

في الشرق: جزيرة «باعبي» (جزيرة الجعران المجنح في الأرض الواقعة جنوبي «إدفو»).

في الغرب: حقل «بالهو» بن «حور» بن «بالهو».

انظر، وهذه هي حدود حقلاي المذكورين أعلاه.

وقد بعتهما لك مقابل نقد، وقد أعطيتني ثمنها نقدًا، وقد تسلمته من يدك كاملًا غير منقوص، وقلبي منشرح به.

وإنهما ملكك — أي الحقلان المذكوران أعلاه — وليس لي أي حق، ولا أية مخاصمة قضائية، أو أية كلمة فيما يخصهما ضدك من اليوم فصاعدًا. هذا بالإضافة إلى قع-الجميز وأشجار النخيل التي تنمو فيهما، والأشجار الباقية فيهما أو … التي فيهما.

ولا ينبغي لأي إنسان أن يكون له سلطان عليهما خلافك، وكل إنسان في العالم يظهر ضدك بسببهما؛ لطردك منهما، أو ليأخذ جزءًا منهما، وذلك بقوله: إنهما ليسا ملكك، سواء أكان ذلك باسمي (أو) باسم أي إنسان في العالم، فإني أبعده بنفسي عنك فيما يخصهما، وإني سأطهرك من كل مستند، ومن كل مخاصمة قضائية، ومن كل كلمة في العالم في كل زمن، وكل مستند قد حرر بخصوصهما، وكل مستند قد حررته بخصوصهما، وكل مستند قد حُرِّر لي بخصوصهما، وكذلك كل مستند بمقتضاه يثبت حقي الشرعي فيهما فإنها ملكك، ومستنداتهما ووثائقهما القضائية ملكك، وبردياتهما القديمة وبردياتهما الحديثة ملكك أينما وجدت، وهما ملكك، وكذلك حقوقهما، وأحكامهما القضائية.

واليمين والبينة الذي يُطلَب الإدلاء به منك أو مني فإني أؤديه أو تؤديه أنت على حسب صحة كل كلمة أعلاه، أؤديها دون أية مقاضاة، أو أية كلمة في العالم تتأتي ضدك.

المسجل: ... «بابل-في» بن «باخراتيس».

كتبه: «بوئريس» بن «حور» مدير إدارة «تيوس» كاتب الملك.

وكُتب بجوار ذلك بخطين مختلفين.
ثم يأتي بعد ذلك إمضاء بالإغريقية.

عقد تنازل عن الحقلين السالفي الذكر[^]

التاريخ، والطرفان المتعاقدان: كما جاء في العقد السابق.

نص العقد: يقول الطرف الأول للطرف الثاني: إني بعيد عنك فيما يخص حقل الجزيرة والحقل العالي، وهما اللذان متلاصقان الواحد مع الآخر في جزيرة الأثل، وفي «تكوي بي خموتني-إيسي»، وحدودهما هي:

في الجنوب: حقل «باخويس» بن «حور» بن «باخويس».

في الشمال: حقل «باتوس» بن «بالهو الكبير» بن «بابوس» بن «حاربائزيس».

في الشرق: جزيرة «باعبي».

في الغرب: حقل «باعبي» بن «حور» بن «بالهو».

تأمل هذه هي حدود حقل جزيرتك المذكور أعلاه، وحقلك العالي المذكور أعلاه.
وليس لي أي حق ولا أية منازعات قضائية (أو) أية كلمة في العالم باسميهما ضدك من اليوم فصاعدًا، وفيما يخص شجر جميزك ونخيلك وأشجارك التي تنمو فيها، والأشجار الباقية التي ستنمو فيها، وكذلك «أكن-ن-سرح» التي فيها.

---

^ .Ibid. P. 32–33

ولا ينبغي لأي إنسان أن يكون له سلطان عليهما غيرك، وإن أي إنسان في العالم يظهر ضدك فيما يخصهما؛ ليستولي عليهما، أو ليأخذ شيئًا منهما، وذلك عندما يقول: إنهما ليسا ملكك، سواء أكان ذلك باسمي (أو) باسم أي رجل في العالم، وحينئذ فإني بنفسي أبعده عنهما (أي عن الحقلين) وإذا لم أبعده طوعًا عنك فإني سأبعده قهرًا دون مشادة، وإني سأطهرهما لك من كل كلمة (نزاع) في العالم في كل زمن، وإني أحميك بمقتضى مستند النقد الذي حررته لك في السنة السابعة شهر بَشَنْس من عهد الملك العائش، وذلك خلافًا لعقد التنازل أعلاه، وهما مستندان حررتهما لك؛ ليكونا حقك في كل زمن دون أية مشادة.

المسجل والإمضاء بخطين مختلفين كما هي الحال في العقد السابق.

وتوجد إمضاء تصديق بالإغريقية.

وعلى ظهر وثيقتي البيع والتنازل شهد على كل منهما ستة عشر شاهدًا بخط كاتب بعينه.

(١-٧) عقد بيع أرض من عهد «بطليموس الثالث» (عام ٢٢٥–٢٢٤ق.م)[٩]

مستند بنقد

التاريخ: في السنة الثالثة والعشرين شهر طوبة من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين الأخوين، عندما كان «بطليمايوس» بن «كريزرموس» Chrysermos كاهن «الإسكندر» والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين، وعندما كانت «جيو خاريست»؟ Geochariste ابنة «خاريتون» Chariton حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: المزارع خادم «حور» صاحب «إدفو» (المسمى) «حور الكبير» ابن «سنبمويس» Senpmoes.

الطرف الثاني: المزارع خادم «حور» صاحب «إدفو» (المسمى) «بابوس» بن «بالهو» و«سنآمونيس».

[٩] Die Demotischen Papyri Hauswaidt, 11. P. 39–41.

نص العقد: يقول الطرف الأول للطرف الثاني: لقد دفعت لي حقي كاملًا، وجعلت قلبي منشرحًا بالثمن نقدًا لحقلي العالي، ومقداره ميلان ١½، ١/ ٤، ١/ ٨، ٢/ ١٦ أي ميلان ثانية من الجنوب نحو الشمال، وهو الذي يقع في حقل «تكوي بي خموتني-أنتي-إيسي» في القسم الجنوبي غربي مقاطعة «إدفو»، وحدوده هي:

في الجنوب: حقل «حارمسن هاربكوللوتيس» Harpkholuthes و«باخويس» بن «خع-حور».

في الشمال: حقل «حاربائزيس» بن «هارللوس» و«باتوس» بن «خع-حور».

في الشرق: حقلك (وحقل «خع-حور» بن «باسوس»).

في الغرب: حقلك.

انظر: هذه هي حدود حقلي العالي المذكور أعلاه.

لقد بعته لك مقابل نقود، وقد أعطيتني قيمته نقدًا، وتسلمتها من يدك كاملة غير منقوصة، وقد انشرح قلبي بذلك، وهو ملكك، وليس لي أي حق، ولا مخاصمة قضائية، أو أية كلمة في العالم باسمه ضدك من اليوم فصاعدًا، ولا ينبغي لأي إنسان في العالم أن يكون له سلطان عليه خلافك، وكل إنسان في العالم يظهر ضدك بسببه؛ ليستولي عليه منك، أو ليأخذ شيئًا منه، وذلك عندما يقول: إنه ليس ملكك، سواء أكان ذلك باسمي (أو) باسم أي إنسان في العالم، فإني عندئذ أبعده بنفسي عنك فيما يخصه (أي الحقل)، وإني سأطهرك من كل مستند، ومن كل وثيقة قضائية، ومن كل كلمة في العالم في كل زمان، وكل مستند بخصوصه (= الحقل) قد أُبرِم، وكل مستند أكون أنا قد أبرمته عن ذلك، وكل مستند بمقتضاه خاصًّا (بالحقل) يخوِّل لي حقًّا فإنه ملكك، وكذلك ملكك مستنداته (الحقل) ووثائقه القضائية، وكذلك ملكك برديته (أي بردية الحقل) القديمة وبرديته الجديدة (أي حجته القديمة وحجته الجديدة) في أي مكان هما فيه.

وهما ملكك بالإضافة إلى حقوقك وقضاياك (التي كُسبت بقوة القانون) واليمين أو البينة الذي يُطلَب منك أو مني للعدالة لتؤديه أو أؤديه بمقتضى حق كل كلمة مذكورة أعلاه، فإني أؤديه دون مقاضاةٍ ما أو أية كلمة في العالم تحدث معك (أي دون أية معارضة من جانبي).

المسجل: كتبه «بابل-في» بن «باخراتيس».

عقد تنازل عن البيع السابق (على اليسار)[١٠]

التاريخ والطرفان المتعاقدان: كما جاء في عقد البيع.

نص العقد: يقول الطرف الأول للطرف الثاني: إني بعيد عنك فيما يخص حقلك العالي الذي يبلغ ميلين؛ أي ١ ١/٢، ١/ ٤، ١/٨، ٢/ ١٦ أي ميلين ثانية من الجنوب نحو الشمال، وهو في حقل «تكوي بي–خموتني–أنتي–إيسي» في القسم الغربي من مقاطعة «إدفو» وهو الذي حررت لك عنه مستندًا مقابل نقود في السنة الثالثة والعشرين شهر طوبة من عهد الملك العائش أبديًّا، وحدوده هي:

في الجنوب: حقل «حارمسن» بن «هاربكوللوتيس» و«باخويس» بن «خع–حور».

في الشمال: حقل «حاربائزيس» بن «هارللوس» و«باتوس» بن «خع–حور».

في الشرق: حقلك وحقل «خع–حور» بن «باسوس».

في الغرب: حقلك.

نص العقد: تأمل هذه هي حدود حقلك العالي المذكور أعلاه.

وليس لي أي حق أو إجراء قانوني، أو أية كلمة في العالم فيما يتعلق به ضدك من اليوم فصاعدًا، ولا ينبغي لأي إنسان أن يكون له سلطان عليه إلا أنت.

وكل إنسان في العالم يظهر بخصوصه ضدك؛ ليستولي عليه منك، أو ليأخذ شيئًا منه، وذلك عندما يقول: إنه ليس ملكك، سواء أكان ذلك باسمي (أو) باسم أي إنسان في العالم، وعندئذ فإني بنفسي أبعده لك عنه، وإذا لم أبعده عنك بالتراضي فإني أبعده قهرًا دون ضرب، وإني سأطهره لك من كل كلمة في كل زمان، وإني أحميك بمقتضى الوثيقة التي حررتها لك مقابل نقد في السنة الثالثة والعشرين شهر طوبة، وذلك خلافًا للتنازل أعلاه، وهما وثيقتان حررتهما بحقك في كل وقت دون أية ضربة.

المسجل: كما جاء في الوثيقة السابقة.

هذا، ونقرأ على ظهر الورقة للوثيقتين أ، ب شهادة ستة عشر شاهدًا كُتِبت بيد واحدة.

---

[١٠] Ibid. P. 40.

(١-٨) عقد هبة (أو تقسيم إرث)[١١]

هذا العقد وُجِد ممزقًا غير أن الأثري «شبيجلبرج» أمكنه أن يجمع بعض أجزائه، ويخرج منه بالنتيجة الآتية:

التاريخ: في السنة ... شهر ... من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين الأخوين عندما كان كاهن «الإسكندر» والإلهان الأخوان والإلهان المحسنان في رقوده، وفي عهد حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها في رقوده.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: خادم «حور» صاحب «إدفو» «بارهو» بن «باتوس» و«تاشريت-ن محيت».

الطرف الثاني: المرأة «تارهو» ابنة «بارهو» و«تا-أو» (؟).

نص العقد: يا ابنتي، لقد وهبتك قطعة عقاري التي تبلغ ثلاثين ذراعًا مقدسًا، ونصفها هو خمسة عشر ذراعًا؛ أي مجموعها ثلاثون ذراعًا مقدسًا ثانية من الجنوب إلى الشمال، وكذلك بيتي هذا (؟) الذي أقيم فيها في حقل «تكوي بي-خموتني-أنتي-إيسي» الواقع في القسم الجنوبي من مقاطعة «إدفو»، وحدوده هي:

في الجنوب والشرق: بقية حقولي ... بينها نحو الشرق.

وفي الشمال: ... «حور» بن «توتورتايوس»؟

وفي الغرب: بيت «باتوس» بن «با-رهو» والشارع بينهما.

تأمل: هذه هي حدود عقاري المذكور أعلاه بالإضافة إلى ... البيت الذي أقيم فيه (على العقار).

وقد وهبته لك، وهو ملكك مع بلكونته وأبوابه وخارجته ومهاريسه ومدقات مهاريسه، هذا بالإضافة إلى موقده وآنية «ثب» وآنية غرف.

والابن والابنة والأخ والأخت (بالاختصار أي رجل في العالم يظهر ضدك بخصوصها) يجب عليه أن يدفع لك عشرة دبنات من الفضة أي خمسين ستاتر، عشرة دبنات ثانية، وإذا بعتِ هذا العقار مع ... البيت فإنه يجب عليك ألا تبيعيه لأي إنسان في العالم خلاف

---

[١١] Papyrus Hauswaldt, 13. P. 43 ff.

أولادي، وهم يدفعون لك عندئذ النقود التي حُدِّد مقدارها، وإذا لم يدفعوا لك النقود المحددة له، فعند ذلك ينبغي أن تكون لك السلطة في بيعه لأي إنسان تريدين أن تعطيه إياه.

شهادة الشهود:

لقد كتب هذا ...

(١-٩) عقود ضمانات من أجل سجين[١٢]

عثر الأثري «جوجيه» أثناء أعمال الحفر التي قام بها في الفيوم على عدة أوراق ديموطيقية: بعضها يرجع إلى القرن الرابع والقرن الثالث قبل الميلاد ... ومعظم هذه الأوراق عُثِر عليها في مدينة جعران، وتقع في الجزء الجنوبي الغربي من الفيوم،[١٣] ومن بين هذه الأوراق التي تُنسَب لعهد الملك «بطليموس الثالث» في مدينة جعران Ghoran أربع وثائق كتبت كلها بخطٍّ كاتب بعينه؛ ثلاث منها ترجع إلى عهد هذا الملك.

والوثيقة الأولى مكتوبة من الوجه والظهر، والكتابة التي على الوجه محفوظة تمامًا، أما التي على الظهر فقد أصبحت باهتة.

وهذه الأوراق الثلاث الأُوَل وُجِدت مع مومية متوَّجة، ومؤرَّخة بالسنة ٢٤٣ق.م.

وهاك ترجمة النص الذي جاء على وجه الوثيقة رقم واحد:

> (١) السنة الرابعة شهر هاتور في عهد الملك «بطليموس» العائش أبديًّا ابن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين المتحابين. أن الميدي (المولود في) مصر ... «بتاح».
>
> ابن نقطانب الملقب باسم «فيجيمون» Phegimon وأمه هي «تاتريس» Thatres يقول للإغريقي «فيلوكسينوس» Philoxenos رئيس الحرس في مركز «تيميستيس» Themistis إني أُحمِّل نفسي ضمان «باكوسيس» Pakusis ابن «بلاياس» Pelaias الذي يعمل عضوًا في حرس بلدة «سوخوس»

---

[١٢] Sottas, l’Papyrus Demotiques de Lille, Tom. I. P. 9 ff.

[١٣] Bulletin de Correspondence Hellenique. 1901. P. 382, sqq. et 1902. P. 95 sqq.

(المسمى) «بيزاي» Pisai في قسمك المذكور أعلاه، وهو الذي سُجِن بوساطتك، وقد سلمته لي، وإني سأجعله يحضر أمامك، أو أمام ممثلك في البلدة المذكورة التي يقوم بالحراسة فيها، وسيوافق على كل الشروط التي فرضتها عليه بحكم وظيفته كحارس في البلدة المذكورة، وذلك في السنة الرابعة ١٧ هاتور من عهد جلالة الملك العائش أبديًّا، وذلك بمثابة نقطة بداية إلى اليوم الذي تطلبه فيه، وإذا طلبته منِّي فإني سأحضره إلى المكان الذي تقول لي عنه لأحضره فيه، وذلك في ظرف خمسة أيام من طلبك، دون أن يكون في قدرته الالتجاء إلى معبدِ إلهٍ ما، أو مذبح ملك، أو في مكان عقد يمين أو مكان التجاء، وإذا طلبتَه ولم أحضره إلى المكان الذي أخبرتني عنه لأحضره فيه، وذلك في مدة خمسة أيام من طلبك دون أن يكون في مقدوره أن يتحصن في مذبح ملكي، أو مكان عقد يمين، أو مكان التجاء فإني سأعمل بمقتضى كل شرط ستفرضه علي بالأمر في مدة خمسة الأيام التي تلي خمسة الأيام المذكورة أعلاه، وذلك قهرًا، وكل شيء وكل متاع أمتلكه أو سيكون في مقدوري كسبه سيكون الضمان للحق المقرر بالعقد الموضح أعلاه، وليس لي الحق أن أقول: إني قد تصرفت نحوك على حسب ما دوِّن أعلاه في العقد المذكور أعلاه الذي بين يديك، ويكون لوكيلك الحق في أن ينفِّذ كل شرط يفرضه عليَّ فيما يتعلق بكل ما هو مُدوَّن أعلاه، ويجب علي أن أوافق على كل أوامره إجباريًّا.

كتبه «ماريس» Marres ابن «نيتوس».

الوثيقة الثانية: عقد ضمان مؤرخ بالسنة ٢٤٣ق.م من عهد «بطليموس الثالث» عُثر عليه في جعران مع مومية متوجة، وقد كُتب على وجه الورقة وعلى ظهرها.

ترجمة المتن الذي على ظهر الورقة (أي من الداخل):

السنة الرابعة شهر برمهات (في عهد) الملك «بطليموس» العائش أبديًّا ابن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين المتحابين: يقول الإغريقي «رودون» Rhodon ابن «تاليوس» Thalios و«ميرتو» Myrto الذي يؤلف عضوًا من حرس سجن بلدة «سوكوس» «أرسنوي» التابعة لمركز «تيميستيس» يقول لـ «أرتيميدوروس» Artemidoros رئيس حرس البلدة المذكورة، ومن حراس البلدة بوجه عام.

أتعهد بضمان «با–شي» بن «باير» Pa–yr وأمه هي «تاوس»، وهو الذي سُجِن بوساطتك على حسب التعليمات التي أعطيتها «هيراكليدس» رئيس الحراس لمقاطعة «أرسنوي» بمقتضى خطابٍ خاص، «وإنك قد سلمته لي، وإني سأجعله يظهر أمامك، أو أمام ممثلك في البلدة المذكورة من أول السنة الرابعة التي هي السنة الخامسة (على حسب التوقيت المقدوني) التاسع من شهر برمهات حتى اليوم الذي تطلبه فيه، وإذا طلبته ولم أحضره لك إلى المكان الذي تقول لي أحضره فيه، وفي ظرف خمسة أيام من طلبك له دون أن يلتجئ إلى معبد إله، أو مذبح ملكي، أو مكان عقد الأيمان أو مكان الالتجاء، فإني سأخضع لكل الشروط التي ستفرضها عليَّ بالأمر في مدة اليومين اللذين يأتيان بعد خمسة الأيام المذكورة أعلاه إجباريًّا، وكل شيء وكل متاع أملكه سيكون في مقدوري كسبه سيكون الضمان للحق المقرر بالعقد المذكور أعلاه، ولوكيلك الحق في تنفيذ كل شرط سيفرضه عليَّ بخصوص كل ما هو مدوَّن أعلاه، وإني سأتبع أمره إجباريًّا.

كتبه «ماريس» بن «نيتوس».

والوثيقة المدونة باطنَ البردية السابقة:

السنة الرابعة التي تقابل السنة الخامسة (المقدونية) التاسع من برمودة في عهد الملك «بطليموس» العائش أبديًّا ابن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين المتحابين. يقول الإغريقي المولود في مصر (المسمى) «رودون» بن «تاليوس» و«ميرتو» الذي يكون جزءًا من حرس المدينة «سوخوس–أرسنوي» الواقعة في مركز «تيميستيس» Thimistis على الشاطئ جنوب (قناة موريس) في مقاطعة «أرسنوي» لـ «أرتيميدوروس» بن ... رئيس الحرس في المدينة السالفة الذكر، وكذلك لحراس تلك المدينة بوجه عام، وإلى الممثلين «هيراكليدس» رئيس الحراس للمقاطعة المذكورة: إني أتحمل ضمان «با–شي» بن «با–ير» وأمه هي «تاوس» Taos، وهو الذي قد سُجِن بأمرك في سجن البلدة المذكورة على حسب التعليمات التي أعطيتها «هيراكليديس» رئيس حراس مقاطعة «أرسنوي»

> بمقتضى خطاب بموضوعه، وقد وكَّلْتَ لي أمره، وإني سأجعله يحضر أمامك أو أمام ممثلك في البلدة المذكورة من بداية العام الرابع الذي يقابل العام الخامس، تسعة برمودة، من عهد الملك العائش أبديًّا، كنقطة ابتداء إلى اليوم الذي تطلبه فيه، وإذا طلبته فإني أحضره لك في المكان الذي تخبرني عنه … إلخ.

الوثيقة الثالثة:[١٤] وهي مؤرخة بعام ٢٤٣ق.م من عهد الملك «بطليموس» الثالث، وقد عُثِر عليها في «جعران» كذلك مع مومية متوجة، وهي من نفس النوع السابق، أي ضمان سجين.

ومتن هذه البردية ممزق بعض الشيء، وهاك الترجمة:

> السنة الرابعة، شهر مِسْرَى، في عيد المصابيح وولادة «حور» في عهد الملك «بطليموس» العائش أبديًّا ابن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين المتحابين.
>
> يقول قائد الأعمال، وخادم «تحوت» مزدوج العظمة جدًّا سيد الأشمونين، الإله العظيم (المسمى) «تيوس» وأمه هي «سدمت» Sedmet لـ … «باتوتميس» Pateutemis ابن با … وأمه هي (… وإلى …) حارسا سجن بلدة «سوخوس» «أرسنوي» من مركز «تيمستيس».
>
> إنه من بداية السنة الرابعة، شهر مِسْرَى، في أعياد المصابيح، ولادة «حور»، في عهد الملك العائش أبديًّا حتى السنة الخامسة في الثلاثين من شهر توت؛ أي مقدار ٣٤ يومًا، والتي نصفها سبعة عشر يومًا، ومجموعها ثانية ٣٤ يومًا، وإذا طلبته مني في خلال هذه المدة المذكورة أعلاه ولم أحضره لك في المكان الذي تقول لي أحضره فيه في مقاطعة «أرسنوي» في ظرف خمسة أيام من طلبك فإني سأكون خاضعًا لكل شرط (جزائي) تفرضه عليَّ.

هذا، ويُلحَظ أن هذه الوثيقة ليست كاملة إذا ما قرنت بالوثائق التي سبقتها هنا في هذا الموضوع.

---

[١٤] Ibid. P. 12.

(١٠-١) رسالة توسل[١٥] من عهد «بطليموس الثالث» (على أغلب الظن)

عُثِر على هذه الرسالة في مدينة جعران مع مومية متوجة.

وقبل ترجمة هذه الرسالة لا بد أن نشير هنا إلى أن موضوعها هو توسل وتضرع موجَّه من خادم إلى سيده، أو بعبارة أخرى من تابع إلى رئيسه، وتدل شواهد الأحوال على أن هذا التابع قد اقترف ذنبًا أدَّى إلى سجنه، ويتساءل الإنسان هل هذا الخطاب هو خروج عن حدِّ الذوق والأدب، أو كان مرجعه إلى سوء تصرف أوقع هذا التابع في مسئولية مالية؟

والظاهر من فحوى الرسالة أن الأمر خاص بالرأي الأخير؛ أي إنه متعلق بمسألة مالية، وهاك نص الرسالة على الرغم مما تنطوي عليه من صعوبات لغوية، وبخاصة في موضوع المراسلات سواء أكانت بالإغريقية أو بالقبطية أو بالهيراطيقية، وبوجه خاص في الأخيرة، ومن ثَم لا يُدهش الإنسان إذا لحظ أن الترجمة التي سنعرضها هنا جاءت ناقصة، ونرجو عند السير قدمًا بحل الرموز الديموطيقية التغلب على ما في هذه الرسالة من معضلات.

والوثيقة تحتوي على متنين كُتب أحدهما على ظاهر الورقة، والآخر على باطنها.

المتن الذي على وجه الوثيقة:

> (١) إنه «باوش» Paoush ابن «أرر» Arer الذي يتكلم. (٢) لقد عينت لأسافر إلى الجنوب (…). (٣) ومع ذلك فإنهم لم يتسلموا أجورهم مني بأية حال من الأحوال. (٤) والأمر أن أولئك الذين اخترعوه قد غالوا فيه بهذه (٥) الكيفية، وأنك قد تسلمت على حسب تعليماتي عن هذا الأمر. (٦) يوميًّا، وكان عليك أن تفطن (٧) إلى أني لم أدخل في أمر دون (٨) أن تَحدُث موافقتك لي على كل شيء. احترس (٩) من أن تسبِّب فقدان العبد الذي تحت رحمتك بسبب (١٠) ضربة جنون، وإني معين للسفر (١١) جنوبًا! فيا له من كابوس! وإذا أنت لم (١٢) تعمل على أن تكون متسامحًا مع الناس فإن الله بلا نزاع (١٣) سيرد ذلك لك بالمثل، ولْيقل الناس إنه قد حصل عليه لأجل «باوش» (؟)

---

[١٥] Pap. Lille. P. 22 ff.

ابن (١٤) «أرر» ليعود إلى الفيوم بوصفه سجينًا بأمرك (١٥) يا «دايتونداس» Daitondas، وإنك قد عملت ما هو ضروي (١٦) لإطلاق سراحه، واليوم اجعلني أفيد من فضله (١٧) الشفقة التي فيك، واعمل حسابك فيما (١٨) سيدفع لك من ذلك مني كاملًا، وإني سأعمل على أن (١٩) أن يدفع أمامك خمسة دبنات من الفضة و... (٢٠) في نهاية فصل الصيف ... وإني سأعطي ثلاثة دبنات أخرى من الفضة ... (٢١) في ٣٠ مِسْرَى، وبحياة «حرمخيس» الإله العظيم (٢٢) و«حرسفيس» الإله العظيم إنه ليس معي قدتان (٢٣) من الفضة في داخل مصر لأقل مصروف (٢٤) زائد ... وإني أضيف إلى ذلك (٢٥) ما يليق ... دبنات من الفضة في نهاية الصيف (٢٦) الصغيرة ... الذي كان ... عندما أضفت (٢٧) إلا ستاتر ملكك، وهو الذي كان قد أخذ بمثابة مصروف للناس الذين ... (٢٨) العمل ... أنت.

ظهر الورقة: إن ما جاء على ظهر هذه الورقة هو بقية هذه الرسالة، ومن الصعب ترجمة معظمه، ويمكن فقط إعطاء ملخصه، وذلك لأن كل ما بقي يكاد يخيم الشك على معناه، وهاك ما أمكن فهمه:

(١) بوساطة «حرمخيس» الإله العظيم و«حرسافيس» (٢) الإله العظيم. على أنه لا (٣) «المسكن»، ولا جنوده، وأنه ليس بشيء (٤) قد عملته من أجله، وهو زيادة خمسة دبنات من الفضة، وخمسة قدات لأجل تولين Twlyn (٥) وقد تحدث عن زيادة كانت قد عملتها بسببه مع (٦) «حور» بن «نسخنس» الرجل ... (٧) ولندع جانبًا هذه الأسطورة القائلة بأني دفعت لهم شيئًا (٨) مماثلًا للذي دفع لـ «أوتكس» Awtkes، ولم يكن هناك (٩) بحوث من أجل الزيادة التي عملت له، من جديد ... (١٠) الرجل ... الذي يتركني ... (١١) ... الإله لأجل أن يقنعك لترسل (١٢) «خنستوتيس» Chonsthotis اجعلني في ... (١٣) ... ارفع عني غذائي حتى أكون خاضعًا لكل العالم ... (١٤) عارف ... ونحن سنجعله يقال لك أمام (١٥) ... أنت تعرفه ... وأنت تسألني عن (١٦) الموضوع ... أنت ... معي، هنا (١٧) ... فليعمل لي من أول شهر هاتور (١٨) حتى الثلاثين من بَشَنْس ... ولتؤخذ (١٩) أملاكي التي كانت ... خمسة

قدات من الفضة، وهي بالعملة النحاسية، وهو الذي (٢٠) عندي … (٢١) …
كتب في العام الثاني في العشرين من أبيب.

(١-١١) ضمانات عن مبلغ من المال من عهد «بطليموس الثالث» عُثِر عليها في بلدة جعران[١٦]

عدد هذه الضمانات ثلاث دُوِّنت بيد كاتب واحد، ومحتوياتها تكاد تكون موحدة، وكذلك الشخصيات التي ظهرت فيها واحدة أيضًا، إلا الشخص الذي يحمل الضمان، والواقع أنها ثلاث ضمانات لصالح شخص واحد. هذا، ونجد في كل مرة لضمان مبلغ محدد من النقود مقداره خمسة قدات من الفضة، والواقع أننا نعرف عددًا لا بأس به من الضمانات المنوعة.[١٧]

وأتم النسخ الثلاث التي في مجموعة «ليل» التي نحن بصددها الآن البردية التي تحمل رقم ٩، وسنورد ترجمتها هنا مع الاستعانة بالنسختين الأخريين في فهم ما غمُض فيها من عبارات، وكالعادة نجد أن كل وثيقة تحتوي على نسختين؛ إحداهما على وجه الورقة، والأخرى على ظهرها؛ أي نسخة خارجية، وأخرى داخلية. غير أنه في هذه الوثيقة نجد أن النسخة الخارجية تنحصر في العنوان وحسب.

المتن الخارجي:

عقد بمبلغ خمسة قدات من الفضة تُدفَع في السنة السادسة والعشرين في آخر يوم من شهر «هاتور».

المتن الداخلي:

السنة الخامسة والعشرون التي تقابل السنة السادسة والعشرين شهر طوبة (في عهد) الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» والإلهين المتحابين. يقول الناسج «أناروس» Inaros (ابن) أبريز Apries وترنبنا

---

[١٦] Pap. Lille Ibid. P. 29 ff.

[١٧] Revillout Corpus Papyrorum II, 3; Sethe Sarapis. P 90.

برع Trenpnabra لـ «أرستوكراتيس» Aristocrates السكرتير المالي لمركز «تيميستيس» وإلى «هارمايس» Harmais ابن «حارنبعنخ» Harnebonch كاتب الملك: إني آخذ على نفسي الضمان من أجل «بانب» Paneb … ابن «نقطانب» الناسج لبلدة «سوخوس» (المسمى) تومس Touemes (؟)؛ ضمان لدفع خمسة قدات من الفضة نصفها قدتان (؟) والمجموع خمسة قدات من الفضة، وإني مرتبط أمامك بدفع هذا (المبلغ) للبنك الملكي بوصفه حقه من أول السنة الخامسة والعشرين التي تقابل السنة السادسة والعشرين، شهر طوبة، حتى السنة السادسة والعشرين في اليوم الأخير من «هاتور».

واليوم الذي يقال فيه لي: ادفع هذه (النقود)، فإني سأدفعها هنا في يوم واحد من اليومين من الشهر المعين إجباريًّا، ولن يكون لي الحق أن أقول: إني أعطيت النقود هنا دون مستند قانوني (في صورة حسنة) وإن كل ما أمتلكه، وما سأكسبه سيكون الضمان لكل شيء، ولن يكون في استطاعتي أن أقول: إني أرضيتك بالحق المخوَّل لك بمقتضى العقد المذكور أعلاه، والعقد المذكور أعلاه يبقى بين يديك، وسيكون لوكيلك المكانة التي تخوِّل له تنفيذ كل شرط سيُفرَض عليَّ باسم كل ما هو مذكور أعلاه، وإني سأعمل على حسب أوامره إجباريًّا.

كتبه: «حور نخت-دت» بن …

الشهود: ذُكِر أسماء أربعة شهود فقدت أسماء آبائهم من الورقة.

(١-١٢) إقرار بدفع ضرائب[١٨]

هذا الإقرار يرجع عهده لحكم الملك «بطليموس الثالث»، وقد وجد في حالة سيئة من الحفظ.

وهاك ترجمة ما بقي منه:

السنة التاسعة شهر أبيب في عهد الملك «بطليموس» العائش أبديًّا ابن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين المتحابين، وذلك عندما كان كاهن «الإسكندر»

[١٨] Pap. Lille Ibid. P. 46.

والإلهين المتحابين والإلهين المحسنين (يُدعَى) أبوللونيدس Appollonidis بن «موشيون» Moschion وعندما كانت «منيكراتيا» Menecrateia ابنة «فيلامون» Philamon حاملة السلة أمام «أرسنوي» محبة أخيها الـ ... «تيوس» Tios ابن ... وأمه هي ... يقول لـ «تحو تمحب» الكبير ابن سروش Sroush، وأمه هي «باست» ... لقد أرضيتني بالدبنين من الفضة؛ أي عشرة ستاتر، أي دبنان من الفضة ثانية، وكل ستاتر يساوي ٢٤ أوبولًا من النحاس، وذلك للجزية؛ أي ضريبة ماجدولون (؟) (ضريبة للمحافظة على الحدود الصحراوية للبلاد، حيث كانت تقام هناك المجادل) ... «خنس» بن «تيوس» ابني البكر (٧) ... لأجل جزيته أي ضريبته، وكذلك ضريبة «تحو تمحب» بن «حور» وأمه هي «باست» ... الدبنات من الفضة سالفي الذكر (٩) منك، ومن هذين الشخصين صديقيك المذكورين أعلاه، وإني مسرور بذلك، وهما كاملان غير منقوصان.

(١٠) وليس لدي أي شيء في العالم لأخاصمك فيه من أجل هذا المبلغ، وليس لدى أي شيء في العالم لأخاصم من أجله هذين الشخصين صاحبيك سالفي الذكر (١١) (فيما يتعلق بهذا المبلغ) من اليوم بمثابة نقطة بداية، وإذا أتى أي إنسان ليعمل على معاكستك، وإذا أتى إنسان لمضايقة واحد من هذين الشخصين صديقيك (المذكورين أعلاه لأجل) موضوع الضريبة أو الجزية (أو) لأي شيء مهما كان بسببه من أجل هذه الضريبة مجدولون (؟) المذكورة أعلاه فإني أُقْصِيه عنك، وإني أقصيه (عن هذين الشخصين المذكورين أعلاه قهرًا) وإذا هاجمتك ... لـ «ختس» بن «تيوس» ابني البكر المذكور أعلاه من أجل هذه الضريبة (مجدولون) (؟) المذكور أعلاه ... وتهاجمني لأجل أن يُعمَل لك الحق بمقتضى المستند المذكور أعلاه الذي كتبه «ماريس» Marris ابن نيتوس Neitheus.

(١-١٣) نظام جمعية دينية مؤرَّخ بالسنة ٢٢٣ق.م من عهد الملك بطليموس الثالث[١٩]

عُثِر على هذه الوثيقة في جعران من أعمال الفيوم، وهذه الوثيقة قد انطوت على نظام جمعية دينية تشبه كثيرًا ما جاء في أوراق أخرى غير أنها أحدث من وثيقتنا،[٢٠] ومن أجل ذلك فإن أهمية وثيقتنا تنحصر في أنها أقدم عهدًا من أوراق القاهرة وبرلين، وهاك الترجمة:

السنة الرابعة والعشرون شهر أمشير (من عهد) الملك «بطليموس» العائش أبديًّا ابن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين المتحابين، عندما كان كاهن «الإسكندر» والإلهان المتحابان والإلهان المحسنان (…) حاملة السلة الذهبية «لأرسنوي» محبة أخيها.

نسخة من النظام الذي اتفق على السير بمقتضاه أعضاء جمعية معبد «حور بحدتي» في بلدة «سوخوس» «بيزاي» Pisai من أعمال مركز «تيميستيس» Themistis الواقعة على الشاطئ الجنوبي (لقناة موريس) في مقاطعة «أرسنوي»، (على أن يراعوا) قائلين باتفاق موحد: لقد اتفقنا على مراعاته (في المكان) المذكور أعلاه، وسنورد جزءًا من الملح، ومن العطور، ومن الأكاليل، ومن أواني ماء الطهور، ومن أزهار كوينزا Conyza ومن جعة، ومن نبيذ، وسنجلس في المعبد المذكور أعلاه (في البلدة المذكورة أعلاه في الأيام) (٤) التي يتفق أعضاء الجميعة على الاجتماع فيها، وذلك في السنة الرابعة والعشرين شهر أمشير حتى السنة الخامسة والعشرين آخر طوبة؛ أي مدة سنة، أي اثنا عشر شهرًا وسدس. أي مدة سنة دون حساب أيام العيد التي يكون في أثنائها أعضاء الجمعية سيتفقون فيها على الاجتماع.

[١٩] Pap. Lille. P. 57 ff.

[٢٠] Papyrus, No. 3115 de Berlin spiegelberg, Catalogue. P. 18–19, et Pl. 38–41, de 107 av. J. C., et de Caire No. 30605 (spiegelberg. P. 18–25, et Pl. 10–12) de 157; 30606 (ibid. P. 26–29 et Pl. 13–15 de 158–7). Die Sogenaunte demotische Chronik des Pap. 215 der Beb Nat. P. 29–30 Pl. 7.

ونحن ننطق بإجماع موحد: نحن (…) الذين قرروا العمل خلال المدة المذكورة أعلاه، ونحن سنؤدي الضحايا والقربات السائلة للملك «بطليموس» ابن «بطليموس» والملكة «برنيكي» ولأجل «أرسنوي» الإلهين المتحابين والإلهين المحسنين … (…) ولأجل كل آلهة مصر الذين ضمن الجمعية … وسنعطي قدتًا من الفضة، والذي نصفه هو ١ / ٢ قدت من الفضة؛ أي قدت واحدة ثانية من الفضة، وذلك بمثابة رسم (ضريبة) للمدة المذكورة أعلاه، والفضة … كل شهر، ولـ … من أجل نقود الوظائف … هذه ستكون (…) … كل شهر في يدي مدير الجمعية، والذي سيكون قد اتفق عليه أعضاء الجمعية فيما يخص الأموال الإضافية لأجل الموكب نحو الـ (…) المذكور أعلاه.

وعلى كل فرد أن يورد نصيبه من الملح للجمعية في اليوم أعلاه، ونحن سنقدم الجرايات للآلهة وإلى … (…) الذين في الجمعية في يدي … في اليوم الذي يتفق عليه أعضاء الجمعية للقيام بالدفع، وإن من يكون من بيننا في مقدوره أن يدفع جراياته التي عليه أن يدفعها، ومن لم يقم بالدفع، فعليه أن يدفع غرامة قدرها ستة قدات من الفضة، ونحن سنطارده فضلًا عن ذلك لأجل أن يقوم بأداء دفع يوميته إلا في حالة إذا كان في (…) في السجن، وفي قضية خاصة بالسلطة الملكية إذا كان الدليل قد قام عليه، وإن من يُدْعَى من بيننا أمام مجلس الجمعية ولم يحضر، وكان في استطاعته الحضور، فإذا أقيم الدليل عليه فعليه أن يدفع غرامة … قدت من الفضة، وسنطارده (١٠) حتى يدفع الجزء الذي اختلسه مع تغريمه ١ / ٢، ١ / ٢، ١ / ٤ هذا المبلغ المختلس إجباريًّا وبدون تأخير.

وإن من يقول من بيننا لواحد منا: إنك مصاب بالجذام، ولم يكن مصابًا بالجذام؛ فعليه أن يدفع غرامة قدرها ثمانية قدات من الفضة، وإن الذي من بيننا سيعدي زوج رجل معروف بيننا بمرض في خلال المدة المذكورة أعلاه، ويقام الدليل عليه فعليه (١١) أن يدفع غرامة قدرها ثمانية قدات من الفضة، وإن الذي من بيننا سيشيع سوء النظام في الجمعية فيما يخص يومنا الخاص بالمعبد، وذلك بألا يقوم بدوره بيننا، فعليه أن يدفع غرامة قدرها ١ / ٥، ١ / ٤ من الدخل الكلي للجمعية عن مدة يوم من أيام المعبد، وذلك قهرًا وبدون تأخير.

وسنذهب إلى موكب الصقر (في الأيام) التي يتفق عليها أعضاء الجمعية لإقامة الموكب في خلال المدة المذكورة أعلاه، فيسيرون في حفل الرئيس الأعلى الصقر، والرؤساء الباقين من الجمعية في حشد منظم، والفرد الذي لا يحضر موكب الصقر وكان في استطاعته الحضور، فعليه أن يدفع غرامة قدرها قدت واحدًا من الفضة، هذا بالإضافة إلى أنه سيحيق به غضب الإله، وإن الذي يسب منًّا رئيس الصقر، أو يسب أحد رؤساء الجمعية (الطائفة) فإنه يدفع غرامة قدرها ثمانية قدات من الفضة إذا أقيم عليه الدليل، وإن من يضرب من بيننا رئيس الصقر (١٤) أو رئيسًا من الجمعية، وأقيم عليه الدليل فعليه أن يدفع غرامة قدرها ثمانية قدات فضة، وإذا سبَّ رئيس الصقر أحدًا فعليه أن يدفع غرامة قدرها … من الفضة، أو إذا ضرب أحدًا فعليه أن يدفع غرامة قدرها دبنًا واحدًا من الفضة.

أما السب الموجه للكاهن الأعظم أو إلى أحد معاونيه فيُجازى بغرامة قدرها … قدت من الفضة، وإن الذي من بيننا (١٥) يجد واحدًا منا يقحمنا في قضية خلال المدة المذكورة أعلاه، ويهمل مساعدته، وكان في مقدوره أن يفعل ذلك وأقيم عليه الدليل، فعليه أن يدفع غرامة قدرها أربعة قدات من الفضة، وإن من سيكون منا في السجن عقابًا على كذبه دون الالتجاء إلى مذبح (الملك …) (١٦) فإنا نعمل على أن يُحمَل له بوساطة مدير إدارة الجمعية جراية (؟) من الغذاء كل يوم إلى أن يُطلَق سراحه، ونحن كذلك نشترك في قضيته في جماعة منظمة، ونشهد في صالحه لحدِّ المخاصمة لمدة عشرة أيام، وإذا أمكننا أن نجعل قضيته تدخل في دور تراضٍ فإنا ندخلها، وإذا ذهب فرد منا بمثابة متبتل أو بمثابة معتزل في معبد الإله، وسواء أكان ذلك في قاعة التأديب، أو بسبب البحث عنه بوصفه لاجئ في مكان عقد اليمين، وخلال المدة المذكورة أعلاه فإنا نخرج من الجمعية لمساعدته.

وكل ما سيُتَّخذ ضده من إجراءات ستتخذ ضدنا أيضًا، وإنَّ من يموت منا في المكان المذكور في المدة المذكورة أعلاه فإنا سنأخذ العزاء عنه، وسنقوده إلى الجبَّانة، وسنجعل مدير الجمعية يقرر مقدار مائة جراية لجنازه، وذلك مقابل مصاريف تحنيطه لمدة خمسين يومًا، والخمسة والثلاثين والخمسة والعشرين الخاصة به (أي التحنيط) وكذلك لمدة عيد دفنه هو خمسة وعشرون يومًا.

وسنعطي النقود من أجله كل يوم، وإن من لا يرافقه في جنَّازِه إلى الجَبَّانة، وكان في مقدوره أن يقوده إلى هناك، وثبت عليه البرهان بذلك؛ فإن عليه أن يدفع غرامة قدرها ثمانية قدات فضة، وإن من سيموت من بيننا والده أو أمه أو أخوه أو أخته أو ابنه أو بنته أو حموه أو حماته في المكان المذكور أعلاه في خلال المدة المذكورة أعلاه فيحتم علينا أن نسير في جنَّازه حتى الجبَّانة، ونعمل على أن يقدم له مدير إدارة الجمعية (…) وسنستقبله في الجمعية، وسنجعله يشرب، وسنخفف من حزنه.

وإن من سيموت من بيننا خارج المكان على مسافة ميلين جنوبًا أو شمالًا أو شرقًا أو غربًا فإنا سننتخب خمسة أشخاص من الجمعية، ونعمل على أن يحتفلوا به (إلى أن يصل إلى الجبَّانة) التي في المكان المذكور أعلاه، وسنمده بالجراية على حسب ما هو مُدوَّن أعلاه. أما ما زاد عن خمسة الأشخاص فإنهم سينسحبون من الجمعية مدة ذهابهم وإيابهم، وإن من سيكون قد انتُخب؛ ليكون ضمن خمسة الأشخاص ولم يذهب، وكان في مقدوره الذهاب فعليه أن يدفع غرامة قدرها خمسة قدات من الفضة، وإن الذي منا سيذهب عنده مدير الجمعية؛ لأجل أن يتسلم أجرًا قد تأخر دفعه للجمعية، ويقترب منه أو من أي واحد منا، وأقيم الدليل عليه، فعليه أن يدفع غرامة قدرها ستة قدات من الفضة، وإن من سيشكو منَّا واحدًا من بيننا أمام موظف كبير أو سلطة (دون أن يضع شكواه أمام أعضاء الجمعية) (٢٣) أوَّلًا فعليه أن يدفع غرامة قدرها ستة قدات من الفضة، وإن من سيشكو منا واحدًا من بيننا أمام أعضاء الجمعية، ويكون له الحق في شكواه، ويتظلم أمام موظف كبير فإنه سيدفع غرامة قدرها ستة قدات، وإن من يتظلم منا من واحد بيننا أمام (…) المذكور أعلاه، ويكون له الحق في موضوع شكواه، وسيقول فلْأُقْدِم إلى المحاكمة أمام جمعية أخرى؛ لأنه لم يُعمَل لي الحق في هذه، وإذا كان حكم الجمعية الأخيرة يصادق على حكم الأولى (…) فإن عليه أن يدفع غرامة قدرها أربعة قدات من الفضة.

وإن من سيجد منا واحدًا من بيننا مع زوجه، ويثبت ذلك عليه فإن (هذا الأخير) يدفع غرامة قدرها قدتان من الفضة، وفضلًا عن ذلك سنطارده لعزله من الجمعية، وإن الذي منا سيعمل على أن يجعل واحدًا من بيننا تصيبه

خسارة في خلال المدة المذكورة أعلاه (٢٦) (ويخرج هو سليمًا) من ذلك بحيث يكون قد سبب خسارة للشخص المذكور فإنه سيدفع غرامة قدرها ... قدات من الفضة ... إجباريًّا، وبدون تأخير، وإن الذي من بيننا سيمتنع عن أن يعمل وفق كل ما هو مدون أعلاه خلال المدة المذكورة أعلاه بعد (...) (٢٧) أو ... فيدفع غرامة قدرها ثلاثة قدات من الفضة لأجل الضحايا والقربات السائلة للملك «بطليموس» العائش أبديًّا (ابن) «بطليموس» والملكة «برنيكي» ولأجل قربات «أرسنوي»، والإلهين المحبين و«إيرجيتيس» (...)، وإنا سنطاردهم؛ لنجعلهم يعملون على حسب كل ما هو مُدوَّن أعلاه أثناء المدة آنفة الذِّكْر قهرًا ودون تأخير ... وكل ما يُوجَد مذكورًا أعلاه فإن قلبنا راضٍ به، ونحن على اتفاق على أن نخضع للغرامات، وإلى كل ما هو مذكور أعلاه في النظام المذكور، وكل مستند (...) خارجًا عما اتفق على مراعاته أعضاء الجمعية أثناء المدة المعلومة، ونحن مصدقون عليه.

كتبه ...

تعليق: على الرغم مما أصاب متن هذا النظام — الذي وضعته جماعة دينية لنفسها لتسري على هديه — من تمزيق جعل فهم بعض ما جاء به عسيرًا علينا فإن ما بقي لنا منه يكشف لنا عن صفحة من أمجد الصفات التي خلَّفها لنا رجال الدين في مصر خلال النصف الأخير من القرن الثالث قبل الميلاد، والواقع أن هذا النظام، وما انطوت عليه فقراته من قواعد لتكون أساسًا يسير على نهجها أفراد هذه الجمعية؛ يُعتَبر في نظر العالم المُتمَدين الآن من أحسن ما خلَّفه لنا الإنسان من حيث الأخلاق، وسلوك المعاشرة بين الناس بعضهم بعضًا.

يضاف إلى ذلك أن ما اشتمله هذا النظام من الشروط التي يجب أن يتبعها كل فرد من أفراد هذه الجمعية يضع أمامنا صورة واضحة عن عيوب المجتمع التي كانت فاشية وقتئذٍ، وطرق علاجها، وعلى الرغم من أن أساس النظام كان الدين، فإن كل فقرات القانون الذي وُضِع كان صُلْبها المعاملة، وحسن سير المجتمع الإنساني، والأخذ بناصر المظلوم، ومواساة المحزون، والضرب على يد الخائن، ومعاقبة الزاني ومن يُشيع الفساد والفوضى ومن ينقل العدوى لغيره، ومن أحسن فقرات هذا النظام أن كل فرد في هذه الجمعية يصبح آمنًا على حياته ومستقبله، بل ومستقبل أسرته في الحياة وفي الممات

ما دام متبعًا القواعد التي قامت عليها الجمعية، والواقع أن نظم هذه الجمعية كانت ديمقراطية من كل الوجوه.

أما من حيث الدين فإن ما يلفت النظر هنا هو أن الإله الذي كانت تسير على هديه هذه الجمعية لم يكن الإله «سبك» الإله الأعظم في مقاطعة الفيوم التي أُسِّست فيها هذه الجمعية، بل كان الإله «حور» رب «إدفو»، وقد يبدو ذلك غريبًا في أول الأمر، ولكن يبطل وجه الغرابة عندما نعلم أن الناس في كل وقت — وبخاصة في الأزمنة القديمة — كانوا على دين ملوكهم؛ فقد كان «بطليموس الثالث» في هذه الفترة مهتمًا بإقامة معبد الإله «حور بحدتي» رب «إدفو» وكانت على أية حال عبادة «حور» في كل زمان من أهم العبادات في طول البلاد وعرضها، بل الواقع قلَّما نجد بلدة في بلاد القطر إلا وللإله «حور» فيها معبد أو مقصورة، وقد تحدثنا في غير هذا المكان ببعض التطويل عن عبادة «حور بحدتي» وما كان لها من مكانة في البلاد في عهد «بطليموس الثالث». هذا، وكانت جماعة الكهنة يعرفون كيف ينتخبون لكل مقام ما يعظم شأنهم، ويرفع مكانتهم، ويجذب أفراد الشعب حولهم، وإرضاء مليكهم.

(٢) الوثائق الديموطيقية التي من عهد بطليموس الثالث في مجموعة فيلادلفيا[٢١]

(٢-١) عقد تنازل من عهد «بطليموس الثالث»

التاريخ: السنة السادسة، شهر طوبة، من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين المتحابين (٢٨ فبراير سنة ٢٤١ق.م) وذلك حين كان «أندرياس» Andreas ابن «كليونيكوس» Kleonikos كاهن «الإسكندر» والإلهين المحبين والإلهين المحسنين، وفي حين كانت «سومارون» Sumaron ابنة «إسكوكراتيس» حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: الحانوتي باستوفوروس Pastophoros أمنؤبي في غربي طيبة (المسمى) «أمنحوتب» بن بتنفرحتب وأمه (هي) «تشنمونت» Tshenmont.

[٢١] Ph. XVII, Miz. VIII. Pl. 19–20.

الطرف الثاني: حانوتي «أمنؤبي» في غربي طيبة (المسمى) «جحو» Djeho ابن «وسرور» Useruer وأمه هي «تيبا» Teiba.

نص العقد: لقد نزلت لك عن بيتك المبني والمسقوف الكائن في القسم الشمالي من طيبة في بيت البقرة؛ والمرأة «تيننا» ابن «جحو» والمرأة «تيتحوت» Teithot ابنة «جحو» والمرأة «تيبا» Teiba ابنة «جحو» وهن ثلاث نسوة يملكن ١ / ١٢ من البيت السالف الذكر، وحدود كل البيت هي:

جنوبه: بيت المرأة «تاهيب» ابنة «بانا».

شماله: بيت «أفو» بن «جحو».

شرقه: بيت المرأة «تاعو» ابنة «جحو».

غربه: بيت «حور» بن شيشنكعنخ Sheshankankh.

وهذه هي حدود كل البيت المذكور أعلاه، بالإضافة إلى بيوت طيبة، ومقاصير القبور التي في جبَّانة «جمي» Jeme وهي ملك «جحو» بن «باحور» والشهداء الذين في جبَّانة «جمي».

الصيغة القانونية: ليس لي أي حق مهما كان عليك فيما يتعلق بها، وليس لأي إنسان مهما كان، ولا نفسي كذلك، سيكون في استطاعته أن يكون له سلطان عليها إلا أنت من هذا اليوم فصاعدًا، وسواء أكان ابنًا أو ابنة أو أخًا أو أختًا أو أي شخص مهما كان خاصًّا بي سيأتي إليك بسببها باسمي أو باسم أي شخص أيًّا كان خاصًّا بي فإني سأجعله يتنحَّى عنك، وإذا لم أجعله يتنحَّى عنك فإني سأعطيك خمس قطع من الفضة؛ أي خمسة وعشرين ستاتر، أي خمس قطع فضة ثانية، ولك الحق عليَّ في أن تجعلني أدفع لك ذلك دون أية ضربة، ولي الحق عندك فيما يتعلق بحق المستند الذي حررته لي من أجل بيتي الكائن بطيبة، وهو الجزء الذي ملكي من بيت «جحو» بن «باحور» باسم المرأة «تشنمونت» ابنة «جحو» وهي أمي، وذلك في العام السادس شهر طوبة من عهد الفرعون العائش أبديًّا، وعليك أن تؤدي لي حقي فيه في أي وقت.
وقد نزلت لك عن ١ / ٦ البيت السابق الذكر.

كتبه: «بشنآمون» Pschenamun ابن «بانا».

الشهود: ١٦ شاهدًا.

(٢-٢) عقد قسمة من عهد «بطليموس الثالث»[٢٢]

التاريخ: السنة السادسة، شهر طوبة، من عهد «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين المحبين، الإلهين المحسنين (= ٢٨ فبراير سنة ٢٤١ق.م) عندما كان «سيمران» Symran ابن «أندروس» Andros كاهن «الإسكندر» والإلهين المحبين، وعندما كانت «سيمران» Simran ابنة «أسوكراتيس» هي حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الفريقان المتعاقدان: الأول: حانوتي «أمنؤبي» في غربي طيبة (المسمى) «باهي» Pahe ابن «أفو» Efow وأمه هي «تارت».

الثاني: المرأة «تيبا» Teiba ابنة «أفو» وأمها (هي) «تارت» Taret.

العقد: لقد أعطيتك الولي (الشيخ) «حابرع» الشهيد، ومعه أهله، ومقصورة القبر التي دفن فيها أهله، وإذا ذهبت للمقصورة السالفة الذكر قبل «تارت» ابنة «بابيا» Pabia، ومقصورة قبر «بتيحار برع» Peteharpre الحفار وأهله، والولية «تيتا» الشهيدة وأهلها، ومقصورة قبر «إسخو منو» Eskhomeneu الصائغ والشهيد ملكي؛ وإني أعطيك ما يسمى «أبريز-خو» Apries-Khou وقد أعطيتك مقصورة قبر «جمروس» Gemrows صاهر المعدن وأهله، «سحبمين» Shepmin ابن «باتو» وكل شخص خاص بالولي «حار برع»؛ وقد أعطيتهم إياك، وهم ملكك، وقبورك المقببة جميعها وهي التي وقعت بمثابة نصيبك في البيت (الضَّيْعة) ملك حانوتي «أمنؤبي» في غربي طيبة (المسمى) «أفو» بن «جحو» والدي ووالدك.

الصيغة القانونية: ليس لي أي حق مهما كان عندك باسمها (أي المقابر السالفة الذكر وأصحابها)؛ وليس لأي إنسان أيًّا كان، ولا أنا كذلك، الحق بأن يكون له سلطان عليها إلا أنت من اليوم فصاعدًا، وإن من سيأتي بسببها باسمي أو باسم أي شخص خاص بي فإني سأجعله يتنحَّى عنك، وإذا لم أجعله يتنحَّى طوعًا فإني سأجعله يتنحَّى عنك كرهًا دون ادِّعاء أية حُجَّة (بيع) أو أي أمر مهما كان ضدك.

كتبه: «بشنآمون» بن «بانا».

---

[٢٢] Ph. XVIII, Miz. VIII. Pl. 17-18.

الشهود: ١٦ شاهدًا.

(٢-٣) وصية من عهد «بطليموس الثالث»[٢٣]

التاريخ: السنة الثامنة، شهر هاتور، من عهد الفرعون «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين المحبين (= ٢١ ديسمبر سنة ٢٤٠ق.م) عندما كان «أندراس» Andreas ابن «جرونيكوس» Grwnikos كاهن «الإسكندر» والإلهين المحبين والإلهين المحسنين، وعندما كانت «سيمران» ابنة «أيسوكراتيس» Aisokrates حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الأول: المرأة «تآمون» ابنة «أمنحوتب» وأمها (هي) تيهي Teihe.
الثاني: حانوتي «أمنؤبي» في غربي طيبة (المسمى) «جحو» بن «وسرور» وأمه هي «تيبا».

العقد: لقد أرضيتني (بدفع الثمن) وجعلت قلبي يوافق على الثمن نقدًا الخاص بمقصورة قبر «بشنخونس» طاعم الحيوان (العلاف) وأهله الذين يثوون فيها معه، ويقع خلف الطريق المؤدية لاستراحة «أبيس»، وكذلك مقبرة «حمو رع» صانع الكتان الملكي، وتقع خلف الطريق المؤدية لمثوى «أبيس» (الطائر أبو منجل «تحوت»):

وشرقيها: مقصورة المقبرة التي فيها «منخ أريو» الكاهن الأول، بالإضافة إلى مقصورة القبر الجديدة الواقعة خلف جنوبها.

وجنوبها: مقصورة «عمو» (؟).

غربها: :مقصورة «باراس» Paras ابن «بشرمن» ومقصورة مقبرة بتيئيسي Peteiese ابن «توت» Tuot وهي التي فيها «حور خنس» زوج «تيبا»، والتي فيها أهل «حمورع» صانع الكتان الملكي و«تلوت» Talwt العلاف، وكذلك «أترمت» الغربي الذي في فناء مقصورة قبر الولي «بميشي» Pemeesche إذا ذهبت إلى …

وقد منحتها لك، وهي ملكك، مقابرك المقببة المذكورة أعلاها جميعها، وقد تسلمت ثمنها فضة من يدك كاملة غير منقوصة، وقلبي موافق على ذلك.

---

[٢٣] Ph. XIX. Miz. VIII. Pl. 19–20.

الصيغة القانونية: ليس لي أي حق أيًّا كان عندك باسمها، وليس لأي رجل أيًّا كان، ولا أنا نفسي القدرة على أن يكون له سلطان عليها إلا أنت من اليوم فصاعدًا، وإن من سيأتي إليك بسببها باسمي أو باسم أي شخص أيًّا كان فإني سأجعله يتنحَّى عنها، وإني سأطهرها لك من كل حق، ومن كل أمر أيًّا كان في أي وقت، ومستنداتها ملكك، وحقوقها في كل مكان أنت فيه، وكل مستند يكون قد حُرِّر بخصوصها، وكل مستند قد حرِّر لي بخصوصها، وكل مستند يكون باسمه حق شرعي فإنها ملكك، وكذلك حقها، وملكك ما حقي فيه مبرر.

واليمين أو المصادقة التي ستفرض عليك في محكمة العدل باسم حق المستند أعلاه، وهو الذي حررته لك؛ لتجعلني أقوم بأدائه فإني سأؤديه دون ادِّعاء أي حق، أو أي أمر مهما كان عليك.

كتبه: «بشنآمون» بن «بانا» Pana.

الشهود: ١٦ شاهدًا.

(٢-٤) عقد مخالصة: من عهد «بطليموس الثالث»[٢٤]

التاريخ: السنة الحادية عشرة، شهر توت، من عهد «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين المحبين (٢١ أكتوبر سنة ٢٣٧ق.م) حينما كان «سلنكوس» Selenkos ابن «أنتيوكوس» كاهن «الإسكندر» والإلهين المحبين والإلهين المحسنين، وحينما كانت «أسبيس» Aspies ابنة «هرميبوس» Hermippos حاملة السلة الذهبية «لأرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الأول: الكاهن والد الإله «بتنفر حوتب» بن «حور محب» وأمه (هي) «إسي» (إزيس).

الثاني: المرأة «تفني» ابنة «فيب» وأمها هي «تشنآمون».

[٢٤] Ph. XX. Miz., VIII, 13–14.

العقد: لقد نزلت لك عن حق عقد البيع الذي حررته لي مع «بورتيو» Puertiu ابن «حور» زوجك سابقًا من أجل بيت «بل» بن «بشر آمون» القريب من السور، وبيت «بشر آمون» ابنة «بآمون» وهو الواقع في القسم الجنوبي من «جمي»، وهو الذي حُرِّرت لي به عقد مبايعة سابقًا، والذي حرَّر لي «بورتيو» بن «حور» مستندًا لمقابره ذات القباء، وإني سأبيع المقابر ذات القباء ملك «بورتيو» بن «حور» إلى «تتارتايس» بن «حور» أخيه مواطن مركز «قفط»، ولكن لن أعطيه بيوتك التي حررت لي بها عقد بيع في جمي.

الصيغة القانونية: وليس لي حق أيًّا كان عندك باسمها، وليس هناك أي إنسان، ولا أنا، في قدرته أن يكون صاحب سلطان عليها إلا أنت من اليوم فصاعدًا، وإن من سيأتي إليك بسببها باسمي أو باسم أي شخص كان فإني سأجعله يتنحَّى عنك، وسأطهرها لك من كل حق، ومن كل أمر أيًّا كان في أي وقت دون ادِّعاء أي حق أو أي شيء عليك.

كتبه: «تحوت» بن «بتيآمونؤبي».

الشهود: ١٥ شاهدًا.

(٢-٥) عقد رهنية من عهد «بطليموس الثالث»[٢٥]

التاريخ: السنة الحادية عشرة، شهر توت، من عهد الفرعون «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» محبة أخيها، والإلهين المحبين (٢١ أكتوبر سنة ٢٣٧ق.م) حينما كان «سلوكوس» Seleukos ابن «أنتيوكوس» كاهن «الإسكندر» والإلهين المحبين والإلهين المحسنين، وحينما كانت «أسبياس» ابنة «هرميبوس» حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الأول: المحنِّط الكاتب «بشرمين» بن «بل» وأمه (هي) «تفني».
الثاني: حانوتي «جمي» «بل» بن «أسمن» وأمه هي «تيزي» Tiese.

صيغة العقد: لديك قطعة فضة واحدة وخمسة قدات؛ أي سبعة ونصف ستاتر، أي قطعة فضة واحدة وخمسة قدات ثانية (يقابلها) بالنحاس النقي ٢٤ قدتًا عن كل

[٢٥] Ph. XXI, Miz. IX. Pl. 21–22.

قدتين من الفضة، وذلك دين عليَّ مقابل النقود التي أعطيتنيها، وسأدفعها ثانية في اليوم الأخير من شهر مِسْرَى السنة الحادية عشرة (= ١٥ أكتوبر سنة ٢٣٦ق.م) أي في مدة ½١٢ شهرًا؛ يعني مدة سنة، أي في مدة ½١٢ شهرًا ثانية، وإذا لم أرُدَّها ثانية لك في اليوم الأخير من مِسْرَى في السنة الحادية عشرة، في اليوم المذكور، فعندئذ تكون قد جعلت قلبي يوافق على الثمن فضة لبيتي المبني والمسقوف، وهو الذي عند جدار (سور) «جمي» وحدوده هي:

جنوبه: بيت المرأة «تيآمون» ابنة «أسمن»، وهو ملك أولادها.

شماله: بيت صانع فخار بلدة «جمي» (المسمى) «أسمن» المنتشر الذِّكْر ابن «بتيآمون» وهو ملك حارس ميناء طيبة (المسمى) «بائيزى» Paesi ابن «بامن» وأمه (هي) «تيآمون».

شرقه: البوباستون (مدفن القطط).

غربه: جدار جمي العظيم.

وقد منحته لك، وهو ملكك، وإنه بيتك سالف الذكر، وقد تسلمت الثمن فضة من يدك كاملًا غير منقوص، وقلبي موافق على ذلك.

الصيغة القانونية: وليس لي أيُّ حق كان عليك فيما يتعلق به، وليس لأي إنسان أيًّا كان، ولا أنا، السلطة عليه إلا أنت من اليوم فصاعدًا، وإن من سيأتي إليك بسببه باسمي أو باسم أي شخص مهما كان فإني سأجعله يتنحَّى عنك، وإني سأطهره لك من كل مستند، ومن كل حق، ومن كل أمر مهما كان في كل وقت، ومستنداته ملكك، وحقوقه في كل مكان تكون فيه؛ وكل مستند يكون قد حُرِّر بخصوصه، وكل مستند كان قد حُرِّر لي بخصوصه، وكل مستند أكون باسمه محقًّا (في ادِّعائي) له فإنها ملكك بالإضافة إلى الحق المخوَّل بمقتضاها، وكذلك ملكك ما يكون ادِّعائي محقًّا باسمها، وإن اليمين أو المصادقة الذي سيُفرَض عليك في محكمة العدل باسم حق المستند المدوَّن أعلاه، وهو الذي حررته لك لتجعلني أؤديه فإني سأؤديه.

المصادقة: وحيث إن المرأة «تفني» ابنة «فيب» وأمها هي «تشرنآمون» تقول: أقبل وثيقة من المحنِّط والكاتب «بشرمن» بن «بل» وأمه هي «تفني»، وهو ابني البكر لتجعله يعمل على حسب كل كلمة أعلاه، فإن قلبي يوافق عليها دون ادعاء أي حق أو أي شيء مهما كان عليك.

كتبه: «توت» بن «بتيآمونؤبي».

الشهود: ١٦ شاهدًا.

(٢-٦) عقد رهن من عهد «بطليموس الثالث»[٢٦]

التاريخ: السنة الثامنة عشرة، شهر برمودة، من عهد الفرعون «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين المحبين (١٨ مايو سنة ٢٣٠ق.م) عندما كان «مناس» Menneas ابن «منوميتيوس» Menoitios كاهن «الإسكندر» والإلهان المحبان والإلهان المحسنان، وفي حين كانت «برنيكي» ابنة أتيس Atis الكاهنة حاملة السلة «لأرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الأول: المحنِّط الكاتب «بشنمين» بن «بل» وأمه (هي) «تفني».

الثاني: حانوتي مدينة «جمي» (المسمى) «بشنتحوت» بن «بل» وأمه (هي) «موت».

العقد: لديك قطعتان من الفضة وستة قدات؛ أي ثلاثة عشر ستاتر، أي قطعتان من الفضة وستة قدات ثانية (تعادل) من النحاس النقي ٢٤ قدتًا، لكل دبنين من الفضة عليَّ مقابل النقود التي أعطيتَها إياي وكذلك «بل» بن «نس-من» Nsmn والدك، وهو الذي أعطاها إياك بمثابة نصيب، وسأردها إليك في اليوم الأخير من هاتور السنة الثامنة عشرة؛ أي في مدة ٨ $\frac{1}{2}$ أشهر أي ٢ / ٣ سنة ثانية، وإذا لم أردهما لك (أي) هاتين القطعتين من الفضة وستة القدات، أي ١٣ ستاتر؛ أي قطعتين من الفضة وستة قدات ثانية، وهي التي تساوي من النحاس النقي ٢٤ قدتًا لكل دبنين من الفضة، وذلك في اليوم الأخير من هاتور عام ١٨، وهو اليوم السابق ذكره، فعندئذ تكون قد جعلت قلبي يوافق على ثمن بيتي المبني والمسقوف، ويقع عند جدار «جمي»؛ وحدوده هي:

جنوبه: بيت المرأة «تيآمون» Teiamon ابنة «أسمن» وهو ملك أولادها، وحارة الخزانة بينهما.

---

[٢٦] Ph. XXIII, IX. Pl. 21–22.

شماله: بيت صانع فخار «جمي» (المسمى) «أسمن» المنتشر الذكر بن «بتيآمون» وهو ملك حارس ميناء طيبة (المسمى) «بائيزي» Paesi ابن «باويزي» Pawesi وأمه (هي) «تيآمون».

شرقه: «البوباستون» (مدفن القطط).

غربه: جدار «جمي» العظيم.

هذه هي حدود كل البيت، وقد أعطيته إياك، وإنه ملكك، وإنه بيتك المبني والمسقوف السالف الذكر، وقد تسلمت ثمنه نقدًا من يدك كاملًا غير منقوص، وقلبي موافق على ذلك.

الصيغة القانونية: ليس لي أي حق مهما كان عليك فيما يخصه (أي البيت) ولن يكون في مقدور أي شخص مهما كان، ولا أنا، أن يستعمل سلطته إلا أنت، من العام الثامن عشر، شهر هاتور في آخر يوم منه وما بعدُ، وإن الذي سيأتي إليك بخصوصه باسمي أو باسم أي شخص مهما كان فإني سأجعله يتنحَّى عنك، وإني سأطهره لك من كل مستند، ومن كل حق، ومن كل أمر أيًّا كان في أي وقت، ومستنداته ملكك، وحقوقها في كل مكان تكون فيه، وكل كتابة قد حُرِّرت بخصوصه، وكل كتابة قد حُرِّرت لي بخصوصه، وكل كتابة بمقتضاها أكون بها محقًّا في ادِّعائي لها؛ فإنها ملكك، بالإضافة إلى الحق المخوَّل بها، وكذلك ملكك ما حققه ادعائي باسمها، واليمين أو التصديق الذي سيُفرَض عليك في قاعة العدل باسم الحق الممنوح بالمستند الذي حررته لك؛ ليجعلني أؤديه فإني سأؤديه.

المصادقة: والمرأة «تفني»، ابنة «فيب» وأمها (هي) «تشرتآمون» أمه تقول: تقبل وثيقة من المحنِّط الكاتب «بشرمين» بن «بل» وأمه (هي) «تفني» وهو ابني البكر السالف الذكر؛ لتجعله يعمل على حسب كل كلمة أعلاه؛ وإن قلبي يوافق عليها — وقد حرر مستندات من أجلي — ونحن نحررها لك مع المستندات التي حررت إلى «بل» بن «أسمن» والدك بخصوص النقود السالفة الذكر، وذلك دون ادعاء أي حق أو أي شيء مهما كان عليك.

كتبه: «ما» Ma ابن «بل».

الشهود: ١٦ شاهدًا.

(٢-٧) عقد إيجار من عهد «بطليموس الثالث»[٢٧]

التاريخ: السنة الواحدة والعشرون من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين المحبين (= ١٩ أكتوبر سنة ٢٢٧ق.م) عندما كان «جلاستس» Glaestes ابن «فيليستيان» Philistian كاهن «الإسكندر» والإلهين المحبين والإلهين المحسنين؛ وفي حين كانت «برنيكي» ابنة «سيسيبوليس» Sisipolis حاملة السلة أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: حارس «أبيس» صاحب جُرْن «طيبة» الكبير (المسمى) «سنوسي» Senwsy ابن «هرين» Herein وأمه (هي) «ححليبو» Hehlybw.

الطرف الآخر: حانوتي «أمنؤبي» في غربي طيبة (المسمى) «جحو» بن «وسرور» Userwr وأمه (هي) «تيبا».

العقد: لقد أجَّرْت لك قبري الذي في جبَّانة «جمي» الواقعة في غربي طيبة، وحدوده هي:

جنوبه: مقبرة «حريوسنف» Herieusenef وطريق «آمون» بينهما.

شماله: مزار مقبرة حانوتي «آمون» (المسمى) «حريو» Herieu ابن «باحور» الذي أنت كاهنه المرتل Choachyte.

شرقه: قبر «بشنخنس» Pschenchons ابن «باحور» وهو الذي تعمل فيه كاهنًا مرتلًا.

غربه: جبَّانة الغزال وطريق «آمون» بينهما. هذه هي كل حدود قبري السالف الذكر، ومقاسه خمسة أذرع (قصبات)[٢٨] من الأرض؛ أي خمسمائة ذراع من الأرض ثانية، وهو الذي اشتريته من الكاهن والد الإله «أبريز» Apries الكاهن «ويسي» Wesi، وإن الوكيل الكاهن والد الإله «حاربئيزي» Harpeise ابن «حور»؛ وكاتب الكتب

[٢٧] Ph. XXIV, Miz. IX, 25–26.

[٢٨] أطلق المصريون على القصبة التي تساوي مائة ذراع اسم ذراع أيضًا.

المقدسة، وكاهن «آمون» الإداري، والإلهين المحبين والإلهين المحسنين؛ هو الذي أجره لي في السنة الواحدة والعشرين، شهر توت، من عهد «الفرعون» العائش أبديًّا، وإنك ستعمل لي بمثابة كاهن مرتل، وسقاء في القبر المذكور من اليوم فصاعدًا إلى الأبد، ولن يكون في قدرتي أن أعيِّن كاهنًا مرتلًا آخر للقبر المذكور خلافك، ولن يكون في استطاعتك وضع أي شخص مهما كان فيه لا بالدفن ولا بوضعه على وسادة إلا الشخص الذي أؤجره لك بالإضافة إلى أهلي.

وأولادك لن يكون في استطاعتهم أن يدفنوا أي شخص مهما كان فيه على حسب ما هو مُدوَّن أعلاه، إلا الشخص الذي يؤجر لهم أولادي وأهلهم، وعليك أن تخدم مع كل شخص تابع لي وُضِع في القبر المذكور على حسب ما … الكاهن المرتل لجبَّانة «جمي» يخصص للناس الذين يخدمون (؟) وإذا حدث أني وجدت شخصًا قد دفنته في القبر المذكور سابقًا خلافًا للذي سأؤجره لك مع أهلي، فعليك أن تدفع غرامة قدرها عشرة دبنات من الفضة؛ أي خمسين ستاتر، أي عشرة دبنات من الفضة ثانية، ولي عندك الحق كذلك في أن أجعلك تُزيل الشخص الذي وضعته فيه، وعليك أن تؤدي لي بمقتضى كل كلمة أعلاه، وأولادك سيفعلون بالمثل لأولادي وأهلي على حسب كل كلمة أعلاه دون أية ضربة.

كتبه: الكاهن والد الإله «عنخفنيخنس» Anchefnichons ابن «أمحوتب».

الشهود: ١٦ شاهدًا.

(٢-٨) عقد زواج من عهد «بطليموس الثالث»[٢٩]

التاريخ: السنة الرابعة والعشرون، شهر أمشير، من عهد الفرعون «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين المحبين (= ١٧ مارس سنة ٢٢٣ق.م) عندما كان «اليجتوس» Alegtos ابن «آساو» «الإسكندر» والإلهين المحبين والإلهين المحسنين، وفي

[٢٩] Ph. XXV, Miz. IX. Pl. 23–24.

حين كانت «تموناس» Tmonas ابنة «سولوس» Solos حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: حانوتي «أمنؤبي» في غربي طيبة (المسمى) «بانخت» Panecht ابن «بانفري» وأمه (هي) «تكالهيب» Tckalhib.

الطرف الثاني: المرأة «تيبا» Teiba ابنة «جحو»، وأمها (هي) «تامون» Taamon.

العقد: لقد اتخذتك زوجة، وأعطيتك قطعة فضة واحدة؛ أي خمسة ستاتر، أي قطعة فضة واحدة ثانية بمثابة صداقك، وسأعطيك ستة أرادب قمحًا ونصفها ثلاثة أرادب؛ أي ستة أرادب قمحًا ثانية يوميًّا، و١٢ هنا من زيت تجم، و٢٤ هنا من الماء، وقطعة واحدة من الفضة وقدتين؛ أي ستة ستاتر، أي قطعة واحدة من الفضة وقدتين ثانية كل عام لأجل طعامك ولباسك، وإني سأعطيها إياك كل سنة.

الصيغة القانونية: ولديك القوة عليَّ في أن تلزميني بالمتأخر من الطعام واللباس، وما سيكون مستحقًّا عندي؛ وإني سأعطيها إياك، وابنك البكر هو ابني البكر بين أطفالي الذين ستضعينهم لي، وهو المالك لكل شيء ملكي، وما سأحصل عليه، وإذا هجرتك بوصفك زوجة وكرهتك وتزوجت امرأة أخرى غيرك فإني سأعطيك خمس قطع من الفضة؛ أي ٢٥ ستاتر، أي خمس قطع من الفضة ثانية، وذلك خلاف قطعة الفضة السالفة الذكر التي أعطيتها إياك بمثابة صداق، ولإتمام ست قطع من الفضة؛ أي ثلاثين ستاتر، أي ست قطع من الفضة ثانية.

التصديق: ويقول والده حانوتي «أمنؤبي» في غربي طيبة (المسمى) «بانفري» بن «جحو» وأمه (هي) «تيبا»: أَقْبل وثيقة من «بانخت» بن «بانفري» ابني البكر سالف الذكر لأجعله يعمل على حسب كل كلمة سلفت، وإن قلبي يوافق على ذلك دون تقديم أية حُجَّة أو أي أمر مهما كان ضدك.

كتبه: «هريو» بن «حاربئيزي» وكيل «حارتوت» بن «بشرمن» كاتب طيبة في عام ٢٤، شهر أمشير، اليوم ١٤.

الشهود: ١٦ شاهدًا.

(٢-٩) عقد بيع، ومعه عقد التنازل من عهد «بطليموس الثالث»،[٣٠] (عُثر عليه في الفيوم)

عُثر في الفيوم على وثيقة يُحتَمل أنها من فيلادلفيا التي تقوم على أنقاضها «درب جرزة» القريبة من الروبيات الواقعة على الحافة الشرقية من الفيوم.

والوثيقة عبارة عن عقد بيع ملكية في هذه البلدة، وقد أُرِّخت بالسنة الرابعة من عهد «بطليموس الثالث» (٢٤٤-٢٤٣ق.م) وعثر على خمس نسخ من هذه الوثيقة، وكل منها تحتوي على مبايعة وتنازل، وأهمية هذه الوثيقة تنحصر في أنها تُعَد إضافة مميزة لصورة الوثائق القانونية الديموطيقية من حيث الأسلوب، والفائدة التي تُستَمد من هذه الوثيقة هي أنها تعد أكبر وكذلك أتمَّ وثيقة بين عدد الوثائق القليلة جدًّا الخاصة بالبيع التي عُثِر عليها في الفيوم، كما أنها تُعد من أقدم الوثائق التي عُثر عليها في هذه الجهة أيضًا.

ومما تجدر ملاحظته هنا أن كلًّا من وثيقة البيع ووثيقة التنازل قد كُتِبت في ورقة خاصة، وسنورد صورة من كلٍّ على الرغم من أن الألفاظ في كل منهما لا تختلف كثيرًا.

وثيقة البيع

التاريخ: السنة الرابعة شهر توت (٢٣ أكتوبر سنة ٢٤٤ق.م) من عهد الملك «بطليموس» (له الحياة والفلاح والصحة) ابن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين الأخوين، في حين كان كاهن الإسكندر والإلهين الأخوين المسمى «أرخلاوس» Orchelaos ابن «داماس» Damas، وعندما كانت «أرسنوي» ابنة بوليمو كراتيس Polemocrates حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» الإلهة محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: ما قاله المزارع خادم «خنوم» سيد سمنحور (يُحتَمل أنها سنورس الحالية) والإله العظيم (المسمى) «هريو» Herieu ابن «وننفر» وأمه (هي) «تاسي».

الطرف الآخر: لمرتل الجبَّانة مواطن تيري (يحتمل أنها بلدة «تيرة» القريبة من طلخا الحالية) (المسمى) «باكو» Pa-ko ابن «جحو» وأمه (هي) «هريو-باستي» Herieu-baste.

[٣٠] Studies Presented to FLL Griffith. P. 152–157.

صيغة العقد: لقد جعلت قلبي يرضى بالفضة (لأجل) ثمن بيتي المبني والمسوَّر، بالإضافة إلى الأرض الفضاء التي خلفه، وهو (أي البيت) الذي في القسم الشمالي من بلدة «فيلادلفيا» من مقاطعة «أرسنوي» وطوله ١٤ ذراعًا مقدسًا من الجنوب إلى الشمال في ١٤ ذراعًا مقدسًا من الشرق إلى الغرب؛ أي ١٩٦ ذراعًا مربعًا، وحدوده هي:

الجنوب: ملكية لإغريقي (يُدعَى) «أنتيبا تروس» Antipatros ابن «برمحترع» Tremhetre.

الشمال: ملكية «هما».

الشرق: ملكية الإغريق.

الغرب: ملكية الحلاق «جحو» بن «وننفر» وهذه هي تمام حدود العقار السالف ذكره.

وهو ملكك، وبيتك والأراضي البور التي خلفه ملكك، وقد تسلمت ثمنها منك، وقلبي راضٍ عن ذلك، وإنه (أي الثمن) كامل غير منقوص، وليس لرجل في العالم ولا أي شخص سيكون في استطاعته التسلط عليها غيرك.

وإن من سيأتي ضدك، مهما كان، بخصوصها فإني سأجعله يتنحَّى عنك في أي شيء مهما كان، وإني سأطهرها لك من كل مستند، ومن كل حُجَّة (قانونية) مهما كانت.

وكل مستند قد حررته بخصوصها، وكل مستند وكل حجة كانت قد حُرِّرت له بخصوصها، وكل مستند آخر وكل حجة أخرى قد حرِّرت بخصوصها فهي ملكك، بالإضافة إلى الحقوق التي تنطوي عليها، وكذلك ملكك كل ما هو حقي باسمها.

واليمين (؟) أو البينة الذي سيُفرَض عليك أو عليَّ، وهو الذي ستؤديه أو الذي سأؤديه فيما يخصها، فإني سأؤديه دون سؤال أو تأخير.

كتبه: …

عقد التنازل (عن الملكية السابقة)

التاريخ: السنة الرابعة، شهر توت، من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي»، الإلهين الأخوين عندما كان كاهن الإسكندر والأخوين الإلهين «أرخلاوس»

بن «داماس» وعندما كانت «أرسنوي» ابنة «بوليمو كراتيس» حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» الإلهة التي تحب أخاها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: ما قاله المزارع خادم الإله «خنوم» رب «سمنحور» الإله العظيم (المسمى) «هريو» بن «وننفر»، وأمه (هي) «تاسي».

الطرف الآخر: لمرتل الجبَّانة مواطن «تيري» (المسمى) «باكو» بن «جحو» وأمه (هي) «هريوباستي».

التنازل: إني بعيد عنك، وليس لي أي حق في العالم عليك فيما يخص بيتك، بالإضافة إلى الأرض البور التي خلفه، وهي التي (في) القسم الجنوبي من بلدة فيلادلفيا في مقاطعة «أرسنوي» وهي التي مساحتها ١٤ ذراعًا مقدسة من الجنوب إلى الشمال في ١٤ ذراعًا مقدسة من الشرق إلى الغرب؛ أي ١٩٦ ذراعًا مربعة، وحدودها هي:

الجنوب: بيت الإغريقي «أنتبيبا تروس» بن «برمحترع».

الشمال: بيت «هما».

الشرق: ملكية الإغريق.

الغرب: ملكية الحلاق (؟) «جحو» بن «وننفر»؛ وهذه حدود كل العقار السالف الذكر، وهو الذي اشتريتَه مني، وقد حررت مستندًا بالنقد بخصوصه في السنة الرابعة شهر توت من عهد «الفرعون» لَيْتَه يبقى سرمديًّا.

وإن أي إنسان مهما كان سيأتي ضدك بسببه فإني سأقصيه عنك، وكل مستند حررته بخصوصه، وكل مستند وكل حجة كانت قد حُرِّرت بخصوصه (أي العقار) فهو ملكك.

واليمين أو (؟) البينة الذي سيفرض عليك، وهو الذي ستؤديه أو الذي سأؤديه أنا بخصوصه (أي العقار) وإني سأقوم بأدائه، وإني سأحرر لك المستند السالف الذكر؛ لأن لك عليَّ حقًّا بمقتضى المستند مقابل النقد، وهو الذي حررته لك في السنة الرابعة، شهر توت، من عهد «الفرعون» لَيْتَه يحيى سرمديًّا؛ والمجموع وثيقتان قد حررتهما لك، ولك الحق عليَّ بمقتضاهما، والحقوق التي تنطوي عليهما، وسأقوم بتأديتها دون سؤال أو تأخير، والمدخل إلى العقار ملكك في الرواح والغدو، وأي فرد يعترضك فإني سأقصيه عنك، وعن كل شيء مهما كان خاصًّا بك.

كتبه: فلان.

وعلى ظهر الورقة نقرأ أسماء ستة عشر شاهدًا على كلٍّ من العقد والتنازل.

(٣) العقود الديموطيقية التي من عهد «بطليموس الثالث» بمتحف برلين

(٣-١) عقد قسمة جبَّانة[٣١]

التاريخ: في السنة السابعة عشرة من شهر أبيب (= أغسطس–ديسمبر سنة ٢٣٠ق.م) من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين الأخوين عندما كان «مناس» Mnas ابن منتياس Mntias كاهن «الإسكندر» والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين، وعندما كانت «برنيكي» ابنة «آتيوس» Aetios حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: يقول مرتل «آمون» صاحب الكرنك في غربي طيبة (المسمى) «بانفر» بن «بسننتر» وأمه هي «تاوع».

الطرف الثاني: لعمه.

نص العقد: لقد قسمت معك فيما يتعلق بـ «أتم» بن «بانفر» و«تاوع» أخيك، وهو الأخ الأصغر لـ «بسننتر» بن «بانفر» والدي، و«بسننتر» هذا ابن «بانفر» والدي، وذلك بخصوص النقد المكتسب، والذي قد حُرِّر من أجله من قبل وثيقة.

وهذه الوثيقة الخاصة بالقسمة[٣٢] التي نتحدث عنها لها علاقة بورقة في المتحف البريطاني، وهي مؤرخة بالنسة الثامنة، وقد تحدث عن محتوياتها الأثري «ريفييو»، وهذه الملكية الخاصة بالرجل المسمى «باتم» وهي التي على حسب العقد الذي نحن بصدده عبارة عن مقبرة في جبَّانة «جمي»، وقد آل أمرها بعد موته إلى أن تُقسَّم بين أخويه «تحوت-سوتم» و«سننتر» وذلك بعد موت ابنه «بانفري الثاني» الذي كان له الحق في الاستيلاء على نصيب والده، وعلى ذلك أصبح من الضروري تجديد صيغة

---

[٣١] Spiegelberg, Demotische Papyrus Aus den Koniglichen Museen zu Berlin. P. 6 ff. Tafel 4.

[٣٢] Rev. Egypt. P. 135.

نقل الملكية، وهي التي نقَلتْها «تأمن» أرملة «بسننتر» إلى «تحوت-سوتم» بالكلمات الآتية: تُسلَّم الوثيقة من يد «بانفر» بن «بسن-ن نتر» ابن ابني الأكبر المذكور أعلاه، ويجب أن يُعمَل على حسب كل كلمة ذُكِرَت أعلاه، وإن قلبي مطمئن لذلك، وإني أتبع بقوة البيانات الواردة في عقد البيع، والعقود التي كُتِبت قبل ذلك، وهي التي حررتها مع «بسننتر» بن «بانفر» والدي على أن أُثْبِت صحتها في كل وقت، وإني أنقل لك نصيبك، وهو مكانك المذكور أعلاه دون أية مماطلة.

المسجل: «أمنحوتب» بن «أريوس».

(٣-٢) عقد بيع مقبرة من عهد «بطليموس الثالث» (سنة ٢٢٢ق.م شهر يونيو-يوليه)

التاريخ: السنة الخامسة والعشرون من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين الأخوين، عندما كان «توسيتوس» Tusitus ابن «تريبيروس» Tripirus كاهن «الإسكندر» والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين، وعندما كانت «برنيكي» ابنة «فيتيميجوس» Phitimigos حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: المرأة «تانفر» ابنة «أمنحتب» و«تي-خوى».

الطرف الآخر: المرأة سن ... مع اسم الأسرة «سن-مين» (؟) ابنة «تسناخمون-يو» وأمه (هي) «تانفر».

العقد: لقد عمل الطرف الأول لابنه مخالصة عن بيع ثلث البيت الذي ورثه من والده «بي ... ت» وأمهما (هي) «تي-خوي».

وهذا البيت الذي يقع في الربع الشمالي، والذي حدوده قد وُضِعت بالضبط، وتضم سلسلة من الأماكن بعضها بيوت سُكْنى وبعضها مقابر مع أهلها.

ويتبعه كذلك أماكن «أوزير» وأهله، والقاعة الغربية المبنية بالحجر والمسقوفة في فناء مكان «سس» (؟) ويجب أن تدخل المالكة وتخرج بحرية، وأن تستعمل بيت راحة المكان المذكور.

(ويُلحَظ أنه في هذا العقد قد استُعملت صيغة عقد الشراء الإغريقي في العهد البطلمي.)

المسجل: «بتيزي» بن «بحك».

وعلى ظهر الورقة أسماء ستة عشر شاهدًا.

(٣-٣) عقد زواج من عهد «بطليموس الثالث» (أبريل–مايو سنة ٢٢٢ق.م)[٣٣]

التاريخ: السنة الثانية والعشرون من عهد «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين الأخوين عندما كان «الإسكندر» بن «توجنس» Theogenes = Thugns كاهن «الإسكندر والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين، وعندما كانت «برنيكي» ابنة «جريانجس» Kallinax = Griangs حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: حانوتي «آمون» الكرنك الذي يسكن غربي طيبة (المسمى) «حور» بن «سمين-بوبا ستت» وأمه (هي) «تبروزي» Tebrusi.

الطرف الآخر: المرأة «تي-عاو» ابنة «نس-نا-حمونيو» والمرأة «تانفر».

نص العقد: لقد اتخذتُكِ زوجًا لي، وإني أمهرك دبنين؛ أي عشرة ستاتر، أي دبنين ثانية، وإني أعطيك فضلًا عن ذلك ستة وثلاثين إردبًا من القمح … نصفها ١٨ إردبًا، أي ٣٦ إردبًا قمحًا … ١ $\frac{٢}{١٠}$ دبنًا = ستة ستاتر أي ١ $\frac{٢}{١٠}$ دبنًا، واثني عشر هنا من زيت «نح» و١٢ هنا من زيت «تقم» فيكون المجموع ٢٤ هنا سائلًا، وذلك بمثابة مئونتك سنويًّا (وفي الحق) فإني أعطيك إياها في كل شهر وفي كل سنة، وإنك تتصرفين في ضمان مئونتك التي وقعت على عاتقي، وإني أعطيها إياك في هذا البيت الذي تريدينه، وابنك الأكبر هو ابني الأكبر، وهو سيد كل الأشياء التي أملكها الآن، والتي سأحصل عليها في المستقبل.

وإذا هجرتك بوصفك زوجة؛ بأن أكرهك وأبحث عن زوجة أخرى فإني أدفع لك عشرة دبنات؛ أي خمسين ستاتر، أي عشرة دبنات ثانية، وذلك بدون أي صك، أو أية معارضة شفوية في العالم ضدك.

المسجل: بتيزي بن با-حك.

وعلى ظهر الورقة ١٦ شاهدًا.

---

[٣٣] Demotische Pap. Konig. Mus. zu Berlin. P. 7.

(٤) الأوراق البردية الديموطيقية التي بالمتحف المصري من عهد «بطليموس الثالث»[٣٤]

(٤-١) عقد زواج من عهد «بطليموس الثالث»

التاريخ: السنة السابعة عشرة، شهر أمشير، من عهد «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين الأخوين، عندما كان «مناس» Manas (؟) ابن «منتس» Mentes كاهن «الإسكندر» والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين، وعندما كانت «برنيكي» ابنة «أتيس» Atis حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: الكاهن «ستا» Sta خادم الإله «مين» (المسمى) «أموتيس الثاني» ابن «مين» وأمه (هي) «تاشري تحوتي».

الطرف الآخر: المرأة «تا أترس» Taatres الكبيرة ابنة «كرين» و«نا-منخ» (؟).

صيغة العقد: لقد اتخذتك زوجة، والأولاد الذين أنجبتِهم لي يملكون كل ما هو ملكي الآن، وما سأحصل عليه من حقل (سواء أكان ذلك للمعبد، أو في المدينة) أو بيتًا أو قطعة أرض أو حقلًا أو جدارًا أو جزيرةً أو خادمًا أو خادمة جميع ... وكل وثيقة، وكل كلمة من أي إنسان لا غبار عليه، وكذلك ملكي؛ أي الأطفال الذين ستلدينهم لي، ولن يكون في مقدوري أن أغتصب أي شيء في العالم منك لأعطيه لأي ابن أو أي إنسان في العالم مهما كان خلافًا لأطفالك الذين ستلدينهم لي.

وإني أعطيك:

٧٢ كرامين (مكيال) من النبيذ = ٤٨ نبيذ (؟) إردب = ٧٢ كرامين[٣٥] نبيذًا ثانية، و٢ $\frac{٤}{١٠}$ دبنًا = ١٢ ستاتر = ٢ $\frac{٤}{١٠}$ فضة (دبنًا) ثانية.

---

[٣٤] Spiegelberg, Catalogue General Des Antiquités Egyptiennes, Die Demotischen Denkmaler II. Die Demotischen Papyus. P. 1–3, no. 30601.

[٣٥] الكرامين عبارة عن مكيال للسوائل، وقيمته نصف درهمٍ من الفضة، و٢ / ٣ إردب من القمح Rec. Trav. XXVIII. P. 187 ff.

	٢٤ هنا	من زيت نح
	٢٤ هنا	من زيت تجم
المجموع	٤٨ هنا	من الزيت

وذلك بمثابة طعام وشراب تأخذينه مني كل سنة، وأنت تشرفين على سلامة مأكلك ومشروبك، وهما اللذان قد أصبحا عبئًا عليَّ كل شهر وكل سنة، وإني أسلمهما لك في المكان الذي تريدينه.

وإذا هجرتك بوصفك زوجتي فإني أعطيك عشرة دبنات من الفضة؛ أي خمسين ستاتر، أي عشرة دبنات ثانية، تساوي ٤٠٠ كرامين نبيذًا، وإذا خنتك بوصفك زوجة فعليَّ أن أعطيك عشرة دبنات من الفضة؛ أي ٥٠ ستاتر، أي عشرة دبنات ثانية، تساوي ٤٠٠ كرامين نبيذًا (؟)، وإذا تزوجت واحدة غيرك فإني أعطيك عشرة دبنات فضة = ٥٠ ستاتر؛ أي عشرة دبنات فضة ثانية = ٤٠٠ كرامين نبيذًا (؟) وبذلك يكون المجموع عشرين دبنًا = ١٠٠ ستاتر؛ أي عشرين دبنًا ثانية، وهذا يساوي ٨٠٠ كرامين نبيذًا = ٥٣٣$\frac{١}{٣}$ إردبًا؛ أي ٨٠٠ كرامين نبيذًا ثانية.

ويقف التاجر خادم «مين» … «مين» بن «أموتيس» الأول، و«جتير» Gtir والده، ويقول: تَسلَّم عقد زواج المرأة، والطعام والشراب والعشرين دبنًا المذكورة أعلاه، من يد التاجر خادم «مين» «أميوتيس الثاني» بن «…-مين» وأمه هي «سنتوتيوس» Senthoteus ابني الأكبر المذكور أعلاه، وبذلك فإنه سيعمل على حسب كل كلمة أعلاه، وقلبي موافق على ذلك.

المسجل: «هريوس» Herieus ابن «با-واح-مو» Pa wah mw.

ومما تجدر ملاحظته في نص عقد الزواج هذا أن الأب قد وافق على نص الوثيقة، وهذا شيء غير معروف كثيرًا في عقود الزواج في العهد المتأخر عند المصريين، ومن الجائز إذَن أن الوالد في هذه الحالة قد وافق على نص العقد؛ لأن الابن كان لا يزال صغيرًا، أو كان لا يملك شيئًا ينفق منه على زوجته، وعلى ذلك فإن موافقة الأب على عقد الزواج تُعَد بمثابة ضمان للزوجة، وهذا ما يحدث كثيرًا في عصرنا الحاضر في عقود الزواج الإسلامية.

ويلفت النظر كذلك في هذا العقد تقدير النقد بمواد عينية كالنبيذ والقمح، والظاهر أن أثمان هذه المواد لم تكن متقلبة، بل كانت ثابتة على الأقل في عهدٍ بعينه، ولا غرابة في

أن نجد مثل هذه التقديرات بهذا الوصف؛ لأن البيع والشراء كان لا يزال الكثير منهما يقوم على المبادلة بالسلع، وأن النقود لم تكن منتشرة تمامًا بصفة عامة.

(٤-٢) عقد مكافأة: تعاقد مع مرضعة من عهد «بطليموس الثالث»[٣٦]

عُثِر على هذا العقد في بلدة «أم البريجات» من أعمال الفيوم Tebtynis كشف عنه «جرنفل» و«هنت» ١٨٩٩–١٩٠٠ ميلادية.

التاريخ: السنة الخامسة عشرة، شهر برمهات، من عهد الملك «بطليموس» العائش أبديًّا ابن الملك «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين الأخوين، عندما كان كاهن «الإسكندر»، «ليون» Leon وعندما كانت «برنج»؟ «برنيكي» (؟) ابنة «دريتون» Dryton حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: المرأة «شب-ن أست» ابنة «حور» و«تنوا» (= تاوس Taues).

الطرف الآخر: مدير البيت، وخادم سكوس (= سبك) (؟) «با-ن-أست» بن «نخت حور» وأمه هي «تابايس» Tabais.

صيغة العقد: إني آتي إلى بيتك، وأقوم بوظيفة مرضع عندما أكون طيبة؛ (ما دمت معافاة في صحتي) وإني أرضع ابنك لبن ثديي، وإني أغذيه، وإني أفطمه (؟) وإني أحميه من كل حادث ومن كل سوء؛ وتستمر مدة خدمة الرضاعة من برمهات من عام ١٥ من عهد الفرعون العائش حتى نهاية ثلاثة أعوام؛ أي ٣٦ شهرًا، أي ثلاثة أعوام ثانية، وإني سأمضي الزمن المذكور أعلاه، وإني أنام وأصحو في بيتك لرضاعة ابنك المذكور أعلاه، وإنك تعطيني كل … زيتًا (؟) وهذه النقود للقيام بالواجب … أو «جنت» (؟) في كل شهر مع زيتي.

والنقود التي أتقاضاها للقيام بعملي في كل شهر هي $1\frac{2}{10}$ دبنًا ونصفها ٦/ ١٠ من الدبن أي $1\frac{2}{10}$ دبنًا من الفضة ثانية، وذلك بمثابة أجري كل سنة، وليس في استطاعتك أن تغير الأجر … ليكون أجرًا شهريًّا … وإنك تعطيه إياي مع المأكل

[٣٦] Spiegelberg, Cat. Gen. Mus. du Caire, Tom. II. P. 14–18, No. 30604. Pl. IX.

والمشرب على حسب الشهر المذكور ... وإذا توقفتُ عن تنشئة ابنك المذكور أعلاه من غير لبن أو (؟) ... وعدم تمضية الوقت المذكور أعلاه في تنشئة ابنك المذكور أعلاه، فإني أعطيك عشرة دبنات من الفضة نصفها خمسة دبنات؛ أي عشرة دبنات من الفضة ثانية، وذلك في ظرف خمسة أيام.

وإنك تحميني حتى أمضي الوقت المذكور أعلاه في إرضاع ابنك المذكور أعلاه من جديد، وإذا توقفت عن إرضاع ابنك المذكور في الوقت المذكور أعلاه حينما أقوم لك بوظيفة مرضعة تعطي لبنها من ثديها من وقت ولادته حتى اليوم المذكور أعلاه (في العقد) فإني أدفع لك عشرين دبنًا فضة نصفها عشرة دبنات؛ أي عشرين دبنًا ثانية، في ظرف خمسة أيام.

وإني أفعل كل ما تأمر به فيما يخص ثديي (؟) وإن جميع ما أملك الآن، وما سأكسبه كذلك هو ضمان للشرط الذي في الوثيقة أعلاه، وهذا الشرط الخاص بالوثيقة أعلاه يجعلني مُلزمَة، والضمان الذي أمرت به ... حتى أقوم بما فرضت الكتابةُ أعلاه إنجازَه، والكتابة السالفة الذكر في يدك، وإني سأمضي أيامًا سعيدة في القيام بعمل المرضع ... في الزمن المذكور أعلاه، ولن يكون في استطاعتي أن أذهب إلى أي ملجأ أو أي مخبأ (...) مع الرضيع المذكور أعلاه حتى نهاية المدة المذكورة أعلاه.

وإذا أبعدتني عن الرضيع ابنك المذكور أعلاه فإنه يكون لي حق ما تخوِّله الكتابة أعلاه في الوقت المذكور أعلاه، وبذلك تعطيني عشرة دبنات من الفضة في الشهر المذكور، وإني خلفك في أداء الوقت المذكور أعلاه مع الرضيع ابنك، وإن موكلك له الحق في كل كلمة يتحدث بها معي باسم كل كلمة أعلاه، وإني أفعل ذلك لزامًا دون تردد.

المسجل: «با-وبستس» Paubastis ابن ...

تعليق: يُعَد هذا العقد من الوثائق الفريدة في بابها مما وصل إلينا من عهد الفراعنة والبطالمة على السواء؛ إذ في الواقع تكشف لنا محتويات هذه البردية عن صفحة مجيدة في العناية بالأطفال عند المصريين، أو على الأقل عند الطبقة المتوسطة، والظاهر أن والد الطفل هذا كان رجلًا صاحب مكانة في معبد الإله سبك أعظم آلهة الفيوم، وقد أراد أن يعتني بابنه من حيث الصحة والأخلاق معًا، وهو في مستهل حياته فأحضر له مرضعة أخذت على نفسها أن تقوم برضاعته من ثدييها ما دام لبنها صالحًا لذلك، وعلى أن تسهر على راحته، وألا تتركه ليل نهار حتى يتم زمن الرضاعة والتنشئة، وهي مدة ثلاث سنوات، وهذا لعمري منتهى ما يمكن من العناية لتنشئة طفل.

والشروط التي اشترطتها لنفسها، والتي أُخذت عليها تدل على أن القِيَم المادية والقيم الأخلاقية كانتا تسيران جنبًا لجنب، كما تدل شواهد الأحوال على أن المصري كان يقظًا ساهرًا على تنشئة مواطنين صالحين منذ اللحظة الأولى التي كان يولد فيها الطفل، ولا بد أن نشير هنا إلى أن هذا العقد كان بين مصري ومصرية، وأن ما تنطوي عليه هذه الوثيقة من مظاهر المدنية الرفيعة في تنشئة الطفل والعناية به هو من الوجهة المصرية البحتة، وأنه لا دخل للمدنية الإغريقية وتأثيرها على الشعب المصري من هذه الوجهة؛ وذلك لأن كلًّا من الشعبين كان يعيش على حدة، والاختلاط بينهما كان قليلًا جدًّا.

(٤-٣) عقد إيجار من عهد «بطليموس الثالث»[٣٧]

التاريخ: (السنة الثانية الشهر …) من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«أرسنوي» الإلهين الأخوين.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: يقول مزارع الملك (المسمى) «حارسئيسى» ابن … إلى …

الطرف الثاني: «سبرس» Sprs ابن «بطولمايوس» وإلى … ابن «حور» كاتب الملك …

نص العقد: لقد تسلمت أربعة أرورات أرض حنطة من حقول الملك، وهي التي وقعت عليها بالإضافة إلى زيادة السنة الثانية من حقل بلدة «سوكوس» (الفيوم؟) من جزيرة تجيس Tgis، وذلك مقابل إيجار مقداره أربعة أرادب حنطة عن كل أرورا، فيكون المجموع: ستة عشر إردبًا من الحنطة ونصفها ثمانية أرادب من الحنطة ثانية تأمل! إني أورِّد لك اثني عشر إردبًا (؟) وافية الكيل بمثابة إيجار للحقل المذكور في الوقت الذي حدده الملك، وأرادب القمح التي لم أورِّدها لك كاملة الكيل فإني أعطيها إياك بفوائدها في ظرف خمسة أيام قهرًا وبدون مراوغة.

إن المزارع خادم «سوكوس» (سبك) (المسمى) «بتيخونسيس» Petechonais ابن «حور» و«سنيسس» Senesis ضامنه يقول: إني أضمن «حارسئيسى» فيما يتعلق

[٣٧] Die Demotischen Papyrus. Cat. Gen. Antiq. Egypt, Tom. II. P. 88–9. No. 30647.

بأرادب الحنطة الستة عشر المذكورة أعلاه، وإذا لم يوردها لك وافية الكيل فإني أوردها لك وافية الكيل ... وإنك تُسانَد منا نحن الاثنين إلى أن يُوفَّ كل كلمة مما هو مدوَّن قهرًا، وبدون مراوغة.

المسجل: «أناروس» Inaros ابن باوس Paues.

وفي أسفل من ذلك اسما شاهدين.

هذا، ولدينا عدة عقود بالديموطيقية من عهد هذا الملك غير أن معظمها ممزق، ولم يبق منها إلا نُتَف نخص بالذكر منها ما يأتي:

(١) عقد إيجار عُثِر عليه على ما يظن في الجبلين (؟) ويؤرخ بحوالي عام ٢٤٦–٢٤٥ق.م.[٣٨]

(٢) عقد بيع بيت عُثِر عليه في أم البريجات «تبتنيس» ومؤرخ بالسنة ٢٢٦–٢٢٥ق.م؛ أي في السنة الثانية والعشرين من حكم «بطليموس» بن «بطليموس»، ولم يبق من هذا العقد إلا الجزء الأول.[٣٩]

(٣) عقد عن سلفة نقود من عهد نفس الملك، ولم يبق منه إلا قطعة.[٤٠]

(٤) عقد إيجار أطيان مؤرخ بالسنة ٢٤٦–٢٤٥ق.م؛ أي في الثانية من عهد «بطليموس الثالث» ولم يبق منه إلا قطعة صغيرة.[٤١]

(٥) مستند بِدَيْنٍ تحت الطلب، ولم يبق منه إلا قطعة، وأُرِّخ بالسنة الثانية، ومن المحتمل أنه من عهد «بطليموس الثالث» وقد جاء في هذه القطعة ما يأتي:

> إني[٤٢] مدين لك حتى اليوم الذي ترغب فيه (أي إنه مدين بمبلغ يُدفع عند الطلب كما هي الحال في أيامنا هذه) وإني أرد لك هذا المبلغ خارج مذبح الملك والأماكن التي يُلجَأ فيها، في المكان المتفَق عليه (؟) وفي القرية المتفق عليها، وفي المقاطعة المتفق عليها، وإني أرده لك ... دون مشادة أو مراوغة.

---

[٣٨] Ibid., Cat. Gen. 30689–90. Tom II. P. 11–112.

[٣٩] Ibid, P. 115.

[٤٠] Ibid, P. 116.

[٤١] Ibid. 116–117.

[٤٢] Ibid. P. 120.

وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الوثيقة عبارة عن عقد دين بمبلغ لم يُحدد زمن دفعه، بل تحت الطلب كما أسلفنا.

(٦) عقد إيجار مع ضمان من عهد «بطليموس الثالث»[٤٣] جاء فيه:

> عندما لا يكون في استطاعتي أن أحدد لك وقتًا آخر معينًا للدفع غير الذي حررته لأرد فيه المبلغ قهرًا وبدون إبطاء، وهذه النقود إذا لم أدفعها في الوقت المذكور فإني أردها مضافًا إليها ٢ $\frac{1}{2}$ قدت من الفضة بعد المدة المذكورة أعلاه بالقوة، وبدون مراوغة. إن ... بانيت Pa Net ابن «بتوزريس» Petosiris يتحدث: لقد تسلمت من «توتسيتميس» Thotsytmis الضمان وهو ثلاثون دبنًا وهو عبارة عن إيجار الحقول المزروعة حنطة المذكورة أعلاه، وإن جميع ما أملكه (حاليًّا) وكذلك كل ما سأحصل عليه ضمانًا للملكية (؟) المذكورة أعلاه إلى أن تُتخَذ الإجراءات ضدك قهرًا ودون إبطاء، وإنك ستكون في حماية أي أحد منا نحن الاثنين.
>
> **المسجل:** «أناروس» Inaros ابن «باوس» Paues.
>
> وأسفل هذا إمضاء بالإغريقية.

(٥) قصة ستني

ذكرنا فيما سبق طائفة كبيرة من العقود والوثائق الديموطيقية التي من عهد الملك «بطليموس الثالث» ومعظمها من نوع واحد؛ أي إنها إما عقود بيع أو شراء أو زواج وما إلى ذلك. غير أنه ظهر لنا بين الوثائق الديموطيقية نوع آخر جديد يكشف لنا عن صفحة هامة في حياة الشعب وأحاسيسه وعاداته وأخلاقه وأفكاره الدينية وما طرأ عليها من تغيرات منذ أقدم العهود، وكل ذلك قد صِيغَ في صورة قصة شعبية انتشرت بين أفراد الشعب عامة، وهذه القصة هي «قصة ستني» التي وقعت حوادثها في عهد سابق للعصر الذي كتبت فيه، وأعني بذلك عصر الرعامسة.

والواقع أن الخط الذي كُتِبت به هذه القصة هو من طراز الخط الذي كان مستعملًا في عهد ملوك البطالمة الأول، والمُرجَّح كثيرًا أن القصة دُوِّنت في عهد «بطليموس الثالث»

---

[٤٣] Ibid. P. 117–118.

في السنة الخامسة عشرة شهر طوبة، وقد تُرجِمت مرات عدة، غير أن أحسن ترجمة ظهرت حتى الآن هي التي وضعها الأستاذ «جرفث».[٤٤]

ولا نزاع في أن قصة «خعمواس» بن «رعمسيس الثاني» التي سنتحدث عنها هنا، ونضع ترجمتها تلفت النظر من كل الوجوه، وتُعتَبر من أجمل الأعمال الأدبية الخيالية التي خلَّفتها لنا مصر في العصر المتأخر، وهي في الواقع تُنسَب إلى أجمل عهد في العصر الديموطيقي؛ وذلك حينما كانت كتابة هذه اللغة قد أصبحت كاملة ومعبرة؛ هذا فضلًا عن أنها خالية من الأغلاط والزيادات.

وعنوان هذه القصة يوجد في الواقع في نهاية القصة، كما وصلت إلينا في حالتها الممزقة، وهذا العنوان هو: «هذه كتابة كاملة تتحدث عن «خعمواس» و«ني-نفر-كا-بتاح» و«أهوري» زوجه، و«مرأب» ابنهما.»

ويدل ترقيم البردية على أن الصفحتين الأوليين قد ضاعتا، وأن الصفحة الثالثة قد مسَّها عطب في كل من أسطرها الأولى، ولحسن الحظ نجد أن سائر البردية كاملًا على وجه التقريب، ولكن بدايتها — كما قلنا — قد فُقِدت كلها، وفي بداية الصفحة الثالثة نقرأ أن «خعمواس»[٤٥] كان في قبر فرد يدعى «ني نفر-كا-بتاح» وهو ابن فرعون من الفراعنة القدامى، وقد مُثِّل هذا الأمير في القصة بأنه تزوج من أخته الوحيدة، وأنه

[٤٤] Griffith. The stones of the High priest of Memphis. P. 68, Maspero: Les Contes populaires de I'Egypyte Ancienne 3e édition. P. 100.

[٤٥] يعني اسم «خعمواس» الظهور في طيبة؛ مما يدل على أنه على ما يظهر قد وُلِد في العاصمة الجنوبية، ولكنه عاش ومات في «منف» وقد كان رئيسَ كلِّ النظام الديني لعصره، كما كان أبرز أولاد رعمسيس الثاني. هذا، ونعلم من الوثائق المعاصرة أن أمَّه كانت تُدعَى «أست-نفرت»، وتدل شواهد الأحوال على أنه في صباه قد اشترك في حروب والده، غير أن أعماله المدوَّنة لدينا تحمل بوجه خاص صبغة دينية، ويظهر ذلك بصورة بارزة في أحفال الأعياد القومية منذ السنة الثلاثين من عهد رعمسيس وما بعدها.

والظاهر أن «خعمواس» مات في السنة الخامسة والخمسين من حكم والده الذي دام حوالي سبع وستين سنة، وإلا فإنه كان المرشح الأول لتولي العرش المصري بعد وفاة والده، والواقع أن خليفة رعمسيس هو ابنه مرنبتاح، وهو الابن الثالث عشر لرعمسيس، على حسب ترتيب الأولاد.

وقبر «خعمواس» يوجد بالقرب من الهرم الأكبر، وقد جاء ذكره كثيرًا على الآثار المصرية، ولكن في القصص الديموطيقية لم يُمثَّل في صورة بطولة عظيمة، بل قد قُصَّت مآسيه وحسب، والظاهر أنه كان يسخر من عمله الذي لم يأت بشيء له قيمة أمام الآلهة، أو حتى أمام الحكماء والسحرة في ذلك العصر المنحط. هذا، ويدل الكشف عن بعض متون دينية متأخرة على أنه كان بحَّاثة لا يَكِل.

قد لاقى حتفه هو وزوجه وابنهما، وبذلك قضى على آمال الملك في أن يكون له وريث من نسله، وكانت أرواح «ني-نفر-كا-بتاح» وأخته وزوجه «أهوري» وابنهما «مرأب» في القبر.

وعند بداية المتن نجد أن «أهوري» تقصُّ على «خعمواس» قصة الكارثة التي نزلت بهم، وتنسب كل الكوارث التي انصبَّت عليهم إلى خروج «ني-نفر-كا-بتاح» هائمًا على وجهه للحصول على كتاب سحر يرغب «خعمواس» في أن يأخذه منه، وبهذا المفتاح نفهم المعنى التقريبي للجزء المفقود من القصة.

ولا بد أن نذكر على أية حال أن ما فُقِد يزيد على نصف ما بقي لنا من البردية، ولا بد أنه كان يحتوي على حوادث طويلة قد فُقِدت الآن دون أمل في الحصول عليها إلا إذا وصلت إلينا نسخة أخرى قد تكون في جوف تربة مصر الغنية بالآثار والمفاجآت.

والنقاط الرئيسية التي جاءت في بداية القصة يمكن أن تلخص فيما يأتي: كان «ستني خعمواس» بن الفرعون «وسر ماعت رع» «رعمسيس الثاني» شغوفًا مجدًّا في البحث عن الكتابات القديمة، وقد نما إليه خبر وجود كتاب اللغة للإله «تحوت» رب الآداب والعلوم والسحر، وقد كتبه بخطه، وعرف أن هذا الكتاب كان يوجد في جبَّانة «منف» في مقبرة «ني-نفر-كا-بتاح» ابن فرعون يدعى «مر-نب-بتاح»، ولما أفلح «ستني-خعمواس» في معرفة هذا القبر المزعوم، ودخله بصحبة أخيه «أنهررو» Anheru وجد هناك أرواح صاحب القبر وزوجه وابنه، وبجانبهم الكتاب الذي كان يسعى في الحصول عليه، غير أنهم أبوا أن يعطوه إياه؛ فقد كان مِلكهم ولأنهم دفعوا حياتهم الدنيوية ثمنًا له، وقد أفادتهم قوته السحرية جزاء وفاقًا حتى وهم في قبرهم. هذا، وقد حاولت «أهوري» أن تصرف خعمواس عن الاستيلاء على الكتاب بإخباره عن قصتهم المحزنة.

وكان اللقب الذي يحمله هو لقب «ستم» وهو لقب كهاني، ولم يكن مخصصًا لكاهن «منف» ولكن كان يحمله دائمًا، وكان كاهن بتاح يحمل اللقب المزدوج ستم ورئيس الصناع، ولا نزاع في أن خعمواس كان يحمل اللقبين. هذا، ونجد أن خعمواس في القصص الديموطيقية يحمل لقب ستم، ومن ثَم فإن اسم ستني أو ستمى خعمواس يرجع إلى اللقب الذي كان يحمله هذا الأمير مدة حياته.

(٥-١) قصة «أهوري»

يمكن أن يُعبَّر عن الجزء المفقود في الورقة بما يأتي على وجه التقريب: وقالت حدث في عهد الفرعون «مرنبتاح» (؟) أن الملك طعن في السن، ولم يكن له بنت غيري، واسمي «أهوري» وأخي الأكبر مني «ني نفر كا بتاح»[٤٦] الذي بجانبي، وكان الملك يرغب في أن ينجب أولاده ولدًا؛ وأمر أن تقام وليمة أمام الفرعون بعد مضي ثلاثة (؟) أيام، وأن يأمر أولاد القواد وبناتهم بالحضور، ولكن أخي الأكبر «ني نفر كا بتاح» وأنا كان يحب الواحد منا الآخر فوق المعتاد، وقد خشيت أن الملك قد يأخذني ويزوجني من ابن قائد، وأن يزوج «ني نفر كا بتاح» من ابنة قائد آخر، لأجل أن يزيد في عدد الأسرة، وبذلك يجب أن نفترق عن بعضنا بعضًا.

وكان للملك مدير بيت، وهو رجل مسن، وكان يحب «ني نفر كا بتاح» وأنا أكثر من المعتاد، ومن أجل ذلك فإنه عندما رأى أن الواحد منا يحب الآخر تحدث إليَّ في اليوم التالي (؟) وقال: هل تحبين أخاك «ني نفر كا بتاح»؟ فقلت له: تكلم إلى الملك ليزوجني من «ني-نفر-كا-بتاح» وألا يفصلنا عن بعضنا بعضًا. فقال: سأذهب وأكلم الملك، وذلك لأنه من الصواب أن ابن الملك لا بد أن يتزوج ابنة الملك. وقد انشرح قلبي انشراحًا بالغًا، وذهب إلى الملك وعاد، ثم قال: لقد ذهبت إلى الملك، وتحدثت إليه قائلًا يا سيدي العظيم الملك، لَيْتَه يعيش حياة «رع»! أليس من الصواب أن الملك يجب عليه أن يسير على حسب قانون مصر، وبذلك يجب عليه أن يزوِّج «ني-نفر كا بتاح» من «أهوري» وبذلك يولد ابن في أسرة الملك (؟) وعندئذ سكت الملك، وكان قلبه في حيرة عارمة. فقلت له ما الذي يحيِّرك أيها الملك؟ (وهنا تبتدئ البردية بالصفحة الثالثة من الأصل) فقال: إنك أنت الذي تخطئني (؟) فإذا كان الأمر بأنه ليس لي ولد خلافًا لطفلين، فهل جرت العادة أن الواحد منهما يتزوج الآخر؟ وإني سأجعل «ني نفر كا بتاح» يتزوج من ابنة قائد (وسأجعل «أهورا» تتزوج من ابن قائد آخر، وليت ذلك يكون فيه إكثار لأسرتنا)!

وقد حانت الساعة، وأقيم العيد أمام الملك، وأرسل إليَّ وأُخِذت للوليمة المذكورة، وحدث أن قلبي كان في غاية الحزن، ولم يكن مزاجي كاليوم السابق، وقال لي الملك: «يا أهورا» هل أرسلت لي عن هذا الموضوع المقلِق للبال قائلة: زوجني من «ني نفر كا بتاح»

[٤٦] تدل شواهد الأحوال على أن كل الأسماء التي وردت في قصة «أهوري» ليس لها ظل من الحقيقة.

أخي الأكبر (؟) فقلت له: دعني أتزوج من ابن قائد، ودعه يتزوج من ابنة قائد آخر، وليت ذلك يكون فيه إكثار لأسرتنا! وضحكت وضحك الفرعون.

... وقال الفرعون يا مدير بيت الملك، دع «أهوري» تؤخذ إلى بيت «ني نفر كا بتاح» الليلة، ودع كل الأشياء الجميلة تُحمَل معها، وعلى ذلك أُخِذت كزوجة إلى بيت «ني نفر كا بتاح»، وجاء صباح اليوم التالي، وأمر الفرعون لي بهدية من الفضة والذهب، وجاء أهل بيت الفرعون أنفسهم إلي، وأمضى «ني نفر كا بتاح» يومًا جميلًا معي، ورحبت بكل أهل بيت الفرعون، وفي نفس الليلة ضاجعني، وتأمل، ولقد وجدني سارة (؟) واتفق أنه لم (؟ ...) معي أبدًا أبدًا؛ وتأمل! إن كلًّا منا أحب رفيقه.

وعندما حان وقت المحيض لم أتطهر ثانية (أي لم تأت العادة الشهرية)، وقد حُمِل الخبر إلى الفرعون، وكان قلبه غاية في الانشراح، من أجل ذلك، وأمر بأن تُحمَل إليَّ مادة كثيرة في الحال، وأمر أن تُحمَل إليَّ هدية من الفضة والذهب والكتان الملكي الجميل للغاية، وعندما أتى وقت الوضع وضعت الطفل الذي أمامك واسمه «مرأب»، وصَدَر الأمر بتسجيله في بيت الحياة.

وحدث أن أخي «ني نفر كا بتاح» لم يكن له مطلب على الأرض إلا السير على جبل جبَّانة «منف» يقرأ الكتابات التي في قبور الفراعنة، وعلى لوحات كتاب بيت الحياة، والكتابات التي كانت على المعابد (؟)، وكان تحمسه للكتابات عظيمًا.

وبعد هذه الأشياء اتفق أنه كان قد أُقِيم موكب على شرف الإله «بتاح» وذهب «ني نفر كا بتاح» إلى المعبد ليصلي، وتصادف أنه كان سائرًا خلف الموكب يقرأ الكتابات التي كانت على محاريب الآلهة، (ولكن كاهنًا خاصًّا لمحه، وكان أكبر منه سنًّا) وضحك، فقال له «ني نفر كا بتاح»: لماذا تضحك مني؟

وقال: إني لا أضحك منك، بل اضحك أنت، واقرأ ما ليس لمخلوق على الأرض مثله (؟) وإذا كان الأمر هو أنك تبحث عن تلاوة تعويذة تعال إليَّ لأجعلك تُؤخَذ إلى مكان حيث يوجد الكتاب الذي وضعه «تحوت» بيده عندما نزل مقتفيًا الآلهة، ويوجد فيه تعويذتان مكتوبتان، وعندما تقرأ الصيغة الأولى فإنك ستسحر السماء والأرض، والعالم السفلي، والجبال والبحار، وسينكشف لك عن كل ما ستقوله طيور السماء والزواحف، وسترى سمك البحر، وهناك توجد قوة الآلهة ساكنة في الماء عليها، وإذا قرأت الصيغة الثانية، ولو أنك في العالم السفلي (أمنتي) فإنك ستأخذ ثانية صورتك على الأرض، وسترى «رع» مضيئًا السماء مع كل الآلهة الذين في رفقته والقمر منير بأسلوبه ...

(وقال له «ني نفر كا بتاح») أيها الملك فلنعش سرمديًّا مر بأن أخبر ببعض شيء جميل تبحث عنه، وإني سأجعله يعمل لك لأجل أن توجهني إلى المكان الذي فيه هذا الكتاب، وقال الكاهن إلى «ني نفر كا بتاح»: إذا كنت تبحث عن أن توجه (إلى المكان حيث يوجد هذا الكتاب) فعليك أن تعطيني مائة دبنًا من الفضة لأجل دفني، وكذلك عليك أن تجعلني أمنح وظيفتي كاهنًا دون أجر (؟).

فنادى «ني-نفر-كا-بتاح» شابًّا، وأمر بأن يُعطَى الكاهن مائة دبنًا، وأمر … اثنين … تعمل، وأمر بأن تعطى له دون أجر (؟).

وقال الكاهن إلى «ني نفر كا بتاح»: إن الكتاب المسمى يوجد في وسط بحر «قفط»[٤٧] في صندوق من الحديد، والصندوق الحديد في صندوق من البرنز، والصندوق البرنز في صندوق من خشب كتي، وصندوق خشب كتي في صندوق من العاج والأبنوس، وصندوق العاج والأبنوس في صندوق من الفضة، وصندوق الفضة في صندوق من الذهب حيث يوجد الكتاب، وهناك ما يبلغ طوله أكثر من ميل من كل نوع من الثعابين والأفاعي والزواحف حول الصندوق الذي فيه الكتاب، وهناك حية لا نهاية لها حول الصندوق المسمى …

والآن بعد أن ذكر الكاهن هذه الأشياء إلى «ني نفر كا بتاح» لم يعرف «ني-نفر-كا-بتاح» في أي مكان كان هو في العالم، ثم خرج من المعبد، وأخبرني كل ما حدث له، وقال لي سأذهب إلى «قفط» وسأحضر الصندوق وأعود دون إبطاء إلى الشمال.

وحدث أنني وبخت الكاهن قائلًا: ليت «آمون» (؟) يلعنك بسبب ما قصصته عليه من هذه الأشياء المشئومة! لقد أعددت لي المعركة، وجلبت إليَّ المشاجرة؛ أما من حيث إقليم طيبة فقد وجدته قاسيًا (؟).

ولقد عملت كل ما في وسعي مع «ني نفر كا بتاح» لأجل ألا يذهب إلى «قفط»، ولكنه لم يصغِ إليَّ، ثم ذهب إلى حضرة الفرعون، وقص أمام الفرعون كل شيء أخبره به الكاهن فقال له الفرعون: ما الذي (ترغب فيه)؟ فقال له: دع قارب نزهة الفرعون يُعطَى إياي مع معداته، وسآخذ «أهوري» وطفلها «مرأب» معي نحو الجنوب، وأحضر الكتاب على الفور فأُعْطِي قارب نزهة الفرعون بمعداته، وركبنا على ظهره وأقلعنا ووصلنا إلى قفط.

[٤٧] يحتمل أن المقصود هنا ببحر قفط البحيرة المقدسة للمعبد، أو فرع من النيل بجوار قفط.

وقد بلغ بذلك كهنة «إزيس» صاحبة «قفط» وكذلك كاهن «إزيس» الأكبر فأتوا لمقابلتنا، وخرجوا لمقابلة «ني نفر كا بتاح» وكذلك أتت نساؤهم لمقابلتي، وذهبنا من الشاطئ، واتجهنا إلى معبد «إزيس» و«حاربو خراتيس»، وأمر «ني نفر كا بتاح» بإحضار ثور وأوزة ونبيذ، وقرَّب قربانًا وسوائل أمام «إزيس» صاحبة قفط و«حاربو خراتيس»، وأخذونا إلى بيت غاية في الجمال … وأمضى «ني نفر كا بتاح» أربعة أيام في إجازة مع كهنة «إزيس» صاحبة «قفط» وكذلك نسوة كهنة «إزيس» أمضوا وقتًا سعيدًا معي.

وعندما طلع علينا صبح يومنا الثاني، أمر «ني نفر كا بتاح» بإحضار كثير من الشمع الطاهر، وصنع منه قاربًا يُحرَّك بمجدفيه ونواتيه (؟) ثم قرأ عليها تعويذة فجعلهم ينقلبوا أحياء، وأعطاهم نفسًا، وأنزلهم إلى البحر، وبعد أن ملأ قارب نزهة الفرعون بالرمل، وشد وثاقه مع القارب السحري (؟) وطلع على ظهر القارب.

أما من جهتي فإني قعدت قبالة بحر قفط قائلة: سأكشف ماذا سيكون من أمره، وقال: استمروا في التجديف أيها المجدفون معي إلى المكان الذي يوجد فيه هذا الكتاب، وجدفوا معه ليلًا كما جدفوا في الظهيرة، وتأمل! لقد وصل إليه في اليوم الثالث، ورمى رملًا أمامه، وعندئذ انفلق الماء فرقين، وتأمل! إنه وجد ميلًا من كل نوع من الثعابين والعقارب والزواحف حول المكان الذي كان فيه الكتاب، وتأمل! لقد رأى حية لا نهاية لها حول الصندوق.

وتلى تعويذة على الميل من كل نوع من الثعابين والعقارب والزواحف التي كانت حول الصندوق، ومن ثَم لم تتمكن من النهوض، ثم أتى إلى المكان الذي كانت فيه الحية التي لا نهاية لها فحاربها وذبحها، ولكن بُعِثت واتخذت صورتها ثانية فحاربها ثانية مرة أخرى وذبحها، فبُعِثت ثانية فحاربها ثانية كرة ثالثة، وقطعها قطعتين، ووضع رملًا بين القطعتين، فماتت، ولم تعد قط إلى نفسها ثانية أبديًّا.

ووصل «ني نفر كا بتاح» إلى المكان الذي فيه الصندوق فوجد أنه كان صندوقًا من حديد ففتحه، ووجد فيه صندوقًا من البرنز ففتحه، ووجد فيه صندوقًا من خشب كتي ففتحه، فوجد فيه صندوقًا من العاج والأبنوس ففتحه، فوجد فيه صندوقًا من الفضة ففتحه، فوجد فيه صندوقًا من الذهب ففتحه، فوجد فيه الكتاب. فأخذ الكتاب من الصندوق الذهب وقرأ منه صيغة كتابة، فسحر السماء والأرض والعالم السفلي والجبال والبحار، وقد أصبح يعلم بما تتكلم به طيور السماء وأسماك المحيط ووحوش الجبال.

قرأ صيغة كتابة أخرى فرأى «رع» يضيء في السماء مع كل تاسوعه، والقمر طالعًا، والنجوم في صورها، ورأى أسماك المحيط، وهناك القوة الإلهية في الماء تمكث عليها، وتلا «ني نفر كا بتاح» تعويذة على الماء فجعله يصبح كما كان (؟) وذهب على سطح القارب، وقال للمجدفين: جدفوا معي إلى المكان الذي ... فجدفوا معه بالليل كما جدفوا وقت الظهيرة، وتأمل! فقد وصل إلى المكان الذي كنت فيه؛ فوجدني قاعدة قبالة بحر «قفط» دون أن أكون قد أكلت أو شربت أو فعلت أي شيء على الأرض، ولكن كنت كقِرْد قد وصل إلى البيت الطيب (= مكان التحنيط أي في حالة يُرثى لها).

فقلت إلى «ني-نفر-كا-بتاح» ... دعني أرى هذا الكتاب الذي من أجله قد ... تعبنا. فوضع الكتاب في يدي، تلوت منه تعويذة، فسحرت السماء والأرض والعالم السفلي والجبال والبحار، وكشفت عن كل الأشياء التي تقولها طيور السماء وأسماك المحيط، وعندما تلوت تعويذة أخرى من الكتابة رأيت «رع» مضيئًا في السماء مع كل «تاسوعه المقدس»، ورأيت القمر طالعًا مع كل النجوم التي في السماء وسيرها، ورأيت الأسماك في البحر، وهناك كانت بوصفها قوة الإله ماكثة في الماء عليها.

غير أني لم أكن كاتبًا؛ وأعني بذلك إذا ما قُرِنت بأخي الأكبر «ني نفر كا بتاح» الذي كان كاتبًا حسنًا ورجل علم للغاية، وأمر بأن تحضر لي قطعة من البردي الجديد، وكتب عليها كل كلمة كانت أمامه على الإضمامة، وبعد أن أمر بغمسها في الجعة أذابها في الماء، ثم تأكد من أنها قد ذابت ثم شربها، وعلم على حسب ذلك ما كان فيها.

ثم رجع إلى «قفط» في نفس هذا اليوم، وقضينا يومًا جميلًا أمام «إزيس» صاحبة «قفط» ومع «حربو خراتيس» ثم ركبنا القارب، وانحدرنا في النهر، ووصلنا إلى مكان يبعد ميلًا عن شمالي «قفط».

ولكن تأمل! لقد علم «تحوت» بكل ما وقع مع «ني نفر كا بتاح» فيما يتعلق بالكتاب، ولم يتوانَ «تحوت» فقد تظلم أمام «رع» قائلًا: كن على علم بحقي، وقضيتي مع «ني نفر كا بتاح» ابن الفرعون «مرنب» (؟) بتاح! لقد ذهب إلى حجرتي ونهبها، فأخذ صندوقي الذي يحتوي على كتابي (؟) وقتل الحارس الذي كان يحفظه، وقيل له: إنه أمامك مع كل شخص تابع له قاطبة.

وقد أُنزلت قوة إلهية من السماء مع الأمر: لا يُسمَح إلى «ني نفر كا بتاح» أن يصل سالمًا إلى «منف» هو وكل فرد تابع له جميعًا.

وفي لحظة معينة خرج «مراب» الطفل من تحت مظلة قارب نزهة الفرعون، وسقط في النهر، وبذلك تمت مشيئة «رع»، وعندئذ صاح كل من كان على ظهر القارب صيحة

واحدة، وخرج «ني نفر كا بتاح» من تحت مظلته، وتلى تعويذة مكتوبة له فجعله يطفو، فقد كانت قوة الإله في الماء باقية عليه، فتلى تعويذة مدونة له، وجعله يقص جميع ما وقع له بالإضافة إلى التهمة التي اتهمه بها «تحوت» أمام «رع».

وعدنا إلى «قفط» معه، وأمر بأن نُؤخَذ إلى البيت الطيب، وجعلناهم ينتظرون حوله، وأمرنا بتحنيطه على أسلوب تحنيط أمير شريف، وجعلناه يثوي في تابوته في جبَّانة قفط، وقال أخي «ني نفر كا بتاح» دعينا ننحدر في النهر، ودعينا لا نتباطأ حتى لا يسمع الفرعون بالأشياء التي ألَمَّت بنا، وقلبه يحزن بسببها.

فذهبنا إلى سطح القارب، وانحدرنا في النهر، وذهبنا دون إبطاء على بعد ميل من شمالي قفط في المكان الذي سقط فيه «مراب» في الماء، وقد خرجت من تحت مظلة قارب نزهة الفرعون فسقطت في النهر، وبذلك نفذت إرادة «رع» وكل من كانوا على سطح القارب صاحوا صيحة.

وقد أُخْبِر «ني نفر كا بتاح» بذلك فخرج من تحت مظلة قارب نزهة الفرعون، وتلى تعويذة وجعلني أطفو، وهناك كانت قوة الإله ماكثة في الماء عليَّ، وأمر بأن أُوخَذ، وتلى تعويذة عليَّ، وجعلني أذكر أمامه ما قد حدث لي جميعه بالإضافة إلى التهمة التي وجهها «تحوت» أمام «رع».

وعاد معي إلى قفط، وأمر بأن أُوخَذ إلى البيت الطيب، وأمر بأن ينتظروا حولي، وأمر بتحنيطي على حسب تحنيط أمير وشريف عظيم، وأمر بأن أثوى في القبر الذي ثوى فيه الطفل «مراب».

وذهب على ظهر القارب، ثم انحدر في النهر، وذهب دون إبطاء، ميلًا نحو الشمال من قفط إلى المكان الذي سقطنا فيه في النهر.

وهناك تحدث مع قلبه قائلًا: هل في مقدوري أن أذهب إلى «قفط» وأسكن هناك؟ وإلا فإني لو ذهبت إلى «منف» حيث سيسألني الفرعون عن أولاده، فماذا سيكون جوابي له؟ وكيف يمكنني أن أقول له إني أخذت الأطفال إلى إقليم «طيبة» أحياء، وسبَّبت لهم الموت، ثم أتيت إلى «منف» وأنا على قيد الحياة؟

ثم أمر أن يُحضَر له بشريط من الكتان الملكي، وعمل منه رباطًا، وربط الكتان وشده على جسمه وأحكم وثاقه، وعندما خرج من تحت مظلة قارب نزهة الفرعون سقط في الماء، وبذلك نفذ مشيئة «رع»، وعندئذ صاح كل من كان على ظهر القارب صيحة، وقالوا جميعًا: مُصاب جَلَل! خطب فادح! هل عاد الكاتب الطيب، والرجل العالم الذي لم يوجد مثيله؟

وسار قارب نزهة الفرعون منحدرًا في النهر دون أن يعلم أحد على الأرض المكان الذي كان فيه «ني نفر كا بتاح».

وعندما وصلوا إلى «منف» قُدِّم تقرير عن ذلك للفرعون، وجاء الفرعون لمقابلة قارب نزهة الفرعون مرتديًا ملابس الحداد، وأهل «منف» يلبسون ملابس الحزن جميعًا، وكذلك كهنة بتاح والكاهن الأكبر للإله بتاح، ومجلس بيت الفرعون جميعًا.

وتأمل! لقد استقبلوا «ني نفر كا بتاح» ممسكًا بسكان قارب نزهة الفرعون بمهارة بوصفه كاتبًا طيبًا، فالتقطوه، ورأوا الكتاب الذي كان مشدودًا على جسمه، فقال الفرعون: دع هذا الكتاب يُخبَّأ «بعيدًا»، ثم تحدث مجلس الفرعون وكهنة «بتاح» والكاهن الأكبر لبتاح أمام الفرعون: يا سيدنا العظيم الملك، لَيْتَه يحيا حياة «رع» إن «ني نفر كا بتاح» كان كاتبًا حسنًا ورجلًا عالمًا للغاية.

وأمر الفرعون أن يُدخَل مدخلًا حسنًا إلى البيت الطيب (مكان التحنيط) لمدة ستة عشر يومًا، ثم يُكفَّن في مدة خمسة وثلاثين يومًا، ثم يوضع في التابوت في مدة سبعين يومًا، ثم وضع ليثوي في تابوته في بيت مثواه،[٤٨] (تنتهي هنا قصة «أهوري»).

---

[٤٨] تدل شواهد الأحوال على أن السبعين يومًا كان لا يدخل ضمنها الستة عشر يومًا والخمسة والثلاثين يومًا، والواقع أنه خلال عهد البطالمة كانت المدة العادية ما بين فترة الموت، أو بعبارة أدق على ما يُظَن من أول عملية التحنيط حتى يوم الدفن، هي سبعون يومًا، وفي خلال هذه المدة كانت الأحزان قائمة، يدل على ذلك ما جاء في سجلات عجول أبيس وما جاء على لوحات كهنة السربيوم، والواقع أن مدة التحنيط كانت تمتد يومًا أو يومين أكثر من السبعين يومًا العادية، ففي حالة الكهنة (راجع Br. Thes, 912–3, ef 931–939) وفي حالة الأفراد غير رجال الدين الذين يشغلون وظائف عالية محلية: (راجع Rh. Bil. Pap. v) حيث نجد أن كاهنًا قد حُنِّط في ثمانين يومًا. هذا ويذكر ديودور Diod. I. 72 أن مجموع مدة أيام الحزن على الملك كان ٧٢ يومًا.

أما عن الأزمان التي قبل ذلك فليس لدينا مصادر يُعتَمد عليها إلا المصادر الأجنبية، فيقول هردوت إنه في كل الحلات كان الجسم يُملَّح في النترون مدة سبعين يومًا، غير أنه على ما يظهر قد ارتكب خطأ بقوله: في حالة الرجل الثري كان هذا لا يشمل المدة الضرورية للإعداد المتقن للجسم، ولِلَفِّة فيما بعد، بل الصواب أن هذه المدة كانت تُحسَب ضمن السبعين يومًا.

هذا، ولدينا مصدر آخر أقدم من ذلك بكثير، وهو ما جاء في التوراة (راجع Gen. I. 3) أي حوالي عام ٨٥٠ق.م (؟) فقد جاء في التوراة أربعون يومًا لتحنيط «يعقوب» ولكن كانت المدة سبعين يومًا للحداد في مصر (راجع Rec. de Trav. XXI, 73).

وقد أخبرتهم بالبلايا التي حلت بنا بسبب هذا الكتاب الذي قلت عنه: فليعط إياي! وليس لك نصيب فيه، في حين أن فترة حياتنا على الأرض قد أُخِذت من أجله، ولكن «ستني» قال: يا «أهوري» دعي الكتاب يُسلِّم لي، وهو الذي رأيته بينك وبين «ني نفر كا بتاح»، وإلا فإني آخذه بالقوة.

وعندئذ انتصب «ني نفر كا بتاح» على الأريكة، وقال هل أنت «ستني» الذي وجهت إليه هذه المرأة تلك الكلمات العابثة، وأنت لم تُصغِ إلى كلماتها؟ إن الكتاب المسمى هل سيكون في مقدورك أن تأخذه بقوة كاتب حسن، أو بالتغلب عليَّ في لعبة السيجة؟ دعنا نلعب من أجله لعبة الاثنتين وخمسين نقطة، وقال «ستني»: إني مستعد.

ووضعوا أمامهم لوحة اللعب، وعليها القطع (الكلاب) ولعبوا لعبة الاثنتين وخمسين نقطة. وكسب «ني نفر كا بتاح» دورًا من «ستني» وتلى تعويذة عليه، ثم أكملها (؟) بلوحة اللعب التي كانت أمامه، وجعله يغوص في رقعة المكان حتى قدميه، وعمل بالمثل في لعبة الدور الثاني وكسبه من «ستني»، وجعله يغوص في رقعة المكان حتى وسطه، وعمل بالمثل في الدور الثالث، وجعله يغوص في رقعة المكان حتى أذنيه.

وبعد هذه الأشياء كان «ستني» في مأزق حرج في يد «ني نفر كا بتاح»، وعندئذ نادى «ستني» «أنهرو» أخاه[٤٩] من أمه «منخ» (؟) «أرت» قائلًا:[٥٠] لا تتوان في الخروج على ظهر الأرض، وأن تقصَّ أمام الفرعون كل ما يصيبني، وأحضر تعاويذ «بتاح» والدي وكتبي الخاصة بالسحر.

ولم يتوان «أنهرو» في أن يصعد على الأرض؛ ليقص أمام الفرعون ما أصاب «ستني». فقال الفرعون خذ له تعاويذ «بتاح» وكتب سحره، ولم يتوان «أنهرو» عن النزول في القبر ووضع التعاويذ على جسم ستني، وفي الحال قفز «ستني» عاليًا ومد يديه إلى الكتاب وأخذه.

وحدث أن «ستني» خرج من القبر، وسار النور أمامه، ومشى الظلام خلفه، وبكت «أهوري» من أجل (؟) ذلك قائلة: مرحبًا أيها الظلام الملك! ووداعًا أيها النور الملك! فقد ولَّت كل قوة كانت في القبر جميعًا، ولكن «ني نفر كا بتاح» قال: يا «أهوري» لا تحملي

[٤٩] لا يعرف حتى الآن واحد من أبناء رعمسيس الثاني بهذا الاسم.

[٥٠] يحتمل أن المقصود هنا هو اسم نفرت-أري زوج رعمسيس الثاني، وكلمة «منخ» هنا تساوي نفرت، وكان خعمواس ابن زوجة رعمسيس الثاني الأولى التي تُدعَى «ست نفرت».

الحزن في قلبك، فإني سأجعله يحضر هذا الكتاب هنا، وهو يحمل في يده عصا معوجة ومبخرة (؟) من نار على رأسه.[٥١]

وخرج «ستني» من القبر وربطة (الكتاب) خلفه كما كان، وذهب إلى حضرة الفرعون وقصَّ أمامه ما حدث له من جراء الكتاب، وقال الفرعون لستني: خذ هذا الكتاب إلى قبر «ني نفر كا بتاح» بوصفك رجل علم، وإلا فإنه سيجعلك تأخذه وفي يدك عصا معوجة وعلى رأسك مبخرة من نار (عقابًا).

غير أن «ستني» لم يصغِ له، وحدث أن «ستني» لم يفعل أي شيء على ظهر البسيطة إلا فضَّ الكتاب حتى يمكنه أن يقرأ فيه أمام كل فرد.

واتفق أنه بعد هذه الأشياء كان «ستني» يمشي في مدخل معبد «بتاح» وتأمل! لقد رأى امرأة بارعة الجمال ليس لها مثيل في الحسن (؟) وكانت جميلة، وعليها حُلِي كثيرة من الذهب؛ وكانت العذارى تمشي خلفها، وكانت تملك حشمًا يبلغ عددهم اثنين وخمسين شخصًا، ولما رآها «ستني» لم يعرف أين كان هو على الأرض، ثم نادى «ستني» عبده المرافق له قائلًا لا تتوانَ عن الذهاب إلى المكان الذي فيه هذه المرأة، واعرف ما الذي أتى تحت (؟) أمرها (أي ما هي رسالتها).

ولم يتوانَ العبد الخادم في الذهاب إلى المكان الذي فيه هذه المرأة، ونادى على الأمة خادمتها التي كانت تسير خلفها، وسألها قائلًا: من هذه الإنسانة؟ فقالت له: إنها «تابوبو» ابنة كاهن «باست» سيدة «عنخ تاوي» (= حياة الأرضين = اسم من أسماء منف) تأمل! لقد أتت إلى هنا لتصلي للإله «بتاح» الإله العظيم.

وعاد الخادم إلى «ستني» وقصَّ عليه كل شيء أخبرته به جميعًا، فقال ستني للعبد: اذهب وتحدث إلى الأمة قائلًا: إن «ستني خعمواس» ابن الفرعون «وسر ما عت رع» (رعمسيس الثاني) هو الذي أرسلني قائلًا: سأعطيك عشر قطع من الذهب، ومُضِي ساعة معي؛ أو هل عندك شِكاية من ظلم سآمر بردها عنك، وسآمر بأن تُؤخَذي إلى مكان خفيٍّ تمامًا، ولن يجدك أي إنسان في العالم.

وعاد العبد إلى المكان الذي كانت فيه «تابوبو» ونادى على الأمَة خادمتها، وتحدث معها، ولكنها جاوبته بِهُزْء (؟) كأن ما تحدَّث به كان فسوقًا (؟) وقالت «تابوبو» للعبد: كُفَّ عن مناقشة هذه الأمة المجنونة، وتعال هنا وتحدَّث إليَّ.

---

[٥١] أي آلات العذاب التي سيعاقب بها.

وأسرع العبد إلى المكان الذي كانت فيه «تابوبو» وقال لها: سأعطي عشر قطع من الذهب، ومُضِي ساعة مع «ستني» خعمواس ابن الفرعون «وسر ماعت رع». هل تشكين من ظلم؟ إنه سيرده عنك فضلًا عن ذلك، وسيأمر بأخذك إلى مكان خفيٍّ تمامًا، ولن يجدك أي فرد في العالم فقالت «تابوبو» اذهب وتحدث إلى «ستني» قائلًا: «إني كاهنة، ولست بامرأة حقيرة، وإذا أردت أن تفعل معي ما ترغب فيه فعليك أن تأتي إلى «بر-باست» في بيتي. فهناك كل شيء مستعد عندما تفعل ما ترغب فيه معي، ولن يجدني أي واحد في الأرض، هذا فضلًا عن أنني لن أفعل ما تفعله امرأة حقيرة في عرض الشارع.»

وعاد العبد إلى «ستني» وقصَّ أمامه كل شيء قالته له قاطبة. فقال هذا حسن، وقد شمل الخزي كل فرد كان حول «ستني».

ثم أمر «ستني» بإحضار قارب وذهب على متنه، ولم يتوانَ عن الذهاب إلى «بر-باست» وأتى إلى غرب قمي (اسم جزء من جبَّانة منف بالقرب من السرابيوم) وتأمل! … فقد وجد بيتًا غاية في العلوِّ له سور حوله وحديقة في الشمال وأمامه ديوان، ثم سأل «ستني» قائلًا: هذا البيت، بيت من؟ فقالوا له: إنه بيت «تابوبو».

وكان «ستني» في داخل السور وتأمل! فإنه صوَّب التفاتة (في عجب) إلى جوسق الحديقة.

وقد بُلِّغت «تابوبو» بمجيئه، فنزلت وأخذت بيد «ستني» وقالت له: بحق فلاح بيت كاهن الآلهة «باست» سيدة «عنخ تاوي» (منف) الذي وصلتَ إليه إني لفرحة للغاية، اصعد من حيث أنت معي.

وعلى ذلك صعد «ستني» سلم البيت مع «تابوبو» وتأمل! لقد وجد الدور العلوي للبيت مكنوسًا ومؤثَّثًا، فرقعته كانت محلاة باللازورد الحقيقي والفيروز الطبيعي، وكانت هناك أرائك عدة مفروشة بالكتان الملكي، وعلى المنضدة أقداح من الذهب كثيرة العدد، وملأت كأس من الذهب بالنبيذ، وقُدِّم إلى يد «ستني»، وقالت له فلْيؤتَ لك بطعام. فقال لها لا يمكنني أن آكل.

ووضعوا صمغًا معطرًا على المبخرة، وأحضروا عطورًا من النوع الذي يستعمله الفرعون أمامه.

وتمتع «ستني مع تابوبو» متعة لم يرَ مثلها قط قبل ذلك.

وقال لها «ستني» دعينا نتمم ما جئنا من أجله هنا.

فقالت له: عليك أن تذهب إلى بيتك الذي أنت فيه؛ لأني كاهنة، ولست بإنسانة وضيعة، وإذا كان الأمر أنك تبحث عن أن تفعل معي ما ترغب فيه فعليك أن تحرر عقد إعالة (زواج) وأجرًا ماليًّا بالنسبة لكل شيء وكُلِّ متاع تملكه.

فقال لها دعي كاتب المدرسة يحضر، فأُحضِر في الحال، وأمر «ستني» أن يُحرَّر لها عقد إعالة، وصداق نقد عن كل شيء، وعن كل الأمتعة التي يملكها قاطبة.

وفي ساعة ما حدث أنه أُعْلِن أمام «ستني»: «أن أولادك في أسفل.» فقال دعهم يحضرون هنا.

وقامت «تابوبو» وارتدت جلبابًا من الكتان الملكي، وقد رأى من خلاله كل جزء من جسمها، وتأمل! فعندئذ كانت رغبته فيها قد ازدادت أكثر مما كانت عليه من قبل، وقال «ستني»: «دعيني أنفِّذ ما جئت من أجله هنا.» فأجابته: عليك أن تصل إلى بيتك الذي أنت فيه؛ لأني كاهنة ولست بإنسانة وضيعة، وإذا كنت تبحث عن أن تفعل معي ما ترغب فيه فعليك أن تجعل أولادك يصدقون على عقدي (أي عقد زواجي) وبذلك لا تسمح لهم أن يتشاجروا مع أولادي فيما يتعلق بملكك.

فأمر بإحضار أولاده، وأمرهم أن يمضوا في أسفل العقد، وقال لتابوبو: «دعيني أتمم ما جئت من أجله هناك معك.» فقالت له: عليك أن تصل إلى بيتك الذي أنت فيه؛ لأني كاهنة ولست امرأة وضيعة، فإذا كنت تبحث عن أن تفعل معي ما جئت من أجله فعليك أن تأمر بذبح أولادك فلا تسمح لهم في أن يتخاصموا مع أطفالي فيما يتعلق بمتاعك. فقال «ستني» فلْتُنفَّذ فيهم اللعنة التي أتت إلى قلبك.

فأمرت بقتل الأطفال أمامه، وأمرت بأن يُلقى بهم من النافذة إلى الكلاب والقطط فأكلت لحمهم، وكان يسمعها عندما كان يشرب الخمر مع «تابوبو».

ثم قال «ستني» لتابوبو دعينا نتمم ما جئت من أجله هنا فكل شيء قلتيه قد فعلته كله قاطبة.

فقالت «تابوبو» له تعال من حيث أنت إلى هذه الحجرة، وذهب «ستني» إلى حجرة واضطجع على أريكة من العاج والأبنوس، ورغبته مستسلمة ذهبًا (أي ما كان يرغب فيه كان على وشك أن يتمم).

واضطجعت «تابوبو» بجانب «ستني» فوضع يده ليلمسها، ولكنها فغرت فاها بصيحة كبيرة، وتأمل فقد تنبه (؟) وهو في حرارة متَّقدة، وإحْلِيله في … ولم تكن أية ملابس في العالم عليه.

وفي وقت ما حدث أن «ستني» لمح رجلًا شريفًا يركب مِحَفَّة (؟) وكان هناك رجال كثيرون يهرولون عند قدميه، وكان مثل الفرعون، وكان «ستني» على وشك أن ينهض، ولكن لم يكن في مقدوره أن ينهض خزيًا؛ لأنه لم يكن عليه ملابس.

وقال الفرعون يا «ستني» ما الذي تفعله في هذه الصورة التي أنت عليها؟ فقال: إن «ني نفر كا بتاح» هو الذي فعل هذه الأشياء معي جميعًا.

فقال الفرعون: اذهب إلى منف، أما من جهة أطفالك فإنهم يبحثون عنك، إنهم واقفون أمام الفرعون في نظامهم الملائم.

وقال «ستني» أمام الفرعون، يا سيد، العظيم الملك، لَيْتَه يحيا حياة «رع»! بأية حالة يمكنني أن أذهب إلى «منف» وليس على جسدي أية ملابس؟

وعندئذ نادى الفرعون خادمًا كان واقفًا بجواره، وأمره أن يعطي «ستني» ملابس، وقال الفرعون يا «ستني»: اذهب إلى «منف»، إن أطفالك لا يزالون أحياء، وهم واقفون على حسب ترتيبهم اللائق أمام الفرعون.

وأتى «ستني» إلى منف، وضمَّ إلى صدره أطفاله، ووجدهم أحياء.

وقال الفرعون: هل كنتَ ثَمِلًا، وقصَّ عليه «ستني» كل شيء كان قد وقع له مع «تابوبو» ومع «نفر ني كا بتاح» قاطبة، وقال الفرعون لستني لقد فعلتُ لك كل ما أمكنني قبل أن أقول إنهم سيذبحونك إذا لم تأخذ الكتاب إلى المكان الذي أحضرته منه، وحتى هذا الوقت لم تظهر أية مبالاة. دع هذا الكتاب يُؤخَذ إلى حيث «ني نفر كا بتاح» وشوكة وعصًا في يدك، ومبخرة من نار على رأسك.

خرج «ستني» من حضرة الفرعون، وفي يده شوكة وعصًا ومبخرة من نار على رأسه، ونزل في القبر الذي كان فيه «ني نفر كا بتاح» فقالت «أهوري» له: يا «ستني» إن الإله العظيم «بتاح» هو الذي أحضرك سالمًا، ولكن «ني نفر كا بتاح» ضحك قائلًا: «هذا هو الذي قلته لك من قبل.»

وحيَّا «ستني» «ني نفر كا بتاح»، ووجد كأن الشمس كانت في كل القبر.

وقدَّم كل من أهوري، و«ني نفر كا بتاح» غاية التحية إلى «ستني».

وقال «ستني» يا «ني نفر كا بتاح» هل هناك شيء مخزٍ؟ فأجاب «ني نفر كا بتاح»: يا «ستني»، إنك تعلم أن «أهوري» و«مراب» طفلها موجودان في «قفط» وذلك على الرغم من أنهما هنا كذلك في هذا القبر، وذلك بمهارة كاتب حسن، فلْيَقَع على كاهلك أن تقوم بواجب الذهاب إلى قفط، وإحضارهما إلى هنا.

وخرج «ستني» من القبر، وذهب إلى حضرة الفرعون، وقصَّ أمامه كل شيء قاله له «ني نفر كا بتاح» قاطبة.

فقال الفرعون: «يا «ستني»، اذهب إلى «قفط» وأحضر «أهوري» و«مراب» ابنها.»

وقال في حضرة الفرعون: فلْأعطَ قاربَ نزهةِ الفرعون بجهازه، فأُعطَى قارب نزهة الفرعون بجهازه.

وركب على متنه وأقلع، ولم يتوانَ ووصل إلى «قفط»، وقد أعلن ذلك أمام كهنة «إزيس» صاحبة «قفط» والكاهن الأكبر «لإزيس»، ونزلوا لمقابلته وقادوه إلى الشاطئ، وذهب من هناك وسار إلى معبد «إزيس» صاحبة «قفط» و«حربو خراتيس»، وأمر بإحضار ثور وأوزة ونبيذ، وقرَّب قربانًا، وسوائل أمام «إزيس» صاحبة «قفط» و«حربو خراتيس».

وذهب إلى جبَّانة التل في «قفط» مع كهنة «إزيس» والكاهن الأكبر «لإزيس»، وأمضوا ثلاثة أيام وثلاث ليال، وهم يبحثون في كل المقابر التي كانت في جبَّانة جبل «قفط»، مقلِّبين لوحات كتاب بيت الحياة، وقارئين الكتابات التي كانت عليها، ولكنهم لم يجدوا المثوى الذي كان فيه «أهوري» و«مراب» ابنها.

وقد علم «ني نفر كا بتاح» بأنهم لم يجدوا مثوى «أهوري» و«مراب» ابنها. فقام (من الموت) بمثابة رجل مسن، وكاهن طاعن في السن للغاية، وأتى لمقابلة «ستني».

ورآه «ستني»، وقال «ستني» للرجل المسن: إنك في صورة رجل طاعن في السن؛ فهل تعرف المثوى الذي فيه «أهوري» و«مراب» طفلها؟

فقال الرجل المسن «لستني»: إن والد والد والدي قد خَبَّر عنه والد والدي قائلًا: إن مثوى «أهوري» و«مراب» ابنها يقع في الركن الجنوبي من البيت … كاهن (؟).

فقال «ستني» للرجل المسن: من الجائز أنه بسبب الغش أن … كاهن قد خرب، وإذا اتفق أنهم لم يجدوا «أهوري» مع «مراب» ابنها تحت الركن الجنوبي لبيته فلتنزل بي اللعنة.

ووضعوا حرسًا على الرجل المسن، ووجدوا مكان مثوى «أهوري» و«مراب» ابنها تحت الركن الجنوبي للبيت الـ … كاهن، وأمرهم «ستني» بإحضار هذين الفردين العظيمين على سطح قارب نزهة الفرعون، وجعل بيت الـ … كان يُبنَى على حسب ما كان عليه أولًا.

وجعل «ني نفر كا بتاح» يكشف عن حقيقته أنه أتى لقفط؛ ليجعله يجد مكان المثوى الذي كان فيه «أهوري» و«مراب» ابنها.

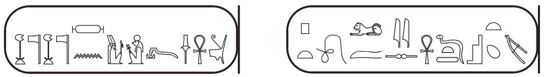
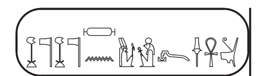
وذهب «ستني» على متن قارب نزهة الفرعون، وانحدر في النهر ولم يتوان، وواصل إلى «منف» مع الناس الذين كانوا معه جميعًا.

وقد أُعلِن الخبر أمام الفرعون، فنزل لمقابلة قارب النزهة الملكي، وأمر بإحضار هؤلاء الناس العظام إلى القبر الذي كان فيه «ني نفر كا بتاح» وأمر بإقامة مبنًى واقٍ عليهم من نوع خاص (؟).

(٥-٢) الخاتمة

هذه الكتابة تامَّة، وتتحدث عن «ستني خعمواس» و«ني نفر كا بتاح» و«أهوري» زوجه و«مراب» طفلها. كُتبت هذه النسخة ... السنة الخامسة عشرة، الشهر الأول من فصل الشتاء (طوبة) ...

بطليموس الرابع (فيلوباتور)

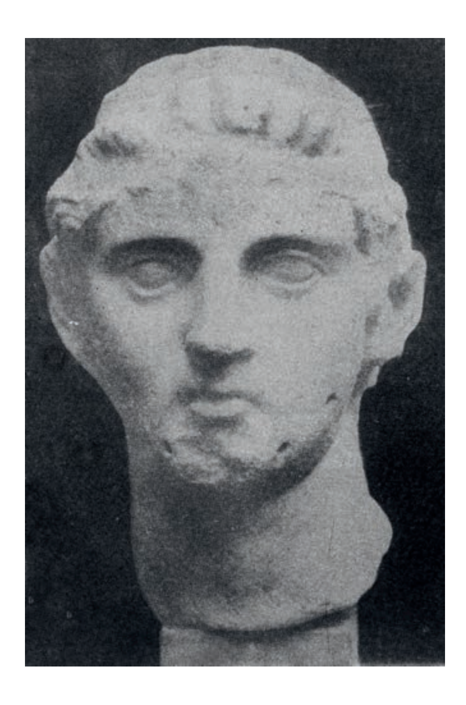
(= وارث الإلهين المحسنين المختار من بتاح، قوية قرين «رع» وقوية حياة آمون) (بطليموس العائش أبديًّا محبوب إزيس).

مقدمة

تحدثنا فيما سبق عن الأحداث الجسام التي وقعت في عهد «بطليموس الثالث» وما قام به من إصلاحات خطيرة في نواحي الحياة المصرية، وبخاصة من الوجهة الدينية، والمباني العظيمة التي أقامها في أنحاء البلاد؛ إرضاء للمصريين، وتنفيذًا للخطة التي رسمها أسلافه من قبل، وهي أن تصبح مصر ضيعة بطلمية في الداخل، ومملكة عظيمة بين الأمم الهيلانستيكية التي كان يتألف منها العالم المتمدين وقتئذٍ.

وتوحي إلينا ظواهر الأمور على أن مصر في عهد «بطليموس الثالث» كانت قد بلغت الذروة من حيث الثروة والجاه والممتلكات، غير أن عوامل الانحدار من القمة نحو الحضيض كانت قد بدأ يدب دبيبها في نواحٍ كثيرة من مرافق الحياة الداخلية، وكذلك بدأت عناصر جديدة تظهر في أفق السياسة المصرية في الخارج كانت تتطلب يدًا حازمة، وعقلًا جبارًا يسير بسفينة البلاد إلى برِّ السلام، ولكن الحظ لم يُسْعِد مصر بذلك الرجل الذي تتجمع فيه هذه الصفات، وتلك المميزات التي كانت في مسيس الحاجة إليها، بل على العكس نجد أن عرش مصر قد اعتلاه بعد «بطليموس الثالث» ابنه «بطليموس الرابع» الذي قاد البلاد إلى الهاوية، وسنرى أنه في نهاية حكمه أخذت مصر تتدهور بسرعة إلى أن وصلت إلى درجة مخزية.

حَكَم «بطليموس» على حسب ما ذكره المؤرخ «سكيت» من ٢١ فبراير عام ٢٢١ إلى ٢٨ نوفمبر عام ٢٠٥ق.م.



شكل ١: بطليموس الرابع فيلوباتور عن تمثال نصفي بمتحف الفنون الجميلة (بوستون).

والمحتمل أن هذا الملك وُلِد بعد تولي والده عرش الملك بسنتين أو ثلاثة، وقد لُقِّب «بطليموس» «فيلوباتور» (محب والده)[1] وهو بكر أولاده وخليفته، غير أنه كان بعيدًا

[1] من البدهي أن الاسم الرسمي الذي كان يحمله الزوجان «بطليموس الرابع» و«أرسنوي الثالثة» هو: الإلهان اللذان يحبان والدهما «فيلوباتور» لم يكن اسم كنية أو لقب لهما، وعلى حسب رأي المؤرخ جتشميد (راجع kI, Schrfiten IV, P. 113.) نجد أن لقب «فيلوباتور» يدل بوجه عام على تولي «بطليموس الرابع» الملك لأن والده كان يحب ذلك. غير أن المؤرخ ستراك (راجع Strak Pp. III Sq) لا يوافق على هذا الرأي، بل يرى أن الأسماء والألقاب لها مدلول شخصي يكون أحيانًا قد سبق تولِّي عرش الملك، والواقع أنه يجب أن نرفض وجود استنباطات تاريخية أو وصفية خاصة بألقاب الملك، فقد دلَّ الفحص على أن ملوك البطالمة كانوا يجمعون الألقاب المتباينة كل التباين، وهذا ما نجده كذلك خارج مصر، فمثلًا نصادف أحد ملوك «لبونت» يسمى ميترادیس «فیلوباتور» و«فیلادلفس» إلخ (راجع B.L,

كل البعد عن أن يرث فضائل والده ومناقبه، وقدرته ونشاطه، وكما قلنا كانت فاتحة حكمه انحطاط المملكة المصرية وانزلاقها نحو هاوية سحيقة بعد أن وصلت إلى درجة من الرفعة والقوة والرخاء على يد أسلافه الثلاثة، وضعتها في القمة بين ممالك العالم الهيلانستيكي.

والواقع أن «بطليموس الرابع» كان بداية سلسلة من ملوك البطالمة المستبدين الذين كانوا يجمعون بين حب الشهوات من النساء والفتيان والقسوة، والأدب، والحرمان من الحس الخلقي. فكان هؤلاء الملوك بذلك يحملون في نفوسهم رذائل مدنية مزخرفة من الخارج بطلاء براق جذاب للنفوس الوضيعة، ولكن في باطنها العذاب والفساد، والواقع أن الغريزة الجنسية كانت طاغية في هذه الأسرة إلى أبعد حدودها حتى أصبحت مضرب الأمثال، وغاية ما يمكن الإنسان أن يقوله في جانب هؤلاء الملوك — إذ التزامنا جانب الحياد — هو أننا لا نعرفهم إلا معرفة ملؤها السوء والخبائث، كما رواها لنا المؤرخون القدامى.

وفي الحق أن ما لدينا من معلومات عن هذا العاهل باستثناء ما رواه المؤرخ «بوليبيوس» ليست معلومات مستقاة من مصادر أصلية، كما أنها في الوقت نفسه ليست خالية من المبالغات التي تزيد الطين بِلَّه، وأكثر ما نُسِب لهؤلاء الملوك الذين مثَّلهم لنا التاريخ بأبشع صور تنطوي على الخلاعة والمجون والفجور والفسق والانحدار الخلقي الذي وصل إلى أسفل سافلين، ولدينا أكبر دليل على ذلك ما قيل عن كليوبترا من قصص خلاعة ومجون ودعارة، ولكن كل ذلك كان من جانب أعدائها، وعندما وُضِعت في ميزان النقد البريء ظهرت بأنها كانت أعفَّ نساء عصرها، ولكن ما الحيلة وليس لدينا عن هؤلاء الملوك البطالمة إلا ما رواه الجانب المعادي على ما يُظَن؟ ومع ذلك فلدينا وَمضات يمكن من خلالها أن نلمح بعض جوانب الحق، وذلك مما نجده دفينًا في بعض فصول الكتب التي دُوِّنت عن هذا العصر.

Hist. I, P. 280, note 2.). هذا ونعلم أن لقب «فيلوباتور — الذي يحمله «بطليموس الرابع» — قد ظهر في النقوش الخاصة به منذ السنة الثانية من حكمه، وتدل شواهد الأحوال على أن ذكر «أرسنوي الثالثة» بوصفها إلهة محبة لوالدها «فيلوباتور» يخوِّل لنا كذلك أن نظن — خلافًا لما هو مشهور — أن هذه الأميرة ابنة «بطليموس الثالث» و«برنيكي» قد تزوجت من أخيها «بطليموس الرابع» على إثر توليه عرش الملك مباشرة (راجع Pap. Demot. Du Musée de Lyde. Publié Par. Kosegarten de Prisen. Letter, Comment Primu, Pl. IX, Brugsch, A.Z. XXII. P. 111).



نقد الملكة أرسنوي الثالثة من الذهب.



نقد بطليموس الرابع من الذهب.



نقد بطليموس الرابع من الذهب.

شكل ٢

الفصل التاسع

العالم الهيلانستيكي في عهد «بطليموس»

شاءت الأقدار أن يتولى عروش العالم الهيلانستيكي في الفترة التي عاش فيها «بطليموس الرابع» ملكان آخران مقدونيان؛ وهما «أنتيوكوس الثالث» الذي اعتلى عرش السليوكيين عام ٢٢٣ق.م وكان في الثامنة عشرة من عمره و«فليب الخامس» الذي تولى ملك «مقدونيا» عام ٢٢٠ق.م وهو في السابعة عشرة من عمره، ومن ثَم نرى أن كلًّا من «أنتيوكوس الثالث» و«فليب الخامس» و«بطليموس الرابع» كان متقاربًا في السن مع زميليه، ومما يلفت النظر أنه في هذه الفترة التي حكم فيها هؤلاء الملوك الثلاثة الذين كانوا يُعدُّون خلفاء على إمبراطورية الإسكندر الأكبر؛ أخذت بوادر قوة روما وبطشها، وحسن سياستها تظهر في عالم البحر الأبيض المتوسط، ولن يخطئنا الصواب إذا قلنا إنه بانتهاء حكم هؤلاء الملوك الثلاثة، كان سلطان روما قد أخذ يُفرَض على هذه الممالك المقدونية الأصل بصورة محسة، وقد كانت الأحوال مهيئة في تلك البلاد؛ لتظهر عليها روما، وتفرض سلطانها، وتبسط نفوذها على شئونها بصفة مباشرة وغير مباشرة.

ولا غرابة في ذلك فقد كان «بطليموس» «فيلوباتور» عندما تولى عرش ملك مصر، وهو في الثانية والعشرين من عمره؛ ذا طبع قلب، مخنَّث الروح والجسم إذا صدَّقنا ما نقله لنا المؤرخون عنه، ولا أدل على ذلك من أنه قد أمضى السبع عشرة سنة التي حكمها تحت سيطرة وزير كان كل همه أن تكون مقاليد الأمور في يده مهما كلفه ذلك؛ ومن ثم كان الضمير والأخلاق والسمعة لا تعني عنده أي شيء، وهذا الوزير هو «سوسيبيوس» الذي صوَّره لنا مؤرخو عصره بأنه آلة عتيقة للأحقاد والدسائس والمؤامرات، ويجب أن يُنسَب لهذا الطاغية الجزء الأعظم من مسئولية الأعمال الفظيعة التي ارتكبها الملك الفتى، وبخاصة الفظائع التي وقعت في بداية حكمه، وقد ذكر لنا المؤرخ «بوليبيوس»

ضحاياه على حسب ترتيبها التاريخي[١] وهم «ليزيماكوس» عمه وأخوه «ماجاس» وأمه «برنيكي» و«كليومنيس» ملك إسبرتا الذي كان لاجئًا في بلاط «بطليموس الثالث» والده، وكان صاحب نفوذ على أتباعه الذين جاءوا معه عند لجوئه إلى مصر، وأخيرًا «أرسنوي الثالثة» التي قُتِلت غدرًا، كما سنرى فيما بعد على يد «سوسيبيوس» و«أجاتو كليز» زميله في الغدر والخيانة وسوء الخلق.

هذا، ولا نعرف في الواقع شيئًا عن أصل «سوسيبيوس» هذا، وكل ما قيل إنه ابن «دبوسكوريد» الإسكندري كما قيل إنه من المحتمل أنه كان ابن «سوسيبيوس» أحد ضباط حرس الملك «بطليموس الثاني».[٢]

ومما لا شك فيه أن «بطليموس الرابع» كان قد بدأ في قطع دابر الذين كانوا يضايقونه أو يشعر بأي حرج من جانبهم، وتلك كانت سياسة اخْتَطَّها «سوسيبيوس» لهذا الملك الغِرِّ؛ فكان أول من فتك به هذا الملك هو عمه «ليزيماكوس» ابن الملك «بطليموس الثاني» و«أرسنوي الأولى»، ثم قضى على حياة أخيه الصغير «ماجاس»، وذلك عندما أحسَّ أنه كان صاحب مكانة عظيمة أكثر مما يجب بين رجال الجيش.

وقد حدثنا «بلوتارخ»[٣] أن «بطليموس الرابع» كان يخشى بأس أخيه، وأخيرًا فتك بأمه «برنيكي» التي قيل عنها إنها كانت ترغب في أن تجعل «ماجاس» يعتلي عرش مصر، وذلك بتحريض الجنود المرتزقين على القيام بثورة على «بطليموس الرابع»، وقد كان من جرَّاء عملها هذا أنه اعتقلها في القصر الملكي تحت حراسة «سوسيبيوس»؛ ويقال إنه دسَّ لها السم أو أمر بسمها، وفي كل جرائم القتل هذه نجد أن «سوسيبيوس» وزير «بطليموس» كان الآلة الرهيبة الحادة لتنفيذ مَأْربه.

وبعد الانتهاء من سلسلة هذه الجرائم البشعة جاء دور «كليومنيس» ملك إسبرتا المنفي في مصر، وكان صاحب نفوذ على الجنود المرتزقين، وكان لا يريد أن ينزل عن هذا النفوذ للوزير «سوسيبيوس» إلا بشروط، ومن ثَم أصبح «كليومنيس» موضع

---

١ Polybius, XV, 25.

٢ Joseph. Ant. XII, 282.

٣ Plut. Cleom. P. 33.

شك ومخاوف، وبخاصة عندما نعلم أن «أنتيجونوس دوسون» قد مات في شتاء عام ٢٢١–٢٢٠ق.م وبموته انتعشت آمال «كليومنيس» في ملك إسبرتا، ومن أجل ذلك طلب إلى ملك مصر أن يجعله على رأس جيش، أو على الأقل يُسمَح له بأن يبحر مع خلصائه ليسترد ملك إسبرتا، وعندما فطن الغادر «سوسيبيوس» للحلم الذي كان يأخذ على «كليومنيس» كل مشاعره أراد أن يستغل هذا الموقف؛ ليتخلص منه، وفي الوقت نفسه يجعله يقوم بدور هام في الاستعداد لتنفيذ الضربة المزدوجة التي كان فيها القضاء على «ماجاس» و«برنيكي» غدرًا.

وبعد أن أغراه «سوسيبيوس» بالآمال البراقة التي كانت تصبو إليها نفسه أسرَّ إليه أنه يظن من المستحسن أن يتخلص من كلٍّ من «ماجاس» و«برنيكي» ومضايقاتهما، غير أنه كان يخشى بأس «برنيكي» الجريئة، وبخاصة من الأجانب والجنود المرتزقين الذين كانوا يميلون إليها ولابنها، وقد أخذ الزهو والغرور يستحوذان على مشاعر «كليومنيس»، وظن أنه بذلك يمكنه أن يصل إلى ما تصبو إليه نفسه، وعلى ذلك فإنه أكَّد له مساعدته، وقد ضمن له ألا تُقْدِم الجنود المرتزقين بأية حركة عصيان، بل على العكس سيساعدونه، وقد زاد يقين «كليومنيس» عندما قال له: إن لدينا هنا حوالي ثلاثة آلاف أجنبي من البلوبونيز وألف من الكريتيين الذين على أثر إشارة منا يكونون في خدمتك ومد المعونة لك.[٤]

هذا ما حدثنا به «بوليبيوس» الذين كان يعطف بصورة ما على «كليومنيس» عدو الآخيين اللدود. أما «بلورتاخ» الذي كان يُطْري «كليومنيس» ويكيل له المديح في ترجمة حياته، فإنه لم ينكر أن بطله كان قد انخدع بأضاليل «سوسيبيوس» ووثِق بإغراءاته التي صادفت هوًى في نفسه، وبخاصة عندما نعلم أن الأخير قد جعله يشترك معه في المجلس السرِّي الذي أوضح له فيه «بطليموس» خطته للقضاء على أخيه «ماجاس»؛ غير أنه يضيف قائلًا: إنه على الرغم من أن كل شيء قد جعل «بطليموس» مرتبطًا بإنجاز هذا العمل الدنيء فإنا نجد «كليومنيس» يتنحَّى عن هذه الجريمة قائلًا إنه يفضل للملك — إذا أمكن — أن يكون له عدة أخوة، وذلك محافظة على سلامة الدولة وثباتها، وقد أشار «سوسيبيوس» الذي كان يتمتع بأكبر نفوذ بين سُمَّار الملك؛ أنه ما دام «ماجاس» على قيد الحياة فلا يمكن الوثوق في إخلاص الجنود المرتزقين.

---

[٤] Polybius V. P. 36.

وعندئذ أجاب «كليومنيس» أنه ليس في الأمر ما يدعو إلى القلق وعدم الثقة، وذلك لأنه يوجد بين رجال الجيش أكثر من ثلاثة آلاف من الأجانب من أهالي «بولوبنيز» المخلصين له، وأنهم عند أول إشارة سيكونون مستعدين للحرب،[٥] ومما سبق نفهم أن رأي كل من «بوليبيوس» و«بلوتارخ» يدل على أن «كليومنيس» كان مستعدًّا لارتكاب الجريمة حبًّا في نيل مأربه؛ وهو العودة لبلاده بجيش لاسترداد ملكه الذي طُرِد منه.

وعلى أية حال نفهم أن «سوسيبيوس» قد انتهز فرصة جرأة «كليومنيس» ليفيد منها في القضاء على «برنيكي» أم «بطليموس الرابع»، غير أنه في الوقت نفسه كان يخشى بأسها وبأس جنوده المرتزقين؛ ولذلك عمل على أن يقصيه من المسرح الذي كان يقوم هو فيه بالدور الرئيسي.

ومن ثَم نلحظ أنه منذ هذه اللحظة نجد «سوسيبيوس» الذي كانت له الكلمة العليا في القرارات الملكية قد أخذ في العمل على مضايقة «كليومنيس»؛ وذلك بمحاولته رفض كل ما يرمي إليه للوصول لتنفيذ غرضه، وفي الوقت نفسه نفهم أن «كليومنيس» لم يكن في مقدوره أن يخفي قلقه وقلة صبره، كما أنه قد أظهر في الوقت نفسه ازدراءه واحتقاره لما كان يدور في البلاط الملكي من مجون وخلاعة ودعارة. غير أن «سوسيبيوس» كان له بالمرصاد؛ إذ نجده يَشِي «بكليومنيس» عند الملك بقوله: إنه يفكر في القيام بثورة في الجيش يوقد نارها الجنود المرتزقة إذا لم يساعده البلاط على إجابة مطالبه، وعلى أثر ذلك أمَر «بطليموس» باعتقاله، وإقامة حرس عليه في بيت عظيم، ولكنه في الوقت نفسه أمر باستمرار صرف معاشه، على أن تؤخذ الاحتياطات حتى لا يفر من معتقله.

غير أن اعتقال «كليومنيس» أثار مرارة في نفسه، ومن ثم نجده قد خرج من معتقله بحيلة لم نجد تفسيرًا لها، ولكن كان في ذلك نهايته، ويقال: إن «كليومنيس» بعد أن أسكر حراسه في يوم كان بلاط الملك يلهو في «كانوب»، خرج مع ثلاثة عشر من رفاقه الذين كانوا معه في المعتقل مسلحين بالخناجر في وضح النهار في شوارع الإسكندرية، وقد خُيِّل إليهم أنهم بعملهم هذا سيُثِيرون باسم الحرية الشعب، ويحرضونه على القيام بفتنة، غير أنهم كشفوا في نهاية الأمر أنهم كانوا واهمين، وفي غفلة من أمرهم؛ إذ قد طافوا أنحاء الإسكندرية ومعهم حاكمها الذي كان معتقلًا معهم، ولكن سكان المدينة قابلوهم بكل فتور وعدم اكتراث.

---

[٥] Plut. Cleom., 33.

والواقع أنه كان من الصعب أن يفهم الإنسان ماذا كان يريد «كليومنيس» الذي انقلب في طرفة عين إلى رجل فوضوي، وقد أراد الخارجون معه أن يستولوا على قلعة المدينة، ويفتحوا أبواب السجون، ويهدموا أسوارها بالمساجين الذين في القلعة، غير أن إشارة الخطر كانت قد أُعطِيَت للحراس، وعندما رأت هذه الفئة القليلة من الخارجين أنهم أصبحوا ولا حول لهم ولا قوة، وأن الموت لا بد ملاقيهم لا محالة فضلوا الانتحار على التسليم والقتل بيد غيرهم، وعلى ذلك كان مصيرهم على حسب المثل العربي المأثور: بيدي لا بيد عمرو، وقد فصَّل المؤرخ «بلوتاخ» القول في هذه المأساة التي انتهت بموت أولاد «كليومنيس» وزوجه الذين نُفِّذ فيهم حكم الإعدام على يد جلاد عام ٢١٩ق.م.[٦]

وبعد هذا الحادث رأى «بطليموس» أنه قد أصبح حرًّا طليقًا، وبذلك يكون في مقدوره أن يقيم الولائم وأحفال الخلاعة والفجور؛ إذ كان يعتقد في قرارة نفسه أنها هي الهدف الوحيد من الحياة الدنيا، ولا غرابة فقد زال من طريقه الشخص الذي كان يخشى بأسه، وأصبح لا يخاف النقد اللاذع، أو لوم الرأي العام الذي كان يرتكن عليه «كليومنيس»، ولا ندهش إذن في أن نرى «بطليموس الرابع» قد انزلق في طريقه الضالة، والواقع أن هناك ملوكًا كانوا بطبيعتهم مفطورين على الخلاعة والفساد، والتمتع بما لديهم من سلطان مستبد، ولكن «بطليموس الرابع» قد فاق في فسوقه وخلاعته ودعارته كلَّ معاصريه، وربما كان سبب ذلك: أنه كان قد تولَّى عرش الملك ودم الفساد والفسوق يدب في عروقه فعلًا، وذلك لأنه كان يضرب بأعراقه في ذلك إلى جده «بطليموس الثاني» الذي كان منغمسًا في اللذات والشهوات حتى اللحظة الأخيرة من حياته، وذلك على الرغم مما عُرِف عنه من نشاط وكفاية في النواحي الاقتصادية، على أننا لا نرى على حسب ما رواه المؤرخون القدامى أنه قد جمع رذائل كل أجداده، بل وزاد فيها بصورة مبالغ فيها، وكذلك لم يبرز في أخلاقه شيء من الميزات العقلية التي أضفت على «بطليموس الثاني» سماتٍ كثيرة من سمات العظمة والجد والمبادرة.

ولا نزاع في أن «بطليموس الرابع» لم ينهج سبيل الدعارة واللهو وحسب، بل كان فضلًا عن ذلك غير مبالٍ بأخلاق الأفراد الذين وضع في أيديهم مقاليد أمور الدولة ما داموا يقدمون له كل سبل الحياة التي تنطوي على الشهوات، وما داموا يعفونه من أعباء الحكم ومتاعبه ولو كلفه — كما رأينا — قتل عمه وأخيه وأمه.

[٦] Niese II. P. 364.

وقد كان هناك — على رأس أصدقائه وسُمَّاره فضلًا عن «سوسيبيوس» — رجل آخر يُدعَى «أجاتوكليس» الذي كان هو وأخته «أجاتوكليا»، إن صح لنا القول، وزير ملذاته وشهواته قبل كل شيء، وعلى أية حال كان هذان الرجلان يقومان بتسيير شئون البلاد الداخلية والخارجية، وقد شاءت الظروف أن الأحوال في البلاد عند تولي «بطليموس» الحكم كانت تسير على ما يرام؛ فقد كان السلام مخيِّمًا على ربوع أرض الكنانة، في حين كانت الحروب الطاحنة تدور رحاها في أنحاء العالم المُتمَدين الذي حوله وقتئذٍ.

فمن ذلك أن ملك مقدونيا الجديد «فليب الخامس» الذي خلَّف مربيه «أنتيجونوس دوسون» عام ٢٢٠ق.م كان منهمكًا في شئون بلاد اليونان؛ ولذلك لم يكن هناك خوف من ناحيته في أن يتدخل في شئون الأرخبيل، أو يهاجم شاطئ تراقيا حيث كانت مصر لا تزال محتفظة بالفتوح التي أحرزها «بطليموس الثالث»، والواقع أن موت «دوسون» قد أرخى العنان لأهالي «أيتوليا»، وبخاصة الدمار الذي كان يحدثه قرصانهم، الذين كان لا يُرجَى إصلاحهم؛ إذ كانوا يعيثون فسادًا في البر والبحر، مما أدَّى إلى إشعال نار حرب أهلية امتد لهيبها مدة ثلاثة أعوام (٢٢٠–٢١٧ق.م) وقد اشتبك فيها من جهة المقدونيون وحِلْف الآخيين، ومن جهة أخرى الأيتوليون، وحلفاؤهم الليسيدمونيون والإيليون.[٧]

وفي هذه الفترة كان «بطليموس الثالث» قد قطع علاقته مع الآخيين ولذلك لم يحْمِهم، ومن جهة أخرى كانت مصر قد فضَّت علاقتها مع اللاسيدمونيين، ومن أجل ذلك لم تهتم بهذه الحروب، يُضاف إلى ذلك أن بلاط الإسكندرية لم يحرِّك ساكنًا عندما استولى الحزبان المتحاربان على جزيرة كريت وجزر «سيكلاد» وقضيا على نفوذ «بطليموس» فيها، ولم يهتم «بطليموس الرابع» بجزر «سيكلاد» التي كانت تحت الحماية المصرية لدرجة أنه لم يعرف إذا كانت لا تزال في حوزته حتى الآن أم لا، وذلك عندما بدأ «ديمتريوس» الفاروسي الذي كان يعد مخاطرًا شريرًا — وكان قد أمضى حياته في بيع خدماته وخيانة رفاقه — يخرب جزر «سيكلاد» في خلال الحروب الأهلية السالفة الذكر (٢٢٠ق.م).

هذا، ونجد أن أهالي «رودس» هم الذين أخذوا في مطاردته؛ لأنهم أخذوا على عاتقهم حراسة الأرخبيل اليوناني، وذلك لصالح سوق تجارتهم، غير أنهم لم يسعوا في مد

---

[٧] Polyb. Book, IV and V, 1–3.

سلطانهم على هذه المحمية المهجورة، وبخاصة لأن «رودس» كانت تحرص على عدم قطع علاقتها مع مصر، هذا فضلًا عن أن أهالي هذه الجزيرة كانوا قد بدءوا في إعلان الحرب باسم حرية التجارة على البيزنطيين الذين كانوا قد أعلنوا جمع ضرائب على السفن الخارجة عن نطاق البحر الأسود ٢٢٠–٢١٩ق.م وقد حافظوا كذلك — لنفس الأسباب — على مراسليهم من أهالي «سينوب» وهم الذين ضايقهم «ميترادیس» الثاني، ومن ثَم أخذ الفريقان المتحاربان في البحث عن حلفاء؛ فتحالف البيزنطيون مع «آتالوس» ملك «برجام»، كما تحالف أهل «رودس» مع عَدوَّيْ «أتالوس» وهما «بروسياس» Prusias ملك بثينيا Bithynia وآخاوس Achaos نائب الملك في آسيا الصغرى وابن عمه. غير أن «آخاوس» قد تدبر الأمر، أو يُحتَمل أنه قد تنحَّى عن خروجه على مليكه؛ فقد كان من جهته هو في حاجة إلى حلفاء، وبعبارة أخرى كان أكثر استعدادًا لتقبل المساعدة من أهالي «رودس» على عدوه «أنتيوكوس»، وقد أخذت حكومة «رودس» على نفسها أن تفاوض بدلًا عنه في الإسكندرية، ومن ثَم نجد أن وزراء «بطليموس الرابع» — طوعًا أو كرهًا — كان من واجبهم أن يصوِّبوا أنظارهم بعض الشيء لما هو جارٍ خارج أرض الكنانة.

الفصل العاشر

الحرب السورية الرابعة

رأينا فيما سبق أن «بطليموس» وبطانة السوء الملتفِّين حوله قد وجَّهوا جهودهم في بادئ أمرهم للقضاء على كل عدوٍّ يقف في وجه سيادتهم في داخل البلاد، وتخليص الملك من كل شائبة أو عقبة تعترض نفوذهم، وكان من حسن حظ مصر في هذه الفترة أن «أنتيوكوس الثالث» الذي كان يتحرق شوقًا إلى استرداد بلاد سوريا التي طالما حارب بيت السليوكيين من أجلها، قد تحولت أنظاره وقتئذٍ إلى جهة أخرى كان الخطر يطلُّ عليه منها؛ وذلك أنه عندما علم «أنتيجونوس» ملك مقدونيا أن «بطليموس الثالث» قد حضره الموت كان غرضه أن يقوم بحملة على شاطئ «ميديا» و«فارس». غير أن موت «بطليموس» وما كان معروفًا عن خَلَفِه من خلاعة ومجون قد فتح أمام «أنتيوكوس» آفاقًا جديدة، وبخاصة عندما نعلم أن هذا العاهل كان يتأثر عن طيب خاطر في هذه الفترة بنصائح وزيره المسن «هرمياس» الكاري المنبت؛ ولا غرابة في ذلك فإن «سليوكوس الثالث» كان قد جعله شبه وصي على عرش الملك أثناء قيام الأخير بالحملة التي لاقى فيها حتفه، وقد عرف كيف يجعل نفوذه يستمر في عهد الملك الجديد.

وقد وصف لنا المؤرخ «بوليبيوس»، شخصية «هرمياس» هذا الذي أصبح الوزير الأول للملك «أنتيوكوس» بعبارة تذكرنا بأخلاق «سوسيبيوس» وزير «بطليموس الرابع»؛ فقد وصفه بأنه حسود سيِّئ الظن قاسٍ معقد وغد إلى أقصى حدٍّ، فضلًا عن أنه كان يجهل فنون الحرب وسياستها، وقد أراد هذا الوزير — كما يقص علينا «بوليبيوس» — أن يجعل الملك في قبضة يده، وأن يشغله بصورة لا تجعل عنده من الوقت ما يمكنه من أن يشرف على ما يقوم به هذا الوزير من حركات وأعمال في خارج البلاد وداخلها؛ فنجد أن هذا الوزير بدلًا من أن يترك سيده يسافر إلى بلاد الشرق للقضاء على الفتن ينصحه بألَّا يحطَّ من كرامة نفسه، ويعرض حياته للخطر باقتفاء الثائرين الذين

خرجوا عليه، وذلك زعمًا منه أن مِثْل هذا العمل من وظيفة قواده، وأن الأجدر به أن يقوم بالحرب بنفسه بالهجوم على مدينة «بطوليمياس» في سوريا الجوفاء حيث يقابل «بطليموس» وجهًا لوجه، وقد زيَّن له «هرمياس» أن هذه الحرب لا خطر فيها، وذلك بسبب خمول «بطليموس الرابع» وتراخيه وانصرافه عن ممتلكاته خارج حدود مصر. غير أن ناصحًا آخر من قواده يُدعَى «أبيجين» شكَّكه في هذا المشروع برأي على النقيض؛ غير أن «هرمياس» حبًّا في تنفيذ مآربه قيل إنه زوَّر خطابًا قدمه للملك قال عنه إنه وصل إليه من «آخاوس» يعده فيه بأنه سيساعده بقوة، وذلك بتزويده بالمال والسفن إذا أراد أن يستولي على تاج هذه البلاد.

وبهذه الحيلة أفلح «هرمياس» الماكر في إثارة «أنتيوكوس» على «بطليموس الرابع» وفي أن يجعل «آخاوس» موضع شكٍّ عند عمه، وعلى ذلك نرى أن «أنتيوكوس» قد أرسل — على حسب رأي «هرمياس» — إلى الشرق جيشًا بقيادة إكزنون Xenon و«تيودوتوس» Theodotos الذي كان يُلقَّب «هرميوليوس» Hermiolios، وأخذ في الاستعداد لغزو «سوريا الجوفاء»، وكانت الفرصة سانحة أمام «أنتيوكوس» لأن أحوال الجيش المصري كانت غاية في التدهور، وسوء النظام، وقلة التدريب، وعلى ذلك لم يتوان «أنتيوكوس» في الهجوم على سوريا إلا فترة قصيرة كان في خلالها يقترن بابنة الملك «ميتراديس الثاني» وهي التي تُدعَى لاؤديس، وقد كان هذا التأخير القليل في الزحف على «سوريا» سببًا في حلول كوارث بقواده مما حفَّزه على الذهاب بنفسه لنجدتهم، ومن أجل ذلك أخذ قيادة الجيش بنفسه عند «أباما» وزحف به على لاؤديسي لبنان في صيف عام ٢٢١ق.م ومن هناك دخل «أنتيوكوس» وادي «مارسيا» أحد روافد نهر العاصي (الأرنت)، وعند مدخل الوادي تصادم جيش «أنتيوكوس» بحِصنَيْ «بروخي» Brochi و«جرها» Gerrha وكان قد احتلهما فعلًا حاكم «سوريا الجوفاء» «تيودوتوس الأيتولي» Etolien، ولما كان «تيودوتوس» محصَّنًا بالخنادق والمتاريس التي كانت تحيط مواقعه، فإنه جعل جنود الأعداء تترقب عبثًا في البِرَك والأوحال التي في هذه الجهة، ولما لم يجد «أنتيوكوس» — في نهاية الأمر — لنفسه منفذًا لاختراق الحصنين رجع أدراجه إلى أنطاكية؛ حيث كانت أخبار النحس قد وصلت إليه من الشرق، وكان الوقت قد أزِف ليأخذ «أنتيوكوس» حذره، وتفسير ذلك: أن القائد الأعلى «أكزنوتاس» قد أهمل في تحركاته لدرجة أنه أُخذ على غرة على شاطئ نهر «دجلة»، وتفرَّق شمل جيشه، في حين أن القائد «مولون» كان مسيطرًا على «سليوس» وزحف إلى قلب «مسوبوتاميا»، وفي تلك الأثناء جمع «أنتيوكوس» كلَّ ما

لديه من جنود، وزحف بسرعة خاطفة لأجل أن يسدَّ الطريق في وجهه في نهاية عام ٢٢١ق.م، ومن ثَم بدأت سلسلة الحملات المظفرة التي هيَّأت له أن يحمل لقب «الملك العظيم» وأن يحفظ اسمه في التاريخ بوصفه الملك «العظيم».[١]

وعلى أية حال كان من حسن حظ «بطليموس الرابع» وبطانته أن «أنتيوكوس الثالث» هذا قد شُغِل عن مهاجمة «سوريا الجوفاء»، وقد انتهز «سوسيبيوس» هذه الفرصة قبل الدخول مع «أنتيوكوس» في حرب فقضى على كل عقبة كانت تعترض سبيل سيده في داخل البلاد، كما ذكرنا من قبل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن مصر قد أصبحت وقتئذٍ في موقف شرعي للدفاع عن سوريا التي حاول «أنتيوكوس» أن يستولي عليها عَنْوَة؛ ومن ثَم أخذ «سوسيبيوس» في حَبْك المؤامرات لتنفيذ خطته، وكانت الطريق أمامه واضحة. هذا، وكان «هرمياس» نصيح «أنتيوكوس» قد تنبَّأ بها دون كبير عناء، وذلك أنه كان في الإمكان أن ينقلب «آخاوس» مناهضًا للملك «أنتيوكوس» ويكون أكثر خطرًا عليه من الشطربين اللذين خرجا عليه في الشرق كما أسلفنا، ولكن مما يُؤسَف له جد الأسف أن المصادر عن هذا البطل المخلص لم تسعفنا بمعلومات شافية عن الدسائس التي كانت تُحاك حوله، والتي انتهت بالتغلب عليه بسبب تردُّده.

والواقع أن «آخاوس» هذا لم يكن رجلًا صاحب مطامع يتلاشى أمامها ضميره؛ فقد رأينا أنه خدم «سليوكوس الثالث» بإخلاص، وانتقم له من قاتله، وبعد انتصاره على أعدائه رفض بإباء أن يتسلم تاج الملك الذي قدمه له أجناده، بل فضَّل أن يحفظه «لأنتيوكوس» الثالث عمه وشقيق الملك المتوفَّى، وعلى أية حال نجده عندما أصبح سيِّد كل آسيا الصغرى، وبعد أن قهر «أتالوس» الذي أصبح محصورًا في إقليم «برجام»، قد أظهر حتى الآن سموًّا في الروح وإباء.

ولكن بعد ذلك نرى أن نشوة الانتصارات التي أحرزها قد أخذت تستولي على مشاعره[٢] وتجعله ينحرف عن مسلكه المثالي الذي نشأ عليه. هذا، ولم يقدم لنا المؤرخ «بوليبيوس» أيَّ سبب آخر عن انحرافه، ولم يحدثنا بأي شيء عن علاقات كانت بين «آخاوس» وحكومة الإسكندرية، وذلك لأنه كان معتقدًا أن الخطاب الذي قدمه «هرمياس»

---

[١] Bevan Antrochus III and The title Great King, Journal of IIellen stud, XXII, (1902). P. 241–244.

[٢] Polyb. IV, 48.

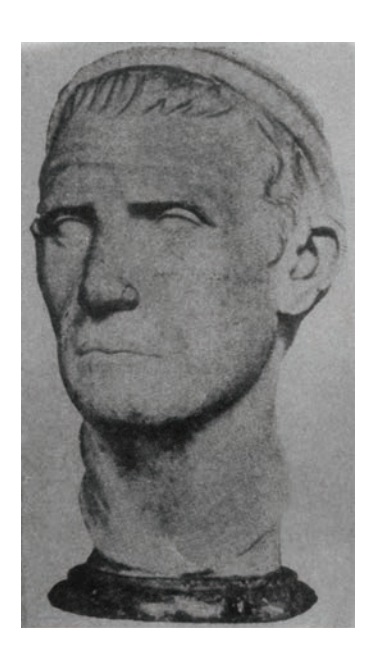
إلى «أنتيوكوس» في العام السابق كان خطابًا مدسوسًا عليه، ومن المحتمل أنه كان في الأمر شيء من الصحة، وبخاصة عند نعلم أن والد «آخاوس» المسمى «أندروماكوس» كان سجينًا في الإسكندرية، وأن الأول كان يريد خلاص والده بكل ما لديه من قوة وسعة حيلة،[٣] ويقول «بوليبيوس» عند تحدُّثه عن المفاوضات التي كان يقوم بها فعلًا بنجاح في هذا الصدد مع حكومة «رودس» بأنها لم تأت بنتائج مرضية، وكان من جرَّاء عدم نجاح هذه المفاوضات الأولى لخلاص «أندروماكوس» أنْ دلَّت الأحوال على أن حكومة «بطليموس الرابع» قد جعلت مقابل ذلك ثمنًا باهظًا، ومن أجل ذلك أبى «آخاوس» أن يشتري خلاص والده بخيانة وطنه، ومهما يكن من أمر فإن «أندروماكوس» كان لا يزال حيًّا في الإسكندرية عندما خضع «آخاوس» لإلحاح ناصحه «جارسيريس» Garsyris واتخذ الخطوة الحاسمة، وكانت الفرصة مواتية، وذلك أن «أنتيوكوس» كان وقتئذٍ في «أتروباتين» Atropatine معرَّضًا لكل أخطار الحرب، وعلى أية حال كان بعيدًا جدًّا حتى يتدخل في الوقت المناسب.

أضف إلى ذلك أنه في «سيرهستيك» Cyrrhistique التي تقع على مسافة قصيرة من «الماكية»؛ كانت قد حدثت ثورة لا ندري سببها، وكانت لا تزال مستمرة مما سهَّل المشروع، ومن ثَم غادر «آخاوس» «سارديس» عاصمته بجيش دون أن يُخْبِر جيشه بالجهة التي يقودهم إليها، وعندما وصل إلى «لاؤديس» الفريجية استولى على تاج الملك وأعلن نفسه ملكًا. غير أن جنوده المرتزقة الذين كانوا — على ما يُحتَمل — لا يرحبون بهذا العمل لو أطلعهم على حقيقة غرضه في بادئ الأمر؛ من أجل ذلك شعروا أنه لم يكن صريحًا معهم في هذه اللعبة التي لعبها، وأخذوا يتألَّبون عليه، وذلك أنهم بعد أن قفَّوا أثره حتى وصل إلى ليكاؤني Laycaonie وعندها أبى الجنود التقدم معه في سيره معلنين أنهم لا يرضون لأنفسهم أن يقوموا بحملة على مليكهم الشرعي الذي أخذوا على أنفسهم المواثيق أن يخلصوا في خدمته، وعندئذ أحسَّ «آخاوس» بحرج موقفه، واحتجَّ بأنه لم يقصد قط أن يقودهم إلى سوريا، وعلى ذلك انقض بجيشه على «بزيديا» Pesidia حيث استولى فيها على غنائم عظيمة لجيشه؛ وبعد ذلك عادت المياة إلى مجاريها مع جنوده،[٤] وسواء أكان «آخاوس» مخلصًا في الحركات التي قام بها أم لا، فإن شك جنوده المرتزقة

[٣] .Polyb. IV, 51

[٤] .Polyb., V, 57

كان علامة جديدة يجدر ملاحظتها؛ لأننا سنراها تُكرَّر على الأقل مرتين أخريين في نفس هذا العام، وكان ذلك سببًا في الإسراع بهزيمة القائد «مولون» كما يقول المؤرخ «بوشيه لكلرك».[5]



شكل ١٠-١: أنتيوكوس الثالث.

عاد بعد ذلك «آخاوس» إلى «سارديس» مقر حكمه بعد خيبته؛ ليرفِّه عن نفسه بعض الشيء، ولكن لسوء الحظ وجد نفسه أمام مشاكل مختلفة، ومسائل معقدة لا بدَّ من العمل على حلِّها؛ فمن ذلك أن أهالي جزيرة «رودس» قد أعلنوا الحرب على البيزنطيين كما أشرنا إلى ذلك من قبل، وكان على كلٍّ من المتحاربين أن يسعى إلى عقد محالفة مع «آخاوس» وقد وعد من جهته في بادئ الأمر بمساعدة البيزنطيين، ولكن نجده بعد

[5] B.L.I. P. 299.

ذلك قد استسلم لإلحاح أهل «رودس» ولجاجاتهم، وقَبِل مدَّ يد العون لهم، وبخاصة أنهم كانوا على صفاء تام مع مصر، وأخذوا على أنفسهم أن يفاوضوا من جديد حكومة «بطليموس الرابع» في فك أسر والده «أندروماكوس». غير أن «بطليموس» عندما وصل إليه سفراء «رودس» أراد أن يحتفظ «بأندروماكوس» وكان أمله من وراء ذلك أن يستعمله في تنفيذ أغراضه عندما تحين الفرصة، ويرجع السبب في ذلك من جهة إلى أن موقفه من «أنتيوكوس» كان لا يزال غير مستقر؛ ومن جهة أخرى إلى أن «آخاوس» بعد أن أعلن نفسه ملكًا قد تصرف في أشياء محدودة لا بد أن يُنظَر إليها بعين الاعتبار، وتفسير ذلك أن «سوسيبيوس» قد حسب حسابه في أنه لما كان «آخاوس» قد أعلن فعلًا خروجه على «أنتيوكوس» فليس لديه سبب لشراء إجابته ليكون في صفه؛ لأن والده «أندروماكوس» يمكن أن يُستخَدم في جعل ابنه «آخاوس» يقوم له بخدمات آخرى.

غير أن أهل «رودس» الذين كانوا في حاجة ماسة لمساعدة «آخاوس» ألحو في طلبهم على «بطليموس» الذي كان يريد أن ينزل لهم عن كل طلباتهم، فقبل في نهاية الأمر بتسليم «أندروماكوس» ليعود لابنه،[٦] وعلى أية حال نفهم مما أورده المؤرخ «بوليبيوس» في هذا الصدد أن «بطليموس الرابع» قد تجنَّب وقتئذٍ عقد معاهدة مع «آخاوس» يكون له فيها فائدة، لدرجة أنه لم يقبل أن يعده صديقًا له، وعلى أية حال كان يعتبر «آخاوس» مساعد بلاط الإسكندرية، والواقع أن رجال السياسة في الإسكندرية كان من فائدتهم أن يظلوا في موقف بين بين أو بعبارة أدق في موقف مذبذب يسمح لهم فيما بعد أن ينحازوا إلى الجانب الأقوى، أو إلى الجانب الذي يقوم لهم بأفضل معاونة.

[٦] Polyb., V, 51.

الفصل الحادي عشر

انتصارات «أنتيوكوس» في بادئ الأمر على الثوار في ممتلكاته النائية

نعود بعد ذلك إلى ما ناله «أنتيوكوس» من انتصارات على الثائرين في ممتلكاته، فنجد أنه نال لمدة قصيرة عدة انتصارات باهرة أفسدت على عدوه كل حسابه، فمن ذلك أنه هجم على «مولون» وكسر شوكته في أول نزال دار بينهما، ولما رأى «مولون» الثائر أنه يواجه الملك الشرعي خارت قواه وشعر بأنه لا محالة مَقضِيٌّ عليه،[1] ومن أجل ذلك أخذ يتقهقر، غير أن «أنتيوكوس» لحق به على نهر دجلة، وأرغمه على خوض المعركة، ولم يدم القتال طويلًا؛ إذ وجد الثائر أن بعض جنوده قد انضمت إلى جيش «أنتيوكوس» كما فر بعضهم الآخر.

لهذا فقد انتحر «مولون» خوفًا من أن يقع في الأسر، وقد قفَّى أثره في ذلك معظم شركائه، ومن جهة أخرى فرَّ «نيولاوس» Neolaos أخ «مولون» على جناح السرعة إلى فارس حيث التقى بأخيه الآخر المسمى «إسكندر» وما لبث أن قتل «نيولاوس» والدته وأطفال «مولون» وبعد ذلك قضى على حياته بيده.

وعندما رأى «إسكندر» ذلك استولى عليه الهلع، وقضى نحبه بيده أيضًا، وذلك في ربيع عام ٢٢٠ق.م وقد صلب «أنتيوكوس» جثة «مولون» عند مدخل مضيق جبال «زاجروس» Zagros لتكون عبرة للخارجين على الملك، وأخذ بعد ذلك «أنتيوكوس» في الهجوم ثانية على بلدة «أترو باتين» التي كانت تحت سلطان «أرتابازان» وهو الذي كان قد تآمر على جاره شطربة «ميديا» وعلى مليكه «أنتيوكوس» وعندئذٍ استولى الفزع على

---

[1] Polyb., V, 52, 9.

«أرتابازان» الذي كان طاعنًا في السن، وعقد مع الملك صلحًا بالشروط التي ارتضاها «أنتيوكوس»، والظاهر أن الأخير قد قنع بأن يكون صاحب السيادة رسميًّا وحسب وأن تُدفَع له جزية زهيدة.

عودة «أنتيوكوس» من الشرق

عاد «أنتيوكوس» بعد هذه الانتصارات من الشرق حاملًا لواء الفخار عام ٢٢٠ق.م وفي خلال سَيْره، وهو في طريقه إلى أنطاكية، طَعَن «هرمياس» الكاري الذي كان يعده «أنتيوكوس» حملًا ثقيلًا على عاتقه، وذلك على الرغم من أنه كان مربيه، وقد قيل إن الملك هو الذي حرَّض على قتله ليتخلص منه.[٢]

ويقول «بوليبيوس»: إن الملك بَشِر بقتل وزيره، هذا ويقص علينا كذلك أن الملك قد أخبر بقتل زوج «هرمياس» وأطفاله في «أباما» بأيدي نساء المدينة وأطفالها.

موقف أنتيوكوس في سوريا

أما موقف «أنتيوكوس» في سوريا أثناء غيابه في الشرق فكان موقفًا فريدًا في بابه حقًّا؛ وذلك أنه عندما عاد وجد أن آسيا الصغرى لم تكن خاضعة له؛ إذ كان وقتئذٍ في يدي «آخاوس» الذي كان قد خرج عليه، ولكنه من المحتمل أن الأخير كان قد أسف فعلًا على خروجه هذا، وبخاصة عندما نعلم أنه كان صاحب سلطان هناك، ولم يكن هناك ما يدعو لهذا الخروج، يضاف إلى ذلك أنه على ما يظهر لم يكن في مقدوره أن يبادر «أنتيوكوس» بالهجوم وبخاصة أن «أتالوس» صاحب «برجام» كان له بالمرصاد من خلفه، إذا لم تشد مصر أزره وتأخذ بناصره، ومن جهة أخرى يُلحَظ أن مصر كانت تتخذ ظاهرًا موقف الحياد وإن كانت في الواقع شريكة في الجُرْم مع «آخاوس»، وعسكرت بجيشها عند «سليوسي»، وبذلك أصبح في مقدور جيشها أن يأخذ «أنتيوكوس» على غِرَّة إن هو ابتعد عن عاصمة ملكه ليقوم بحملة على آسيا الصغرى، وكان الأسلم «لأنتيوكوس» كي يضرب «آخاوس» أو يجعله يعتذر اعتذارًا شريفًا عن جرمه هو المبادرة بقهر هذا العدو المقنَّع الذي كان يتحين الفرصة، والذي كان يعتقد أنه يمكنه أن يختار ساعة هجومه.

---

[٢] Polyb. V, 56.

وقد وطد «أنتيوكوس» العزم على مهاجمة «سوريا الجوفاء» وأن يقضي على عدوه في «سليوسي» فجمع في ربيع عام ٢١٩ق.م جنوده في «أباما» وأرسل طليعة بقيادة القائد «تيودوتوس هميولوس» Theodots Hemioleos واحتل المضايق التي كانت تؤدي إلى «سوريا الجوفاء»، وبعد ذلك نجده على حين غفلة بدلًا من أن يُشاهَد سائرًا في نفس الجهة التي كان ينتظر أن يتبعها، نجده قد تحول مع الجزء الأعظم من جيشه متجهًا نحو «سليوسي» التي كانت وقتئذٍ محاطة برًّا وبحرًا، ومن ثَم اتخذ تدابير تنطوي على مهارة أدت إلى اختصار المقاومة؛ فبعد أن قام «أنتيوكوس» بهجوم أدَّى إلى إشاعة الجبن في نفوس أولئك الذين لم يمكن شراؤهم بالمال؛ رأى القائد الأكبر «ليونتيوس» Leontios أنه محاط بخونة، ومن أجل ذلك أسرع بوضع سلاحه، وبهذا انتهى الاحتلال المصري لمدينة «سليوسي»، وهذا يذكرنا بهزيمة السليوكيين منذ عشرين عامًا وحصارهم في عاصمتهم، وبعد هذا الفتح كان في مقدور «أنتيوكوس» أن يبتدئ — بثقة أكثر من ذي قبل — الحملة التي كان مضطرًا أن يتخلَّى عنها في عام ٢٢١ق.م وكانت فرص نجاحه من هذه الناحية تفوق آماله، ومن الغريب أنه جهل أو تجاهل أنه كان له فعلًا حليف في «سوريا الجوفاء» لا يمكن الاعتماد عليه بل كان يعد خائنًا، وليس هناك حاجة لشرائه بالمال، ولأنه كان مستعدًا لتقديم خدماته لينتقم لنفسه وحسب عما أصابه من أضرار، وهذا الحليف هو مناهضه في حمله عام ٢٢١ق.م المسمى «تيودوتوس» الأيتولي، ولا يخفي أن رئيس الجنود المرتزقة الجامح هذا؛ كان قد اعتقد أنه سينال بعض الحقوق باعتراف «بطليموس الرابع» له بالجميل، ولكنه لما رأى أنه لم يُقابَل منه إلا بعدم الاكتراث ونكران الجميل، أخذ يتحدث عن خدماته بصوت عالٍ بعض الشيء؛ فكان ذلك إيذانًا لعدِّه بين المشكوك في إخلاصهم، ومن ثَم عُدَّ بين الأفراد الخطرين، وهم الذين تعوَّد «سوسيبيوس» أن يتخلَّص منهم بالقتل؛ غير أن «تيودوتوس» نجا من الكمين الذي نُصِب له؛ ومن ثَم فَهِم من أين صُوِّبت له الضربة، وعلم أنه لا عيش له في القطر المصري، ولا بد من مغادرته هذه البلاد، ومن المحتمل أنه كان يعرف القرار الذي اتُّخذ لتعيين خلفه «نيكولاس الأيتولي» الذي كان في طريقه ليحل محله، وذلك عندما عزم على دعوة «أنتيوكوس» إلى «سوريا الجوفاء» … وعلى ذلك استولى على «بطالمايس» وجعل صديقه «باناتولوس» Panaetolos يستولي على صور، وكتب إلى «أنتيوكوس» الذي كان لا يزال في «سليوسي» أن يسرع بكل ما لديه من قوة؛ واعدًا أن يسلمه المدينتين اللتين يمكن أن يُعدَّا مفتاحي «فينيقيا» و«سوريا الجوفاء».

وعندما وصلت «أنتيوكوس» هذه الرسالة التي لا يُحتَمل تصديقها تردد لحظة ليتأكد من حقيقة الأمر، وعما إذا كانت هذه الرسالة تخفي وراءها فخًّا نُصِب له؛ غير أنه لم يكن بالرجل الذي يتردد طويلًا، وعلى ذلك اتخذ أقصر طريق، وسار بأقصى سرعة مخترقًا وادي «مارسياس»، غير أن «تيودوتوس هميوليوس» لم يكن في مقدوره دون أي شك تمهيد الطريق، ومن أجل ذلك نجد أن الجيش السوري قد تصادم كذلك مع حصني «بروخي» و«جرها» وهما اللذان وقفًا في طريقه منذ عامين مضيا، ولم يتمكن من اختراقهما، ولكنه في هذه المرة تغلَّب المهاجمون على حصن «جرها» واقتحموه، أما حصن «بروخي» فقد قاوم العدو؛ ولذلك فإن «أنتيوكوس» خوفًا من ضياع الوقت ترك معظم الجيش أمام «بروخي» وأسرع بجنوده المسلحين بأسلحة خفيفة لنجدة «تيودوتوس» الأيتولي الذي كان محاصرًا في «بطاليمايس» بجيش يقوده «نيكولاوس»، ولم ينتظر هذا القائد الملك، بل حاول بطريقة قطع طريق التقهقر، غير أن «أنتيوكوس» فهم الفخ الذي نُصِب له، وعندئذ عاد أدراجه دون أن يدخل «بطاليمايس» زاحفًا بجيشه ودَاهَم في ممرِّ «بريت» Bryet الضباط «نيكولاوس» و«لاجوراس» Lagoras والأيتولي و«دروي مين» Droymene ثم انضم إلى جيشه الذي كان في هذا الوقت قد استولى على حصن «بروخي».[٣]

وبعد ذلك زحف «أنتيوكوس» على رأس جيشه على طول الشاطئ، وقد استقبله «باناتولوس» في «صور» كما استقبله «تيودوتوس» في «بطاليمايس» وقد وجد في دار صناعة كل من هذين الثغرين مواد كثيرة، وبوجه خاص أربعين سفينة منها عشرون مسلحة، وسطحها عالٍ يحتوي كل منها على أربعة صفوف على الأقل من المجدفين،[٤] وكان من نتائج هذا النصر السريع أن انتشر الذعر في الإسكندرية والظاهر أن «سوسيبيوس» لم يكن ينتظر شيئًا من ذلك، أو على الأقل لم يكن قد اتَّخذ أي استعداد لملاقاة العدو، زعمًا منه أن «مولون» و«آخاوس» كانا كافيين لشغل «أنتيوكوس» ومناوشته، وقد حسب أنه باستثناء خيانة «تيودوتوس» الأيتولي أنه سيكون من دواعي فخره أنه سيجعله يختفي في الوقت المناسب. والآن نرى أن السليوكي «أنتيوكوس» بعد أن أصبح السيد المسيطر على أكبر ثغور ساحليَّة في سوريا وفلسطين، ويقود جيشًا عظيمًا محاربًا، ولواء

[٣] Polyb. V, 61, 3.

[٤] Polyb. V, 62.

النصر معقود على جبينه، أخذ يزحف على ما يُظَن لغزو مصر نفسها قبل أن يتخذ المصريون العدة لحماية حدودها.

وعندما سمع «بطليموس» بزحف جيش العدو على بلاده أخذ يفيق من خموله، ودعته وسكره، في حين بدأ «سوسيبيوس» ومعه «أجاتوكليس» سمير الملك يظهران بعض النشاط الضعيف فوضعا كلَّ ما لديهم من قوة حربية عند بلوز (الفرما) وصدرت الأوامر بفتح الترع في هذا الإقليم لمياه النيل، وملأ الآبار بالماء العذب؛ لتكون بمثابة خط دفاع أمام العدو، وفي الوقت نفسه نُقِل مقر الحكم من «الإسكندرية» إلى «منف» التي كانت — في حالة غزو البلاد بطريق البر — أكثر تهديدًا من «الإسكندرية»، وكذلك كان زحف العدو واقترابه منها قد يؤدي لقيام ثورة تهدد سلطان البطالمة.

والواقع أن هذه الاستعدادات الأولية كانت كافية لإلقاء الرعب والفزع في نفس «أنتيوكوس» الذي كان يفكر في الانكسارات المريعة التي أصابت فيما مضى «برد يكاس» ومن بعده «أنتيجونوس» الأعور في أحوال أكثر ملائمة، وقد فصلنا القول في ذلك في الجزء السابق من هذه الموسوعة؛ ولذلك فإنه رأى من الحزم أن يؤمِّن أولًا ممتلكاته في «سوريا الجوفاء» التي كان قد دخلها دون أن يمشق الحسام، لا سيما أنه لم يخرج منها حتى الآن القائد المصري «نيكولاوس»؛ فقد أمضى زمنًا في حصار «دورا» وهي حصن صغير كنعاني كان قد احتمى فيه «نيكولاوس»، ولم يمكنه الاستيلاء عليه، يُضاف إلى ذلك أنه كان قلقًا من حركات «آخاوس»؛ ولذلك فإنه لما رأى فصل الشتاء قد حلَّ، أصغى إلى اقتراحاتٍ قُدِّمت له في هذا الوقت المناسب من جانب مبعوثَيْن أوفدهما «بطليموس الرابع» للمفاوضة، وانتهى الأمر بعقد هدنة مع عاهل مصر لمدة أربعة أشهر كان «أنتيوكوس» على حسب تصوره يظن أنها ستكون مقدمة لعقد صلح نهائي.

حمل السفيران المصريان إلى «منف» مقر الملك وقتئذٍ التأكيداتِ بأن «أنتيوكوس» قد وافق على مجموع النقاط المتنازع عليها، كما وافق على كل العروض المعقولة، وإن ملك مصر كان على استعداد لفتح باب المفاوضات في «سليوس» الواقعة على نهر الأرنت، وكان «أنتيوكوس» قد ذهب ليقضي فصل الشتاء تاركًا حاميات في «سوريا الجوفاء» كما كلف «تيودوتوس» الأيتولي العناية بكل الشئون.[٥]

٥ Polyb., V, 66.

ومما تجدر ملاحظته هنا الموقف الذي اتخذه «آخاوس» في عام ٢١٩ق.م؛ فقد قال «بولبيبوس» فقط أن «أنتيوكوس» أراد أن يُمضِي فصل الشتاء في «سليوسي»، لأن «آخاوس» كان يتآمر بطبيعة الحال عليه، وساعد جهارًا «بطليموس الرابع» غير أن مساعدته كانت محصورة في تبادل الآراء والمشاريع.

«أنتيوكوس» يغزو المواقع التي في أيدي المصريين في سوريا وفلسطين حتى رفح

الواقع أن وزراء «بطليموس الرابع» وبطانته لم يكونوا مخلصين فيما عرضوه على «أنتيوكوس الثالث» الذي أوقع نفسه عن طيب خاطر — أو بعبارة أدق على غفلة منه — في الفخِّ الذي نُصِب له، وذلك أن وزراء «بطليموس» قد عملوا بقدر المستطاع على إصلاح الأخطاء التي ارتكبوها في الماضي ظنًّا منهم أن الأحوال في الخارج تجري على حسب ما يريدون؛ وتفسير ذلك أنهم عندما أُخِذوا على غِرَّة بتتابع الحوادث المفجعة التي حاقت بمصر وممتلكاتها وبخاصة في سوريا، أرادوا قبل كل شيء أن يكسبوا بعض الوقت لإصلاح أخطائهم، وقد توصلوا إلى ذلك بأن فتحوا باب المفاوضات السياسية مع خصمهم والإطالة في أجلها إلى أن تكْمُل تجهيزاتهم الحربية، وبعد ذلك يكونون على استعداد لأن يقْلِبوا «لأنتيوكوس» ظهر المِجَنِّ، ويعلنون عليه الحرب، والواقع أنهم خدَّروا أعصاب «أنتيوكوس» ووقع فعلًا في حبائلهم.

ففي أثناء ما كان رجال السياسة من الطرفين يتبادلون المذكرات بين «سليوسي» و«منف» كانت الإسكندرية قد أصبحت معسكرًا مترامي الأطراف حيث كان الضباط المدربين على فنون الحرب يقومون بتدريب الجنود المرتزقين الذين انخرطوا في سلك الجيش المصري من كل حَدَب وصَوْب من البلاد المجاورة، هذا وقد ذكر لنا المؤرخ «بوليبيوس»[٦] عند تناوله حوادث هذه الحرب؛ أسماء رؤساء الجنود المرتزقين الذين كانت لهم شهرة واسعة في هذه الفترة في العالم الإغريقي.

وأهم ما يلفت النظر في تكوين هذا الجيش الذي أعده «بطليموس الرابع» لمحاربة «أنتيوكوس» هو أنه كان يحتوي على حوالي عشرين ألف مقاتل من الجنود المصريين

---

[٦] Polyb., V, 63, 5; B.L.I. P. 305.

القُحِّ، وقد قُدِّر عدد هذا الجيش كله بحوالي خمسة وسبعين ألف مقاتل تجمَّعوا كلهم في صعيد «الإسكندرية» وهؤلاء الجنود نظموا فرقًا بعضها من المشاة يحاربون بالحِراب بقيادة «سوسيبيوس» نفسه، يضاف إلى ذلك ستة آلاف مقاتل من الجنود اللوبيين انقسموا قسمين أحدهما من المشاة، والآخر من جنود الفرسان، وعلى أغلب الظن كانت هذه هي المرة الأولى التي سمح فيها ملوك البطالمة بوضع السلاح في أيدي مواطنين من أصل مصري، وتدريبهم على حسب النظم الحربية الإغريقية المقدونية، والواقع أن «بطليموس الرابع» ورجال حاشيته الذين كانوا يديرون مقاليد الأمور قد اضطُروا إلى ذلك اضطرارًا ملحًّا، على الرغم من أنه — على ما قيل — لم تحدث تجربة مثل هذه في تنظيم الجيش البطلمي وإعداده، وذلك لأن البطالمة كانوا يخشون المصريين بوجه عام، ولا يرغبون في أن يجازفوا بتجنيدهم في الجيش العامل بوجه خاص.

وعلى أية حال انقضى شتاء عام ٢١٩–٢١٨ق.م في مفاوضات لم تُسْفِر عن أية نتيجة كما توقع «سوسيبيوس»؛ فقد أرسل الأخير وهو في «منف» في صحبة «بطليموس» إلى «سليوسي» سفراء للمفاوضة، مُخْفِين عن «أنتيوكوس» كل التجهيزات والاستعدادات الحربية التي كانت قائمة على قدم وساق في الإسكندرية، وفي خلال هذه المفاوضات قدم المصريون اعتراضات اقتُبست من المعاهدة السابقة التي وقعت في عام ٣٠٢ق.م بين الملوك الذين تحالفوا على «أنتيجونوس» وهي التي أعلن فيها المتفاوضون السوريون أنها قد أُلغيَت بمقتضى القسمة النهائية التي أُبرِمت بين المتحالفين نهائيًّا.[٧] غير أن «بطليموس الأول سوتر» لم يقبل هذه القسمة التي لم تسلِّم له بحق الاستيلاء على «سوريا الجوفاء» التي كان قد وُعِد بها في المعاهدة الأولى، وعلى هذا الأساس نجد أن المناقشة التي دارت حول هذه النقطة لم تسفر عن أي تقدم في حَسْم الخلاف، وفي نهاية الأمر عندما استعدَّ المصريون للحرب، وأرد «بطليموس» أن يوقف المفاوضات؛ معلنًا أنه لا بد من أن المعاهدة التي تُبرَم بينه وبين «أنتيوكوس» تشمل موادها ما يرضي حليفه «آخاوس» وعندئذ ثار «أنتيوكوس» وأبى كلَّ الإباء أن يَدخُل عاصٍ بل وخارجٌ عليه في شروط المعاهدة، ومن ثَم قطع حبل المفاوضات.

والواقع أن خيبة أمله كانت كبيرة؛ وذلك لأنه كان يأمل حتى آخر لحظة أن تصبح «سوريا الجوفاء» وبلاد فينيقيا جميعًا ملكًا له، وأن مستشاري «بطليموس الرابع» لن

---

[٧] راجع مصر القديمة الجزء ١٤.

يجسروا على منازعته في قطعة من تلك البلاد؛ وذلك لأن هذا كان سيجرهم إلى أخطار مهلكة، يضاف إلى ذلك أن «أنتيوكوس» — اتكالًا على تخيلاته هذه — أهمل تدريب جنوده حتى يكونوا على أهبة الاستعداد لخوض غمار الحرب، ومع ذلك فإن الإحوال قد اضطرته إلى خوض نار حرب قد يخسر فيها كل ما أحرزه في حملته المظفرة السالفة.

وعلى أية حال لم يتوان «أنتيوكوس» في أن ساق جيشه لمقابلة العدو من جديد مخترقًا بلاد «سوريا الجوفاء» وقد حاذى في سيره هذه المرة الساحل الفنيقي، وكان أسطوله يمخر عباب البحر في إثره بقيادة «ديوجنيتوس» Diognetos، وقد قدم له أهل «رودس» عن طيب خاطر محالفتهم، كما انضم له — عند «داموراس» Damouras الواقعة على الساحل بين بيروت و«صيدا» — القائد «تيودوتوس» وبعد ذلك بقليل تصادم مع مقدمة جيش «نيكولاوس» الذي كان يحتل وديان «بالاتانوس».

أما المصريون فقد أفادوا من تباطئ المفاوضات؛ إذ في خلال ذلك كانوا قد كدَّسوا المؤن والذخائر عند غزة، وكذلك كانت الإمدادات قد وصلت إلى «نيوكولاوس»، كما أُرسِل إليه أسطول مؤلف من ثلاثين سفينة من ذوات الأسطح. هذا فضلًا عن أربعمائة سفينة حمل بقيادة أمير البحر «بريجين» Perigene، وعلى ذلك كان الجيشان والأسطولان على استعداد لخوض المعركة.

وقد بدأ «أنتيوكوس» بالهجوم وانقض بجيشه، وكان مقسمًا ثلاث فرق لملاقاة «نيكولاوس» في حين أن الأسطولين تقدما لخوض معركة بحرية أيضًا، وقد أسفرت المعركة عن نصر السوريين، وعلى ذلك ولَّى «نيكولاوس» الأدبار مع جنوده مشتَّتين إلى «صيدا»؛ حيث انضم إليه في الحال «بريجين»، وأخذت صيدا دون إبطاء في تحصين نفسها غير أن السوريين لم يروا أنه من الحكمة محاصرته، فأبحر «ديوجنتيوس» إلى صور في حين كان «أنتيوكوس» يبتعد عن الشاطئ، ودخل بجيشه في إقليم الجليلي الخصب، ولم يلبث أن سلَّمتْ «فيلوترا» Philotra الواقعة على الشاطئ الغربي لبحيرة جنيزاريت، ثم استولى على «سيتوبوليس» Scythopolis التي تقع على مسافة من «فيلوترا» وأخيرًا استولى على «أتابيريون» Atabyerion المحصنة بهجومه عليها، وبذلك وجد «أنتيوكوس» أنه أصبح صاحب السلطان على كل الجزء الشمالي من فلسطين، ثم عبر بعد ذلك نهر «الأردن» وغزا بيري Perie، وقضى على الحاميتين المصريتين في «أبيلا» و«جادارا» وبعد ذلك استولى على «فيلادلفيا» (رابات-آمون) بعد حصار مضنٍ، وبعد أن ساعده العرب الذين كانوا يقطنون في الجهات المجاورة.

وهذه الانتصارات السريعة المتتالية قد أسفرت عن انشقاق في صفوف الجنود المرتزقين، بل وبين الموظفين المصريين، ولا أدلَّ على ذلك من أنه بعد الاستيلاء على حصن «أتابيريون» انضم أحد رجال «بطليموس» الذي يُدعَى «سيراس» Ceraeas إلى جانب «أنتيوكوس»، ثم حذا حَذْوَه أحد القواد الحربيين ويُدعَى «هيبولوكوس» Hippolochos التسالي، وقاد معه للمعسكر السوري فرسانه الذين كان يبلغ عددهم أربعمائة فارس.[٨]

ولما دخل فصل الشتاء رأى «أنتيوكوس» أن ينهي حملته، ولكن ضمانًا للمحافظة على فتوحه وضع حامية عند غزة؛ وفي مدينة «رابات-آمون» كان يعسكر القائد «نيكاركوس» بقوة كبيرة، وفي الشمال وضع تحت قيادة كل من «هيبولوكوس» و«سيراس» خمسة آلاف من جنود «سماريا». أما «أنتيوكوس» نفسه فإنه ذهب بعد ذلك ليقيم معسكرات الشتاء في «بطوليمايس».[٩]

وفي خلال هذه الانتصارات لم نسمع شيئًا عن الجانب المصري؛ وكانت كل الأحداث تدل على أن «سوريا الجوفاء» قد فُقِدت من مصر دون شك، وعندما أخذ «سوسيبيوس» يُظهِر بعض النشاط، كان ذلك بعد فوات الوقت؛ إذ لم يكن في مقدوره أن يرسل قوات كافية لملاقاة العدو، هذا إلى أنه لم يجعل حليفه «آخاوس» يقرر مساعدته بصورة جدية؛ وذلك لأن الأخير كان دائمًا مترددًا مما جعله يبقى مع جنوده في «بيزيديا»، في حين كان «آتالوس» ملك برجام يستولي على المدينة تلو المدينة على الساحل الأيوني، ولكن الاستيلاء على «سوريا الجوفاء»، كان له فائدة حيوية مُحسَّة، ومن أجل ذلك نجد أن الحملتين الطاحنتين اللتين شنَّهما «أنتيوكوس» لم يثبِّطا من عزيمة «سوسيبيوس» التي لا تعرف الكلل، والواقع أنه لم يخطر بباله أن يسلِّم للعدو على طول الخط ويخضع له، بل كان في نهاية الأمر مستعدًّا ليجرب حظه بآخر ما لديه من قوة وعتاد؛ ليسترد «سوريا الجوفاء» إلى أملاك مصر.

[٨] Polyb. V, 68–71.

[٩] Polyb., V, 71.

الفصل الثاني عشر

موقعة رفح

وفي ربيع عام ٢١٧ق.م أخذ «بطليموس الرابع» القيادة في يده، وزحف من الإسكندرية على رأس جيش قوامه ثلاثة وسبعون ألف مقاتل من المشاة وخمسة آلاف من الفرسان يعززهم ثلاثة وسبعون فيلًا من الفيلة الأفريقية، وصحبت «بطليموس» في هذه الحملة أخته «أرسنوي» أيضًا، وكان الوزير «سوسيبيوس» في هذه الحملة يقود الجنود المصريين القُحَّ، وهم الذين درَّبهم خصيصًا لهذه الحرب، والظاهر أن القواد الآخرين لم يكن في مقدورهم قيادتهم.

هذا ما كان من أمر الجيش المصري، أما «أنتيوكوس» الذي قضى الشتاء في «بطاليمايس» فإنه زود جنوده بمجندين جدد، وقد أعد كلَّ جيشه ليباغت به «بطليموس» وجنوده، وقد دلَّ الفحص على أن جيش «أنتيوكوس» كان خليطًا عجيبًا من كل الأمم المجاورة؛ فكان يحتوي على جنود من «داهس» ومن «كارمانيا» ومن الفرس، ومن «ميديا» ومن «كادوسيا» ومن العرب، و«سيلسيسيا» و«تراقيا»، و«كريت» و«ليديا» و«كرداسيا» وبلاد الغال، هذا بالإضافة إلى جنود مرتزقين من الهيلانيين، وكان عدد جيشه يبلغ حوالي اثنين وستين ألفًا من المشاة وستة آلاف من الفرسان ومائة واثنين من الفيلة، ومن ثَم نرى أن القوتين المتحاربتين كانتا متقاربتين بوجه عام من حيث العدد.

وتقابل الجيشان عند «رفح» التي تقع في منتصف الطريق المؤدية لغزة، ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن «رفح» هذه كانت ملتقى تطاحن جيوش منذ عهد «سرجون الثاني» ومن بعده في عهد «أسرحدون» الأشوري ٦٧٢ق.م وقد تحدثنا عن ذلك في الجزء الثاني عشر من هذه الموسوعة.

وقد حدث أنه في خلال بضعة الأيام التي قضاها الجيشان يراقب الواحد منهما الآخر على مسافة حوالي خمسة أميال؛ أن أخطأت «بطليموس الرابع» طعنة خنجر وهو في سرادقه على يد «تيودوتوس» الأيتولي، وقد أخطأته الطعنة بوجه الصدفة؛ لأنه لم يكن موجودًا في سرادقه الرسمي أثناء تلك الليلة، وقد عاد «تيودوتوس» هذا مع شريكيه في الجريمة دون أن يمسَّهم أقل أذًى، ولكن بعد أن قتلوا خطأً «أندرياس» طبيب «بطليموس الرابع».

وعلى أية حال لم يؤثِّر هذا الحادث في نفس «بطليموس» ومضى فيما حضر من أجله، ولا غرابة في ذلك فإنه لم يكن في مقدوره أن يتخلَّى عن منازلة عدوه؛ لأن الصحراء المترامية الأطراف التي قطعها في خمسة أيام كانت وراءه، وليس فيها ماء إلا ما حمله معه، يضاف إلى ذلك أن جيشه لم يكن لديه ما يقتات منه إلا ما زُوِّد به في «بلوز» (الفرما)، وعلى ذلك وطَّد العزم على مهاجمة العدو، وقاد بنفسه جناحه الأيسر مواجهًا «أنتيوكوس» خصمه الذي كان يقود جناح جيشه الأيمن، وكان بجانب «بطليموس» أخته «أرسنوي» ملكة البلاد، وقد كان «بطليموس» وبلاطه قد أهملوا هذه الملكة بأن جعلوا ملك البلاد ينصرف عنها بالانغماس في الشهوات، غير أنها مع ذلك أَبَتْ أن تتخلَّى عن زوجها وأخيها في ساعة الخطر وفي وقت الشدة.

وهكذا تحدِّثنا المصادر التي في متناولنا أنه في جنوبي «رفح» واجه جيش «بطليموس» جيش عدوِّه وخصمه «أنتيوكوس» الثالث.

وكان كلٌّ من الفريقين قد وضع مُشاتَه حَمَلة الحراب في القلب، أما المشاة الآخرون فقد أخذوا مكانهم في الجناحين، في حين أن الفرسان كانوا قد احتلوا أماكنهم على الطرفين، وكان الملك «بطليموس» — وبجانبه أخته «أرسنوي» — يقود الجناح الأيسر، أي كان يواجه «أنتيوكوس» الذي كان يقود جناح جيشه الأيمن. هذا وكان أمامه أربعون فيلًا أفريقيًّا تواجه ستين فيلًا آسيويًّا رمى بها «أنتيوكوس» في ساحة القتال، وكان كلٌّ من العاهلين يصحب معه الجنود حملة الدرع الخاصين به والذين تحت قيادته، وبادر «بطليموس» بخوض غمار المعركة، ولكن «أنتيوكوس» تردَّد في بادئ الأمر غير أنه قبل خوض غمار الحرب على عدوه في ٢٢ يونيو.[١]

---

[١] Polyb., V, 81.

وعندما اقترب «بطليموس» من ميدان القتال ظهرت أخته «أرسنوي» على صهوة جوادها على طول خط القتال المصري في مقدمة الجيش حاثَّة الجنود على منازلة العدو بقوة وحماس، وكان أول نتائج المعركة أن كُسِر جناح الجيش المصري الأيسر الذي كان يقوده «بطليموس»؛ وذلك بقوة هجوم «أنتيوكوس» الذي كان يقود جناح جيشه الأيمن كما أسلفنا، وبذلك خرج هذا الجناح من الجيش المصري من ساحة القتال، يضاف إلى ذلك أن الفيلة التي كانت على يساره فرت أمام الفيلة الهندية التي انقضت على حَمَلة الدروع مخترقين صفوفهم، وعندئذٍ انقضَّ «أنتيوكوس» بجواده حول طرف الجيش المصري، وشتَّت البقيَّة الباقية من جناح العدو، ولما كان «أنتيوكوس» لا يزال غضَّ الإهاب تجرى في عروقه دم الشباب الحار فإنه ألقى بالقيادة في مهب الريح، ولم يفكر قط إلا في مطاردة «بطليموس» الذي ولَّى الأدبار مع فلول الجناح الذي كان يقوده، ولكن «بطليموس» في تلك الأثناء كان قد خلَّص نفسه من خيَّالته الفارِّين، وعاد إلى قلب الجيش الذي لم يكن قد دخل المعركة بعدُ وقاده بنفسه، ولم تلبث أن ظهرت نتيجة التدريب الطويل الذي قام به «سوسيبيوس» لإعداد الفرق المصرية أبناء النيل المنحدرين من أصلاب أبطال قادش وماجدو؛ إذ نرى جنودها يشتتون شمل فرقة حَمَلة الحِراب — من الإغريق المقدونيين — التي كانت أمامهم، وذلك بهجومهم الجبَّار يقودهم «سوسيبيوس» نفسه، يضاف إلى ذلك أن الملك «بطليموس» — على غير انتظار منهم — كان يقودهم في المعركة. هذا، ولمَّا عاد «أنتيوكوس» إلى ساحة القتال بعد مطاردته لفلول الجناح الأيسر المصري وجد أنه قد خسر المعركة؛ إذ ترك الجيش السوري على أرض المعركة عشرة آلاف من حَمَلة الحِراب وأكثر من ثلاثمائة فارس، كما وقع في الأسر أربعة آلاف جندي.

أما الجيش المصري فلم يخسر إلا حوالي ١٥٠٠ مقاتل من حملة الحراب وسبعمائة من الفرسان، ومن الغريب أن «أنتيوكوس» عندما رجع إلى ساحة القتال ظنَّ في بادئ الأمر أنه هو المنتصر من وجهة نظره، وبعد أن اتضحت له الحقيقة، وعاتب رجال جيشه على تخاذلهم عاد أدراجه بكل سرعة إلى رفح، وفي اليوم التالي حاول أن يعيد تنظيم صفوفه، ويجعلها تواجه العدو كرَّة أخرى فلم يفلح، ورجع أدراجه متقهقرًا بفلول جيشه إلى غزة، ولكنه لم يمكث فيها إلا مدة قصيرة؛ ليحصل في خلالها من «بطليموس» على السماح له بدفن موتاه.

وبعد ذلك عاد «أنتيوكوس» يجرُّ ذيول الخيبة والهزيمة إلى أنطاكية على جناح السرعة وهو خائف يترقَّب وقوعه بين عدوَّيْه «بطليموس» و«آخاوس»، وقد أفاد

«بطليموس» من انتصاره هذا على «أنتيوكوس» بعض الشيء بينما كان في إمكانه أن يحصل لنفسه على أشياء كثيرة من مثل هذا النصر الذي لم يكن يأمل يومًا ما في الحصول عليه، ولكن في الواقع كان «بطليموس» نفسه في دهشة، ولم يكد يصدِّق بما وضعه الحظ بين يديه، وعلى أية حال فإن هذا النصر كما يقول «بوليبيوس» قد أخرَّه فعلًا عن الرجوع إلى الإسكندرية؛ ليتابع عيشة الخلاعة والمجون التي كان متعوِّدًا عليها.

هذا ونجد أنه بعد أن تظاهر أولًا بمظاهر الكبرياء — ليخفي تعجله للأمور — منح المبعوثين الذين جاءوا من قبل «أنتيوكوس» هدنة مدتها سنة، وأوفد «سوسيبيوس» للمفاوضة في عقد هدنة نهائية، غير أننا — على أية حال — لا نعرف شروط هذه المعاهدة حتى الآن، ومهما يكن من أمر فإن «أنتيوكوس» أخلَّى «لبطليموس» الموقعين الهامَّين اللذين كان يحتلهما، وهما «بطاليمايس» و«صور» ولم يكن هناك ما يمنع «بطليموس» من الاستيلاء على «سوريا الجوفاء» دون أية حرب.

لهذا نجد أن «بطليموس» بعد أن كافأ «أندروماكوس» بتوليته حاكمًا على سوريا، كما كافأ رجال الجيش كذلك بمبلغ ثلاثمائة ألف قطعة من الذهب سار بنفسه وبصحبته أخته وزوجه «أرسنوي»، على رأس حملة في سوريا وفِلَسْطين لمدة ثلاثة أشهر تقريبًا؛ ليتمم إخضاعها لحكمه، وقد غَمَره جماهير كثيرة من المدن بترحابهم الحار؛ وذلك لأن أهالي سوريا كانوا يفضلون الحكم «البطلمي» على الحكم السليوكي، وقد أجابهم «بطليموس» على استقبالهم الرائع له بأن احترم معبوداتهم، وقدَّم لها القربات في المعابد، كما أعاد النظام والوئام في المدن.

ولا نزاع في أنه خلال تلك الجولة التي قام بها «بطليموس الرابع» قد ذهب إلى أورشليم، وهناك عرف عن تجربة شخصية تعصُّب اليهود؛ إذ إن مؤلف الكتاب الثالث للمكابيين يؤكِّد لنا أن «بطليموس الرابع» بعد أن قدَّم هدايا لإله اليهود «يهوه» أراد أن يدخل قدس الأقداس في معبدهم على الرغم من الكاهن الحارس له، وعند سماع هذا الخبر ثارت كل المدينة مما أدَّى إلى إصابة الملك بنوع من الفزع الخارق عن المألوف، لدرجة أن رجال حرسه حملوه مغشيًّا عليه، وقد تحدَّثنا عن هذا الحادث في غير هذا المكان في الجزء الرابع عشر من مصر القديمة.

وعلى أية حال عاد «بطليموس الرابع» بعد ثلاثة أشهر قضاها في سوريا — تاركًا حكمها في يد «أندروماكوس» — ومعه أخته وزوجه «أرسنوي» وسُمَّاره إلى الإسكندرية؛ حيث لم يدهش القوم كثيرًا عندما رأوا أن الملك ينقلب على حين غفلة إلى صاعقة حرب.

أثر موقعة رفح في سياسة البطالمة

انتهت معركة «رفح» بنصر «سوسيبيوس» ومليكه «بطليموس الرابع» على «أنتيوكوس» ملك السليوكيين، غير أن هذا النصر كان له صورة أخرى ذات نتائج سيئة قائمة على أسرة البطالمة وحكمها في مصر، كما كانت في الوقت نفسه بداية عهد جديد مشرق في تاريخ الشعب المصري وجنوده الذين على يديهم نال البطالمة هذا الفوز، والواقع أن المصريين منذ هذه اللحظة أخذوا يشعرون بعزَّتهم القوميَّة، ويحسُّون ثقتهم في أنفسهم بعد أن ظلوا مغلوبين على أمرهم مهمَلين منذ بداية حكم البطالمة، ولا غرابة في ذلك فإن هذا النصر قد فتح أعينهم، وأظهر لهم أنهم أصلب عودًا وأشد بأسًا مما كان يظنه فيهم المستعمرون، ولقد رأوا بأنفسهم الإغريق وهم يولُّون الأدبار في حين أنهم كانوا يقفون في وجه كل هجوم جبَّار يصوبه لهم العدو، وكذلك فطنوا إلى أن حكَّامهم الإغريق لم يكن في استطاعتهم منازلة «أنتيوكوس» بجنودهم المرتزقين، ومن ثَم استنجدوا بهم لخلاص مصر، وقد نجَّوها فعلًا من عار الاحتلال.

وفي عام ٢١٧ق.م كان الإغريق والمقدونيون يحكمون — على حسب زعمهم — شعبًا منحطًّا، ولكن منذ ذلك الانتصار الذي ناله الجيش المصري في رفح أخذ العنصر الوطني المصري يُثْبِت وجوده على صفحات التاريخ أمام الإغريق، ومن ثَم نرى أنه منذ السنة التي أعقبت هذه الموقعة أخذت الثورات الوطنية يدبُّ دبيبها في طول البلاد وعرضها، وقد انتهز الكهنة المصريون — الذين كان في يدهم زمام أهل البلاد — هذه الفرصة وأعلنو تحديهم لحكومة البطالمة. حقًّا اجتمعوا في مجلس ليقرِّروا مفاخر «بطليموس الرابع» ومآثره كما فعل أسلافهم من قبل لوالده «بطليموس الثالث»، ولكن كان هناك فرق ظاهر في كلا الحالتين؛ إذ في هذه المرة لم يظهر اسم الملك «بطليموس الرابع» في المرسوم الذي أصدره الكهنة بوصفه ملك الإغريق، بل الواقع أنهم أضافوا إلى اسمه — في وثيقة إغريقية قائمة بذاتها — الألقاب الأرثوذكسية المستقاة من الديانة المصرية التي كان يسير على نهجها فرعون مصر الوطني، وسنفصل ذلك فيما يلي: والواقع أن «بطليموس الرابع» عندما عاد من حرب سوريا لم ينتبه للحركة الوطنية التي أخذت تتفشَّى بين كل أفراد الشعب المصري الأصيل، بل ظنَّ أن الأحوال أصبحت مستقرة بعد اتِّكاله على «آخاوس» لمواجهة السليوكيين، غير حاسب حساب المصريين الذين لم يكافئهم على النصر الذي أحرزوه له، وقد كان من جرَّاء ذلك أنهم أخذوا يتحدثون على وهن هذا التسلط الأجنبي الذي لم يكن في حاجة إليهم إلا عند الأزمات واشتداد الخطوب، وعلى

أية حال لم يلبث «بطليموس» على الرغم من انغماسه في الملذات والشهوات أن فطن إلى حقيقة أنه وإن كان قد جنَّد جيشًا من المصريين واللوبيين لمحاربة «أنتيوكوس»، وإن ذلك كان عملًا عظيمًا أنقذ البلاد من الخطر، إلا أنه رأى فيما بعد أنه كان إجراء خطرًا على سلامة حكم البطالمة، ولا نزاع في أن المصريين قد داخلهم الكبرياء والزهو بانتصارهم في موقعة «رفح»، ومن ثَم أخذوا يشعرون بالعزة القومية؛ ولذلك أصبحوا ولا طاقة لهم على تلقي الأوامر من غيرهم من الأجانب الذين احتلوا بلادهم، ولهذا السبب أخذ المصريون يبحثون عن رئيس لهم من بني جلدتهم، كما أخذوا يتلمسون الحجج والمعاذير لإعلان عصيانهم على الفئة الحاكمة ظنًّا منهم أنه في مقدورهم أن يستقلوا بأنفسهم، وأنه لا حاجة لحكم الأجنبي المتغطرس.

وعلى ذلك وضعوا — بعد تردد وطول أناة — خطة لتنفيذ ما عقدوا العزم عليه، ومما يطِيب ذكره هنا أن المؤرخ «بوليبيوس» قد زجَّ بأفكاره عن الأحوال الداخلية في مصر في عهد «بطليموس الرابع» في الحوادث التي وقعت في عام ٢١٦ق.م في مؤلفه العظيم، غير أن هذا الجزء الذي جاء فيه ملخص هذه الحوادث قد ضاع إلا بعض فقرات لا تشفي غلة، وبذلك ترك فراغًا في تاريخ «بطليموس الرابع» الذي نفتقر كثيرًا إلى المعلومات الجمَّة عنه، وعلى أية حال فإن ما لدينا من المعلومات التاريخية يؤكد أن الاضطرابات الداخلية في مصر كانت قد بدأت في عهد «بطليموس الرابع» وأنها استمرت في العهود التي تلت حكمه.

ولا أدل على ذلك مما جاء في مرسوم حجر رشيد الذي سنتكلم عنه في حينه، وقد نُشِر بعد نحو اثنين وعشرين سنة من التاريخ الذي نتحدث عنه الآن، أي بعد ثمانية أعوام من موت «بطليموس الرابع»، ففي هذا المنشور جاءت إشارة عن الرؤساء من المصريين الذين تزعموا جماعة من العصاة في عهد «بطليموس الرابع»، وقد عاقبهم ابنه «بطليموس الخامس». من ذلك نفهم أن الوطنيين المصريين منذ انتصارهم في موقعة «رفح» قاموا بسلسة ثورات ومؤامرات واضطرابات لم يمكن قمعها، وأسفرت الحوادث عن أنه كانت تحت التراب وميض نار لا بد أن يكون له ضِرام تكشف عن خطر بالغ على الحكم البطلمي.

وقد أخذ البطالمة من جانبهم يقاومون هذه الثورات باتخاذ عدة إجراءات مضادة لقمع روح الفتنة؛ ومن ثَم نشطت الشرطة باتخاذ أعمال قاسية؛ فحُكم على الكثيرين من أبناء مصر بالقتل، ولكن المصريين كانوا بدورهم ينتقمون لأنفسهم كلما وجدوا إلى ذلك

سبيلًا، ويقول المؤرخ «بوليبيوس»[٢] في عبارة مختصرة: «إنه باستثناء القسوة والطغيان اللذين ارتُكبا من كلا الجانبين، وكذلك الحرب التي قَصَصت قصتها هنا لم تَدُر رحى موقعة حربية منظمة، ولا حصار، ولا شيء آخر يستحق الذكر.»

هذا وذكر لنا «كونستانطين بروفيروجنت» ملحوظة في مخطوطةٍ أن «بوليبيوس» قد خصص في كتاب تاريخه الذي خلَّفه لنا؛ أربعين صحيفة من كتابه الرابع عشر عندما كان يتحدث عن الحروب الداخلية في مصر.[٣]

والظاهر أن حرب المقاومة الشعبية في مصر كان منحصرًا في الوجه البحري، وذلك لأن المصريين الذين — منذ بداية الثورة التي قاموا بها لاسترداد حقوقهم المشروعة من الحكام الإغريق الغاشمين — وجدوا لهم قائدًا أو قادة يعملون على حسب تعليماتهم هنا، ولم يكن ذلك بالأمر العسير فقد كان يوجد في الوجه البحري بلا شك بعض أفراد من أسرة الملوك المصريين من سلالة الفراعنة لا يزال على قيد الحياة، ولا بد أنهم اختاروا واحدًا منهم على حسب العادة والسنة التي كان ينهجها أسلافهم، ونصَّبوه فرعونًا عليهم، والظاهر أنهم اتخذوا أدغال الدلتا ومناقعها مقرًّا لهم، ومن هناك كانوا يشنون حرب العصابات فكانوا يباغتون جامعي الضرائب الملكية، ويستولون على ما جمعوه من الأموال والغلال. هذا، وكان الخارجون يجمعون حولهم كل أولئك الذين أصابهم ظلم أو ضَيْم من قِبَل رجال الحكومة البطلمية.

وفي النهاية امتد حبل الاضطرابات والفتن مما أدى في نهاية الأمر إلى تقويض سلطان البطالمة الأجانب، ومما لا شك فيه أن المصريين الثائرين كانوا خارجين على القانون في نظر الإغريق، ولذلك فإنهم كانوا يجاوبون على تعسف الحكومة بالأخذ بالثأر، ومن ثَم فإن هذه الحروب التي كانت تعد حرب كرٍّ وفرٍّ قد امتد أمدها دون أن تصل إلى نتيجة حاسمة شأن كل حرب العصابات.

وعلى مرِّ الأيام سرت عدوى هذه الحروب إلى أهل الصعيد؛ إذ أخذوا يقدِّرون ما يقوم به مواطنيهم من أهل الوجه البحري من نضال في سبيل الحرية التي سلبها المستعمر الغاصب، وقد أخذتهم العزة القومية، وبدَوا بدورهم يشنون حرب العصابات على الإغريق حتى أصبح صعيد مصر شعلة نار على البطالمة، ولا أدل على ذلك مما تُقدِّمه

[٢] Polyb., XIV, 12.

[٣] Exc. Peiresc. P. 62.

لنا نقوش الإهداء التي حُفِرت على جدران معبد «إدفو»؛ فقد ذُكر فيها أن أعمال البناء في هذا المعبد قد توقفت بسبب عصيان قام في العام السادس عشر من حكم «فيلوباتور» (٢٠٧–٢٠٦ق.م) ولم يُستأنف العمل إلا في العام التاسع عشر من حكم ابنه «بطليموس الخامس» (١٨٦ق.م) وذلك أن عصابات من الثوار كانوا قد خندقوا في داخل المعبد في حين كانت نيران الثورة تستعر في شمال البلاد وجنوبها، وهذا يعني أن جميع البلاد قد هبَّت يدًا واحدة في وجه الحكم البطلمي الغاشم.

والظاهر أن هذه الثورات لم تكن تُقْلِق بال «بطليموس الرابع» وبطانته كثيرًا؛ لأنهم كانوا يعرفون سرَّها، غير أن تأثير جراح هذه الفتن الداخلية لم يظهر خطره إلا فيما بعد عندما اشتدت الحال لدرجة أن بلاط «بطليموس الرابع» قَبِل عن طيب خاطر المساعدة التي قدَّمها لهم «فليب» ملك مقدونيا و«أنتيوكوس» ملك سوريا، وذلك بحجة أنهما قد أتيا لحماية السلطة الشرعية في البلاد المصرية من عبث الثوار من جهة، وللمحافظة على التجارة الدولية التي كانت تهمهما كثيرًا من جهة أخرى، وهذه هي الأسباب التي تبتدئ بها عادةً الدول القوية للتدخل في شئون البلاد الضعيفة؛ لتجد لنفسها منفذًا لمد سلطانها عليها شيئًا فشيئًا.

غير أننا نجد في نفس الوقت الذي كانت فيه الفتن قائمة على قدم وساق في أرض الكنانة؛ كان النزاع بين «أنتيوكوس» و«آخاوس» قائمًا في الشرق من جهة، وفي الغرب كانت نار الحرب حامية الوطيس بين «رومة» و«قرطاجنة» من جهة أخرى. هذا، ونلحظ أن «آخاوس» عندما أصبح لا يعتمد إلا على ما لديه من قوة حربية، فإنه لم يستمر في حملته على «أنتيوكوس»؛ وذلك لأن «بطليموس» بعد أن أخذ منه كل ما يمكن لفائدته ظنًّا منه أنه قد كافأه على خدماته لمصر، وذلك بأنه حاول أن يضمن له بمقتضى معاهدة ملك «آسيا الصغرى»، ومما زاد الطين بِلَّة في حرج موقف «آخاوس» أن أهل «رودس» وكذلك أهل «بيزنطة» الذين أصبحوا في غنًى عن مساعدته وطلب محالفته؛ انفضوا من حوله ولم يمدوا له يد المساعدة على عدوِّه «أنتيوكوس»، ولذلك لم يمض طويلُ زمنٍ حتى حُوصِر «آخاوس» في «سارديس» (٢١٥–٢١٤ق.م) بالجيش السوري، وظلَّ الحصار مستمرًّا إلى أن ضُيِّق عليه الخناق مع فئة صغيرة من أتباعه في قلعة هذه المدينة التي كانت مستعصية المنال على المحاصرين، ولا يمكن اقتحامها والتغلب عليها إلا بالجوع.

وعلى أية حال لم يكن موضوع القبض على «آخاوس» إلا مسألة وقت قصير، وقد حاول «سوسيبيوس» العمل على خلاص حياة «آخاوس» بتسهيل الهرب له، فأرسل رجلًا

كريتيًّا يُدعَى «بوليس» من الإسكندرية لهذا الغرض، وكان الأخير له أصدقاء بين الجنود المرتزقة الكريتيين الذين كانوا يحاصرون القلعة، وقد وعد هذا الكريتي مقابل خدمته هذه بمبلغ عشرة تالنتات من الفضة، غير أن «بوليس» الذي كان قد تسلَّم النقود قد وجد الطريقة التي يمكنه بها زيادة فائدته المادية من هذه المأمورية، وهي أن يسلم «آخاوس» للملك «أنتيوكوس».

والواقع أن «آخاوس» قد دبَّ في نفسه الخوف عندما تمكن من الهرب مع صاحبه الكريتي المزعوم، الذي جاء ليخلصه من الحصار الذي ضُرِب عليه في قلعة «سارديس»، وفعلًا تحقَّق خوفه عندما وجد نفسه بين يدي عدوه، وقد أراد «أنتيوكوس» أن يجعله عبرة ومثلًا لغيره؛ فاتخذ معه الإجراءات التي أُخِذت مع «مولون» السالف الذكر، فأمر بأن تُوثَق جثته المفصولة عن رأسه، وكانت موضوعة في مسلاخ حمار، وعندما علم الذين يدافعون في داخل القلعة بهذا التمثيل البشع بجثة «آخاوس» استولى عليهم الفزع والجزع، وعلى إثر ذلك فتح كل من «أريباز» Aribaze و«لاؤديس» زوج «آخاوس» أبواب القلعة على مصاريعها، وبذلك قُضِي على كل منازعات داخلية،[٤] وقد كانت النتيجة الحتمية لذلك أن كلَّ ما كان يملكه «آخاوس» في آسيا الصغرى أصبح ملكًا لأسرة السليوكيين. أما «أتالوس» ملك «برجام» فيجوز أن «أنتيوكوس» لم يطالبه بشيء مما أخذه من «آخاوس» وقد يرجع السبب في ذلك إلى أنه قد بقي على الحياد مدة المنازعات التي قامت بين «آخاوس» وبين «أنتيوكوس» في السنين الأخيرة.

وبعد أن أصبح «أنتيوكوس» آمنًا مطمئنًا على هذا القسم من ممتلكاته وجه اهتمامه وجهوده إلى الشرق الأقصى في الأصقاع التي كان سلطان السليوكيين فيها قد أصبح مجرد اسم، وبخاصة منذ عهد «سليوكوس الثاني»، ومن أجل ذلك أخذ في تجهيز العدة والعتاد للقيام بحملة هناك، والواقع أن هذه الحملة قد امتدت عدة سنين (٢١٢–٢٠٥ق.م) وقد كان اشتباكه في هذه الحروب وتفرغه إليها من حسن حظ حكومة البطالمة بالإسكندرية؛ إذ كان ذلك بمثابة خلاص من أعباء قيام حرب قد تقوم بسبب «سوريا الجوفاء» التي كان «أنتيوكوس» لا يزال يذكر ضياعها منه.

---

[٤] راجع Polyb. VII, 15–18, VIII, 17–23، ومن المحتمل أن «أريباز» هذا كان ابن شطربة سيليسيا الذي قطع رأسه في حرب لاؤديس الذي وقع منذ مرور ثلاثين سنة مضت على الحادث الذي نحن بصدده.

الفصل الثالث عشر

الحرب التي نشبت بين «رومة» و«قرطاجنة» وعلاقة مصر بها في عهد «بطليموس الرابع»

ذكرنا في الجزء السابق من هذه الموسوعة أنه كانت توجد علاقات ودٍّ وصفاء بين «بطليموس الثاني» وحكام «رومة»، ومن ثَم نفهم أن الحرب التي كانت مستعرة بين «رومة» و«قرطاجنة» (وهي الحرب التأديبية الثانية) كانت تهم ملوك البطالمة. غير أن التحالف الذي كان بين مصر و«رومة» لم يكن إلا تحالف منفعة، ولم يرتبط بمواثيق حربية متبادلة بين البلدين، وكان الغرض الأصلي في التحالف بينهما هو المبادلات التجارية بين مصر و«إيطاليا»، يضاف إلى ذلك أن الحكومة المصرية كانت تريد أن تفيد من هذه الصداقة الرومانية عند الحاجة، وبخاصة عندما تقوم منازعات بين مصر ومقدونيا، والظاهر أن البطالمة لم يكن لهم غرض يرمون إليه إلا الفائدة المادية، ولم يدُر بخلدهم قط أن يعقدوا معاهدة تجبرهم وقت الحاجة إلى الإسراع في طلب النجدة من الرومان، ومن جهة أخرى كان البطالمة أصدقاء القرطاجنيين، وقد أرادوا أن يحافظوا على موقفهم هذا أصدقاء للطرفين، ومن أجل ذلك نجد أن «بطليموس الرابع» قد عمل جهد الطاقة على ألا يأتي عملًا يكون من نتائجه تعكير صفو العلاقات بينه وبين «قرطاجنة» أو بينه وبين «رومة».

والواقع أن رجال السياسة البعيدو النظر قد تنبَّئُوا بما عساه أن يحدث في العالم؛ ففي خلال مؤتمر «نوباكتوس» Naupactus في عام ٢١٧ق.م أرسل «بطليموس الرابع» رُسُله، وقد أوضح «إجلاوس» مواطن أيتولي أمام الممثلين لدول مقدونيا والولايات الإغريقية أن سؤدد العالم يُقرَّر الآن في إيطاليا؛ ولذلك نصح لهم إن لم يكفوا عن

مشاحاتهم، ويصبحوا يدًا واحدة، فإنهم في زمن قصير سيصبحون إما تحت سيطرة «رومة» أو في قبضة «قرطاجنة». غير أن هذا التحذير لم يكن إلا ابن ساعته.

وعلى أية حال نجد أن «بطليموس الرابع» ورجال حكومته قد عملوا كل ما في وسعهم للوقوف على الحياد بين الفريقين المتحاربين، ولا أدلَّ على ذلك من أنه لما فر «ماجيوس دسيوس» Magius Decius من أيدي القرطاجنيين، واقْتِيد إلى الإسكندرية، فإن حكومة الإسكندرية لم تطلق سراحه إلا بعد أن تأكدت أن «دسيوس» هذا كان قد حبسه «هنيبال» بسبب رسالة معاهدة، وإلا فإن الهارب كان لا بد من إعادته للضابط القرطاجني الذي كانت قد أجبرته العاصفة على أن يرسو في «سيريني»، ولا بد أن نذكر هنا أن الرومان كانوا قد سُحِقوا في موقعة «كان»، وأن «بطليموس الرابع» كان له بعض الفضل في حماية المغلوب على أمره.

هذا، وبعد موت الملك «هيرون الثاني» ملك «سراقوسة» في عام ٢١٥ق.م نجد أن الملك الجديد «هيروتيم» وكان طفلًا في الخامسة عشرة من عمره قد فضَّل أن يحذو حَذْوَ والده «جيلون» Gelon ملقيًا ظهريًّا بنصائح جده الحكيمة، وانضم دون تفكير إلى الحلف القرطاجني، كما أرسل في الوقت نفسه عملاء إلى «هنيبال» في إيطاليا وعمه «زيبوس» Zioppos إلى الإسكندرية، وقد حرص «بطليموس الرابع» بقوة على قبول عروضه، وكان سعيدًا بذلك كثيرًا. غير أن «زيبوس» لم يكن قد غادر الإسكندرية بعد، حتى سمع باندلاع نار فتنة في «سراقوسة» طوَّحت بالعرش على جثث «هيرونيم» وأعضاء الأسرة المالكة. هذا، ونجد أن الحظ في نفس الوقت قد قلب ظهر المِجَنِّ لرومة، وعلى الرغم من صلابة الرومان وثباتهم فإنهم هُزِموا، ومع ذلك نلحظ أن بلاط الملك «بطليموس الرابع» لم يندفع وراء هذا النصر الجديد، ولم يتعدَّ حدود الحياد الكريم من جهة الرومان، ولا أدلَّ على ذلك من أنه في عام ٢١٠ق.م أصاب إيطاليا قحط ارتفع معه ثمن القمح في هذه البلاد حتى وصل ثمن المُدِّ الواحد خمسة عشر درخمة، وكان سبب هذا القحط أن الأرض كانت قد خرَّبتها الحروب، وامتد الخراب حتى أبواب «رومة»؛ وكان العالم المتمدين كله وقتئذٍ شاكِي السلاح؛ ولم يكن ينتظر أي مدد من أي بلد إلا من مصر؛ إذ كانت الدولة الوحيدة التي كانت وقتئذٍ في سلام،[١] ومن أجل ذلك أرسل مجلس شيوخ «رومة»

---

[١] Polyb, IX, 45.

إلى «الإسكندرية» سفيرين، وهما «أتيليوس» Atilius و«أسيليوس» Acilius لأجل إعادة ذكرى الصداقة القديمة بين البلدين وتجديدها، وكانا يحملان هدايا تشمل حلة رومانية، وقميصًا أرجوانيًا، وعرشًا من العاج للملك، وقميصًا مطرزًا، وعباءة من الأرجوان لملكة،[٢] وكان الغرض من هذه الهدايا هو أن ترسل مصر القمح إلى «رومة»، وفعلًا استجاب «بطليموس» ملتمس السفيرين، وأرسل القمح إلى رومة، وبذلك دفع ثمن الهدايا التي أُرسِلت إليه أضعافًا مضاعفة، ولا بد أن السفيرين قد حملا معهما — فضلًا عن ذلك — التأكيدات بأن «بطليموس الرابع» يفضل اللهو والملذات على الدسائس ونصب الأحابيل، وأنه إذا لم يكن من الممكن استخدامه في مناهضة «فليب» المقدوني فإنه من باب أولى ليس هناك خوف من أن يُرى منقادًا مثل «فليب» هذا لإبرام معاهدة مع «هنيبال».

والآن يتساءل المرء ما الذي يهم هذا العاهل من العالم بعد أن بلغ به الأمر إلى حد أنه لم يشغل باله في مستقبل أسرته، فقد ظلَّ حتى الآن وليس له وريثٌ يخلفه على عرش الملك؛ ولكن الأحوال كانت قد بدأت تأخذ مجرًى جديدًا، فقد دلَّت الوثائق على أنه أنجب وريثًا بعد ذلك بفترة وجيزة؛ أي في ٨ أكتوبر عام ٢٠٩ق.م، وذلك أن الهدايا التي قدَّمها السفيران الرومانيان للملكة تدل على أن «بطليموس الرابع» كان قد قرر الزواج من أخته «أرسنوي» وهي التي كانت من قبل منزوية بعيدًا عن البلاط، وعُوملت كأنها يتيمة؛ في حين كانت «أجاتوكليا» أخت الخليع «أجاتوكليس» — صاحب النفوذ والحظوة عند الملك — هي التي تسيطر في القصر الملكي بوصفها ملكة مكان أخته «أرسنوي» المنبوذة.

وتدل شواهد الأحوال على أن هذه المرأة هي وأخاها «أجاتوكليس» كان لهما أكبر تأثير على «بطليموس الرابع»، وكانت قد قدمتْهما له أمهما «أونانت» Oenante تلك المرأة الطموحة النهمة. غير أن «أرسنوي» التعسة الحظ التي أظهرت ضروب الشجاعة والحنان على أخيها عندما كانت بجواره في ساحة القتال في موقعة «رفح» وهي تحثُّ الجنود على القتال في ساعة الخطر، وتعدهم بالمكافآت المالية عند النصر على العدو، قد ابتسم لها الحظ من وراء حجاب و«أصبحت» تحمل لقب ملكة، ولكن بكل أسف لم يكن إلا لقبًا وحسب، وأصبح ذلك من حقِّها بعد أن أنجبت وريثًا للعرش.

وليس لدينا تاريخ مؤكد عن هذا الحادث السعيد إلا فيما بعد، وتدل شواهد الأحوال على أنه من الجائز أن زواج «بطليموس الرابع» من أخته «أرسنوي» قد أُجِّل بسبب صغر

---

[٢] Tite Liv: XXVII, 4.

سنها؛ هذا بالإضافة إلى أن وزراء هذا الملك المنغمس في حمأة شهواته، كانوا يخافون من زواج «بطليموس» من أخته «أرسنوي»؛ إذ كان سيجر ذلك إلى ضياع نفوذهم، وأقل ما كان يُنتَظر أن «أرسنوي» كانت بلا نزاع ستطرد حظيَّته «أجاتوكليا» التي كانت على ما يقال تنتظر أن تنجب له ولي عهد،[٣] وفضلًا عن ذلك كانوا يخشون موت الملك فجأة بعد أن أفنى صحته في الانغماس في الملذات والشهوات دون هوادة أو اقتصاد؛ ولم يكن له وريث للعرش من نسله، وعلى ذلك فإنَّ أَمَلهم في أن يفيدوا من وصاية طويلة الأجل كان أفضل عندهم من قيام ثورة في البلاد بسبب عدم وجود وريث لعرش البطالمة، وهكذا كان إنجاب «أرسنوي» وريثًا لعرش الملك قد أكَّد بقاء الأسرة البطلمية في حكم مصر.

وأخيرًا نلحظ أن هؤلاء الوزراء قد أسرعوا على إثر ولادة ولي العهد إلى إشراكه مع والده في الملك وهو لا يزال في المهد، ولدينا ورقة ديموطيقية مؤرَّخة بالسنة الخامسة (٢٠٨ق.م)[٤] من عهد الملك «بطليموس الرابع» وابنه «بطليموس»، ومن المحتمل جدًّا أن اشتراك الطفل «بطليموس» مع والده في الحكم له علاقة بالتاريخ ١٧ بابة الذي نُقِش في النص الهيروغليفي في حجر رشيد السطر ٤٧، وعلى حسب ذلك فإنه من الجائز أن ولي العهد قد وُلِد في ٨ أكتوبر، وأعلن ملكًا في ٢٩ نوفمبر التالي.[٥]

ومنذ ولادة هذا الأمير، واشتراكه مع والده في ملك مصر أصبحت «أرسنوي» في نظر وزراء «بطليموس» وبطانة السوء الذين كانوا ملتفِّين حوله أكبر عقبة في طريقهم، والواقع أن ما لدينا من معلومات لا توحي بأن «أرسنوي الثالثة» هذه كان لها أي أثر في سياسة البلاد الداخلية أو الخارجية في بلاط الإسكندرية، وعلى ذلك فإن «أرسنوي الثالثة» هذه لم ترث شيئًا ما عن «أرسنوي الثانية» من حيث الجاه والسلطان وقوة الشكيمة، وعلى أية حال فإن سياسة البطالمة منذ عهد مؤسسها الأول كانت سياسة تجنح إلى السلم؛ ومن أجل ذلك كانت مصر في تلك الفترة لم تُصَب بحمَّى الحرب التي كانت تسود أنحاء بلاد البحر الأبيض المتوسط؛ وفضلًا عن ذلك كانت تجني ثمار هذا السلم، ولا شك في أن السياسيين المصريين في هذه الفترة كانوا يقدمون خدماتهم الفينة بعد الفينة، وذلك لحاجة في نفوسهم، وهي تهدئة الخواطر ومنع نشوب الحرب التي كانت

---

[٣] Mahaffy Hist. P. 128.

[٤] Strock. P. 30.

[٥] Revillout, L, Association de Ptolemée à Ia Couronne, Rev. Egyptol. III (1883) P. 1–8.

تعوق من قريب أو من بعيد حركة التجارة بين مصر والبلاد المتحاربة؛ وكانت مصر تشترك في مثل هذه الشئون مع ممالك أخرى، ولكن دون مغالاة أو إلحاح؛ فمن ذلك أنه منذ أن نشبت الحرب بين «فليب» ملك مقدونيًا وبين حكومة «أيتوليا» وهي الحرب التي تسمى بالحرب الاجتماعية، نجد أن سفراء مصر قد انضموا إلى سفراء جزيرة «خيوس» Chios وإلى «رودس» و«بيزنطه» لأجل أن يوقفوا إشعال نار حرب كادت أن تضطرم خدمة لسياسة رومة الماكرة.[٦]

والواقع أن الصلح الذي عُقِد بين «أجيلاوس» القائد الأيتولي وبين «فيليب» المقدوني في «نوباكتوس» لم يكن إلا هدنة (عام ٢١٧ق.م) فقد نسي الهيلانيون بسرعة النصائح الوطنية التي قدمها «أجيلاوس» محذِّرًا إياهم بأن يفكروا في المتوحشين الغربيين سواء أكانوا القرطاجنيين أو الرومان الذين كانوا يستغلون مخاصماتهم ليستعبدوهم،[٧] وعلى أية حال يقول «بوليبيوس»: إن الحرب ابتُدئتْ ثانية عام ٢١٤ق.م وكان «فيليب» المقودني قد عقد محالفة مع «هنيبال» عام ٢١٥ق.م كما كان الأيتوليون يسعون إلى محالفة الرومان الذين عقدوا معهم معاهدة عام ٢١٢ق.م.

وعندما رأى ذلك «أتالوس» ملك «برجام» أسرع إلى الانضمام إلى هذا الحلف؛ ومن ثَم نرى أن بلاد اليونان قد أصبحت في حرب مستعرة. غير أن حكومة «رودس» عندما رأت هذا الانشقاق والمحالفات استولى عليها الذُّعر بسبب ما كان سيلحقها من أضرار في مصالحها التجارية، وسعت كرَّة أخرى إلى إيقاف هذه المخاصمات، وكانت مصر في هذه المرة تساعد على عدم إشعال نار حرب، يضاف إلى ذلك أن أهالي «أثينا» قد بدأ يهتز كيانهم من هذا الحادث، ومن ثَم أخذ الخوف يستولي عليهم، لا من عدوهم الوراثي المقدوني وحسب بل من أصدقائهم، وبخاصة عندما رأوا «أتالوس» يثبِّت قدميه في جزيرة «إجين» Egine التي كانت تناهض «أثينا» سياسيًّا، ونهبها نهبًا تامًّا، وقام الرومان بإجلاء أهلها عنها وباعها الأيتوليون للملك «برجام» عام ٢١٢ق.م هذا وقد حاول مبعوثو «رودس» و«خيوس» و«أثينا»، و«بطليموس الرابع» عام ٢٠٨ق.م في إبرام صلح، غير أن ضغط الرومان «وآتالوس» قضى على هذه المحاولة بالفشل.

---

[٦] Polyb. IV, V, 1–30.

[٧] Polyb. V, 104.

هذا، ونجد من جديد في عام ٢٠٨ق.م سفراء «رودس» مع سفراء «خيوس» وبيزنطة و«متيلين» في بلدة «نوباكتوس» في اجتماع مع المتحاربين؛ ولكن في عام ٢٠٧ق.م تَقابَل «هزدروبال» أخو «هنيبال» على ضفة نهر «ماتور» Mature مع الرومان فهزموه هزيمة منكرة بقيادة «كلوديوس نيرو» Claudius Nero و«ليفيوس ساليناتور» Livius Salinator. هذا، ولم يترك الرومان «فليب» يأخذ أنفاسه فعملوا ما في وسعهم على إحباط المفاوضات، ولم يكن «بطليموس الرابع» وقتئذٍ على استعداد للتخلي عن حياة الخلاعة والدعارة والانغماس في شهواته، من أجل إرضاء «فليب» وتعكير صفو العلاقات التي كانت بينه وبين «رومة»، والظاهر أن «بطليموس» لم يشترك في المحادثات المزعومة التي انتهت بصلح عام ٢٠٥ق.م وكان نتيجة لما أظهره كلا الفريقين من تراخٍ وعدم اهتمام.

وعلى أية حال فإن هذا الموقف المضطرب قد أيقظ بعض الشيء انتباه «بطليموس الرابع»؛ إذ نجده قد بدأ في تحصين «جورتين» Gortyne الواقعة عند سفح جبل «إدا» ببلاد اليونان.[٨]

غير أنه لم يستمر في إنجاز ما بدأه؛ ومن المحتمل أن ما قام به «بطليموس» في هذه الجزيرة كان لا يخرج عن كونه تدخل حبي دعت إليه الحروب الداخلية في الجزيرة.

والواقع أن أهالي «جورتين» كان هواهم مع «الآخيين» والمقدونيين، فمن الجائز أن الفزع قد استولى عليهم مما شاهدوه من المعاملة القاسية التي عومل بها أهل «إجين»، وكان من جرَّاء ذلك أن اضطروا إلى الاستعانة بالملك «بطليموس الرابع» وحصلوا منه على الأقل على أموال لأعمال الدفاع، ولا نزاع في أن هذه كانت فرصة سانحة «لبطليموس» ليضع قدميه ثانية في أرخبيل بلاد اليونان، وبذلك يمكنه أن يستعيد شيئًا فشيئًا كل ممتلكاته القديمة أو على الأقل جزءًا منها. غير أن هذا الأمل كان يحتاج إلى مجهود، وقوة عزيمة، ومثابرة لم تكن مصر وقتئذٍ مستعدة لتقديمها؛ وذلك لعدم قدرتها على ذلك من كل الوجوه. حقًّا كان «بطليموس الرابع» يبني سفنًا فاخرة للزينة، ولكن لم نسمع في الوقت نفسه أنه كان يبني أسطولًا بحريًّا ليرمي به في عرض البحر ليغزو به سواحل البحر الأبيض المتوسط كما فعل أجداده من قبل، وبخاصة «بطليموس الأول» وابنه «بطليموس الثاني»، والواقع أن البحار كانت في عهد «بطليموس الرابع» تسيطر

---

[٨] Polyb. IX, 43, XXII, 8, 9–11.

عليها الممالك الجديدة التي قامت على شواطئ هذا البحر، ونخص بالذكر من بينها «رودس» و«برجامم»، ودولة الرومان التي أخذت تظهر في العالم المتمدين، وناهيك أن «بطليموس الرابع» الذي كان لا يعبأ إلا بشهواته فإنه كان يخاف كل الخوف من أن ينقاد إلى مخاطرة جديدة إذا هو قبل القيام بدور جِديٍّ في «كريت» التي كانت تُعتَبر وكرًا للفتن وللصوص البحر الذين اتخذوها مثوًى لهم، وكانت وقتئذٍ ملكًا لمصر.

الفصل الرابع عشر

نظرة عامة عن حياة بطليموس الرابع ونهاية حكمه

بيَّنَّا فيما سبق عند التحدث عن بداية حكم «بطليموس الرابع» أنه قد وقع تحت سلطان إخوان السوء الذين التفُّوا حوله، وأخذوا في تنفيذ عدة مؤامرات دبَّروها للتخلص من الذين رأوا أنهم كانوا خطرًا على نفوذهم؛ ليصبح حكم البلاد في أيديهم وحدهم، وقد كان من جرَّاء ارتكاب هذه الجرائم أنه قضى على عمه «ليزيماكوس» وأخيه «ماجاس» وأمه «برنيكي» وأخيرًا على «كليونيس» ملك إسبرتا السابق[١] ومنذ تلك الفترة من تاريخ حكمه أصبح أسيرًا لآراء بطانته كما كان عبدًا لشهواته، ولا نزاع في أن حياة «بطليموس الرابع» كانت مضرب الأمثال من حيث الخِسَّة والانحطاط الخلقي.

---

[١] ويقول المؤرخ «طوينبعي» أن «كليومنيس» وأسرته، ومعه بعض من زملائه في السلاح هربوا إلى الإسكندرية، غير أن شخصيته قد جعلته يظهر في نظر «بطليموس الرابع» بمظهر الأخرق بوصفه ضيفًا كما كان أخرقًا في مناهضته للرئيس «أراتوس». والواقع أن مصر كانت في خلال القرن الثالث قبل الميلاد — كما كانت في القرنين السابع والسادس — تتَّكل على الدفاع عنها على الجنود المرتزقة، وقد أصبح «كليومنيس» أثناء نفيه في الإسكندرية بطل هؤلاء الجنود المرتزقين الذين كانوا في خدمة مصر، وكان الكثير منهم من «إسبرتا» موطنه، ومن المحتمل أنه قد مرَّ بخاطره أن يقوم بانقلاب في مصر بمساعدتهم، ويتخذها قاعدة لاسترداد «إسبرتا» التي طُرِد منها، وقد رأت الحكومة المصرية أنه من الحكمة أن تعتقله هو ورفاقه الإسبرتيين.

وقد حدث بعد ذلك أنهم هربوا من السجن، ولاقوا حتفهم كما ذكرنا ذلك من قبل.

.A. Arnold J. Toynbee. Helenism The History of a Civilization, P. 141

وقد كتب لنا تاريخ «بطليموس الرابع» كاتبٌ يُدعَى كذلك «بطليموس» بن «أجيسارخوس» Agesarchos،[٢] وهذا المؤرخ كان يعمل في السلك السياسي، وفي ترجمة حياة هذا الملك عدة قصص وأنباء تصف لنا حياته، وما فيها من رذائل ونقائص وموبقات، والواقع أنه وصف لنا إمعان «بطليموس الرابع» في الرذيلة والنبوغ فيها إلى حدٍّ لا يُجارى، ومن الجائز أن «بطليموس الرابع» على حدِّ قول «بوليبيوس»:[٣] [أنه من خصائص أخلاق هذا العاهل منذ بداية حكمه مع ما فطر عليه من خمول؛ كان متَّصفًا بشيء من الحذر من كلٍّ من لم يكن على شاكلته، وضمن دائرته الخاصة.][٤] هذا وكان في بادئ أمره صعب المراس مدافعًا عن وقت فراغه بخشونة لا تقل عن خشونته مع العابثين، ولم يكن يشعر بالراحة إلا وهو وراء الأبواب الموصدة؛ حيث كان يمرح في حَمَأة الرذيلة في وسط حظيَّاته وغلمانه الذين كان يحرص على أن يتقلب في أحضانهم؛ حبًّا في التمتع بمختلف اللذات البهيمية، كما كان في الوقت نفسه يميل إلى الجلوس مع رجال الأدب والشعراء النحْويين وحتى مع الفلاسفة، وكذلك مع أفراد كانوا بعيدين عن كل مران ذهني، ولكن كانوا أساتذة في الملق.

كما كان يميل إلى الجلوس مع المهرجين الذين كانوا يفدون على المدينة الفينة بعد الفينة؛ ليُسَرُّوا عنه وهو في حفلات معاقرة بنت الحان، والواقع أن «بطليموس» كان يتمتع وينعم على حسب مزاجه بما أوتيه من ملك. فكل رجال بطانته الذين كانوا لا يقلُّون عنه في ارتكاب كل موبقة أو رذيلة، كانوا يتفننون في ابتداع كل ما لديهم من طرق مبتكرة خسيسة للترفيه عن مليكهم، وإبعاد الملل والسآمة عنه، ومن أجل ذلك كانوا يمثلون أمامه الروايات الهزليَّة، وينظمون مواكب الشراب التي كان يرى «بطليموس الرابع» فيها، وقد لعبت برأسه الخمر، يتوج نفسه بوصفه الإله «ديونيسوس»، وكان أحيانًا يفضل على ذلك الرقص بالصنَّاجة في يده، وهو يقود الموكب صاخبًا حول حقول حدائقه الغنَّاء، أو كان يسير بموكبه هذا إلى مقر ملكه في «كانوب»، وكانت أحسن ناحية في حياته هي غَيْرته، وميله للأدب التمثيلي الممزوج بالغرور إلى درجة بعيدة، فقد كان يطمع في إحراز نجاح في المسرح، وقد نُسِب إليه تأليف مأساة عنوانها «أدوليس»، وقد حاول فيها

[٢] Susemehl, Gesch. d. Gr. Lit. d. Alexandriener Zeit. T. P. 905; P. H. G. III. 66–67.

[٣] Polyb. V. 34, 4–5.

[٤] Athen. VI. P. 246.

مناهضة «إيريبديز» Euripedes، وقد كتبتْ عنها حظيَّته المفضلة «أجاتوكليا» تعليقًا،[٥] هذا، وكان المعبد الذي أقامه للشاعر «هومر» يُعتَبر بمثابة احترام مقدم لملك الشعراء من ملك الهواة.[٦]

والواقع أننا إذا فتشنا في صفحات التاريخ لِنجد مثيلًا «لبطليموس الرابع» الذي لم يكن له من نفسه رادع خلقي، هذا فضلًا عن خلاعته وتبرجه واشتغاله بالأدب، فليس لدينا ما يشبهه غير «ديمتريوس بوليورست» Demetrius Poliorcete و«بطليموس الثاني» فقد كانا من أوائل الملوك المتوجين الذين تحلَّوا بتاج الذوق الرفيع في الأدب والخلاعة، وعلى أية حال كانت هذه سمة اتصف بها ملوك تلك الأسرة وغيرها كما سنرى بعد. ومن الهوايات التي أُغرِم بها «بطليموس الرابع» شغفه ببناء السفن البحرية التي امتازت بضخامتها وعظم حمولتها التي فاقت حدَّ المألوف، وتلك هواية نعرفها في جده «بطليموس الثاني» وهي وإن دلت على شيء فإنها لا تدل إلا على الهوس. فقد بنى له مهندسو عمارته سفنًا حربية تحتوي كل منها على ثلاثين صفًّا من المجاذيف كما ذكرنا؛ غير أن «فيلوباتور» أراد أن يضرب رقمًا قياسيًّا في هذا المضمار، وقد وصف لنا «أثينه» Athenee — على حسب ما جاء في «كالليكسين» Callixene الرودسي — سفينة هائلة تحتوي على أربعين صفًّا من المجدفين، ولها مقدمتان مجهزتان بسبعة أوتاد ومؤخرتان مجهزتان بأربعة سكانات وطولها ٢٨٠ ذراعًا (١٢٩ مترًا) وعرضها ٣٨ مترًا، وبلغ ارتفاع القصرين اللذَّين في المقدمة وفي المؤخرة ٤٨ و٥٣ ذراعًا على التوالي فوق سطح الغاطس، ولقد كان من الضروري إقامة صِقالة لبناء معمل واسع؛ لتدخل فيه مثل هذه السفينة مما كان يحتاج إلى خشب يكفي لبناء خمسين سفينة من ذوات سبع الطبقات من المجدفين.

وفضلًا عن ذلك كان من الضروري حفر قناة لإنزالها في البحر. على أن «بطليموس» لم يقف عند هذا الحدِّ في هذا النوع من الهواية، فقد تخطاه عندما أقام قصرًا عائمًا غاية في الأبهة والفخامة، وكان الغرض منه أن يتخذه لشخصه وحاشيته، ومن حوله من الندامى للنزهة، ولإقامة الليالي الحمراء فيه على متن النيل، وهذا القصر العائم كان

[٥] Sehol. Aristoph. Thesmoph. 1059.

[٦] Aelian., Va. Hist., XIII, 22.

يحتوي على قاعات ولائم وحجرات نوم، كما كان يحتوي على خارجات ذات عُمُد ودهاليز للنزهة؛ وعلى قدر كبير من الأخشاب الثمينة والعاج والبرنز والذهب والطنافس والأبسطة من كل نوع، ومن ثَم نرى أن «بطليموس الرابع» كان بلا شك مخبول العقل؛ إذ قد سخر العلم والفن في خدمته لإنتاج مثل هذه الكماليات المنقطعة النظير، والتي لا تفيد شعبه في شيء، بل كانت لمتعته وملذاته الشخصية، وإشباع غروره، وحبه للعظمة، وكل ذلك على حساب الشعب الكادح من المصريين، ولكن يجب علينا ألا نسلِّم بكل ما ذكرناه هنا على أنه حقيقة لا يتطرق إليها الشك؛ وذلك لأن الذي قص علينا هذه الأعاجيب هو «كالليكسين» الروديسي عند وصفه لنا الاستعراض العظيم الذي يظهر فيه فخامة هذا الملك وعظمته، وهو نفس المؤلف الذي وصف لنا عظمة «بطليموس الثاني» وأبهته فيما سبق.



شكل ١٤-١: الإله ديونيسوس من متحف نابولي.

على أنه من المحتمل أن «كاالليكسين» قد وصف قصره العائم السالف الذكر فيما بعد، وأن هذا النوع من القصور العائمة كان قد أقيم من أجل أحفال أعياد إله الخمر «ديونيسوس» من نوع لم يكن معروفًا، والواقع أن عبادة «ديونيسيوس» قد استحوذت على لُبِّ هذا العاهل مما كان يدعو إلى الضحك؛ لأننا نعلم أن الرجل المؤمن هو الذي يكون دائمًا قلبه مملوء بآلهة، ومن البدهي أن ما وصل إلينا من تاريخ هذا العاهل جاء عن طريق ما كتبه «بطليموس بن أجيسارخوس» السالف الذكر، والواقع أن «بطليموس» على الرغم من الجرائم التي ارتكبها لم يكن من الجبن والخوف بدرجة تجعله يفر متراجعًا أمام سخرية أهالي الإسكندرية ونكاتهم اللاذعة التي كانت تصوَّب إليه من كل حَدَب وصَوْب.

وكان «بطليموس الرابع» يلقب «ديونيسيوس»[7] وهو اللقب الذي أخذه عنه «بطليموس» الزمار فيما بعد، فكان يسمى «نيوس ديونيسوس» Neos Dionysos، ولم يكن يكره هذا اللقب، ولكن نعته القوم كذلك بنعتين لا يدلان على احترام الإسكندريين له؛ أولهما: «جالي» Galli وهو كاهن الإلهة «سبيل» إلهة الأرض[8] والآخر المترف تريفون Tryphon، غير أن هذا اللقب الأخير كان يطلق كذلك على «بطليموس الثالث»، وقد أكد ذلك ما جاء في بردية ديموطيقية، ويقول «بيفان»: إن هذا النقش يظهر أنه خاص بالمدة

[7] ولدينا بردية محفوظة بمتحف برلين تلقي ضوءًا قويًّا على غَيْرة «بطليموس الرابع» على عبادة معبوده المفضل «ديونيسوس» جاء فيها: بأمر الملك: إن هؤلاء الذين في الأقاليم الريفية الذين يشتركون في تعاليم شعائر الإله «ديونيسوس» يجب عليهم أن يأتوا بطريق النيل إلى الإسكندرية، وأولئك الذين لا يسكنون بعيدًا عن نقراش في مدة عشرة أيام بعد إصدار هذا المنشور، أما الذين يسكنون خلف «نقراش» فيحضرون في مدة عشرين يومًا، ويجب عليهم أن يسجلوا أسماءهم أمام «أريستوبولوس» Aristobulus في إدارة التسجيل في ظرف ثلاثة أيام من يوم وصولهم، وعليهم أن يُعلِنوا في الحال من قد تسلموا شعائرهم منذ ثلاثة أجيال مضت، وعليهم أن يعطوا «لحديث المقدس» مختومًا، وكل رجل عليه أن يكتب على نسخته اسمه.

وهذه الوثيقة على الرغم مما فيها من صعوبات لغوية في الترجمة فهي هامة من حيث اهتمام «بطليموس الرابع» بعبادة «ديونيسوس» الذي يُقابِل عند المصريين الإله «أوزير»، وقد فحص هذا الموضوع الأستاذ فريزر بالتطويل في كتابه المشهور الغصن الذهبي The Golden Bough.

راجع Berlin No. 11774. Verso; Wilcken's Comment, Archiv VI. P. 413.

[8] وهذا الصنف من الكهنة كانوا يَخْصُون أنفسهم، وهم في حالة غيبوبة، والمعنى هنا: أن بطليموس الرابع كان مثله كمثل الخَصِيِّ.

التي كان فيها «بطليموس الثالث» لا يزال شريكًا لوالده في الحكم، وإذا كان الأمر كذلك فمن الممكن أن نخمن أن لفظة «مترف» لم تكن لقبًا يُشتَمُّ منه رائحة الذم أُطْلِق على ملك في أواخر حكمه، بل كان علَمًا لابن الملك سُمِّي به قبل أن يحمل اسم «بطليموس».[٩]

والظاهر أن «بطليموس الرابع» قد أمر بعمل شجرة نسب له جعلته ينحدر حقيقة من صلب «ديونيسوس»[١٠] كما هي الحال في أيامنا لمن أراد أن ينسب إلى الدوحة المحمدية. فنجد أنه قد وضع على رأس القبائل الإسكندرية قبيلة ديونيسيا Dionysia وقُسِّمت هذه القبيلة إلى ربوع أُخِذت أسماؤها في الأساطير الديونيسية، وأخيرًا نجده قد أسس على شرف جده ملذات ومباهج.

وقصَّ علينا — بمناسبة عيد «ديونيسوس» — العالم «أراتوستنيس» العظيم الذي كان يشاهد من قريب مخازي حكم هذا العاهل، وقد عاش مدة كافية ليكتب مديحًا جنَّازيًّا عن الملكة الشهيدة قال فيه: إن «أرسنوي الثالثة» عندما رأت إنسانًا يحمل فروع شجرة خضراء، سألت هذا الرجل قائلة ما هذا العيد الذي يُحتَفل به اليوم؟ وعندما علمت أنه عيد الزجاجة الذي كان يعتبر آخر حفل فيه هو احتساء عام لبنت الحان في الهواء الطلق، لم يكن في استطاعتها أن تخفي عن معارفها ما شعرت به من الاشمئزاز الذي دبَّ في نفسها بسبب هذه الأرجاس بالتغالي في الديمقراطية والخزي والعار اللذين أحست بهما من أجل الكرامة الملكية، وإذا كان هذا الحادث يُنسَب حقًّا إلى «أرسنوي الثالثة» زوج «بطليموس الرابع» لا إلى «أرسنوي الثانية» زوج «بطليموس الثاني» كما يدعي المؤرِّخ «مهفي»[١١] فإنه يعتبر الحادث الوحيد الذي تحدِّثنا به المتون بأن طيف هذه الملكة المهجورة المنزوية الكئيبة قد أسمعنا صوتها وهي تتفوَّه بهذه الكلمات التي وعاها سمع هذا الشيخ العالم المسن، ولكن لما لم يكن في مقدوره حمايتها، والأخذ بناصرها، فإنه أراد على الأقل أن ينتقم لذكراها بتدوين كلمات هذا الحادث لمن يخلفه من الأجيال؛ ليكون عبرة وموعظة حسنة.

والواقع أن الإخلاص الذي أولاه «بطليموس الرابع» للإله «ديونيسوس» كان يشبه نظامًا يجمع بين أحفال الخمر، وأعياده الشعائرية مع عبادة الإله «سرابيس»؛ وهذا

---

[٩] Bevan Hist. P. 205.

[١٠] Theoph, Ad. Autholyc. II. P. 94 = F. H. G. III, P. 164–165.

[١١] .Mahaffy, Empire. P. 161

النظام يعد جزءًا من الأسباب التي جعلت «بطليموس الرابع» يُعتبَر مصلحًا دينيًّا. هذا، وقد امتدت عنايته بأمور الدين إلى ديانة المصريين أنفسهم؛ إذ الواقع أنه يعد من بين البطالمة الذين أقاموا المعابد المصرية القديمة العظيمة في أنحاء البلاد كما سنرى بعد، غير أنه يُلحَظ أنه قد وجَّه جهوده لكلٍّ من المباني المصرية والإغريقية على السواء؛ ولن نكون مغالين إذا قررنا هنا أنه لم يُسمَع عن ملك آخر قد أفرغ عنايته بكل ما لديه من قوة؛ ليخلق الاتصال الوطيد من جديد بين العرش والمذبح، وذلك لأنه حتى عهده كان البطالمة يتركون الكهنة المصريين يحفلون ببنوة الملوك الإلهية على حسب الشعائر التي كانت تقام للفرعون، غير أنهم وجدوا أنه ليس من اللائق نقل هذه الشعائر الفخمة إلى وثائق اللغة الإغريقية حيث كانت على ما يُظَن تظهر سخيفة.

ولدينا بردية كُشِف عنها حديثًا نفهم منها إدخال الصيغة المصرية إلى الإغريقية في المؤلفات المستعملة عند الإغريق والمقدونيين يرجع تاريخها إلى عهد «بطليموس الرابع»،[١٢] وبدهي أن هذا الملك قد اهتم بتقوية عبادة أسرته في صورتيها المصرية والإغريقية؛ فهو الذي ملأ الفراغ الذي تُرك في القانون الإسكندري في العام الثامن من حكمه (٢١٤ق.م)؛ وذلك بإضافة الإلهين المخلصين أي «بطليموس الأول» وزوجه، وفي الوقت نفسه وهب لعبادة «سوتر» (أي «بطليموس الأول») في مدينة «بطلمايس» (= المنشية) عبادة منظمة بتنصيب كاهن مقيم بوصفه كاهن الإله «سوتر»، وفي الوقت نفسه كان يقوم بخدمة الإلهين «فيلوباتور»، وكان من الطبيعي ألا ينسى «فيلوباتور» تأليه نفسه فقد دون اسمه في أعقاب القانون الإسكندري مضافًا إلى تأليه «بطليموس» «سوتر» في العبادة البطلمية.[١٣]

ومنذ هذه اللحظة كانت توجد على ما يظهر طريقتان مميزتان في العبادة الأسرية البطلمية من الوجهة الشعيرية الإغريقية، وكل من هاتين الطريقتين قد قُلِّدت فيما بعد مع بعض تغيرات بوساطة العبادة الإمبراطورية عند الرومان، ولما كانت العبادة البطلمية تعد النموذج للعبادة التي سار على نهجها أباطرة الرومان في المديريات فقد كانت موجهة إلى مؤسس الأسرة، وإلى الحاكم دون اشتراك الملكات في ذلك. هذا، ونعلم

[١٢] U. Wilchen. Eine Agyptische Konings Lituretur in Griechischer Griechischer Uberset-zung (Archiv. Fur papurus forschung. I, 3 (1901) P. 480–484).

[١٣] Burlier. P. 65.

أن مجمع بلدية «رومة» قد أحيوا التقليد القديم، وبذلك كرموا سلسلة الزوجات الملكية المتصلة بالتعبد إليهن، وإقامة شعائرهن، وهذا التمييز الحاذق قد مُحِي جزء منه على يد الخلف الثاني للملك «بطليموس الرابع» وهو «بطليموس السادس» الذي عين في مدينة «بطلمايس» في عام ١٥٤ق.م كهنة بقدر عدد الأسماء التي كانت في قائمة ملوك الأسرة، هذا مع إبعاد الملكات إلا في الحالات التي تكنَّ فيها هاتيك الملكات موضع تأليه خاص، وهؤلاء الملكات المؤلهات الخاصات — اللائي كانت الملكة «أرسنوي الثانية» تعد أعظم مثال بارز بينهن — كنَّ دائمًا موضع محبة زوجية رسمية أو تقًى بنوي، وعلى ذلك يحق لنا أن نُدهَش غاية الدهشة عندما نرى أن «بطليموس» «فيلوباتور» أي محب والده هو في الوقت نفسه الذي قتل والدته أو حرض على قتلها؛ قد نصب في الإسكندرية كاهنة للملكة «برنيكي» والدته التي فضلًا عن ذلك قد احتلت مكانة مقدسة أعلى من الكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام الملكة «أرسنوي الثانية» محبة أخيها، ولكن من الجائز أن «بطليموس الرابع» قد ندم على فعلته، وكفَّر عن سيئته بهذا العمل.

وهذه الإصلاحات الدينية التي تعد بمثابة فترة فاصلة بين الفظائع المحزنة التي ارتكبها في أوائل حكمه وفي نهايته، وهي الفترة التي تزوج فيها الملك «بطليموس»، وتعتبر بمثابة بشير بعودته إلى حياة الأسرة. غير أن تلك الفترة لم تدم إلا مدة قصيرة؛ إذ استولت عليه الخلاعة ثانية، وملكت عليه مشاعره؛ فقد كان متعودًا على اللهو، ولا مهرب له من تلك الخلاعة الرخيصة المتهتكة التي كانت تنحصر في منادمة الحظيات اللائي من سِفْلة القوم. فقد كانت أمثال هاتيك النسوة هن المسليات له بما جُبِلن عليه من عدم احترام، وفحش في القول الذي كنَّ يتفوهن به أمامه ويلذ له، وبخاصة حظيته التي تُدعَى «هيبا»، وهي ابنة علَّاف كانت قد استولت على لب «بطليموس» لدرجة أنها كانت ترفع الكأس في يمينها وتأمره أن يصبَّ لها الشراب مخاطبة إياه: «أيها الولد الصغير.»[١٤]

أما «أجاتوكليس» سميره الماكر الوضيع، وصاحب السلطان العظيم في إدارة شئون البلاد في الداخل والخارج، وذلك لما بينه وبين «بطليموس» من محبة وصداقة في ميدان الخلاعة، فقد أراد أن يزيد في قوته وسلطانه على الملك، وقد توصل فعلًا إلى ما يرغب فيه

[١٤] Machon. Ap. Athen, XIII, P. 583 a–b.

بأن قدم له أخته الحسناء «أجاتوكليا» التي أشعلت في صدر «بطليموس» نار الشهوة البهيمية العمياء التي كثيرًا ما تودي حتى بأعاظم الرجال إلى مزالق الضلالة، وإلى ارتكاب كل الجرائم.

وقد وصف لنا الكتاب الأقدمون سلطان هذه المرأة على «بطليموس» بصور مختلفة؛ فيقول عنها المؤرخ «بوليبيوس»:[١٥] إنها سيطرت على «بطليموس» وقلبت كل الدولة رأسًا على عقب. ويقول عنها المؤرخ جيروم Jerome[١٦] إنها كانت امرأة مسرات كما كانت مفتنة. ويحدثنا عنها «إسترابون»[١٧] عندما أراد أن يميز «بطليموس الرابع» عن سائر البطالمة بقوله: «بطليموس» «أجاتوكليا».

ولما أخذت هذه الفاتنة على الملك كل مشاعره، وأصبح أسير جمالها، أرادت أن تنتهز الفرصة لتتخلص من «أرسنوي الثالثة» زوجه الشرعية، وذلك ليخلو لها الجو، وتكون هي وحدها صاحبة السلطان فعلًا، ووصلت في نهاية الأمر إلى القضاء على حياة هذه الملكة التي أخلصت لزوجها في ساعة الخطر في موقعه رفح كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق. غير أنه بموت «أرسنوي» أصبحت البلاد فريسة في أيدي «أجاتوكليا» وأخيها «أجانوكليس» وأمهما، والواقع أن هذه الأسرة الوضيعة لم تكتف بالسيطرة على الملك، بل سيطرت على المملكة بأسرها؛ فقد كانوا يظهرون على ملأ الناس الذين كانوا يحبونهم، وكان لهم موكبهم الخاص بهم، وقد حرص «أجاتوكليس» على أن يكون دائمًا بجوار الملك، وبذلك حكم البلاد؛ فكانت النساء يتصرفن في وظائف المدافعين عن الشعب من حكام وقواد، ولم يكن هناك في المملكة من هو أقل سلطانًا من الملك نفسه، وفي الوقت الذي كان فيه «بطليموس» بهذه الصورة سجين حبه، وكأنه في غفلة عما يدور حوله وهو في أحضان فاتنته وافاه القدر المحتوم.

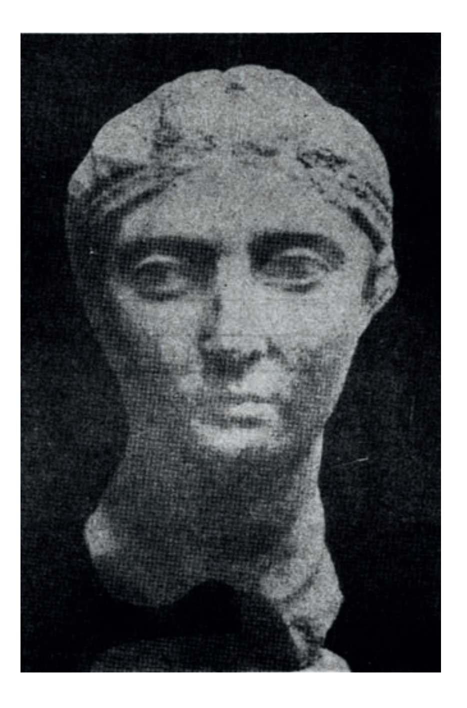
غير أن خبر وفاته بقي سرًّا خفيًّا؛ ليهيِّئ الفرصة لوصيفات «أجاتوكليا» لتنهبن ما في القصر الملكي من كنوز، وفي الوقت نفسه ليتخذ «أجاتوكليس» من التدابير ما يكفل له الاستيلاء على مقاليد الحكم في البلاد بالاشتراك مع عصبة أقل ما يقال عنهم إنهم رجس من عمل الشيطان.

---

[١٥] Polyb. XIV, 11 Ap. Athen. XIII, P. 576 f.

[١٦] Justin XXX, 1, 9.

[١٧] Strab XVII. P. 795.



شكل ١٤-٢: أرسنوي زوج بطليموس الرابع عن تمثال نصفي في متحف الفنون الجميلة (بوستون).

وعلى أية حال فإن قصة «جوستن» الغريبة عن «بطليموس الرابع»[١٨] تدعو إلى شيء من الحذر والتريث في قبولها، وبخاصة عندما نعلم أنه يقلب حوادث التاريخ إلى خطبة رنانة، والواقع أنه عند وصفه للحوادث النهائية التي خُتِمت بموت «بطليموس الرابع» وزوجه «أرسنوي الثالثة» قد استعمل كلَّ ما في جعبته من فصاحة وبلاغة، وذلك باستفراغ كل ما في جوفه من ألفاظ دنسة وتعابير فاحشة؛ ليصور لنا بؤرة الفحش والفساد، التي كان يتمرغ فيها «بطليموس الرابع»[١٩] ومع ذلك فإن ما قصه علينا على

[١٨] Justin, XXX. 2.

[١٩] Ibid, XXX, 1, 7, 2. 1–6.

الرغم مما فيه من أخطاء تاريخية فإنه في مجموعة قد أكدته مصادر أخرى أضافت لنا على ما ذكره أمورًا أخرى عن بشاعة هذه المأساة التي ارتُكبت في خدر الملكة «أرسنوي الثالثة»؛ فقد ذكر لنا مؤرخ بيزنطي[٢٠] أن الملكة «أرسنوي» لم تلاق حتفها إلا بعد موت زوجها «بطليموس الرابع». فالشائع أنها كانت سجينة منبوذة في القصر، وأن «أجاتوكليا» قضت على حياتها بحيلة.

وعلى الرغم من أن الأخذ بما قاله «جان الأنطاكي» لا يُعتَمد عليه إلى حدٍّ ما؛ إذ كان في قدرته أن يرجع إلى مصادر أوثق في هذا الصدد، إلا أنه مع ذلك ما أكده من وقائع يتفق بصورة أحسن عما ذكره لنا «جوستن» إذا ما قرن بمتن أورده لنا المؤرخ «بوليبيوس»، عُثِر عليه حديثًا.

والواقع أن «بوليبيوس»[٢١] قد وصف لنا تتويج الملك الطفل الذي أطلق عليه لقب «إبيفانوس»، وذلك بعد أن سبق هذا الإعلان الرسمي الذي أصدره «سوسيبيوس» و«أجاتوكليس» على الشعب بموت الملك «بطليموس فيلوباتور» والملكة «أرسنوي الثالثة».

وعلى أية حال فإن المجرمين الذين اشتركوا في إخفاء موت الملك وقتل الملكة قد استولى عليهم الفزع، ورأوا أن الوقت قد حان لإعلان تولية الملك الجديد على عرش البلاد، كما وجدوا أنه من الضروري في الوقت نفسه أن ينشروا الشائعة بأن «بطليموس الرابع» قد حضره الموت وهو على فراشه، وأنهم في طريقهم لاتخاذ الإجراءات اللازمة لتولية خلفه، وبعد مضي ثلاثة أيام أو أربعة على هذا الخبر جمع كل من «أجاتوكليس» و«سوسيبيوس» عظماء رجال الدولة، وأكد لهم موت الملك والملكة، وفرضا حدادًا عامًا بمناسبة هذا الحادث على حسب عادة البلاد؛ وعلى أثر ذلك وُضِع التاج على رأس الملك الطفل، وأُعلن فرعونًا على البلاد؛ وبعد ذلك قُرِئت وصية ملفقة جاء فيها أن الملك قد نصب كلًّا من «أجاتوكليس» و«سوسيبيوس» وصيًّا على الملك الطفل، وأخيرًا نجد أنهما حثَّا الموظفين على أن يظهروا بمظهر الرعايا الموالين، وأن يحافظوا على حقوق هذا الملك الطفل.

وبعد الفراغ من كل ذلك حمل هذان الماكران إناءين من الفضة وادَّعيا أن واحدًا منهما يحتوي على بقايا عظام الملك، والثاني يحتوي على بقايا رفات الملكة «أرسنوي

[٢٠] Jo. Antioch., fr. 54 = FHG; IV, P. 558.

[٢١] F.H.G. II. P. XXVII–XXX; Polyb &V, 25 = Dindorf = 25 Hulesch.

الثالثة» والواقع أن أحد الإناءين كان فيه بقايا رفات الملك المتوفَّى حقيقة، غير أن الإناء الآخر كان مملوءًا بالعطور وحسب، وبعد الانتهاء من تمثيل هذه المهزلة أمر هذان الوغدان في الحال إقامة حفل جنازي للملك والملكة، وفي خلال ذلك ظهر للعيان ما حل بالملكة، وذلك أنه على إثر إفشاء أمر موتها أخذ القوم يتساءلون عن الأحوال التي ماتت فيها، ولمَّا لم يتلق الشعب أي جواب شافٍ، وأن حقيقة الأمر لم تنشر بل ظلت موضع جدال أدَّى إلى ازدياد خطورة الموقف في نفوس كل أفراد الشعب؛ يضاف إلى ذلك أن الجم الغفير من سكان الإسكندرية كانوا في حالة هياج شديد، وقد لوحظ أنه من جهة موت الملك لم يَنْبِس أي فرد من الشعب بِبِنْت شفة، ولكن فيما يخص الملكة «أرسنوي» فقد عاد إلى ذاكرة بعض الناس هجر الملك لها، وعزلتها عن الشعب، كما كان يمر بخاطر بعضهم الآخر ما كانت تتجرعه من سوء معاملة، وحط كرامة منذ بداية حياتها التي كانت خاتمتها البؤس والتعاسة، ثم الاغتيال، ولقد بلغ من ذهول الشعب وحزنهم عليها درجة جعلت سكان المدينة يملئون جوها بالنحيب والعويل بصورة مستمرة حتى إنهم بمقدار عطفهم عليها كان سخطهم وكرههم وغضبهم على «أجاتوكليس» وأسرته التي كانت سببًا في كلِّ ما حلَّ بمليكتهم الشهيدة من مآسي انتهت بالموت غدرًا.

وعلى أية حال فإنه لا يزال أمامنا بعض نقاط غامضة في هذه المأساة لم يتحدث عنها مؤرخنا الرئيسي في هذه الفترة، وأعني به «بوليبيوس» إلا باختصار؛ فمن ذلك أن أهل الإسكندرية الذين لم يهتموا إلا قليلًا بمعرفة إذا كان الملك قد لاقى حتفه على فراشه، فهل كانوا يعلمون من جهة أخرى وقتئذٍ أن «أرسنوي» التعسة قد قُتِلت بيد رجل يدعى «فيلامون»؟[٢٢] هذا ولما كانت التقوُّلات تسير في فلكها، وأن الحقيقة قد تنكشف، فهل شك الناس فعلًا في أن بقايا رفات «أرسنوي» لم تكن في الإناء الذي قيل عنه أنها فيه، وأن الحقيقة قد ظهرت بصورة أكيدة في الحال؟

ولما كان «بوليبيوس» يعتقد في صحة هذا الخبر فإنه لم يجد من المناسب أن يفسِّر لنا ماذا كان مصير جثمان «أرسنوي». فهل يا ترى قد صدرت الأوامر بإخفائه حتى لا تكشف الآثار التي تُركَت على جثتها بالخنجر الذي طعنت به أو من آثار السم؟ … ولا نزاع في أن إعلان خبر موت الملك والملكة في آن واحد على الشعب بتقديم آنيتين فيهما

---

[٢٢] Polyb. XV, 25 a, 9.

بقايا جسمانهما لأمر يدعو إلى الشك والريبة؛ وبخاصة أن هذا الإعلان أذيع فجأة وبدون سابق إنذار بمرض الملك أو الملكة.

وعلى أية حال فإن الطريق التي اتبُعت في الاحتفال بتشييع جنازتهما كان أمرًا مخالفًا لما كان يجري به العرف بالنسبة لملوك هذه الأسرة، ومن أجل ذلك كان هذا الاجراء مدعاة لتعليق أهل الإسكندرية بأقوال مريبة، ولقد كان من حق الشعب في مثل هذه الظروف أن يرتاب، وتذهب به الظنون كل مذهب؛ وذلك لأن «بطليموس الرابع» قد مضت عليه فترة طويلة لم يره الشعب بينهم؛ ولقد ذهب بعض المؤرخين في قوله إلى أن أهالي الإسكندرية لم يروه رأي العين منذ سنين؛ ومن ثم ظن بعضهم أنه قد مات منذ زمن طويل.

وعلى أية حال فقد قص علينا المؤرخ جوستن[٢٣] أن موت «فيلوباتور» قد أُخفِي أمره على الشعب بعض الوقت بوساطة حاشيته، ولكن يتساءل المرء كم من الوقت؟ وعلى أية حالٍ دلت البحوث الحديثة على أن «بطليموس الرابع» قد بدأ حكمه في فبراير عام ٢٢١ق.م ومات في نوفمبر عام ٢٠٥ق.م.[٢٤]

ولم يكد يعلم كل من ملك «سوريا» وملك «مقدونيا» بموت «بطليموس الرابع» وارتباك الأحوال في داخل مصر حتى أبرما معاهدة فيما بينهما كان الغرض منها تقسيم أملاك مصر الخارجية، بل وإذا اقتضى الأمر تقسيم مصر نفسها بينهما،[٢٥] وكان من البدهي أن الملكين المتآمرين على مصر وأملاكها أن يسرعا في اقتناص الفرصة التي أتيحت لهما، وأن المعاهدة المبرمة بينهما وهي التي جاءت على أعقاب موت «فيلوباتور»، لا بد كانت قد وقعت قبل نزولهما ميدان القتال بزمن قليل، والواقع أن «أنتيوكوس» لم يشرع في غزو «سوريا» الجوفاء إلا في عام ٢٠٢ق.م على أكثر تقدير.

وفي تلك الأثناء التي كان يدبر فيها ملكا «سوريا، ومقدونيا» غزو أملاك مصر كان كل من «أجاتوكليس» وشركائه في المؤامرة التي نفذوها في حيرة من أمرهم، ولم يكن في مقدورهم وجود سبيل للخروج من الورطة التي زجُّوا بأنفسهم فيها إلا بالجرأة والمخاطرة، وتدل ما لدينا من معلومات على أن «أجاتوكليس» هو الذي لعب الدور الأول

---

[٢٣] Justin., XXX 26.

[٢٤] راجع مصر القديمة الجزء ١٤.

[٢٥] Polyb, III, 2, 8, XV, 29, Liv. XXXI, 14.

في هذه الحوادث المحزنة، أما «سوسيبيوس» شريكه فكان يقفو أثره؛ لأنه لم يكن في استطاعته أن يتخلَّى عن الموقف الحرج المخزي الذي أوجد نفسه فيه، وإلا ضاعت حياته. حقًّا كان هذا الرجل المسن المحنك في نهاية مجال حياته السياسية، ولا شك في أنه كان يريد أن يختم حياته بوصورة أكثر هدوءًا من التي أوجد نفسه فيها، وبخاصة بعد اغتيال الملكة، وموت الملك، وانفضاح سر المؤامرة التي أودت بحياة الملكة غدرًا وخيانة.

ويتساءل المرء عما لو كان قد امتد أجل «سوسيبيوس» واشترك في كسب النجاح الذي أحرزه زميله «أجاتوكليس» الذي لم يدم طويلًا، ولم يدل على شيء إلا على سوء التدبير، وقلة البصيرة؟ ومهما يكن من أمر فإن «سوسيبيوس» لم يمتد به الأجل لينال العقاب الذي كان يستحقه، أما «أجاتوكليس» فتدل الحوادث على أنه قد أفلح في الواقع لمدة في مقاومة الشعب، وتوبيخه، وفرض نفسه وصيًّا على الملك الطفل، وكان يأمل أن يحكم باسمه؛ ولكن في وسط هذه الاضطرابات، والذهول والدهشة التي عمَّت الجميع، كانت القلوب مملوءة بالغيظ والحنق عليه، ومع ذلك لم يكن هناك من يصرخ الصرخة الأولى المدوية التي تطلق الثورة الكامنة في نفوس الشعب الحائر من عقالها، وذلك لأن «أجاتوكليس» وبطانته قد اتخذوا كل العدة لعدم قيام فتنة، ولكن على الرغم من كل هذه الاحتياطات المشددة فإن نار الثورة اندلع لهيبها معلنة ساعة محاكمة المجرمين أمام محكمة الشعب الثائر، وهي التي قضت بموت «أجاتوكليس» بسبب ما ارتكبه من جرائم، وبخاصة قتل الملكة «أرسنوي الثالثة»، كما سنرى بعد في الجزء التالي من هذه الموسوعة.

الفصل الخامس عشر

الآثار التي خلفها بطليموس الرابع أو وُجِد اسمه عليها

أقام «بطليموس الرابع فيلوباتور» مباني عظيمة في أنحاء القطر، كما أصلح عدة معابد أو زاد فيها، ولا غرابة في ذلك فإنه على الرغم من ميله إلى الخلاعة والدعارة كان مع ذلك مهتمًّا بالمسائل الدينية، والعمل على إرضاء المصريين، وبخاصة بعد أن أحسَّ أن الشعب المصري كان لا يزال يحتفظ بشخصيته، ويناضل عن حقوقه، وتدل ظواهر الأمور على أنه أراد أن يربط بين العقيدة المصرية القديمة وبعض العقائد الإغريقية، وبوجه خاص بين الإله «ديونيسوس» والإله «سرابيس» أو بعبارة أخرى ديانة «أوزير».

وسنحاول هنا أن نعدد بعض الآثار الهامة التي خلَّفها لنا «بطليموس الرابع» في أنحاء القطر المصري.

(١) الوجه البحري

(١-١) «منف». معبد «بتاح»[١]

وُجِدت عند مدخل معبد الإله «بتاح» قِطَع من الجرانيت الأحمر لبوابة أقامها «بطليموس الرابع» وهذه القطع من خارجة البوابة، وقد وجد هناك كذلك اسم الملكة «أرسنوي» وعلى أغلب الظن لا بد أن تكون «أرسنوي الثالثة» زوج «بطليموس الرابع».

---

[١] Petri Memphis I. P. 14.

(١-٢) منف[٢]

وُجِدت قطعة من لوحة نُقِشت بثلاث لغات: الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية، وهي مستديرة في أعلاها، ونُقِش عليها الطُغْراءات الثلاث الآتية:

(١) ابن «رع» رب التيجان (بطليموس عاش أبديًّا محبوب «إزيس»).
(٢) ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين (وارث الإلهين المحسنين المختار من «بتاح» قوية روح «آمون» «رع»).

(١-٣) أرسنوي

وهذه اللوحة مصنوعة من الجرانيت عُثِر عليها في «ميت رهينة» (كوم القلعة).

ووَجْه هذه اللوحة الرئيسي مغطًى بالصور والنقوش الهيروغليفية، وقد نُقِش على القطعة اليسرى النقش الديموطيقي والنقش الإغريقي. هذا ويشاهد في الجزء الأعلى قرص الشمس المجنح، ومعه «بحدتي» الإله العظيم رب السماء، ويحيط به صلان؛ وتحت قرص الشمس يُشاهَد الملك «بطليموس الرابع» ممتطيًا جوادًا يجري وهو يطارد عدوًّا مجدلًا على الأرض، ويطعنه بحربته، وهذه هي المرة الثالثة التي يُشاهد فيها منظر من هذا النوع ممثلًا على أثر مصري.

أما المثل الثاني فهو لوحة «كورنيليوس جالوس» CorniliusGallus والمرة الثالثة فهي ما جاء على لوحة بتوم الجديدة التي سنتحدث عنها فيما بعد، وقد نُقِشت كذلك باللغات الثلاث السابقة، هذا ويشاهد خلف الملك «بطليموس الرابع» الملكة «أرسنوي الثالثة» واقفة وفي يدها اليمنى صولجان في هيئة ساق نبات اللوتيس، وفي يدها اليسرى رمز الحياة، وترتدي ثوبًا يفسر مفاتن جسمها، وعلى رأسها تاج له ريشتان.

---

[٢] Cat. Gen. Mus. Caire, No. 31, 88; spielgelberg. Dem. Inschriften. Pl. II. PP. 14–20; Kamal. Steels Ptolemaiques etc. Pl. LXXIV, PP. 218–19.

وتحت هذه الصورة نقرأ بقايا ثمانية أسطر بالهيروغليفية نُقِشت أفقية ولكنها مهشَّمة:[٣] ... و... «حور الذهبي» رجل «بقت» (أي مصر) الذي يضيء المعابد، ويثبت القوانين مثل «تحوت» المزدوج العظمة رب العيد «بتاح».

وباقي متن اللوحة مهشَّم ولا يمكن أن نصل منه إلى معنًى متصل.

وقد فحص العالم «شبيجلبرج» هذه اللوحة، ويشك في أنها خاصة بالحرب التي كانت بين مصر و«أنتيوكوس الثالث».

(١-٤) سقارة

لوحة جنازية مستدير أعلاها، وصاحبها هو القاضي الأكبر لمعبد «بتاح» في «منف» ويلقب: الأمير الوراثي، والحاكم، وكاهن «منف» الأكبر ابن «أنم حرعا» وأمه تُدعَى «نب حرعا عنح».

وقد نُقِش عليها منظر مُثِّل فيه «أنم حرعا» يصب الماء أمام «أوزير»، ويقص علينا متن هذه اللوحة: أن الشعائر الجنازية كان يؤديها ابنه الأكبر المسمَّى «نسي-قدي» وهو ابن سيدة تدعى «نفر أتت». هذا، ويُلحَظ أنه قد تُرِك في صلب المتن فجوات لم تُنقَش لأجل أن يُنقَش عليها تاريخ وفاة صاحبها وسنه فيما بعد، وكان ابنه كاهن «بطليموس الرابع» والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لأبيهما.

ويبلغ ارتفاع هذه اللوحة قدمين، وعرضها قدمًا وبوصة ونصفًا، وعُثِر عليها في «سقارة»، وكذلك نعلم أن تابوت هذا الكاهن محفوظ بمتحف «ليدن»[٤] الآن.

هذا ولدينا تابوت لرجل يُدعَى «أحمس» بن «هرو» محفوظ بمتحف «برلين»، وكان صاحبه يشغل وظيفة الكاهن الأعظم للإله «بتاح»، وفضلًا عن ذلك كان يقوم بشعائر الإلهين المحسنين «بطليموس الثالث» والإلهين اللذين يحبان والدهما (أي بطليموس الرابع).[٥]

---

[٣] A.S. Cahier 16. P. 254.

[٤] Leemans, Seg. Mon. Leyden, III, Pls L. VII–XII. Guide Sculpture (1909) PP. 267–8.

[٥] Brugsch Thesaurus. P. 909–910, L.R. IV. P. 272, No. XXXIII 1, 2.

(١-٥) صان الحجر معبد «بطليموس الرابع»

عثر الأثري «مونتيه»[٦] في خلال الحفائر التي قام بها في «صان الحجر» على بقايا مبنًى أقامه الملك «بطليموس الرابع» وهذا المبنى يقع مباشرة بعد المعبد الذي أقامه الملك «أبريز» على أنقاض مبنًى آخر … وعلى الرغم من أن مبنى «بطليموس الرابع» لم يبق منه شيء قائم في مكانه، إلا أنه أمكن تحديد أبعاده؛ فواجهة هذا المعبد (أو القصر) يبلغ طولها على أقل تقدير ٣٧ مترًا، وطول كلٍّ من جانبيه الشرقي أو الغربي يبلغ على أقل تقدير ٣٠ مترًا، وهذا المبنى قد أقيم على قاعدة من الرمل يحيط بها سور من اللبنات.

والواقع أن المبنى نفسه لم يبق منه شيء، وليس لدينا إلا الأساس الذي بدوره قد استُعمل فيما بعد بمثابة محجر، ولكن عندما نظفت رقعة المعبد ظهر أن قطع الأحجار التي صُنِعت ترجع إلى عهد الدولة القديمة، وقد اتضح من فحص قطعتين منها أن النقوش التي عليها تمثلان جزءًا من العيد «سد» أي العيد الثلاثيني، والظاهر أنهما من عهد الملك «نوسررع» أحد ملوك الأسرة الخامسة، ولا نزاع في أن ملوك هذه الأسرة كانوا يحفلون في هذه البلدة بالعيد الثلاثيني على الرغم من أن المكان الذي كان يُقام فيه هذا العيد هو مدينة «منف» عاصمة الملك. هذا، وقد وُجِدت بعض نقوش تدل على أن هذا الملك كان مهتمًّا بعبادة «ديونيسوس» كما أشرنا إلى ذلك من قبل، والواقع أن ودائع الأساس التي وُجِدت في زوايا هذا المبنى لم يبق منها إلا التي في الزاوية الشمالية الشرقية، وكذلك التي في الزاوية الشمالية الغربية، ويحتوي على عدة قطع أثرية غاية في الأهمية أثبتت أن الذي أقام هذا المبنى هو «بطليموس الرابع» وهي كالآتي:

(١) ودائع الزاوية الشمالية الشرقية: لوح من الذهب أبعاده ٧٢ × ٣٠ مليمترًا، وقد نُقِش عليه سطران بالهيروغليفية جاء فيها:

> ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وارث الإلهين المحسنين، المختار من «بتاح» وسر كارع، تمثال «آمون» الحي) ابن رع (بطليموس العائش أبديًّا

[٦] P. Montet. Tanis Douze de Fouilles dans une Capitale oubliée du Delta Egyptien. P. 207–211.

محبوب «إزيس») ومحبوب الإلهة «موت»، والإله «خنسو» الطفل، الإلهين المتحابين «فيلادلفوس» والإلهين اللذين يحبان والدهما.

وهذا المتن وُجِد مكررًا على لوحين من القاشاني أبعادهما ٩٧ × ٣٩ و٩٥ × ٤١ مليمترًا، وكذلك على لوح من القاشاني، ولوح من مادة حمراء رشيقة أبعادها: ٥٧ × ٣٦ و٥٩ × ٣٤ مليمترًا.

والمفهوم أن الطُّغْراءات هي «لبطليموس فيلوباتور» الذي وُضِع هنا تحت حماية الإلهة «موت» والإله «خنسو الطفل»، وكانا يقدسان كثيرًا في «تانيس» منذ عهد الملك «بسوسنيس»، ويُلحَظ هنا أنه قد أشير إلى عبادة «بطليموس الثاني» وزوجه «أرسنوي الثانية»، وكذلك إلى «بطليموس الرابع» وزوجه بوصفهما إلهين، ولم يُشَر هنا إلى «بطليموس الأول» وزوجه «برنيكي»؛ وذلك لأن عبادتهما لم تكن قد فُرِضت رسميًّا بصورة عامة.

هذا ووُجد، فضلًا عما ذكر، زوج من الصناجات من القاشاني الأزرق الباهت، وقطعتان من الحجر الرملي، وقالب من المرمر، وآخر من اللازورد، وثالث من الفيروز، ورابع من الكورنالين. كما وُجِد قالبان من غرين النيل، وقالب من الصمغ، ولوحة من الفضة، ولوحة من البرنز، ولوحة من المعدن، وصحن من البرنز، وكأس من البرنز، وحوض من الطين المحروق، وثلاث طاسات من القاشاني الملون، ومِقَص وعدد كبير من الآلات المصنوعة من البرنز والحديد، وهذه الودائع، محفوظة بالمتحف المصري الآن.

(٢) ودائع الركن الشمالي الغربي: تحتوي هذه الودائع أولًا على لوحة من الذهب تشبه السابقة، وعلى أربعة ألواح من القاشاني نُقِش عليهما المتن الذي ذكرناه في الودائع الأولى؛ هذا بالإضافة إلى مجموعة من الأشياء تشبه التي وُجِدت في الودائع السابقة: زوج من الصناجات، ولوحات وأحواض وكئوس وآلات من الحديد ومن البرنز، وكل هذه قد صُنِعت في هيئة نماذج صغيرة، وهذه المجموعة موجودة في متحف «اللوفر»؛ أي إن الآثار التي كُشِفت من هذه الودائع قُسِّمت مناصفة!

(١-٦) وادي طميلات لوحة بتوم الجديدة[٧]

عُثِر في بلدة بتوم القديمة (تل المسخوطة الحالي) على لوحة منقوشة بثلاث لغات؛ وهي الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية، وتعد بمثابة قرار أصدره مجلس الكهنة المصريين في «منف» في نوفمبر عام ٢١٧ق.م؛ وذلك ابتهاجًا بالنصر العظيم الذي أحرزه المصريون في «سوريا» على «أنتيوكوس الثالث». على أن من يقرأ هذا المنشور لا يجد فيه ما يشفي الغلة عن الحملة على بلاد سوريا، وتلك هي الحال في كل المنشورات المصرية؛ لا تتحدث كثيرًا عن الموضوع الذي وُضِعت من أجله، بل نقرأ فيها تكرارًا للعبارات الرسمية أو الاتباعية، وهي تشبيه الملك بالإله «حور» وقتله لأعدائه وأسرهم والاستيلاء على غنائم هائلة من الذهب والفضة والأشياء الثمينة.

وكذلك تحدثنا عن أن الملك قد أعاد لمعابد سوريا التماثيل التي ألقى بها «أنتيوكوس» خارج المعابد، كما أنه أصلح ما شوَّهه العدو، وغير ذلك مما سنقرؤه في ترجمة المنشور من الأشياء المعتادة، ولكن هناك ناحية هامة في هذا المنشور؛ وذلك أنه قدم لنا بعض تواريخ لم تكن معروفة من قبل، وأهم من ذلك ما يُلحَظ من زحف الصيغ المصرية على الصيغ الملكية البطلمية، ولا أدل على ذلك من أننا للمرة الأولى — كما أشرنا إلى ذلك من قبل — نرى أن الصيغ التي كان يُعبَر بها عن الملكية المصرية من حيث الأسماء والألقاب قد ظهرت بالإغريقية في هذا المنشور، ولم تكن موجودة في منشور «كانوب».

وكذلك يذكر لنا هذا المنشور، فضلًا عن ذلك، الصيغ الجديدة للعبادة التي قُرِّرت في المعابد المصرية على شرف الأسرة الحاكمة، ونخص بالذكر منها إقامة صور للملك «بطليموس الرابع» «فيلوباتور» و«أرسنوي» وهي صور محفورة على الطراز المصري القديم تمثل الفرعون وهو يطعن بحربته أعداءه المجدلين في ساحة القتال، وكذلك

[٧] هذه اللوحة عثر عليها في عام ١٩٢٣ السباخون في تل المسخوطة، وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري تحت رقم ٥٠٠٤٨ وهي عبارة عن الجزء الأعلى من لوحةٍ أعلاها مستدير، وهي مصنوعة من الحجر الجيري الأبيض، وارتفاعها ٠٫٦٣ × ٠٫٦٥ مترًا، وسمكها ١٦ سنتيمترًا، ويوجد أسفل الصور التي على وجهها الأمامي بقايا اثني عشر سطرًا من المتن الهيروغليفي، وعلى الوجه الخلفي يوجد ثلاثة وأربعون سطرًا بالديموطيقية مقابل الأسطر الهيروغليفية، كما تحتوي على بعض أسطر بالإغريقية تحت النص الديموطيقي.

تحدثنا عن الاحتفال بعيد موقعة «رفح» وامتداد الأفراح بعده مدة خمسة أيام بمثابة عيد، وكذلك عيد آخر في العاشر من كل شهر على شرف «بطليموس الأول» وزوجه.

وهاك ترجمة المنشور ترجمة حرفية:

في اليوم الأول من شهر «أرتميسيوس» Artemisius وهو على حسب التقويم المصري اليوم الأول من بابة في السنة السادسة من حكم «حور» الفتى، القوي، الذي جعله والده يظهر بمثابة ملك سيد تاج الوجه البحري، ومَن قوته عظيمة، ومَن قلبه مليء بالتُّقى نحو الآلهة، حامي الرجال، والمتفوق على أعدائه، ومن يجعل مصر سعيدة، ومن يمنح المعابد بهجة، ومن يثبت بقوة القوانين التي أُعلِنت بوساطة «تحوت» المزدوج العظمة، وسيد الأعياد الثلاثينية مثل «بتاح» العظيم، وهو ملك مثل الشمس، وملك الوجه القبلي والوجه البحري، وسلالة الإلهين المحسنين، ومن وافق عليه «بتاح»، ومن منحته الشمس النصر، وصورة «آمون» الحية، الملك «بطليموس» العائش سرمديًّا، محبوب «إزيس»، وعندما كان «بطليموس» بن «آروبوس» Aerobus كاهن «الإسكندر» والإلهين المتحابين، والإلهين المحسنين، وعندما كانت «رودا» Rhoda؛ ابنة«بيرهون» Pyrrhon حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

مرسوم وضع هذا اليوم: يعلن رؤساء الكهنة، والكهنة خدم الآلهة، والكهنة الذين يدخلون المحراب الداخلي لإلباس الآلهة، وكتاب الكتاب المقدس (أي حملة الريش) والكتاب المقدسون، والكهنة الآخرون الذين وفدوا سويًّا على الملك من كل أنحاء مصر إلى «منف»، في الوقت الذي عاد فيه إلى مصر، لأجل أن يقدموا له طاقات الزهور والتعاويذ، وليقدموا الضحايا والقربان المحروق والقربات السائلة، وليؤدوا الأشياء الأخرى المعتادة في مثل هذه الفرصة، وهم مجتمعون في معبد «منف».

لما كان إحسان الملك «بطليموس» بن «بطليموس» والملكة «أرسنوي» (المقصود هنا الملكة «برنيكي») الإلهين المحسنين؛ قد جلب فوائد على خدمة الآلهة، وذلك بسبب الاهتمام الذي أظهروه في كل الأزمان، وذلك فيما يخص شرفهم، فقد حدث أن كل آلهة مصر وإلهاتها قد ذهبوا أمامه، ووجهوه في الطريق، وحموه في أي وقت ذهب فيه إلى أرض الآشوريين، وأرض الفينيقيين، وقد أسبغوا عليه إيحاءات واعترفوا له وأوحوا له بواسطة رؤيا في المنام

قائلين له: إنه سيتغلب على أعدائه، وإنهم أنفسهم لن يتخلوا عنه في ساعة الخطر، ولكن سيقفون بجانبه ليحموه.

وفي السنة الخامسة في اليوم الأول من بَشَنْس زحف من «بلوز» وحارب «أنتيوكوس» عند مدينة تُدعَى «رفح» بالقرب من حدود مصر، وهي في الشرق من بتيلا Bethelea و«بسنوفر» Psinufer (؟)، وفي اليوم العاشر من الشهر المذكور تغلب عليه بطريقة عظيمة نبيلة. فأولئك الذين أمكنهم أن يقتربوا منه في ميدان الموقعة، جدَّلهم صرعى على الأرض أمامه، كما ذبح «حور سئيسي» خصومه في الأزمان القديمة، وأجبر «أنتيوكوس» على أن يُلقِي بتاجه على الأرض، وكذلك خوذته الملكية، وهرب «أنتيوكوس» وحرسه، ولم يكن معه عندئذٍ إلا قلة، بصورة تدعو للأسي والحزن، بعد هزيمته، وقد تكبد معظم جنوده خسائر فادحة، وقد رأى خيرة أصحابه يموتون بصورة تعسة، وتكبدوا ألم الجوع والعطش، وكل من تركهم خلفه أُخذوا غنيمة حرب، ولم يكن في مقدوره أن يصل إلى وطنه إلا بشق الأنفس، وهو يتوجع حزنًا في قلبه، وبعد ذلك استولى الملك بمثابة غنيمة على كثير من الذهب والفضة، وكل الأشياء الثمينة الأخرى التي كانت موجودة في الأماكن العدة التي كان مستوليًا عليها «أنتيوكوس»، وأحضرها معه تحت سلطانه، وأمر بأن يحملوا جميعًا إلى مصر.

ثم أخذ يتنقل في الأماكن الأخرى في ملكه، فذهب إلى المعابد التي كانت هناك، وقرَّب قربات محروقة، وقرب قربات سائلة؛ وقد استقبله كل سكان المدن بقلب منشرح، وهم في إجازة واقفين في انتظار وصوله؛ في حين كانت محاريب الآلهة متوجة بالأكاليل، ومحضرين قرابين محروقة، ووجبات من القربات، وقد قام الكثير منهم بصنع إكليل من الذهب له، والشروع في إقامة تمثال ملكي على شرفه وإقامة معابد، واتفق أن الملك سار في طريقه بوصفه رجلًا مقدسًا. أما من حيث صور الآلهة التي كانت في المعابد، وهي التي كان قد شوَّهها أنتيوكوس (لا بد أنه يقصد هنا تماثيل الملوك المؤلهين) فإن الملك أمر بأن يصنع بدلًا منها لِتحلَّ محلها، وقد منح كثيرًا من الذهب والفضة والأحجار الكريمة من أجلها، وكذلك أمر بأن توضع أوانٍ في المعبد بدلًا من التي استولى عليها هؤلاء الناس، وقد عزم على أن يوضع بدلًا منها، أما المال

الذي كان قد منح المعبد فيما سلف وهو الذي قد انتقص، فقد أمر بأن يعاد إلى مقداره السابق.

هذا، ولأجل ألا يكون أي شيء ناقصًا مما ينبغي عمله للآلهة، فإنه على أثر سماعه بأن ضررًا كبيرًا قد حاق بصور آلهة المصريين؛ أصدر منشورًا للأقاليم التي كان يسيطر عليها خارج مصر آمرًا بألا يحدث أي إنسان بها أضرارًا أخرى، وأبدى رغبته في أن يفهم كل الأجانب عظم الاهتمام الذي يكنه في قلبه لآلهة مصر. هذا، إلى أن موميات الحيوان المقدس التي وُجِدت (في فلسطين) فإنه قد أمر بحملها لمصر، وأمر كذلك بأن يقام لها جنَّاز كريم، وتوضع في أضرحتها، وكذلك تلك التي أصابتها أضرار فقد أمر بأن تُحمَل إلى مصر بالاحترام وتنقل إلى معابدها.

وقد فكر جِديًّا من أجل الصور المقدسة التي كانت قد سُلِبت من مصر إلى أرض السوريين وأرض الفينيقيين في الوقت الذي خرب في الميديون معابد مصر، وأمر بأن يحصلوا عليها بجد، وتلك التي وجدت فيها فضلًا عن التي كان قد أحضرها والده لمصر، فإنه أمر بأن يؤتى بها ثانية لمصر، وإقامة عيد على شرفها، وتقديم قربات محروقة أمامها، وأمر بأن تعاد إلى المعابد التي كانت قد أُخذت منها من قبل، وأمر بإقامة معسكر محصن لجنوده، وأسكنهم فيه طالما كانت هناك رغبة … (أعداؤه) ليأتوا ويحاربوه، وعندما أصبحوا في حالة حسنة كرة أخرى فإنه أرخى العنان لجنوده فخربوا مدنهم، ولما لم يكن في مقدورهم حماية أنفسهم فإنهم خربوها، وقد أوضح لكل الناس أن قوة الآلهة قد صنعتها، لم يكن هناك فائدة من شن الحرب عليها (المدن) ثم رحل من هذه الأقطار بعد أن استولى على كل أماكنهم في واحد وعشرين يومًا.

وبعد الخيانة التي ارتكبها القواد والجنود (يقصد بذلك الثورة التي قامت في الإسكندرية أثناء غيابه) عقد اتفاقًا مع «أنتيوكوس» لمدة عامين وشهرين، وقد وصل ثانية إلى مصر في عيد المصابيح، وهو يوم ولادة «حور» (أي ١٢ أكتوبر) وذلك بعد رحلة مقدارها أربعة أشهر، وقد رحَّب به شعب مصر؛ لأنهم كانوا فرحين بسبب أنه حافظ على المعابد، وأنقذ كل الناس الذين كانوا في مصر، وقد عملوا كل ما يجب لاستقباله بفخامة وبهجة بما يتفق مع أعماله البطولية، وقد انتظره رفاق المعابد عند كل مراحل الإرساء على النهر

مع المستلزمات، والأشياء الأخرى من التي جرت العادة استعمالها في مثل هذا الاستقبال، لابسين الأكاليل، وهم في عيد، ومحضرين قربات محروقة وقربات سائلة، وهدايا عدة. ثم ذهب إلى المعابد وقدَّم قربات محروقة، وحبس عليها دخلًا كثيرًا خلافًا لما كان قد حبس عليها من قبل، والصور المقدسة التي كانت ناقصة منذ القدم من بين التي كانت في المحراب الداخلي، وكذلك التي كانت تحتاج إلى إصلاح فإنه جددها كما كانت عليه من قبل، وأعطى ذهبًا كثيرًا، وأحجارًا كريمة من أجل ذلك، ومن أجل أشياء أخرى كانت الحاجة ماسَّة إليها، وأمر بصنع أثاث كثير خاص بالمعبد من الذهب والفضة، وهذا فضلًا عن أنه تحمل فعلًا مصاريف باهظة من أجل حملته الحربية بإعطاء أكاليل من الذهب لجيشه بما يقدر بثلاثمائة ألف قطعة من الذهب، وقد أغدق فوائد عدة على الكهنة ورفاق المعبد، وكل الناس في جميع مصر مقدِّمًا الثناء للآلهة؛ لأنهم قد أوفوا بكل شيء وعدوا به.

وعلى ذلك قرر بحظ موات:

لقد تأتَّى إلى قلوب كهنة معابد مصر أن يزيدوا الإكرامات السالفة الذكر التي قُدِّمت في المعابد للملك «بطليموس» العائش سرمديًّا، ومحبوب «إزيس» ولأخته الملكة «أرسنوي» الإلهين المحبين لوالدهما، وكذلك التي قدمت لوالديه، الإلهين المحسنين، والتي قدمت لأجدادهما الإلهين المتحابين والإلهين المخلصين.

وكذلك سيُنصَب تمثال ملكي للملك «بطليموس» العائش أبديًّا محبوب «إزيس» وهو الذي سيُسمَّى تمثال «بطليموس» المنتقم لوالده، ومن نصره كامل، وتمثال لأخته «أرسنوي» الإلهة محبة والدها في معابد مصر في كل معبد مستقل في أبرز مكان في المعبد، على أن يكون منحوتًا على حسب الفن المصري، وكذلك عليهم أن يعرضوا تمثالًا للإله المحلي في المعبد، وأن يُنصَب عند مائدة القربات التي تنصب فيها صورة الملك، ويكون الإله يقدم للملك سيف نصر، وعلى الكهنة الذين في المعبد أن يقدموا تحياتهم للصور ثلاث مرات يوميًّا، وأن يضعوا أثاث المعبد أمامهم ويؤدوا الأشياء الأخرى لهم التي يُستحسَن عملها كما يُعمَل للآلهة الآخرين في أعيادهم ومهرجاناتهم وأيامهم الخاصة.

وصورة الملك المرسومة بالألوان على اللوحة (فوق النقوش تمثله ممتطيًا صهوة جواد، ومرتديًا درعه وعلى رأسه التاج الملكي)، وينبغي أن تمثله وهو يقتل فردًا راكعًا، ومصورًا بمثابة ملك بحَرْبة طويلة في يده كالحربة التي يحملها الملك المنتصر في الواقعة،

وينبغي أن يحفل بعيد ومهرجان في كل المعابد في أنحاء مصر لأجل الملك «بطليموس» العائش مخلدًا محبوب «إزيس»، وذلك من العاشر بَشَنْس، وهو اليوم الذي قهر فيه الملك خصمه، لمدة خمسة أيام كل عام؛ هذا مع لُبْس الأكاليل، وتقديم قربات محروقة وقربات سائلة، وكل الأشياء الجميلة الأخرى التي تعمل بطبيعة الحال في أعياد أخرى، في هذا اليوم في كل شهر، وما يُجهَّز للقربات المحروقة ينبغي أن يوزع على جميع من يقدم خدمة في المعبد …

والجزء الباقي من اللوحة مهشَّم لا يمكن استنباط شيء منه يمكن فهمه.[٨]

(١-٧) الإسكندرية

عُثِر على أربعة ألواح من الذهب والفضة والبرنز والزجاج غير الشفيف صِيغت للملك «بطليموس الرابع». كُشِف عنها في عام ١٨٥٥ ميلادية في حفرة تحت حجر زاوية لمبنًى بطلمي، وهو بلا شك معبد كُشِف عنه أثناء إعادة مبنى بورصة الإسكندرية، ولم يبق من هذه الألواح إلا اللوح المصوغ من الذهب، وكان ضمن مجموعة الملك فؤاد، وقد نُقِش عليه ثلاثة أسطر بالإغريقية، وسطران بالهيروغليفية أفقيًّا، وقد وُضِع النص الإغريقي فوق النص الهيروغليفي.

وهاك النص الإغريقي: (محراب) «سرابيس» و«إزيس» الإلهان المخلصان والملك «بطليموس الرابع» والملكة «أرسنوي» الإلهان المحبان لوالدهما.

وهاك النص الهيروغليفي: إنه خاص «بسرابيس» و«إزيس» الإلهين المخلصين، ويملك الوجه القبلي والوجه البحري، «بطليموس الرابع» العائش أبديًّا محبوب «إزيس» والملكة «أرسنوي» الإلهين المحبين لوالدهما.

وتدل الكلمات التي عُبِّر بها في النقش الأول من النقشين اللذين على اللوح المصوغ من الذهب الذي وُجِد عند وضع أساس بورصة الإسكندرية؛ على أنها ليست كالألواح

---

[٨] Gauthier et Sottas, Un Decret Trilingue en l'honneur de Ptolemée IV; Gauthier, Un nouveau decret in compte Rendus (1923) 376–83; W. Spiegelberg; Sitzungsberichte der bayerischen Akademie der Wissenschaften, Philosoph–Philog. und histor. Klasse 1925: Beitrage zur Erklarung des neuen dreispruchigen priesterdekretes zu Ekren des Ptolemaios Philopator.

التي عُثِر عليها في سربيوم الإسكندرية و«كانوب» حيث نجد في الأخير أن الإهداء قد جاء مباشرة من البطالمة أنفسهم، والواقع أن لوح الذهب الذي نحن بصدده قد أُهدِي من فرد ليس من الأسرة المالكة.

سربيوم الإسكندرية[٩]

عُثِر في أثناء الحفائر التي عُمِلت حديثًا، وهي التي أسفرت عن كشف معبد وحرم مقدس من عهد «بطليموس الثالث»، وهو معبد السربيوم الذي تحدثنا عنه فيما سبق. هذا، وقد عُثِر في الجزء الشرقي من هذا المعبد على محراب أقيم للإله «حربوخراد» وهو عبارة عن محراب مقطوع في الصخر على هيئة مستطيل، وقد دلت النقوش على أنه مُهدًى للإله «حربوخراد» بن «سرابيس» و«إزيس»، وهؤلاء الآلهة الثلاثة يؤلفون ثالوث الإسكندرية، ومساحة هذا المحراب هي ٨,٨٠ أمتار في الطول من الجنوب إلى الشمال، وخمسة أمتار في العرض من الشرق إلى الغرب.

وتدل شواهد الأحوال على أنه كان في الأصل متصلًا بالجزء الأوسط من المعبد، والواقع أن وجود هذا المحراب هام؛ وذلك لأنه يؤكد ما جاء في نقوش وُجِدت في أماكن أخرى في «السربيوم» تشير إلى «سرابيس» والآلهة الذين معه في المعبد، وقد وجد في الأصل ثماني ودائع منفصلة الواحدة عن الأخرى، وكل وديعة كانت تحتوي على عشرة ألواح كانت قد وُضِعت كل اثنين معًا في كل ركن، وفيما يلي محتويات هذه الودائع:

الوديعة الأولى: وتحتوي على قطع من لوح من الطين، ولوح من البرنز مهشَّم كان يحتوي على نقوش إغريقية وهيروغليفية، ولوح من الزجاج المائل إلى الخضرة قاتم اللون، ولوح من الزجاج الأخضر القاتم أيضًا؛ ولوح من الزجاج المائل للزرقة لا يزال عليه بقايا بعض متون كُتِبت بالإغريقية والهيروغليفية، ولوح من الفضة عليه نقوش، وأخيرًا لوح من الذهب مساحته ١٠,٨٥ × ١٥ سنتيمترًا، ووزنه ١٣,٤٠ جرامًا، واللوح الأخير عليه متون بالإغريقية والهيروغليفية، وهاك النقش الإغريقي: الملك «بطليموس الرابع» ابن «الملك بطليموس الثالث» على حسب توجيه «سرابيس وإزيس». وهذا المتن إذن يدل على أن المحراب قد صنعه «بطليموس الرابع» ومن المحتمل أن ذلك كان

[٩] J. E. A. Vol. XXVIII. PP. 53 ff.

نتيجة لحلم أُوحِي به إليه. أما المتن الهيروغليفي فهو كالمتن الإغريقي مع حذف عبارة «الإلهين المحسنين».

الوديعة الثالثة: وتحتوي على ودائع مؤلفة من ألواح مثل الوديعة الأولى.

الوديعة الثانية: وتحتوي على قطع صغيرة من لوحات من الفضة، والبرنز، والزجاج القاتم، والطين.

الوديعة الرابعة: وتحتوي على قطع صغيرة من ألواح من البرنز، والزجاج غير الشفيف. هذا، وقد أشرنا فيما سبق إلى ودائع أخرى في صورة ألواح نُقِش عليها اسم «بطليموس الرابع»، ومن المحتمل أن تمثال «حربو خرات»، الذي عُثِر على قاعدته المنقوشة حديثًا في الجزء الجنوبي من حرم السرابيوم قد جيء بها من المحراب المكشوف عنه حديثًا، وفي الإسكندرية كذلك نعلم أن فردًا يُدعَى «أبوللونيوس» وأسرته قد أهدوا تمثالًا باسم الملك «بطليموس الرابع» وزوجه «أرسنوي» للآلهة دميتر و«كوري» والعدالة في حين نشاهد أن فردًا آخر من نفس المدينة يُدعَى «ديودوتوس» عمل إهداء باسم الملك، والملكة للإلهين «سرابيس» و«إزيس».

هذا ولدينا نقش إسكندري أهداه «بطليموس الرابع» للإلهة «إيهوديا» Euhodia إلهة السفر الحسن، والظاهر أنه قد عمل هذا الإهداء قبل سفره في الحملة السورية في ربيع عام ٢١٧ق.م وقد عاد الملك في الثاني عشر من أكتوبر من نفس العام منتصرًا، وتزوج بعدها بمدة قصيرة الملكة «أرسنوي»[١٠] ولما كانت الألواح التي عُثِر عليها حديثًا للملك من محراب «حربو خرات» لم يأت عليها ذكر «أرسنوي» فلا بد أن نسلِّم أنها مؤرَّخة بالوقت الذي كان فيه الملك أعزب.

هذا ونعلم مما جاء على لوحة «بتوم» الجديدة التي سُجِّل عليها منشور وضعه مجمع من الكهنة المصريين في «منف» في نوفمبر ٢١٧ق.م؛ أنه يشير إلى تماثيل أحضرها معه الملك «بطليموس الرابع» بوصفه زوج «أرسنوي» وقد أحضرها ثانية من «آسيا»؛ حيث كانت قد أُخِذت من مصر على يد الفرس، ويضيف أنه لأجل أن يحتفل بنصره فقد أعطى بعد عودته دخلًا كثيرًا لمعابد مصر، وكذلك أصلح أو جدَّد تماثيل الآلهة مهديًا

[١٠] Bevan. Hist. P. 241, 228 note I. P. 230.

من أجل ذلك، ومن أجل أمور أخرى، ذهبًا وأحجارًا كريمة، وكذلك صنع معدات معبد من ذهب وفضة، وعلى ذلك فإنه ليس من المستحيل أن ألواح الأساس لمحراب «حربو خرات»، وكذلك المحراب نفسه كانت فعلًا جزءًا من هبات الشكر، وأن الألواح نفسها كانت قد صُنِعت في الفترة القصيرة التي تقع بين عودته من سوريا وبين زواجه من «أرسنوي»، وعلى أية حال فإنه مهما يكن من أمر فإن مجمع الكهنة قد أمر، اعترافًا بفضل «بطليموس الرابع» لما قدَّمه من مساعدة للمعابد، بإقامة تمثال له وآخر للملكة، وكلاهما على الطراز المصري في كل معابد مصر الهامة، وكذلك بإقامة صورة للإله المحلي فضلًا عن ذلك، وأن تقام عند موائد القربات التي أقيم عندها تمثال الملك، ولا بد أن معبد «سرابيس» الإسكندري قد أفاد من هذا المنشور.

وفي ختام كلامنا عن محراب «حربو خرات» لا بد أن نذكر أن مؤسسه هو «بطليموس الرابع» قد قيل عنه في الأزمان المتأخرة: إنه أقام مبنًى هامًّا في الإسكندرية يحتوي على ضريح واسع؛ جمع فيه سويًّا أو أحاط كل مقابر أو بقايا أجداده بما في ذلك قبر الإسكندر الأكبر، أما أجداده هو فقد دُفِنوا في المقابر المجاورة، ويقال إن رماد «بطليموس الرابع» هذا وزوجه «أرسنوي» قد حُفِظ في إناءين جنَّازيَّين من الفضة.[١١]

(١-٨) متحف القاهرة

يوجد بالمتحف قطعة حجر منقوشة، وهي عبارة عن جزء من لوحة كانت تحتوي على منشور، واللوحة منقوشة من وجه واحد، وعلى الجزء الأعلى من هذه القطعة يوجد نقش هيروغليفي ممحوٌّ بعض الشيء، وهذا النقش عبارة عن اثني عشر سطرًا أفقية فُقِدت أوائلها ونهاياتها، أما الجزء الأسفل فيحتوي على متن إغريقي يشمل بقايا عشرة أسطر. هذا، ونجد بين المتنين المصري والإغريقي مسافة خالية من الكتابة ربما مُسِح ما كان عليها من نقوش.

وقد دلَّ درس النقوش الهيروغليفية على أنها عبارة عن منشور أصدره مجمع الكهنة في «منف»؛ وذلك بمقارنة ما بقي من نقوشه مع المنشورات السابقة واللاحقة،

---

[١١] Bull. De la Soc Royale d,Arch. d’Alex. XXV, PP. 144 ff; A.S. Cahier 2. P. 51 ff.

وقد صدر في عهد الملك «بطليموس الرابع»، وكان الغرض منه — كالعادة على ما يظهر — زيادة تمجيد هذا الفرعون على ما قام به من أعمال خيرية لرجال الدين في «منف».[١٢]

(١-٩) المتحف البريطاني[١٣]

توجد بالمتحف البريطاني لوحة من الحجر الجيري مستدير أعلاها من عهد الملك «بطليموس الرابع فيلوباتور» مُثِّل عليها ما يأتي: في أعلى قرص الشمس المجنح يتدلى منه صلان يمثلان الإلهة «نخبيت» والإلهة «وازيت» على التوالي، وفي أسفل هذا المنظر يُشاهَد الملك يقدم تمثال «ماعت» قربانًا للآلهة «مين» و«حور-سائيسي» و«إزيس» والإلهة «سخمت» والإله «حور»، وفي أسفل هذا المنظر يُشاهَد منظر ثالث يُرى فيه الملك على اليمين لابسًا تاج الوجه القبلي ويقدم آنية نبيذ للإله «حور»، وعلى اليسار يُشاهَد الملك بتاج الوجه البحري يقدم كذلك آنية نبيذ لنفس الإله «حور» وفي أسفل من ذلك ترى بقايا نقوش ديموطيقية مُحيَت، ويُلحَظ هنا في هذه اللوحة أن كل صورة قد تبعها متن هيروغليفي يفسِّر المقصود منها، واللوحة صغيرة الحجم؛ إذ يبلغ ارتفاعها قدمًا وعشر بوصات ونصف، وعرضها قدمًا وثلاث بوصات.

(٢) الوجه القبلي

(٢-١) قاو[١٤] الكبير

كان يوجد في بلدة «قاو الكبير» معبد من عهد البطالمة، غير أن مياه الفيضان قد اكتسحته، ومع ذلك لا تزال بعض أحجار عليها متون تحمل طُغْراءات «بطليموس الرابع فيلوباتور» وزوجه «أرسنوي الثالثة».

---

[١٢] Maurice Raphaël. Un nouveau decret. Melanges, Maspero I. Orient Ancien, P. 509 f.

[١٣] B. M. A Guide to the Egyptian Gallcries (sculpture). P. 258 (959) Pl. XXXIV.

[١٤] Porter & Moss V. P. 15–16.

(٢-٢) أخميم[١٥]

يوجد غربي أخميم معبدان من العهد البطلمي الروماني، وقد ذكر لنا الأثري «ولكنسون» في مؤلفاته وجود قطع من الأحجار باسم «بطليموس الرابع فيلوباتور».

(٢-٣) قفط[١٦]

يوجد «في «قفط» معبد يرجع إلى عهد البطالمة، وقد وُجِدت من بين القطع التي بقيت منه قطع تحمل طغراء «بطليموس الرابع» وهذه القطع محفوظة بمتحف «ليون» بفرنسا.

(٢-٤) المدمود[١٧]

أقام «بطليموس الثالث» معبدًا في هذه الجهة، والظاهر أن «بطليموس الرابع» فيلوباتور قد زاد فيه؛ إذ قد وُجِدت قطع أحجار هناك منقوش عليها اسم هذا العاهل.

(٢-٥) «أرمنت» — البقارية معبد العجل «بوخيس»

كُشِف في البقارية القريبة من «أرمنت» عن عدة مقابر للعجل «بوخيس» من العصر البطلمي.

ولدينا من عهد الملك «بطليموس الرابع» فيلوباتور لوحة من الحجر الرملي مساحتها ٨٦ × ٤٨ سنتيمترًا، ويُشاهَد في الجزء الأعلى منها العجل «بوخيس» وهو يُؤْتَى به إلى بيت والده.

وفي أسفل المنظر الذي يُرى فيه الملك «بطليموس الرابع» يقدم له القربان، متن مؤلف من سبعة أسطر جاء فيها:

> «رع–حور» العائش، الفتى القوي، الذي جعله والده يظهر، ممثل السيدتين (المسمَّى) عظيم القوة، ممتاز القلب نحو كل الآلهة وحامي الشعب، «حور»

---

[١٥] Ibid. P. 20.

[١٦] Ibid. P. 123.

[١٧] Rapport. Medumoud. 1927, Porter & Moss V, P. 143.

المصنوع من الذهب (المسمى) الذي يجعل مصر حسنة، والذي يضيء المعابد، والذي يثبت قوانين «تحوت» المزدوج العظمة، ورب أعياد «حب سد» مثل «بتاح-تانن»، والملك مثل «رع»؛ ملك الوجه القبلي والوجه البحري (وريث «إيرجيتيس» المختار من «بتاح» قوية روح «رع» الصورة العائشة «لآمون») (ابن «رع») (بطليموس العائش أبديًّا محبوب «إزيس») وسيدة الأرضين «أرسنوي» الإلهان المحبان لوالدهما (المحبوبان) من «أوزير» الروح المحسنة وروح «رع» الحية، ومظهر «رع». في هذا اليوم صعد جلالة هذا الإله النبيل إلى السماء الروح المحسنة، وروح «رع» الحية، ومظهر «رع» الذي وضعته «تأمن»، ومدة حياته كانت ثمانية عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة وعشرين يومًا، واليوم الذي وُلِد فيه السنة الثالثة عشرة ٢٠ أبيب في حياة ملك الوجه القبلي والوجه البحري («بطليموس» العائش أبديًّا محبوب إزيس؟) في مركز «كوم أمبو»، وقد تُوِّج في «أرمنت» في العام الخامس والعشرين في الخامس عشر تحوت (لَيْته يبقى على عرشه أبد الآبدين).

وجلالة هذا الإله الشريف صعد إلى السماء في السنة الثامنة ١٢ بئونة.[١٨]

ومما سبق نفهم أن هذا العجل: وُلِد في السنة ١٣، ٢٠ أبيب من عهد الملك «بطليموس الثالث» عام ٢٣٤ق.م.

وتُوِّج في السنة ٢٥، ١٥ (؟) تحوت من عهد الملك «بطليموس الثالث» عام ٢٢٢ق.م.

ومات في السنة ٨، ١٢ بئونة من عهد «بطليموس الرابع» عام ٢١٤ فيكون عمره ١٩ سنة وعشرة أشهر وثلاثة وعشرين يومًا.

(٢-٦) أسوان

أقام ملوك البطالمة معبدًا في «أسوان» للإلهة «إزيس» بناه كل من «بطليموس الثالث» والرابع كما ذكرنا من قبل، ويُشاهَد على عَتَب مدخل المحراب متن عموديٌّ جاء فيه ذكر «بطليموس الرابع».[١٩]

---

[١٨] The Bucheum. Vol. II. P. 4. Pl. XXXIX.

[١٩] Mariette. Mon. Div. Pl. 26 (A); Porter & Moss. Vol. V. P. 223.

(٢-٧) جزيرة «سهيل»[٢٠]

أقام «بطليموس الرابع» معبدًا صغيرًا في جزيرة «سهيل» وقد عُثِر على قطع مبعثرة من بقايا هذا المعبد في قرية «سهيل» ترجع إلى عهد البطالمة، ومن بينها قطعة عليها طغراء هذا الفرعون: (وريث الإلهين المحسنين المختار من «بتاح» قوية روح «رع» الصورة العائشة «لآمون»).

(٢-٨) معبد «إدفو»[٢١]

تحدثنا فيما سبق عن معبد «إدفو» والبداية في إقامته في عهد الملك «بطليموس الثالث» وذلك في الثالث والعشرين من شهر أغسطس سنة ٢٣٧ق.م؛ أي في السنة العاشرة من حكم هذا الملك، وبعد مضي ٢٥ سنة كان المعبد الرئيسي قد تمَّ؛ أي في السنة ٢١٢ق.م وهي التي تقابل السنة العاشرة من حكم «بطليموس الرابع» فيلوباتور.

هذا من جهة البناء، أما من حيث المناظر والنقوش والزينة؛ فقد استغرقت حوالي ست سنوات؛ أي إنها تمَّت في عام ٢٠٧ق.م، ومن ثَم نفهم السر في وجود اسم «بطليموس الرابع» على كل الجدران في المناظر وفي النقوش، ولم نجد اسم «بطليموس الثالث» المؤسس الأصلي للمعبد إلا نادرًا، والواقع أن اسم «بطليموس الرابع» وصوره ونقوشه قد غطَّت معظم جدران المعبد من أول قاعة العُمُد الداخلية حتى قدس الأقداس، وسنحاول هنا أن نصف هذه المناظر والنقوش بصورة مختصرة:

قاعة العُمُد الداخلية

المدخل[٢٢]: يُشاهَد على مدخل الباب الخارجي كرنيش وقرص الشمس المجنح، وعلى عتب الباب الإله «حور» بوصفه قرصَ الشمس، وكذلك آلهة أخرى في قارب «رع»، ويتعبد

[٢٠] .L.D.T. IV. P. 127

[٢١] انظر تصميم معبد «إدفو» الشكل رقم ٤-١.

[٢٢] الأرقام التي أوردناها هنا تشير إلى موقع المنظر، أو المتن على الجدار في الشكل رقم ١٥-١.

الملك «بطليموس الرابع» للإلهين «حو»[٢٣] و«سيا»[٢٤] من جهة، وإلى «السمع» والبصر من جهة أخرى، كما يُشاهَد على كل طرف من طرفي العَتَب ثلاثة صفوف من الآلهة، وعلى قائمتي الباب أربعة صفوف حيث يُشاهَد «بطليموس الرابع» يتعبد إلى إلهين في كلٍّ.

سمك الباب (١٠٤): نُقِش على سمك الباب في الصف الأعلى أناشيد، وعلى الصف الثاني يشاهد «بطليموس الرابع» ومعه صقر، ونسر، والطائر «أبيس»، ويُشاهَد أمام نفس هذه الطيور على قواعد، كما يُشاهَد «حور» في الصف الثالث.

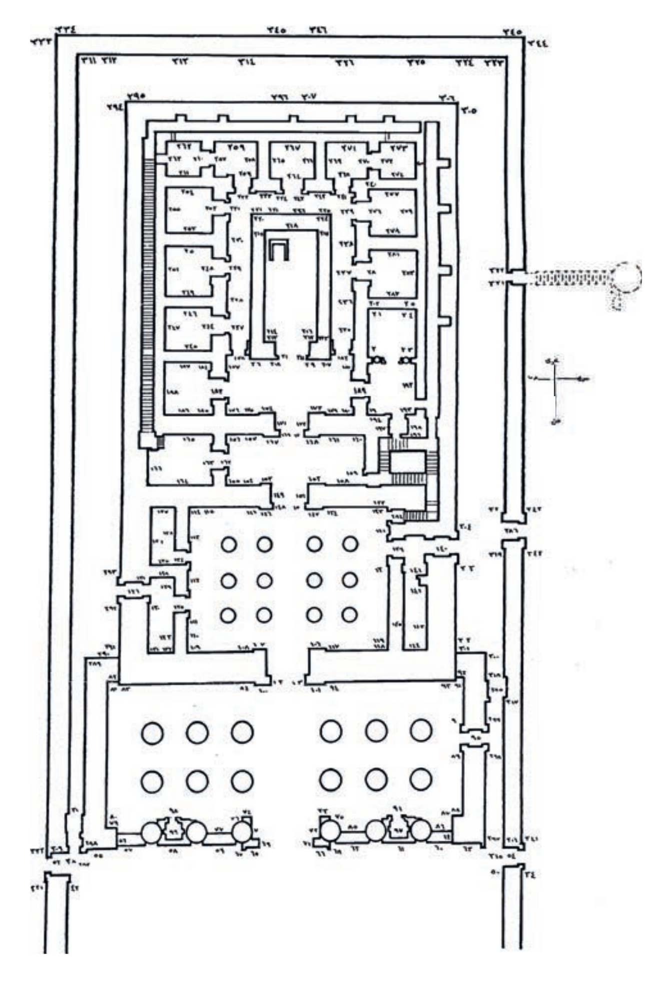
(١٠٦–١٠٧) المدخل الجَوَّاني: يُشاهَد على العَتَب «بطليموس الثاني» تُتوِّجُه كلٌّ من الإلهتين «بوتو» و«نخبيت» ومعهما «تحوت» و«آتوم» و«سشات-عابو» و«سيا» على الجانب الأيسر، و«حور» و«منتو» و«سشات-عابو» و«حو» على الجانب الأيمن. هذا، ونقرأ على قائمتي الباب متونًا ذُكِر فيها قربات لآلهة منوَّعة، كما يشاهد «بطليموس» يقبض بيده على صولجانات أمام «حور» في أسفل.

داخل المدخل (١٠٨–١٠٩): يُشاهَد هنا في الصف الأعلى منظران، وفي الصفين الثاني والثالث ثلاثة مناظر في كل، ويُرى فيها «بطليموس الرابع» يقدِّم القربان لآلهة، وفي الصف الرابع ثلاثة مناظر خاصة بأحفال وضع الأساس، وهناك يُشاهَد الملك مغادرًا قصره ومعه «أنموتف» وأعلام، ويسير حيث يقيس أبعاد المعبد الذي سيضع أساسه.

(١١٠–١١٤): يُشاهَد على هذا الجدار في الصف الأعلى حتى الصف الثالث سبعة مناظر يُرى في كلٍّ منها «بطليموس الرابع» أمام آلهة، ومن بينها «بطليموس الرابع» يذبح «أبوفيس»، كما يُرى «بطليموس الرابع» أمام «بطليموس الثاني» المؤلَّه وزوجه «أرسنوي الثانية»، وكذلك نشاهد «بطليموس الرابع» مع نوبيين يتسلقون عمودًا أمام الإله «مين»، وكذلك «بطليموس الرابع» أمام «بطليموس الثالث» و«برنيكي» الثانية زوجه، والإله «منتو» أمام «بطليموس الرابع» و«أرسنوي الثالثة»، و«بطليموس الرابع» يركع ومعه قربان أمام تسعة أشكال من صور الإله «حور». هذا، ويُشاهَد في الصف الرابع خمسة مناظر خاصة بأحفال وضع الأساس وإهداء المعبد حيث يشاهد

[٢٣] إله الأمر والنطق باللسان.

[٢٤] إله التعبير بالقلب، وهذان الإلهان يعبران عن صفة من صفات «رع».



شكل ١٥-١: معبد إدفو-شكل ب.

«بطليموس» وهو يصب رملًا، ويقدم نماذج قوالب، ويطهر، وينذر، ويقدم المعبد لصاحبه «حور بحدتي».

(١١٥–١١٦): يُشاهَد على هذا الجدار في الصف الأعلى «بطليموس الرابع» يقدِّم نباتات البردي «لآمون» و«موت». كما يقدم خبزًا للإلهة «نيت» وصناديق تحتوي على نسيج ملوَّن للإله «حور»؛ وفي الصف الثاني يُرى الملك وهو يقدم آنية نمست للإله «أوزير» والإلهة «إزيس» والإله «أحي» الصغير يقدم تعويذة للإلهة «حتحور» ويجري ومعه «حاب» و«مكس» يصحبه عجل نحو آلهة الوجه القبلي «مرت»[٢٥] و«حور»، وفي الصف الثالث يشاهد الملك يبخر أمام قارب «حور» الذي يحمله كهنة.

(١١٧–١١٨): يُشاهَد على هذا الجدار في الصف الأعلى حتى الصف الثالث ثلاثة مناظر يُشاهَد في كلٍّ «بطليموس الرابع» أمام آلهة يتعبد إليها، وفي الصف الرابع نرى ثلاثة مناظر تمثل أحفال وضع الأساس فيشاهد «بطليموس» الرابع مغادرًا قصره ومعه الإله «أميوتف» وأعلام، وبعد ذلك يشاهد وهو يضرب الأرض بمِعْوَله ويضع لبنة.

(١١٩–١٢٢): يُشاهَد على هذا الجدار في الصفين الأعلى والثاني سبعة مناظر في كلٍّ؛ في الصف الثالث نشاهد ستة مناظر حيث يُرى الملك أمام آلهة بما في ذلك الإله «حرسفيس» والإلهة «عزت» إلهَيْ أهناسيا المدينة و«منديس» و«حات-محيت»، كما يُرى الملك راكعًا ومعه قربات أمام اثني عشر شكلًا من أشكال «حور» ... إلخ.

وفي الصف الرابع أربعة مناظر خاصة بأحفال تأسيس المعبد، فيُشاهَد «بطليموس الرابع» وهو يضع قطعة حجر، ويطهر المعبد، وينذره، ويقدم قربانًا.

(١٢٣–١٢٤): يُشاهَد على هذا الجدار في الصف الأعلى «بطليموس الرابع» يقدم الكحل للإله «مين» والإلهة «إزيس» كما يقدم قربات محروقة للإلهة «محيت»، وأربعة عجول للإله «حور»، وفي الصف الثاني يقدم الملك بخورًا للإلهين «آمون» و«خنسو»، ويقدم عقد منات السحري للإلهة «حتحور»، ويجري ومعه أوانٍ لإلهة الوجه البحري «مرت» و«حور»، وفي الصف الثالث يطلق الملك البخور أمام قارب «حتحور» الذي يحمله كهنة.

وعلى قاعدة هذا الجدار نقرأ على كلٍّ من نصفيها متون إهداء يقدمها «بطليموس الرابع».

---

[٢٥] إلهة الموسيقا.

دهليز الخزانة

المدخل من قاعة العُمُد الداخلية (١٣٩): يُشاهَد على الجدار هنا على عتب المدخل (أ، ب) طُغْراءات الملك «بطليموس الرابع» وزوجه «أرسنوي».

الدهليز الخارجي: المدخل (١٤٦–١٤٧): يُشاهَد على عَتَب الباب الخارجي مناظر مزدوجة، فيُرى الملك مع الإله «أحي» الصغير أمام الإلهة «حتحور»، والملك يقدم نبيذًا لثالوث «إدفو»، على كلٍّ من نصفيه، ويُرى على قائمتي الباب ثلاثة صفوف، وهي عبارة عن مناظر قربان.

(١٤٨–١٤٩)، (١٥٠–١٥١): تشاهد على أسماك الباب متون نُقِشت عموديًّا، وزينة جاء فيها ألقاب الملك.

(١٥٢–١٥٣) العَتَب الداخلي: يُشاهَد عليه الملك تُتوِّجُه كلٌّ من «بوتو» و«نخبيت» ومعهما «تحوت» و«منتو» و«شو»، و«سشات-نزت»[٢٦] على الجانب الأيسر، وصورتان من صور «حور» و«خنسو» و«سشات-ورت»[٢٧] على الجانب الأيمن. هذا، وجاء على قائمتي الباب أربعة مناظر تشتمل على مناظر تقديم قربان على كل منهما.

الداخل (١٥٤): نشاهد على الجدار الجنوبي أربعة صفوف في كل منها منظران للقربان.

(١٥٥–١٥٦): يُشاهد هنا على الجزء الأعلى من الجدار صفان مُثِّل في كلٍّ منهما ثلاثة مناظر قربان، والجزء الأسفل سبعة صفوف مُثِّل فيها شياطين وحيات على يسار الداخل، وستة صفوف مثل عليها شياطين برءوس أسود على الجانب الأيمن من المدخل.

(١٥٧): يُشاهَد هنا من الصف الأعلى حتى الصف الثالث منظران للقربان في كلٍّ، وفي الصف الرابع منظران يُرى فيها الملك مع «أبيس» برأس عجل، وكذلك مع «سماور» برأس ثور (بوخيس) أمام «حور» ويُلحَظ هنا أن العجل «أبيس» كان يُعبَد في «منف» والعجل «بوخيس» كان يُعبَد في «أرمنت» وكان يُسمَّى سماور (الثور الكبير).

[٢٦] إلهة الكتابة الصغيرة.

[٢٧] إلهة الكتابة الكبيرة.

(١٥٨): يُشاهد على هذا الجدار أربعة صفوف من النقوش على كلٍّ منها ثلاثة مناظر قربان، وتشمل من بينها مناظر قربات محروقة.

(١٥٩–١٦٠): ويُشاهَد على هذا الجدار من الصف الأعلى إلى الصف الثالث ثلاثة مناظر قربات في كلٍّ، وفي الصف الرابع بعد المدخل يُشاهد الملك في منظرين يقدم القربان، ويقدم البخور «لحور».

(١٦١): يوجد على الجدار هنا أربعة صفوف في كلٍّ منها منظران للقربان، وفي الصف الرابع نشاهد منظرين مُثِّل فيهما الملك مع العجل «منيفيس» (= «من-ور» = عجل هليوبوليس) أمام «حور» ومع الإله «أجب ور» برأس كبش أمام «حور»، وعلى قاعدة هذا الجدار يُشاهد على شطريه الملك يتبعه إله النيل ومحضرو القربات.

الحجرة الخامسة

(١٦٢) المدخل (أ، ب): يُشاهَد على العَتَب الخارجي في الصف الأعلى أفاعٍ وشياطين مستلقية على الأرض، وتسمى آلهة السنة الجديدة التي تخرج النيل من منبعه، وفي الصف الأسفل يُرى «بطليموس» يقدم القربان لثمانية آلهة، ويُرى على قائمتي الباب خمسة صفوف من الأصلال على كلٍّ، وعلى سمكي الجدار متون، و«بطليموس الرابع» يتقبل الحياة من «حور»، وعلى العَتَب الداخلي طُغْراءات الملك، وعلى قائمة الباب اليسرى الملك يقبل «حور»، وعلى القائمة اليمنى يتقبل الحياة من «حور».

(١٦٣): هذا ويُشاهَد هنا فوق المدخل وعلى يساره في الصف الأعلى الملك يقدم بخورًا للإلهين «حور» و«حور سماتوي»، ويقدم للإلهة «حتحور» صنَّاجة، وفي الصف الثاني والثالث يتقبل الملك الحياة من «حور» في كلٍّ.

(١٦٤): يُشاهَد على هذا الجدار الملك في الصف الأعلى يقدم جِعة لثالوث «إدفو» مع أربع بقرات مقدسات وأربعة مجاديف محركة، وفي الصف الثاني يُشاهَد الملك أمام الإلهة «حور» و«رع» و«ماعت» و«تحوت» والإله «أستن» (تحوت) و«السمع» والبصر، «سشات-ورت» و«سشات-نزت»؛[٢٨] وفي الصف الثالث يُشاهَد الملك يقدِّم القربان

[٢٨] إلهة الكتابة الكبيرة، وإلهة الكتابة الصغيرة.

لثالوث «إدفو» وللإلهة «إحي» و«خنسو» و«إزيس» و«سما–ور» (بوخيس) و«أجب ور»، و«أبيس» و«من–ور» (عجل هليوبوليس).

الدهليز الداخلي

المدخل (١٦٧–١٦٨): يشاهد على العَتَب الخارجي متن يتألف من اثنين وعشرين سطرًا، وعلى قائمتي الباب أربعة صفوف تحتوي على مناظر قربات، وعلى القاعدة ١٥ سطرًا تحتوي على أسماء بلدة «إدفو» ومعبدها وآلهتها، وتحوي كذلك تواريخ الأعياد، هذا بالإضافة إلى أربع أفاعٍ في أعلى، وقوارب صغيرة في أسفل على كلٍّ من قائمتي الباب.

(١٧٣–١٧٤): يُشاهَد على العَتَب الداخلي مناظر مزدوجة فيُرى «بطليموس الرابع» و«أرسنوي الثالثة» يقدمان نبيذًا للإلهين «حور» و«حتحور»، وعلى قائمتي الباب ثلاثة صفوف يُشاهَد فيها الملك تتبعه آلهة، ويقدم قربانًا للإله «حور».

داخل الدهليز الداخلي

(١٧٥): يُشاهَد على هذا الجدار ثلاثة صفوف مُثِّل عليها «بطليموس الرابع» و«أرسنوي» وهو يقدم زهورًا وطيورًا للآلهة «حور» والإلهة «حتحور»، ويشاهد الملك يتقدمه الإله «إحي» الصغير، ويقدم الصنَّاجة لحتحور كما يُشاهَد الملك يقدم أسرى للإلهين «حور» و«حتحور».

(١٧٦–١٧٧): يُشاهَد في الجزء العلوي من هذا الجدار الملك مع نوبيين يتسلقون عمودًا أمام الإلهين «مين» و«إزيس»، كما يُشاهَد الملك يقدم العطور والنسيج للإلهين «سكر–أوزير» و«إزيس»، وفي الجزء الأسفل نُقِشت أنشودة للإله «رع» مؤلفة من خمسة أسطر على يسار المدخل، ويُرى صفان يُشاهَد فيهما الملك يقدم البخور، ويقدم صورة «ماعت» للإله «حور» على يسار المدخل.

(١٨٧): يُشاهَد هنا فوق المدخل الملك يقدم قربانًا «لحور»، وفي أسفل أنشودة له أيضًا.

(١٧٩): يُرى هنا ثلاثة صفوف مُثِّل فيها الملك وهو يقدم البخور والماء لتسعة أشكال من صور الإله «أوزير»، كما يُشاهَد وهو يقدم مع «أرسنوي الثالثة» الطعام للإلهين «حور سماتوي» و«حتحور»، ولوحة كتابة للإله «خنس-تحوت» والإلهة «حتحور».

(١٨٠-١٨١): يُشاهَد في الجزء الأعلى من هذا الجدار الملك يقدم الدرة للإله «أوزير» والإلهة «نوت»، كما يقدم عطر المر للإلهتين «إزيس» و«نفتيس»، وفي الجزء الأسفل أناشيد «لحور» على كل من جانبي مَمر المدخل.

(١٨٢): يُشاهد هنا فوق المدخل الملك مُمثَّلًا وهو يحصد شعيرًا أمام «حور سماتوي»، وفي أسفل أنشودة للإله «حور».

الحجرة السادسة وهي حجرة الإله «مين»

المدخل (أ، ب) (١٨٣): يُشاهَد على العَتَب الخارجي طُغْراءات «بطليموس الرابع» و«أرسنوي الثالثة» وعلى قائمتي الباب يُرى «بطليموس الرابع» يضمُّه إلى صدره كلٌّ من الإله «حور» والإلهة «حتحور»، ونشاهد على سمك الجدارين متون أفقية باسم «بطليموس الرابع»، وعلى العَتَب الداخلي طُغْراءات «بطليموس الرابع» وعلى قائمتي الباب يُرى «بطليموس الرابع» وهو يتقبل رمز الحياة من «حور» على كلٍّ منهما.

(١٨٤-١٨٥): يُشاهد على الجزء الأعلى من المدخل منظر مزدوج مُمثَّل فيه «بطليموس الرابع» يقدم القربان للإله «مين» وعلى الجزء الأسفل نُقِشت أناشيد للإله «مين» على كل من جانبي المدخل.

(١٨٦-١٨٧): يشاهد على كلٍّ من هذين الجدارين ثلاثة صفوف من النقوش، وهي عبارة عن أناشيد للإله «مين»، كما يُشاهَد من القرابين أمام الإله «مين»، ويُشاهَد «بطليموس الرابع» في الصف الأعلى على الجدار الجنوبي يقدم آنيتين، وينذر قرابين على الجدار الشمالي، ويقدم الشهد وينذر قرابين؛ وعلى الجدار الغربي منظر مزدوج يُشاهَد فيه الملك يقدم جرة عطور على هيئة بولهول للإله «مين» ورَخمة للإله «مين» والإلهة «إزيس»، وفي الصف الثاني على الجدار الجنوبي يقدم قربانًا، ويقدم زهورًا على الجدار الشمالي، وكذلك يُشاهَد وهو يصطاد غزلانًا بالقوس والنُّشَّاب، ويسوق أمامه أربعة عجول، وعلى الجدار الغربي منظران مُثِّل فيهما الملك وهو يقدم أوراقًا للإله

«مين» والإلهة «إزيس» على الجانب الأيسر، ويقدم رَخمة للإلهين «مين» و«حتحور» على الجانب الأيمن، وفي الصف الثالث على الجدار الجنوبي يُشاهَد الملك يتعبد، ويحصد؛ وعلى الجدار الشمالي منظر مهشَّم، والملك يقدم صناديق من النسيج الملوَّن، وعلى الجدار الغربي منظر مزدوج مُثِّل فيه الملك يقدم العين السليمة للإله «مين» والإلهة «إزيس».

ردهة المقصورة رقم ٧

(١٨٩– أ، ب) المدخل: يُشاهَد على العَتَب الخارجي طُغْراءات «بطليموس الرابع» و«أرسنوي الثالثة»، وعلى قائمتي الباب يُرى «بطليموس» وهو يتقبل الحياة من «حور» على الأرض، وفي أسفل هذا نقرأ اسم باب المدخل، ونقرأ على سمكي قائمتي الباب بقايا متون، وعلى العَتَب الداخلي نشاهد سبع بقرات «حتحور» يحملن الدفوف، وعلى قائمتي الباب يُرى «بطليموس» يتقبل الحياة من «حور» على الأرض.

(١٩٠–١٩١): نقرأ على كلٍّ من جانبي المدخل قصيدة مدح في «حتحور».

(١٩٢): بقايا منظر يمثِّل الملك وهو يقدم قربانًا أمام إله.

(١٩٣–١٩٤): يُشاهَد في الجزء الأعلى من هذا الجدار بقايا مناظر، بما في ذلك منظر يُرى فيه الملك يذبح أفعى أمام «حور» (؟)، وفي الجزء الأسفل على المدخل من اليسار يُرى الملك يتقبل الحياة من «حور»، وعلى المدخل من جهة اليمين الملك مع قربات أمام «حور» أيضًا.

المقصورة رقم تسعة: الواجهة والمدخل

(١٩٩–أ، ب) الباب الخارجي: نشاهد شبه خارجات ممثل عليها صور بولهول، وعلى قائمتي الباب مثل «بطليموس الرابع» على كلٍّ.

(ج، و، د): نشاهد عُمُدًا؛ وخارجة عليها طُغْراءات «بطليموس الرابع» و«أرسنوي الثالثة» كما نشاهد عُمُدًا عليها متون.

(هـ، و): ثلاثة عُمُد من النقوش على كل جانب من جوانب المدخل.

قدس الأقداس: الواجهة

(٢٠٦–٢٠٧): نقرأ في الصف الأعلى حتى الصف الثالث أنشودة تحية الصباح للإله «حور» وآلهة آخرين، وقد جاء فيها ذكر أعضاء جسم «حور» المختلفة، وتيجانه، وحُلِيِّه، والمدينة، وأجزاء المعبد، ويُشاهَد على الصف الثالث الملك أمام «حور» وأمامه نقوش، وأنشودة للإله «رع» على الحافَّات الداخلية، ومتون على الجدران الناتئة.

(٢٠٨–٢٠٩): يُشاهَد على العَتَب الخارجي متن مؤلف من ثمانية أسطر وهي خطاب «لحور»، وعلى قائمتي الباب ثلاثة صفوف مُثِّل فيها الملك يقدم القربان للإله «حور».

(٢١٠–٢١١): نقرأ على سمكي الباب سطرين جاء فيهما الألقاب الملكية.

(٢١٢–٢١٣): يشاهد على العَتَب الداخلي قرص الشمس في الوسط يرتكز على الإلهين «حح» و«ححت» ويتعبد إليه أربعة قردة، وكذلك أرواح الشرق وأرواح الغرب، والملك على كل من الجانبين، ويُشاهَد الملك يتقبل الحياة من «حور سماتوي» في كل من طرفي العَتَب، وعلى قائمتي الباب صفَّان من النقوش يُشاهَد فيهما الملك يتقبل صولجان «حب سد» من «حتحور» والحياة من «حور».

داخل المحراب

(٢١٤–٢١٥): يُشاهَد على كلٍّ من الصف الأعلى والثاني ستة مناظر قربان بما في ذلك «حور» أمام «بطليموس الرابع» و«أرسنوي الثالثة»؛ وفي الصف الثالث دوِّنت الشعائر اليومية التي تُقام أمام «حور»، ويُشاهَد الملك يصعد إلى المحراب ويفتح الناووس ويتعبد، ويُرى الإله «تحوت» يقدم الصولجان للملك والملكة، وكذلك يُشاهَد الملك يطلق البخور أمام سفينة «حور».

(٢١٦–٢١٧): يشاهد في الصف الأعلى والثاني ستة مناظر قربان بما في ذلك «بطليموس الرابع» أمام «بطليموس الثاني» وفيلادلفيا «أرسنوي الثانية»؛ وفي الصف الثالث إقامة الشعائر اليومية، و«بطليموس الرابع» أمام «بطليموس الثالث» و«برنيكي الثانية» و«بطليموس الرابع» يطلق البخور أمام سفينة «حتحور».

(٢١٨): يُشاهَد على هذا الجدار ثلاثة صفوف كل منها يحتوي على منظرين مُثِّل فيهما «بطليموس الرابع» و«أرسنوي الثالثة» أمام «حور» و«حتحور»، وعلى قاعدة

الجدار مُثِّل «بطليموس الرابع» و«أرسنوي الثالثة» يتبعهما آلهة النيل أمام «حور» و«حتحور» على كلٍّ من الجانبين، ومعهما سطر من النقوش، ونشاهد على الإفريز متون إهداء المعبد من «بطليموس الرابع».

الجدار الخارجي للمحراب

النصف الغربي (٢١٩–٢٢٠) و(٢٢١–٢٢٢): ثلاثة صفوف يحتوي كلٌّ منها على تسعة مناظر قربات، وتشمل منظر ضرب كرة من الطين، وتقديم صناديق نسيج ملوَّن، وتقديم قربات محروقة للإلهة «تفنوت» حاملة السماء أمام «شو»؛ والجري مع الإله «حاب» والمجداف، ونذر المعبد أمام «حور»، وعلى قاعدة الجدار يُشاهَد «بطليموس» يتبعه صور مقاطعات الوجه البحري، وإله النيل أمام «حور».

وعلى النصف الشرقي (٢٢٣–٢٢٤) و(٢٢٥–٢٢٦): يُشاهد على الجدار ثلاثة صفوف؛ كل منها يحتوي على تسعة مناظر قربان، وتشمل تضحية غزال، وتقديم عطور للآلهة «منبت-ورت» (آلهة السرير؟) وسوق أربعة عجول، وتقديم سفينة للإله «سوكر-أوزير»، والجري مع الأواني ونذر المعبد أمام «حور».

وعلى قاعدة الجدار يُشاهَد «بطليموس الرابع» يتبعه صور مقاطعات الوجه القبلي أمام «حور» وعلى الإفريز نشاهد آلهة وسطرًا أفقيًّا منقوشًا.

الدهليز الذي حول المحراب

المدخل الغربي (١٧٨): يُشاهَد على سمك الجدار متن أفقي «لبطليموس الرابع» بين رمز زخرفي، وفوق مدخل الباب الجواني صفَّان من النقوش مُثِّل فيهما «بطليموس الرابع» يقدم قلادة للإله «حور» وباقة زهر «لحور أيضًا».

المدخل الشرقي (١٨٢–أ، ب): نُقِش على قائمتي الباب متن مؤلف من ثلاثة أعمدة على كلٍّ، وعلى سمك الجدار متون عمودية «لبطليموس الرابع» بين رمز زخرفي.

(٢٢٧–٢٣٤): في الصف الأعلى ثمانية مناظر يُشاهَد فيها «بطليموس الرابع» يقدم نسيجًا للإلهين «حور» و«حتحور» كما يقدم آنية عطور على هيئة بولهول للآلهة «بتاح» و«سخمت» و«نفرتم»، وصدرية للإلهين «منتو» و«تننت»، ونبيذًا للإلهين

«حور» و«حتحور» وصنَّاجة للإلهتين «إزيس» و«نفتيس»، وأربعة عجول للإلهين «أوزير» و«إزيس»، ثم نشاهده يجري وبيديه آلة «حاب» (دفة) والمجداف نحو الإله «حور» وكذلك يقدم «ماعت» «لحور».

(٢٢٨): يُشاهَد في الصفين الثاني والثالث «بطليموس الرابع» يقدم أواني عطور للإله «حور»، ثم نشاهده يقوده «آتوم» و«منتو» للإله «حور».

(٢٣٠): يُشاهَد «بطليموس الرابع» و«أرسنوي الثالثة» في الصفين الثاني والثالث يقدم صورة «ماعت» لثالوث طيبة، كما يُرى يقدم القربان لأوزير و«إزيس».

(٢٣٣): يُشاهَد «بطليموس الرابع» في الصفين الثاني والثالث يقدم البخور، ويقدم المعبد للإله «حور».

(٢٣٥–٢٤٣): يُرى في الصف الأعلى سبعة مناظر؛ حيث يشاهد «خنسو-تحوت» ومعه «سشات-ورت» يكتب اسم «بطليموس الرابع» على شجرة «أشد»، هذا ويشاهد «بطليموس» راكعًا يتقبل «رمز العيد» «حب سد» من «حور» الذي يُرى جالسًا مع «حتحور»، وكذلك يُرى «بطليموس الرابع» يقدم ضحايا للإلهتين «نخبيت» و«محيت»، والزيت «لحور» و«حتحور»، والماء للآلهة «خنوم رع»، و«سوتيس» و«عنقت» (= ثالوث الشلال) والقربات للإلهين «خنسو» و«حتحور»، كما يُشاهَد وهو يهرول بآنية نحو «حور»، وكذلك يُرى وهو يقدم صورة «ماعت» للإله «حور».

(٢٣٥–٢٣٦): يُشاهَد في الصف الثاني «بطليموس» راكعًا، ويتبعه كلٌّ من «إزيس» و«تحوت» ويتقبل «حب سد» (العيد الثلاثيني) من «حور» وخلف الأخير يُشاهَد «حتحور» و«بطليموس الرابع» و«أرسنوي»، وفي الصف الثالث يُرى الملك تقوده الإلهة «نخبيت» و«آتوم» و«منتو» إلى «حور» من الجهة اليسرى، والآلهة «بوتو» و«حور الكبير» و«تحوت» من الجهة اليمنى.

(٢٣٨): يُشاهَد في الصفين الثاني والثالث «بطليموس الرابع» يقدم نبيذًا للإلهين «حور» و«حتحور» وقربات «لحور» و«حتحور».

(٢٤٠): يُرى في الصفين الثاني والثالث «بطليموس الرابع» يضمه «حور» في كلٍّ منهما.

(٢٤٢): يُشاهَد «بطليموس الرابع» في الصفين الثاني والثالث يقدم بخورًا للإله «حور» وينذر المعبد للإله «حور».

الحجرات التي حول المحراب: الحجرة العاشرة

المدخل (٢٢٧–أ، ب): نُقِش على العَتَب الخارجي طُغْراءات «بطليموس الرابع» و«أرسنوي الثالثة» وعلى العَتَب الداخلي نقرأ طُغْراءات «بطليموس الرابع»، وعلى قائمتي الباب يُشاهَد «بطليموس الرابع» يتقبل الحياة من «حور» على كلٍّ منهما.

(٢٤٤–٢٤٧): يُشاهَد على جدار المدخل فوق الباب منظر مزدوج، وعلى كل جانب من المدخل متن مؤلف من ثلاثة أسطر، ويُشاهَد على الجدار الجانبي والخلفي ثلاثة صفوف من النقوش مُمثَّل فيها «بطليموس الرابع» يقدم لآلهة «حور» و«حتحور» و«حور سماتوي»، و«خنسو» و«شو» و«تفنوت» و«حزحتب» (آلهة نسيج) و«تايت» (إلهة الملابس) والآلهة «نوت»، و«عين رع»، و«بوتو»، و«عين حور» و«ختت يابتت» (= اسم آلهة) و«خنتف-عنخ» و«خنموت-ورت» (= حتحور) و«نفتيس» و«بتاح-أم-شتيت» و«بتاح-نفرحر» و«شزمو» (صورة أوزير) وأربعة صور للإله «ترموتيس» (الإلهة حتحور)، وعلى قاعدة هذا الجدار متن خاص «لبطليموس الرابع».

الحجرة الحادية عشرة

المدخل ٢٢٦ (أ، ب) : يُشاهَد على العَتَب الخارجي طُغْراءات «بطليموس الرابع» وألقابه، وعلى قائمتي الباب متون.

(٢٤٨–٢٥١): يُشاهَد على كلِّ جدار ثلاثة صفوف؛ حيث يشاهد «بطليموس الرابع» يقدم قربانًا للآلهة «حور» وخنوم، و«سلكيس» و«نيت» و«منبت ورت» و«حتحور»، وآمون رع و«شو» و«تفنوت»؛ و«أوزير» و«إزيس» و«نفتيس» و«خبري» و«آتوم» و«نخبيت»، والكبش الفاخر و«بكت» و«جب» و«نوت» و«حور» العظيم و«أحي» و«سخمت» و«بوباستيس»، و«بوتو» و«ساتيس»، هذا بالإضافة إلى متون مُثِّل فيها الملك يقدم قربانًا من الزنبق والبردي لسبعة آلهة، كما يقدم القوس والنُّشَّاب «لحور» و«بكت» ويقدم صولجان الصل لسبعة آلهة من الصف الأسفل على الجدران الجنوبية والغربية والشمالية.

وعلى قاعدة الجدار متن إهداء من «بطليموس الرابع».

الحجرة الثانية عشرة

المدخل (٢٣١): يُشاهَد على العَتَب الخارجي طُغْراءات «بطليموس الرابع» وألقابه، وعلى قائمتي الباب متون، وعلى العَتَب الداخلي طُغْراءات «بطليموس الرابع».

(٢٥٢–٢٥٥): يُشاهَد على كلِّ جدار ثلاثة صفوف؛ حيث يقدم «بطليموس الرابع» للآلهة «حور» و«حتحور»، و«حور سماتاوي»، و«أوزير»، و«إزيس»، و«أمست» و«دواموتف»، والكبش الفاخر «لرع»، الكبش العائش «لأوزير»، و«تحوت» و«سكر-أوزير» و«نفتيس»، وثمانية حراس، و«قبح سنوف»، والكبش الفاخر لشو، والكبش الفاخر للأرض، و«أنوبيس» و«إزيس-نوت» وثمانية الأطفال المحنطة لآتوم و«تننت» و«أنيت».

وعلى القاعدة متن «لبطليموس الرابع».

الحجرة الخارجية للإله «سوكاري» رقم ١٣

المدخل ٢٣٢ (أ، ب): نُقِش على العَتَب الخارجي طُغْراءات «بطليموس الرابع» وألقابه، وكذلك «أرسنوي الثالثة». كما نُقِش على قائمتي الباب متون. هذا، ونُقِش على العَتَب الداخلي منظر مزدوج؛ حيث يُرى «بطليموس الرابع» يقدم قربانًا «لأوزير» و«نفتيس» وكذلك «لأوزير» و«إزيس»، وعلى قائمتي الباب متن مؤلف من سبعة أسطر، وثلاثة صفوف من الجنِّ أسفل من ذلك.

(٢٥٦–٢٥٩): يُشاهَد صفَّان مُثِّل عليهما ٧٧ من الجنِّ الحراس وغيرها، بما في ذلك أرواح الوجه القبلي، وآلهة الوجه القبلي، وآلهة الحزن، والأرواح التي في «قبح حور»، والتاسوع العظيم للوجه البحري، والأرواح والملائكة الذين ينعمون «أوزير» وآلهة «عريت» (= مكان مقدس).

(٢٥٧): يُشاهَد في الصفين الثالث والرابع على يسار المدخل الملك «بطليموس» يقدم صَنَّاجة «لحتحور» ويتعبد «لحور» وعلى يمين المدخل يقدم الملك «ماعت» «لحتحور» ويتعبد «لحور».

(٢٥٨): في الصفين الثالث والرابع نشاهد «بطليموس الرابع» يتبعه أربع صور للإله «أنوبيس» أمام «أوزير»، «إزيس-شنتايت»، و«نفتيس»، أمام «أوزير-مرتي»، و«إزيس»، و«أوزير نب عنخ» و«إزيس» و«أوزير-سب»، و«نفتيس»، و«أوزير سوكاري» و«شتايت».

(٢٥٩): يُشاهَد في الصفين الثالث والرابع الملك أمام «حور» وثماني «جنِّيات»، وأمام «أوزير» و«نفتيس» أولاد «حور» وأربع جنِّيات أخرى.

وعلى قاعدة الجدار نقرأ متنًا «لبطليموس الرابع» كما نشاهد متونًا على الإفريز.

حجرة «سوكارس» الداخلية رقم ١٤: يُشاهَد على قاعة الجدار متون «لبطليموس الرابع» وكذلك على الإفريز ترى آلهة، وجنِّيات لها علاقة بساعات النهار والليل، وسطر من النقوش باسم «بطليموس الرابع».

الحجرة الخامسة عشرة وتُدعَى «مسنت»

المدخل (٢٣٤–٢٤٣) (أ، ب): يوجد اسم «بطليموس» و«أرسنوي الثالثة» على العَتَب الخارجي، كما يُشاهَد على قائمتي الباب الملك يضمه إلى صدره الإله «حور» على كلٍّ منهما.

(٢٦٤–٢٦٧): يُشاهَد على قاعدة الجدار متن إهداء من «بطليموس الرابع» كما يوجد متن على الإفريز باسم «بطليموس الرابع» أيضًا.

حجرة الساق الخارجية رقم ١٦

المدخل (٢٤٤): يُشاهَد على العَتَب الخارجي طُغْراءات «بطليموس الرابع» وألقابه، و«أرسنوي الثالثة» وعلى قائمتي الباب متون، وعلى العَتَب الداخلي متن، وطُغْراءات «بطليموس الرابع».

(٢٧١): يوجد على قاعدة الجدار متون باسم «بطليموس الرابع» وكذلك على الإفريز متون باسمه أيضًا.

حجرة الساق الداخلية رقم ١٧

(٢٧٠): تُشاهَد متون وطُغْراءات باسم «بطليموس الرابع» كما يشاهد على الجزء السفلي من الجدار متون باسم «بطليموس الرابع» وكذلك نُقِشت متون باسمه على الإفريز.

الحجرة رقم ١٨

المدخل (٢٣٩): يُشاهَد على العَتَب الخارجي طُغْراءات الملك «بطليموس الرابع» وألقابه كما يشاهد على العَتَب الداخلي طُغْراءات نفس الملك، وعلى قائمتي الباب يُرى الملك يضمه كل من «حتحور» و«حور».

(٢٧٩): يشاهد على الجزء الأسفل من الجدار أنشودة «بطليموس الرابع» للإله «رع»، وكذلك نقرأ على الإفريز متونًا «لبطليموس الرابع».

الحجرة رقم ١٩

المدخل (٢٣٧ أ، ب): نقرأ على العَتَب الخارجي طُغْراءات «بطليموس الرابع» وألقابه.

(٢٨٣): نقرأ على الجزء الأسفل من الجدار أناشيد باسم «بطليموس الرابع» للإله «رع» كما نجد متونًا على الإفريز باسم هذا الملك.

السلم الغربي

المدخل للحجرة رقم ٥: يُشاهَد على العَتَب الخارجي صفان نُقِش عليهما طُغْراءات «بطليموس الرابع».

وقد جاء اسم «بطليموس الرابع» على الأجزاء الأخرى التي بُنِيَت بعد عهده، ولكن بوصفه إلهًا يعبد كالبطالمة الآخرين الذين كانوا يُعبَدون بعد مماتهم.

تعليق: إن أول ما يلفت النظر في هذه النقوش هو أن «بطليموس الرابع» نسبها كلَّها، تقريبًا، لنفسه على الرغم من أن «بطليموس الثالث» هو الذي أقام معظم هذا

الجزء من المعبد؛ وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن «بطليموس الثالث» قد أقام البناء دون أن يضع نقوشه ومناظره، ومن أجل ذلك انتهز «بطليموس الرابع» هذه الفرصة ونسب كلَّ ما عُمِل في هذا المعبد لنفسه، والواقع أنه لم يأت ببدعة جديدة، بل كانت هذه هي الطريقة السائدة في العصر الفرعوني منذ بدايته حتى نهايته.

وعلى الرغم من أن الإله «حور البحدتي» قد احتلَّ هو وأسرته المكانة الأولى في نقوش المعبد، وأعني بذلك ثالوث «إدفو» وهو «حور بحدتي» و«حتحور» زوجه وابنهما «إحي»، فإن الآلهة الآخرين قد جاء ذكرهم جميعًا، وبخاصة الآلهة التي كانت لها مكانة في العصر المتأخر، وأهمها الحيوانات المقدسة التي انتشرت عبادتها في تلك الفترة مثل العجل «بوخيس» وكان يُدعَى «سماور» و«با-حر-أخ»، كما جاء ذكر ثالوثات الآلهة التي كانت تُعبَد في أنحاء البلاد منذ أقدم العهود، ونخصُّ بالذكر من بينها: ثالوث منف، وثالوث طيبة، وثالوث الشلال … وغيرها، وعلى الرغم من أن الإله «حور بحدتي» كان الإله البارز هو و«حتحور» فإن الكهنة قد تمسَّكوا بالقديم، وأبرزوا عبادة «رع» بصورة محسَّة، يُضاف إلى ذلك أنهم ألهوا ملوك البطالمة الذين سلفوا، وجعلوا الملك الحاكم أو الذي أقام المعبد يتقرب إليهم هم وزوجاتهم.

وعلى أية حال، يُعتَبر معبد «إدفو» وما جاء عليه من نقوش دينية بمثابة سِجِلٍّ يحدِّثنا عن تطور الديانة المصرية، والعبادات في العهد البطلمي بصورة لا يمكن أن نصل إليها في أي معبد من معابد الفراعنة الذين سبقوا هذا العهد، بل هناك مظاهر جديدة لم يمكن معرفتها من النقوش التي تركها لنا ملوك الفراعنة؛ ومن أجل ذلك أَسْهبتُ بعض الشيء في سَرْد المناظر التي على جدران هذا المعبد، والواقع أن القارئ المحقق فيما جاء من نقوش ومناظر على المعابد البطلمية لن يعدم أن يرى أن الكهنة المصريين القدامى على الرغم من تمسكهم بالقديم بصورة قوية جدًّا؛ فإنهم كانوا يتطورون في مسائل العبادة على حسب الأحوال الاجتماعية والسياسية، وذلك لأجل أن يبقوا أصحاب السلطان في البلاد، والأخذ بناصية الأمور من حيث قيادة الشعب الذي كانت ترتكز عليه ثروة البلاد وفلاحها.

(٢-٩) الفيلة معبد «إزيس»

تدلُّ الآثار الباقية في معبد «إزيس» بالفيلة على أن «بطليموس الرابع» قد أسهم في بناء أو زخرفة بعض أجزاء في هذا المعبد؛ فمن ذلك ما نشاهده في الحجرة الرابعة حيث نجد قطعًا من الأحجار باسم «بطليموس الرابع» و«أرسنوي» وهذه الأحجار من ناووس.[٢٩]

هذا وقد وُجِدت قطع من الأحجار في محيط المعبد بعضها باسم «بطليموس الرابع» وزوجه «أرسنوي الثالثة»، وقد أُخِذت لها صور محفوظة في قاموس «برلين».[٣٠]

يُضاف إلى ذلك قطعة من حجر مُثِّل عليها «بطليموس الرابع» أمام «تحوت-بنوبس».[٣١]

وأخيرًا جاء ذكر هذا الملك على البوابة الثانية عند المدخل.[٣٢]

(٢-١٠) معبد الدكة[٣٣]

جاء اسم «بطليموس الرابع» على عُمُد مدخل معبد «الدكة» وكذلك اسم زوجه «أرسنوي الثالثة».

المدخل إلى الردهة الداخلية (٢٨-٢٩): يُشاهَد على عَتَب المدخل الخارجي منظر مزدوج مُثِّل فيه «بطليموس الرابع» و«أرسنوي الثالثة» يقدم صورة «ماعت» للإله «تحوت بنوبس» والإلهة «وبست» (وهي إلهة تحرق الشر ومثواها جزيرة بيجه) على النصف الأيسر، وآلهة مهشَّمة على النصف الأيمن، ونُقِش على قائمة الباب اليسرى ثلاثة صفوف؛ حيث نجد «بطليموس» يقدم عطورًا للآلهة «رع-حور-أختي» وطعامًا للإله «خنوم رع»، وخمرة للإلهة «حتحور»، وعلى القائمة اليمنى للباب يوجد ثلاثة صفوف مُثِّل فيها الملك يقدم العطور «لآمون رع» والطعام للإله «حور» والحقل للإلهة «إزيس» كما يُرى إله النيل على القاعدة ولكنه غير كامل.

---

[٢٩] Lyons, A Report on the Island and Temple of Philae 1896. P. 23.

[٣٠] Berlin Photos, 1594–1596–7, 1598. (upper) 1599–1606.

[٣١] L.D.T. IV. P. 136 middle.

[٣٢] Porter & Moss VI. Pl. 232.

[٣٣] Porter & Moss VII. P. 44.

(٣٠): ويُشاهَد الملك على سمك الباب يقدم صورة «ماعت» للإله «تحوت بنوبس» والإلهة «تفنوت».

مدخل الباب الجواني (٣١-٣٢): يُشاهَد على الكرنيش قرص الشمس المجنح، وعلى عتبة الباب منظر مزدوج؛ حيث مُثِّلت «إزيس» وهي تعطي الحياة لاسم الملك الحوري، وقد نُقِش هنا طُغْراءات «بطليموس الرابع» و«أرسنوي الثالثة»، وحقيقة الأمر أن الملك النوبي «أرجامنز» قد أقام في الدكة محرابًا، وقد أقام حوله «بطليموس الرابع» حجرات أخرى، وخلفه قد كُتِب اسم زوجه «أرسنوي الثالثة»، وعلى يمين المنظر قد جاء ذكر أسماء والديه «بطليموس الثالث» و«برنيكي الثانية» في حين أنه على اليسار قد جاءت ذكرى جدَّيْه «بطليموس الثاني» و«أرسنوي الثانية».[٣٤]

وسنتحدث عن هذا المعبد عند الكلام على «أرجامنز» في تاريخ السودان في آخر هذا الجزء.

(٣) آثار «بطليموس الرابع» في منطقة طيبة

دير المدينة: بدأ «بطليموس الرابع» بإقامة معبد في دير المدينة، وقد استمر في إنجازه «بطليموس السابع» و«بطليموس الثالث عشر»، وجاء اسم «بطليموس الرابع» على جدران هذا المعبد مرات عدة.

المحراب المتوسط: وهو يتعبد أمام «حتحور» وآلهة العدل، كما نشاهد صورته وزوجه «أرسنوي» أمام «آمون رع» «كاموتف» (ثورامه).

هذا، ونشاهد هذا الملك في منظر آخر يحضر الصَّنَّاجة للإلهة «حتحور» وللإلهة «ماعت»، ثم نشاهده يحضر النبيذ للإله «رع-حرماخيس» وخلف الملك تقف إلهة العدالة «ابنة رع».

وعلى الجدار المقابل (الجدار الأيسر) يقدم «فيلوباتور» في أعلى للإله «أوزير» أول أهل طيبة، وإلى «إزيس» العظيمة، والأم الإلهية «حتحور» العظيمة سيدة الغرب، وعلى اليسار نشاهد الملك يقدم البخور والقربات السائلة «لآمون رع» «كاموتف»، وخلف

[٣٤] Porter & Moss VII. P. 44, 45, 64; L.R. IV. P. 268 note 1.

الملك تقف زوجه «أرسنوي الثالثة». هذا وله متون أخرى على هذا المعبد يطول بنا نقلها.[٣٥]

الأقصر: عُثِر على قطعة حجر في معبد الأقصر أُعِيد استعمالها، عليها اسم «بطليموس الرابع».[٣٦]

الكرنك: يوجد في قاعة عُمُد «تهرقا» عمود منتصب نُقش عليه اسم «بطليموس الرابع».[٣٧]

الكرنك معبد «أبت»: مقصورة من قطعة واحدة للإله «نفرحتب» (= خنسو) من عهد الملك «بطليموس الرابع فيلوباتور».

يُشاهَد على القائمة اليسرى للباب ثلاثة صفوف من النقوش؛ حيث يُشاهَد الملك «بطليموس الرابع» أمام الإله «نفرحتب» ممثَّلًا ثلاث مرات، وعلى الجدار الخلفي نشاهد كرة أخرى «بطليموس الرابع» أمام الإله «نفرحتب» (وهذا الاسم هو نعت للإله «خنسو» أحد أفراد ثالوث معبد «الكرنك» أو طيبة بوجه عام).[٣٨]

الكرنك: البوابة الكبرى الواقعة في الشمال الشرقي «بوابة العبد»: هذه البوابة أقامها «بطليموس الثالث»، غير أن الجانبين الداخلي والخارجي قد نقشهما «بطليموس الرابع» وقد كتب «بطليموس» الإهداء لوالده «بطليموس الثالث».[٣٩]

الصحراء الشرقية: عُثِر في الصحراء الشرقية على حجرٍ جيريٍّ نُقِش عليه بالإغريقية إهداء للإله «أرس» Ares (وهو إله الأساطير عند الإغريق، ويوحد بالإله «مارس» عند الرومان، وكان مركز عبادته «تراقيا») وقد أهداه «ألكساندروس» قائد صيد الفيلة في السودان، وجنوده في عهد «بطليموس الرابع» فيلوباتور، وارتفاع هذا الحجر قدم وثلاث بوصات، وعرضه قدم وثمانية بوصات.[٤٠]

---

[٣٥] L.D.t. III. P. 123, 14 and 126; Piehl. Inscriptions hieroglyphics Pl. CLXXIV; CLXXVI; Porter & Moss II. P. 138.

[٣٦] Ibid. P. 78.

[٣٧] Porter & Moss II. P. 13.

[٣٨] L.D.T. IV. 15 b; Porter & Moss II. P. 87.

[٣٩] L.D.T. III. P. 2.

[٤٠] B.M. Sculptures, P. 258.

الفصل السادس عشر

الوثائق الديموطيقية التي من عهد «بطليموس الرابع فيلوباتور»

توجد عدة وثائق ديموطيقية في مختلف متاحف العالم ترجع إلى عهد الملك «بطليموس الرابع» وتبحث في موضوعات شتى، تكشف لنا عن نواحٍ عدة من حياة الشعب المصري بوجه خاص في تلك الفترة، وسنحاول أن نتناول بعضها هنا بالترجمة.

(١) مجموعة «هوسفالد»

(١-١) عقد قسمة من عهد «بطليموس الرابع فيلوباتور»[١]

التاريخ: السنة الثالثة شهر توت من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«برنيكي»، الإلهين المحسنين، عندما كان كاهن الإسكندر، والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين الذي في «رقوده»، وعندما كانت حاملة السلة الذهبية «لأرسنوي» التي تحب أخاها في «رقوده».

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: المزارع خادم «حور» صاحب «إدفو» الإله العظيم إله السماء «حور» بن «بابوس» و«تاعلعل».

الطرف الثاني: المرأة «تاتوس» ابنة «بانتبوس» Panetbeus و«رنب-نوفر».

نص العقد: يقول الطرف الأول للطرف الثاني: أنت يا ابنة «بانتبوس» بن «بابوس» Pabus أخي، لقد تقاسمتُ معك، وتقاسمتِ معي حقل «بابوس» بن «حارب»،

[١] Die Hauswaldt Papyri (5). P. 18–22 Tefel X. XXV.

و«تا-رت» والدي ووالد «بانتبوس» بن «بابوس» والدك، الواقع (يعني الحقل) في القسم الجنوبي من مقاطعة «إدفو».

ومحتوياته هي: ١ ١/٤ نصيبه من ٣ ١/٢ أنصبة من حقل الجزيرة الذي يقع في أملاك معبد «حور» صاحب «إدفو» الإله العظيم رب السماء، في جزيرة «بعبي» Peapi وحدوده هي:

في الجنوب: حقل «بالهو» Palehu ابن «حور» بن «باسوس» Pasos.

في الشمال: حقل كاتيتيس Katytes ابن «بابوس».

في الشرق: النهر العظيم.

في الغرب: مؤسسة معبد «إدفو».

وعلى مسافة يوجد ١ ١/٤ نصيب من ٣ ١/٢ أنصبة من حقل الجزيرة الآخر الكائن هناك، وحدوده هي:

في الجنوب وفي الشمال: حقول «كاتيتيس» Katytis ابن «بابوس».

في الشرق: النهر العظيم.

في الغرب: مؤسسة معبد «إدفو».

وفضلًا عن ذلك ١ ١/٤ نصيبه من ٣ ١/٢ أنصبة من الحقل العالي الذي يقع في حقل «تكوي-با-بل-في»، وحدوده هي:

في الجنوب والغرب: حقل «باي» (؟) ابن «حور» بن «باسوس»، و«باسوس» أخوه.

وفي الشمال: حقل «بامنخيس» بن «بتى-أحي».

وفي الغرب: حقل «باخويس» Pachois ابن «علعل».

وعلى مسافة يوجد الواحد والربع نصيب من ثلاثة ونصف من الحقل الآخر نفسه، وحدوده هي:

في الجنوب: «كاتيبتيس» بن «بابوس».

في الشمال: حقل «حور» بن «باخويس».

في الشرق: حقل «باخويس» بن «بتيبنوتس» Petepnutis.

وفي الغرب: الجبل.

وعلى مسافة يوجد الواحد والربع (١ ١/٤) نصيب من ٣ ١/٢ من حقل شجر الزيتون الآخر (في نفس الجهة)، وحدوده هي:

في الجنوب: حقل «حار عقن» بن «حور الكبير».

في الشمال: حقل «باخنوميس» بن «بائس» Paes.

في الشرق: حقل «باتوس» بن «حور» بن «با-لهو».

وفي الغرب: الجبل.

تأمل! هذه هي حدود الحقول أعلاه التي تتألف من ثلاثة أنصبة ونصف التي يملك منها «بابوس» بن «هاربليس» Harbellès نصيبًا، في حين أني أملك ١ ١/٤ وهو الذي حصلت به على فضة (نقد) من «باتوس» بن «حارب»، وفي حين أن «بابوس» بن «حارب» والذي هو الد والدك «بانتبوس» Panetbus ابن «بابوس» يملك منك النصيب الذي قدره ١ ١/٤، وقد اتفق أن ١/ ٤ من أربعة أقسام من هذا ١ ١/٤ وهو ضمن هذه ٣ ١/٢ أنصبة الحقول المذكورة أعلاه قد أصبح لك باسم نصيب «بانتبوس» بن «بابوس» والدك، وهو الذي باسمه أصبحت أملك ١/ ٤ من هذا ١ ١/٤، في حين أن «بسنئزيس» Psenesis ابن «بابوس» أخي الصغير يملك ١/ ٤ من هذا ١ ١/٤، وفي حين أن «تعلعل» أخت «حور» بن «بسنتاسوس» Psentaseus تملك ١/ ٤ هذا الـ ١ ١/٤.

وليس لدى أي قانون، ولا أية منازعات قضائية، ولا أية كلمة في العالم ضدك باسم ١/ ٤ من ١ ١/٤ أنصبة، وهي ضمن ٣ ١/٢ أنصبة للحقل المذكور أعلاه من اليوم فصاعدًا، وأي إنسان في العالم يقف ضدك بخصوص نصيبك هذا باسمي فإني سأنحيه عنك، وإذا لم أنحِّه عنك (طوعًا) فإني سأنحيه كرهًا دون إبطاء، وإنك بعيد عني بنصيبي ١ ١/٤ من ٣ ١/٢ أنصبة الخاصة بالحقول أعلاه، وهو الذي حصلت به على فضة من «باتوس» بن حارب، وكذلك فيما يتعلق بـ ١/ ٤ الخاص بي من النصيب ١ ١/٤ ضمن ٣ ١/٢ أنصبة المذكورة أعلاه.

المسجل: كتبه «فيبيس» Phibis ابن «با-بل-في».

وكُتِب على ظهر الورقة أسماء ستة عشر شاهدًا.

ويدل ما جاء في متن هذه الوثيقة على أنها تحتوي على تقسيم ميراث حدث بعد موت «بابوس» وكان نصيبه ١ ١/٤ من مجموع الملكية التي مقدارها ٣ ١/٢ أنصبة، وكان نصيبه هذا بدوره قد قُسِّم أربعة أقسام متساوية بين زوجه «تعلعل» وأولاده الثلاثة، وعلى ذلك كان نصيب كل واحد منهم ٥ / ١٦ وقد حل محل الابن الذي كان قد توفي، وهو «بانتيبوس»، ابنته «تاتوس» وهي ابنة «حور» المتوفَّى. هذا، ومن المحتمل كذلك أنه كان مربِّيها، وقد اعترف بحق القاصر هذه، وعلى ذلك لم تكن هناك أية منازعة في ملكية «حور» التي كانت تتألف من ١ ١/٤ + ٥ / ١٦ من الحقول المقسَّمة.

وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الـ ٣ ١/٢ أقسام كانت في الأصل عقارَ أسرةٍ واحدة؛ أي كانت أرض إيجار وراثية لأسرة بعينها، ومن المحتمل أن صاحبها القديم هو «حارب» وهو والد كل من «باتوس» و«بابوس» وقد ورث الـ ١ ١/٤ ابن أخيه «حور» في حين أن الجزء الأخير الكبير الذي كان من نصيب «بابوس» قد قُسِّم بعد مماته بين الورثة الأربعة، وكان «حور» من بينهم، أما الجزء الأخير وهو القطعة المتعاقد عليها فكان قد باعها «حارب» من قبل لرجل آخر ليس من الأسرة وهو «بابوس» بن «هاربليس».

(١-٢) عقد زواج من عهد «بطليموس الرابع»[٢]

التاريخ: في السنة الثالثة شهر مِسْرَى من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«برنيكي» الإلهين المحسنين عندما كان «دمتريوس» Demetrius ابن «أبللس» Apelles كاهن الإسكندر والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين، وعندما كانت «نباس» Napas ابنة «منبن» Mnpin حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: «هرمايس» Harmais البلمي المولود في مصر بن «حاربازيس» و«ون-أزي».

الطرف الثاني: المرأة «تأزيس» Taesis ابنة «خع-حور» و«ير-جورتي» Jer-djorte.

٢ Papyrus Hauswaldt. (No. 6) P. 22–24.

نص العقد: يقول الطرف الأول للطرف الثاني: لقد اتخذتك زوجة، ومهرتك دبنين فضة، أي عشرة ستاتر أي دبنين فضة ثانية، وذلك بمثابة صداق، وإذا هجرتك بوصفك زوجة؛ وذلك بأن أكون قد كرهتك أو اتخذت زوجة غيرك، فإني أُعْطِيك دبنين من الفضة أي عشرة ستاتر أي دبنين من الفضة ثانية، وذلك خلافًا للدبنين من الفضة المذكورين أعلاه، وهما اللذان أعطيتهما إياك صداقًا، فيكون المجموع أربعة دبنات فضة؛ أي عشرين ستاتر أي أربعة دبنات فضة ثانية.

وأعطيك (فضلًا عن ذلك) نصف جميع ما سيكون بيني وبينك من اليوم فصاعدًا، والأطفال الذين قد وضعتيهم ومن ستضعينهم بعدُ سيكونون أصحاب جميع وكلِّ ما هو ملكي الآن وما سأكسبه في المستقبل، وابنك البكر هو ابني البكر بين الأطفال الذين ولدتيهم فعلًا.

انظري: هذه هي قائمة بالأشياء (الجهاز) التي أحضرتيها معك إلى بيتي: شعر مستعار ثمنه ستة قدات من الفضة؛ أي ثلاثة ستاتر أي ستة قدات من الفضة ثانية، سِوار معصم من حجر سهر (؟) ثمنه قدتان من الفضة.

هجرة واحدة (؟) باسم صداقك المذكور أعلاه، وهي التي لم أعطها إياك، وثمنها دبنان من الفضة.

انظري: إن ثمن جهازك الذي أحضرتيه معك إلى بيتي يبلغ: نحاس (ما قيمته) ثلاث دبنات وأربعة قدات؛ أي ١٧ ستاتر أي ثلاثة دبنات وأربعة قدات فضة ثانية، و٢٤ أوبولات من النحاس، وهي تساوي قدتين من الفضة، وذلك بالإضافة إلى خمسة أرادب من القمح ونصفها هو إردبان ونصف أي خمسة أرادب ثانية.

ولن يكون في استطاعتي أن أعقد يمينًا من وراءك (بالبيع) عن جهازك المدوَّن أعلاه، وذلك عندما أقول: «لا» إنك لم تحضريه في بيتي، بل إن جهازك الذي دونت به قائمته هنا قد أحضرتيه معك في بيتي، وقد تسلمته من يدك تمامًا دون نقصان، وقلبي مرتاح إلى ذلك، وفي الوقت الذي سأهجرك فيه بوصفك زوجة (أطلقك) أو عندما تريدين أن تذهبي عني بإرادتك فإني أعطيك جهازك الذي أحضرتيه معك إلى بيتي ثانية عينًا أو ثمنه فضة على حسب التقدير الذي وُضِع له، وإني حارسه.

المسجل: كتبه: «جي-أمو» بن «با-بل-في».

الشهود كُتِب على ظهر الورقة ١٦ شاهدًا.

(١-٣) عقد بيع أرض[٣]

مستند بنقد

التاريخ: (في السنة الثانية من شهر مِسْرَى) من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«برنيكي» الإلهين المحسنين، وفي عهد كاهن الإسكندر والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين، الذي كان في «رقوده» وفي عهد حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» المحبة لأخيها، التي كانت في «رقوده».

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: المزارع خادم «حور» «إدفو» الإله العظيم رب السماء، «باناس» Panas ابن «حارمسن» (؟) Har-mesen و«باتوس» (؟) Patus ابن «باي» Pa-i و«بابوس» الذي يحمل نفس اللقب السابق ابن «باي» وهم يكونون ثلاثة أشخاص.

الطرف الثاني: (المزارع) خادم «حور» صاحب «إدفو» الإله العظيم رب السماء، «بابوس» بن «بالهو» و«سنامونيس» Senamunis.

محتويات العقد: يقول الطرف الأول عندما نطق بفيه إلى الطرف الثاني: لقد دفعتَ لنا المبلغ كاملًا، وإنك (قد شرحت قلبنا بالثمن فضة) مقابل حقلنا العالي الذي يقع في تكوى بي-خموتني-أنتي-إيسي، وحدوده هي:

في الجنوب (و) في الغرب: حقلك.

في الشمال: حقل «باخويس» Pachois ابن «بالهو» و… أخيه.

في الشرق: حقل الجزيرة ملكك.

انظر! هذه هي حدود حقلنا العالي المذكور أعلاه.
لقد نزلنا لك عنه مقابل نقد.
وقد أعطيتنا ثمنه فضة.
وقد تسلمناها من يدك كاملة غير منقوصة.
وقلبنا فرح.

---

[٣] Papyrus Hausewaldt (12). Pl. XIX. P. 41-42.

وهو ملكك وليس لنا أي حق من حيث القضايا أو أية كلمة في العالم باسمه عليك من اليوم فصاعدًا، وليس لأي إنسان في العالم سلطان عليه إلا أنت، وكل إنسان في العالم يظهر بسببه ضدك ليقول لك تنحَّ عنه، وذلك عندما يقول إنه ليس ملكك سواء أكان ذلك باسمنا (أو) باسم أي رجل في العالم، فعندئذ نقصيه عنك فيما يتعلق بهذا الحقل، ونتعهد لك بأن نطهِّره لك من كل مستند، ومن كل وثيقة قضائية، ومن كل كلمة في العالم في كل زمان، وكل مستند قد حررناه بخصوصه (أي الحقل) وكل مستند كان قد حُرِّر بوساطتنا، وكل كتابة بمفعولها تجعل لنا الحق فيه فإنها ملكك، ولقد أصبحتْ ملكك المستندات الخاصة به، وكذلك الوثائق القضائية.

وكذلك ملكك برديته القديمة (عقده القديم) وبرديته الجديدة في أي مكان أنت فيه، وهو ملكك مع حقوقه وقضاياه (أي القضايا التي عُمِلت لإثبات الملكية فيما مضى)، واليمين والبينة اللذان يطلب منك أو منَّا أمام القضاء تقديمهما فإنَّا نؤديهما على حسب قانونية كلِّ كلمة أعلاه، وذلك دون أية مقاضاة أو أية كلمة تأتي منك.

المسجل: كتبه: «فيبيس» بن «با-بل-في»

عقد تنازل عن البيع السابق

التاريخ والطرفان المتعاقدان كما جاء في عقد بيع الأرض السابقة.

صيغة العقد: يقول الطرف الأول (عندما نطقوا بفم واحد مع الطرف الثاني): نحن بعيدون عنك فيما يتعلق بحقلك العالي الذي يقع في حقل «تكوى-بي-خموتني-أنتي-إيسي» في القسم الجنوبي من مقاطعة «إدفو»، وهو الذي حررت لك به مستندًا بنقد فضة في السنة الثانية شهر مِسْرَى من عهد الملك العائش أبديًّا، وحدوده هي:

في الجنوب (و) في الغرب: حقلك.

في الشمال: حقل «باخويس» بن «بالهو» و… أخيه.

في الشرق: حقل الجزيرة ملكك.

انظر! هذه هي حدود الحقل العالي المذكور أعلاه.

وليس لنا أي حق أو أي إجراء قانوني (أو) أية كلمة في العالم فيما يتعلق (باسمه) عليه من اليوم فصاعدًا، وأي إنسان في العالم يظهر أمامك بسببه؛ ليقول لك ابْتَعد (عن هذا الحقل) أو ليغتصب منه شيئًا، وذلك عندما يقول لك: إنه ليس ملكك سواء أكان ذلك باسمنا أو باسم أي رجل في العالم، فعندئذٍ سنبعده عنك بأنفسنا؛ وإذ لم نبعده عنك طوعًا فإنا سنبعده كرهًا دون مشاجرة، ونحن سنطهِّره لك من كل كلمة في العالم في كل زمان، إنك محميٌّ من قِبَلِنا بمقتضى المستند الذي حُرِّر بالفضة، وهو الذي حررناه لك في السنة الثانية شهر مِسْرَى في عهد الملك العائش أبديًّا، وذلك فضلًا عن عقد التنازل المذكور، وهما مستندان على أن ننفِّذ لك ما فيهما من حقوق في كل زمان دون أية مشاحة.

المسجل كما في المستند السابق.

وقد دون على ظهر الورقة ١٦ شاهدًا.

(١-٤) عقد زواج من عهد «بطليموس فيلوباتور»[٤]

التاريخ: في السنة الرابعة عشرة شهر بَشَنْس من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«برنيكي» (= ٢٠٩ق.م) الإلهين المحسنين وابنه «بطليموس» عندما كان «أياكيدس» Aiakides ابن «هيرونيموس» Hieronymos كاهن الإسكندر، والإلهين المخلصين، والإلهين الأخوين، والإلهين المحسنين، والإلهين المحبين لوالدهما؛ وعندما كانت «جلوكي» Glauke ابنه «زنودوتوس» الإدفوي حاملة سلطان «برنيكي» والإلهين المحسنين وابنهما، وعندما كانت «أرن» (؟) Irene ابنة «تارتاريون» (؟) حاملة السلة الذهبية أمام أرسنوي محبة أخيها، وعندما كان «هنوخوس» Heniochos ابن «ليزياس» (؟) Lysias كاهنًا في مقاطعة طيبة «لبطليموس» العائش أبديًّا، وابن الإلهين المحبين لوالدهما.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: المزارع وخادم الإله «حور» صاحب «إدفو» «حور الأكبر» بن «ببقني» Pebekni وتالهو.

الطرف الثاني: المرأة «تامين» Tamene ابنة «بابوس» و«تالهو».

[٤] Papyrus Hauswaldt (14). P. 46–49.

نص العقد: لقد جعلتك زوجتي، وأعطيتك دبنًا واحدًا من الفضة؛ أي خمسة ستاتر أي دبنًا واحدًا من الفضة ثانية، وذلك صداقك، وعندما أهجرك كزوجة سواء أكان ذلك بأن أكرهك أو فضلت امرأة أخرى، فإني أعطيك دبنًا واحدًا من الفضة؛ أي خمسة ستاتر أي دبنًا واحدًا من الفضة ثانية، وذلك خلاف دبن الفضة الذي أعطيتك إياه صداقك، فيكون المجموع دبنين من الفضة؛ أي عشرة ستاتر، أي دبنين من الفضة ثانية.

وإني أهبك فضلًا عن ذلك ثلث جميع ما أمتلكه من اليوم فصاعدًا (و) الأطفال الذين أنجبتيهم لي فعلًا، وما ستلدين بعد لي.

انظري قائمة جهازك الذي أحضرتيه معك إلى بيتي.

واحد … وعاء ثمنه ستة قدات فضة.

سِوار معصم من حجر سهر ثمنه ثلاثة قدات فضة.

شبى (؟) ثمنه قدتان فضة.

اثنان من … من النحاس ثمنهما ستة دبنات من الفضة وقدتان؛ أي ٣٢ ستاتر أي ستة دبنات فضة وقدتان فضة ثانية، في ثلاثة حقائب.

«جليت» واحد ثمنه دبن واحدًا من الفضة كهدية زواجك.

انظري إن ثمن جهازك الذي أحضرتيه معك إلى بيتي يبلغ ثمانية دبنات فضة وثلاثة قدات في ثلاث حقائب؛ أي ٤١ ½ ستاتر = ٨ دبنات فضة وثلاثة قدات ثانية، ولا ينبغي لي أن أعقد يمينًا ضدك أمام القضاء فيما يخص جهازك أقول فيه: لم تحضريه معك في بيتي. فقد تسلمته من يدك كاملًا غير منقوص، وقلبي منشرح بذلك.

وفي الوقت الذي سأهجرك فيه أو تريدين أن تذهبي فيه عني من تلقاء نفسك؛ فإني أرد إليك جهازك المدوَّن عاليه في ثلاث حقائب عينًا، أو ما يساويه نقدًا فضة كما هو مكتوب، وإني حاميك.

وبعد ذلك نجد على يمين البردية قائمة بأسماء الأشياء التي يحتويها جهاز هذه المرأة — كما ذكر أعلاه — إلا مادة واحدة وهي «جليت» Glet ولا نفهم ما يقصد بها.

المسجل: كتبه: «باتوس» بن بوريس.

وعلى ظهر الورقة كان يوجد ستة عشر شاهدًا، ولكن الكتابة أصبحت باهتة الآن، ولا يمكن قراءتها إلا بصعوبة.

(١-٥) عقد زواج من عهد «بطليموس فيلوباتور»[٥]

التاريخ: في السنة س شهر س من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«برنيكي» الإلهين المحسنين عندما كان ... أس بن «أليبوس» (؟) Alypos كاهن الإسكندر، والإلهين الأخوين، والإلهين المحسنين، وعندما كانت رود (؟) Rhode ابنة «بيلون» (؟) Pylon حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: «مخبل» الذي ولد في مصر ... (يُحتَمل أنه نوبي الأصل).

الطرف الثاني (اسم المرأة فُقِد في البردية).

نص العقد: يقول الطرف الأول للطرف الثاني: (لقد جعلتك زوجتي) ومهرتك (دبنًا واحدًا فضة) أي خمسة ستاتر = دبنًا واحدًا فضة ثانية كصداق، وعندما أهجرك بوصفك زوجتي سواء أكان ذلك لأني كرهتك (أو) لأني فضلت عليك امرأة أخرى فإني أعطيك دبنين فضة؛ أي عشرة ستاتر أي دبنين من الفضة ثانية، وذلك خلافًا للدبن المذكور أعلاه أي خمسة ستاتر = دبنًا واحدًا ثانية، فيكون المجموع ثلاثة دبنات أي خمسة عشر ستاتر (= ثلاثة دبنات فضة ثانية) وإني أعطيك، فضلًا عن ذلك، الثلث من جميع وكل ما سيوجد بيني وبينك، والأطفال الذين وُلِدوا (فعلًا) والذين سيولدون بعدُ سيكونون أصحاب جميع وكلِّ ما هو ملكي الآن، وما سأملكه في المستقبل، وابنك البكر هو ابني البكر بين أولادي الذين ستلدينهم لي.

انظري قائمة جهازك الذي أحضرتيه معك إلى بيتي.

(... على حسب ثمنها ٢$\frac{١}{٢}$ قدات من الفضة.)

أسورة معصم من حجر سهر ثمنها س قدات من الفضة.

هرج hrge ضمن جهازك المذكور أعلاه، والذي لم أعطه إياك، وثمنه س من قدات فضة.

انظري إن ثمن جهازك الذي أحضرتيه معك إلى بيتي (يبلغ) دبنين وثلاثة قدات من الفضة (= ١١$\frac{١}{٢}$ ستاتر = دبنان من الفضة وثلاثة قدات ثانية، وبحساب ٢٤ أبولات من النحاس عن كل قدتين من الفضة).

[٥] Papyrus Hauswaldt 15, P. 49–51.

ولا ينبغي أن أعقد يمينًا فيما يخص جهازك المدون أعلاه بأن أقول: إنك لم تحضريه معك. وجهازك الذي دونت قائمته أعلاه قد أحضرتيه معك في بيتي، وانظري إني قد تسلمته من يدك كاملًا غير منقوص.

وفي الوقت الذي أتركك فيه بوصفك زوجتي، أو في الوقت الذي تذهبين فيه عني بإرادتك فإني أعطيك جهازك المدون أعلاه ثانية، أو ثمنه فضة على حسب ما دُوِّن …

يتكلم البلمي المولود في مصر، وهو «هارمياس» Harmais ابن «حاربائيسي» و«ون-أسي» (؟) المزراع وخادم «حور» صاحب «إدفو» «بابوس» بن «هارمايس» وتاسي (ابني) لَيْتَه يعمل على حسب الكلمات المذكورة أعلاه في كل وقت دون (مشادَّة).

المسجل: كتبه «حور» بن «با-بل-في» الذي يكتب باسم «با-بل-في» بن «باختراس» Pachtrates كاتب الوثائق في «إدفو».

وكُتِب على ظهر الورقة بخط شخص بعينه أسماء ستة عشر شاهدًا، ولم يبق منها إلا نصف الأسطر التي على اليمين.

(١-٦) عقد إيجار أرض من عهد «بطليموس الرابع»[٦]

التاريخ: في السنة (س) شهر (س) من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«برنيكي» الإلهين الأخوين والإلهين المحسنين عندما كان «فيداسوس» Phidasos ابن أبوللودوروس Apollodoros كاهن الإسكندر والإلهين الأخوين، وعندما كانت «تميستا» Themista ابنة «كورينتوس» Korinthos حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: يتكلم المزارع وخادم «حور» صاحب «إدفو» ابن «باتوس» بن «بابوس» بن «بابوس» والـ … ومن يحمل نفس اللقب فلان ابن فلان، ومن يحمل نفس اللقب فلان ابن فلان، ومن يحمل نفس اللقب «بابوس» بن «باسوس» و«تايريس» Tayris ومن يحمل نفس اللقب «باتوس» الكبير ابن «بسنبمواس» Psenpmois و«تاخويس»، ومن يحمل نفس اللقب «بالهو» بن «باتفيس» Patephis

[٦] Papyrus Hauswaldt 16, PP. 51–54.

و«تالهو»، ومن يحمل نفس اللقب «باتوس» بن «بالهو» و«رنبنفر»، ومن يحمل نفس اللقب «باتوس» بن «حارميس» و«تاتوس»، ومن يحمل نفس اللقب «با-حونفر» (؟) ابن «أونيس» Ones و«تامنيس»، ومن يحمل نفس اللقب «بابوس» بن «بالهو» بن «حور الصغير» و«تا-لهو»، ومن يحمل نفس اللقب فلان ابن فلان وفلانة، وهم أحد عشر شخصًا يتكلمون بفم واحد.

الطرف الثاني: إلى المزارع وخادم «حور» صاحب «إدفو» وهو من أهالي قبيلة «بابوس» بن «بالهو» و«سنأمونيس»، مع رفاقه وعددهم جميعًا خمسة أشخاص: لـ … قطعة الأرض الجنوبية التابعة لجزيرة الأثل، والتي تبلغ مساحتها ٤٥ أرورا تحت الزيادة والنقصان، وحدودها ما يأتي:

في الجنوب: حقل «بتفريس» (بوتيفار) بن «بسنبمويس» Psenpmois.

في الشمال: حقل «باخويس» بن «بابوس».

في الشرق: النهر العظيم.

في الغرب: …

انظر هذه هي حدود القطعة الجنوبية التي تبلغ ٤٥ أرورا تحت الزيادة والنقصان، وهي التي تسلمتم من أجلها نقودًا من خزينة الملك من «منسارخوس» Mnesarchos المستشار الأعلى للمالية، ونائب الملك، وقيمتها ١٢٣ دبنًا فضة، وسبعة قدات و½٢٠٢ إردبًا من الغلة.

وإن الحقل الذي أصبح لكم حقًّا من هذه اللحظة هو الذي كان لنا حقُّ تملكه، وقد دفعتم إيجاره على حسب قيمته، وذلك طبقًا للإيجار الذي حرَّرناه كتابة … يُدفَع في بنك الفرعون بالنقد المذكور أعلاه، والأرادب المذكوره أعلاه على حسب تسعيرة الإيجار، والباقي على حسبه، وأنتم تدفعون إجارتكم على ذلك بالنقد على حسب التسعيرة التي حرَّرناها كتابة.

وإن من يرفض منا التعامل على حسب الكلمات المذكورة أعلاه فإنه يدفع سبعين دبنًا فضة؛ أي ٣٥٠ ستاتر أي ٧٠ دبنًا فضة ثانية، وإنه في حمايتنا، ونحن نعمل كذلك على حسب كل كلمة أعلاه (…) حتى نعمل على حسب ذلك، ونحن نحميكم بمقتضى هذه الكتابة التي حرَّرناها لكم بخصوص إيجار الجزيرة المذكورة أعلاه، وإن مدير إدارتكم له الحق الكامل في كل كلمة يتكلم بها معنا باسم كل كلمة ذُكِرتْ أعلاه، ونحن سننفِّذها له على حسب أمرك، وسنكون مرتبطين بأمره دون مشاحة أو أية ضربة.

وقد وجد على ظهر الورقة أسماء ثمانية شهود كتبت بخط فرد واحد بعينه.

ملحوظة: تدل الظواهر على أنه توجد قطعة أخرى من عقد ذكرها الأثري «شبيجلبرج» وضعها تحت رقم ٧٢٠ [٧] (تابعة للوثيقة التي نحن بصددها، والواقع أن هذه القطعة تتفق مع متننا هذا، وعلى ذلك فيُحتَمل أن تكون نسخة أخرى موحدة) معه.

المسجل: (فُقِد الاسم من البردية).

(١-٧) عقد بيع أرض[٨]

التاريخ: في السنة التاسعة شهر بَشَنْس من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«برنيكي»، والإلهين الأخوين، والإلهين المحسنين؛ عندما كان «أندرونيكوس» Andronikos ابن «نيكانور» Nikannor كاهن الإسكندر، والإلهين الأخوين، والإلهين المحسنين، والإلهين المحبين لوالدهما، وعندما كانت (…) أس … ابنة «بطليموس» بن «إمبديون» Empedion حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها، وعندما كان «نيكانور» بن «باكيس» (؟) كاهن مقاطعة طيبة «بتروميس» «بطليموس» للإله، وللإلهين المحبين لوالدهما.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: المزارع وخادم الإله «حور» صاحب «إدفو»، «باناس» بن «حارمسن» و«تاخويس».

الطرف الثاني: المزارع خادم الإله «حور» صاحب «إدفو» المنسوب إلى أهالي فيلة، «بابوس» بن «بالهو» و«سنامونيس» Senamunis.

نص العقد: يقول الطرف الأول للطرف الثاني: إني بعيد عنك فيما يتعلق بحقليك … في أرض معبد «حور» صاحب «إدفو» الإله العظيم رب السماء، الواقعين في جزيرة الأثل في القسم الجنوبي من مقاطعة «إدفو» وهما اللذان اشتريتهما بالفضة (أي نقدًا) من «حور» بن … و… وبيانهما هو: حقل منهما حدوده هي:

في الجنوب: حقل (…) ابن فلان وفلانة ابنة «حاربكولوتس» Harpkolluthes.

---

[٧] Ibid. P. 61.

[٨] Papyrus Hausewaldt 17. P. 54–56.

في الشمال: حقل المرأة «سنبمويس» Senpmois.

في الشرق: حقلك الآخر.

في الغرب: الجبل.

والحقل الآخر معهما حدوده كالآتي:

في الجنوب: …

في الشرق: … حقول.

في الشمال: الحقل الآخر.

في الغرب: الجبل (؟).

انظر إن هذه هي حدود الحقلين.

وليس لي أي حق، ولا منازعات قضائية (أو) أية كلمة في العالم باسمهما عليك من اليوم فصاعدًا، وأي إنسان يظهر ضدك بسببهما باسمي أو باسم أي شخص مهما كان في العالم، فعليَّ إذن أن أبعده عنك طوعًا، وإذا لم يكن في استطاعتي أن أبعده طوعًا عنك فإني سأبعده بالقوة دون مشاحة أو مشادَّة.

المسجل: كتبه «حور» بن «بي-خموتني-أنتي-أسي» وهو الذي كتبه باسم «بي خموتني-أنتي-أسي بن بخراتيس» كاتب الكتب في «إدفو».

وعلى ظهر الورقة كُتِب ستة عشر شاهدًا بخطٍّ شخص بعينه.

(١-٨) سلفة مقابل رهن[٩]

عقد رهن

مقدمة: هذه الورقة تحتوي على مستندين، وهما في الأصل وثيقة دَيْن مقابل رهن، ثم وثيقة تنازل، وذلك أن المرأة «رنبت نفر» قد استلفت في شهر أمشير من العام العاشر من عهد الملك «بطليموس فيلوباتور» من «أندرونيكوس» Andronikos خمسين

[٩] Papyrus Housewaldt, 18. P. 56–60.

ستاتر بشرط أن تردها له في مدة سنة مع فوائدها، وفي مقابل ذلك رهنت له خمس قطع أرض صالحة للزراعة تكون ملكًا للدائن بعد انتهاء المدة المحددة إذا هو لم يسترد دينه، ويُلحَظ أن وثيقة الرهن، وترتيب الرهن قد جُمِعا في الوثيقة الأولى التي وُجِدت بكل أسف ممزقة، وفيها نجد أنها تعلن بصورة كاملة عن بيع هذه الحقول المؤلفة من خمس قطع أرض للراهن «أندرونيكوس» في حالة عدم سداد الخمسين ستاتر؛ وعلى ذلك نجد فعلًا بيعًا عند انقضاء مدة السنة دون سداد المبلغ، وبذلك يكون حق الراهن قد سقط، وهذه الحالة في الواقع يكون لها مفعول بعد عام، وعلى ذلك فإن عقد الرهن الذي حُرِّر بمبلغ من المال في أول الأمر يُعَد بمثابة تكملة في عقد التنازل الذي حُرِّر على البردية نفسها في شهر أمشير من العام الحادي عشر.

التاريخ: في السنة العاشرة شهر أمشير من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«برنيكي» الإلهين المحسنين عندما كان «بيتاندروس» Piethandros ابن بير (…) كاهن الإسكندر، والإلهين المخلصين، والإلهين الأخوين، والإلهين المحسنين، والإلهين المحبين لوالدهما، وعندما كانت «أناكسيكلا» Anaxiklea ابنة تيوجنيدس (؟) Theognides حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها، وعندما كان فلان كاهن مقاطعة طيبة «لبطليموس» العائش أبديًّا، وللإلهين المحبين لوالدهما.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: المرأة «رنبت-نفر» ابنة «حور» و«ناأماسيس» Naamasesis.

الطرف الثاني: الإغريقي المولود في مصر «أندرونيكوس» Andronikos ابن «أندروستينيس» Androsthenes و«تاناختيس» Tlnachthis.

نص العقد: يقول الطرف الأول للطرف الثاني: لقد أخذت مني عشرة دبنات فضة، وهو ما قيمته خمسين ستاتر؛ أي عشرة دبنات فضة، ثانية (وهي بالعملة النحاسية ٢٤ قدتًا نحاس تساوي قدتين من الفضة) بالإضافة إلى أرباحها أي ١ / ٢ أوبول من النحاس عن كل قدتين من الفضة، فيكون المجموع ٢$\frac{١}{١٢}$ قدت من الفضة (…) وإني أرد لك المبلغ أعلاه في نهاية شهر طوبة، وإذا لم أرضك تمامًا فإنك بذلك تكون قد جعلت قلبي منشرحًا بالثمن فضة عن حقلي الذي يحتوي على خمس قطع أرض، وهي الواقعة في حقل تكوي بي-خموتني-أنتي-أسي في المركز الجنوبي لمقاطعة «إدفو».

وبيانها هو: حقل هناك، وحدوده هي:

في الجنوب: حقل «باتوس» بن «حور» بن «باسوس».

في الشمال: حقل «باسوس» بن «باي» (؟).

في الشرق: النهر العظيم (النيل).

في الغرب: السوق.

والحقل الثاني: (في نفس الجهة)، وحدوده هي:

في الجنوب: حقل «باتوس» بن «حور» بن «باسوس».

في الشمال: حقل «باتوس» بن «باي».

في الشرق: النهر العظيم.

في الغرب: السوق.

والحقل الآخر (الثالث) في نفس الجهة.

حدوده هي:

في الجنوب: حقل «باتوس» بن «حور» بن «باسوس».

في الشمال: حقل «باتوس» بن «باي» (؟).

في الشرق: النهر العظيم.

في الغرب: السوق.

الحقل الآخر (الرابع) في نفس الجهة.

حدوده هي:

في الجنوب: حقل «باتوس» بن «باي» (؟).

في الشمال: حقل «بمويس» (؟) Pmois ابن «بابوس».

في الشرق: السوق.

في الغرب: حقل «باسوس» بن «باخويس» (؟) ابن «برنبيتيس» Berenbthis.

الحقل الآخر (الخامس) في نفس الجهة.

حدوده هي:

في الجنوب: حقل ... ابن «باي» (؟).

في الشمال: حقل «بمويس» بن «بابوس».

في الشرق: بردي ... والطريق.

في الغرب: حقل «باسوس الكبير» (؟) ابن «بسنتائس» Psentaes وأخوه.

انظر؛ هذه هي حدود الحقول المذكورة أعلاه، وهي تتألف من خمس قطع حقول، وقد نزلت لك عنها مقابل نقود، وقد دفعت لي ثمنها نقدًا، وقد تسلمته من يدك كاملًا غير منقوص، وقلبي منشرح به، وهي ملكك، وحقولك المذكورة أعلاه، وهي التي تتألف من خمسة قطع حقول، وليس لي حق ولا مقاضاة (أو) أي شيء في العالم عندك أطلبه باسمها (أي الحقول) من اليوم فصاعدًا، وليس لأي إنسان في العالم مهما كان حق التصرف فيها خلافك، وكل إنسان في العالم (سيأتي إليك) بخصوصها ليأخذها منك، أو ليأخذ منك جزءًا منها قائلًا إنها ليست ملكك؛ سواء أكان ذلك باسمي أو باسم أي شخص مهما كان في العالم، وكذلك أنا نفسي، وعندئذ عليَّ أن أجعله يتنحَّى عنك فيما يخصها، وإني سأطهرها لك (أي) الحقول المذكورة أعلاه من كل كتابة، ومن كل حجة، ومن كل شيء آخر في العالم، وكل مستند حُرِّر بخصوصها مني، وكل مستند يكون لي بوساطته حق عليها فإنه ملكك، ومستنداتها وحُجَجها ملكك، وكذلك ملكك برديتها القديمة، وبرديتها الجديدة في كل مكان توجد فيه (ربما يقصد هنا ما دوِّن بخصوصها من أقدم العهود حتى الآن) وهي ملكك وحقوقها، وكذلك ملكك فيما يتعلق بما هو حق لي باسمها (الوثيقة) ... واليمين والبينة اللذان يطلبان مني أو منك أمام المحكمة لتأديتهما أمامك تؤديها أو أؤديها على حسب صحة كل كلمة مدونة أعلاه، وإني سأؤديه دون أية قضية، أو أية كلمة في العالم أقاضيك عليها.

والمرأة «تبايس» Thebais ابنة «باسوس» وأمها (هي) «رنبت-نفر» والمزارع خادم الإله «حور» صاحب «إدفو» «باتوس» بن «باتس» بن «باتفيس» Patephis و«تالهو» وهما شخصان يتحدثان: نحن تعاقدنا فيما يتعلق بالمرأة «رنب نفر» ابنة «حور» المذكورة أعلاه، على أن تعمل لك على حسب كل كلمة أعلاه، وإذا لم تفعل على حسب ذلك فإنا سنفعل ذلك على حسابها (الوثيقة) بقوة وبدون عائق، وبدون مقاومة.

المسجل: كتبه «فيبيس» بن «با-بل-في».

عقد تنازل عن الرهنية السابقة (عام ٢١٢-٢١١ق.م)

التاريخ: في السنة الحادية عشرة، الشهر أمشير، من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«برنيكي» الإلهين المحسنين.

الطرفان المتعاقدان: هما اللذان ذُكِرا في الوثيقة السابقة.

نص العقد: إني بعيد عنك فيما يتعلق بهذه الحقول الخمسة المؤلفة من خمس قطع أرض، وهي التي تقع في حدِّ الحقل العالي التابع لـ «بي خمو تني-أنتي-أسي» الواقعة في القسم الجنوبي من مقاطعة «إدفو» وهي التي تعاقدت معك عليها بالثمن نقدًا في السنة العاشرة شهر أمشير من عهد الملك العائش أبديًّا المحبوب من «إزيس».

وبيانها كالآتي:

(١) حقل منها هناك.

حدوده هي:

في الجنوب: حقل «با-تا-وي» (باتوس) بن «حور» بن «باسوس».

في الشمال: حقل «باسوس» بن «بأي».

في الشرق: النهر العظيم (النيل).

في الغرب: السوق.

(٢) الحقل الآخر (الثاني في نفس الجهة)، وحدوده هي:

في الجنوب: حقل «باتوس» بن «حور» بن «باسوس».

في الشمال: حقل «باتوس» بن «باي» (؟).

في الشرق: النهر العظيم (النيل).

في الغرب: السوق.

(٣) الحقل الآخر (الثالث في نفس الجهة).

حدوده هي:

في الجنوب: حقل «باتوس» بن «حور» بن «باسوس».

في الشمال: حقل «باتوس» بن «باي» (؟).

في الشرق: النهر العظيم (النيل).

في الغرب: السوق.

(٤) الحقل الآخر (الرابع في نفس الجهة).

حدوده هي:

في الجنوب: حقل «باتوس» بن «بأي» (؟).

في الشمال: حقل «بمويس» (؟) ابن «بابوس».

في الشرق: السوق.

في الغرب: حقل «باسوس» بن «باخويس» بن «برنبتيس» Perenebthis.

(٥) الحقل الآخر (الخامس في نفس الجهة).

حدوده هي:

في الجنوب: ... ابن «بأي» (؟).

في الشمال: حقل «بمويس» (؟) ابن «بابوس».

في الشرق: بردي ... والطريق.

في الغرب: حقل «باسوس الكبير» ابن بزنتائس Psentaes وأخوه.

انظر: هذه هي حدود الحقول المذكورة أعلاه، وهي خمس قطع سويًّا، وليس لي أي حق أو نزاع قضائي أو أية كلمة في العالم باسمها أطلبها منك من اليوم فصاعدًا، ولن يكون في مقدور أي إنسان في العالم التصرف فيها إلا أنت، وأي إنسان في العالم سيأتي إليك بسببها باسمي أو باسم أي شخص آخر في العالم، وكذلك أنا نفسي، فإني سأجعله يتنحَّى عنك فيما يتعلق بها (الحقول)؛ وإذا لم أجعله يتنحَّى عنك طوعًا فإني سأجعله يتنحَّى قهرًا دون عناد.

وإن المرأة «تبايس» Thebais ابنة «باسوس» وأمها هي «رنبت-نفر» والمزارع خادم «حور» صاحب «إدفو» ابن «باتيفيس» و«تالهو» وهما شخصان يقولان: نحن ضامنان المرأة «رنبت-نفر» ابنة «حور» المذكورة أعلاه؛ بأن ننفِّذ لك على حسب جميع الكلام أعلاه، وإذا لم نفعل على حسبه فإنا سنفعل على حسبه قهرًا دون عناد، ودون أية ضربة، ونحن نؤدي حقَّ الحقول المذكورة أعلاه في كل زمان إجبارًا، ودون عناد، ودون أية ضربة.

المسجل: كالعقد السابق.

وظهر الورقة خالٍ من الكتابة.

(١-٩) عقد بيع أرض[١٠]

مستند بنقود

التاريخ: في السنة السابعة، شهر مِسْرَى، من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«برنيكي» الإلهين المحسنين، عندما كان «بطليموس» بن «بطليموس» كاهن الإسكندر، والإلهين الأخوين، والإلهين المحسنين، والإلهين المحبين لوالدهما، وعندما كانت «أرسنوي» أخت «سوسيبيوس» حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: المزارع خادم «حور» صاحب «إدفو» مواطن الفيلة «بابوس» بن «بالهو» وأمه هي «سنآمونيس».

الطرف الثاني: المزارع خادم «حور» صاحب «إدفو» «بابوس» بن «حاربائزيس» و«رنبت نفر».

نص العقد: يقول الطرف الأول للطرف الثاني: لقد دفعتَ لي الثمن كاملًا؛ وإنك جعلت قلبي منشرحًا بالثمن نقدًا مقابل حقلي الذي في الجزيرة، وهو الذي يبلغ ١ $\frac{١}{٤}$ ميلًا من الجنوب إلى الشمال، ويقع في أرض معبد «حور» صاحب «إدفو» الإله العظيم رب السماء في جزيرة الأثل في القسم الجنوبي من مقاطعة «إدفو».

انظر هذه هي حدوده:

في الجنوب: حقل «باخويس» بن «بابوس».

في الشمال: حقل المرأة «تبوكيس» (تابكت) ابنة «بارهو» وأخوها، وحقل «سنبمويس» Senpmois ابنة «بابوس».

في الشرق: النهر العظيم.

---

[١٠] Papyrus Hauswaldt 25, PP. 63–65.

في الغرب: الحقل العالي.

نص العقد: نظر؛ إن هذه هي حدود حقل الجزيرة ملكي المذكور أعلاه، وثلثه ملك «باخويس» بن «بابوس» في حين أن ثلثه الثاني هو ملك المزارع خادم «حور» صاحب «إدفو» ابن «حاربائزيس» وأمه هي تبلليس Tbelles وثلثه الأخير ملكك، وهذا هو كل الحقل.

وقد بعت لك مقابل نقدٍ حقل الجزيرة المذكور أعلاه، وقد دفعت قيمته نقدًا، وقد تسلمته من يدك كاملًا غير منقوص، وقلبي منشرح بذلك، وهو ملكك، وليس لي أي حق، ولا مقاضاة، أو أية كلمة في العالم باسمه عليك من اليوم فصاعدًا، ولا ينبغي لأي شخص في العالم أن يكون له سلطان عليه خلافك، وكل إنسان في العالم يظهر أمامك بسببه ليغتصبه منك أو ليأخذ شيئًا منه؛ وذلك عندما يقول: إنه ليس ملكك، سواء أكان ذلك باسمي أو باسم أي رجل في العالم فإني أبعده بنفسي عنك فيما يتعلق به (أي الحقل)، وإني سأطهِّره لك من كل كتابة، ومن كل وثيقة قضائية، ومن كل كلمة في العالم في كل وقت.

وكل مستند أكون قد حررته بخصوصه، وكل مستند أكون قد صادقت عليه بخصوصه، وكل مستند يكون قد تمَّ لي بخصوصه، وكذلك كل مستند بمقتضاه يكون لي الحق فيه فإنها ملكك، وكذلك ملكك برديته القديمة وبرديته الجديدة في أي مكان كانت فيه فإنها ملكك مع حقوقها وقضاياها (التي تثبت الملكية).

واليمين أو البينة الذي يطلب منك، أو مني أمام القضاء؛ لتؤديه أو لأؤديه بصحة كل كلمة ذكرت أعلاه فإني أؤديه دون أية مقاضاة، أو أية كلمة تقال لك.

كتبه: «ثاي-أمو» بن «با-بل-في».

عقد تنازل عن البيع السابق[١١]

التاريخ: كالعقد السابق.

الطرفان المتعاقدان: كالعقد السابق.

[١١] Papyrus Hauswaldt 25, P. 64–65.

نص العقد: يقول الطرف الأول للطرف الثاني: إني بعيد عنك فيما يتعلق بحقل الجزيرة ملكك، وهو الذي يقع في أرض معبد الإله «حور» صاحب «إدفو» الإله العظيم رب السماء في جزيرة الأثل في القسم الجنوبي من مقاطعة «إدفو» وتبلغ مساحته ١ ١/٤ ميلًا (؟) من الجنوب إلى الشمال، وهو الذي حررت لك به إيصالًا بنقدٍ في السنة السابعة من عهد الملك المحبوب من «إزيس» أبديًّا، وهذا الحقل ثلثه ملك «باخويس» بن «بابوس» وأمه هي «تا-رهو»، في حين أن «حور» بن «حاربائزيس» وأمه هي «تبللس» تملك الثلث الثاني، والثلث الأخير ملكك، وحدوده هي:

في الجنوب: حقل «باخويس» بن «بابوس».

في الشمال: حقل المرأة «تبوكيس» ابنة «با-رهو» وحقل «سنبمويس» Senpmois ابنة «تابوس».

في الشرق: النيل العظيم.

في الغرب: الحقل العالي.

نص العقد: انظر؛ هذه هي حدود حقل الجزيرة ملكي المذكور أعلاه، وليس لي أي حق، أو إجراء قانوني، أو أية كلمة في العالم بخصوصه (أي الحقل) عليك من اليوم فصاعدًا، ولن يكون في مقدور أي شخص مهما كان أن يكون له سلطان عليه خلافك، وكل إنسان في العالم يأتي أمامك فيما يتعلق به ليغتصبه منك (أو) ليأخذ منه شيئًا حين يقول: إنه ليس ملكك، سواء أكان ذلك باسمي، أو باسم أي شخص آخر في العالم، فإني سأنحِّيه بنفسي عنك فيما يتعلق بهذا الحق، وإذا لم أنحِّه عنك طوعًا فإني سأنحِّيه قهرًا دون مشادَّة، وإني سأطهِّره لك من كل كلمة في العالم في كل زمان.

وإنك ستكون في حمايتي بمقتضى مستند النقد الذي حررته لك في السنة السابعة، شهر مِسْرَى، من عهد الملك العائش، وذلك فضلًا عن عقد التنازل المذكور أعلاه، وهما إذن وثيقتان، وإني أؤدي لك حقوقك في كل زمن دون أية مشادَّة (ضربة).

كتبه: ثي-أمو بن «بابل في».

وعلى ظهر الورقة التي تحتوي على الوثيقتين دوِّنت أسماء ستة عشر شاهدًا مرتين؛ إحداهما للوثيقة الأولى، والأخرى للوثيقة الثانية.

(١٠-١) عقد بيع أرض في عهد «بطليموس الرابع» فيلوباتور[١٢]

التاريخ: في السنة الثانية عشرة، شهر طوبة، من عهد «بطليموس» بن «بطليموس» و«برنيكي» الإلهين المحسنين، عندما كان «آتانوس» Atanus ابن «أتانوس» (؟) كاهن الإسكندر، والإلهين المخلصين، والإلهين الأخوين، والإلهين المحسنين، والإلهين اللذين يحبَّان والدهما للسنة الثانية، وعندما كانت «كنيان» (؟) Kenian ابنة «تمستوس؟» Temestos حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها، وعندما كانت أمنا (؟) Imna ابنة «بريجنيز» Perigenes كاهنة «برنيكي» سيدة القوة، المحسنة، وعندما كان «نيكانور» Nnicanor ابن «باسيس» (؟) Bacis كاهنًا في منطقة طيبة «بطليموس» الإله، والإلهين المحبين لوالدهما.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: قال الإغريقيُّ «نيكون» Nicon الذي يُسمَّى بالمصرية «بتيخنس» بن «أثينيون» Athenion وأمه كانت تدعى «تشرت-من».

الطرف الثاني: إلى رجل من أهل «بي-جرج» يُدعى «توتو» Thoteu ابن «بشممين» Pschemmin وأمه تدعى «تشي ...»

نص العقد: لقد أرضيتَ قلبي بنقود أرضي، وهي التي تحتوي على ١ / ٨ + ١١½ أرورات من الأرض؛ أي أحد عشر أرورًا ونصف و٢ / ١٦ أي ١ / ٨ + ١١½ من الأرض ثانية، وذلك مع حق ما تساويها (؟) وهي في ضيعة «آمون» المقدسة؛ أي مزرعة «أوفيس» Ophis ... (؟) في الأجزاء المعمورة في غربي «طيبة» في مقاطعة «باتيريس» Pathyris (بالقرب من جبلين).

وحدودها هي:

في الجنوب: أرض آمونيوس Ammonius ابن «كاليكراتس» Kallicrates.

في الشمال: أرض «بشممين» Pschmmin ابن «فيلولاوس» Philolaus.

في الشرق: القرية التي تسمى مجدول (= مجدل تقابل الآن مشتول).

---

[١٢] Proceeding of the Society of Biblical Archeology. Vol. XXIII (1901). P. 294.

في الغرب: أراضٍ أخرى، وهي التي مساحتها ثلاثة أرورات من الأرض مع ما يعادلها (؟) ولوحة الحدود بينهما، وجيران (؟) الأرض التي مساحتها ١/ ٨ ١١½ أرورا، وما يعادلها كما هو مذكور أعلاه.

نص العقد: لقد وهبتها لك، وإنها ملكك (ومن الآن فصاعدًا) هي أرضك التي مساحتها ١/ ٨ ١١½ أرورا من الأرض وما يعادلها (؟) كما هو مدوَّن أعلاه، وقد تسلَّمت ثمنها من يدك كاملًا غير منقوص، وقلبي مرتاح به (أي الثمن)، وليس لي أي شيء أفعله على الأرض فيما يتعلق بها، ولن يكون في استطاعة أي إنسان حتى شخصي أن يكون له سلطان عليها غيرك من اليوم فصاعدًا، وأن من سيأتي إليك بسببها باسمي أو باسم أي رجل في العالم فسأجعله يتنحَّى عنك، وإني سأطهِّرها لك من أية كتابة أو حُجَّة أو أية كلمة في العالم في كل الأزمنة، وكل مستنداتها وحُجَجها (؟) في كل مكان تكون فيه فهي ملكك، وكل مستند كانت قد حُرِّرت بخصوصها، هذا بالإضافة إلى كل مستند ادَّعيت فيه الحق فيها.

وإن اليمين الذي يجعل الإنسان يقف … والتي سيُفرَض عليك في قاعة العدل بمقتضى حق الكتابة التي دوِّنت أعلاه، وهي التي حرَّرتها لك، والتي أصبحت بها ملزمًا لأدائة (أي اليمين) فإني سأقوم بأدائه دون أية حجة، أو أية كلمة على الأرض عليك.

كتبه: «خنس-تحوت» بن «حور» الذي كتبه باسم كهنة «آمون رع» ملك الآلهة، والإلهين الأخوين، والإلهين المحسنين، والإلهين المحبين لوالدهما، من بين طوائف الكهنة الخمس.

(١-١١) وصية من عهد «بطليموس الرابع»[١٣]

التاريخ: السنة الخامسة، شهر مِسْرَى، من عهد الفرعون «بطليموس» بن «بطليموس» و«برنيكي» الإلهين المحسنين (سبتمبر ٢١٧ق.م) عندما كان «منسياتس» Mnsyats ابن «بوليكراتيس» Polikrates كاهن الإسكندر، والإلهين الأخوين، والإلهين المحسنين، وعندما كانت «فيلين» Philin ابنة «سترتوس» Strtus حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

[١٣] Ph. XXVI, Miz. IX Pl. 23–24.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: المحنِّط، وكاتب «بشنمين» بن «بل» وأمه (هي) «تفني» Tefne.

الطرف الثاني: المرأة «تآمون» ابنة «بانا» وأمها (هي) «تا-تحوت».

صيغة العقد: لقد دفعتَ لي (الثمن) وجعلتَ قلبي يرضى بالثمن نقدًا عن القبر المقبب الخاص بالولي «بتنباستي» Petenbasti، وكذلك مقصورة القبر الذي يثوي فيه، وكل شيء يتعلق به، وبمرتباته، وأمتعته، وحدوده هي:

جنوبًا: (؟) القبر المقبب الخاص بالولية «موت-م-ويا» (؟) والولي «حور» الذي هناك معها.

الشمال: القبر المقبب الخاص بالولي «بتنسر» Petenser وهو ملك «تتستم» Thethsetem.

الشرق: القبر المقبب الخاص بالولي «بتيشول» Peteshwl.

الغرب: بقية ردهات «آمون».

وهذه هي حدود القبر المقبب الذي يثوي فيه «بتوباستي»، وآخر وهو القبر المقبب لصاحبه الولي «حاربائيسي» بن «تورمن» وهو الذي يؤلف الحد الشرقي المؤدي لمر آمون، ويشمل ذلك: المرتبات، والأمتعة، ومقصورة القبر التي يثوي فيها، وحدوده هي:

الجنوب: بقية ردهات ملك «بشنتحوت» Pshenthot ابن «بل».

الشمال: القبر المقبب الخاص بالولي «بيلون» Pylwn، والقبر الخاص بالولي «بتؤر».

الشرق: ردهة «باحبر» Pahbr والجدار الساند بينهما.

الغرب: ممر «آمون».

هذه هي الحدود لكل مقصورة قبر الولي «حاربائيسي» السالف الذكر، وهي التي وهبتها لك، وهذان الشهيدان (الوليان) هما ملكك مع منافعهما، ومقصورتيهما، ومتاعهما.

الصيغة القانونية: وإن من سيأتي إليك بخصوصهما سواء أكان باسمي أو باسم أي شخص آخر فإني سأجعله يتنحَّى عنك، وإذا لم أجعله يتنحَّى عنك فإني سأعطيك

خمسين قطعة فضة (دبنًا)؛ أي مائتين وخمسين ستاتر، أي خمسين قطعة فضة ثانية، وسأطهِّرهما لك من كل مستند، ومن كل حجة بيع، ومن كل شيء أيًّا كان في أي وقت.

ومستنداتهما ملكك، وحُجَجهما كذلك في أي مكان تكون فيه، وكل مستند يكون قد حُرِّر بخصوصهما؛ وكل مستند يكون قد حُرِّر لي بخصوصهما، ويكون فيه حق قانوني لي باسمها فهو ملكك، وكذلك حقوقهما.

وإن يمين الإثبات الذي سيُفرَض عليك في محكمة العدل باسم القبرين المقببين السالفي الذكر، واللذان أعطيتهما إياك، فإني سأحلفه طوعًا دون تأخير أو أذًى.

كتبه: «حور» بن «بتخنس» وكيل «بتيسي» بن «باهي» كاتب حُجَج «جمي» عند طلبه.

(١-١٢) عقد زواج من عهد «بطليموس الرابع»[١٤]

التاريخ: السنة الثالثة عشرة، شهر بئونة (يوليه-أغسطس سنة ٢١٠ق.م) من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و«برنيكي» الإلهين المحسنين عندما كان الكاهن … الإسكندر، والإلهان المخلصان، والإلهان الأخوان، والإلهان المحسنان، والإلهان اللذان يحبان والدهما، وفي السنة الثانية عندما كان «أمنا» (؟) Imna ابنة «فيلوجنيس» حاملة السلة الذهبية أمام محبة أخيها «أرسنوي».

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: حانوتي مدفن «أبيس» (تحوت-نسي-ناخموي) Snachomneus ابن «با-تم» وأمه (هي) سن-أمن.

الطرف الثاني: المرأة «تا (؟) أمن نخت أرو» ابنة «بتنفر (؟) حو» وأمه (هي) جله.

نص العقد: لقد اتخذتك زوجة، وإني أمهرك دبنين؛ أي عشرة ستاتر، إلى باقي العقد كالذي ترجمناه سابقًا في عهد «بطليموس الثالث».[١٥]

---

[١٤] Demotische Pap. Koning. Mus. zu Berlin. Taf. 7. P. 7.

[١٥] Ibid. P. 7.

(١-١٣) بيع مكان قبر

هذه الوثيقة عُثِر عليها في «أم البرجات» (تبتنيس القديمة) من أعمال الفيوم، وهذا العقد غير كامل، وهاك ما بقي منه:

التاريخ: السنة الثانية عشرة، شهر هاتور، من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» ... والإلهين الأخوين، وعندما كان كاهن الإسكندر، والإلهين المخلصين، والإلهين الأخوين، والإلهين المحسنين، والإلهين المحبين والدهما، فلان ابن فلان، (وعندما) كانت «أمنا» Imna ابنة «بريجنس» و«جنن» ابنة «تمستس» حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوي» محبة أخيها.

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: ...

الطرف الثاني: امرأة كاهن «سوكنيبتنيس» Soknebtynis والإلهان الأخوان، والإلهان المحسنان، والإلهان اللذان يحبان والدهما لـ ...

نص العقد: لقد باع الطرف الأول للطرف الثاني قبرًا يقع على ربوة (؟) وكل أبوابه تقع غربي مدينة الموتى توتون «تبتنيس» في مقاطعة «أرسنوي».[١٦]

(١-١٤) متحف اللوفر[١٧]

عقد بيع بيت

التاريخ: السنة السابعة من عهد «بطليموس» فيلوباتور (٢١٥ق.م)

الطرفان المتعاقدان: الطرف الأول: الحانوتي «أمنؤبي»-أمنحوتب بن «با-من» وأمه هي «تاوجش».

الطرف الثاني: المرأة «تا-إيو» Ta-eyw ابنة «أمنحوتب» وأمه هي «تانفر».

---

[١٦] Die Demotischen Denkmaler. Cat. Gen. Antiq. Egyptiennes II. P. 74. No. 3066 and Tafel XXXVII.

[١٧] Pap. Louvre 3263.

العقد: بيع بيت في القسم الشمالي من طيبة؛ بيت البقرة، ومقابر في الجبَّانة، وقد صدقت عليه «تانفر» زوج الطرف الأول وأم الطرف الثاني؛ أي إن الطرف الثاني هي ابنة الطرف الأول.

الكاتب «باتي-أست» بن «باحي».

(٢) المتحف البريطاني[١٨]

(٢-١) بيع سدس بيت

التاريخ: السنة الخامسة من عهد «بطليموس الرابع» (٢١٧ق.م).

الطرف الأول: «تانفر» ابنة «أمنحوتب» وأمها (هي) «تيخى».

الطرف الثاني: «تشرت-آتوم» ابنة «نس-نوخمناو» وأمها هي «تانفر».

العقد: بيع سدس بيت في القسم الشمالي من طيبة، ومقابر في الجبَّانة، وقد صادق عليها «بانفر» بن «نس-نو» «خمناو» و«تي عو» ابنة «نس-نو خمناو»؛ أي ابن الطرف الأول، وابنته، وأخو الطرف الثاني.

الكاتب: «با-تي أست» بن «باحي».

(٢-٢) ورقة مرسليا: عقد سلفية

التاريخ: السنة الخامسة من عهد «بطليموس الرابع» (٢١٧ق.م).

الطرف الأول: «جحر» بن «بمن» وأمه هي «تروش».

الطرف الثاني: «حري» بن «بمن» وأمه هي تروش؛ أي أخوان.

الكاتب: «باتي-أست» بن «باحي».

---

[١٨] Pap. B.M. 10073.

الفصل السابع عشر

قيمة الوثائق الديموطيقية في العهد البطلمي الأول في تفهُّم حياة الشعب المصري من كل الوجوه

تحدثنا في الجزء الأول من هذه الموسوعة[1] عن وجود نوع من الكتابة تُدعَى بالكتابة الديموطيقية، ثم تناولنا في الجزء الحادي عشر من نفس الموسوعة[2] الكلام عن أصل هذه الكتابة، واللغة التي نشأت عنها، وانتشارها منذ بداية الأسرة الخامسة والعشرين حتى بداية عهد البطالمة، وهو العصر الذي أصبحت فيه الديموطيقية من حيث اللغة والكتابة هي السائدة في البلاد المصرية بين أفراد الشعب المصري الأصيل، لدرجة أن لفظة ديموطيقية أصبحت تُطلَق على اللغة المصرية بوجه عام، كما تشير إلى ذلك المراسيم التي صدرت في عهد البطالمة. على أنه كان يُستَعمل بجانبها اللغة الإغريقية التي كانت لغة الشعب المستعمر وقتئذٍ طوال مدة حكمهم من أول عهد الإسكندر الأكبر حتى نهاية العهد الروماني.

أما اللغة المصرية القديمة، أو الكلام المقدس كما عبَّر عنه المصريون منذ أقدم العهود فكانت منذ بداية انتشار الديموطيقية، أو بعبارة أخرى اللغة العامية آخذة في الانزواء شيئًا فشيئًا في العهد البطلمي وما بعده، حتى أصبحت لا تُستعمَل إلا على جدران المعابد التي كانت لا تزال منتشرة في طول البلاد وعرضها انتشارًا عظيمًا لا يقل عما

[1] راجع مصر القديمة الجزء الأول.

[2] راجع مصر القديمة الجزء الحادي عشر.

كان عليه في أزهى عصور الدولة المصرية القديمة في أبهى عصورها، ومع ذلك فإن ما كان يظهر منها في صورة مراسيم ملكية وضعتها الكهنة عن طيب خاطر بأمر من الملك كان يتبعها ترجمة باللغة الديموطيقية، وأخرى باللغة الإغريقية التي كانت وقتئذٍ من الوجهة القانونية اللغة الرسمية للبلاد.

ولما كان الشعب المصري الأصيل متمسكًا بتقاليده القديمة منذ أقدم العهود؛ فإنه استمر في تدوين كل شئونه باللغة الديموطيقية، ولم يحاول قط تعلم اللغة الإغريقية حتى دخل الإسلام البلاد، ومن أجل ذلك يجد الباحث في تاريخ عصر البطالمة أن مصر كانت تتألف بوجه عامٍّ من شعبين منفصلين الواحد منهما عن الآخر؛ من حيث الثقافة والدين والحياة الاجتماعية والتقاليد، وقد حتَّم ذلك على الباحث في تاريخ مصر في عهد البطالمة أن يفحص تاريخ الشعب المصري في تلك الفترة بوصفه وحدة قائمة بذاتها في كل أحواله، وإن الرابطة التي تربطه بالشعب المقدوني الإغريقي الذي كان يسيطر على أرض الكنانة وقتئذٍ لا تتعدَّى خيطًا رفيعًا جدًّا قد يُقطَع في أية لحظة، وإن شُقَّة الخلاف بينهما كانت واسعة إلى حدٍّ بعيد، وإن التأثير الذي أحدثه كلٌّ من الشعبين على الآخر لم يكن عميقًا بدرجة محسَّة، وبخاصة من الجانب الإغريقي، وذلك لأن الشعب المصري — كما نعلم — كان متمسكًا بمصريته إلى أقصى درجة من حيث التقاليد الدينية، وطرق الحياة التي مارسها منذ آلاف السنين؛ وذلك في حين نشاهد أن الشعب المستعمر وهو الشعب المقدوني الإغريقي كانت له حضارته النامية، وهي التي أخذ ينشرها في مصر وغيرها من بلدان آسيا، وقد أخذت هذه الحضارة تتطور على مرِّ الأزمان، وأخذ المستعمرون يفيدون منها على حساب الشعب المصري المستضعف، لدرجة أن أصبحت البلاد المصرية ضيعة يستغلها ملوك البطالمة لأنفسهم ومن حولهم لحسابهم الخاص، في حين كان الشعب المصري يئنُّ تحت عبْء الفقر والحرمان من جرَّاء الضرائب الفادحة، وسوء المعاملة في بلاده هو.

وعلى أية حال ازدهرت على ضفاف النيل حضارة هيلانستيكية على حدة كان لها شأن عظيم من حيث تقدُّم العلوم الإغريقية، والآداب الإغريقية؛ فكانت في الواقع مدينة إغريقية لحمًا ودمًا، ولا تمُتُّ إلى الحضارة المصرية في شيء اللهمَّ إلا ما نقله المستعمرون الإغريق منذ أزمان طويلة مضت.

ومما يُؤسَف له جد الأسف أن الشعب المصري لم يَسِر في ركب الحضارة مع المقدونيين والإغريق الذين استعمروا البلاد، بل ظلَّ جامدًا قابعًا في عقر داره منعزلًا

عن العالم الخارجي وعن المستعمر الذي كان لا يتصل به إلا في فلاحة الأرض والأعمال اليدوية الأخرى التي كانت تحتاج إلى مجهود بدني؛ هذا بالإضافة إلى أن أكبر سبيل للتفاهم بين الشعبين وهي اللغة كانت معدومة بينهما؛ وذلك لأن الإغريقي كان لا يُقدِم على تعلم اللغة المصرية، لأنه لم يكن في حاجة إليها؛ لأنه السيد، وأكثر من ذلك، لأنها كانت لغة معقدة صعبة حتى على أهلها، ولا نزاع في أن عدم اختلاط المصري بالعالم الخارجي وقتئذٍ يرجع أصله إلى عامل اللغة.

(١) اللغة الديموطيقية

لا نزاع في أن اللغة المصرية القديمة لم تكن من السهولة بحيث يمكن كتابتها وقراءتها مثل اللغات الأخرى التي كانت متداولة في العهد البطلمي، ولا غرابة في ذلك فإن هذه اللغة كانت ولا تزال — حتى يومنا هذا — غاية في الصعوبة، فالذين يعرفون هذه اللغة من بين علماء الآثار — وبخاصة في مصر — هم نَفَر قليل جدًّا لا يُعَدون على الأصابع؛ هذا فضلًا عن أنها لم تظهر وتنتشر في مصر إلا في فترة كانت فيها الحضارة المصرية بالنسبة للمدنية الإغريقية شيئًا لا يكاد يذكر؛ ومن أجل ذلك كان تعلُّم هذه اللغة في عصرنا الحاضر لا يُعَد بالموضع الهام لأؤلئك الذي لا يبحثون إلا عن تاريخ مصر من الوجهة الإغريقية في مصر.

أما تاريخ الشعب المصري في هذه الفترة فقد أصبح ولا يزال يعد كَمِّية مهملة في نظر العالم الغربي الذي لا يبحث إلا عن حضارة الإغريق، أو بعبارة أخرى الحضارة الهيلانستيكية في تلك الحقبة من التاريخ، ولقد كان من نتائج ذلك: أنه في عصرنا الحديث عندما كانت تسفر أعمال الحفر من كشف أوراق بردية بعضها دوِّن بالإغريقية، وبعضها الآخر بالديموطيقية، يُلحَظ أن العلماء الأخصَّائيين في هذا الجزء من التاريخ يتناولون بالفحص والدرس البرديات الإغريقية، ويتركون جانبًا، إلى حدٍّ ما، الأوراق الديموطيقية، ويرجع السبب في ذلك إلى أمرين هامين؛ أولهما: أنهم يعرفون اللغة الإغريقية ويجيدون حلَّ رموزها إلى حدٍّ بعيد، وثانيهما: أنهم كانوا يعتقدون ألَّا طائل من درس هذه الأوراق الديموطيقية؛ لأنها متشابهة في معظمها، وأنها لا تقدِّم للعلم أو الحضارة شيئًا جديدًا يستحق الذكر، وقد نتج عن هذا الرأي أن عددًا كبيرًا من هذه الأوراق لا يزال في زوايا الإهمال وعدم العناية في متاحف العالم، ومن ثَم نشأ عدم الاهتمام بدرس هذه اللغة، ولا أدلَّ على ذلك من أننا نرى أنه قد انقضى حوالي أكثر من قرن من الزمان على نشر

أول ورقة إغريقية في «سرابيوم منف» في حين أن ما وجد معها من أوراق ديموطيقية لم ينشر إلا بعد عام ١٩٤١ ميلادية، وذلك عندما قام العالم الإيطالي بوطي G. Botti بنشر بعض برديات ديموطيقية من هذا الكنز الذي عثر عليه في سرابيوم «منف»؛ وبهذا قدَّم لنا لمحة خاطفة عن المجتمع الهيلانستيكي الذي كان يعيش في منطقة السرابيوم، وبعبارة أخرى: وضع أمامنا صفحة عن الحياة المصرية الأصلية في هذا الجزء من أرض الكنانة في هذه الفترة.

وعلى أية حال فإن الاهتمام بالشعب المصري، ودراسة تاريخه، وحياته الاجتماعية أخذت تشغل بعض الشيء مكانة في بحوث بعض علماء الآثار، وذلك على الرغم من صعوبة اللغة الديموطيقية التي دُوِّنت بها حضارة المصريين القدامى في تلك الفترة من تاريخهم؛ غير أن الاهتمام بالديموطيقية لم يكن مُحسًّا إلى الدرجة التي كانت تُبذَل في حلِّ متون اللغة المصرية القديمة في العهود التي سبقت ظهور الديموطيقية، أو لحلِّ المتون الإغريقية بمصر في عهد البطالمة وما قبله بقليل، ولا أدلَّ على ذلك من أن المتحف البريطاني قد بدأ يجمع أوراقًا ديموطيقية منذ عام ١٨٣٤ ميلادية، ومع ذلك فإنه لم ينشر منها إلا بعض وثائق قليلة؛ نشرها العالم الفرنسي «ريفيو» والعالم النمسوي «ريخ» والأثري الكبير «جرفث» وزميله سير «هربرت تومسون».

وقد ظلت الحال كذلك في المتحف البريطاني إلى أن نشر الأثري «جلانفيل» بعض هذه الأوراق عام ١٩٣٩ ميلادية، وهي التي تحدثنا عنها في الجزء السالف، وفي هذا الجزء من مصر القديمة.

ومن المثال السابق نفهم أنه توجد عوامل قويَّة عاقت الوصول إلى معرفة تاريخ الشعب المصري الأصيل في العهد البطلمي، أهمها كان — كما قلنا — صعوبة اللغة الديموطيقية، يُضاف إلى ذلك قلة العلماء الذين درسوا هذه اللغة وتمكَّنوا من حلِّ رموزها، وفضلًا عن ذلك يُلحَظ أن عدد الوثائق الديموطيقية التي عُثِر عليها حتى الآن يُعَد ضئيلًا إذا ما قرن بما كُشِف عنه من الأوراق الإغريقية الخاصة بهذا العهد.[٣] فإذا عرفنا أن هناك أكثر من ثلاثين ألف وثيقة إغريقية يقابلها ٢٥٠٠ وثيقة ديموطيقية تقريبًا كُشِف عنها حتى الآن، وإن الأُولى قد حُلَّت كلها، وإن الأخرى لم يُحلَّ منها إلا

[٣] H. Idris Bell. Egypt. P. 152.

جزء يسير؛ تبيَّن لنا السبب الذي من أجله لا يزال تاريخ الشعب المصري الأصيل غير معروف لدينا بصورة محسَّة إذا ما قرن بما نعرفه عن مصر الهيلانستيكية.

وليت الأمر يقتصر على ذلك؛ إذ لدينا فجوة أخرى كبيرة بدأ العلماء في سدِّها، لتساعد على معرفة تاريخ مصر القومي في هذه الفترة؛ وذلك أن اللغة المصرية القديمة، أو بعبارة أخرى: اللغة المقدسة التي كان يستعملها الكهنة ورجال الدين عامَّة في صلواتهم وعباداتهم ومنشوراتهم وفي نقش معابدهم؛ قد دخل عليها عامل جديد قصده رجال الدين، وأعني به عامل الغموض والاحتكار، وتفسير ذلك: أن الكهنة أرادوا أن يقصروا هذه اللغة على أنفسهم، ومن ثَم أخذوا يعبِّرون عن صلواتهم وشعائرهم برموز تختلف في كثير من الأحيان عن تلك التي كان يستعملها المصريون القدامى في نقش معابدهم وفي شعائرهم، لدرجة أن لغة هذا العصر قد أصبحت من الصعوبة بمكان، وأن الذي يعرف اللغة المصرية القديمة جيِّدًا لا يفهم منها إلا القليل، وربما كانت قراءته لها خاطئة، ومن أجل ذلك أخذ علماء الآثار يوجِّهون عناية خاصة لدرس اللغة المصرية القديمة، أو بعبارة أخرى: لغة المعابد ورجال الدين في ذلك العهد بصورة جِدِّية.

ومما يُؤسَف له جد الأسف أن الذين اهتموا بهذه الدراسة قليلون جدًّا، وهم وأولئك الذين يدرسون اللغة الديموطيقية سواسية من حيث العدد، ومن أجل كل ذلك نجد أن المؤرخين الذين أرادوا كتابة تاريخ مصر من الوجهة القومية البحتة قد ألقَوا بأقلامهم عندما اعترضتهم هذه الصعوبات التي لا قِبَل لهم بها في عهد البطالمة، بل تركوا المجال للمؤرخين الهيلانستكيين، وذلك — كما قلنا — لأن مصادر التاريخ المصري القومي القُحِّ قد أعوزهم فهمها، ولا تزال تعوزهم حتى الآن إلى درجة كبيرة جدًّا؛ يضاف إلى ذلك: أن المدنية الهيلانستيكية قد غطَّت على المدنية المصرية وقتئذٍ بما كان لأهلها من علوم وآداب وفلسفة خيَّمت على كلِّ ما سواه في تلك الفترة، وذلك بتشجيع من ملوك البطالمة الذين كانوا في ظاهرهم فراعنة، وفي باطنهم مقدونيين ذوي ثقافة هيلانية بحتة، لدرجة أنه لم يصادفنا حتى الآن ملك من هؤلاء البطالمة كان يعرف اللغة المصرية القديمة؛ هذا إذا استثنينا الملكة «كليوبترا» التي خُتم بها عهد البطالمة، فقد قيل: إنها كانت تتكلم المصرية أي الديموطيقية.

والواقع أنه حتى يومنا هذا لم يحاول مؤرخ واحد كتابة تاريخ مصر من الوجهة القومية المصرية في عهد البطالمة، بل كل ما كُتِب ينحصر في تاريخ الإغريق في مصر دون

الإشارة بصورة جدية إلى الدور الذي لعبه الشعب في تلك الفترة الطويلة من تاريخ أرض الكنانة؛ ومن أجل ذلك أصبحت العناية بدرس اللغة الديموطيقية ودرس النصوص المصرية القديمة في عهد البطالمة من الأهمية بمكان من الوجهة القومية؛ من أجل ذلك أصبح من الواجب على من أراد أن يتتبع خيوط المدنية الفرعونية التي تظهر للقارئ العادي أنها قد قُطِّعت، وتفكَّكت عُراها بحلول البطالمة ومعهم مدنيتهم الهيلانستيكية في مصر؛ تعلُّم اللغة الديموطيقية، ومنذ عهدٍ قريب أظهر بعض علماء اللغة المصرية عامةً ميلًا عظيمًا لدرس اللغة الديموطيقية، وكذلك درس اللغة المصرية الخاصة بعهد البطالمة، وما ذلك إلَّا لأنهم وجدوا أن درس هاتين اللغتين يقدِّم معلومات ثمينة لمعرفة حياة الشعب المصري من كل الوجوه في هذا العهد الطويل؛ هذا بالإضافة لما نعرفه من المصادر الإغريقية، وما كتبه لنا المؤرخون القدامى بوجه عام.

(٢) الوثائق الديموطيقية

اتَّضح من درس الوثائق الديموطيقية التي حُلَّت رموزها حتى الآن أنها تحتوي على قصص شيِّقة تُعَد من روائع الأدب، كما تحتوي على متون دينية تضرب بأعراقها إلى أصول العقائد المصرية القديمة، ومتون سحرية، ووثائق خاصة بالنجوم، ومتون قضائية تشمل عقود بيع وشراء، ورهن ووصايا، وزواج وطلاق، وقوانين دينية ودنيوية، وإيجارات أطيان وبيوت ووظائف، وقسمة ومشاركة، وضمانات منوَّعة، وبيع وظائف ... وغير ذلك مما كان يجري في تلك الفترة من معاملات، ولا نزاع في أن كل هذه المعاملات تعكس ضوءًا ساطعًا على سرِّ الحياة في هذا العهد، وما كان للشعب المصري من تقاليد وعادات خاصة به في تلك الفترة التي دُوِّنت فيها هذه الوثائق.

ولا نزاع في أن المتون الديموطيقية الخاصة بالشئون القانونية، وهي التي قد بقيت مهملة من جانب علماء الآثار في تلك الفترة، وكان أول من أبرز أهميتها بعد الأثري الكبير «بركش» الذي أرسى قواعد هذه اللغة ووضع لها أجرومية؛ الأثري الفرنسي «يوجين ريفيو» فقد خصص معظم دراساته لهذا الفرع من العلوم المصرية القديمة، وله فيها مؤلفات تعد الأساس الأول لدرس القانون المصري في هذه الفترة، ولا يكاد يشك إنسان في أهمية ما أنتجه في هذا الباب، وبخاصة عندما نعلم أن المصريين القدامى كانوا هم

السابقين في هذا المضمار، وقد قفا الرومان أثرهم، ولن نكون مبالغين إذا قلنا إن المصريين القدامى هم الذين وضعوا الأسس القانونية القويمة للعالم المتمدين، وعنهم أخذ الإغريق كما أشرنا إلى ذلك في غير هذا المكان، ومن أجل ذلك فإن درس القانون المصري يعد من المعلومات التي لا غنى عنها لمن أراد أن يدرس القانون الروماني درسًا مقارنًا.

هذا فضلًا عن أن هذه القوانين المصرية تُعتَبر عنصرًا أساسيًّا لمن يريد فهم الحياة المصرية القديمة في تلك الفترة من الوجهتين الاجتماعية والاقتصادية كما جاءت في المتون الديموطيقية؛ وذلك لأنها تلقي ضوءًا ساطعًا على مركز السكان المصريين، وبخاصة أهل الوجه القبلي ومصر الوسطى الذين كانوا يُعَدون شبه منعزلين عن الوجه البحري وعن الإسكندرية التي كانت تعد مدينة إغريقية من كل الوجه، لدرجة أنها كانت تعتبر جزءًا منفصلًا عن سائر البلاد المصرية، وعلى الرغم مما جاء من أخطاء في الترجمة، وفي النقل فيما كتبه «يوجين ريفيو» فإنه لا يزال يعد من أهم المصادر في الوثائق الديموطيقية بوجه عام.

والآن سنحاول، بما لدينا من وثائق ديموطيقية عن مختلف نواحي الحياة المصرية، وهي التي أوردنا ترجمتها أو ملخصها في الأجزاء الثلاثة الأخيرة من هذه الموسوعة، وما يحتويه هذا الجزء الذي نحن بصدده؛ أن نضع صورة عن الحياة المصرية في مختلف الميادين الاجتماعية في تلك الفترة التي أغفلها المؤرخون، وبخاصة في العهد البطلمي.

ولا نزاع في أن هذه الصورة لن تكون كاملة من كل الوجوه، وذلك لأننا لا زلنا في بداية الطريق نحو حلِّ المتون الديموطيقية التي تزخر بها متاحف العالم، والتي لا تزال في جوف تربة أرض مصر. يُضاف إلى ذلك أن ما وصل إلينا من متون ديموطيقية من أرض الدلتا لا يكاد يُذكَر؛ إذ الواقع أن معظم ما وصل إلى أيدينا من وثائق ديموطيقية عُثِر عليه في الوجه القبلي، وبخاصة في إقليم «طيبة»، وكذلك وصل إلينا كثير من الوثائق الديموطيقية من الفيوم ومصر الوسطى، كما أشرنا إلى ذلك عند التحدث عن هذه الوثائق؛ ومن أجل ذلك فإن الصورة التي سنضعها هنا عن الحياة المصرية في تلك الفترة لن تكون كاملة شاملة بل معظمها محلِّية.

وقبل أن نتناول الوثائق الديموطيقية التي يرجع تاريخها من أول «الإسكندر» حتى نهاية عهد «بطليموس» الرابع؛ بالبحث والتحليل، لا بد لنا من أن نرجع إلى أصول الموضوعات التي سندرسها هنا منذ ظهور الكتابة الديموطيقية؛ أي منذ عهد الأسرة الخامسة والعشرين مقتفين في ذلك أثر تدرج الوثائق وتطورها على حسب الأحوال الاجتماعية والسياسية التي اجتازتها البلاد.

(٣) وثائق المعاملات وتطورها

لا نزاع في أن المصري كان مغرمًا بالكتابة منذ أقدم عصور التاريخ، ولذلك فإنه عَدَّ هذه المهنة أشرف ما يمكن للفرد الحصول عليه، والمطلع على التاريخ المصري القديم يعلم أنه بحلول الدولة الوسطى حوالي ٢٠٠٠ق.م كان المصريون قد وصلوا تمامًا إلى تدوين حاجياتهم من كل نوع بصورة سريعة ومرضية في الوقت نفسه، ومن ثَم نجد أنهم قد أخذوا في كتابة ما يلزمهم إما بخط سريع وهو ما يشبه الرقعة عندنا، أو نقش هذه اللوازم بالخط الهيروغليفي الدقيق، وقد يكون من الغريب ألا نجدهم قد أخذوا يدونون معاملاتهم منذ ذلك العهد، والواقع أنه قد عُثِر على بقايا وثائق أو عقود خاصة بالأعمال العادية منذ العهود القديمة جدًّا، وفي حين نجد أمثلة فردية من هذه الوثائق منذ الدولة القديمة وما بعدها، فإنه لم يُعثَر حتى الآن على مجموعة من الوثائق القانونية بصرف النظر عن مجموعة الأوراق الجنائية التي عُثِر عليها في طيبة، وترجع إلى الأسرة العشرين، وهي التي قد أسهبنا القول في شرحها وترجمتها.[٤]

وقد بقيت الحال كذلك حتى فتح «شبكا» الكوشي البلاد المصرية حوالي عام ٧٥٠ق.م ومنذ ذلك العهد نجد أن الوثائق الديموطيقية القانونية أخذت تظهر فُجاءَة في مجموعات قوية تتخللها فجوات من الزمن منقطعة، وبخاصة في الفترة التي حاربت فيها مصر بلاد الفرس وبعد موت «دارا الأول» حتى عهد «دارا الثالث».

وكانت هذه الوثائق تؤلف على وجه التقريب سلسلة من الكتابات الديموطيقية والآرامية والإغريقية والقبطية والعربية، إلى أن بطل استعمال البردي في الكتابة في القرن التاسع بعد الميلاد، والتباين الظاهر في هذه الوثائق يحتِّم وجود بعض التغيُّر القانوني أو التجاري في الوقت المذكور في الوثائق، ومن الجائز أن نعترف بأن كل قرن في حياة بردية يضيف إلى ما قد يصيبها أو يعرِّضها إلى خطر الفناء، حتى إذا سلمت من خطر الرطوبة والأرضة والنار، وهذه عوامل قد أفنت ملايين من هذه الوثائق التي لم يبقَ منها لنا إلا عدد قليل، وعلى أية حال فإن قِدم هذه البرديات العظيم وحده لا يمكن أن يفسِّر لنا قلة الوثائق القانونية من العهود القديمة؛ وذلك لأنه قد بقي لنا عدد كبير من البردي من أنواع أخرى.

---

[٤] راجع مصر القديمة الجزء الثامن.

ومن الجائز أنه لدينا أسباب عدة تبرهن على زيادة الوثائق القانونية، فُجاءَة في عهد الأسرة الخامسة والعشرين؛ فمن ذلك ازدياد الحركة التجارية بحرًا وبرًّا في خلال الألف سنة الأولى قبل الميلاد مما حتَّم قيام طبقة غنية من التجَّار، وسبَّب تبادل الملكيات من كل نوع بسرعة بين أفراد الشعب؛ يضاف إلى ذلك أن الاتصال بأهالي فينيقيا وغيرهم من قوم الجنس السامي الذين كانوا رجال أعمال وتجارة واسعة؛ قد فتح أعين المصريين إلى ضرورة إتقان معاملاتهم.

وهذه التأثيرات كان يظهر مفعولها بدرجة قوية جدًّا في الوجه البحري، أما أثرها في الوجه القبلي فكان أمرًا ثانويًّا، ومن المحتمل أن «ديدور» المؤرخ لم يبعد عن جادة الصواب عندما قال إن «بوكوريس» وهو الضحية التي فتك بها الملك «شبكا»؛ قد جلب الكثير فيما يخص موضوع العقود، وكذلك عندما قال: «إنهم يقولون: إن القوانين الخاصة بالعقود هي من عمل «بوكوريس».» هذا ونعلم أن الملك «بوكوريس» الذي كان من أهالي «سايس» (صا الحجر) وسواء أكان يحكم كل مصر أو الوجه البحري فقط فإنه قد كسب تجاربه في هذه البلدة، وأقدم مثل من هذه العقود المتأخرة انحدر إلينا يرجع عهده إلى الملك «شبكا» على ما يُظَن، وقد عُثِر عليه في «طيبة»، والواقع أن الأوراق البردية التي عُثِر عليها في مصر السفلى نادرة جدًّا، والسبب في ذلك يرجع إلى عدم ملائمة الجو لحفظ هذه الأوراق، ولولا ذلك لكان في مقدورنا أن نتتبع الدور الذي لعبته الدلتا في هذه الوثائق، وعلى أية حال فإنه من المحتمل أن أحد ملوك الكوشيين كان هو المؤسس للقانون، ومع ذلك فإنه لا بد أن نعترف باختراع نظام جديد للكتابة في عهد الكوشيين، أو من أجلهم منذ بضعة قرون فيما بعد.[٥]

ومهما يكن من أمر حتى إذا اعتبرنا بيان «ديدور» بأنه لا قيمة له، فإنه يمكن أن نأخذ بالإشارة التي يقدمها لنا هنا متنه؛ وذلك لأنه يتفق تمامًا مع الحقائق المعروفة، وإذا تركنا جانبًا التفاصيل فإنه في استطاعتنا أن نعترف أنه حوالي سنة ٧٥٠ق.م كانت طريقة عدم الدقة في تسجيل الأمور القضائية التي كانت حتى هذه اللحظة عادية قد لوحظت في مصر السفلى، وذلك أنه حتى هذا الوقت كانت الاعترافات الرسمية، وهي عقد

[٥] Diod. I. Cap. 94–5.

الأيمان أمام الشهود والمجالس، وبخاصة أمام مجالس المدينة ومشايخ القرية والموظفين؛ السلاح الرئيسي للعقد القانوني والمعاملات، ومنذ هذا الوقت فصاعدًا نجد أن التسجيل كتابةً كان صاحب المكانة الممتازة، ولا غنى عنه في المعاملات.

ومن ثَم نجد أن كثرة الوثائق القانونية نسبيًّا في عهد الأسرة الخامسة والعشرين وما بعدها يرجع أصلها طبيعيًّا أولًا إلى ازدياد عدد المعاملات، وإلى الحاجة الملحَّة إلى سجل مدوَّن.

(٤) الأوراق البردية المبكرة

والآن يتساءل المرء ما هو أقدم عهد سُجِّلت فيه الكتابة الديموطيقية؟

والجواب على هذا السؤال لا يمكن تحديده بصورة قاطعة؛ وذلك لأن الكتابة الديموطيقية — كما وضحنا ذلك من قبل — هي عبارة عن التطور الطبيعي للكتابة الهيراطيقية بصورة أكثر اختصارًا، ففي بعض الوثائق القانونية التي عُثِر عليها في «طيبة» منذ عهد الأسرة العشرين يمكن وجود فقرات خطية غاية في الاختصار تظهر فيها مميزات الخط الديموطيقي، وتدل شواهد الأحوال على أن كلًّا من الكتابة واللغة قد أخذت تتغير منذ ذلك العهد حتى الأسرة الواحدة والعشرين، وذلك على الرغم من أن الجزء الأعظم من المتون التي وصلت إلينا كان دينيَّ الصبغة، وقد حافظت على صورتها الهيروغليفية أو الهيراطيقية. والواقع أن الأوراق البردية التي كُتِبت بخطٍّ مبسَّط من عهد الأسرة الواحدة والعشرين نادرة جدًّا، والسبب في ذلك: هو أن ما وجد من العهد الذي تلى لم يكد يمثل — فيما وصل إلينا من متون — المجاميع البردية الخاصة بهذا العهد.

غير أن الكتابات العادية على البردي أخذت من جديد عند نهاية القرن الثامن تظهر وبها وثائق قانونية مؤرخة بالأسرة الخامسة والعشرين، أو بعبارة أخرى العهد الكوشي، ومن ثَم أخذ يُطلَق على كل هذه الوثائق تسهيلًا للأمور لفظة ديموطيقية، وذلك على الرغم من وجود بعض الأشكال الهيراطيقية سائدة في نفس الوثيقة المكتوبة بالديموطيقية، والواقع أنه قد لوحظ أن الأوراق البردية التي مصدرها طيبة حتى عهد الملك أحمس الثاني قد حافظت على أسلوب كتابة لا يكاد يُطلَق عليه لفظ هيراطيقي، غير أنه قد اتخذ طريقًا أخرى مختلفة في تطوره عن الديموطيقي، ولكن شيئًا فشيئًا اندمج في الأخير، وهذا النوع من الكتابة قد عُبِّر عنه عند علماء الآثار المصرية الأحداث بعبارة الهيراطيقية الشاذة، ولا بد أن الخط الديموطيقي الحقيقي قد نما واكتمل في

مصر الوسطى والوجه البحري.

وتسهيلًا للفهم يمكن أن تُميَّز الوثائق الديموطيقية التي يرجع تاريخها إلى ما قبل الدولة المقدونية بالديموطيقية المبكرة، وذلك على الرغم من وجود بردية فريدة في بابها في متحف «اللوفر» مؤرخة بعهد دارا الثالث، وليس لها علاقة من حيث الصيغ والأسلوب في الكتابة؛ ليجعلها منفصلة عن الأوراق التي من عهد «الإسكندر».

وقد وضع لنا الأثري «ريفيو» فهرسًا في عام ١٨٩٦ ميلادية، هذا بالإضافة إلى ما نشره بعد ذلك، يحتوي على مائة وثيقة كتبت بالخط الهيراطيقي الشاذ، وبالخط الديموطيقي طبعي، هذا فضلًا عن أنه قد نشر حوالي أربعين وثيقة منسوخة غير أنها تحتوي على أخطاء.

ويحتوي متحف اللوفر على أكبر مجموعة تشمل خمسين عددًا، ويتلو متحف «اللوفر» من حيث عدد الأوراق البردية متحف «تورين» الذي يحتوي على إحدى عشرة بردية، ثم مجموعة «جون ريلندز» وتحتوي على تسع برديات. أما المتحف البريطاني، ومتحف برلين، ومتحف القاهرة، ومكتبة جامعة «ستراسبورج» ومكتبة «باريس» الأهلية فتحتوي كل منها على عدة برديات، هذا إلى وجود أمثلة فردية في متحف «الفاتيكان» ومتحف «فينا» ومجموعة «جولنيشيف» في «لننجراد»، ويلفت النظر هنا أنه على الرغم من أن عدد الإضمامات التي في مجموعة «ريلندز» يظهر صغيرًا بجانب ما وُجِد في متحف «اللوفر» فإنه يوجد ثلاث من بينها عظيمة الحجم أكثر من المعتاد، كما أنه توجد رابعة كبيرة جدًّا مكتوبة بخط صغير لدرجة أنه يمكن القول إن المتون التي تحتويها مجموعة «ريلندز» التسعة قَدْر ما في كل إضمامات البردي الديموطيقية التي ترجع إلى العهد المبكر الموجودة في متحف «اللوفر» بما في ذلك حتى أسماء الشهود التي على ظهر البرديات.

هذا، ولا بد أن نقول صراحة إن الأستاذ «ريفيو» قد قدم لعلماء الديموطيقية خدمة كبيرة بما قام به من نشر الأوراق الديموطيقية المبكرة منذ عام ١٨٨٥ حتى عام ١٩٠٢م من عهد الأسرة السادسة والعشرين، والعصر الفارسي منذ أول حكم «دارا الأول» و«دارا الثالث». هذا بالإضافة إلى وثائق أخرى غيرها من تلك الفترة وما قبلها، وقد ترجمنا معظمها في الجزأين الثاني عشر والثالث عشر من هذه الموسوعة على حسب ترتيبها التاريخي.

(٥) مجموعة الوثائق الهيراطيقية الشاذة

وقد أمكننا من درس الوثائق المصرية وترجمتها أن نضع لها الترتيب التالي بصورة عامة؛ وذلك أن نموَّ الصيغ التي كانت تُكتَب بها هذه الوثائق قد اختلفت من عصر لعصر، وقد وصلت إلى تطور عظيم قبل قضاء «الإسكندر» على الدولة الفارسية، ومن أجل ذلك نجد أن الوثائق التي من عهد «دارا الأول» تختلف اختلافًا بيِّنًا جدًّا عن تلك التي دُوِّنت في العهد المقدوني، والواقع أنها تقدمت أكثر من حيث مادة الصيغ عن التي دُوِّنت في عهد الملك «أحمس الثاني»، ومع ذلك نجد في وثائق أحمس هذا كثيرًا من النقاط التي تتقابل فيها مع وثائق العصر البطلمي، ومن جهة أخرى نلحظ أنه عندما نرجع إلى الوراء حتى عهد الأسرة الخامسة والعشرين، أي العهد الكوشي، فإنا لا نكاد نجد أيَّ أثر لصيغة نهائية ثابتة لهذه الوثائق. هذا إذا استثنينا التاريخ الذي تؤرخ به الوثيقة والصيغة الافتتاحية للطرفين المتعاقدين، وهي التي فيها: «يقول الطرف الأول للطرف الثاني.» هذا إلى وجود أسماء الشهود في نهاية الوثيقة.

وتدل الموازنة على أنه يوجد وجه شبه، بل أكثر بين العقود البطلمية، والتي من عهد «أحمس الثاني» كوجه الشبه الذي يوجد بين عقود «أحمس الثاني» والتي من عهد الملك «تهرقا»، وهذه الحقيقة قد أصبحت واضحة لنا وضوحًا بيِّنًا عندما رأينا أن معظم عقود الملك «بسمتيك الأول» وحتى بعض عقود «أحمس الثاني» قد اتبعت التقاليد التي سارت عليها عقود «تهرقا» وذلك بأنها كانت مميَّزة تمامًا من حيث الكتابة والصيغ عن سائر عقود «أحمس الثاني».

وعلى ذلك يمكن أن نفصل مجموعة الوثائق التي تنتمي إلى عهد «تهرقا» عن التي سمَّاها «جرفث» الهيراطيقي الشاذ، والواقع أنها من حيث الخط مميزة بدرجة عظيمة، غير أنها خارجة عن خط سير تطور الكتابة الديموطيقية، وذلك لأنه توجد كتابة مشابهة لها من عهد الأسرة الواحدة والعشرين والثانية والعشرين في أوراق بردية وُجِدت في طيبة، وهي محفوظة الآن في برلين. أما من حيث اللغة فإنها أقدم من أول سلسلة برديات ديموطيقية عادية ظهرت، ولكنها قريبة من أوراق الأسرة الواحدة والعشرين الطيبية.

هذا وتحتوي كل هذه الوثائق تقريبًا على عقد يمين بالإله «آمون» والفرعون، وهذا أمر غير معروف في كل الوثائق إلا في أقدم سلسلة عقود من طراز العقود الديموطيقية العادية. يضاف إلى ذلك أن الشهود في سلسلة العقود الديموطيقية العادية يوقعون مجرد

أسمائهم، إلا عندما يعيدون كل صورة العقد بحذافيره، وفي سلسلة عقود الهيراطيقية الشاذة يستعمل الشهود صيغة تشهد بصحة كل ما هو مكتوب أعلاه أو ما يشبه ذلك، ثم يؤرخون الوثيقة.

وفي غالب الأحيان يقتبسون بعض أجزاء هامة من العقد نفسه، ويُلحَظ أن الوثائق المكتوبة بالخط الهيراطيقي الشاذ تبتدئ بتاريخ السنة التي يحكم فيها الملك دون ذكر اسم الملك كأنه أمر معروف ولا ضرورة لذكره. أما العقود الديموطيقية العادية فإنها تؤرخ كل وثيقة ولو كانت غير هامة باسم الملك حتى بداية عهد البطالمة. ومن المحتمل أن أهم خاصية تمتاز بها الوثائق الديموطيقية الشاذة هي أن الثمن بالنقد الفضي يُذكَر دائمًا بصورة واضحة على لسان المشتري أو المستلف في هذه الأوراق، في حين أنه في الوثائق العادية نجد على الرغم من أن الثمن يُشار إليه بأنه دُفِع فضة فإن مقداره لسوء حظ الأثريين المصريين يحذف دون استثناء تقريبًا، وقد يرجع السبب في ذلك إلى الخوف من الإجحاف ببيوع مستقبلة؛ وذلك بذكر بيان ليس بالشيء الجوهري للعقد.

والواقع أن كل المتون المدونة بالهيراطيقية الشاذة يمكن البرهنة على أنها جاءت من منطقة «طيبة» وذلك ببراهين من صلب الوثائق، وفي حالات قليلة يعزز ذلك المكان الذي وجدت فيه الوثيقة. يضاف إلى ذلك أنه ليس لدينا أي برهان على أن أية وثيقة منها جاءت من مكان آخر، وكل ما لدينا من أدلة يبرهن في الواقع على أن «طيبة» تكاد تكون هي المصدر الوحيد للعقود التي في متناولنا حتى أوائل العهد البطلمي. هذا وليس لدينا وثيقة واحدة من وثائق طيبة المنشورة ومؤرخة قبل «أحمس الثاني» قد دُوِّنت بالخط الديموطيقي العادي.

ومن جهة أخرى نجد أن كل المتون التي عُثِر عليها في «الحيبة» بمصر الوسطى، وترجع إلى السنة الواحدة والعشرين من عهد «بسمتيك الأول»؛ قد كتبت بالخط الديموطيقي العادي، وذلك على الرغم من أن أقدم كتابة من هذا النوع كانت بالخط الهيراطيقي، وعلى ذلك فإنه من الواضح أن الخط الهيراطيقي الشاذ سواء أكانت وثائقه من طيبة في الأصل أم لا، فإنه متناسل من هيراطيقي الأسرة الثانية والعشرين، وأنه ظل باقيًا في منطقة طيبة المحافظة، في حين أن الأسلوب العادي كان يشق طريقه نحو الجنوب من الوجه البحري كما هو المحتمل؛ وأنه قد حل محله في منطقة «طيبة» الخط الديموطيقي العادي في عهد حكم «أحمس الثاني» الطويل الأمد، وقد ذكرنا كل هذه الوثائق التي دُوِّنت بالخط الهيراطيقي الشاذ، والتي بالخط الديموطيقي العادي في الجزأين الثاني عشر والثالث عشر من مصر القديمة.

(٦) السجلات الرسمية للوثائق

وقد دلَّ الفحص الدقيق على أن هذه الوثائق كانت تُحفَظ دون أي شك في سجلات رسمية، وأخرى خاصة بكل أسرة من الأسر صاحبات الشأن على ما يظهر.

ولا نزاع في أن المصريين كانت لهم سجلات رسمية تُحفَظ فيها المستندات، وصور العقود الخاصة بالبيع والشراء، والدعاوى، والوصايا ... وغير ذلك من الحجج ذات القيمة، وتدل نقوش «مس»[٦] التي خلفها لنا على جدران قبره في سقارة (هي الآن بالمتحف المصري) على أن عقود الملكية كانت تُحفَظ في سجلات رسمية لمدة مئات السنين، ولذلك كان في إمكان أصحاب الملكيات الاستناد إلى ملكيتها على الوثائق الخاصة المحفوظة في هذه السجلات الرسمية، فقد رفع «مس» هذا قضية يطالب بما لديه من مستندات ضيعته التي آلت إليه عن فرد يُدعَى «نشي»، وكان قد نزل عنها للأخير الملك «أحمس الأول»، ثم قامت عليها منازعات بسبب قسمتها في عهد الملك «حور محب» أدت لرفع دعوى في المحكمة العليا، وقد عارض أحد الورثة في التقسيم الذي حدث بين الورثة، وقد استمرت المنازعات في هذه القضية برفع دعاوى معارضة واختلاس في عهد «رعمسيس الثاني» عندما استأنف «مس» الحكم الذي بمقتضاه حُرِم ملكية هذه الضَّيْعة، وقد دلت التحقيقات على بطلان الحكم السابق، وحكمت المحكمة له بحق ملكية الضَّيْعة، وربما كان السبب الذي حدا «بمس» هذا إلى نقش قصة هذه القضية على جدران قبره في سقارة؛ خوفه من أن يدَّعيها فيما بعد آخر لنفسه، وعلى أية حال فإن وجود سجلات هذه القضية التي يرجع أول عهدها إلى بداية الأسرة الثامنة عشرة حوالي عام ١٥٨٠ق.م حتى عهد «رعمسيس الثاني» حوالي عام ١٢٢٥ق.م يقدم لنا دليلًا قاطعًا على أن المصريين كانوا يهتمون اهتمامًا بالغًا بالسجلات، والمحافظة عليها أزمانًا طويلة.

وقد كانت تُحفَظ هذه السجلات في إدارات خاصة منذ أقدم العهود، كما يدل على ذلك وجود الألفاظ والتعابير الدالة على هذه الإدارات وموظفيها، ولكن مما يُؤسَف له كثيرًا أن

---

[٦] Gardiner, The Inscription of Mes. Untersuchingen Geschichte und Atertumsckunde Aegypten, 1905, P. 3.

الحفائر التي عُمِلت في مصر لم تكشف لنا عن وجود مبانٍ لسجلات فعلية من هذا النوع، وقد حاول بعض الأثريين إثبات وجود سجلات في مدينة «هابو» وذلك على أثر الكشف عن أوراق بردية كبيرة الحجم جدًّا قيل إنها جاءت من سجلات «جمي» (مدينة هابو الحالية)، ولكن دلَّت كل الشواهد والأحوال على أن هذه الأوراق التي نُسِبت إلى مدينة «هابو» لم تكن في الواقع قد جاءت منها، وكل ما نعرفه أن معظم هذه الأوراق قد اشتُري من تجار الآثار الذين تعودوا تضليل الأثريين فيما يتعلق بالأماكن التي عُثِر فيها على الآثار المعروضة للبيع، وعلى ذلك فإن معرفة مصدر أية قطعة أثرية مسروقة كان في معظم الأحيان من أصعب الأمور وأخفاها، وربما كان الملجأ الوحيد لمعرفة قيمة الأثر هو ما عليها من نقوش، وحتى في هذه الحالة قد لا يتوصل الإنسان إلى المكان الذي كُشِف فيه الأثر.

(٧) الوثائق الديموطيقية التي تنسب إلى عهد البطالمة الأول

وعلى أية حال لدينا معلومات عن بعض المجموعات الديموطيقية التي عُثِر عليها في طيبة، وقد ترجمنا معظمها فيما سبق، غير أنها مجموعات خاصة لأُسَر، كما تدل شواهد الأحوال على ذلك عند الكشف عنها؛ وذلك لأنها كانت توجد في جِرار من الفخار مدفونة تحت رقعة مسكن، أو مودعة في مكان خفيٍّ في أحد أركان السكن، وهذه كانت عادة مصرية توارثها القوم جيلًا عن جيل في كثير من الأسر.

ولدينا عدة مجموعات من الوثائق تُنسَب إلى أُسَر بعينها من العهد البطلمي كُشِف عنها في طيبة، وأهم هذه المجموعات ما يأتي:

(٧-١) مجموعة اللوفر

تدل محتويات هذه المجموعة على أنها مستخرجة من مدينة «طيبة»، ويرجع الفضل في كشف النقاب عن محتوياتها، وحلِّ رموزها من الوجهة القانونية إلى الأثري الفرنسي «يوجين ريفييو» الذي أشرنا إليه فيما سبق، والواقع أنه أول من حاول بصفة جدية ترجمة العقود الديموطيقية والوثائق القانونية بوجه عام، فقد نشر سلسلة من الأوراق البردية البطلمية المستخرجة من طيبة.

وُلِد هذا العالم عام ١٨٤٣ ميلادية، وتعلَّم اللغات الشرقية، واللغة المصرية القديمة على أستاذه «مسبرو» وفي عام ١٨٦٧م تخصص في الديموطيقية، والظاهر أنه نقل كل ما وقع تحت بصره من كتابات ونقوش ديموطيقية، ونشر عددًا عظيمًا من المتون والمقالات، غير أنه كان متسرعًا غير منظم؛ مما أدى إلى ارتكاب أغلاط عدة في مؤلفاته، وفي عام ١٨٨٠م أسَّس مجلة أطلق عليها اسم «المجلة المصرية»، وقد كتب معظم محتوياتها بخط يده، وقد استمر يناضل في ميدان حلِّ رموز اللغة الديموطيقية، وبخاصة من الوجه القانونية حتى عام ١٩١٢ م، وهي السنة التي مات فيها في باريس، وعلى الرغم من أن النسخ الديموطيقية التي نقلها «ريفيو» كانت مليئة بالأخطاء؛ مما أدى إلى نقد العلماء الذين جاءوا بعده لأعماله، وكذلك نقد التراجم التي وضعها للنصوص، فإن ما خلَّفه لنا من تراث علمي لا يزال له أهميته الأساسية في هذا المضمار، وذلك لأنه يعد حتى الآن المصدر الوحيد لعدد كبير من الوثائق المنشورة لدى العلماء المشتغلين بالديموطيقية، ومن أجل ذلك فإنه من المرغوب فيه بصورة جدية أن يعاد طبع أعماله هذه طبعة علمية مع صورها الفوتوغرافية على النسق الحديث.

ولا نزاع في أن مجموعة البردي التي في متحف «اللوفر» تحتوي على سلسلة وثائق خاصة بملكية بيت في الحي الشمالي لمدينة «طيبة» يرجع عهدها إلى عصر «الإسكندر الأكبر» وتمتد حتى عهد «بطليموس الثالث» (٣٣٠–٢٣٠ق.م) هذا بالإضافة إلى سلسلة عقود خاصة بحانوتيين، أو متعهدين، ومحنطين، وكهنة إداريين Lesonis، وهذه الوثائق تمدنا فضلًا عما تحتويه من مادة قانونية واجتماعية بمعلومات تاريخية عن العهد البطلمي الأول، وقد دلت نتائج درس هذه الوثائق على أن هناك علاقة بينها وبين الوثائق أو السجلات الأسرية الموجودة في المتحف البريطاني، وكذلك التي في مجموعة فيلادلفيا والقاهرة.

ويرجع الفضل في الوصول إلى هذه النتيجة إلى الأستاذ «جلانفيل» كما أشرنا إلى ذلك من قبل في الجزء السابق من هذه الموسوعة. هذا ويرجع الفضل كل الفضل للأستاذ المصري مصطفى الأمير في درس المجموعة الأخيرة بصورة رائعة في كتابه الذي ظهر حديثًا عن أوراق فيلادلفيا. يضاف إلى ذلك: أنه توجد علاقة بين سجل برديات اللوفر، وسجل البرديات المحفوظة بمتحف «برلين» كما سنرى بعد.

(٧-٢) مجموعة «برلين»

تحتوي مجموعة الأوراق الديموطيقية التي في متحف «برلين» وهي التي نشرها الأثري «شبيجلبرج»،[٧] وتحتوي على وثائق من عام ٤٩٢ق.م حتى بداية العهد المسيحي، وأوراق هذه المجموعة يبحث الكثير منها في بيع مقابر وموميات ورواتب كهنة. هذا ولا بد من الإشارة إلى ورقة برلين المؤرخة بعام ١٣٦ق.م وهي خاصة ببيع شعائر دينية Berlin 5507 فقد فحصها كل من الأستاذ جرفث والأستاذ «فلكن»، وأسفر هذا الفحص عن تفسير مُرْضٍ لتعبيرين مصريين قديمين، وهما الولي والشهيد (أو الغريق) وهذان اللفظان يوجدان في الأوراق البردية الخاصة بالعهد البطلمي الأول، وبخاصة في عهد «بطليموس الثاني والثالث» وسنتحدث عنهما فيما بعد. يضاف إلى ذلك: أن أوراق متحف «برلين» تعد هامة جدًّا في درس طبيعة أرض «طيبة» الغربية والشرقية.

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أنه قد جاء في ورقة «برلين» رقم ٣١١٩ وهي الخاصة ببيع وظائف كهنية وأضرحة وأولياء؛ ذكر مقبرة الكاهن الأعظم «لآمون» «نب وننف» (راجع مصر القديمة الجزء السادس) الذي عاش في عهد الملك «رعمسيس الثاني» ويقع قبره بجوار المقبرة رقم ١٥٦ بجبَّانة «ذراع أبو النجا»، وهذا القبر الأخير كشف عنه الأثري «فيشر»، وقد وجد فيه الأوراق البردية التي يطلق عليها الآن أوراق فيلادلفيا، وهي التي حل رموزها الأستاذ مصطفى الأمير،[٨] ويوجد جزء منها في فيلادلفيا، والجزء الآخر بالمتحف المصري.

(٧-٣) مجموعة مانشستر

نشر هذه المجموعة الأستاذ «جرفث» في كتابه الخالد عن الأوراق البردية الديموطيقية الموجودة في مكتبة «جون ريلندز»، وهذا المؤلف يعتبر عمدة لكل من أراد درس اللغة الديموطيقية، وذلك على الرغم من تقادم العهد على طبعه.

---

[٧] Spiegelberg, W–Demotesche Papyrus aus den Koniglichen Museen zu Berlin. Leipzig 1902.

[٨] Mustafa El Amir. A Family Archive from Thebes.

والواقع أنه لا يوجد إلا خمس برديات من بين أوراق مانشستر تُنسَب إلى «طيبة» غير أنها تؤلف وحدة قائمة بذاتها، وتؤرخ ما بين ٣١٥–٢٨٠ق.م[٩] وقد تحدثنا عنها في سبق.

(٤-٧) مجموعة الأوراق البردية الديموطيقية الموجودة بالمتحف البريطاني

تنقسم الأوراق البردية المتأخرة التي بالمتحف البريطاني قسمين؛ الأول: يحتوي على أوراق مكتوبة بالخط الهيراطيقي الشاذ، وبعضها دُوِّن بالخط الديموطيقي العادي، وقد نُشِرت الأخيرة في عام ١٨٨٤، وناشرها هو الأثري «ريخ»، وهذه المجموعة تحتوي على وثائق تشغل حوالي أربعة قرون، وتبتدئ بعهد الملك «أبريز» (٥٦٨ق.م) وتنتهي بعهد الملك «بطليموس السادس» (حوالي عام ١٧٦ق.م) وتشمل عقودًا خاصة بحانوتيين متعهدين، وتحنيط، وبيع أرض، وبيوت، ومقابر، ووظائف كهنية ... وغير ذلك، وقد عُثِر على هذه الأوراق في جبَّانة «ذراع أبو النجا»، وأهمية هذه الأوراق تنحصر في أنها تكشف لنا عن جغرافية مدينة «طيبة» في العصر البطلمي، وكذلك فيما تقدمه لنا من معلومات عن الحالة الاجتماعية، والعادات في تلك الفترة من تاريخ مصر القومي.[١٠]

هذا، ولدينا مجموعة أخرى من الأوراق الديموطيقية نشرها الأستاذ «جلانفيل» عام ١٩٣٩، وقد تحدثنا عنها في الجزء الرابع عشر من مصر القديمة. يضاف إلى ذلك بعض أوراق أخرى ديموطيقية نشر بعضها الأثري «ريفيو» جزئيًّا (راجع Revillout, Rev. Egypt I and III).

[٩] Catalogue of Demotic Papyri in the John Rylands Library. Manchester. Vol. III. No. X–XIV.

[١٠] Reich Juristischen Inhalts in Hieratischer und Demotischer schrift aus dem Britisch Museum. Wien 1914.

(٨) الأوراق البردية التي في مجموعة «كارنرفون»

(راجع Carnarvon and Carter. Five years Exploration at Thebes. London 1912.)

عثر كل من الأثري «كارتر» و«كرنرفون» في الدير البحري على برديتين في جبَّانة «ذراع أبو النجا» عام ١٩١٢، وهاتان البرديتان تؤرخان بالسنة الرابعة من عهد الملك المصري الذي كوَّن لنفسه ملكًا في داخل مصر في عهد الملك «بطليموس الخامس» وهاتان الورقتان خاصتان ببيع أرض بوصفها جزءًا من هبة للإله «آمون» على الشاطئ الغربي لمدينة «طيبة».

(٨-١) مجموعة أوراق متحف القاهرة

يوجد بالمتحف المصري عدة أوراق من العهد الأول للبطالمة، وقد تحدثنا عنها وترجمناها فيما سبق، ولا يفوتنا أن نذكر هنا من بين هذه الأوراق بردية قصة «ستني خعمواس» التي ترجمناها فيما سبق، وهذه البردية فضلًا عن أنها من أهم القصص الأدبية الرائعة التي خلَّفها لنا المصريون القدامى، فإنها تلقي ضوءًا ساطعًا على عوائد الزواج، والاحتفال به، هذا فضلًا عن أنها تذكر لنا بعض التقاليد التي لا تزال باقية حتى الآن في مصر العليا.

وأخيرًا لدينا مصدر آخر له قيمة عظيمة في فهم الحياة الاقتصادية في مصر، وكذلك في بحث الأمور القضائية، وأعني بذلك الاستراكا، غير أنه بكل أسف لم يُفحَص منها إلا جزء يسير لا يشفي غُلَّة.[١١]

ومما سبق نفهم أنه حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر كانت جبَّانة «طيبة» تكاد تكون المصدر الوحيد للأوراق البردية الخاصة بعهد البطالمة، والواقع أن المجاميع القديمة لا يكاد يوجد من بينها وثيقة لم تكن من «طيبة» أو «منف»؛ وقد استمرت «طيبة» تقدم لنا سنويًّا بعض البرديات من هذا النوع، ولكن الحفائر التي عُمِلت في «البهنسا» والفيوم في خلال أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين قد أسفرت عن محصول غزير من الأوراق البردية الإغريقية والديموطيقية في عدد قليل من السنين يفوق

[١١] Mattha Theban ostraca.

ما قدمته لنا «طيبة» في قرن من الزمان، هذا بالإضافة إلى أنه قد عُثِر على بعض أوراق من هذا النوع في مواقع كثيرة بالوجه القبلي، ولكن بكَمِّية قليلة.

وعلى أية حال نرى مما عرضناه من أوراق بردية أن الشواهد القانونية، والعوائد الاجتماعية كانت أغزر وأوضح في العصر البطلمي أكثر من العهود التي سبقته، غير أن ذلك لم يغير من الطباع والعوائد التي انتهجها لنفسه المصري منذ أقدم العهود فقد استمر يزاولها، ويسير على هديها، ولسنا مبالغين إذا قلنا إن الكثير من هذه العادات والطباع لا تزال موجودة في الوجه القبلي وحتى في الوجه البحري، وبخاصة في الجهات التي لم تدخل فيها المدنية الحديثة.

(٨-٢) موقع جبَّانة «طيبة» في العهد البطلمي

عرفنا مما سبق أن جبَّانة «طيبة» كانت تعد المصدر الأول للأوراق الديموطيقية التي يرجع تاريخها للعهد الأول من حكم ملوك البطالمة، ومن أجل ذلك أصبح لزامًا علينا أن نأتي بوصف مجمل من الوجهة الطوبوغرافية لهذه المنطقة في تلك الفترة، وقد أفاض القول في هذا الموضوع الأستاذ مصطفى الأمير في مؤلفه الحديث «سجل أسرة من طيبة».[١٢]

ولحسن الحظ نجد أن نفس البرديات تقدم لنا أحسن البيانات عن هذا الموضوع. حقًّا نعرف الكثير عن جغرافية «طيبة» الواقعة على ضفتي النيل منذ الأسرة الحادية عشرة حتى نهاية الدولة الحديثة، كما أشرنا إلى ذلك في الأجزاء السابقة من «مصر القديمة»، غير أن معالم هذه المدينة أصابها البلى والتخريب بصورة مُحسَّة من جرَّاء ما حلَّ بها من خراب على يد الآشوريين فهُدِّمت مبانيها، وانخفض عدد سكانها، يضاف إلى ذلك أنها في العهد الأخير من حكم البطالمة قد أصابها الخراب الشامل في زمن «بطليموس التاسع»؛ ومن ثَم أصبحت في زوايا النسيان شيئًا فشيئًا، وتضاءل ما فيها من سكان، وتقسموا جماعات، وتناثروا في أرجائها الخربة، وفي النهاية أخذوا ينزوون في حرم المعابد على الشاطئ الأيمن للنيل، أو في القرى التي على الشاطئ الأيسر لهذا النهر.

وكانت «طيبة» في تلك الفترة من تاريخ البلاد لا تزال تُعرَف باسم «ني» (أي المدينة) وحسب في هذه الوثائق الديموطيقية السالفة الذكر.

[١٢] Mustafa El Amir. A Family Archive From Thebes. PP. 49 ff.

أما جبَّانة «طيبة» فكانت تعرف بجبَّانة «جمي» وتقع في غربي «طيبة»، ومن ثَم نرى أن كلًّا من المدينة والجبَّانة تتميز الواحدة عن الأخرى، فكان يقال في المتون بيتي في «ني» ومقابري في جبَّانة «جمي». هذا وكان يشار لكل من المكانين بالشرق والغرب؛ فالشرق هو المدينة، والغرب هو الجبَّانة، ولا غرابة في ذلك، فإن المصريين كانوا يرمزون للحياة بالشرق، وللموت بالغرب.

وكانت مدينة «طيبة» على حسب ما جاء في الوثائق الديموطيقية البطلمية مقسَّمة حيَّيْن؛ الحي الشمالي لطيبة، والحي الجنوبي لها، وفي الوقت نفسه نجد أن كلًّا من هذين الحيين ينقسم مساحات صغيرة محددة.

ففي الحي الشمالي جاء ذكر مركزين في المتون الديموطيقية؛ وهما الحي الشمالي لطيبة في بيت البقرة، وقد تحدَّثنا عنه في الجزء الرابع عشر، والحي الشمالي لطيبة عند «بوابة عبادة الشعب» (؟) وكذلك نجد في الحي الجنوبي لطيبة موضعين مميزين؛ الأول: يُدعَى الحي الجنوبي لطيبة في غربي ردهة الإله «خنسو» في «وست-نفر-حتب» على النهر، والآخر يُدعَى الحي الجنوبي لطيبة في شمالي مدينة «أبي» وطريق بولهول للإلهة «موت» على النهر.

ومن ذلك يتضح أن الأماكن التي في الشمال وفي الجنوب من طيبة لا بد كانت دون شك تقع على الضفة اليمنى للنهر.

هذا ونجد أن البيوت التي كانت في الحي الشمالي لطيبة قد جاء ذكرها في وثائق البطالمة المبكرة؛ في حين قد لوحظ أنه منذ عهد «بطليموس الخامس» جاء ذكر كلٍّ من الحي الشمالي والحي الجنوبي، ويتضح لنا من الوثائق الديموطيقية التي ترجمناها هنا أن الحيَّيْن كانا يتألفان من مجاميع بيوت متراصَّة يفصل بينها شارع الملك، وكانت هذه البيوت تتجه شمالًا وجنوبًا، كما كان المنتظر؛ لأنها كانت مقامة على شاطئ النهر، وكان بعضها كبيرًا جدًّا؛ فقد كانت تقسم أحيانًا أربعة أنصبة، ومما يلفت النظر في الوثائق الديموطيقية المتأخرة أن مساحة البيت الواحد كانت تبلغ أحيانًا ١٤٠٠ ذراعًا، وذكر لنا «ديدور» أن بيوت الأفراد من موظفي «طيبة» كان يحتوي كل على أربعة أو خمسة طباق.[١٣]

---

[١٣] Diod. I. P. 45.

وقد جاء في الوثائق الديموطيقية ذكر المدارس والسجون في الحي الجنوبي.

وتدل شواهد الأحوال على أن هذه المنازل في كل من حيَّيْ «طيبة» كانت بجوار معبد «آمون» ومرفقاته،[١٤] يضاف إلى ذلك أنه قد أصبح واضحًا مما ذُكِر في الأوراق الديموطيقية أنها لم تقدم لنا إلا معلومات عن جزء صغير من المدينة؛ وذلك لأنه على حسب ما ذكره «ديودور» كان محيط المدينة ١٤٠ ستاديا (ميلًا) وأن محيط مدينة «منف» كان ١٥٠ ستاديا، وهذه المساحة شاسعة جدًّا بالنسبة للعصر البطلمي.

(٨-٣) مدينة هابو في العهد البطلمي

لقد ظل اسم مدينة «هابو» يُذكَر في المتون المصرية منذ الدولة الحديثة حتى نهاية العصر الروماني، ولا زالت المباني الدينية لهذه المدينة حتى الآن تُعَد من أفخم وأروع ما خلَّفه المصريون في كل عصور التاريخ المصري القديم.

وتشمل مباني مدينة «هابو» الأجزاء الرئيسية التالية:

(١) المعبد الرئيسي الذي أقامه «رعمسيس الثالث».

(٢) الحرم الداخلي للمعبد المقام من اللبنات.

(٣) السور العظيم المبني من اللبنات.

(٤) يوجد بين هذين البناءين الأخيرين عدة بيوت لخدم المعبد في الجنوب، وفي الشمال توجد المصالح الإدارية، وحديقة المعبد، والبركة المقدسة.

(٥) معبد «آمون» الصغير.

(٦) الجدار الخارجي المنخفض، ويبعد نحو ١٢ مترًا من جدار السور العظيم.

(٧) البوابة الشرقية المحصنة، وهي التي تسمى المجدل، والميناء، والقناة التي تتصل بالنيل أمام هذه البوابة.

(٨) البوابة الغربية المحصنة.[١٥]

وتدل شواهد الأحوال على أن هذا المعبد العظيم قد هُجِر بعد موت «رعمسيس الثالث» الذي أقامه، ومنذ الأسرة العشرين هُجِر نهائيًّا بوصفه محرابًا واستُعمل معقلًا،

---

[١٤] Mustafa El Amir. Ibid., P. 53.

[١٥] Holscher V. Excavations at Medinet Habu in CIOC. Vol. V. VII. X. XV. etc.

وأصبح يُستَعمل بمثابة مصالح حكومية للإدارة، وقد دلتنا الكتابات الديموطيقية التي نُقِشت على جدرانه على أن بعض الأعمال الإدارية كانت تُؤدَّى في بعض أجزاء هذا المعبد في كلٍّ من العهدين الإغريقي والروماني.[١٦] فمثلًا نجد أن حجرة كانت تستعمل في عهد «رعمسيس الثالث» مجزرة قد أصبحت تستعمل في عهد «بطليموس الثالث» إدراة، وكذلك نشاهد أن خمس الحجرات التي أقامها «رعمسيس الثالث» في معبد مدينة «هابو» لتكون خزانة قد استخدمت في العصر البطلمي لمثل هذا الغرض نفسه، ومما يلفت النظر أن الأشخاص الذين تركوا لنا أسماءهم على جدران معبد مدينة «هابو» كانو يعتبرون هذا المبنى مأوى إلهٍ يُدعَى «مين» ولا غرابة في ذلك، فإنهم لا بد قد تأثروا بمناظر الإله «مين» المنقوشة على جدران المعبد، وقد تحدثنا عنها بإسهابٍ في الجزء السابع من مصر القديمة.

والواقع أن البطالمة كانوا يعتنون عناية خاصة بالمعابد المصرية، كما نوَّهنا عن ذلك آنفًا، ولم يقتصروا في ذلك على إقامة المعابد الجديدة، بل كانوا يصلحون المعابد القديمة التي تُهدِّمت؛ ولا أدلَّ على ذلك من عنايتهم بالمعبد الصغير في مدينة «هابو»، والظاهر أن هذا المعبد بالذات كان موضع تقدير منذ إقامته،[١٧] فقد أصلح عدة مرات، وقد ظلَّ كذلك إلى أن خربت مدينة «جمي» وأصبحت أثرًا بعد عين، وكان القوم يتعبدون فيه حتى النهاية؛ ولا أدلَّ على ذلك من صلاة كتبها أحد كهنة «آمون» في العام التاسع عشر من حكم أحد البطالمة، أو أباطرة الرومان على جدران هذا المعبد؛ يطلب فيها لآلهة «جمي» أن يمنحوه أولادًا عدة، وحياة مديدة، وعمرًا طويلًا طيبًا، وأن يوضع اسمه على مدخل معبد مدينة «هابو» (أي المعبد الصغير) أبد الآبدين، وكان الإله «آمون» في هذا المعبد يُسمَّى «آمون جمي» ومن ثَم ليس هناك ما يمنع أن لقب حانوتي «آمون» في معبد مدينة «هابو» يشير هنا إلى المعبد الصغير، وقد جاء هذا اللقب في كثير من الوثائق التي ترجمناها فيما سبق، وكذلك كان يحمل هذا اللقب كاهن «آمون» بالدير البحري، أما مدينة «جمي» نفسها فعلى الرغم من الإشارة إليها في أماكن عدة في العهد البطلمي، فإن الحفائر التي عُمِلت في هذه الجهة لم تكشف لنا عن موقعها بالضبط.

وتدل شواهد الأحوال على أن موقعها على حسب ما لدينا من وثائق ديموطيقية ربما كان «دير المدينة» أو «مدينة هابو» فقد ذكر الأثري «برويير» أنه كان يوجد في

---

[١٦] Edgerton, Report on the Graffiti at Medinet Habu. A.J.S. LLL P. 116.

[١٧] Holscher. The Excavations of Medinet Habu. Or. Inst. Comm. X PP. 61–69.

«دير المدينة» بعض بيوت مِلْك موظفي المعبد وحسب، وليس هناك قرية أو مدينة بالمعنى الحقيقي ازدهرت في العهد البطلمي في هذا الجزء من «طيبة» الغربية.

أما الأثري «هولشر» فيقترح أن القرية الهيلانستيكية لم تكن على ما يبدو داخل معبد «مدينة هابو»؛ وذلك لعدم وجود بقايا أية آثار بما في ذلك الفخار في هذا المكان، وأخيرًا اقترح الأثري «ونلوك» أن موقع القرية، لا بد، كان في معبد «مدينة هابو» نفسه في هذا العهد، ويمكن قبول هذا الفرض مؤقتًا.[١٨]

ومما سبق نجد أن موقع «جمي» قد أصبح مسألة لا يمكن حلها من هذه الاستنباطات، ولكن المتون الديموطيقية تلقي بعض الضوء على هذا الموضوع على حسب دراسة مصطفى الأمير[١٩] إذ يقول في هذا الصدد — بعد درس هذه المصادر السابقة: إنه إذا استثنينا أقدم وثيقة في سلسلة وثائق هذا العهد أي عام ٣١٧ق.م فإنا نجد أن المنازل التي وُصِفت في العقود الديموطيقية كانت كلها في جزءٍ ما من مدينة «جمي»، ويمكن أن نحدد موقعها في داخل سور «مدينة هابو»، وإن عدم ذكر الجهة الغربية أو الشرقية في هذه البرديات يرجع سببه إلى أن هاتين الجهتين كانتا تُشغَلان بالبوابتين المحصنتين اللتين قد أصبحتا تلقائيًّا المدخل والمخرج للقرية من «طيبة» وخارج الجبَّانة. ويمكن بذلك أن نستنبط مع «ونلك» أن «جمي» عصر البطالمة وما بعده كانت «مدينة هابو»، وأن السبب في عدم وجود براهين أثرية يرجع إلى أعمال التخريب التي قام بها السباخون الذي أزالوا كل المباني المقامة من اللبنات. وعلى أية حال يوجد تفسير آخر: وذلك أن المسافة التي كانت عند مدخل «مدينة هابو» كانت محددة، والوثائق التي في متناولنا لا تقدم لنا أية صورة عن مجموعة كبيرة من البيوت، ومن المحتمل أن سكان قرية «جمي» في العهد البطلمي كانوا حفنة من الذين يمثلون الأماكن المشاعة من جبل إلى جبل في بيوت أعيد بناؤها ويرجع عهدها للعصر الفرعوني. وعلى أية حال فإن الشاطئ الغربي للنيل عند «طيبة» كان يسكنه عدد عظيم من الأهالي أكثر مما يُظَن كما كشفت لنا عن ذلك أوراق بردية خاصة بالمقابر، والتفسير المحتمل لذلك هو أن الجزء الأكبر من هؤلاء الناس كانوا يسكنون مقابر حوَّلوها إلى مساكن صغيرة أو أقاموها ملاصقة لها.[٢٠]

أما مقابر العهد البطلمي في هذه الجهة فكانت جبَّانة «ذراع أبو النجا».

[١٨] Edgerton Ibid. P. 116.

[١٩] Mustafa El Amir. Ibid. P. 61.

[٢٠] Glanville Cat. P. XXV, Mustafa El Amir. Ibid. P. 56.

(٩) درس صيغ العقود الديموطيقية الطيبية في العهد البطلمي

تحدَّثنا فيما سبق عن صيغ العقود الديموطيقية في العهد الذي سبق العهد البطلمي بشيء من الإيجاز، وقد لاحظنا أن المصري كان يراعي في كتابة هذه العقود الدقة والإيضاح بدرجة لا تجعل هناك مجالًا للشك أو الإبهام، غير أنه على مرِّ الزمن قد تطورت صيغ هذه العقود، واتجهت نحو الكمال من حيث الدقة في التعبير، لدرجة أن القارئ تستولي عليه السآمة والملل من كثرة التأكيدات والتكرار التي كان يُثقَل بها العقد، ولن نكون مبالغين إذا قررنا هنا أن المصري في عهد البطالمة قد بلغ من الحذر والدقة في تحرير العقود درجة لم يبلغها أحد من قبل أو من بعد، ولعمري فإن السبب في ذلك قد يكون منشؤه آتٍ عن تجارب غش وخداع مرت به، ووقع في أحابيلها، وأدت به إلى أن يأخذ لكل أمر عُدَّته في مختلف الوثائق التي تُبرَم بين الفريقين المتعاقدين، وقد كان من جرَّاء ذلك أنه قد وفَّر على نفسه متاعب كثيرة كانت تحتاج إلى إقامة دعاوى أمام القضاء، وسنحاول أن نحلل موادَّ هذه الوثائق أو العقود على حسب النظام الذي وضعه المصري، والواقع أنه بعد درس الوثائق الديموطيقية التي عُثِر عليها في طيبة اتضح أنه كانت هناك صيغة تكاد تكون ثابتة مع الصيغ القانونية التي نراها في الطرز المختلفة للعقد، والعقد في أكمل صورة له يمكن تقسيمه ستة أقسام هي:

(١) التاريخ.
(٢) الطرفان المتعاقدان.
(٣) صلب العقد نفسه، ويحتوي على:

(أ) الصيغة الافتتاحية.
(ب) موضوع العقد.
(ج) الصيغة القانونية.
(د) المصادقة.

(٤) المسجل.
(٥) الشهود.
(٦) تأشيرة بالإغريقية تدل على أن الوثيقة قد سُجِّلت بوساطة موظفين من الإغريق.

وهذه الأقسام هي التي سرنا على هديها عند ترجمة الوثائق، وذلك تسهيلًا لفهمها دون عناء، وسنتحدث عن هذه الأقسام ببعض التفصيل، وسيرى القارئ أن هذه الوثائق — كما وُجِدت في العهد البطلمي — تتفق في كثير من النقاط مع العقود التي لا زلنا نراها تُحرَّر بأيدي كتبة من أهل القرى الذين ربما كانوا منحدرين من أصلاب أولئك الذين دوَّنوا هذه الوثائق الديموطيقية، وبخاصة الكتبة الأقباط الذين نشاهدهم يقومون بهذه الوظيفة في العِزَب والكُفُور والقرى … وحتى في البلدان الصغيرة، وقد أخذوا طبعًا في الانقراض شيئًا فشيئًا.

التاريخ: يحتوي التاريخ في أكمل صورة له في الوثيقة أو العقد البطلمي على ثلاث نقاط.

أولًا: تُذكَر السنة التي كان يحكم فيها الملك عند كتابة الوثيقة، وكذلك الشهر واليوم، ولكن أحيانًا تُذكَر السنة والشهر دون ذكر اليوم، وقد ظن بعض علماء الديموطيقية أنه عند إغفال ذكر اليوم يكون المقصود أول يوم في الشهر، غير أن هذا الزعم ليس إلا مجرد نظرية،[٢١] وقد اعتاد مترجمو هذه الوثائق ذكر الشهر القبطي، غير أن المصري قد اتبع في التوقيت الأصلي؛ أي ذكر الفصل، ثم الشهر بالرقم. مثال ذلك: فصل الصيف الشهر الأول … وهكذا، وأحيانًا نجد في بعض الوثائق ذكر الشهر المصري، وما يقابله في الأشهر المقدونية.

يأتي بعد التاريخ اسم الملك الفرعون، والنعوت التي كان يُوصَف بها إذا كان له نعوت، وكذلك زوجه ونعوتها.

وأخيرًا تُذكَر أسماء الكهنة والكاهنات الذين كانوا يُعيَّنون سنويًّا، وتسمى باسمهم السنة، وهذه الكهانة أسَّسها البطالمة في المدينتين الإغريقيتين؛ وهما الإسكندرية و«بطولمايس» وذلك ليكونوا قوة توازن النفوذ السياسي الذي يكان يتمتع به الكهنة المصريون، وقد أسس «بطليموس الثاني» كهنة الإسكندر الأكبر، وكهنة الإلهين الأخوين المتحابين، وكاهنة «أرسنوي» محبة أخيها، وهي المعروفة بحاملة السلة الذهبية (كانيفور)، وهؤلاء الكهنة قد ازدادوا طوال العهد البطلمي؛ وذلك لأن كل ملك كان يُنصِّب عند تولِّيه العرش كاهنًا له وكاهنة للملك، ومما يجب التنويه عنه هنا أنه في الوثائق الديموطيقية البطلمية المبكرة كان يُذكَر فقط أسماء كهنة

[٢١] Glanville, Ibid. P. XXVII. Note 4.

الإسكندر الأكبر، ولكن منذ عهد «بطليموس الرابع» فيلوباتور كانت تضاف أسماء كهنة البطالمة الذين سبقوه، وهؤلاء الكهنة كانوا بطبيعة الحال من أصل إغريقي، وعلى ذلك كانت تُكتَب أسماؤهم بحروف ديموطيقية بقدر المستطاع، ولما كانت كتابة هذه الأسماء تُسبِّب بعض الصعوبة فإنه كان يُهمَل ذكر الأسماء، ويُكتَفى بالإشارة إليها أحيانًا؛ فنجد مثلًا في وثيقةٍ أن الكاهن قد بدأ — كما هو المعتاد — بذكر سنة الحكم، واسم الملك، واسم كاهن الإسكندر، ثم يقول بعد ذلك: «وباقي كتابة بروتوكول الإسكندرية.» والمقصود هنا بكلمة بروتوكول كل المادة الافتتاحية التي تشمل: التاريخ، والأسماء الملكية، وأسماء الكهنة الحوليين.

وفي وثيقة أخرى بالمتحف المصري[٢٢] No. 50149 نجد أن الكاتب بدلًا من ذكر الكهنة الحوليين اكتفى بقوله: و«الكهنة والكاهنات.» ولم يعلم أن أهمية ذكر هؤلاء الكهنة والكاهنات كان عظيمًا جدًّا للتأريخ في الوثائق الناقصة التي ضاع منها اسم الملك، وقد اهتم مؤرخو الأحداث بوضع قوائم لهؤلاء الكهنة والكاهنات الحوليين، فكان أول من وضع قائمة بذلك هو المؤرخ بلومان[٢٣] عام ١٩١٢، ثم أكملها بقدر المستطاع سير «هربرت تومسون»؛ وبذلك أصبح في مقدور الباحثين في تاريخ البطالمة أن يضعوا تواريخ محددة بدلًا من الحدس والتخمين بطرق أخرى كالخط[٢٤] الذي كُتِبت به الوثيقة.

ومما يطيب ذِكرُه هنا أن هذه الطريقة في التأريخ بحوليات الكهنة والكاهنات في العهد البطلمي كان قد سبق إليها الآشوريون، وذلك في عهد الملك «أداد نيراري الثاني» (٩٠٩–٨٨٩ق.م) إذ اتفق أنه منذ عهده قد بدأت قائمة «اللمو» أو الحكام الحوليين تُحفَظ في سجلات في سنين متتالية دون حذف حتى نهاية الإمبراطورية الآشورية، وتفسير ذلك: أن موظفًا كبيرًا — بما في ذلك الملك نفسه — كان يعين مرة في خلال حياته؛ ليخدم لمدة عام واحد بوصفه «لمو»، وكلمة «لمو» تقابل في الإغريقية كلمة Eponym أي الذي يطلق اسمه على شيء، ومن ثَم نشأت القوائم الحولية التي

[٢٢] Spiegelberg. Cat. Gen. No. 50, 129.

[٢٣] Die demotischen Eponymendatierungen in A.E.Z. 50, 19 and Pauly Wissowa-Kroll. S.V. Hereis.

[٢٤] Eponymous priests under the Ptolemies in Studies presented to Griffith. P. 16–37.

تحتوي على أسماء «لمو» وقد أُطلِق عليها قوانين «لمو» (راجع مصر القديمة الجزء الحادي عشر).

وأخيرًا يُلحَظ أن الأوراق البردية الإغريقية كانت تحتوي على عدد كبير من الكهنة والكاهنات الحوليين أكثر مما وجد في الأوراق الديموطيقية، وسبب ذلك — كما قلنا — صعوبة نقل الأسماء الإغريقية إلى الديموطيقية؛ وعلى أية حال فإن ما وجد في كل من الأوراق الإغريقية والديموطيقية يكمل بعضه بعضًا.

الطرفان المتعاقدان: لقد حرص المصري كلَّ الحرص على إظهار شخصية كل من المتعاقدين بصورة لا تقبل الجدل؛ ومن أجل ذلك جرت العادة ذِكْر اسم كل من الطرفين مع ذكر اسمَيْ والديه، فيقال: فلان ابن فلان وأمه هي فلانة، يقول لفلان ابن فلان وأمه هي فلانة؛ هذا بالإضافة إلى ذكر وظيفة كلٍّ من الطرفين أو حرفته، وفي بعض الأحيان كان يُذكَر الواحد منهم بالاسم المشهور به.

هذا ونجد في الوثائق الديموطيقية المبكرة أن النموذج المتَّبَع كان واحدًا؛ ولكن منذ عهد الملك «أحمس الثاني» وما بعده نجد أن اسم الأب والأم يذكران باستمرار في كل من الطرفين.

وربما كان السبب في ذلك هو أن كلًّا من المتعاقدين كان يحمل نفس الاسم، وفي عهد البطالمة نجد أن الأطراف المتعاقدة تميَّز بوظائفهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم كما كانت الحال في العهد الأول في النصوص الديموطيقية، أو الهيراطيقية الشاذة، ونجد كثيرًا أنه كان يضاف لأحد الطرفين لقبه الذي كان يُنادَى به بين عشيرته.

ويُلحَظ كذلك في هذه الوثائق أن جنسية المتعاقدين من غير المصريين كانت تُذكَر فيقال فلان الإغريقي، أو الإغريقي المولود في مصر، أو الكوشي أو الفارسي المولود في أرض الكنانة، وحتى في الوثائق التي ترجع إلى أصل طيبي نجد المصري الذي ينسب إلى هذه المدينة كان زيادة في الدقة يوضح أصله بنسبة نفسه إليها، أو إلى أية بلدة جاء منها، فيقال: فلان الطيبي أو الأسواني أو الأشموني، وهذه نسب نسمع بها في أيامنا كثيرًا، فيقال: فلان المنصوري أو الفيومي.

أما في الوثائق التي ترجع إلى عصر البطالمة المتأخر فنصادف كثيرًا أوصافًا تحدِّد الأطراف المتعاقدة، وتنطبق في عهدنا على أوصاف التشبيه الذي يحدث في أيامنا عند

استخراج بطاقة الشخصية ففي ورقة في «برلين»[٢٥] نقرأ أن أحد الطرفين المتعاقدين وُصِف بأنه يبلغ من العمر أربعين عامًا، وأنه قوي أسود اللون أعور، وعلى جبينه ندبة، وفي ورقة أخرى في متحف «برلين» كذلك[٢٦] وُصِفت امرأة بأنها تبلغ من العمر ٣٣ عامًا، متوسطة القامة، لونها لون الشهد، وشعرها طويل.

وقد لوحظ أنه عندما كان الطرف الأول يحتوي على أكثر من شخص واحد فإنه بعد ذكر أسمائهم وذكر أسماء آبائهم وأمهاتهم تأتي عبارة تدل على أنهم على تفاهم تام في موضوع العقد، فيقال إنهم يتحدثون «بفم واحد».

وعندما كانت توجد صلة قرابة بين الطرفين المتعاقدين فإن هذه القرابة كانت تُذكَر، ويستمر الطرف الأول يخاطب الطرف الثاني بقرابته له في صلب العقد، وهذه الصلة يكون التعبير عنها سهلًا ميسورًا عندما تكون بين الأبناء والبنات والإخوة والأخوات؛ ولكن تصبح صعبة عندما تتعدَّى القرابة ذلك، ويرجع السبب في ذلك إلى أنه لا توجد في اللغة الديموطيقية ألفاظ تعبر عن ابن العم والعم أو العمة أو بنت العمة وابن الأخ (كما هي الحال كذلك في معظم الأحيان في اللغة العربية)، ومن ثَم فإن التعبير عن القرابة يصبح معقَّدًا في صلب العقد عندما تكون هناك إشارة لغير الطرفين المتعاقدين؛ مثال ذلك أنه يقال في مثل هذه العقود: أختي بنت أمي أي أختي من أمي، وبنت أخي الأكبر أي بنت أخي، وابن أخت والدي = ابن الخال، وكذلك يقال والد والدي = جدي، وفلان أكبر أولاد أختي الصغرى من والدي = ابن الأخت، وهكذا فإنه على الرغم من أن هذه التعابير تخدش الأذن بالنسبة لنا، فإنها كانت من الضرورة بمكان لفهم الوثيقة، وصحة شرعيتها.

صلب العقد: يأتي بعد ذكر الطرفين المتعاقدين نفس مادة العقد، وما تحتويه من نقاط أساسية، وهذه النقاط يمكن ترتيبها كالآتي:

اولا:الصيغة الافتتاحية: وتختلف في ألفاظها على حسب طبيعة العقد، والموضوع الذي يتناوله، وإن كانت بعض العقود على الرغم من اختلاف موضوعاتها تُفتتَح

[٢٥] Berlin. 5507.

[٢٦] Berlin. 3119.

بنفس العبارة، وعلى أية حال تنحصر موضوعات العقود الدالة على كُنْهها في أصناف العقود التالية:

أولًا: عقد اتفاق ببيع: ويُعبَر عن الصيغة الافتتاحية فيه هكذا: لقد دفعتَ لي مبلغ كذا، أو قد جعلتَ قلبي يرضى بقطعة النقد (الفضة) مقابل كذا (وهنا يُذكَر العقار المباع)، وهذه الصيغة نجدها في العقود الخاصة ببيع العقار المنقول والثابت.

ثانيًا: عقد تنازل، ويبتدئ بالكلمات التالية: «لقد نزلت لك عن حقي فيما يخص كذا.»

ثالثًا: عقد رهن: مقابل شيء يعادل قيمة المبلغ الذي حُرِّرت من أجله الرهنية، ويبتدئ بالكلمات التالية: إن لك عندي كذا قطعًا من الفضة (أي إني مدين لك بكذا) وذلك مقابل النقود التي تسلمتها منك، وإني سأردها لك في تاريخ معين، وإذا لم أردها في نفس التاريخ فعندئذٍ تكون قد جعلت قلبي يتفق على الثمن نقدًا، وهو الخاص بالرهن كذا (يقصد هنا أنه أصبح لا حق له في الشيء المرهون، وقد رضي الراهن بالنزول عن الشيء المرهون).

رابعًا: عقد هبة أو تقسيم، ويبتدئ بالكلمات التالية: لقد وهبتك ملكي كذا.

خامسًا: عقد قسمة: ويبتدئ هكذا: لقد قسمتُ معك وتقاسمتَ معي.

سادسًا: عقد اعتراف بتسليم نصيب، ويبتدئ بالكلمات التالية: إني راضٍ بنصيبي كذا، وهو الذي خصَّني من كذا.

سابعًا: عقد سلفية نقود أو غلة أو نبيذ … أو غير ذلك، ويُفْتتَح هكذا في سلفية النقد: «إني مدين لك.» وفي سلفية القمح مثلًا: لقد استلفت منك كذا إردبًا من القمح أو الشعير، وربحها محسوب فيها عليَّ باسم الغلة التي أعطيتها.

هذا وقد تطورت عقود السلفية إلى ارتباط بشروط لا بد من الوفاء بها، مثال ذلك عند إقامة مبنى بين جارين يكون فيه أحد الطرفين قد ارتبط بتنفيذ شرط للطرف الثاني، فيقول في ذلك الطرف الأول: إني مسئول أمامك عن كذا، وقد يكون الارتباط خاص بدفع ضرائب للمشرف على الجبَّانة مثلًا، فيبتدئ العقد في هذه الحالة بالكلمات التالية: إني مسئول أمامك بألَّا أسبِّب لك خسارة في موضوع كذا.

ثامنًا: عقد تعهد بإعادة شيء مُعار (= إعارة)، وفي مثل هذه الحالة يبتدئ العقد بالكلمات التالية: إني راضٍ باللوحة التي أخذتها من يد فلان، وهي التي أعارها

لي بمقتضى اتفاق في عام كذا، وليس لي حق عليك فيما يتعلق بهذه اللوحة المدوَّنة أعلاه.

تاسعًا: عقود إيجار الأطيان وغيرها: وعقود الإيجار تُبْرَم إما لإيجار أراضٍ أو إيجار بيوت أو وظائف كهنة، ويبتدئ العقد في مثل هذه الحالات بالكلمات التالية: لقد أجَّرت لي بيتك مثلًا، أو لقد أجَّرت لك أراضٍ، أو لقد أجَّرت منك أرضك، أو وظيفتك الكهانية … إلخ.

ولما كان موضوع إيجار الأطيان يُعَد من الأمور البالغة الأهمية في مصر بوجه عام منذ أقدم العهود، فإنه لا بد لنا بهذه المناسبة أن نقف قليلًا، ونتحدث عن هذا الموضوع ببعض التفصيل، وبخاصة عندما نعلم أن مصر منذ أقدم عهودها كانت بلادًا زراعية.

والواقع أنه ليس هناك أمة من بين أمم العالم ينطبق عليها بحق أن الزراعة كانت أساس كل ثقافتها مثل مصر الفرعونية، وهذا الحكم يكون له منزلة بالغة الأهمية عندما نقرنه بطبيعة تربتها المنوَّعة، وليس لدينا أي شك في أن مصر تتألف من شريط ضيق من الأرض الميسرة للزراعة، وهي وإن كان المطر لا يسقط في وسط الصحراء التي تُكَنِّفها من الجانبين فإنها مع ذلك تُروَى من ماء نهرٍ مستوٍ منسوب مائه منخفض بالنسبة لمستوى منسوب الصحراء لدرجة أن ريَّها يكاد يكون من الأمور المستحيلة أثناء مدة طويلة من السنة، ومن ثَم فإن هذه البقعة من العالم تبدو في ظاهرها بأنها ليست بالمكان الذي يكون أكثر من غيره مناسبةً لقيام حضارة عظيمة فيه، ومع ذلك فقد أصبح موطن مدنية غاية في العظمة والضخامة والسؤدد.

ويرجع السبب في ذلك إلى أن طبيعة التربة والنهر والمناخ قد ساعدت على زراعة تلك البقعة، وكذلك وهبتها في الوقت نفسه طبيعتها الخاصة بها المنقطعة القرين، وذلك لأنه فضلًا عما أحدثته الزراعة من تطوُّر اقتصادي مركب، قد قامت فيها حكومة وطيدة ثابتة الأركان؛ فنهر النيل وفيضانه السنوي المنظم على البلاد قد شكَّل بطبيعة الحال تفكير القوم وسلوكهم في مجمل مظاهرهم الحيوية بصورة عامة، ولا غرابة في ذلك فإن نهر النيل قد ربط أجزاء هذه البلاد المستطيلة الشكل المترامية الأطراف بعضها ببعض بوصفه طريقًا من طرق النقل الممتازة، ولما كان فيضان هذا النهر قد يصبح خطرًا إذا زاد عن حدِّه، أو نقص في ارتفاعه عما تحتاج إليه البلاد من ماء، فإنه مع ذلك لم

يكن في الوقت نفسه موردًا فيَّاضًا طوال العام لسدِّ حاجة أرض الكنانة؛ مما دعا إلى جعل تكاتف المجتمع المصري وتآزره سويًّا من الأمور الملحَّة لحفظ كيان البلاد وسيرها إلى الأمام، ومن ثَم نشأت الحاجة إلى الشروع في عمل أنظمة للريِّ أخذت تزداد على مرِّ الأيام والدهور حتى آخر مرحلة يقوم بها رجال الثورة، وهو السد العالي الذي يُعَد آخر مظهر من مظاهر تكاتُف الشعب في حفظ كيان أرض وادي النيل وساكنيه، ومن جهة أخرى نرى أن حكومة البلاد كانت تتمتع بحكومة تلائمها وقتئذٍ، وهي ملكية مطلقة؛ وذلك لأجل أن تبقى على كيانها من حيث كل ما هي في حاجة إليه، يُضاف إلى ذلك أن وظائف هذه الحكومة التي كانت تسير على هديها في تلك الفترة قد حتَّمت استخدام الأرض بطرق مفيدة إلى أبعد حدٍّ؛ لأن الزراعة كانت المورد الرئيسي لثروة البلاد.

وتدل المصادر التي في متناولنا حتى الآن على أن تربة مصر نظريًّا كانت ملك الفرعون في كلِّ عصور التاريخ المصري القديم … والواقع أننا نجد في دراساتنا للتاريخ المصري أشرافًا، ورجال بلاط، وجنودًا كانوا أحيانًا يحصلون على هبات ضخمة من الأرض من الفرعون مكافأةً لهم على أعمالٍ قاموا بها، أو لأسباب أخرى. على أن مثل هذه الهبات كان من الممكن استردادها إذا قضت الأحوال بذلك، ومن ثَم لم تكن تعد ملكًا لأصحابها، ولكن في الوقت نفسه كان من المستطاع أن تُباع أو تورث، وعلى أية حال كان هناك جزء كبير من أرض مصر بقي ضِياعًا للملك، وكان يديره عملاؤه، وكان أكبر ملاك للأرض في مصر بعد الفرعون، وبخاصة في الدولة الحديثة هي المؤسسات الدينية الكبيرة؛ أي معابد الدولة الخاصة بالآلهة العظام،[٢٧] وبخاصة الإله آمون، والإله «بتاح» والإله «رع».

ومما يُؤسَف له جد الأسف أننا لم نعرف حتى الآن موقف الأفراد الذين كانوا مرتبطين بالأرض أشد الارتباط، وأعني بذلك المزارعين، والمصدر الوحيد الذي أماط لنا اللِّثام بعض الشيء عن موقف المزارع بالنسبة للأرض المنزرعة هو ما جاء في ورقة «فلبور»، وقد تحدَّثنا عما ورد فيها من حقائق جديدة في الجزء الثامن «مصر القديمة»،[٢٨] وسيجد الباحث في محتويات هذه الورقة أشياء جديدة بالنسبة لملكية الأرض، وكيفية زرعها، والضرائب التي كانت تُجبَى منها، وعلى أية حال تدل شواهد الأحوال على أنه

[٢٧] راجع مصر القديمة الجزء السابع.

[٢٨] راجع مصر القديمة الجزء ٨.

لم يكن يوجد شبه احتمال في الأزمات التاريخية لا يُشعِر بأنه كانت توجد أية جماعة كبيرة من صغار الملاك الذين كانوا يملكون قطع أرض يزرعونها لحسابهم قبل العهد المتأخر من الدولة الحديثة؛ أي عندما نَمَت على ما يظهر طائفة صغار الملاك والمؤاجرين، كما يُشاهَد ذلك في الإيجارات التي تجدها مدوَّنة منذ العهد الساوي. فقد كان المؤجرون يملكون قطعًا من الأرض يزرعها عبيد وعمال ومأجورون.

والظاهر أن الطبقات الدنيا كان معظمها مأجورين يعملون بصفة مستديمة في ضِياع الفرعون، والأغنياء، والمعابد أيضًا (هؤلاء يُسمَّون في عصرنا الحديث «التملية»).

والصورة الاتباعية التي يمكن استخلاصها من المُزارِع في الدولة القديمة وما بعدها هي التي حصلنا عليها من مناظر قبور الأغنياء، وهي التي تمثل لنا صورة الفلاح العامل في أملاك الفرعون، وضِياع الأغنياء، والظاهر منها أن حظَّ هذا الفلاح العامل الكادح كان يسير على حسب خطوطٍ رسمها أصحاب الضِياع، وما لهم من قوة مادية من حيث الثراء والجاه. على أن ما وصل إلينا من وصفٍ تقليدي عن حظِّ الفلاح، وإن كان قد بولغ في تصوير شقائه وتعاسته عندما كان يُقرَن في كتاباتهم بالكاتب الذي كان يتمتع بميزات خاصة في هذا العصر، فإنه كان ينعم ببعض الاستقلال، والواقع أنه كان — لسوء طالعه — عليه أن يهتم بما عساه أن يقع من أخطار الأوبئة، ونمو الأعشاب الطفيلية التي كانت تلتهم غذاء زراعته، وكذلك كان عليه أن يحسب حساب اللصوص، وما قد يحدث من قلة المحصول عندما يباغته الكاتب لتسجيل ضريبة المحصول وجمعه منه في آنٍ واحد، وكذلك كان عليه أن يهتم بالغرامة التي كان يفرضها المشرف على الماشية التي نَفَقت في مزرعته.

والواقع أن الفلاح كان مكلفًا في بعض الأحيان بزرع حقول كثيرة لا قِبَل له بزرعها، كما كان في الوقت نفسه مسئولًا عن دفع ضرائبها، والظاهر أن اختياره لمقدار مساحة الأرض التي كان سيزرعها كان محدودًا، كما كان نوع هذه الأرض، وصنف البذرة التي كان سيبذرها معيَّنًا أيضًا. هذا فضلًا عن أن الضرائب التي كانت تُفرَض عليه فوق طاقته، وكان لا بد من دفعها، ومما تجدر الإشارة إليه بالنسبة لمهنة الفلاح الكادح التي كان لا يحسد عليها صاحبها أن عبارة: «يوضع فلاحًا في ضيعة المعبد.» مثلًا كانت تُعَد عقابًا على جريمة اقترفها أي فرد خالف بعض نصوص الأشياء المحرمة في المنشور

الذي أصدره «سيتي الأول» حوالي عام ١٣٠٠ق.م وهو المنشور المعروف باسم «منشور نوري» وكان عقاب المجرم بعد وصفه فلاحًا جَدْع أنفه، وقَطْع أذنيه.[٢٩]

ولا نزاع في أن معلوماتنا عن الحالة القضائية والاقتصادية بالنسبة للمزارع المصري القديم ضئيلة إلى حدٍّ بعيد بطبيعة الحال، وذلك لعدم وجود براهين مباشرة في متناولنا في هذا الصدد؛ فمثلًا ليس لدينا اتفاقات زراعية، أو عقود إيجار أرض من العهد الفرعوني قبل الوثائق التي وصلت إلينا من القرن السادس قبل الميلاد؛ يُضاف إلى ذلك أنه لم يصل إلينا وصف ملكية زراعية أو عقد إيجار أرض من العصور المصرية القديمة كالتي نجدها في «بابل» من مجموعة عقود إيجارات هذه البلاد التي كُشِف عنها. على أن عدم وجود مثل هذه الاتفاقات أو العقود من العصور المصرية القديمة الأولى لا يعني أنها كانت لم تحدث فعلًا، أو لم تكن موجودة في هذه العهود، ومن المحتمل أنها كانت موجودة غير أنها لم تكن سائدة بوجه عام، أو قد حدثت كثيرًا بصورة مُحسَّة، والواقع مع كل ذلك أن الغالبية العظمى بين المزارعين المصريين كانت علاقتهم بأسيادهم أصحاب الضياع لا تحتاج إلى إبرام عقد اتفاق بين الطرفين، ولا غرابة في ذلك فإنه على حسب ما وصل إلينا من معلومات مدوَّنة لا توجد إلا وثيقة واحدة من بين الوثائق التي يرجع تاريخها إلى ما قبل القرن السادس قبل الميلاد يُشتَمُّ منها رائحة أنها كانت بمثابة عقد إيجار، وهذه الوثيقة هي عبارة عن خطاب يرجع تاريخه للأسرة الواحدة والعشرين (١٠٨٥–٩٥٠ق.م) ويُفهَم من مغزاه أن كاتبه قد أخبر من قبل مؤاجر أرض من مؤاجريه أنه لا يمكنه زراعة بعض أطيانه، وعندما عاد كاتب الرسالة إلى بيته قالت له زوجه بألَّا يستولي على الأرض من المستأجر، بل يجب عليه أن يتركه يستمر في زراعتها. هذا ولا نعرف لماذا نصحت له زوجه — وهي ربة البيت كما يسميها في رسالته — بهذه النصحية، ولماذا قبل نصيحتها في الحال؟ وعلى أية حال نعلم أنه عندما وصلت الرسالة عاد المستأجر إلى زراعة الأرض، وأزال ما فيها من أعشاب ضارَّة، وزرع منها جزءًا خضرًا. هذا ولم يذكر لنا شيئًا عن الشروط التي كانت تُزرَع بها هذه الأرض، ومن المهم على أية حال أن نفهم أن المستأجر كان قد نصح بشدة أن يستعمل الرسالة إذا اعترض عليه في زرع هذه الأرض بمثابة شاهد عدل عند الحاجة.

[٢٩] راجع مصر القديمة الجزء السادس.

(٩-١) إيجار الأطيان في العهد الساوي، وقرنها بالإيجارات في العهد البطلمي

ولن نكون بعيدين عن الصواب إذا اعتبرنا عقود الإيجارات التي أُبْرِمت في العهد الساوي وما بعده حتى العهد البطلمي بمثابة إيجارات بالمعنى الحقيقي المعترَف به قانونًا؛ وذلك لأن هذه الإيجارات كانت تُعَد توكيلات؛ لأن صاحب الأرض كان لا يزال هو القابض عليها، وهو الذي يمنح حق استثمارها لمدة معينة في مقابل مبلغ من المال أو المحصول أقل من قيمة الأرض، وهذه الإيجارات لم تكن إلا مجرد أنظمة يكون فيها المؤاجر في الواقع مؤاجرًا لزرع العين مقابل نصيب من المحصول.

هذا وسنرى أن الاتفاق الغامض الذي جاء في الوثيقة رقم خمسة من مجموعة عقود الإيجارات التي جمعها وكتب عنها الأثري «هيوز» وهي خاصَّة بالعهد الساوي،[٣٠] يقرب من الإيجارات الحقيقية، وفيها نجد أنه حتى كل الثيران والأرض على السواء كانت مؤجرة، ويلفت النظر أن عقود الإيجار التي من العهد الساوي لم تكن بأية حال من الأحوال غزيرة في ألفاظها، بل في الواقع كانت مقتصدة في كلماتها لا تحتوي إلا على الألفاظ التي لا غنى عنها لفهم عقد الاتفاق. هذا ونجد فيها عددًا من الشروط التي كان لا بد منها للإيجارات العادية مما لا يوجد مثلها في الإيجارات الديموطيقية إلا نادرًا أو لا وجود لها قطعًا، وفي معظم الحالات نجد أن عدم وجودها لا يعني وجود أي فرق في المقصود بين الإيجارات الساوية والإيجارات البطلمية، والواقع أن كثيرًا من هذه الشروط التي لا توجد في الوثائق الساوية كانت بضرورة الحالة متضمنة في ألفاظ العقود التي تحتويها الإيجارات القديمة بصفة مبهَمة، غير أنها أصبحت واضحة في الإيجارات التي أُبْرِمت فيما بعدُ.

وإذا بدأنا بالتحدث عن الطرفين المتعاقدين في عقد الإيجار فإننا لا نجد شيئًا كثيرًا يمكن التحدث عنه، غير أنه قد لوحظ على ما يظهر عدم وجود واحد من المستأجرين كان يُنتَظر منه أن يزرع الأرض بنفسه، وهذا ينطبق كذلك على معظم الإيجارات في العقود الديموطيقية التي حُرِّرت في العهد البطلمي المتأخر. هذا ولما كانت كل عقود إيجار الأرض السبعة التي عُثِر عليها حتى الآن في العهد الساوي ضمن أرض ضِياع

[٣٠] Hughs. Saitic Demotic Land Leases.

الإله «آمون»، وأن بعضها كان كذلك أوقافًا للمتوفَّى، فإنه ليس من المدهش أن المؤجرين كانوا رجالًا يحملون ألقابًا كهانية دون أيِّ شك، ومن جهة أخرى قد يكون من المحتمل أن المستأجرين كانوا أحيانًا من الكهنة أنفسهم، غير أنهم في هذه الحالة كانوا لا بد من طبقة أقل من الكهنة المؤجرين؛ هذا ونجد كذلك أن المستأجر الذي كان يحمل لقب راعٍ كان من أتباع ضَيْعة الإله «منتو»، كما يُلحَظ أن آخر كان يحمل لقب حارس في ضَيْعة نفس الإله «آمون»، ومن المحتمل أن كلًّا منهما قد أجَّر أرضًا من ضَيْعة «آمون» الذي هو في خدمته.

أما الإيجارات التي قبل عهد البطالمة فلم نجد فيها أبدًا وصفًا يحدِّثنا بعدد محدَّد من أرورات الأرض، كما هي الحال عادة في الإيجارات البطلمية، والواقع أنه لما كانت هذه العقود تميل إلى الاقتصاد في ألفاظها، فلم يكن إذن من المهم ذكر مساحة الأرض المؤجرة بالضبط، وذلك لأن قيمة الإيجار كانت تُحدَّد على حسب قسمة المحصول، كما أن الأرض المؤجرة كانت تُعرَف بالاسم الشائع للقطعة أو البقعة التي توجد فيها؛ وكان موقعها العام في ضِياعٍ لمعبد، وفي حالات أخرى كانت تُحدَّد هذه الأرض المؤجَّرة بنوع المحصول الذي يُزرَع فيها؛ فكان يقال مثلًا: أرض «الكتان»، وكان هذا التعريف يعد كافيًا، وبوجه عام لم يكن من الضروري تحديد قطعة الأرض المستأجرة، كما كانت الحال في الإيجارات البطلمية، وعلى أغلب الظن كانت قطع الأرض المؤجرة صغيرة تبلغ ما بين أرورا وخمسة أرورات، كما كانت العادة في الإيجارات المتأخرة. (الأرورا يساوي ٦٨٪ من الفدان الإنجليزي).

والإيجارات المعروفة من العهد الساوي كلها لمدة سنة واحدة، وهذه كانت هي في الواقع القاعدة العامة لكل الإيجارات الديموطيقية الخاصة بالأرض في العهد المتأخر. هذا، وقد وجدنا في عقدين من العهد الساوي أنه قد نُصَّ في العقد ألَّا يترك المؤجر الأرض التي أجَّرها في السنة التي تلي السنة التي حُرِّر فيها عقد الإيجار؛ ولكن لاحظنا أنه في أحد هذين العقدين كان على المستأجر أن يُخْلِي الأرض ويُقِر بتركها في شهر معيَّن، وفي الوثيقة السادسة من هذه المجموعة نجد أنها تحتوي على ضمان أقربة المستأجر، وذلك بأن يتعهد للمؤجر بتوريد الإيجار المطلوب منه عينًا، وإلا عوقب بدفع غرامة، وليس لدينا عقد ضمان مُبرَم من قِبَل المستأجر بألا يترك الأرض مدة الإيجار، وهذه الضمانات لم نجدها مسجلة في العقود البطلمية.

ولا ننسى أن المحصول الذي كان يُزرع في الأرض المؤجرة لم يكن معينًا إلا في حالات قليلة، مثال ذلك: ما جاء في الوثيقة رقم ثلاثة من نفس المجموعة من عقود إيجار

الأرض في العهد الساوي؛ إذ نجد فيها أن نوع المحصول قد عُيِّن، والمفهوم أنه في الأمثلة الأخرى في هذه العقود الساوية، وكذلك في أغلب الإيجارات البطلمية التي سبق ذكرها، كان المستأجر حرًّا في اختيار نوع المحصول الذي سيزرعه، أو أنه كان يحدد على حسب مقتضيات الأحوال كالدورات الزراعية للمحاصيل، وتدل الوثائق التي في متناولنا من العهد الساوي على أن كل الإيجارات كانت عبارة عن اتفاقات مشاركة على المحصول، ولم تصل إلينا عقود إيجارات محددة، أو إيجارات يُدفَع جزء منها أو جميعها مقدمًا، ومن جهة أخرى كانت الإيجارات المحددة عملية شائعة الاستعمال في العهد البطلمي الديموطيقي، ومن هذه الإيجارات ما كان يُدفَع قيمتها مقدمًا.[٣١]

والواقع أن سبعة العقود الإيجار التي عُثِر عليها حتى الآن من العهد الساوي لا تكفي قط لنستخلص منها مقدمات عن مميزات إيجار الأطيان في هذا العهد، فنجد في ثلاث حالات أن المؤجر كان يتسلم ثلث الغلة والعلف المزروع مقابل إيجار أرضه، ومما تجدر ملاحظته أن ثلث المحصول كان هو الإيجار العادي في بابل وآشور.[٣٢]

هذا وقد وجد في حالتين بين هذه الإيجارات الساوية — وكان المحصول فيها كتانًا — أن المؤجر قد أخذ الربع من المحصول مقابل زرع أرضه بالكتان، وفي حالة واحدة وجدنا أن المحصول قد قُسِّم مناصفة بين الطرفين المتعاقدين، وكان على كلٍّ منهما أن يدفع نصف الضرائب التي كانت تُفرَض على المحصول للدولة، ولكن في حالات أخرى وُجِد أن المؤجر كان عليه أن يدفع كل الضرائب التي على الأرض من الثلث أو الربع الذي كان يتقاضاه من المستأجر بوصفه نصيبه مقابل زرع الأرض.

ولما كانت الأرض المؤجرة في العصر الساوي دائمًا في أرض يملكها المعبد فإن ضرائب محصول الأخير هي التي تُذكَر، وتدل الظواهر على أن المؤجر في العادة كان هو المسئول عما يُطلب من المعبد، ومن ثَم كان هو الذي يدفعه. فنجد مثلًا في الوثيقة رقم ٢ من وثائق إيجارات العهد الساوي أن المؤجر كان كاهن الإله «آمون»، وكان على ما يظهر هو المتصرف الرسمي على حساب الضَّيْعة الإلهية، وذلك لأن ثلث الإيجار المتحصَّل قد ذهب مباشرة للقربات الإلهية، غير أننا نرى في إيجارات أخرى أن جزءًا من الثلث أو

[٣١] Hughes: Saitic Demotic Land Leases. P. 32.

[٣٢] Marion San Nicolo, Beitrage zur Rechtsgeschichte im Bereiche der Keilschriftlichen Rechts quillen (Oslo, 1913 and Clay) P.P. 9, 22.

الربع المستحَق قد ذهب لضمانات الضَّيْعة، وعلى ذلك فإنه إذا كان المعبد يدفع جزية للفرعون فإن كلًّا من المؤجر والمستأجر لا شأن له بذلك، وهذا عكس ما كان يحدث في إيجارات الأطيان في العهد البطلمي حيث رأينا، فيما سبق، أن جزية الملك كان يُحسَب حسابها، فكان يدفعها المؤجر والمستأجر؛ غير أنه لم تُذكَر جزية للملك حتى عندما كانت الأرض داخلة ضمن ضَيْعة معبدٍ ما، وكانت إيجارات الضَّيْعة وضرائبها تُدفَع دائمًا أبدًا عينًا، وكذلك نعلم أن الإيجارات التي قبل عهد البطالمة كانت تحتوي على شروط تنصُّ على أن إيجار المحصول يكون من الدرجة الأولى في الجودة من حيث الغلة، كما لم تنصَّ على أن المستأجر كان عليه أن يورِّد هذا الإيجار في زمن محدد، ومكان معين، خالٍ من المصاريف، وإلا فإنه كان يُغرَّم غرامة قدرها ٥٠٪ من المطلوب منه، وأخيرًا لم يكن هناك شرط يُلزِم المستأجر توريد المحصول دون مستند يدل على تسديده الإيجار، وهذه الشروط جميعًا كانت تعد شروطًا عادية بالنسبة لعقود إيجار الأطيان في العهد البطلمي.

ويفهم من عقود إيجارات الأطيان التي أوردناها في العهد البطلمي أن المؤجر لم يقدم ضمانًا في أي وقت يدل على أنه مُلزَم بدفع الضرائب، والواقع أن هذه الشروط كانت جميعها عادية في العهد البطلمي، ويُلحَظ أن المؤجر في العهد الساوي كان عليه أن يقدم ضمانًا عندما كان يُشرَط عليه أن يدفع ضرائب الضَّيْعة، وبذلك كانت جميع استحقاقات كتَّاب الضَّيْعة على عاتق المستأجر. أضف إلى ذلك أنه كان يُشتَرط على كتَّاب الضَّيْعة أن يمسحوا أرضه باسمه؛ ومن المحتمل أن هذا الإجراء كان يُتخَذ لأجل تحديد مقدار ضرائب الضَّيْعة، وبذلك كان واجبه فضلًا عن ذلك أن يكون مسئولًا عنها، ومن الجائز كذلك أنه كان يُؤمِّن ملكيته للأرض في سجلات الضَّيْعة، ومن المؤكد أن النظام العادي لإيجارات الأطيان المحررة بالديموطيقية في كل العهود هو أن يكون المستأجر مُلزَمًا بتوريد كل شيء تحتاج إليه زراعة الأرض التي في حيازته كالثيران اللازمة للحرث، والبذور، والعمال، والآلات اللازمة لبذر البذور والحصاد، ونعرف أن هذه الآلات في الإيجارات البطلمية كانت تعين عادة، وكان المستأجر في عقود الأطيان البطلمية له حق الثلثين في المحصول في مقابل ما يورِّده من ثيران وبذور ورجال، في حين كان المؤجر يتسلم ثلث المحصول مقابل أرضه، وثلاثة أرباع ما بقي يكون مقابل زوج الثيران والبذور التي يورِّدها للمستأجر، ويتسلم المستأجر ما تبقى مقابل عمله في الأرض.

وفضلًا عن ذلك نرى في كلٍّ من العهدين الساوي والبطلمي أن نتيجة العمل في فلاحة الأرض تظهر في المحصول الذي يُنتَظر أن يصل إلى مستوًى مناسب، وإن لم يكن

غير محدد، وإذا لم تصل النتيجة إلى نسبة مُرضِية فإنه كان من حق المؤجر أن يقدم شكوى ضد المستأجر، ويفرض ترضية لنفسه على حسب محصولٍ أحسن عما تنتج من أرضه التي زرعها هذا المستأجر.

عقود اعتراف بدفع إيجار: وفي مثل هذه الوثائق يبتدئ العقد هكذا: لقد دفعتَ لي مبلغ كذا من النقود عن الإيجار الذي تعاقدتُ معك عليه، وهناك صيغة أخرى وهي: لقد تراضيتُ معك على الإيجار الخاص بكذا.

مستند أو إيصال رسمي: ومثل هذه الإيصالات الرسمية تبتدئ هكذا: إن فلانًا قد دفع كذا قدات، وهي عُشْر المستحق على الأرض ... في حضرة مأمور وكيل المحصول، وهناك صيغة أخرى يُعبَّر عنها هكذا: يوجد عدد كذا من القدات دفعها فلان بمثابة أجر للكتَّاب التابعين لعملاء «طيبة» لأجل كذا.

عقود خاصة باسترداد عقار؛ مخالصة أو فاء دين، أو نزول عن ملكية: وفي هذه الحالات تكون هذه الوثائق قد حُرِّرت كنتيجة لحكم قضائي كما نجد ذلك في وثيقتين؛ الأولى: محفوظة بمتحف «برلين» Berlin 3113 ونقرأ فيها أن ثلاثة أشخاص بوصفهم الطرف الأول يعترفون للطرف الثاني بما يأتي: لقد تنازعنا معك أمام القاضي الذي حكم بالعدل في «طيبة» فيما يخص موضوع ... وقد حكم علينا.

والوثيقة الثانية: محفوظة بالمتحف البريطاني[٣٣] ونقرأ فيها أن الطرف الأول، ويتألف من شخصين يخاطبان الطرف الثاني بما يلي: ليس لدينا عليك أي حق فيما يتعلق بموضوع كذا ... وهو الذي بسببه قام النزاع بيننا، وإنك صاحب الحق علينا، وقد أديت لنا حقوقنا القانونية، واليمين المطلوب عنها.

وقد تكون المخالصة خاصة باسترداد رهن، وفي هذه الحالة تبتدئ الوثيقة بالصيغة التالية:[٣٤]

> ليس لي حق عليك (حرفيًّا: لقد أبعدت عنك) فيما يتعلق بما يخوِّله لي هذا المستند بالنقد الذي حررته لك.

---

[٣٣] B. M. 100 79 D.

[٣٤] Pap. Eleph. 12 and ef. Nims. JNES vol. VII, No. 4. Oct. 1948 note 113, P. 260.

وقد أوردنا أمثلة لذلك فيما سبق.[35]

عقد تثمين أو حبس العين: هذا النوع من العقود لم يظهر إلا في وثيقتين عُثِر عليهما في «طيبة» وهما محفوظتان الآن في متحف اللوفر،[36] وهما من عهد الملك «بطليموس الثاني»؛ الأولى: في السنة الثامنة من حكمه، والثانية: في السنة العاشرة، وقد ترجمناهما فيما سبق.

عقود الزواج: يبتدئ عقد الزواج عادة بالجملة التالية: لقد اتخذتك زوجة.

عقود الطلاق: تُفتتَح هذه العقود بالألفاظ التالية: لقد سرحتك بوصفك زوجة، وقد انفصلت عنك فيما يخص حق الزوجية، وسنتحدث في فصل خاص عن الزواج والطلاق عند المصريين فيما بعد.

اتفاقات منوعة: لدينا عدة عقود لا تدخل تحت أنواع الوثائق السابقة نذكر منها ما يأتي:

أولًا: لدينا تعهُّدًا أو عقد أُبْرِم بين والد طفل ومرضعة، وقد أخذت هذه المرضعة على نفسها إرضاع الطفل، وتنشئته مقابل أجر معلوم، ويرجع عهده إلى حكم الملك «بطليموس الثالث» وقد ترجمناه، وعلقنا عليه فيما سبق.

وكذلك لدينا عقود بالتعهد بتحنيط أجسام، وفي هذه الحالة يقول المحنِّط للطرف الثاني (الزبون): لقد أمددتني بالنطرون، والأربطة، وكل شيء لازم لمومية فلان ابن فلان، وإني سأجهِّزه بالبلسم، وإني سأقدمها (أي المومية) إلى حانوتيك في اليوم الثاني والسبعين بعد الوفاة.

ثانيًا: عقد بتعيين حانوتي: ويبتدئ العقد هكذا: إنك حانوتي في هذا القبر … إلخ.

ثالثًا: عقد بإقرار بحلف يمين: ويبتدئ مثل هذا العقد هكذا: صورة اليمين الذي يجب أن يؤديه فلان ابن فلان في المعبد لفلان ابن فلان: (أحلف) بحياة الإله الذي يثوى هنا و(بحياه كل) إله يثوي معه.[37]

---

[35] Ph. XX, Miz VIII. Pl. 13–14.

[36] Louvre, 2434 and 2437.

[37] Thompson, Theban Ostraca, P. 104.

وقد يُكتَب هذا العقد بصورة أخرى هكذا: صورة اليمين الذي سيؤديه فلان في ساحة «جمي» بحياة «آمون نخمونيوس» Amun Nakhomneus الذي يثوي هنا، وكذلك كل إله يثوي معه هنا.[٣٨]

هذه نظرة عامة عن أهم أنواع العقود التي يصادفها الباحث في العهد البطلمي بوجه خاص؛ هذا فضلًا عما ذكرناه آنفًا عن العصر الذي سبق حكم البطالمة، ولا بدَّ أن نلفت النظر هنا إلى أن هذه الصيغ التي تُفتتَح بها هذه العقود والوثائق قد تكون مُضلِّلة في بعض حالات قليلة، وذلك بأن تدل على حسب منطوق العقد على شيء آخر لا يتفق مع العنوان الذي وُضِع للوثيقة، وفي هذه الحالة يكون الحل الوحيد للوصول إلى حقيقة مَرمَى العقد؛ ما نجده من علاقة بين الطرفين المتعاقدين بالشروط التي نجدها في نهاية الوثيقة، ولدينا ثلاثة طرز من العقود حدث فيها ذلك، وكلها تبتدئ بصيغة البيع الذي يُفهَم منه لأول وهلة أنه بيع حقيقي؛ إذ نقرأ فيها على لسان الطرف الأول: لقد دفعت لي، أي لقد جعلت قلبي يوافق على الثمن نقدًا لكذا …

والطراز الأول من هذه العقود: هو عبارة عن عقود خاصة بالاستعداد لأجل التحنيط والدفن من جانب الطرف الأول، وفي هذه الحالة تدل كل شواهد الأحوال على أن أي عقد من هذا النوع يُعتَبر وصية يُوصِي بها المتوفَّى قبل مماته؛ وذلك بإبرام عقد مع الحانوتي الخاص بالجبَّانة، وهذا يذكرنا بما كان يجري مع الكاهن خادم الكا في الدولة القديمة، وهو الذي كان يقوم بخدمة المتوفَّى بعد مماته بتقديم كل ما يلزم لبقاء روحه، والظاهر أن الحانوتي كان يقوم بمثل هذه الوظيفة في العهد البطلمي كما سنرى بعدُ.

والطراز الثاني من هذه العقود: نقرأ فيه أن الطرف الأول من المتعاقدين يتفق على بيع جميع ما يملك في الحال والاستقبال، وهذا النوع من العقود لا يخرج عن كونه وصية، ولكنها وضعت في صورة بيع، وربما كان سببها أن الموصي كان يخاف منازعة المُوصَى له من ورثته بوجه عام، وهذا ما يحدث في أيامنا هذه؛ إذ نجد أن الفرد يبيع كل ما يملك أو بعضه لأحد أولاده، ثم يسجل ذلك بعد أخذ حكم عليه بأنه باع له فعلًا هذه الملكية، والواقع أنه بيع صوري.

---

[٣٨] Reich, B. M. 10079 A.

أما الطراز الثالث من هذه العقود: فهو في الواقع وصية، ولكن في صورة أخرى؛ إذ نجد في صلب العقد أنه على الرغم من أن العقد قد أُبْرِم مع الطرف الثاني وحده إلا أنه كان مكلفًا بمادة خاصة في العقد بأن يعترف بنصيب منه معين لطرف ثالث، كما جاء في العقد رقم ١٧ من برديات فيلادلفيا، وقد أوردنا ترجمته فيما سبق.

وليس هناك من شك في أن مثل هذه العقود لا تخرج عن كونها وصايا في صورة بيوع اسمية وحسب، ولكن أصبحت نافذة المفعول بمقتضى البيع القانوني الذي تمَّ بمقتضى عقدٍ أُبْرم بذلك.

وأخيرًا لدينا بعض عقود ضمان من نوع مختلف جدًّا عن الضمانات التي ذُكِرَت فيما سبق، وأعني بذلك ضمان مُجْرِم حُدِّدت إقامته، وكان على الضامن أن يحضره في أي وقت طلب إليه إحضاره مدة نفيه أو تحديد إقامته، وقد تحدثنا عن ذلك عند ترجمة أوراق «ليل» التي عُثِر عليها في الفيوم في بلدة «جعران».

مادة العقد، وأنواعها

دل الفحص على أن مادة العقود التي كانت تُبرَم بين الطرفين المتعاقدين تحتوي في معظم الأحيان على عقار ثابت كالبيوت والأرض، أو منقولات كالأخشاب والأثاث، والوظائف كبَيْع وظيفة كاهن، أو دخل من بيوت أو أرض زراعية.

وقد جرت العادة عندما يكون العقد خاصًّا بعقار كالأرض أو البيوت كان لا بدَّ من وصفها وصفًا محكمًا من حيث الموقع، فيُعيَّن موقعها غالبًا بصورة دقيقة، وهذا التعيين يحتوي على بعض دلائل طوبوغرافية معزَّزة بذكر الملكيات المجاورة للعقار، وذلك بذكر حدود هذا العقار مُبتدَأة بالجنوب فالشمال فالشرق ثم الغرب على حسب التقليد المصري في ذكر الجهات الأربع، وذلك أن المصري كان يولي وجهه دائمًا شطر الجنوب الذي يأتي منه النيل مصدر حياته، وهذه القاعدة في التحديد تكاد تكون ثابتة على الدوام، وإذا حدث انحراف فإن ذلك يكون من جانب الكاتب إهمالًا منه، وتفاديًا من الوقوع في أي خطأ عند تحديد العقار كان يُذكَر في كل جهة اسم الرجل أو المرأة المجاورة، واسم والده أو والدته، وكذلك كانت تُذكَر الوظيفة إذا كان يشغل منصبًا أو حرفة ما، وكانت تُذكَر أحيانًا مساحة العقار سواء أكان أرضًا أم بيتًا، وعندما يكون هناك تقسيم في هذا العقار فإن المساحة العامة تُذكَر، وكذلك الأقسام المعنية. هذا، ويحتوي وصف العقار أحيانًا

على قائمة بحجراته المختلفة أو أجزائه مثل الفناء، والبوابة، والمدخل، وخارجة المدخل، والسقف، والسلالم، وحجرات النوم، والحمام ... وغير ذلك من محتويات المنزل.[٣٩]

ومما تجدر ملاحظته هنا أنه كانت توجد في كل عقود إيجارات البيوت أو بيعها بعض تعابير ثابتة كان لا بد أن تُذكَر عند وصف البيت دائمًا، ونخص بالذكر منها: أن البيت مبنيٌّ ومسقوف مما يدل على أنه كان سليمًا عند البيع، وذلك لأنه لم تكن توجد في الغالب بيوت مهدَّمة تُباع بعقود فيقال عنها إنها مهدَّمة.[٤٠]

وغالبًا ما تُذكَر في عقود إيجار البيوت بوجه خاص الأبواب الخشب، وذلك لأنها كانت تعد شيئًا ثمينًا في بلد كمصر كان يقِلُّ فيها الخشب، ويمكن نزعها من مكانها عند إخلاء العين إذا لم ينصَّ عنها في العقد، وهذا نفس ما يحدث أحيانًا في أيامنا هذه.

ويقول الأستاذ مصطفى الأمير[٤١] إن درس هذا الجزء من العقد هو الأساس للفصل الذي خصصه لطوبوغرافية مدينة «طيبة» وجبَّانتها، وهذا النوع من الدراسة كان قد حاوله الأثري «ريفيو»[٤٢] وقفا أثره الأثري النمسوي «ريخ»،[٤٣] ويجب أن تطبق كذلك على مجاميع الوثائق المنشورة وغير المنشورة، وذلك لأنها ليست أساسية لفهم البرديات وحسب، بل إنها كذلك ذات أهمية تاريخية. هذا فضلًا عن أنها مفيدة بوصفها مرشدة للحفار في حفائره في هذه المنطقة.

الصيغة القانونية

بعد الانتهاء من تحديد العقار سواء أكان بيتًا أم حقلًا يأتي الاعتراف ببيعه أو إيجاره بالعبارة التالية: لقد أعطيتك إياه وإنه ملكك. وتأتي بعد ذلك الصيغة القانونية مُفتتَحة بالكلمات التالية: ليس لي أي حق أيًّا كان عليك فيما يتعلق بالعقار المذكور. ويُستنبَط من قراءة الصيغ القانونية التي وردت في كل أصناف العقود أنها تكاد تكون وحدة ثابتة

---

[٣٩] Glanville. Cat. XXXIII, Cambridge Orinetal Series, No. 2.

[٤٠] Ph. XV; Louvre 3440, Berlin 3112.

[٤١] Family Archive Ibid. P. 88.

[٤٢] Rev. Egypt I, 172, Données Géogr. etc.

[٤٣] Miz. I. 12, Topographical Introduction to the new documents from the Serapium of Demphis.

في محتوياتها وترتيبها وألفاظها، سواء أكانت عقود بيع أم تنازل أم هبات أم وصايا أم رهونات؛ وكذلك يُلحَظ أن المواد التي تتألف منها هذه الصيغة القانونية لا تختلف في جميع العقود إلا قليلًا جدًّا؛ هذا مع العلم أنه قد تحذف أحيانًا مادة أو مادتان من موادها، كما أن ترتيب المواد لا يكون دائمًا موحدًا، وعلى أية حال فإن ألفاظ كل مادة قد حُفِظت بصورة ثابتة لدرجة أن الأستاذ «شبيجلبرج» عند ترجمته مجموعة أوراق «هوسفالد» قد وضع نموذجًا لصيغة البيع وأخرى لصيغة التنازل، وأحال القارئ عليها بدلًا من تكرارها في كل من هاتين الصيغتين[٤٤] في كل عقد من مجموعة الأوراق التي درسها.

وعلى أية حال هاك قائمة تامَّة بكل المواد المختلفة التي تتألف منها الصيغة القانونية على وجه التقريب:

(١) ليس لي أي حق كان عليك باسمه (أي العقار وغيره) من اليوم فصاعدًا إلى الأبد.

(٢) ولن يكون في استطاعة رجل أيًّا كان وحتى شخصي أن يكون له سلطان عليه إلا أنت من اليوم فصاعدًا.

(٣) وإن من سيأتي إليك بسببه فإني سأجعله يتنحَّى عنك (وفي رواية أخرى: إن من سيأتي إليك بسببه باسمي أو باسم أي شخص أيًّا كان ليغتصبه منك بقوله: «إنه ليس ملكك فإني سأجعله يتنحَّى عنك»).

(٤) وإذا لم أجعله يتنحَّى عنك (طوعًا) فإني سأجعله يتنحَّى عنك قهرًا.

وفي رواية أخرى: وإذا لم أجعله ينصرف عنك فإني سأدفع لك كذا نقودًا فضة (بمثابة غرامة) وسيكون من حقك عليَّ أن أجعله ينصرف عنك دون حدوث أي أذًى.

(٥) وأني سأطهِّره لك (أي العقار أو غيره) من كل حق، ومن كل حجة، ومن كل شيء مهما كان في أي وقت.

(٦) وكل حجة ملكك في كل مكان تكون موجودًا فيه (وفي رواية أخرى: حُجَجها القديمة والجديدة، أو برديتها القديمة وبرديتها الجديدة)، وكل وثيقة تكون قد حُرِّرت بخصوصه، وكل مستند كان قد حُرِّر بخصوصه فإنه ملكك، هذا بالإضافة إلى الحق الذي تخوِّله هذه الحُجَج.

---

[٤٤] Housewaldt Papyri. P. 7* and P. 9*.

(٧) وإن الحق الذي يخوَّل لي باسمه (أي العقار) فهو ملكك.

(٨) وإن اليمين أو المصادقة الذي سيُفرَض عليك في محكمة العدل باسم الحق المخوَّل باسم المستند المذكور أعلاه، وهو الذي حرَّرته لك ليحتِّم عليَّ القيام بأدائه فإني سأؤديه.

التصديق على العقد

وجدنا أثناء فحص العقود التي ترجمناها — فيما سبق — أنه يوجد أحيانًا طرف آخر ثالث يكون له حق فعلي في الاشتراك في الموافقة أو إثبات نفاذ العقد، وسواء أكان المصدق على الوثيقة ذكرًا أم أنثى فإن إمضاءه يعد أساسيًّا لصحة العقد،[٤٥] وهذا الحق لا بد أنه كان قد اكتسبه إما عن طريق وثيقة سابقة أو بمقتضى القانون بوصفه وارثًا، ومن أجل ذلك كان لا بد من تصديق هذا الطرف الثالث حتى يصبح العقد صحيحًا من الوجهة القانونية. فمن ذلك أن كل محاكمة قضية أسيوط الشهيرة[٤٦] كانت تدور حول موضوع أن العقد المطعون فيه لم يكن مصدَّقًا عليه من الطرف الثالث، ومن أجل ذلك اقتبس في هذه القضية القانون الذي صدر في عام ٢١ من حكم الملك.

وقد جاء فيه: أنه إذا حرَّر رجل وثيقة بهبة لمرأة، وبمنح ملكية لشخص آخر دون موافقة هذه المرأة أو ابنها البكر على الوثيقة المعينة، فإن المرأة أو ابنها البكر سيكون لها أو له حق الطعن على الرجل الذي أُعْطيَت إياه هذه الملكية، ومن أجل ذلك نجد في قصة «ستني» التي أُلِّفت على أغلب الظن في عهد «بطليموس الثالث» في السنة ١٥ من حكمه؛ أن «تابوبو» قد أصرت على أن يوقِّع أولاد «ستني» على العقد الذي حرَّره لها عن صداقها؛ وذلك لأجل أن يصبح العقد نافذ المفعول، وألا يكون لأولاده الحق في الرجوع عليها، ومطالبتها بحقهم الشرعي.

هذا، ونجد في ظلامة «بتيسي» إشارة لها قيمتها تدل على أهمية التصديق الذي نحن بصدده حتى يصبح العقد صحيحًا.

[٤٥] Thompson. A Family Archive from Suit P. XX.

[٤٦] Ibid. B. Note 16, P. 13 and 34.

المسجل

نجد بعد انتهاء الصيغة القانونية للعقد توقيع الكاتب في ذيل الوثيقة، وهذا التوقيع كان ضروريًّا لتأكيد صحة العقد، وكان في العادة يُكتَب هكذا: كتبه الكاتب فلان ابن فلان وأمه (هي) فلانة، وكانت تُذكَر وظيفة الكاتب أو لقبه إذا كان يشغل وظيفة أو يحمل لقبًا، وقد دلت الألقاب التي كان يحملها الكتبة على أنهم ليسوا من طائفة الكتَّاب الملكيين، أو كتاب المركز أو القرية، بل كانوا في الواقع يؤلفون طائفة قائمة بذاتها تُدعَى طائفة الكتبة، والظاهر أنهم كانوا يتألفون من فريقين؛ فريق يحمل ألقابًا كهانية، والفريق الآخر يحمل كل منهم لقب كاتب وحاسب، وكانت الفرقة الأخيرة تعمل أحيانًا وكلاء للفرقة الأولى، وكان القول إن هاتين الفرقتين كانتا تمثلان فرقة المسجلين الكهنة وفرقة المسجلين العموميين، وكانت كل منهما على علم بالقانون والشئون القضائية، وكانت وظيفتهم تحرير العقود التي بمقتضاها تصبح حقوق أفراد الشعب فيما بينهم ذات صبغة قانونية وطيدة، وكذلك كان من عملهم أن يحافظوا على صُوَر من هذه الوثائق؛ ليمكن استخراج نسخ منها عند الحاجة، وتدل الأحوال على أن الكتبة الذين من طائفة الكهنة كانوا يسكنون المعابد، وكان من أراد استخدامهم في كتابة وثيقة أو عقد ما، يسعى إليهم هناك.

أما فريق الكتبة من غير الكهنة فكانوا يتخذون مكان عملهم بالمدرسة، وكان صاحب الحاجة يختلف إليهم هناك، أو يطلب من يريد منهم إلى بيته، والواقع أن مثل هؤلاء الكتَّاب كمثل الكتَّاب العموميين الذين نشاهدهم في أيامنا يجلسون أمام دور المحاكم، ويقومون بكتابة العرائض والوثائق لكل من يريد، وبخاصة كتابة الظلامات والشكاوى والخطابات والعقود.

وقد دلت البحوث حتى الآن على أن أول توقيع لكاتب من هؤلاء يرجع إلى الأسرة الثامنة عشرة[٤٧] عثر عليه في أوراق اللاهون، وبعد ذلك أخذت تظهر الإمضاءات في عهد الدولة الحديثة، وما بعدها.

ومما يلفت النظر أنه في هذه الحالات كان الكاتب يحمل لقب «الكاهن المطهر» أو كاتب الحسابات، وقد كانت حرفة الكتابة ذات أهمية بالغة عند أفراد الشعب المصري،

[٤٧] Pap. Kahum, Gardiner Four Papyri.

وقد توارثتها الأجيال، وظلت باقية حتى أيامنا هذه يرثها الابن عن الأب، وبخاصة عند الأقباط، وقد تحدَّثنا عن الكاتب وأهميته في غير هذا المكان بإسهاب في كتاب الأدب المصري القديم.[٤٨]

هذا وكانت إمضاء الكاتب تُكتَب دون ذكر الأب أو الأم في أغلب الأحيان، وهذه ظاهرة واضحة جدًّا في وثائق العهد البطلمي. أما صيغة الإمضاء فكانت هكذا: «كتبه فلان في هذا اليوم.» والمقصود «بهذا اليوم» أي اليوم الذي جاء ذكره في أول الوثيقة، ومما تجدر ملاحظته هنا أن توقيع الكاتب كان يأتي بعده مباشرة أسماء الشهود الذين حضروا كتابة العقد أو الوثيقة. هذا، ولم تكن وظيفة الكاتب محصورة في مكان معين أو بقعة واحدة، كما ظن بعض من فحص هذا الموضوع، بل كانت دائرة عمله مشاعة في أي مكان يُدعَى إليه.

ولا نزاع في أن طائفة الكتبة كانت لها أهمية عظيمة في كل عصور التاريخ المصري، وقد تجلَّت هذه الأهمية في العهد البطلمي عندما أخذ المصريون ينشقون على الحكم البطلمي منذ بداية عهد «بطليموس الخامس» بصورة بارزة، والواقع أن البطالمة منذ بداية حكمهم قد لاقوا مشقة بالغة في إخضاع طائفة الكهنة الذين كان من بينهم طبقة الكتاب الكهنة، وهم الذين كانوا تحت سيطرتهم وسلطانهم. يضاف إلى ذلك أن إنشاء طبقة خامسة من الكهنة على حسب ما ورد في منشور «كانوب» عام ٢٣٥ق.م وكذلك ترقية صغار الكهنة بتشجيع كتَّابهم على مناهضة الكتبة العموميين للإله «آمون» تُعدَّان خطوتان في مقاومة الحكم الإغريقي، والوقوف في وجهه، ولا أدل على ذلك من تأسيس صغار الكهنة إدارة صغيرة لهم مؤلفة من المسجلين المصريين في المكان المعروف باسم «ممنونيا» Memnonia الواقع على الشاطئ الغربي للنيل، وكانوا يكتبون باسم الكاهن خادم الإله المحلي لبلدة «جمي» وهؤلاء لم يكونوا تابعين لأيَّة طائفة من طوائف الكهنة الخمس التابعين «لآمون»، وهاتان الخطوتان على أية حال قد عَمَلتا على مد احتكار الكهانة الوطنية لا على كتم أنفاسها.

ولكن مما يُؤسَف له جد الأسف أنه في العهد البطلمي المتأخر صُوِّبت ضربة قاصمة لهؤلاء الكتبة، وذلك بتأسيس إدارة سجلات رسمية استُعملت فيها اللغة الإغريقية وحسب، وكان هؤلاء جميعهم في خدمة رعايا الملك. يضاف إلى ذلك: أن المتعاقدين كانوا

[٤٨] راجع الأدب المصري القديم ص٣٢٥ إلخ، وص٣٦٠: كن كاتبًا.

معافين من إحضار شهود، وذلك لأن إمضاء المسجل الرسمي من قبل الحكومة كانت في حدِّ ذاتها ضمانًا لصحة العقد، ولا شك أن هذا الإجراء كان له حدَّين قاطعين بالنسبة للشعب المصري، فقد أصبح المسجلون الوطنيون لا عمل لهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان لزامًا على المصري أن يتعود على اللغة الإغريقية وقانون الشعب الفاتح، غير أن المصري مع ذلك كان عنيدًا متمسكًا بتقاليده بكل ما لديه من قوة، فقاوم هذا الإجراء.

تسجيل العقود

ذكرنا فيما سبق أنه كانت توجد إدارة تسجيل للعقود منذ أقدم العهود، والظاهر أن هذا التسجيل لم يكن إجباريًّا في الفترة الأولى من العهد البطلمي، وذلك قبل عام ١٤٥ق.م؛ إذ منذ ذلك التاريخ كان تسجيل العقود يُجرَى في إدارة حكومية[٤٩] إجباريًّا، وكانت تُميَّز الوثيقة المسجلة بظهور بصمة إغريقية في أسفل المتن الديموطيقي، وهذه البصمة كانت إحدى الأمور الرسمية التي تصبح بها الوثيقة ذات صبغة رسمية لا غبار عليها.

هذا، وقد ذُكرَت لنا طريقة التسجيل في بردية باللغة الإغريقية، وهي محفوظة في متحف «اللوفر» تحت رقم ٦٥، وقد أُرِّخت بالسنة السادسة والثلاثين من عهد الملك «فيلوماتور» «بطليموس السادس»، وهي رسالة من موظف يُدعَى «بانيسيوس» Paniseus كتبها لموظف آخر أكبر منه مكانة يُدعَى «بطليموس»، يقول له: إنه قد دون بعناية في سجله التاريخ، واسم كل من الفريقين المتعاقدين، وموضوع العقد، ثم مَهَره بإمضائه. ولدينا في مجموعة «فيلادلفيا» ست وثائق عليها ست بصمات إغريقية؛ مما يدل على أنها كانت مسجلة في إدارة السجلات. هذا وتدل شواهد الأحوال على أنه كانت توجد إدارتان للتسجيل في «طيبة»؛ إحداهما في الجهة الشرقية، والأخرى في الجهة الغربية للنيل، ويقول «ريفيو»:[٥٠] إن أصل عملية التسجيل كانت قد فُرِضت فرضًا لأسباب مالية؛ ففي الأول كان للكهنة حق تحصيل عُشْر ثمن الشراء بمثابة أَجر على نقل الملكية، وذلك مقابل تسجيل العقد الخاص بذلك. هذا، ولدينا منذ العام الخامس والعشرين من عهد الملك «دارا الأول» وثيقة جاء فيها الصيغة التالية: لقد أعطيتك بيتي السابق الذكر، وقد

[٤٩] Revillout. Chr. Dem. P. XIII.

[٥٠] Rev. Eg. II, P. 112.

أعطيتني الثمن، وقلبي راضٍ به، وذلك فضلًا عن «ضريبة» العشر (أي عشر الثمن) لأجل وكلاء «طيبة» (الذين يجمعون الضرائب) لتضاف لوقف «آمون»[٥١] (أي قرابينه)، وقد جاء ذكر هذه الصيغة في إحدى وثائق «فيلادلفيا» التي من عهد «الإسكندر الرابع»[٥٢] حيث يقول البائع: لقد أعطيتك البيت المذكور أعلاه، وقد أرضيت قلبي بثمنه، هذا فضلًا عن العشر الذي يتقاضاه الكتَّاب … إلخ، وكذلك جاءت هذه الصيغة في إحدى وثائق «اللوفر» من عهد «بطليموس الثالث» في السنة الثالثة من حكمه.

هذا وتدل إيصالات المتحف البريطاني على أن الضريبة كان يدفعها المشتري، وقد تحدثنا عن ذلك فيما سبق، وعلى أية حال فإن حكومة البطالمة عندما جعلت تسجيل العقود إجباريًّا في إدارة السجلات الحكومية؛ فإنها قد ضمنت لنفسها بذلك الضريبة التي كانت تُجبَى على هذا التسجيل لفائدة الكتبة العموميين والكتبة الكهنة.

الشهود

لقد دلت النقوش المصرية القديمة على وجود شهود في الوثائق المصرية منذ أقدم العهود، وذلك حتى يصبح العقد المُبرَم بين الطرفين المتعاقدين له قيمة فعلية، والواقع أنه قد ثبت أن الشهود كانوا يوقِّعون بإمضاءاتهم في أسفل العقد، ولدينا من عهد الدولة القديمة وثيقتان؛ إحداهما خاصة ببيع بيت في مدينة أهرام «خوفو»،[٥٣] ويرجع تاريخها إلى الأسرة الرابعة على وجه التقريب، وجاء في النص أنها كُتِبت أمام شهود عدة، وقد كُتِبت أسماء تسعة شهود وألقابهم في نهاية الوثيقة.

أما الوثيقة الأخرى فتعد من أهم الوثائق التي كُشِف عنها في عهد الأسرة الخامسة، بل وفي كل التاريخ المصري القديم من هذه الناحية، وهي وصية نقشها لنا السمير الوحيد عظيم «نخب» المسمى «وب-أم نفرت»، وقد تحدَّثنا عن محتويات هذه الوثيقة في الجزء الثاني من مصر القديمة، وفي نهاية المتن يقول هذا العظيم: عُمِلت الوصية في حضرته، وهو يمشي على قدميه (أي وهو على قيد الحياة)، ونُقِش على يمين هذا المتن صور خمسة

[٥١] Glanville. Cat. B.M. P. 39.

[٥٢] Ph. II. Miz III, Pl. 1–3.

[٥٣] Sethe. Aeg. Inschrift. Auf Den Kauf eines Houses aus dem Alten Reich Leipzig 1911.

عشر رجلًا متربعين على الأرض، ومولِّين وجوههم شطر نصِّ الوصية، ونُقِش اسم كل منهم وصناعته فوق صورته، وكذلك نُقِش بخط كبير فوق هؤلاء الشهود العبارة التالية: «كُتِبت في حضرة شهود كثيرين، ودوِّنت بيدي.» والأمر الذي يلفت النظر في هذه الوثيقة هو عدد الشهود، وهم خمسة عشر شاهدًا، مضافًا إليهم صاحب الوصية نفسه، فيكون عدد الذين شهدوا هم ستة عشر شاهدًا، وهذا هو العدد التقليدي الذي نجده عادة في العقود الهامة في عهد البطالمة، ولن نحيد عن الصواب إذا قلنا إن هذا العدد من الشهود كان موروثًا منذ أقدم العهود المصرية القديمة، وعلى أية حال نلحظ أنه في عهد الدولة الحديثة كان عدد الشهود يختلف كثيرًا، وربما كان ذلك سببه البيئة التي كانت تُبرَم فيها الوثائق، ويُلحَظ أن عدد الشهود في العهد البطلمي كان يتغير؛ فأحيانًا نجد أن العدد يبلغ ثمانية عشر شاهدًا، وأحيانًا ١٥ أو ١٤ أو ١٠ أو ٨ أو ٦ شهود، ولكن العدد السائد في الوثائق الهامة كان دائمًا ستة عشر شاهدًا.

هذا، ونجد أحيانًا أن اسم كاتب الوثيقة كان ضمن الشهود الذين في العقد الذي كتبه هو، وكانت أسماء الشهود تُكتَب إما قبل اسم كاتب الوثيقة أو بعده، وكانت الإمضاءات تُكتَب على ظهر العقد. يُضاف إلى ذلك أننا لم نجد بين الشهود إناثًا.

أما طريقة الإمضاء فكانت بالكيفية التالية: كُتِب في حضرة شهود عدة، وبعد ذلك يوقع الشهود بإمضاءاتهم، وكان كل واحد منهم يكتب اسمه واسم والده وأمه، وفي بعض الأحيان تسبق الاسم العبارة التالية: أمام أو في حضرة فلان.

ومما تجدر ملاحظته هنا أنه في خلال العهد البطلمي الأول حتى نهاية حكم «بطليموس الثالث» أن الشهود كانوا يكتبون في أسفل توقيع المسجل للوثيقة ملخصًا للعقد الذي وُقِّع عليه، أو كان أحيانًا ينسخ كل شاهد العقد كله بخط يده كما كتبه المسجل، ثم يوقع عليه.

والواقع أن هذه العادة قد ظهرت أولًا في عهد الملك «تهرقا» الكوشي، و«بسمتيك الأول» فكان يلخِّص العقد، ولكن في عهد «أحمس الثاني» أخذ كل شاهد ينسخ العقد برمته بخطه، ويوقِّع أسفله، وهذا الإجراء على ما يظهر قد بطل في عهد «دارا الأول»، ولكنه أعيد استعماله في عهد «دارا الثالث»، وكذلك في عهد الملوك الوطنيين الذين أعلنوا العصيان على الفرس، واستقلُّوا بالبلاد للمرة الأخيرة؛ وأخيرًا أُعِيد استعماله — كما قلنا — في عهد البطالمة الأول، وكانت نسخة كل شاهد تُسبَق قبل التاريخ باسم الشاهد الذي كتبها هكذا: فلان ابن فلان، وأمه (هي) فلانة شاهد، ويأتي بعد آخر كلمة في العقد

عبارة: «كتب هذه.» أما النسخة الأصلية التي حررها الكاتب فلم يكتب فيها شيء قبل التاريخ، وتأتي في نهايتها إمضاؤه، والظاهر أن النسخ التي كان يكتبها الشهود على ظهر الوثيقة لم تمنع ضرورة وجود أسماء الشهود على وجه الورقة؛ إذ لدينا وثائق من أول عهد الإسكندر الرابع حتى «بطليموس الثالث»، قد دوِّن على وجهها قائمة الشهود. يضاف إلى ذلك أن أسماء الشهود يُفهَم منها أن الذين كتبوا نسخ الشهود كانوا أحيانًا يوقِّعون في قائمة الشهود التي على ظهر الورقة كما نشاهد ذلك مثلًا في الوثيقة الثانية من أوراق فيلادلفيا.[٥٤]

هذا ونفهم من ألقاب الكتَّاب الذين كتبوا نسخ الشهود أنهم كانوا موظفين بالمعبد فنجد من بينهم من كان يحمل لقب الكاهن والد الإله والكاهن خادم الإله «آمون رع» وكاهن «أوزير»؛ ولا يفوتنا أن نذكر هنا أنه كان من بين هؤلاء الشهود: المُفتَنُّون، وصناع الشمع ... وغيرهم من أصحاب الحرف الصغيرة، وكذلك الصناع الذين كانوا في خدمة «آمون».

عدد الشهود،[٥٥] وسبب اختلافه

لم يُعلَم على وجه التأكيد حتى الآن الأسباب التي أدت إلى اختلاف عدد الشهود في الوثائق البطلمية، غير أنه يمكن تقسيم هذه الوثائق التي كتبها الكتَّاب والتي كتبها الشهود قسمين، والواقع أنه قد ظهر في العهد البطلمي الأول طرازان من عدد الشهود؛ الطراز الأول: وهو الذي ظهر فيه ستة عشر شاهدًا، والطراز الثاني: هو الذي احتوت فيه الوثيقة على أربعة شهود. هذا ولدينا فضلًا عن ذلك وثائق شهد فيها اثنا عشر شاهدًا، ولكنا لا نعلم السبب في ذلك فهل هذا مجرد حلية؟ والواقع أنه عندما نجد ١٦ شاهدًا فإن ذلك يكون مدوَّنًا دائمًا على وجه الورقة، ومن جهة أخرى نجد أربعة الشهود يظهر أسماؤهم إما على ظهر الورقة أو على وجهها.

وتدل الأحوال على أن مستندات النقود لا يكون شهودها دائمًا ستة عشر شاهدًا. هذا، ونلحظ أنه في عقود الطلاق والسلفة يُكتَفى بأربعة شهود، وفي عقود الإيجار نجد

[٥٤] .Mustafa El Amir Ibid. P. 160

[٥٥] .Demotische Urkundenlehrc Nach den Fruhptolmaischen Texten. Erwin Seidl

اثني عشر شاهدًا، في حين أنه في سائر أنواع الوثائق الأخرى كان من الضروري أن يكون عدد الشهود ستة عشر شاهدًا، ومن جهة أخرى نلحظ في وثائق العصر الفارسي الخاصة بالماشية أن عدد الشهود فيها كان أقل من عدد الشهود الخاص بقطع أرض أو ضَيْعة أو دخل كاهن، هذا وكان عدد الشهود في عهد البطالمة الأول يتوقف على قيمة الأشياء، فمثلًا الوثائق الخاصة بقطع أرض، أو ملكية مركبة كان يجب أن يكون عدد الشهود فيها ١٦ شاهدًا في حين نجد في وثيقة خاصة ببيع ماشية كان يُكتَفى بأربعة شهود، وكذلك كانت الحال في موضوع الطلاق، والظاهر أن هذه القواعد ترجع إلى العهد الساوي.

الفصل الثامن عشر

الحالة الاجتماعية في العهد البطلمي الأول

لم تحدثنا الوثائق الديموطيقية ولا النقوش التي خلَّفها لنا البطالمة على جدران المعابد حديثًا مباشرًا عن حياة الشعب المصري، والواقع أن كل ما وصل إلينا عن وثائق خطية ومتون منقوشة في هذا الصدد قد جاء عن طريق الاستنباط والاستقراء لهذه النصوص التي وقعت في أيدينا حتى الآن، ولا يزال بعضها لم يُحلَّ، ومن ذلك أمكن أن نؤلِّف مما استُنبط من هذه النصوص صورة قد تقرب من الحقيقة عن بعض بيئات خاصة قد لا ينطبق ما جاء فيها على كل المجتمع المصري من حيث الحياة الاجتماعية أو الحياة الدينية بوجه خاص، وعلى أية حال فإن كل ما نقشه المصري على جدران معابده يتحدث عن عالم الآخرة، وما يحدث فيها، وما يلزم لها من استعداد يأخذ عليه معظم شعوره وتفكيره أثناء حياته الدنيوية. على أن عالم الآخرة عند المصري كان يعد في نظره صورة طبق الأصل من حياته الدنيوية، ولكن في شكل أكبر بهجة ورونقًا، ومن ثَم يمكن أن نعرف الكثير عن حياته في كل عهد حسب الاستعداد الذي كان يقوم به لآخرته.

والواقع أن العهد الديموطيقي الذي نحن بصدده قد ازدهر كثيرًا في عصر البطالمة، وقد وصلت إلينا في خلال حكم ملوكهم عدة وثائق بعضها دينية وبعضها الآخر خاص بالحياة الاجتماعية، وما كان يُجرَى فيها من معاملات؛ ومن ثَم يمكن أن نصل إلى عدد كبير من العادات والأخلاق التي كانت متبعة في هذا العهد بالذات، وأهم مصادر لدينا في هذا الباب هي المصادر الديموطيقية التي عُثِر عليها في الأماكن التي كان يسكن

فيها المصريون، أو القريبة منها، وبخاصة في منطقة «طيبة» التي كانت تُعتَبر المركز الديني الممتاز منذ نشأتها حتى نهاية العصر الإغريقي الروماني. غير أن الصورة التي استنبطناها من هذه الوثائق لا تقدم صورة شاملة عن حياة الشعب المصري؛ لأنها قبل كل شيء صورة محلِّيَّة. يضاف إلى ذلك أن الأفراد الذين ذُكِروا في هذه الأوراق البردية البطلمية كان معظمهم من طائفة الكهنة الذين كانوا يعدون وقتئذٍ أعلى طبقة في المجتمع المصري؛ وذلك لأن طبقة الأشراف وأصحاب الإقطاع كان قد قُضي عليها نهائيًّا منذ بداية حكم الإسكندر لمصر، كما أشرنا إلى ذلك من قبل، والأغلبية الكبيرة من هؤلاء الكهنة كانوا خدمة الإله «آمون» أعظم الآلهة المصريين في تلك الفترة من تاريخ مصر، وكانت قلة منهم في خدمة الإلهة «موت» زوج «آمون» وابنها «خنسو»، وذلك في معبد الكرنك الكبير الذي أخذ البطالمة منذ توليهم حكم البلاد المصرية يجددون ما تهدم منه، أو يزيدون في مبانيه، كما كانوا يتعبدون له في معبدي مدينة «هابو» والدير البحري.

ومما تجدر ملاحظته هنا أن طائفة الكهنة هذه كانت محاطة بطائفة أخرى من خدمة المعابد من أصحاب الحِرَف التي كان لا بد من وجودها داخل المعابد التي كانت تعتبر وحدات تكفي نفسها بنفسها من كل الوجوه لدرجة عظيمة، فكان من بين رجال هذه الطائفة: النجارون، والنقاشون، والصياغ، والنحاسون، والغزالون، وصانعو النسيج، وصناع الشمع، وصانعو الفخار، وضاربو الطوب، والبناءون، والفلاحون … وغيرهم من أصحاب الحرف الذين لا غنى عنهم لقيام مجتمع كامل.

ولقد عمل الكهنة كل ما في وسعهم على المحافظة على استقلالهم، وحفظ نفوذهم في عهد البطالمة بما كان لديهم من نفوذ عظيم على أفراد الشعب المصري الأصيل من الناحية الدينية، غير أن البطالمة — كما ذكرنا آنفًا — كانت لهم سياسة معينة محددة المعالم في الديار المصرية ترمي إلى قصد واحد بعينه، وهو جمع المال لبناء إمبراطورية شاسعة خارج البلاد المصرية كالتي أقامها تحتمس الثالث، وإن كان هذا الرأي قد عارضه بعض المؤرخين.

وعلى هذا الأساس أخذ ملوك البطالمة بكل ما لديهم من قوة وحِيَل سياسية في العمل على حرمان الكهنة من أملاك المعابد الطائلة، وهي التي كانت عظيمة في طول البلاد وعرضها، هذا إلى أنهم حرموا الكهنة من احتكاراتهم المربحة التي كانوا يتمتعون بها داخل المعابد، وهذه السياسة كانت قد اتُّبعت في العهد الفارسي منذ تولى قمبيز ملك

مصر، فقد أنقص دخل الإله «آمون» بصورة مُحسَّة، وقد سار البطالمة على نهج الفرس، وكانت النتيجة أن طائفة الكهنة فقدت كل موارد رزقها الذي كان يبلغ حوالي عشر أرض مصر،[١] وفي نهاية الأمر عندما اشترك المصريون الوطنيون في الثورة التي اندلع لهيبها في الوجه القبلي في عهد «بطليموس السادس»، عاقبهم رجال السلطة الإغريقية بقَصْر أعمالهم على الوظائف الصغيرة التي كانت لا تتناول إلا الأعمال الحقيرة، ومع ذلك فإن هؤلاء ظلوا يتطلعون إلى إلههم «آمون» ليمنحهم بعض الأعمال في المعابد، وفي الجبَّانات التي كان هو ربها.

وعلى أية حال فإن البطالمة كانوا لا يريدون مضايقة الكهنة لحد كبير؛ لأنهم كانوا يعرفون أنهم أصحاب النفوذ من الوجهة الدينية في البلاد؛ هذا فضلًا عن أن ملوك البطالمة كانوا يعتنقون الديانة المصرية، وينسبون أنفسهم إلى الآلهة المصرية، وكان أهم ما يعني الكهنة وأتباعهم هو القيام بالأعمال الدينية التي تُعِد الفرد لعالم الآخرة، أو كما يقولون لعالم الخلود، ومن أجل ذلك كانت خدمة الموتى في هذه الأحوال قد أصبحت حرفتهم الرئيسية بعد أن كانوا في الأزمان الفرعونية يشتركون في سياسة البلاد الداخلية والخارجية، وقد كان الميت عند المصريين في هذه الفترة من تاريخهم يحتاج إلى مشرفين أكثر من أي شيء آخر في حياتهم، وذلك بسبب الشعائر الدينية التي كان يتطلبها المتوفَّى حتى يُوارَى في قبره، فمن ذلك: أنه كان يحتاج إلى متعهدين لغسله، ولعملية القطع التي كانت تُجرَى لاستخراج الأحشاء، وغمس المتوفَّى بعد ذلك في النطرون، وتعطيره، وبالاختصار كل ما كان يُتَّخَذ من إجراءات لتحنيط الجسم قبل أن يُسلَّم لطائفة أخرى من الموظفين المستقلين، وهم الذين كان ينحصر عملهم في المحافظة على قبر المتوفَّى خوفًا من سرقة ما كان معه من متاعٍ وضعه معه في قبره، وكذلك لإصلاح ما قد عساه أن يحدث من كوارث طبيعية، ولكن أهم من كل ذلك كان العمل على تقديم القربان لقرين المتوفَّى (كا) وبذلك يخلد ما دامت هذه القرابين تقدم له، ومن أجل ذلك كان يحبس المتوفَّى قبل موته الأوقافَ بعقد خاص، وكانت هذه عادة متبعة منذ أقدم العهود التاريخية المصرية.

[١] Foucart Bull. IFAO. Tom. XXIV. P. 27 ff.

وجريًا على ما كان متبعًا في عهود مصر القديمة اقتضى الأمر تأسيس حوانيت للتحنيط، ومساكن للعمال التابعين للجبَّانة، وكل ما تتطلبه شئون المتوفَّى، ولا نزاع في أنه في تلك الفترة التي كان فيها الشعب المصري مغلوبًا على أمره لم يكن صاحب ثراء، ومن أجل ذلك استعمل الجبانات القديمة لهذا الغرض، وبخاصة في الدير البحري، فقد اتخذه هؤلاء العمال مكانًا مختارًا لإقامة معاملهم، كما اتخذوا «دير المدينة» سكنًا لهم، وبعد ذلك احتلوا «مدينة هابو» لنفس الغرض.

ويدل ما لدينا من أوراق ديموطيقية عدة من هذا العهد على أن تحنيط المتوفَّى، ودفنه، والمحافظة عليه في نظر المصري وقتئذٍ كانت لها نفس الأهمية التي كانت لها في العهود الفرعونية البحتة. هذا ونجد أن مادة خاصة في العقود الديموطيقية كانت تضاف إلى بعض الوثائق التي كانت بمثابة وصية خاصة بالطرف الأول من الطرفين المتعاقدين يكلف فيها الطرف الثاني بتحنيطه ودفنه بعد الموت بالطريقة المعتادة. هذا ونفهم من الوثائق التي ترجمناها فيما سبق على أن تكاليف الدفن هي خمس قطع فضة، أي خمس دبنات، وذلك بوجه عام. على أن ما ذكره لنا «هردوت»، وكذلك ما جاء في قصة «ستني» التي ترجمناها فيما سبق، يخالف ذلك؛ ففي هذه القصة نقرأ أن الكاهن الذي أخبر الأمير عن المكان الذي فيه كتاب «تحوت» طلب منه مكافأة له على ذلك مائة قطعة من النقود لدفنه، وكذلك مرتب الكاهنين الذين سيقومان بخدمة قبره.[٢] هذا ونعلم فيما بعد في سياق القصة أن الأمير نفسه عندما حضره الموت قد حُنِّط على أسلوب تحنيط رجل صاحب جاه وثراء، ولا ريب أن هذه إشارة إلى طرق التحنيط الثلاث التي ذكرها «هردوت» في كتابه، ومن ثم يكون المقصود هنا تكاليف التحنيط البخسة — وهي خمسة دبنات — هو المبلغ الذي يدفعه فرد من عامة الشعب، أي التحنيط الذي من الدرجة الثالثة الذي كان يُعمَل للطبقة الفقيرة من العمال، وأصحاب الحرف، والمزارعين الفقراء.

وقد تحدثنا عن التحنيط بشيء من التفصيل في مصر القديمة الجزء الثاني والجزء التاسع، وقد أوردنا هناك كل الآراء الخاصة بهذا الموضوع، بما في ذلك آراء كتاب الإغريق، ونخص بالذكر منهم «هردوت» و«ديدور الصقلي»، وعلى ضوء هذه الآراء فهمنا أن الألفاظ التي استخدمها كتاب الإغريق لها ما يقابلها في الأوراق الديموطيقية التي

[٢] .Griffith Stories, III P. 16; Herod. II 86–8

عُثِر عليها في جبَّانة «طيبة» من عهد البطالمة. فمن ذلك:

أولًا: الكهنة بستوفورن Pastophoren وهؤلاء كانوا يعدون أعلى طبقة في طائفة صغار الكهنة، على أنهم لم يكونوا موظفين رسميين، ولا يقومون بعملهم بصفة رسمية، وكان لهم بعض المشرفين من ذلك البستوفورس الأكبر،[٣] وكذلك لهم حانوت للعمل خاص بهم حرا.

وهذا الاسم يعني في الأصل حامل المحراب الذي فيه تمثال الإله في المواكب، والواقع أن البستافوروس قد أخذ في عهد البطالمة يشغل مكانة أخرى تعادل ما نسميه في أيامنا الحانوتي على وجه التقريب، ويُفهَم من مضمون عدة عقود ديموطيقية أن هذا الحانوتي كان يحرر معه عدة عقود خاصة بدفن المتوفَّى، والقيام على رعايته بعد الموت، وكذلك نجد أنه كان له الحق في بيع حق رعايته في المحافظة على القبر، أو تأجير هذا الحق، وكذلك الموميات، والمرتبات، والمعاشات التي كان يتعاقد عليها مع المتوفَّى قبل موته أو مع أهله، وكان هذا الحانوتي يُكلَّف بالخدمات الدينية الخاصة بهذه القبور التي له حق الولاية عليها، وبوجه عام كان هو المكلَّف بمد هذه القبور، وحمايتها من عبث اللصوص والحيوان على السواء.

والمفهوم مما وصل إلينا من الكتَّاب القدامى أن هذا الحانوتي كان هو الشخص الذي كانت أسرة المتوفَّى تتفق معه على كل صغيرة وكبيرة خاصة بفقيدهم، والمحافظة عليه، وعلى قبره في الجبَّانة. فكان هو الذي تجري تحت إشرافه عملية التحنيط، وإقامة الشعائر الدينية كان يقوم بها المحنِّط والمرتل على السواء «خري حبت».

والواقع أن الكاهن المرتل الذي كانت وظيفته في عهد الدولة القديمة تلاوة الصلوات، وتقديم القربان للمتوفَّى قد أصبح في العهود المتأخرة هو المحنِّط، ويرجع السبب في ذلك إلى اطراد زيادة أهمية الشعائر الدينية إذا ما قرنت بالصلوات اليومية التي كانت تقام في المعابد، وذلك على حسب ما كانت تتمثل في نظر رجل الشارع.

ووظيفة «خري حبت» (= المرتل) كما جاءت في الديموطيقية قد مُثِّلت في اللغة الإغريقية بكلمتين مختلفتي المعنى؛ الأولى: «الشاق» أو القاطع، والثانية: معناها المحنِّط الفعلي، والكلمة الأولى: معناها الذي يشق فتحة في الجسم؛ لتُستَخرج منها الأجزاء

---

[٣] A.Z. 56. P. 92.

التي لا بد من إزالتها من الجسم حتى لا يتعفن مثل الأحشاء وغيرها، أما الوظيفة الثانية: فكان يعد فيها المسئول عن إصلاح حالة الجسم وتكفينه. هذا ويقول الأثري «ريفيو»: إن هذا التعبير عن وظيفة الكاهن المرتل قد وجد فقط في «طيبة»، أما في «منف» فإن حامل هذا اللقب قد بقي يؤدي وظيفته الأصلية، وهي وظيفة كهانية لا علاقة لها بالتحنيط.

ثانيًا: الكاهن «وحمو» فإنه كان قد حل محل الكاهن المرتل في العصر الفرعوني المتأخر في الوجه القبلي، وكانت وظيفته موحدة بوظيفة الكاهن المرتل في الوجه البحري، ولم يكن له علاقة ما بالتحنيط، وكان الجسم بعد التحنيط يسلم للدفن، وللمحافظة على بقائه سليمًا بعد تقديم القربان وإقامة الشعائر، وكان الكاهن «وحمو» في الواقع يلعب دورًا هامًّا في الحفل الذي كان يقام «لآمون ممنونيا» Memnonia وذلك عندما كان يصب ماء القربان عند رأس الحفل،[٤] ومما تجدر ملاحظته هنا أن المرأة كانت أحيانًا تقوم بدور الحانوتي، ومع ذلك لم يصادفنا على أية حال لقب امرأة محنطة في الأوراق الديموطيقية التي كُشِف عنها في طيبة، وذلك على الرغم من وجود هذا اللقب في إحدى أوراق «الفيوم» التي تحدثنا عنها فيما سبق؛ حيث نجد أنها كانت تقوم بالدور الذي كان يقوم به الكاهن «وحمو» في الوجه القبلي، أما في سجل وثائق أسيوط فقد بقي الكاهن «وحمو» يقوم بدور الكاهن المرتل.[٥]

ومما سبق نستخلص أن الألقاب التي كان يحملها هؤلاء الكهنة في جبَّانة «طيبة» كانت كالآتي:

(١) الكاهن «بر-ون» Pastophoros = المتعهد أو الحانوتي، وكان يقوم بعمل كل الترتيبات للتحنيط والدفن.

(٢) الكاتب، وكان يعمل الإشارة (؟).

(٣) المرتل (= خري حبت) وكانت وظيفته قطع الجسم؛ أي يقطع فتحة في الجنب لإخراج جوف المتوفَّى، وكانت له وظيفة أخرى وهي تحنيط الجسم، وفي هذه الحالة كان يسمى محنِّطًا.

---

[٤] راجع مصر القديمة الجزء الثاني.

[٥] راجع ما كتبه بلاكمان عن هذا الكاهن JEA, III. P. 26.

(٤) الكاهن «وحمو» Chaochyte وكانت وظيفته صب الماء (سقَّاء) وترتيل الصلوات، وقد وصف لنا ديدور الأشخاص الذين كانوا يقومون بعملية التحنيط والدفن كما يأتي:

«والآن فإن الرجال الذين كانوا يعالجون الأجسام كانوا أصحاب حرف مهرة قد تلقوا معلوماتهم الفنية بمثابة تقليد أسري، وهؤلاء كانوا يضعون أمام أقارب المتوفَّى قائمة أثمان لكل مادة متصلة بالدفن، ثم يسألونهم بأية كيفية يرغبون معالجة الجسم، وعندما يتوصل إلى اتفاق على كل تفصيل، ويكونون قد أخذوا الجثة فإنهم يسلمونها لرجال خُصِّصوا لهذه العملية متمرنين على القيام بها، وأول هؤلاء هو الكاتب الذي كان — عندما تكون الجثة قد وضعت على الأرض — يحدد على الجانب الأيسر مدى القطع الذي سيُشرَط بالمِشْرط، وعندما كان الفرد الذي يسمَّى القاطع يقطع اللحم كما يقضي به القانون بحجر أثيوبي، فإنه بعد ذلك يرخي لساقيه العنان، في حين أن أولئك الحاضرين آنذاك يتطلعون وراءه رامينه بالأحجار، ومكدسين اللعنات عليه، وكأنهم يريدون أن يصبوا اللعنة على رأسه … والرجال الذين يسمون محنطين فإنهم على أية حال يعتبرون مستحقين كل احترام وتعظيم، ويختلطون مع الكهنة، وحتى كانوا يجيئون ويروحون في المعبد دون أي مانع، وذلك بوصفهم غير مدنسين … وبعد معالجة الجثة كانوا يعيدونها لأقارب المتوفَّى …»

وقد جاء في وثيقة محفوظة بالمتحف[٦] البريطاني أنهم كانوا يعيدون الجثة للكاهن المرتل.

ولا نزاع في أن الوظائف السابق ذكرها هنا كان يرثها الابن عن الأب كما حدَّثنا بذلك «هردوت» كما تدل على ذلك الوثائق المصرية في كل العهود بصفة عامة،[٧] وقد استمرت الحال على هذا المنوال في عهد البطالمة، يدل على ذلك ما وصل إليه فحص إضمامات البردي التي عُثِر عليها في طيبة خاصة بهؤلاء المتعهدين بالجبانات، ومن يقرأ هذه الإضمامات يفهم منها أن سكان هذه الجهة كانوا يسكنون على الشاطئ الغربي للنيل، وأنهم كانوا يكسبون أرزاقهم من خدمة الموتى، والواقع أن كل مقبرة كانت مصدر رأس مال لكل فرد وجماعة من هؤلاء المتعهدين؛ وذلك لأن كل قبر كان له وقفٌ خاص

[٦] B.M. 10077 A and B.

[٧] راجع مصر القديمة الجزء التاسع.

به يستولي عليه المتعهد إلى الأبد، وهذه الإيرادات التي كانت في يد هؤلاء المتعهدين قد وُصِفت في العقود الديموطيقية بأنها مرتبات أو ظائف على وجه التقريب، وقد مر علينا منها أمثلة كثيرة.

ولا نزاع في أن هذه المرتبات كان مصدرها الأوقاف التي كان يحبسها المتوفَّى على قبره قبل مماته؛ لأجل الصرف منها عليه، والمحافظة على بقائه، كما كانت الحال في مصر منذ أقدم العهود.

وهناك مصدر آخر بمثابة إيراد لصاحب القبر الحالي، وذلك من بيع أو إيجار اللوازم التي في القبر، وأخيرًا كان يحصل المتعهد على محصول غير ذلك يأتي إليه عن طريق القربان التي كانت تقدم لكل مومية، وهذه القربات تخصص كالخبز، واللحم، والجعة، والنبيذ، والزيت، والزهور.

ومن ثَم نجد أن الدخل الذي كان مصدره المقابر كان يعد بمثابة ملكية شخصية للمتعهد يمكن أن تورث، أو تُعطَى أعضاء الأسرة، أو أشخاصًا آخرين، أو تؤجر، أو تباع إلى زملاء آخرين من طائفة المتعهدين أي الحانوتية.

هذا وكان في مقدور الحانوتي كذلك أن يقترض نقودًا على مرتبه، وفي مثل هذه الحالة كان عليه أن يذكر أسماء الأشخاص المتوفين الذين كان يأخذ من هباتهم دخله، وهذه الهبات كانت تحتوي على ملكية من الحقل، أو من المعبد أو من البلدة.

ومن المعلومات المضللة التي أوردها «هردوت» في كتابه عن مصر، والتي لا بد من تصحيحها هنا قوله: إنه في وقت ما عندما كان النقد شحيحًا، والمعاملات التجارية عسيرة صدر قانون يقضي بأن يكون في استطاعة المقترض أن يرهن جثة والده لاقتراض المبلغ الذي هو في حاجة إليه؛ وحقيقة الأمر أن المتعهد كان في مقدوره أن يرهن القبر، وموميات أجداده. ولكن لا بد أن نفهم أن الرهن لم يكن منصبًا على الموميات؛ بل على الدخل الذي كان ينتج من الأوقاف المحبوسة على القبر لا على الموميات نفسها. غير أن هناك اعتراض على هذا التفسير؛ إذ جاء في النص رهن «جثة والده» وربما كان التفسير الصحيح لذلك: هو أن ابن المتوفَّى في العهد المصري القديم كان هو الذي يقوم بوظيفة الكاهن الذي كان يرعى كل شئون والده المتوفَّى، وبعبارة أخرى كان له الحق الذي كان يخوَّل للمتعهد، وليس لزامًا أن يكون المتعهد للقبر وكل ما يحتويه أجنبيًّا.

وعلى أية حال فإن الموميات كانت لا قيمة لها للفرد الذي يُقرِض النقود، ولا بد أن ما أورده «هردوت» في هذا الصدد يشير إلى شيء يكسب منه الراهن قوت يومه، وفي هذه

الحالة كان الوقف الذي حُبِس على المومية للمحافظة عليها، وهذا الوقف — كما قلنا — كان يحتوي على عقار ثابت، وغير ذلك.

وأخيرًا تدل الوثائق الديموطيقية التي دُوِّنت على البردي، وكذلك على قطع الاستراكا التي يرجع عهدها إلى القرن الثالث قبل الميلاد[٨] على أنه كانت تحصل ضريبة يدفعها المحنِّط للمشرف على الجبَّانة عن دفن كل متوفى، وهذه الضريبة كان مقدارها نصف قدت، ولكن لا نعلم على وجه التأكيد إن كانت هذه الضريبة هي التي فيما بعد قد سميت رسوم الدفن، ودفعت للمعبد بدلًا من المشرف على الجبَّانة بعد أن رفعت إلى ٢ / ٣ قدت.[٩]

(١) عبادة الأولياء والشهداء في العهد البطلمي

من الظواهر التي تلفت النظر بصورة قوية كثرة الأضرحة والمقامات التي نجدها منتشرة في مصر عن غيرها من البلدان الإسلامية؛ إذ الواقع أنه لا تكاد توجد قرية من قرى ريف مصر وصعيدها إلا وفيها ضريح أو مقام لرجل أو سيدة تعد في نظر السكان من أولياء الله الصالحين، ويتساءل المرء لماذا اختُصت مصر بهذا العدد العظيم من هؤلاء الأولياء أو الشهداء دون غيرها، وقد يقف الباحث الأجنبي حائرًا مذهولًا أمام هذا السؤال؛ لأنه قد لا يعرف الكثير عن العادات المصرية التي ورثها عن أجداده المصريين منذ أقدم العهود، وبقيت يتناقلها الابن عن الأب، وبخاصة فيما يتعلق بالعبادات والشعائر الدينية، والواقع أنه عند درس الوثائق الديموطيقية صادفنا عدة أولياء وشهداء كانوا يعدون في نظر القوم بمثابة آلهة لهم مكانتهم عند الشعب، وسنحاول أن نفسر أصل هؤلاء الأولياء والشهداء فيما يلي: كانت مصر منذ أقدم عهودها مقسمة مقاطعات صغيرة بلغ عددها يومًا ما على حسب ما روته الأخبار اثنتين وأربعين مقاطعة، وكانت كل مقاطعة مقسمة وحدات صغيرة لكل منها إدارتها الخاصة، وإلهها المحلِّي الخاص الذي كان يعد المسيطر عليها من الناحية الروحية، وبعد فترة من الزمن اتحدت هذه الوحدات معًا وكونت المقاطعة؛ ولكن كانت كل وحدة أو قرية محافظة على إلهها المحلِّي، هذا في حين أن المقاطعة كان لها إلهها الذي يسيطر على كل المقاطعة، وتدين له كل أجزائها، وبعد ذلك

[٨] Glanville. Cat., P. 15 ff; Mattha Demotic Ostraca.

[٩] Ibid. P. 64.

اتحدت مقاطعات الشمال وكونت وحدة قائمة بذاتها وهي الوجه البحري، وأصبح لها إلهها الخاص بها الذي كان ينشر سلطانه على كل مقاطعات الشمال، وقد حدث نفس التطور في الوجه القبلي، وأخيرًا اتحد القطران معًا، وتألف منهما جميعًا المملكة المصرية المتحدة، وكان في العادة يصبح أقوى آلهة المقاطعات أو المدن الكبيرة الإله المسيطر على جميع آلهة القطرين؛ هذا مع العلم أن كل قرية ومدينة ومقاطعة كانت تحتفظ بإلهها المحلِّي، ولا تجد عنه حولًا مهما كانت الأحوال، ومن ثَم نجد أن كل بلدة أو قرية كانت تحتفظ بآلهتها بالتوارث على مرِّ السنين.

وعلى الرغم من تقلب الأحوال السياسية في البلاد، وتغير الحكام فيها فإن القوم ظلوا على عبادة آلهتهم، والاحتفاظ بإقامة شعائرها على مر الدهور حتى نهاية العهد الروماني، وحتى لما جاء الإسلام وتغيرت ديانة القوم ظلت عادة التمسك بالتضرع للآلهة باقية في نفوس المصريين فاتخذوا بدلًا من الآلهة أولياء الله الصالحين الذين يعتقدون في ظهور الكرامات على أيديهم، وإن من يقرن ما يحدث الآن في أضرحة هؤلاء الأولياء والشهداء بما كان يحدث في مصر القديمة ليجد أن الفرق قليل، وبخاصة عندما نعلم أن الأولياء والشهداء في نظر عامة الشعب المصري هم في الواقع في مرتبة الآلهة، ومن ثم فإن رجال الدين يعدون ذلك في نظرهم بدعة يحاربونها بكل ما لديهم من قوة، والغريب أننا لا نجد مثل هذا المظهر في بلد عربي غير مصر على تلك الصورة القوية.

وسنرى في درس متون العهد الديموطيقي البطلمي أن هؤلاء الأولياء والشهداء كانوا يُعامَلون معاملة السادة والآلهة، وكانت تُحبَس عليهم الأوقاف، وتقرب لهم القربات، وتقام لهم الصلوات كما هي الحال في مصرنا الحالية، وكما كان هناك أولياء ذكورًا وإناثًا في العهدين الفرعوني والبطلمي كذلك نجد أولياء ذكورًا وإناثًا في عهدنا الحاضر منذ ظهور الإسلام في مصر يقدَّسون بل ويعبدهم العامة؛ جهلًا منهم.

دلت الوثائق الديموطيقية التي درسناها — وهي التي ترجع إلى عهد البطالمة، وما قبله — على وجود أضرحة أولياء من كلا الجنسين، وقد جاء ذكرهم في عقود خاصة بوصايا أو بيع أو إيجار أو اتفاقات عن مدافن أو المحافظة على موميات، وكذلك جاء ذكرهم في عقود خاصة باستحقاقات أو مرتبات خاصة بأولئك الذين يقومون على خدمتهم.

والألفاظ الدالة على الأماكن التي يثوي فيها هؤلاء الأولياء ذكورًا كانوا أو إناثًا في الجبَّانة غامضة بعض الشيء من حيث المعنى، ولكن تدل شواهد الأحوال على أن الولي

المتوفَّى كان يُدفَن في قبر (حت) وكان لهذا القبر بطبيعة الحال مقصورة أو ضريح (ست).

وأحيانًا كان يُبنَى للولي مقام كبير (ما) لإقامته فيه. هذا ونجد في المتون الديموطيقية كلمتين يعبران عن «الولي» أو الشيخ وهاتان الكلمتان هما «حرى» ومعناها «السيد» و«حسي» ومعناها المقرب، والكلمتان في معناهما تنطبقان على كلمة «ولي» كما نفهما الآن، فيقال مثلًا السيد البدوي وسيدي أبو الحجاج، وهذا ما نجده في الديموطيقية.

وإيضاحًا لذلك نورد هنا بعض الأمثلة التي جاءت في العقود الديموطيقية لهذا العهد البطلمي الأول، فلدينا عقد بيع أبرم في السنة الرابعة من حكم «بطليموس الأول» (٣٠٢ق.م) جاء فيه أن حانوتي «أمنمؤبي» القاطن في الجهة الغربية من طيبة، باع بيتًا لربيبه أحد جنود معبد آمون، كما باع مدفنا (ست) في جبَّانة «جمي» (= مدينة هابو) كما باع بئرًا دفنه مع السماح بإدخال من يريد من أهله، وكذلك أعطاه القربات التي أتت من ريع أوقاف هذا المدفن الخاص بسيدنا (حرى) «إلهك»، ويقول المتن بعد ذلك إنه في الجهة الجنوبية توجد طريق تؤدي إلى قبر «أمنحوتب» (أي الملك «أمنحوتب الأول» أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وكان مؤلَّهًا عند المصريين، وبخاصة عند العمال الذين كانوا يقيمون في هذه الجهة)[١٠] أو معبده الجنازي، وكان يقع على جوانب هذا الضريح ثلاثة أضرحة أخرى لأولياء آخرين؛ وهم: «بدى-حر-برع» إله البحارة، والولي «بانا»، والولي «باتف». هذا ونجد في المتن أن كلًّا منهم كان يُدعَى وليًّا أو شيخًا، ومن ثم فإنه من الجائز أن هؤلاء الأولياء كانوا متجمعين حول إلههم العظيم «أمنحوتب الأول» ناصر العمال في الأزمان القديمة (في دير المدينة).

ولدينا متن آخر مؤرخ بالسنة الرابعة والثلاثين من عهد «بطليموس الثاني» ذكر أن امرأة أوصت لابنها الذي كان يعمل حانوتيًّا لأمنمؤبي (آمون الأقصر) في غربي طيبة بنصيبها في بيتٍ على الشاطئ الشرقي لطيبة بالإضافة إلى نصيبها في بعض مقابر على الشاطئ الغربي مع نصيبها كذلك في أوليائي (الضمير للمرأة المتكلمة) الذين دفنوا فيها (أي المقابر) وكذلك نصيب «شهدائي» مع ريع أملاكهم التي حددت بالنسبة لكل شيء يُحصَّل منها الآن، وما سينتج لنا في المستقبل من أرض المعبد والبلد. ومن ثَم نفهم أن

[١٠] راجع مصر القديمة الجزء الرابع.

هؤلاء الأولياء والشهداء أو الآلهة على رأي المصريين كانت لهم ممتلكات محبوسة عليهم، أو مقررة لهم، سواء أكان ذلك من الأرض، أم من المعبد، أم المدينة.

هذا ونجد في عهد «بطليموس الثالث» أن حانوتيًّا قد نزل لابنه عن المقابر والموميات الآتية: (يقصد بذلك دخل الأوقاف التي حُبِست عليها) الولي «حر برع» الشهيد وعشيرته والقبر الذي دفن فيه أهله، وقبر «بدى حربرع» الحفار وعشيرته والولية «تيتا» وعشيرتها، وقبر «أسخومنوس» السيد، والشهيد ملكي المسمَّى «أبريز-خوى»، وقبر «جمروس» السيد وعشيرته، و«سحبمين» بن «باتو» وكل فرد تابع للولي «حر برع».

وإنه لما يلفت النظر أن الكلمة الدالة على غريق، وهي «حسي» كانت في الأصل معناها الممدوح، والظاهر أنها تشير إلى فكرة أن الشخص المغرق قد ضحَّى بنفسه، وعمل ما هو مقبول عند الإله. ففي معبد «دندور» بإقليم بلاد النوبة نقرأ أن رجلين مؤلهين، وهما «بتيسى» و«بحور» كانا يعبدان في العهد الروماني في مصر، وكان كل منهما يلقب «حسي» (= المغرق) وكذلك كان يدعى كل منهما «حرى»، والكلمة الأخيرة كانت مخصصة بحية، ويقول الأثري «شتيندورف»:[11] إنه اسم إله، ويميل الأستاذ «جرفث» إلى القول بأن الرجل أو المرأة يمكن أن ينعت بلفظة حسي «مغرق» وفي الوقت نفسه كان يحمل لقب «حرى» وبعد نقاش طويل استنبط أن لقب «حرى» كان يحصل عليه الرجل أو المرأة، وذلك بسبب أنه شهيد (حسي).

ويقول الأستاذ مصطفى الأمير: إنه — على ضوء براهين عدة في متناولنا الآن — يظهر أن لفظة «حرى» هي اللقب العادي، وذلك لوجودها بنسبة واحد إلى خمسة في الأمثلة التي عرفت حتى الآن، ولا بد إذن أنها كانت تحمل معنًى خاصًّا بها بصرف النظر عن مصاحبتها مع كلمة «حسي»، وعلى ذلك فإن نظرية «جرفث» لا تتفق مع هذا الرأي تمامًا، والرأي الأصوب هو أن كلمة «حرى» تعادل كلمة سيد وكلمة «حس» تقابل كلمة شهيد.

هذا وقد عرفنا من ثماني عشرة وثيقة من جبَّانة «طيبة» جاء فيها ذكر مائة وليٍّ وعشرين شهيدًا، كما عرفنا أن نسبة عدد الأولياء الذكور للنساء هي أربعة لواحدة، ونسبة عدد الشهداء للشهيدات بنسبة تسعة لواحدة، وهذه الوثائق جميعها عُثِر عليها في جبَّانة ذراع أبو النجا، ومن الغريب أنه في الوثائق الأخرى «الطيبية» التي عُثِر عليها

[11] A.Z. 28. P. 51.

في «دير المدينة» وهي الموجودة في متحف تورين لم يُذكَر فيها أولياء أو شهداء، والظاهر أن موقع أضرحة هؤلاء الأولياء والشهداء هو جبَّانة ذراع أبو النجا؛ وذلك لأجل أن يكونوا على مقربة من قبر الملك «أمنحوتب الأول» أو معبده الجنازي، لأنه كان يُعتَبَر الإله الخاص لهذه الجبَّانة كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

وفي اعتقادي أن هاتين العبادتين المختلفين أي عبادة الولي وعبادة الشهيد تمثلان المذهبين الهامين في الديانة المصرية القديمة؛ فعبادة الأولياء تمثل مذهب عبادة الشمس؛ أي المذهب الروحاني، وأن كلمة «حرى» مشتقة من كلمة حر أو حور الذي يُعتَبر مظهرًا من مظاهر الإله «رع» أو بعبارة أخرى المذهب الشمسي. أما عبادة الشهيد أي «حسي» فتمثل عبادة الإله «أوزير» أو العبادة الشعبية، وبخاصة عندما نعلم أن «أوزير» هو الإله المغرق، وكان يسمى مغرق المغرقين، أو بعبارة أخرى: شهيد الشهداء.

وتدل شواهد الأحوال على أن عبادة الأولياء وعبادة الشهداء كان قد زاد التمسك بها في زمن الاضطهاد الإمبراطوري، وبخاصة عندما نعلم أن معبد «دندور» ببلاد النوبة قد أقيم لعبادة الأخوين «بتيسى» و«فيلور» ولدي «كوبر» في تلك الفترة، وعلى أية حال لدينا صورة ناطقة للتضحية بالغرق في قصة «أنتينوس» Antinos الذي مات غرقًا؛ ليدفع الأذى عن عشيقه الإمبراطور «هدريان» وبذلك أصبح مؤلَّهًا في نظر الرومان.

ولا نزاع في أن تأليه الأشخاص لم يكن بالأمر الغريب عن الديانة المصرية القديمة، فقد رأينا أن الشعب المصري قد ألَّه «أمنحوتب» بن «حابو» في خلال الأسرة الثامنة عشرة، وبقيت ذكراه بوصفه إلهًا حتى العهد البطلمي. هذا وقد أسهب الأستاذ مصطفى الأمير في التحدث في موضوع الأولياء والشهداء لمن يريد المزيد.[١٢]

(٢) عبادة الحيوان في العهد البطلمي

ترجع عبادة الحيوان في مصر إلى أقدم العهود، والواقع أنه قد وجدت حيوانات من عهد ما قبل التاريخ مكفَّنة ومدفونة بعناية كبيرة مما يدل على أنها كانت مقدسة، وقد ظلَّت عبادة الحيوانات في مصر الفرعونية شائعة حتى دخول الإسلام؛ غير أن عبادة هذه الحيوانات قد ازدادت بصورة تلفت النظر في العهد البطلمي وما قبله بقليل، ولقد تأثر

---

[١٢] Mustafa El Amir. A Family Archive P. 126 ff.

الكتاب الإغريق بعناية المصريين فكتبوا عنها القصص فيما خلَّفوه لنا في كتاباتهم، ولا أدلَّ على ذلك من قصة الروماني الذي قتله الغوغاء بسبب قتله قطة عن غير عَمْد،[١٣] هذا وذكر لنا «هردوت» أن خلاص قطة من الوقوع في حريق كان أهم من إطفاء الحريق نفسه، وفي بعض جهات القطر المصري حيث كان يُعبَد التمساح كان يُعتبَر الرجل الذي يلتهمه تمساح بمثابة شهيد؛ ولكن الذي كان يقتل حيوانًا مفترسًا عامدًا متعمدًا يعاقب عقابًا شديدًا، ويقول «هردوت» إن من يقتل الطائر «أبو منجل» الذي يتقمصه الإله «تحوت» أو صقرًا كان جزاؤه الموت.[١٤]

ويدل ما لدينا من وثائق على أن عبادة الثيران قد ازدادت بصورة بارزة، وبخاصة عبادة العجل «بوخيس» الذي كان يُقدَّس في أرمنت، وقد تحدثنا عن عبادته ببعض التفصيل في غير هذا المكان.[١٥] هذا وكانت عبادة البقرات والقطط والقرود وأبو منجل (أبيس) والصقور قد ازدادت بدرجة عظيمة في «طيبة»، هذا إلى أن تقديسها قد امتد خارج نطاق المعابد فكان يوجد في المدن والقرى وفي الجبَّانات، ومما تجدر ملاحظته أنه كانت توجد في «إدفو» بجوار المعبد حديقة خاصة لتربية الصقور؛ ليُختار منها سنويًّا الصقر الذي كان يُعبَد في معبد «إدفو»، وكان يقام له احتفال خاص؛ لأنه كان يمثل الملك، وقد تحدثنا عن هذا العيد عند التحدث عن معبد «إدفو» وأعياده.

والواقع أنه كان يوجد لكل نوع من الحيوان المقدس مكان خاص لإطعامه، كما كانت تُبنَى له مدافن خاصة، وكانت هذه الحيوانات تُحفَظ بعناية، وتوضع في توابيت من الخشب أو من الفخار.

وقد تحدثنا في الجزء السابق من مصر القديمة عن بيت البقرة الذي كان يقع في الجزء الشمالي من «طيبة»، وكذلك جاء ذكر مدافن القطط بمثابة الحدِّ الغربي للبيت الذي يقع في الجنوب الشرقي لبلدة «جمي»، وكانت مدافن الصقور و«أبيس» تقع في الجزء الشمالي من جبَّانة ذراع أبو النجا، كما جاء ذكر ذلك في بردية «فيلادلفيا» رقم ٢٤، وقد ترجمناها فيما سبق.

---

[١٣] Diod I, 84.

[١٤] Herod. II. 66.

[١٥] راجع مصر القديمة الجزء السابع.

وكان يقوم على خدمة هذه الحيوانات في تلك الفترة ملاحظون ومحنطون خاصون بها، فنقرأ مثلًا عن المشرف على الماشية،[١٦] وحارس «أبيس»[١٧] ومحنط القرد[١٨] وحانوتي مدفن «أبيس» والصقر،[١٩] ويُلحَظ أن الحانوتي كان نطاق عمله واسعًا؛ فقد كان يحمل الألقاب التالية: حانوتي مدفن أبو منجل، والصقر، والكاهن خادم الإله، والكاهن والحانوتي لكل الحُجَج والإيجارات للكاتب الملكي «أمنحوتب بن حابو» الذي كان يعد إلهًا في تلك الفترة، كما نوَّهنا عن ذلك من قبل.

والواقع أن حالة هؤلاء المحنِّطين والمرتلين لم تتغير عما كانت عليه في زمن أسلافهم في العهود الفرعونية،[٢٠] فقد كانوا يؤلفون طوائف، وقد تركوا لنا وثائق بردية ذكروا فيها القواعد التي كانوا يسيرون على مقتضاها، ولا نزاع في أن هذه القواعد كانت تمنحهم قوة كالتي كان تتمتع بها طوائف الكهنة في العهد الفرعوني في المعابد، ولا شك في أن هؤلاء الكهنة كانوا يجيدون القراءة والكتابة، ولا أدلَّ على ذلك من أن عددًا عظيمًا من الوثائق التي وجدت في سجلات الأُسَر، وهي التي نسير على هديها في تتبُّع أحوال البلاد في هذا العصر هم المحررون لها؛ غير أنه لا بد من أن نفهم أن وظائف الكهنة إذا ما قرنت بنظائرها في العهد الفرعوني عندما كان الكهنة أصحاب نفوذ وسلطان بدرجة عظيمة في طول البلاد وعرضها، فإنهم يعدون من الوجهة المادية فقراء؛ ويرجع السبب في ذلك إلى أن الاستعمار الأجنبي كان قد أضعف من شأن الكهنة، وسلبهم أموالهم وجاههم إلى حدٍّ كبير.

هذه نظرة عاجلة عامة عن الأحوال الدينية من الوجهة المصرية في ذلك العهد كما أمكن استنباطها من الأوراق البردية الديموطيقية، وما كتبه المؤرخون الإغريق. أما الحياة في المعابد فقد تحدثنا عنها في فصل خاص عندما تناولنا بحث معبد «إدفو» وما عليه من نقوش ومناظر دينية تكاد تكون منقطعة النظير توصلنا بها إلى رسم صورة عن الحياة الدينية في المعبد من حيث العبادات اليومية والأعياد والأحفال التي كانت تقوم

---

[١٦] B.M. 10523.

[١٧] Ph. XXIV.

[١٨] B.M. 10523.

[١٩] B.M. 10230.

[٢٠] Cerny Bul. Inst. Fr. Arch. Orient, 27, P. 159.

في داخله وخارجه سنويًّا، وهي تختلف كل الاختلاف عن عبادات غير رجال الدين، كما أشرنا إلى ذلك في نفس الفصل.

(٣) حياة الأسرة في العهد البطلمي الأول

لم تصل إلينا حتى الآن متون بالديموطيقية تحدِّثنا حديثًا مباشرًا عن نظام الأسرة المصرية في العهد البطلمي، ومن ثَم إذا أردنا أن نضع صورة عن حياة الأسرة في تلك الفترة من تاريخ أرض الكنانة، فليس لدينا إلا وسيلة غير الاستنباط، وقراءة ما بين السطور مما خلَّفه لنا الشعب المصري من وثائق ونقوش مبعثرة، وقد تناولنا الحديث عن الأسرة المصرية، وما كان بين أفرادها من روابط في الجزء الثاني من مصر القديمة في عهد الدولة القديمة،[٢١] وربما كان أهم مصدر لدينا لمعرفة شيء عن حياة الأسرة في العهد المتأخر من تاريخ البلاد ما وصل إلينا من عقود زواج وطلاق في تلك الفترة وبخاصة في العهد البطلمي الأول.

(٣-١) عقود الزواج

من الجائز أن عقود الزواج بالمعنى الحقيقي لم تظهر بصورة بارزة إلا في العهد البطلمي وما قبله بقليل، والواقع أن المتون المصرية القديمة من نقوش وأوراق بردية لم تسعفنا بعقود زواج حتى الآن في العهود المصرية الأولى، وذلك على الرغم من أن هناك إشارات وعبارات في النصوص الأدبية — وبخاصة في النصائح — تحبذ الزواج، كما يحدثنا بذلك أحد أبناء «خوفو» حيث يقول: إذا كنت رجلًا طيبًا أسِّس لك بيتًا وتزوَّج من امرأة صاحبة قلب، وستلد لك غلامًا، وبعد ذلك بألفي سنة يقول حكيم آخر: تزوج وأنت في العشرين حتى تنجب غلامًا وأنت لا تزال شابًّا.

والواقع أننا نرى أن في مصر منذ أقدم عصور تاريخها إلى عصر الدولة الحديثة كان الأب ينصح ابنه بأن يصنع لنفسه بيتًا؛ أي يتخذ لنفسه زوجًا وهو في سن الفتوة حتى تنجب له أولادًا. والظاهر أن المثل الأعلى للزواج عند المصريين الأقدمين والأحداث

---

[٢١] راجع مصر القديمة الجزء الثاني.

على السواء هو أن ينجب الرجل ذكورًا وهو لا يزال في مقتبل العمر، فيقول آني: إن الرجل السعيد هو الذي له أولاد كثيرون، والذي يُحتَرم بسبب أولاده.

وتدل الظواهر على أن العلاقات بين الرجل وزوجته منذ أقدم العهود كانت علاقات حب وعطف جاء عن طريق المعاشرة والميل المتبادل، ومن ثَم — على ما يظهر — لم تكن هناك في بادئ الأمر عقود زواج مسجلة فكان إذا حدثت الألفة حصلت المعاشرة والاتفاق الودي بين الطرفين، وهذا ما نجده في الإسلام، فإن المرأة إذا قالت لفرد زوجتك نفسي أمام شاهدين فإن ذلك يعد عقد زواج يمكن به المعاشرة دون حاجة إلى عقد زواج.

والواقع أنه لم يصل إلينا حتى الآن عقد زواج رسمي كالعقود التي نجدها في العهد المتأخر من تاريخ مصر، وبخاصة عهد البطالمة؛ وكل ما لدينا في هذا الصدد هو عقد تسوية لزواج يرجع تاريخه إلى الدولة الحديثة، ومن الغريب أنه لم يُذكَر فيه أية بيانات عن الرسميات التي كانت ضرورية لإتمام عقد الزواج شرعيًّا قبل ذلك العهد، كما نجد ذلك فيما بعد.

وقد استنبط الأثري «شرني» من هذه الوثيقة أن المفهوم من موضوع الزواج أن الطرفين المتعاقدين كانا يؤلفان سويًّا ملكية مشتركة أساسها الزواج يكون للزوج فيها الثلثان وللزوجة الثلث، وأنه في حالة وفاة أحد الطرفين فإن الطرف الآخر يستمر في استثمار الملكية أو العقار المشترك، غير أنه كان لكل منهما السيطرة التامة على نصيبه الذي دخل به في هذا الزواج.[٢٢]

ولكن إذا فحصنا ما جاء من بيانات عدة في الوثائق الديموطيقية فإن هذا التفسير الذي أدلى به «شرني» لا يكاد يكون مقبولًا، والظاهر أن الوثيقة التي نحن بصددها تحتوي على قرار اتُّخذ في نقطتين منفصلتين عن بعضهما بعضًا؛ النقطة الأولى: هي قيام الزوج بنقل ما كانت تملكه الزوجة الأولى التي كانت قد توفيت إلى أولادها بصرف النظر عن ملكيته هو، والنقطة الثانية: هي تسوية موضوع الجزء الذي بقي له من عقاره بالنسبة لزوجه الثانية.

هذا ولم يذكر لنا دليل على أن العقار كان قد قُسِّم بنسبة اثنين لواحد، وكان كله في الأصل ملك الزوج، ومن جهة أخرى فإننا لو حكمنا بما لدينا من وثائق من العهد

---

[٢٢] Bul. I F.A.O. (1937) P. 41 ff.

المتأخر لوجدنا أن صداق الزوجة كان ملكها الخاص، وأنه يبقى كذلك حتى يوم مماتها، ثم يُنقَل بعد ذلك إلى أولادها، وفي هذه الحالة الخاصة التي نحن بصددها كان العقار هو بيت والد الزوجة الأولى، وقد كان هذا منصوصًا عليه قانونًا؛ إذ قد اقتبس في هذه الوثيقة في الصورة الآتية: لقد قال الفرعون دع صداق كل امرأة يُعطَى إياها (وقد جاء ذلك في القرآن الكريم: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾).

وقبل أن نفحص عقود الزواج، وما تحتوي عليه من مواد يجب أن نعرف هل كان الرجل يتزوج بواحدة أو أكثر في مصر القديمة؟

الواقع أنه من الصعب أن نعطي رأيًا قاطعًا فيما إذا كان الرجل في مصر القديمة يتزوج من امرأة واحدة، أو كان تعدد الزوجات لديه مباحًا[٢٣] فعلى حسب ما رواه «ديدور» Diod I. 80 كان الكهنة هم الذين عليهم ألَّا يتزوجوا أكثر من واحدة في حين أن الآخرين كان حِلًّا لهم أن يتخذوا أزواجًا عدة إذا أرادوا، ولكن من جهة أخرى يقول «هردوت» Herod, II. 92: «إن عدم تعدد الزوجات كان شائعًا ويفرضه القانون.» غير أن ما رواه «هردوت» يحيط به بعض الشك، وقد وجد بعض الباحثين آثارًا تدل على تعدد الزوجات في مصر في كل عصور التاريخ، ويقول «أرمن» أن الزوجة الثانية كانت تُسمَّى في مصر القديمة «البغيضة» وهي التي تُعرَف في عصرنا الحالي بالضَّرَّة (راجع A. Z. XXX. 63.) وفي هذا الرأي شك أيضًا، ولا يزال الموضوع معلَّقًا.

هذا ولدينا بردية هامة من العهد البطلمي المصري تحدثنا عن فرد يُدعَى «بزينتائس» Psintaes قد تزوج من امرأة أخرى بوصفها زوجه الثانية (راجع Edgerton Ibid. 22 ff).

[٢٣] Revillout. Cours d. dr. eg. I. 53; Precis d. dr. eg. I 978; Christ. Dem CXXIX; Metteis, Reichrecht 222, Bouche-Leclerq Hist. d. Lug IV, 96; Muller Lubespoesie d. Alter Aegyptes 5 ff, Erman-Ranke Aegypten und Ag. Leben; spiegelberg, Demotische Papyri (Bad. Sami, 1) 47 note 3; Nietzold, Ehe in Agypten 15 ff; Seidl. Sev. 2 LII 62 ff; Edgerton Z. f. Ag. Sprache LXIV, 62 ff; notes on Egyptian Marriage 23; Wahrmund. Instit. d. the im Altertum 60 ff; Hombert-Preaux. Recherches sur les recensement dans I'Egypte Romaine 16; Jouitie J.E.A. XL. (1954) 114 ff.

هذا ويمكن القول أن تحريم الزواج بأكثر من واحدة في عقود الزواج الإغريقية التي قبل عهد «أغسطس» يجب أن يُعتبَر برهانًا بأنه حتى في الأوساط الإغريقية لم يكن محرَّمًا قانونًا تعدد الزوجات (راجع JEA XL. P. 114).

والسؤال الذي يجب أن نضعه على بساط البحث بعد ذلك هو: هل كان الزواج بين أفراد من قوميات مختلفة مباحًا أم لا في العهد البطلمي؟ (راجع Zaki Ali Bull. Soc. Arch. Alex. No. 38 (1949) 25 ff).

والواقع أن التزاوج بين الإغريق والمصريين قد وقع فعلًا في خلال القرن الثالث قبل الميلاد، ومن المؤكد أن مثل هذا الزواج كان يُعتبَر شرعيًّا، ويؤكد ذلك أن نَسْل الزوجين كان يحمل جنسية الوالد لا الوالدة؛ أي إن الأطفال في هذه الحالة كانوا يحملون الجنسية الإغريقية حتى لو كانت الأم من سلالة مصرية، ولن يغير من ذلك في شيء لو كان الأطفال يحملون أسماء مصرية.

ويُلحَظ أن الكهنة في العهد البطلمي كانوا مقيدين ببعض القيود فيما يخص الزواج فلم يكن مسموحًا لهم أن يتزوجوا من نساء خارج طائفتهم، وكان الزواج الذي يُعقَد مخالفًا لذلك يعتبر فسوقًا وزنى. كما كان يعتبر نسلهم غير شرعي (راجع U. P. Z. II. 194. 119 B. C).

وكانت عادة الزواج بين الأقارب شائعة لدرجة أننا نجد في بعض الحالات أن زواج الأخ من الأخت هو القاعدة لمدة جيلين في أسرة واحدة (راجع Weiss, Sav. Z. XXIX 340).

ويُلحَظ أنه في العهد البطلمي لم تكن هناك قيود خاصة لتحديد سن الزواج من الأنثى إذا كان هذا الزواج نفسه مسموحًا به (راجع Sav. Z. XXXVII, 180).

وكانت القاعدة المتبعة في ذلك أن الفتيان الإغريق والمصريين يمكنهم أن يتزوجوا في سن الرابعة عشرة من عمرهم، أما البنت فكان يحق لها أن تتزوج عندما تبلغ الثانية عشرة (راجع Aegyptus Xll, 142).

وعلى أية حال فإن صيغ الزواج لا بد أن تميز الواحدة عن الأخرى على حسب القوميات، ويقول «إدجرتون»: إنه من الحقائق الثابتة أن الزواج عند المصريين لم يكن أساسه في الأصل اتفاقًا مكتوبًا، والظاهر أن المعاشرة الجنسية كانت أمرًا لا بد منه. أما العقود المكتوبة الخاصة بالزواج من أجل الإنفاق على الزوجة فكانت في الواقع اتفاقات تعقد بين الرجل والمرأة بعد زواجهما (راجع Edgerton. Ibid. Notes P. 5).

وقد لوحظ أن صيغة الزواج المصرية المحلية قد نقلها عنهم الإغريق شيئًا فشيئًا، وكانت كل المسائل المالية المختصة بالزواج يُتفَق عليها في عقد خاص. يضاف إلى ذلك أن الإغريق كان في استطاعتهم أن يتزوجوا بصيغة من صنع المسجل الإغريقي، وكانت أهم ظاهرة فيها على ما يظهر النزول عن العروس، وهذه الصيغة الإغريقية قد اعتنقها المصريون على مر الأيام، كما اعتنق الإغريق صيغة الزواج المصرية، ومن ثَم نرى أن الزواج الذي عُقِد بوساطة إغريق كان يعتبر صحيحًا على حسب القانون المصري، ولكن لا يعتبر صحيحًا من حيث القانون الإغريقي؛ ومن أجل ذلك كان لا بد من الحصول على موافقة إغريقية قبل إبرام عقد الزواج حتى يصبح الزواج سليمًا.

ولم يُعثَر حتى الآن على قواعد ثابتة تدل على حقوق وواجبات الأزواج والزوجات في عقود الزواج المصرية الوطنية، ولكن من جهة أخرى نجد في عقود الزواج الإغريقية بشيء من التفصيل الواجبات التي كانت تُفرَض على الزوج لزوجته من حيث إمدادها بما يكفل راحتها من حيث المأكل والمشرب، ومعاملتها معاملة حسنة، وأن يكون وفيًّا لها وألا يطلقها، ومن جهة أخرى كان على الزوجة أن تشارك زوجها في مسكنه، وأن تكون مخلصة له ليل نهار، وأن تدير شئون بيته (راجع Metteis. L. C. 218).

وفي حالة نقض هذه الواجبات مثل عدم إعالة الزوجة فإن أقدم أنواع العقود الإغريقية تنص في هذه الحالة على أنه يجب على الزوج أن يدفع للزوجة صداقها؛ وفضلًا عن ذلك كان عليه أن يدفع غرامة مساوية لما جاء في العقد. هذا ونجد في وثائق أخرى أنه كان عليه أن يدفع الصداق ثانية، وفي غالب الأحيان يدفع معه غرامة قدرها خمسين في المائة (راجع Metteics L. C. 216).

أما في الحالة التي تكون فيها الزوجة قد نفضت واجباتها الزوجية فإن كلًّا من عقود الزواج الإغريقية والإسكندرية كانت تفرض حرمان المرأة من صداقها. هذا ولا بد أن نلفت النظر بصورة خاصة فيما يخص قواعد الطلاق؛ فعلى حسب القانون المصري — كما سنرى بعد — كان من حق الزوج أو الزوجة أن يطلق الواحد منهما الآخر (راجع Adl. Dem 14. 97–6 B. C). فيقول الزوج في عقد الزواج: وفي الوقت الذي سأهجرك فيه كزوجة أو «حينما ترغبين أن تذهبي عني من تلقاء نفسك، وبذلك لن تكوني ملكي كزوجة، فإني سأعطيك مثل صداقك المذكور (أعلاه) أو قيمته على حسب ما هو مدوَّن أعلاه.» وينطبق مثل ذلك على الإغريق؛ وذلك نتيجة للتأثير المصري على ما يظهر (راجع Metteis Grundz 217) وعلى ذلك كان للرجل حق الطلاق كما كان للمرأة حق الطلاق، وكان هذا يحدث بالفراق الفعلي.

ونجد في الوثائق المصرية المبكرة أنه كان على الزوج أن يدفع غرامة إذا طلق زوجه (راجع Boak. J. A. E. 109 ff).

وفي العقود الإغريقية القديمة على أية حال نجد أن الزوج إذا طلق زوجه من جانبه هو كان عليه أن يدفع لها الصداق، ويدفع مبلغًا مماثلًا له، وفيما بعد كان يدفع غرامة قدرها ٥٠٪ من الصداق، وهذا كان أمرًا محتمًا، وفيما بعد نجد أن غرامة الطلاق قد اختفت، ولكن إعادة الصداق بقيت كما هي. يضاف إلى ذلك أنه لم يُفرَض على الزوجة التي هجرت زوجها غرامة، ولم تفقد صداقها، ولم تكن بأية حال من الأحوال عُرضَة لدفع أية غرامة، وإذا لم يكن الزوج مذنبًا في حق زوجه فإنه كان يُعطَى مهلة لإعادة المهر الذي تستحقه الزوجة، وفي حالة ما تكون المرأة المطلقة حاملًا فإنه كان لها الحق أن تطلب نفقة لنفسها ولطفلها (راجع Oxy. II. P. 267, 5).

وكانت القاعدة أن المطلقين كانا يحفظان لنفسهما الحق في أن يتزوجا ثانية.

ولا بد لنا عند معالجة مسألة نظام الزواج أن نميِّز بين القانون المصري والإغريقي والروماني، ففي القانون المصري كان على الزوج أن يعول زوجه مقابل مبلغ يُدفع لهذا الغرض (راجع U.P.Z. 118 130 B.C).

وكانت العادة أن الزوج يتعهد برهن كل ملكيته في الحال والاستقبال مقابل ذلك، وهذا يعني أنه لن يكون في استطاعته أن يتصرف في ملكيته المرهونة دون موافقة زوجه.

هذا، وتحتوي عقود الزواج الإغريقية على مواد خاصة بالصداق، وأحيانًا على هبات إضافية (راجع Metteis Grundz. 219 ff). وكان الصداق دائمًا ملك الزوجة، غير أن الزوج كان له الحق في استخدامه، وكانت الزوجة تأخذ ضمانًا على عقار زوجها (راجع P. Meyer. Jur. Pap. 42–3).

ومن المدهش أن الزوج قد لا يكون له الحق في التصرف في أي شيء دون موافقة زوجه، وكذلك الزوجة لم يكن لها حق التصرف إلا برضاء الزوج، ومع ذلك فإن هذا كان لا يعني أن متاعهما كان مشتركًا (راجع Par. 1312 = M. Chr. 280).

هذه نظرة عامَّة عن قرن موضوع الزواج عند المصريين بالزواج عند الإغريق في العهد البطلمي، والآن نعود لفحص عقود الزواج والطلاق الديموطيقية في العهد البطلمي وما قبله؛ لنصل إلى صورة صحيحة عن الزواج في تلك الفترة من تاريخ البلاد، وهي الفترة التي تحن بصددها.

يدل ما لدينا من وثائق على أن أقدم عقد زواج وصل إلينا حتى الآن يرجع إلى الأسر من (٢٢–٢٦) وقد دُوِّنت بالخط الهيراطيقي الشاذ، وهذه العقود لا تزال مستعصية

الحل بصورة تجعلها غير مفهومة، والصيغة القانونية التي صِيغت بها هذه العقود تكاد تكون موحدة من حيث مقدار الصداق، وأهم نقاطها ما يأتي:

(١) التاريخ.
(٢) الأطراف المتعاقدة، وتصاغ في مثل العبارة التالية: إن فلان ابن فلان يدخل بيت فلان ابن فلان ليعلن خطبة زواجه من المرأة فلانة، وأمها هي فلانة؛ أي أم زوجته بمثابة زوجه هذا اليوم (راجع مصر القديمة الجزء ١٢).
(٣) ويتعهد الزوج فلان ابن فلان بأن يدفع صداقها (ويكون العادة دبنين من الفضة وخمسين مكيالًا من القمح).
(٤) كان على الزوج أن يحلف يمينًا على أنه لو ترك زوجه سواء أكان ذلك بسبب الكره، أم بسبب غرامه بامرأة أخرى أن يدفع لها صداقها ونصيبًا من كل ممتلكاته، وهذا النصيب كان في العادة هو ثلث ما يملك. أما إذا ارتكبت الزوجة الخطيئة الكبرى التي تعيب المرأة فإنه لا يدفع شيئًا لها.
(٥) يأتي بعد ذلك اسم الكاتب والشهود.

وكان التقليد المتبع في تلك الفترة من تاريخ البلاد أن يذهب الرجل الذي يريد الزواج إلى بيت العروس، ويحصل على موافقة حماه المنتظر، وذلك قبل أن توجد العلاقة الزوجية، ولعمري فإن هذا هو نفس التقليد المتبع في عهدنا الحاضر.

وكان الزوج يتعهد بعقد قسم بأن يدفع غرامة لزوجه إذا هجرها وتزوج من امرأة أخرى، وكان يُعفَى من دفع هذه الغرامة إذا ترك زوجه بسبب العقم أو الزنا.

ومما تجدر ملاحظته أن العقم كان مبررًا للطلاق في القانون البابلي،[٢٤] وقد كان هذا هو نفس المبرر الذي حدده «فيلو» عند وصفه للمحاكم اليهودية في مصر في العهد الأول من الحكم الروماني،[٢٥] ومن جهة أخرى كان الزنا يعد في مصر القديمة جريمة يعاقب عليها بالموت كما جاء في قصة «أوبانر» Ubaaner والتمساح،[٢٦] وفيها نجد أن

[٢٤] .Johns Babylonian Law. P. 141

[٢٥] .Goodenough, The Jurisprudence of the Jewish courts in Egypt

[٢٦] .Griffith Ryl. III. P. 91 note 1

كاهنًا حرق زوجته؛ لأنها زنت، يضاف إلى ذلك أن في رسالة من عهد الرعامسة المتأخر طلق رجل زوجه؛ لأنها كانت عوراء.[٢٧]

عقود الزواج في العهد الفارسي

وفي عهد الحكم الفارسي في مصر تقدِّم لنا الوثائق الديموطيقية العتيقة صورة جديدة من عقود الزواج؛ إذ نقرأ في صيغها أن المرأة قد أصبحت حرة في أن تعقد زواجها مع من ترغب فيه دون قيد أو شرط، وفي مثل هذه العقود لا يقوم والد العروس بأي دور في وثيقة الزواج، بل نجد أن المرأة هي التي تقوم بأداء هذا الدور؛ فتكون هي الطرف الأول في عقد الزواج، وزوجها هو الطرف الثاني، وتكون العصمة في يدها؛ أي إنها هي التي تطلقه إذا شاءت،[٢٨] وهذا ما نجده في الشريعة الإسلامية عندما تطلب المرأة عند الزواج أن تكون العصمة في يدها، والواقع أن هذا يحدث عندما تكون المرأة صاحبة ثراء وجاه. على أنه من الجائز أن الحرية التي نالتها المرأة في تلك الفترة قد يُنسَب إلى تأثير الحكم الفارسي.[٢٩]

وكانت هناك إجراءات لا بد من القيام بتنفيذها قبل الزواج الفعلي. فقد رأينا أن الزوج كان يذهب إلى بيت نسيبه المرتقب، ويطلب إليه الموافقة على الزواج، ولدينا بعض تفاصيل في هذا الصدد جاءت في قصة ظلامة «بيتسي» التي أسهبنا فيها القول في الجزء الثاني عشر.

ومن البدهي أن البنت عند الزواج لا بد أن تكون قد وصلت سن البلوغ، ومع ذلك نجد في حالات قد تزوجت فيها البنت وهي لم تتجاوز الثانية عشرة والنصف من عمرها إذا كانت قد بلغت الحلم كما أشرنا إلى ذلك من قبل.[٣٠]

---

[٢٧] Cerny, Iate Ramiside Letters.

[٢٨] راجع مصر القديمة الجزء الثالث عشر.

[٢٩] J.E.A XIV, 152.

[٣٠] Griffith Enc. Of Religion and Ethics vol. VII. 443.

هذا ونجد في قصة «بتيسي» أن ابنته التي تزوجت حديثًا كانت من طريق سلوكها مع زوجها تظهر بأنها لا تزال طفلة، ولا تعرف معنى الزواج الجنسي الحقيقي، وذلك أن والدها عندما كان ذاهبًا إلى «طيبة» للقيام بتأدية أعمال خاصة به مع زملائه هناك جاء إلى بيتها ليودعها في بيت زوجها الذي تأهلت به حديثًا، ولكنها عندما علمت أن والدها سيتركها ويرحل بعيدًا عنها أخذت تنتحب ورَجَتْه أن يأخذها معه، وعندما سألها عن السبب في رغبتها في الذهاب إلى «طيبة» مع أنه من الأفضل أن تبقى لتقضي شهر العسل مع زوجها، أجابته بأنها ستكون أسعد حالًا عندما تذهب معه لتكون مع أخوتها من أن تبقى لتمضي شهر العسل مع زوجها، وعلى أية حال فإن الزواج المبكر في مصر كان دائمًا مشكورًا مستحبًّا.

ومن دَرْسِ عقود الزواج التي عُثِر عليها في «طيبة» في العهد الذي سبق عصر البطالمة يمكن أن نستنبط النقاط التالية:

أولًا: كان لا بد لإتمام الزواج من موافقة والد العروس.

ثانيًا: كانت المرأة في العهد الفارسي حرَّةً في أن تعقد قرانها مباشرة مع من جاء لخطبتها.

ثالثًا: كان الزوج يدفع الصداق للزوجة في الوجه القبلي، ولكن في الوجه البحري كانت الزوجة هي التي تدفع المهر للزوج، وهذا الإجراء الأخير جاء عن التأثير الفارسي.

رابعًا: كان الصداق يعد ملكًا للزوجة.

خامسًا: كانت عصمة المرأة في يدها.

سادسًا: وفي حالة الطلاق كان على الزوج أن يرد الصداق، ويدفع ضعفه غرامة، هذا بالإضافة إلى ثلث كل ما يملك من عقار وغيره.

يضاف إلى ذلك أنه كان على الزوجة أن ترد الصداق، وكذلك تدفع ما يقابل نصفه، وتفقد حقها في ثلث عقار الرجل إذا هي خانته.

سابعًا: كان الرجل دائمًا يتزوج من نطاق أسرته، وكان زواج بنت الأخت والأخ مباحًا.

ثامنًا: كان الزواج يحدث عادة في فصل الفيضان، وذلك عندما تكون أعمال الزرع معطلة.

تاسعًا: لم نجد في عقود الزواج شروطًا خاصة بالنفقة التي يعطيها الزوج امرأته، وكذلك لم نجد قائمة بجهاز المرأة وما يجب على الزوج بخصوصه.

عقود الزواج في العهد البطلمي

لقد دلَّ فحص عقود الزواج منذ بداية العهد البطلمي على أنها بدأت تأخذ شكلًا وصيغة ثابتين سارت على نهجهما طول مدة حكم هذه الأسرة، ولم يحدث في جوهرهما إلا تغييرات ضئيلة من حيث التفاصيل، وأول ما يلفت النظر في عقود زواج هذه الفترة أن موادها كانت في معظمها تَنصَبُّ على المحافظة على حقوق المرأة أكثر منها عن حقوق الزوج.

ويُلحَظ أن الرجل في هذا العهد كان هو الطرف الأول بصورة عامة؛ لأنه هو الذي كان يدفع الصداق؛ ولذلك فإنه هو الذي كان يقول للزوجة لقد دفعت لك صداقك الذي كان قدره كذا قطعًا (= دبنات) من الفضة، وكان يسبق دفع الصداق العبارة التالية: لقد اتخذتك زوجة، أو لقد جعلت منك زوجة، وبعبارة أخرى كان يقابل دفع الصداق للمرأة أن تصبح في طاعة الرجل وملك يمينه. ثم يُذكَر بعد ذلك في العقد ما على الرجل من واجبات نحو زوجه من حيث النفقة التي كان لا بدَّ أن يدفعها حتى تعيش عيشة راضية؛ وكذلك تُذكَر الغرامة التي كان عليه أن يدفعها إذا هو سرَّحها، وهو ما يقابل عندنا في الشرع الإسلامي: مؤخر الصداق.

غير أن الأمر لم يقتصر في العقود البطلمية على دفع غرامة، بل كانت هناك حقوق أخرى يُنصُّ عليها في صلب العقد، وذلك أن يكون لها حق الثلث في كل ما يملك الزوج من عقار، وكذلك كانت تُراعَى حقوق أولادها في الميراث. يضاف إلى ذلك أن كل ما كانت تحضره معها الزوجة من جهاز كان يسجل في قائمة يُبيَّن فيها مفردات هذا الجهاز، وقيمة كل قطعة منه نقدًا، ويتعهد الزوج بردِّه لها إذا سرَّحها أو إذا أرادت هي أن تفارقه بالمعروف دون أن ترتكب ذنبًا أو خطيئة.

هذه هي الخطوط العريضة لمحتويات عقود الزواج في العهد البطلمي، غير أن موضوع الأساس الذي كان يقوم عليه قانون الزواج كان موضوعًا مَثار نقاش طويل اختلفت فيه آراء علماء الديموطيقية الذين درسوا هذه العقود.

وكان أول من أثار هذا الخلاف هو الأثري «إدجرتون» في مقال ممتع،[٣١] وذلك عندما أخذ يعزز الرأي الذي أبداه الأستاذ «ينكر» في هذا الصدد،[٣٢] ورأي الأستاذ «ينكر» هو أن عقود الزواج التي كانت تبرم بين الزوج وزوجه لم يكن الغرض منها جعل هذه العلاقة تبرز إلى حيز الوجود، وقد عاضده فيه الأستاذ «إدجرتون»؛ إذ يقول: إننا إذا استثنينا الجملة الافتتاحية التي تأتي في صدر كل عقد زواج تقريبًا، وهي: «لقد جعلت منك زوجة، أو لقد اتخذتك زوجة.» فإنه يتضح أن العقد كله مبني على حقوق مادية، وذلك يحبذ النتيجة التي وصل إليها الأستاذ ينكر، وهي أن هذا البيان لم يكن أمرًا أساسيًّا في وثيقة زواج، وذلك لأنه قد حُذِف في أحد العقود مشيرًا بذلك إلى البردية المحفوظة بالمتحف البريطاني،[٣٣] وقَبِل هذا الرأي وعزَّزه الأثري «بواك».[٣٤]

وبعبارة أخرى اعتبر هؤلاء العلماء أن عقود الزواج البطلمية هذه ليست إلا اتفاقات زواج بالمعنى المفهوم لنا زعمًا منهم إلى عدم وجود عبارة: «لقد اتخذتك زوجة لي.» في العقد السالف الذكر الذي أشار إليه «ينكر» غير أن هذا الرأي قد تصدَّى له الأستاذ مصطفى الأمير، وبرهن على أنه خاطئ من أساسه، فيقول: ولكني أرى أن النتيجة التي وصل إليها «ينكر» تحتاج إلى إعادة نظر الآن، وذلك لأنها قامت على سوء فهم لهذه الوثيقة، والواقع أن هذه الوثيقة الوحيدة الهامة تابعة لمجموعة من الأوراق البردية عددها أربع، وكلها مؤرخة بالسنة الخامسة من عهد «دارا الأول» (٥١٨ق.م) وهذه الأوراق تنظم بعض اتفاقات عُمِلت بعد زواج وقع بين رجل وامرأة كان كل منهما متزوجًا من قبل، وكانت المرأة قد رُزِقت بولد من زواجها الأول، ورزقت من زواجها الثاني ابنة، والاتفاق الذي حدث كان كالآتي:[٣٥]

(١) في الورقة الأولى يعترف الرجل بأنه تسلم نقودًا من المرأة (زوجه).

---

[٣١] Edgerton noets on Egyptian Marriage Chiefly in the Ptolemaic Period. P. 180.

[٣٢] Papyrus Lonsdorfer I Seitzungsberichte der Akademie der Wissen-schaften in Wien, Phil. hist. Pl. CXCVII (1921) 2 Abh. 31–47.

[٣٣] B. M. 10120 A.

[٣٤] JEA XII, 100 ff.

[٣٥] وهذه الأوراق هي: B. M. 10120 A; and B and Bibl. Nat. 216 and 217 for Which see Revillout Notice. P. 408, Reich. B.M. P. 27; and Grieffith Ryl. III P. 28.

(٢) في الورقة الثانية يعترف بأن ابنته ترثه مع أولاده السابقين واللاحقين.

(٣) وفي الورقة الثالثة تخصص المرأة نصف متاعها هي لابنها الأكبر (من زوجها الأول).

(٤) وفي الورقة الرابعة تعطي المرأة النصف الآخر من ثروتها ابنتها (من زوجها الثاني).

ومن ثم نفهم أن الوثيقة الأولى التي هي موضوع البحث ليست عقد الزواج الثاني، ولكن هي عبارة عن الاعتراف بتسلم المهر الذي دفعته المرأة من قبل عندما تم الزواج، وهذا بلا شك هو السبب في عدم ذكر عبارة: «لقد جعلت منك زوجة.» في البيان الافتتاحي الذي ورد في الوثيقة.

ومما سبق يتضح جليًّا أن عبارة: «لقد جعلت منك زوجة.» أو «لقد اتخذتك زوجة.» وهي التي يُفتتَح بها عقد كل زواج في العهد البطلمي هي التي تعد الإعلان الرسمي للزواج الذي يقرره الزوج والزوجة في بيت والد الزوجة. هذا ولما كنا نعلم أن هذا الإعلان يتم قبل إنهاء الزواج، فإنه في استطاعتنا أن نستنبط بصورة مؤكدة أن وثائق الزواج كانت في الواقع تعد السجل الرسمي الدال على الاعتراف بحدوث الزواج؛ ولا نزاع في أن مثل هذه العقود كانت ضرورية؛ لتجعل الزواج أمرًا شرعيًّا أمام القانون. هذا وليس لدينا من البراهين ما يعضد ما فرضه «إدجرتون» عندما يقول: «إن الرجل قد يكون له أطفال وُلِدوا له من المرأة قبل أن يعقد عليها رسميًّا.» حقًّا قد يكون مصيبًا في حالة واحدة وهي إذا كان قد تمَّ الاتفاق بين الرجل والمرأة بزواج عرفي دون عقد زواج رسمي، وهذا ما يحدث كثيرًا في عهدنا الحاضر، ثم إنه بعد أن رُزِق منها أولادًا وَجَد أنه لا بد من الاعتراف بهم، ومن ثَم حرَّر عقد زواج رسمي معترفًا بهم، وبخاصة إذا كان قد تزوج قبل ذلك ورزق أولادًا.

على أنه من جهة أخرى لدينا براهين عدة تبرهن على أن عقود الزواج هذه كانت تعمل في كثير من الأحوال بين أرامل كانوا قد رُزِقوا أطفالًا من زواجهم الأول، ولا أدلَّ على ذلك مما توحي به إلينا قصة «ستني» التي عدَّها «إدجرتون» يراعة مدغدغة عندما اتخذت حجة في هذا الصدد، فهي تقدم لنا أقوى دليل قاطع يبرهن على أنه لا يوجد زواج دون تحرير عقد شرعي يثبت الزواج؛ وذلك أن «ستني» عندما أراد أن يفعل فعلته المنكرة التي أرادها مع «تابوبو» نجد أنها قد أبت عليه ذلك، وطلبت إليه أن يكتب لها حجة بهبة؛ وقد لبَّى طلبها على الفور، غير أنها لم تكتف بذلك فطلبت إليه أن يأمر

أولاده بأن يوقِّعوا على هذه الحجة، ولا بد أن نذكر هنا أن القانون الذي صدر في عام ٢١ من حكم الملك العائش وقتئذٍ، وهو الذي أشير إليه في أوراق «أسيوط» الديموطيقية ينصُّ على ما يأتي: «إذا أراد إنسان أن يحرِّر حُجَّة بهبة لامرأة ويعطي عقارًا خاصًّا به لشخص آخر، وذلك دون موافقة الزوجة أو ابنها الأكبر بالتوقيع على الحجة فإن للزوجة أو لابنها الأكبر الحق في الاعتراض على الشخص الذي أُعطَى هذا العقار.»[٣٦]

ومن المحتمل أن مثل هذا القانون كان معمولًا به عند وقوع قصة «ستني»، وأن ما طلبته «تابوبو» كان خوفًا من تطبيق هذا القانون إن هي لم تتخذ هذا الاحتياط. على أن «تابوبو» لم تقف عند هذا الحدِّ، بل بالغت في مطالبها؛ إذ طلبت إلى «ستني» أن يقتل أولاده خوفًا من أن يدَّعوا بأنهم قد وقَّعوا على هذه الحُجَّة قهرًا، وبذلك يمكنهم أن يطلبوا حقوقهم منها، ومن أولادها في المستقبل.

والواقع أن الغرض من قتل أولاد «ستني» كان يرمي إلى غرض قانوني، ولم يكن المقصود منه أولًا إيقاع الضرر «بستني» كما ذكر «إدجرتون» بل كانت تريد «تابوبو» بذلك ضمان مركزها الاجتماعي بوصفها زوج «ستني»، وفي الوقت نفسه كانت تريد تأمين عقارها لأولادها من بعدها خوفًا من أولاد «ستني» الذين كانوا من زوجة أخرى.

وخلاصة القول: قد أصبح من الواضح أنه لما كانت قصة «ستني» على الرغم من أنها أسطورة فإنها مع ذلك تعكس أمامنا صورة عن العادات والإجراءات القانونية المصرية التي كانت متَّبعة في هذا العهد؛ وعلى ذلك فإنه ليس من المنطق أن نعتبرها بمثابة كابوس شنيع كما يراها «إدجرتون».

يضاف إلى ذلك أنه لا يمكننا أن نصف هذه القصة بأنها تخطَّت حدود الأدب بالمعنى الذي رآه «إدجرتون»، وبخاصة عندما نفهم أن كل أفعال «تابوبو» كانت ترمي إلى الحصول على الاحترام والمنزلة التي تليق بزواج شرعي حتى ولو أنها تُلام على استخدام شهوة «ستني» البهيمية للوصول إلى غرضها، وللحصول على عقار لأولادها.

نعود إلى سؤال سأله الأستاذ «زيدل» في هذا الصدد، وهو محقٌّ فيه كل الحق، وهو: ما هي الشروط التي يجب أن تتوافر في زواج صحيح في مصر القديمة؟ وهذا السؤال يصبح من الأهمية بمكان عندما نعلم على حسب رأي كلٍّ من «ينكر» و«إدجرتون» أن ترتيبات الزواج على ما يظهر لم تكن تشمل هذا الفرض.

[٣٦] Thompson, suit. B. Note 16, P. 13 and 32.

فيقول «إدجرتون»: إن الجواب الذي توحي به قصة «أهوري» و«نا-نفر-كا-بتاح» عن ذلك بسيط وطبيعي، والواقع أنه يتفق تمام الاتفاق مع عادات الزواج عند الأقوام الأخرى لدرجة أني لا أتردد في احتمال صحته. فنجد أن والد العروس يجعلها تُزف في حفل شعبي إلى بيت العريس ليلًا ومعها هدايا ثمينة. أما العريس فيولم وليمة عظيمة يَحضُرها المدعوون ومعهم هداياهم، وبعد الانتهاء من الوليمة يذهب العروسان إلى فراشهما سويًّا؛ وفي الوقت المناسب بعد ذلك تضع الزوجة ذكرًا، ولكن يُلحَظ أن كون الزوجة والزوج في هذه الحالة كانا أخًا وأختًا فإن ذلك لا يعتبر إلا تفصيلًا قد أضفى كثيرًا من الجمال على القصة عند مجتمع مصري، ومع ذلك فإن ذلك لا يؤثر على سير الإجراءات.

والواقع أن الزوجين كانا الولدين الوحيدين للملك، وأن زواجهما في هذه الحالة كان هو الأمل الوحيد لفلاح البيت المالك وبقائه، فقد أصبح ذلك الضمان الوحيد في أنه يجب ألا يحذف أي تفصيل من عقد الزواج، أو من المحتمل من الإدلاء به. على أن ارتباط الأخ والأخت بحب وثيق بينهما وحبهما لابنهما، لم يكن في حاجة إلى وثيقة شرعية لنقل أملاكهما لابنهما، غير أن القصَّاص الذي قصَّ قصة «ستني» يخبرنا بدقة اسم الذكر المولود حديثًا، وقد سجل اسمه في حينه في كتاب «بيت الحياة»، لم يغب عنه أن يخبر مجلسه أن والدي الطفل كانا قد تزوَّجا زواجًا شرعيًّا، والظاهر إذن أن الزواج الشرعي كان يتم إما بمجرد اعتبار الخطيبين أنفسهما أنهما زوج وزوجة أو بالاعتراف الفعلي أو الضمني أمام الجمهور بأنهما قد تزوَّجا، وأن مجرد جلوسهما معًا في وليمة الزواج يعد اعترافًا ضمنيًّا بأنهما قد تزوجا، وليس لدينا أي سبب لنفرض أنه كان يوجد هناك أية حاجة لإقامة أي حفل آخر لإتمام الزواج، ومن المحتمل جدًّا أن موافقة والِدَي العروسين وكذلك والِدَي العروسة كانت مستحبة.

ولا شك في أن «أهوري» لم يكن في مقدورها أو لم تكن ترغب في إتمام الزواج من أخيها إلا بعد حصولها على موافقة والدهما الملك، وبعد ذلك نجد أن «إدجرتون» يقول لنا: «إن رأيه هذا الذي دوَّناه هنا ليس إلا مجرد نظرية؛ لأن البراهين على صحتها لا تزال تعوزه.»

والواقع أن عدم وجود إشارة إلى وثيقة خاصة بالزواج إلا في آخر قصة «ستني» وأعني بذلك زواج «نا-نفر-كا-بتاح» من «أهوري»؛ لدليل على أن الوثائق لم تكن الحاجة ماسة إليها، والحقيقة أننا لا نكاد ننتظر في الأحوال الخاصة بزواج مصري ملكي كما

هي الحال في موضوعنا؛ أن نجد الصيغة القانونية التي كان يتطلبها الزواج من الأفراد العاديين، ويقول الأستاذ مصطفى الأمير إنه بمقتضى ما ذكرناه آنفًا من براهين قوية فإنه لا يمكن قبول نظرية كلٍّ من «ينكر» و«إدجرتون» بخصوص نظام الزواج المصري، ولا نزاع في أن الوثائق المصرية المعروفة عند علماء الديموطيقية بأنها عقود زواج كانت في الواقع ضرورية من الوجهة القانونية قبل الاعتراف بالزواج رسميًّا، وذلك حتى على الرغم من أن طبيعة هذه الوثائق كان أساسها المنفعة،[٣٧] فإن المهم فيها كان القانون الخاص بتنظيم ملكية الزوجة وأولادها والمحافظة على جهازها، وعلى أية حال يقترح الأستاذ «زيدل» أن قوانين الزواج هذه كان من تأثيرها أن تبرز العلاقة الزوجية إلى حيز الوجود، ثم استخلص أن الفحوى النفعية المحضة لهذه الاتفاقات الزوجية من الممكن أن تكون بالضبط هي ما يكوِّن الزواج في القانون المصري.

(٣-٢) الطلاق

هذا ما كان من أمر الزواج، أما موضوع الطلاق فتدل شواهد الأحوال على أنه كان نادرًا جدًّا، وهذا أمر طبيعي؛ لأنه بعد تكوين الأسرة وكثرة الأولاد كان من العسير والصعب تفكيك عُرَى الأسرة، والواقع أن ما وصل إلينا من عقود طلاق من العهد البطلمي وما قبله في مدة خمسة قرون (٥٢٠–١٠٠ق.م) عشرة عقود مُحرَّرة بالديموطيقية، وقد ذكر لنا منها الأثري «ريخ» تسع وثائق،[٣٨] هذا وتوجد وثيقة أخرى محفوظة بمتحف تورين ذكرها الأستاذ مصطفى الأمير في كتابه: «سجل أسرة من طيبة»،[٣٩] وربما كان من الأسباب التي منعت حدوث الطلاق الغرامة الباهظة التي كانت توقع على الزوج إذا جاء الطلاق من جانبه.

والصيغة التي تُفتتَح بها أقدم وثيقة طلاق مؤرخة بعام ٥٤٢ق.م؛ حيث يقول الزوج لمطلقته: «لقد سرحتك بوصفك زوجة من اليوم.» وفي العهد الفارسي نجد الصيغة واحدة تقريبًا كالسابقة، والواقع أن كل وثائق الطلاق تكاد تكون موحدة في تعبيراتها، ومختصرة جدًّا، ويأتي بعد الصيغة السابقة العبارة التالية: «اتخذي لنفسك زوجًا آخر.»

---

[٣٧] Edgerton Ibid. PP. 3–4.

[٣٨] Mizraim I, 136.

[٣٩] Mustafa El Amir Ibid. P. 161.

وعلى أية حال لم نجد في العقود الديموطيقية ما يدل على أن الرجل كان عليه أن ينفق على زوجه إذا طلقها وهي حامل، وإن كنا قد وجدنا ذلك في العقود الإغريقية كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق في هذا الفصل، وعلى أية حال فإن الغرامة التي كان يدفعها الزوج عند الطلاق محددة كما ذكرنا فيما سبق، غير أنها كانت باهظة مما جعل أمر الطلاق عند الرجال من الأمور غير المرغوب فيها، وقد كان من السهل على الزوج أن يهجر زوجه، أو يتزوج من أخرى عن أن يطلقها؛ وذلك لأن الزواج كان صداقه في العادة دبنًا واحدًا من الفضة في حين أن غرامة الطلاق كانت خمسة أو عشرة أمثال هذه القيمة، بل كانت أحيانًا أكثر من ذلك، ولعل فداحة الغرامة يرجع أحيانًا إلى أن المرأة تكون حاملًا، وعليها أن تربي ابنها بعد الوضع.

ومما تجدر ملاحظته أن الشهود الذين كان لا بد منهم في وثائق الطلاق أربعة، ومن الغريب أننا لم نجد في أية وثيقة من وثائق الطلاق العشر التي عُثِر عليها حتى الآن أية إشارة تشير إلى سبب الطلاق؛ وعلى أية حال فإن السبب أو الأسباب هي التي ذُكِرَت في عقود الزواج وهي الزنا أو العقم أو عاهة تشوه الوجه.

وقد وجدنا في حالة واحدة في وثيقة طلاق أن الزوج يقول لزوجته في البيان الأخير في العقد العبارة التالية: «لقد أرضيتني بعقد زواجك بالأطفال الذين وضعتيهم لي.» ومن المحتمل أن هذا الطلاق كان يشمل في طياته أنه كان زواجًا مؤقتًا، وأن المقصود منه أن الرجل كان يرغب في أن يولد له أطفال وحسب، وبعد أن أنجبت له زوجه أطفالًا تخلَّى عنها،[٤٠] ومن المحتمل أن هذا الرجل كان له زوجة أخرى ولكنها عقيم، وهذه الظاهرة نشاهدها حتى الآن في كل أنحاء القطر. هذه عجالة عن الزواج والطلاق في مصر، وقد كتب عن هذا الموضوع الكثير من العلماء.[٤١]

[٤٠] Edgerton Ibid. P. 10.

[٤١] راجع ما كُتِب عن الزواج والطلاق في مصر البطلمية من الوجهتين الإغريقية والمصرية: The Law of Greco-Roman Egypt in the Light of Papyri 332–460 A.D. by Raphael Taubenschlag. Second Edition PP. 101–130; A Further Category of Demotic Settlement by Erichsin and Nims: Acta Orientalia. Vol. XXIII, 1-2.

تاريخ بلاد كوش من أول عهد الإسكندر حتى نهاية عهد بطليموس الرابع

مقدمة

وصل بنا المطاف في فحص تاريخ ملوك كوش والأحداث التي وقعت في عهدهم، وما تركوه لنا من آثار إلى مدة حكم الملك «نستاسن» الذي يعد حسب الترتيب التأريخي لملوك هذه البلاد السادس والعشرين، وقد ذكرنا في الجزء الثالث عشر من مصر القديمة أنه في أواخر أيام حكم هذا الملك وقعت بينه وبين فاتح من الشمال واقعة، وذلك عندما سار هذا الفاتح بأسطوله النيلي نحو بلاد النوبة، واستولى على جزء من بلاد النوبة السفلى أو الوسطى على ما يُظَن.

«خبباشا» وحربه مع «نستاسن»

وقد ترك لنا «نستاسن» لوحة جاء فيها ذكر حروبه، وقد تحدَّثنا عنها من قبل.[1] غير أن حوادث الحروب، وما جاء فيها من شخصيات كانت لا تزال غامضة إلى عهد قريب جدًّا يحيط قراءتها الشك والإبهام، ولا أدلَّ على ذلك من اسم الفاتح الشمالي الذي حارب «نستاسن» فقد كان يُقرَأ بلفظة «كامباسودون» وقد ذهب الخيال والتخمين في تفسيره وكُنْهه كل مذهب لحد أن بعض المؤرخين قال عنه: إنه الملك «قمبيز» ملك الفرس،

[1] راجع مصر القديمة الجزء ١٣.

وهذا القول بطبيعة الحال ضرب من المحال؛ لأن قمبيز فتح مصر حوالي عام ٥٢٥ق.م ونستانس عاش في النصف الثاني من القرن الرابع. هذا وقد طالعنا أخيرًا الأستاذ «هنتسه»[٢] ببحث طريف بما له من خبرة في اللغة المروية أثبت فيه أن قراءة كلمة «كامباسودن» الصحيحة هي «خبباشا» آخر الملوك المصريين الوطنيين الذين حكموا مصر.

على أن الشيء غير المؤكد هو أننا لا نعرف إذا كانت الواقعة التي وقعت بين «نستاسن» وبين «خبباشا» كانت قبل فتحه لبلاد مصر، وطرد الفرس، أو بعد ذلك الحادث، والواقع أن كلا الفرضين محتمل؛ فإذا جعلنا التأريخ الذي وضعه الأثري «ريزنر» للملك «نستاسن» يرجع إلى الوراء عشرة أو خمسة عشر عامًا فإنه يمكن أن نسلِّم بأن «خبباشا» الذي يُنسَب إلى سكان بلاد النوبة السفلى، قد سعى أولًا إلى نشر سلطانه على بلاد الجنوب أي بلاد النوبة، لأجل أن تكون حماية لظهره عند قيامه بالاستيلاء على مصر وطرد الفرس منها.

وتدل الظواهر على أن الملك «نستاسن» قد ردَّ هذا المغير على أعقابه، غير أنه لم يُهزَم بأية حال من الأحوال، وعلى ذلك قام «خبباشا» بغزو مصر واستولى عليها، ولا نزاع في أن سلطانه على أرض الكنانة لم يمكث أكثر من ثلاث سنوات. فإذا أخذنا بصحة التاريخ الذي وضعه «ريزنر» للملك «نستاسن»، فلا بد أن نسلِّم أن «خبباشا» بعد طرده من مصر عمل على مد سلطانه نحو الجنوب، وبذلك يكون «نستاسن» قد حكم من حوالي ٣٣٥–٣١٥ق.م أو بعد ذلك بقليل (وذلك بدلًا من ٣٢٨–٣٠٨ق.م) وهو التاريخ الذي وضعه «ريزنر» لحكم نستاسن، وعلى أية حال فإن هذا التقدير الذي وضعه «هنتسه» يقْرُب كثيرًا من الذي وضعه «ريزنر» وعلى ذلك يستحق الأخذ به.

---

[٢] Fritz Hintze. Studien zur Meroitischen Chronologie und zu den opertafeln aus den Pyramiden Von Meroe (Berlin 1959). P. 17ff.

الفصل التاسع عشر

البحوث الجديدة في ترتيب ملوك كوش

مقدمة

كان أول من وضع الأسس الأولى لترتيب ملوك «كوش» من الوجهة الأثرية والتاريخية هو الأستاذ «ريزنر» وظلت مأخوذًا بها إلى أن طالعنا الأثري «دوس دنهام» في المجلد الرابع[١] عن جبَّانات «كوش» الملكية، وقد درس فيها موضوع ترتيب ملوك «كوش» وتواريخها؛ فأدخل بعض التعديلات على الأساس الذي وضعه «ريزنر»، وقد حدَّد فيها مدة حكم الملك «نستاسن» من (٣٥٥–٣٣٧ق.م) ثم جاء بعد ذلك الأستاذ «هنتسه» وفحص موضوع ترتيب هؤلاء الملوك، وعارض «دوس دنهام» في بعض آرائه؛ مما حدا بنا إلى فحص تواريخ هؤلاء الملوك قبل أن نتحدث عن تاريخ كلٍّ منهم وأعماله في الفترة التي نبحث فيها، وهي من أول حكم الإسكندر حتى نهاية عهد الملك «بطليموس الرابع فيلوباتور».

وأهم الأسس لفحص تواريخ العصر المروي الذي نحن بصدده ما يأتي:

أولًا: سلسلة مُدَدِ حكم تسعة الملوك الذين حكموا في «نباتا» وتبتدئ هذه السلسة بالملك «كشتا» وتُختَم بالملك «أنلاماني» Anlamani، ويمكن القول عن هؤلاء الملوك بحق أن تواريخهم ومُدَد حكمهم مؤكدة إلى حدٍّ بعيد.

ثانيًا: ليس لدينا حتى الآن إلا روابط قليلة تثبت وجود اتصال بين حكام «نباتا» و«مروي» حتى نهاية الدولة المروية.

---

[١] Dows Dunhum Royal Cemetries of Kush. Vol. IV 1957.

والنتائج التي وصلت إليها البحوث الدقيقة التي يمكن الاعتماد عليها هي:

أولًا: الملك «أسبالتا» (٥٩٣–٥٦٨) وهذا الملك كان معاصرًا — كما ذكرنا ذلك من قبل (انظر الجزء الثاني من هذه الموسوعة) — للملك «بسمتيك الثاني» الذي قام بحملة على بلاد النوبة عام ٥٩١ق.م في السنة الثالثة من حكمه التي تقابل السنة الثانية من عهد الملك «أسبالتا» الكوشي.

ثانيًا: الملك «أرجامنز»[٢] الذي حكم من عام ٢٤٨–٢٢٠ق.م وقد أرَّخه «ريزنر» من ٢٢٥–٢٠٠ق.م والظاهر أن «دنهام» كان متأثرًا عند وضعه التاريخ الأول بما كتبه المؤرخ بيفان في تاريخه عن عهد البطالمة، فقد ذكر أن «أرجامنز» كان معاصرًا لكلٍّ من «بطليموس الثاني» والثالث والرابع، ومن ثَم فإن تاريخ حكم هذا الملك من ٢٤٨–٢٢٠ق.م يتفق مع ذلك.

ثالثًا: الملك «تقريد أماني» Tegerideamani الذي حكم من ٢٤٦–٢٦٦ ميلادية، وهذا التاريخ قد أكدت صحته نقوش ديموطيقية في فيلة.[٣]

وهذه التواريخ على الرغم من قلتها فإنها أكيدة لا شك فيها، وتعد في نظر المؤرخ الإطار ونُقَط الارتكاز لدرس مُدَد حكم الملوك المرويين.

والنُّقَط التي يمكن أن يعتمد عليها، وتساعد على الوصول إلى ترتيب هؤلاء الملوك، ومدد حكمهم هي:

أولًا: سلسلة الملوك المتتابعين، وقد أمكن ضبط هذه السلسلة بما تمَّ من فحص دقيق أُجرِي في أهرام «نوري»، و«برقل» و«مروي».

وقد قام بهذا البحث العظيم «ريزنر»، والواقع أن عملية التتابع التي قام بوضعها «ريزنر» بربط مجاميع الأهرامات السالفة الذكر ببعضها بعضًا من حيث الزمن يعد حتى الآن صحيحًا إلى درجة كبيرة. في حين أن ما اقترحه عن تتابع هذه الأهرام من حيث مُدَد حكم الملوك الذين دُفِنوا في هذه المجاميع لم يكن دائمًا صحيحًا تمامًا.

مدة الحكم: لقد قُدِّرت مُدَد حكم هؤلاء الحكام أو الملوك على حسب عظمة كل هرم، وما احتواه من أثاث وودائع.

---

[٢] Dunhom: R.C.K. IV P. 3; Bevan. A History of Egypt. The Ptolemaic Dynastie. P. 243–5.

[٣] Dunham. R.C.K. IV.

وقد وضع «ريزنر» بعد درس كل ما جمع من مادة من هذه الأهرام؛ قائمة بتواريخ الملوك الذين أقاموا هذه الأهرام، وقد وصل إلى نتيجة تعد في بابها مدهشة، وقد قام بعده «أركل»[٤] بإدخال بعض تغييرات في الأسس التي وضعها «ريزنر»، وذلك في كتابه الذي وضعه عن السودان، وقد أفاد كثيرًا فيما كتبه بما نقله عن الأثري «ماكادام».

والواقع أنه بعد التحديد الجديد لتاريخ العهد الذي عاش فيه الملك «أرجامنز» والملك «تقريد أماني» أصبح من الضروري أن نحدِّد تاريخًا لكل ملك، والخلاف في العصر الأول من بداية حكم «أسبالتا» حتى عهد الملك «أرجامنز» حيث يبلغ الفرق فقط عشرين عامًا، يعتبر نسبة ضئيلة، غير أنه حدث انحراف هذا التقدير عندما أضاف الأثري «دنهام»[٥] إلى مجموعة أهرام «نوري» ملكًا يُدعَى «أمانيباخي» Amanibakhi.

وسبب ذلك أنه عثر لهذا الملك على لوحة ومائدة قربان في هرم «نوري» رقم ١٠٠، وقد تحدث «دنهام» عن ذلك فقال: «لم يوجد قبر في «نوري» يمكن أن يُنسَب إليه هذان الأثران، وإنه لمن المتعذر تفسير وجودهما في هذه البقعة بالذات اللهم إلا إذا كان الغرض منهما لإمداد مقصورة جنازية كانت موجودة فعلًا، ثم اختفت تمامًا، على أنه من أسلوب نقوشهما المنحط أَوَدُّ أن أؤرخ هذا الملك بوضعه في نهاية سلسلة ملوك هذه المجموعة، وقد وضعته مؤقتًا بعد الملك «نستاسن» مباشرة.» وقد جعل «دنهام» مدة حكم هذا الملك خمسة عشر عامًا، وقد كان نتيجة ذلك أن جعل عام ٣٣٧ق.م نهاية مدة حكم «نستاسن» وهذا لا يتفق مع التاريخ الذي وضعه «هنتسه» للملك «نستاسن» وهو (٣٣٦–٣١٥ق.م) كما ذكرنا من قبل، وعلى أية حال نناقش هنا التغيرين اللذين أحدثهما «دنهام»:

أولًا: نجد أن الملك «أمانيباخي» الذي وضعه بعد «نستاسن» لم يذكره الأخير في لوحته المؤرخة بالسنة الثامنة من حكمه بأنه خلفه المباشر، ولكن في الوقت نفسه ليس لدينا أي سبب يبرهن على أن «أمانيباخي» لم يحكم قبل «نستاسن».

[٤] Arkell. A History of the Sudna to 1821. P. 157 ff.

[٥] Dunham. R.C.K. II 271–272 fig. 213. S.P. 6.

ثانيًا: ذكر لنا «ريزنر» أن الملك الذي أقام الهرم رقم ١١ «بجبل برقل»[٦] هو أول ملوك الأسرة المروية في «نباتا» وأنه حكم من عام ٣٠٨–٢٨٣ق.م وعلى ذلك فإن بعد تنصيبه عام ٣٠٨ مات «نستانس»، وحكم الملك «أراكاكاماني» Araqaqamani من ٣٠٠–٢٨ق.م.

وعلى أية حال سنحاول فيما يلي، بعد هذه المقدمة، أن نورد نظرية «دنهام» ثم نضع قائمة بأسماء ملوك السودان، ومدة حكم كل منهم من أول عهد «أسبالتا» حتى عهد «أرجامنز» على حسب ما اقترحه كل من «ريزنر» و«دنهام» و«هنتسه»، والتواريخ التي وضعها «دنهام» تختلف عن التي ذكرناها في الجزأين ١٢ و١٣ من مصر القديمة كما تختلف تواريخ «دنهام» بعض الشيء عن التي وضعها «هنتسه» الذي جاء باقتراحات جديدة نوَّهنا عنها.

بحث في الملوك الذين دُفِنو في «مروي» وترتيبهم على حسب رأي «دوس نهام»

تعد مقابر الملوك الذين دفنوا في هذه المنطقة البقية الباقية لدينا التي تُحدِّثنا عن تاريخ ملوك الفترة التي نحن بصددها، وهذه المقابر موجودة في جبل «برقل» وتنقسم مجموعتين؛ الأولى: عددها ثمانية، والأخرى: سبعة عشر هرمًا، وتقع جنوبي وغربي الجبل المقدس (أي جبل برقل)، منها ثمانية أهرام تقع عند حافة الجبَّانة الجنوبية في «مروي»،[٧] وهناك هرم خارج حدودها،[٨] أما الجبَّانة الشمالية فكلها في «مروي».[٩]

ومما تجدر ملاحظته هنا أن التواريخ — التي وضعت عن ملوك كوش في المؤلفات التي كُتِبت قد ظهرت في مجموعة الكتب التي تسمى: الجبانات الملكية «لبلاد كوش»،[١٠] وكانت نتيجة أعمال الحفر التي قام بها «ريزنر» — قد تغيرت بعض الشيء على ضوء

[٦] Dunham RCKN, 2. n. 1.

[٧] Beg. S. 1–6, 9, 10.

[٨] Beg. S. 503; R.C.K. I. P. 7.

[٩] R.C.K. I. P. 7; Beg. N. 1–57.

[١٠] The Royal Cemeteries of Kush.

دراسات جديدة منذ نَشْرِها عام ١٩٥٢ حتى ١٩٥٦، وسنحاول هنا تصحيح التواريخ التي أوردناها في الأجزاء السابقة من «مصر القديمة» على حسب هذه التصحيحات، وبخاصة ما نشره حديثًا الأستاذ «هنتسه».

وأول ما يلفت النظر في هذا الصدد أن الأهرام الملكية التي أقيمت في جبل «برقل» و«مروي» كان نصيبها النهب التام كالأهرام التي أقيمت في جبَّانة «نوري»؛ فكان اللصوص يقتحمون الحجرات المنحوتة في الصخر تحت الأرض، كما فعلوا في أهرام «نوري» من قبل، وكان اللصوص يتوصلون إلى ذلك بحفر جحر في نهاية السلم الغربية المقطوع في الصخر الذي كدس عليه الرديم إلى أن يصلوا إلى الباب المسدود عند قاعدته. فكانوا يقطعون ما يكفي لدخول رَجُل، وغالبًا ما كانوا يعجزون عن القيام بعمل حفرة توصلهم إلى الأرضية الأصلية للفضاء الواقع خارج سدادة الباب، وقد وجدت في عدد من الحالات الوديعة التي كانت توضع عادة في هذا المكان عند الدفن سليمة. هذا ولدينا في حالةٍ واحدة البرهانُ الذي يدل على أن نَهْب الهرم قد حدث بعد مضي جيل واحد من وقت الدفن،[١١] وقد نُهِب أثناء إقامة الهرم رقم ١١[١٢] بالبجراوية. هذا ولم يتضح — في حالات أخرى لدينا — الوقت الذي نهب فيه اللصوص حجرة الدفن، أو إذا كان النهب قد حدث أكثر من مرة كما كان جائزًا؛ ففي جبَّانة «نوري» كان واضحًا حدوث نهب على نطاق واسع في العهود القبطية، كما يدل على ذلك كميات قطع الفخار التي من طراز هذا العهد، فقد وجدت من بقايا ما نهبه اللصوص؛ وهذه الحالة لم نجدها في جبَّانة «مروي».

التأريخ: من المفهوم أن الترتيب التاريخي للمقابر الملكية في جبَّانتَيِ «الكرو» و«نوري»، وهما اللتان نشرهما «دوس دنهام» في مجلدين، كان على أساس الدرس الذي قام به «ريزنر»، وقد لخصه في مجلة الآثار المصرية،[١٣] وقد كان هذا الدرس خاصًّا بالملكة النباتية الأثيوبية، والمعتقد أنه في جملته صحيح، ويميل «دنهام» إلى وضع ملك

[١١] .Beg. N. 12

[١٢] .Beg. N. II; Royal Tombs at Meroe anfd Barkal 74

[١٣] .JEA 9 (1923) P. 75

بعينه في آخر مجموعة أهرام «نوري» كما نوَّهنا عن ذلك من قبل؛ وذلك أنه وجد في هرم «نوري» رقم ١٠٠ لوحة جنازية رقم ١ ومائدة قربان تحمل رقم ٦، وكل منها مصنوع من الجرانيت، وقد نُقِش على كلٍّ من هذين الأثرين اسم «أمانيباخي».

ونُقِش على اللوحة الجنازية هذا الاسم في داخل طغراء.[١٤] هذا ولم يكن في المنطقة أي قبر يمكن نسبة هذين الأثرين له، فوضعه «دنهام» بعد «نستاسن» كما شرحنا ذلك من قبل، وقد اختلف معه الأستاذ «هنتسه» في هذا الرأي.

وعلى أية حال يعتقد «دوس دنهام» أن ترتيب المقابر الذي اقترحه «ريزنر» للعصر المروي[١٥] يعد في جملته صحيحًا، وإن كان يحتاج إلى بعض تغييرات على ضوء الأبحاث التي كانت قد عُمِلت في الأعوام التي تلت عام ١٩٢٣.

وقد اتبع «ريزنر» نقاطًا خاصة في تتابع أسماء الملوك التي يمكن أن تكون لها علاقة بتواريخ معروفة من قبل، وجعلها أساسًا للتواريخ التي قدَّرها للملوك الباقية، وهذه التقديرات التي يقول عنها إنها تعد رأيه الشخصي قد جعل أساسها على متوسط طول حكم واحد من الملوك بين نقطتين معينتين؛ فكانت هذه التقديرات تعلو أو تنخفض على حسب ما نعرفه من أهمية البيانات التي تُعرَف عن الملك مثل حجم قبره وقيمة الودائع التي وُجِدت معه، هذا إلى عوامل أخرى فنية وجنازية.

وإذا حذفنا ملوك كوش المبكرين الذين حُدِّدت تواريخهم بصورة دقيقة (لا خلاف فيها بين الأثريِّين أكثر من سنة أو سنتين) نجد أن «دوس دنهام» قد أكد أن الملك «أسبالتا» الذي دُفِن في هرم «نوري» رقم ٨، كان على قيد الحياة في وقت غزو «بسمتيك الثاني» لبلاد النوبة عام ٥٩١ق.م؛ وذلك لأن تهشيم التماثيل الملكية في معبد «آمون» الكبير بجبل برقل على يد «بسمتيك الثاني» هذا؛ كان من ضمنها تماثيل «أسبالتا» ومن سبقه، هذا مع العلم بأنه لم توجد تماثيل مهشَّمة لأخلافه.[١٦]

---

١٤ R.C.K. II. PP. 271–272. Fig. 213.

١٥ Ibid. PP. 72, 76.

١٦ Macadam Wawa II 240–242.

وهذا يتفق مع التاريخ الذي وضعه «ريزنر» لبداية حكم «أسبالتا» وهو ٥٩٣ق.م والنقطة الثانية التي ارتكز عليها «ريزنر» في تأريخه لهؤلاء الملوك هي عهد «أرجامنز»،[١٧] وقد جعل حكمه ما بين عام ٢٢٥–٢٠٠ق.م أي إنه كان معاصرًا للملك «بطليموس الرابع فيلوباتور»، والظاهر أنه قد أساء ترجمة بيان «ديدور» بقوله: إن «أرجامنز» هذا كان قد تلقى تعليمه في بلاط «بطليموس الثاني»، وتدل شواهد الأحوال — على أية حال — على أنه يوجد برهان قيِّم يدل على أن «أرجامنز» كان يحكم بلاد السودان في فترة من عهد «بطليموس الثاني» وفي فترة من عهد «بطليموس الرابع»، وفي ذلك يقول «بيفان»: إن أسرة «نباتا» الأثيوبية قد انقرضت عندما وحَّدَها — ثانية تحت حكمه — ملك «مروي أرقاماني» Arkamani الذي يسميه الإغريق «أرجامنز» وقد قال «ريزنر»: إن ذلك قد حدث حوالي عام ٢٢٥ق.م وإن كان ذلك من الجائز يرجع إلى عام ٢٤٠ق.م، ويقول «ديدور»: إن الانقلاب الذي قام به «أرجامنز» وقع في عهد «بطليموس الثاني»، وهذا البيان كان موضع تساؤل بسبب أن «أرجامنز» يظهر على الآثار بوصفه معاصرًا للملك «بطليموس الرابع فيلوباتور»، غير أن ذلك الخبر بنفسه لا يمكن أن يمنع إمكان وقوع الانقلاب الذي قام به منذ عام ٢٥٠ق.م؛ وذلك في عهد «بطليموس الثاني» كما يظن ذلك الأثري «جرفث»، وعلى أية حال فإنه منذ البحوث الأثرية التي قامت مؤخرًا في «مروي»،[١٨] فإنه قد أصبح من الصعب أن نوفِّق بين هذا التأريخ المبكر بالعهود الأخرى التي توضع بين عام ٣٠٨ وعهد «أرجامنز» والفقرة التي كتبها «ديدور» عن «أرجامنز» وهي: «في الأزمان السالفة (في أثيوبيا) كان الملوك تحت سلطان الكهنة، ولم يكن ذلك بوساطة قوة مادية، ولكن لأن عقولهم كانت قد حطَّمتها الخرافة، وفي عهد «بطليموس الثاني»، كان ملك الأثيوبيين «أرجامنز» الذي كان عنده بعض مسحة من التربية الهيلانية، وكان قد درس الفلسفة؛ هو أول من كانت عنده الشجاعة ليستخف بالأمر، وذلك بأنه عَمَلًا بالروح التي تتفق مع مركزه الملكي ذهب مع جماعة من جنوده إلى المكان المقدس؛ حيث كان محراب الأثيوبيين المقدس، وقضى على كل الكهنة بالسيف، ولما قضى بهذه الكيفية على العادة القديمة، حكم منذ ذلك العهد على حسب ما يراه.»[١٩]

[١٧] Beg. N. 7.

[١٨] Meroitic Inscriptions Part II P. 24.

[١٩] JEA. II. 9. 77.

ومما سبق نفهم أن «ديدور» لم يقل إن «أرجامنز» قد تعلم في بلاط «بطليموس الثاني»،[٢٠] كما ظن ذلك «ريزنر» خطأ، وذلك باتباعه ما قاله «مهفي»، والواقع أن «ديدور» لم يقل حتى إن «أرجامنز» قد زار مصر، وإن كان من المحتمل أنه قد قام بزيارتها، ولا شك أن كثيرًا من المعلمين الإغريق كانوا قد أغروا على الذهاب مصعدين في النيل حتى «مروي» لتعليم ملك أو ابن ملك.

والواقع أننا قد سمعنا عن أديب إغريقي يُدعَى «سيمونيديس» Simonides[٢١] أنه عاش في «مروي» مدة خمسة أعوام، وألف كتابًا عن «أثيوبيا». هذا ونعلم أن ملكًا من ملوك الهند في هذه الفترة طلب أن يُرسلَ إليه فيلسوف إغريقي سفسطائي، ولا شك في أنه من الأمور التي تسترعي النظر أن توجد رغبة في البلاط الفرعوني الأثيوبي في تعلُّم حكمة الإغريق، غير أن ذلك كان هو المنتظر؛ إذ الواقع أن هذه الثقافة التي أخذت تسيطر حديثًا على أراضي البحر الأبيض المتوسط، وعلى أراضي الإمبراطورية الفارسية القديمة قد أحرزت نفوذًا في العالم مما جعل من الأمور التي لا مفر منها أن يصبح الملوك والشعوب التي حول دائرتها في شغف ليعرفوا كُنْهها، ولا شك في أن بلاطًا فاخرًا مثل بلاط «بطليموس الثاني» قد أصبح يماثل ما كانت الحال عليه في بلاط «لويس الرابع عشر» وملوك أوروبا المعاصرين له، ولقد كان من الصعب ألا تتأثر الممالك المجاورة لمصر بالحضارة الهيلانستيكية التي كانت قائمة في مصر وقتئذٍ، ومن ثَم نجد أن التفكير العقلي الهيلانستيكي قد وجد سبيله إلى «مروي» فغير من أفكار الفرعون هناك الذي كان يُعَد لعبة في أيدي الكهنة الذين كانوا تحت سيطرة العادات الدينية، وأخذ يتحرَّر من هذه القيود ويصبح ملكًا حرًّا حكيمًا مثل أي ملك من الملوك الهيلانستيكيين.

ومع ذلك فإنه وإن كان «أرجامنز» قد شغف بالفلسفة الإغريقية، فإن البلاط والبلاد — إذا ما حكمنا بما بقي لنا من آثار باقية — قد استمرت محافظة على الظواهر الفرعونية.

ولا أدلَّ على ذلك من أن المعبد الذي أقامه «أرجامنز» في «الدكة» قد أقيم على أسس مصرية بحتة، وكذلك نجد أنه عندما فارق الحياة ثَوَتْ موميته في هرم بالقرب من

[٢٠] Diod III. 6.

[٢١] Plin. VI, P. 183.

«مروي» وزُيِّنت حجرة دفنه بمناظر من «كتاب الموتى» على حسب الشعائر المصرية، ولقد لوحظ أن الكتابة الهيروغليفية التي نُقشت من أجل «أرجامنز» كانت من طراز جيد. على أن كل ذلك لا يقلل من قيمة القصة التي تقول عنه إنه كان صاحب آراء إغريقية؛ فقد كان مثله في ذلك مثل ملوك البطالمة أنفسهم.

ومما لا شك فيه — كما لاحظ «ريزنر» — أن «أرجامنز» كان يحكم بلاد النوبة في بعض فترة من حكم «بطليموس الرابع»، والآن نجد أن المؤرخ «سكيت» يؤرخ عصر «بطليموس الأول» من ٢٨٥–٢٤٦ق.م و«بطليموس الرابع» من ٢٢١–٢٠٥ق.م على أن اعتراض «ريزنر» على تأريخ مبكر كهذا — أي إنه يوجد عدد كبير أكثر مما يجب من الملوك يمكن وضعهم بين «نستاسن» وبين «أرجامنز» — يرتكز على تأريخه للملك الأول، وهو في الواقع تأريخ متأخر كما سنرى بعدُ.

ونقطة الارتكاز الأخيرة التي اعتمد عليها «ريزنر» في تأريخه أساسها سوءُ فهْمٍ يمكن إصلاحه، وذلك أنه وحَّد اسم «مانيتارقيز» Manitarqizc الذي دُفِن في البجراوية الشمالية في الهرم رقم ٦ باسم «تقرمن» Tqrrmn الذي جاء اسمه على نقش جرافيتي بالفيلة رقم ٤١٦، وهو الذي يؤرخ بعام ٢٥٣ق.م[٢٢] وعلى ذلك جعل تاريخ المقبرة رقم ٣٦ من ٢٥٠–٢٧٠ ميلادية، ونحن نعلم الآن أن هذا الاسم مشكوك في قراءته في الفيلة، ويجب أن يُقرَأ «تقرريد أماني»، وهذا الاسم يمكن نسبته الآن، دون شك، للهرم رقم ٢٨ الواقع في الجبَّانة الشمالية بالبجراوية؛ حيث وجد اسمه هناك بالهيروغليفية على جدران المقصورة، وبالخط المختصر على مائدة قربان وجدت في المقصورة، وعلى ذلك فإن المقبرة ٢٨ بالجبَّانة الشمالية يجب أن توضع في تاريخ متأخر بدرجة كبيرة أكثر مما ظن «ريزنر»، وعند فحص المبنى رقم ٢٨ الذي في الجبَّانة الشمالية .Ibid بالنسبة للمصورين ١ و٢ الذي وضعهما «دوس دنهام» في كتابه الأخير يتضح أن كل عنصر عند تحليله يتفق مع آخر مجموعة (في تأريخ «ريزنر» ٥٥–٥٦)؛ وقد وضع «ريزنر» الهرم رقم ٢٨ الذي في الجبَّانة الشمالية في التأريخ التتابعي (٥٤)؛ وذلك لأنه عدَّ السلم الذي أمام الهرم في أقدم مجموعة تنتهي عند هذا التاريخ، ولكن عند فحص التصميم اتضح أن السلم في حين أنه أمام الهرم نفسه فإنه يقع تحت الطَّوار الذي أقيمت عليه

[٢٢] .Griffith Catalogue of Demotic Graffiti of the Dodecaschoenus. Vol. I text

ردهة المقصورة، ومن ثَم فإن السلم والحجرات، لا بد، كانت قد حُفِرت قبل أن يتم البناء العلوي، وعلى ذلك يجب أن يوضع في المجموعة المتأخرة.

ومهما يكن من أمر فإن موضوع توحيد هذا الهرم بملك يمكن تأريخه يجبرنا على أن نضع الهرم رقم ٢٨ الواقع في الجبَّانة الشمالية في زمن متأخر عن السلم أكثر مما ظنه «ريزنر». أما إذا تركناه في تاريخه المبكر، فإن ذلك يقدم لنا ثلاثة عشر قبرًا لنعمل حسابها تلي عام ٢٥٢م؛ وإذا فرضنا أن نهاية الدفن في الجبَّانة الشمالية لا يكاد يكون متأخرًا عن تاريخ نقش «أزانا» (حوالي مائة عام بعد ذلك) فإن ذلك لا يسمح لنا بألا نقدر متوسط عمر لهؤلاء الملوك إلا بأقل من ثمانية سنين، وهذا يظهر غير محتمل جدًّا، والواقع أن تاريخ الملك «تقريد أماني» يمكن تحديده بدقة من نقوش الفيلة كما نوَّهنا عن ذلك من قبل؛ وذلك أن نَقْش فيلة رقم ٤١٦ يقص علينا كيف أن ملك «مروي» و«تقرمن» أرسل عمالًا إلى فيلة في عام ٢٥٣م ويُفهَم من المتن أنه كان فعلًا قبل ذلك بسنة أو ما يقرب من ذلك، وكذلك يذكر هذا النقش ابنه «أبراتوي» Abratoi الذي خلَّف لنا بدروه نقشًا بالإغريقية في فيلة في عام ٢٥١م عندما حضر هناك ثانية ليمثل والده، وهذا يوحي أن «تقريد أماني» كان ملكًا ما بين عامي ٢٥١ و٢٦٠م على أقل تقدير. هذا ولما كان نقش الفيلة رقم ٦٨ كان قد كتب حوالي ٢٦٥–٢٦٦م على ما يظهر؛ قد أرخ بالسنة العشرين من حكم ملك «مروي» لم يذكر اسمه، ومن ثَم فإن هذه النقوش توحي كثيرًا أن «تقريد أماني» قد حكم على أقل تقدير من عام ٢٤٦ إلى ٢٦٦م.

وعلى هذا الأساس نجد أن القائمة التي نشرها «ريزنر» في عام ١٩٢٣ كان متوسط طول حكم الملك في خلال سلسلة ملوك كوش كالآتي:

الملك «كاشتا» ٧٥٠ق.م إلى الملك «أنلاماني» ٥٩٣ق.م: ٩ ملوك، متوسط طول كل حكم ١٧٫٣ سنة.

الملك «أسبالتا» ٥٩٣ق.م إلى الملك «أرجامنز» ٢٠٠ق.م: ٢٤ ملكًا، متوسط طول كل حكم ١٦٫٤ سنة.

الملك «أرجامنز» ٢٢٥ق.م إلى الملك «تقريد أماني» ٢٧٠ق.م: ٢٩ ملكًا، متوسط طول كل حكم ١٧ سنة.

ولكن على حسب التغيير الجديد في تاريخ «أرجامنز» ووضع «تقريد أماني» (الهرم رقم ٢٨) مكان «تقريد أماني» (الهرم ٣٦ الجبَّانة الشمالية) فإن متوسط مُدَد الحكم تكون كالآتي:

الملك «كاشتا» ٧٥٠ق.م إلى «أنلاماني» ٥٩٣ق.م: ٩ ملوك، متوسط سني الحكم ١٧,٣ سنة.
الملك «أسبالتا» ٥٩٣ق.م إلى «أرجامنز» ٢٢٠ق.م: ٢٤ ملكًا، متوسط سني الحكم ١٥,٥ سنة.
الملك «أرجامنز» ٢٤٨ق.م إلى «تقريد أماني» ٢٦٦ق.م: ٢٩ ملكًا، متوسط سني الحكم ١٧ سنة.

والواقع أن الصورة التي تمثلها هذه الأرقام تظهر غير مقبولة أصلًا. أما عن ملوك «نباتا» المبكرين بما في ذلك ملوك الأسرة الخامسة والعشرين ومن خلفوهم مباشرة فإن متوسط حكم قدره ١٧,٣ سنة يكون رقمًا مقبولًا، ومن ثَم يكون الإنسان مستعدًا تمامًا إلى عمل تخفيض مُحَس في خلال مدة الحكم النباتي المتأخر والعهد المروي المبكر كما يظهر في مجموعتي الأرقام المذكورة أعلاه. غير أنه من الصعب أن يصدق الإنسان أنه في مرحلة الثقافة المروية الطويلة، وبخاصة العهد الذي تلا «ناتا كاماني» وذلك عندما نجد انحطاطًا واضحًا في ثراء البلاد وقوتها، نرى على العكس ارتفاعًا في مُدَد حكم الملوك إلى الدرجة التي كانت عليها في الوقت الذي كانت فيه مملكة كوش في سمتها.

ويلحظ الآن أن «ريزنر» بعد وضع ما خُيِّل إليه أنه تتابع مرضٍ لحكم الملوك الذين دُفِنوا في أهرام الجبَّانتين الجنوبية والشمالية في «مروي» بصرف النظر عن تدخل هرم «برقل» الكبير رقم ١١ الذي حُشِر بين هرم «نوري» رقم ١٥ (هرم نستاسن) والهرم رقم ستة بالبجراوية الجنوبية؛ اعتبر أن مجموعتي الأهرام التي أقيمت في «برقل» لا بد أن تكونا معاصرتين للتتابع الأصلي في «مروي» وعلى ذلك رأى وجود عهدين قُسِّمت إليهما المملكة الكوشية، وقد سماها مملكة «مروي» الأولى النباتية ومملكة «مروي» الثانية النباتية، ولما كان مقتنعًا بوجود مملكتين؛ إحداهما شمالية والأخرى جنوبية، فإنه اعتبر الملكة التي كانت عائشة في عهد غزو «بترونيوس» لبلاد النوبة لا بد كانت من المملكة الشمالية «برقل»، وعلى الرغم من أنه رأى أنها كانت شخصية كبيرة، فإن نظريته التي فرض بها تقسيم المملكة النوبية اضطرته إلى التسليم بأنها قد دُفِنت في أصغر أهرام

«برقل» وأفقرها «برقل ١٠» وقد علَّل ذلك بأن فقر البلاد وقتئذٍ كان من جرَّاء غزوة «بترونيوس» Petronius الروماني.

وإذا كان لا بد لنا أن نضع جانبًا فكرة تقسيم البلاد مملكتين، فإن الاختيار البدهي للملكة التي وقع في زمنها الغزو الروماني لا بد أن تكون الملكة «أمانيشاختي» صاحبة الهرم رقم ستة بالبجراوية. على أن الملكة المسلَّم بها حتى الآن من كل المؤرخين إلا «ريزنر» هي «أمانيرناس» Aminernas، غير أن هذا التسليم لم يعد بعد مقبولًا الآن بإجماع الآراء كما كانت الحال عندما اقترح ذلك الأثري «سايس» Sayce وقبله «جرفث».

ومع ذلك فإنه لا يمكن ضحده بصورة قاطعة، والواقع أن الشك الذي طرأ على هذا الفرض أساسه التقدم الذي حدث في فهم اللغة المروية حديثًا. على يد «مكادم» وغيره، فمما لا شك فيه أن الملكة «أمانيرناس» كانت ملكة صاحبة مكانة كما أشار إلى ذلك «مكادم» في كتابه الكاوي الجزء الثاني، فآثارهما تمتد من «مروي» حتى «الدكا»، وعلى ذلك فإنه يكون من الصعب أن نعيِّن لدفنها هرمًا حقيرًا كمعظم الأهرام التي في مجموعة أهرام «برقل».

هذا ونجد نفس الحالة في آثار الملك «تنيدأماني» Tanyidamani الذي على ما يظهر من طراز كتابته كان تابعًا لنفس الزمن الذي عاشت فيه «أمانيرناس» أو قبل ذلك بقليل، وقد وجدت في كل من «مروي» و«برقل»، ونجد ثانية أن هذا صحيح، ولكن في عصر مبكر، فيما يخص «أمانيسلو» Amanislo وأماني خابال Amanikhabale، وإذا أخذنا كل هذه الأشياء في الاعتبار فإنه يظهر أن إخضاع «نباتا» لمروي مع وجود فترات انفصال إلى مملكتين من الأمور التي يصعب التأكد منها، والظاهر أن ما هو أكثر احتمالًا في هذا الموضوع أن التقليد القديم للدفن الملكي في «نباتا» قد أخذ يتضاءل شيئًا فشيئًا إلا أن عادة الدفن الملكي بعد آخر ملك دُفِن في «نوري» قد انتقلت إلى «برقل» لمدة جيل (برقل ١١)[٢٣] وعندئذ كان هناك انفصال كما اعتقد «ريزنر» إلى مملكة نباتية ومملكة مروية مُثِّلت كل منهما بمجموعة من الأهرام معاصرة، وهما المجموعة الجنوبية[٢٤] والمجموعة الشمالية[٢٥] وذلك مدة أربعة ملوك،

---

[٢٣] Beg. N. 2.

[٢٤] Beg. S. 6, 5, 10 and No. 4.

[٢٥] Bar. 14, 15, 18 and 7.

وبعد ذلك نجد أن سلسلة واحدة من الملوك كانت تحكم كل البلاد، وكانوا بوجه عام يُدفَنون في الجبَّانة الشمالية في «مروي»، اللهمَّ إلا بعض ملوك كانوا يُدفَنون في «برقل» في العهد الذي بين الملك الذي دفن في البجراوية الشمالية في الهرم رقم ٢١ والملك «ناتاكاماني»، وعلى ذلك فإنه يظهر أن الملكة «أمانيرناس» وزوجها «تريتقاس» Teriteqas وأكينيداد Akinidad ابنها زعوم، وكذلك «تنيدا ماني» الذي يُحتَمل أنه كان سلفها. كل هؤلاء هم ملوك وملكات كانت قبورهم إما في البجراوية الشمالية أو في «برقل».

وعلى ذلك إذا اعتبرنا كبار الشخصيات الذين ينسبون إلى المجموعة المتأخرة (أهرام برقل ١–٦) أنهم كانوا يحكمون كل البلاد، فإنه في استطاعتنا أن نضيف عدة مُدَد ملوك إلى العهد المحدد ما بين «أرجامنز» و«تقريد أماني» وبذلك نخفض المتوسط الطويل غير المحتمل لمدة الحكم، وهو الذي ذكرناه فيما سلف لهذا العهد إلى نسب أكثر اتزانًا. هذا ونعلم أن «ريزنر» قد دون أهرام «برقل» رقم ٦ و٤ و٢ و٩ و١٠ بهذا الترتيب بوصفها ممثلة حكام المملكة المروية الثانية لنباتا، وهم ثلاث ملكات وملكان، والهرم رقم ستة هو قبر الملكة «نالدا ماك» ويُعتَبر القبر الوحيد الذي وجدت نقوشه محفوظة في كل من اللغة المروية واللغة الهيروغليفية والخط المختصر، ولكن التقدم الآن في معرفة الخط المروي يدل على أن الهرم رقم ستة بجبل «برقل» يجب أن يوضع متأخرًا في هذه السلسلة عما اقترحه «ريزنر»، وعلى ذلك يظهر من الضروري إعادة فحص نتائجه.

والواقع أن تجميعه لهذه الأهرام التي لا يظهر فيه أي اختلافات معينة من جهة طراز البناء؛ كان قد وُضِع على قاعدة اختيارِ أبرز موقع باقٍ خالٍ لأجل كل هرم جديد، وإذا ألقينا نظرة على مصور هذه الجبَّانة رقم ١[٢٦] نجد أنه توجد في هذه الحالة أكثر من طريقة لتفسير هذه القاعدة، وعلى ذلك نجد أن «دوس دنهام» قد خالف «ريزنر» في رأيه.

فبعد بناء هرم «برقل» رقم ٧ (وهو يرجع إلى عصرٍ أكثر تأخرًا) وهرم «برقل» رقم ٥ وهو (لأمير إذا حكمنا بما على مقصورته من نقوش) يحتل ثاني أبرز مكانة في الهضبة، وبعد ذلك يأتي هرم «برقل» رقم ٤ وهو أكبر من هرم رقم خمسة، وهو

[٢٦] R.C.K. IV Map. I.

موضوع وضعًا صحيحًا على بقعة من الأرض مرتفعة بعض الشيء، وهرم «برقل» رقم ٢، على نفس الخط، غير أنه على أرض أكثر ارتفاعًا مع انحدار في المقدمة يصلح لأن يكون سُلَّمه.

هذا ويرى «دنهام» أن هرم «برقل» رقم ٣ يأتي بعد الأخير غير أنه حُشِر بين الهرم رقم ٢ ورقم ٤ في موضع غير لائق على قمة منحدر وعر وخارج عن خط هذه الأهرام، وعلى ذلك فإن الهرم رقم ٦ قد حُشِر على الجانب الآخر من الهرم رقم ٥ في مكانة أقل من سائر الأهرام قاطبة، ومن أجل ذلك يقترح «دنهام» تغيير التاريخ الذي وضعه «ريزنر» من ٥، ٦، ٤، ١، ٢، إلى ٥، ٤، ٢، ٣، ٦، ١، ثم يأتي بعدها هرما «برقل» ٩، ١٠، ويظهر أن الأفراد الذين دُفِنوا في الأهرام ٥، ٣، و١، كانوا أصحاب مكانة عالية، منهم أميران أو رجلان من الدرجة الثانية (وقد دفنا في الهرم رقم ٥ الذي عليه نقوش دوَّنها لبسيوس) والهرم رقم واحد وقد وضع في مكانة ثانوية جدًّا. ثم ملكة أو سيدة ثانوية يدل وضع قبرها في مكان مزدحم على أهميتها الثانوية، وعلى ذلك يظن «دنهام» أنه محق في إضافتة إلى التتابع التاريخي الرئيسي الذي وضعه «ريزنر» في «مروي» من مجموعة أهرام «برقل» هذه الأهرام التالية فقط وهي: أهرام «برقل» رقم أربعة، واثنان وستة وتسعة وعشرة.

وإذا عُمِلت هذه التغيرات المقترحة أعلاه فإن متوسط سني الحكم التي ذكرها «ريزنر» تصبح كالآتي:

«كاشتا» ٥٧٠ق.م إلى «أتلاماني» ٥٩٣ق.م: عدد الملوك الذين حكموا ٩، متوسط سني الحكم ١٧,٣ سنة.

«أسبالتا» ٥٩٣ إلى «أرجامنز» ٢٢٠ق.م: عدد الملوك الذين حكموا ٢٥، متوسط سني الحكم ١٤,٩ سنة.

«أرجامنز» ٢٤٨ إلى «تقريد أماني» ٢٦٦ق.م: عدد الملوك الذين حكموا ٣٤، متوسط سني الحكم ١٥,١ سنة.

على أن ما ذكره «دوس دنهام» هنا ليس إلا محاولة بما لديه من معلومات أثرية قد تصيب وقد تخطئ.

وهاك قائمة بالملوك الذين حكموا في «مروي» من أول عهد الملك «أسبالتا» حتى الملك «أرجامنز» على حسب آراء كل من «ريزنر» و«دوس دنهام» و«هنتسه».

الرقم	اسم الملك	الأهرام	مدة الحكم على حسب ريزنر	مدة الحكم على حسب دوس دنهام	مدة الحكم على حسب هنتسه
١٠	أسبالتا	نوري ٨	٥٩٣–٥٦٨ (٢٥)	٥٩٣–٥٦٨ (٥)	٥٩٣–٥٦٨ (٢٥)
١١	أمتالقا	نوري ٩	٥٦٨–٥٥٣ (١٥)	٥٦٨–٥٥٥ (١٣)	٥٦٨–٥٥٥ (١٣)
١٢	ماليناقن	نوري ٥	٥٥٣–٥٣٨ (١٥)	٥٥٥–٥٤٢ (١٣)	٥٥٥–٥٤٢ (١٣)
١٣	أنا لم عاي	نوري ١٨	٥٣٨–٥٣٣ (٥)	٥٤٢–٥٣٨ (٤)	٥٤٢–٥٣٨ (٤)
١٤	أماني-نتاكي-لبتي	نوري ١٠	٥٣٣–٥١٣ (٢٠)	٥٣٨–٥٢٠ (١٨)	٥٣٨–٥١٩ (١٩)
١٥	باركاماني	نوري ٧	٥١٣–٥٠٣ (١٠)	٥٢٠–٥١١ (٩)	٥١٩–٥١٠ (٩)
١٦	أماني أستبراقا	نوري ٢	٥٠٣–٤٧٨ (٢٥)	٥١١–٤٨٩ (٢٢)	٥١٠–٤٨٧ (٢٣)
١٧	سي عسبقتا؟	نوري ٤	٤٧٨–٤٥٨ (٢٠)	٤٨٩–٤٧١ (١٨)	٤٨٧–٤٦٨ (١٩)
١٨	ناساخاما	نوري ١٩	٤٥٨–٤٥٣ (٥)	٤٧١–٤٦٦ (٥)	٤٦٨–٤٦٣ (٥)
١٩	ماليوبأماني	نوري ١١	٤٥٣–٤٢٣ (٣٠)	٤٦٦–٤٣٩ (٧)	٤٦٣–٤٣٥ (٢٨)
٢٠	«تالاخاماني»	نوري ١٦	٤٢٣–٤١٨ (٥)	٤٣٩–٤٣٥ (٤)	٤٣٥–٤٣١ (٤)
٢١	أماني-نتي-يريكي	نوري ١٢	٤١٨–٣٩٨ (٢٠)	٤٣٥–٤١٧ (١٨)	٤٣١–٤٠٥ (٢٦)
٢٢	باسكا كرين	نوري ١٧	٣٩٨–٣٩٧ (١)	٤١٧–٤١٦ (١)	٤٠٥–٤٠٤ (١)
٢٣	حرسيوتف	نوري ١٣	٣٩٧–٣٦٢ (٣٥)	٣١٦–٣٩٨ (١٨)	٤٠٤–٣٦٩ (٣٥)
٢٤	ك.	نوري ١	٣٦٢–٣٤٢ (٢٠)	٣٩٨–٣٦٧ (٣١)	٣٦٩–٣٥٣ (١٦)
٢٥	أخراتان	نوري ١٤	٣٤٢–٣٢٨ (١٤)	٣٦٧–٣٥٥ (١٢)	٣٥٣–٣٤٠ (١٣)

الرقم	اسم الملك	الأهرام	مدة الحكم على حسب ريزنر	مدة الحكم على حسب دوس دنهام	مدة الحكم على حسب هنتسه
٢٦	أماني باخي؟	نوري (؟)	—	—	٣٤٠–٣٣٥ (٥)
٢٧	(٢٦) نستان	نوري ١٥	٣٢٨–٣٠٨ (٢٠)	٣٥٥–٣٣٧ (١٨)	٣٣٥–٣١٥ (٢٠)
٢٦	(٢٦ب) أماني باخي؟	نوري؟	—	٣٣٧–٣٢٣ (١٥)	—
	(٢٧) (أرنخاماني)	برقل ١١	٣٠٨–٢٨٣ (٢٥)	٣٢٢–٣١٥ (٧)	—
٢٨	أراكا كامافي	بجراوية جنوب ٦	٣٠٠–٢٨٠ (٢٠)	٣١٥–٢٩٧ (١٨)	٣١٥–٢٩٧ (١٨)
٢٩	أمانيسلو	بجراوية جنوب (٥)	٢٨٠–٢٦٥ (١٥)	٢٩٧–٢٨٤ (١٣)	٢٩٧–٢٨٤ (١٣)
٣٠	بارتر	بجراوية جنوب ١٠	٢٦٥–٢٥٥ (١٠)	٢٨٤–٢٧٥ (٩)	٢٨٤–٢٧٥ (٩)
٣١	أماني ... تخا (؟)	بجراوية شمال ٤	٢٥٥–٢٤٢ (١٣)	٢٧٥–٢٦٣ (١٢)	٢٧٥–٢٦٣ (١٢)
٣٢	... بنايكا (؟)	بجراوية شمال ٥٣	٢٤٢–٢٢٥ (١٧)	٢٦٣–٢٤٨ (١٥)	٢٦٣–٢٤٨ (١٥)
٣٣	أرجامنز	بجراوية شمال ٧	٢٢٥–٢٠٠ (٢٥)	٢٤٨–٢٢٠ (٢٨)	٢٤٨–٢٢٠ (٢٨)

الفصل العشرون

لمحة عن ملوك كوش من قُبَيل فتح الإسكندر لمصر حتى نهاية عهد بطليموس الرابع

تحدثنا فيما سبق عن الحملة التي قام بها الملك «خباباشا» على بلاد النوبة في عهد الملك «نستاسن» على حسب رأي الأستاذ «هنتسه» الذي أوردناه فيما سبق، وقد حاول الأستاذ «هنتسه» على حسب تحليله للحوادث أن يجعل وضع تواريخ ملوك كوش تختلف بعض الشيء عن التي وضعها أخيرًا الأثري «دوس دنهام»، وقد أوردناها في القائمة السالفة، ويرى القارئ فيها بعض الاختلافات البارزة من حيث التاريخ، ومن حيث الترتيب، وسنتتبع هنا في سرد هؤلاء الملوك وما خلَّفوه لنا من آثار على حسب ما جاء في قائمة «دوس دنهام» مشيرين في الوقت نفسه إلى أوجه الخلاف بينه وبين «هنتسه».

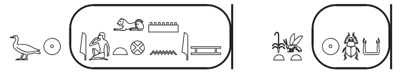
الملك أمانيباخي

جاء ذكر هذا الملك في القائمة التي وضعها الأستاذ «دوس دنهام» بعد الملك «نستاسن» الذي تحدَّثنا عنه في الجزء الثالث عشر من مصر القديمة، وقد وضع الأستاذ «دوس دنهام» الملك «أمانيباخي» بعد «نستاسن» مباشرة، ولكن «هنتسه» لم يعترف بذلك.

ويقول «دنهام»: إنه حكم من عام ٣٣٧ إلى ٣٢٢ق.م وإنه لم يعرف له قبر؛ ولكنه أضافه إلى مجموعة الملوك الذين دُفِنوا في جبَّانة «نوري»، ويرجع السبب في ذلك إلى أنه وُجِدت في مقبرة «نوري» رقم مائة لوحة رقم واحد، وكذلك وجدت مائدة قربان رقم ستة، وهذان الأثران من الجرانيت، وقد نُقِش على كلٍّ منهما اسم «أمانيباخي»، وقد

نُقِش في الأثر الأول الاسم في طغراء،[1] ومما يُؤسَف له أنه لم يوجد في «نوري» هرم يمكن نسبة هذين الأثرين إليه، ولذلك فإنه من الصعب معرفة سبب وجودهما في هذا الموقع إلا إذا كانتا في الأصل موضوعتين في مقصورة جنازية قد اختفت كلية، وعلى ذلك اقترح «دنهام» وضع هذا الملك في نهاية سلسلة الملوك الذين سبقوه.[2] أما الأستاذ «هنتسه» فقد أغفل مدة سني حكمه، وكذلك الملك الذي أتى بعده في قائمته التي وضعها لملوك كوش حديثًا.

الملك أرنخاماني ولقبه (خبر-كا-رع) (حكم من ٣٢٢–٣١٥ق.م)



يُحتَمل أن هذا الملك قد دُفن في جبَّانة جبل «برقل» بالهرم رقم أحد عشر،[3] واسم هذا الملك لم يُكشَف عنه في الحفائر، ولذلك يظن أن اسمه هو «أرنخاماني»، وقد جاء اسمه في نقوش «الكوة».[4]

وصف الهرم: بُنِي الجزء العلوي من الحجر الرملي، ووجهه مقام من مجاديل منحدرة مدرجة، وليس له قاعدة، ومساحته ٢٦,٣٥ مترًا مربعًا.

وحرم هذا الهرم مقام كذلك من الحجر الرملي.

ومقصورته كذلك من الحجر الرملي، ومدخله ذو قنوات، وبوابته ذات أركان مجسمة. هذا ولا يوجد لها كوة في الجدار الغربي. أما الجدران الجانبية فقد كانت منقوشة بمناظر، فعلى الجدار الجنوبي نشاهد بقايا منظر للملك على عرش في هيئة أسد.

ودائع الأساس: لم توجد ودائع أساس في هذا الهرم.

[1] Royal Cemeteries of Kush II. PP. 271, 272 and Fig. 213.

[2] R.C.K. IV. P. 6.

[3] R.C.K. IV. Fig. 2; Plate III A, and P. 22.

[4] Kawa, The Inscriptions XLIV Pl 38 and B.M. Quarterly 7. Pl. 19a, Kawa II pps 19, 20, 38, 247.

المبنى السفلي: يؤدي المبنى السفلي لهذا الهرم إلى سلَّم قُطعت درجاته بنظام، ويحتوي على ٦٩ درجة، وهذا السلم في الجهة الشرقية من حرم الهرم ومقصورته، ويحتوي هذا المبنى على ثلاث حجرات، وتؤدي إلى الحجرة الأولى درجة سلم، وتقع أسكفة هذا المبنى بين الحجرتين أ، ب وبين أ، ج.

والحجرة الأولى (أ) مساحتها ٥٫٢ × ٥٫٢ أمتار، وهي مسقوفة.

والحجرة الثانية (ب) مساحتها ٥٫٢٠ × ٤٫٧٥ أمتار، وهي مسقوفة كذلك، وخالية من الزينة.

والحجرة الثالثة (ج) مساحتها ٨٫١٥ × ٥٫٣٠ أمتار، وهي مسقوفة، وخالية من الزينة.

وفي محور هذا البناء السفلى يوجد طوار كان يوضع عليه تابوت المتوفَّى، كما توجد كُوَّة خالية في الجدار الغربي.

الدفنة: وُجِدت حجرة الدفن منهوبة تمامًا.

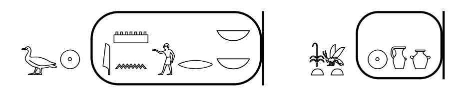
الآثار الباقية: وُجِدت بعض آثار في رديم الحجرة (أ) نذكر منها قطعة من طرف مائدة قربان من الخزف عليها بعض نقوش مروية، كما وجدت قطعة من تعويذة من الخزف الأزرق بوجه إنسان، ومحفورة حفرًا بارزًا.

هذا وقد وُجِدت بقايا أوانٍ من الفخار المختلفة الأنواع والأحجام (راجع Ibid, Fig. 3).

وأخيرًا وجدت بعض عظام آدمية.

ويحمل هذا الملك لقب «خبر كارع».

الملك أراكاكاني حكم من (٣١٥–٢٩٧ق.م) ولقبه «خنم-أب-رع»



قبر هذا الملك مقام في جبَّانة «مروي» وهو الهرم رقم ٦.[٥]

أقيم هرم هذا الملك من الحجر الرملي، ووجهه مؤلف من مجاديل مدرجة ومنحدرة، وليس له قاعدة، وحجمه ١٦٫٦٥ مترًا مربعًا، وهذا الهرم ليس مربعًا.

[٥] Ibid Fig 16–2–13 Fai 1–b.

وحرمه قد اختفى، ومقصورته أو معبده الجنازي مصنوع من الحجر الرملي، وبوابته ذات أركان مجسمة مزخرفة، وكُوَّة المعبد في الجدار الغربي، وجدرانه الداخلية مُزيَّنة بالنقوش[٦] على الجدار الشمالي، وعلى الجدار الجنوبي،[٧] وعلى الجدار الغربي.

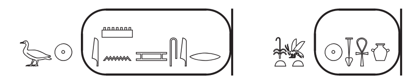
هذا ولم يوجد لهذا الهرم ودائع أساس.

المبنى السفلي: يصل الإنسان إلى المبنى السفلي لهذا الهرم بسُلَّم ذات درج واسع منتظم مؤلف من ٣٨ درجة في جوف الصخر، ويقع في الجهة الشرقية من البوابة، وسدادة الباب المؤدية لحجرة الدفن غير عادية، ويحتوي هذا المبنى على ثلاث حجرات على مستوى واحد تقريبًا، وهي متوسطة الحجم، وسقفها مُهدَّم، وهي خالية من الزينة.

حجرة الدفن: وقد وُجِدت حجرة الدفن منهوبة تمامًا، ولم يترك اللصوص الذين نهبوها إلا عدة خرزات من التي كانت على مومياء المتوفَّى، يضاف إلى ذلك أنه وُجِد في هذا القبر قدر من البرنز متآكل، كما وجد قدر آخر له فُوَّهة وقاعدته مستديرة، وعلى أحد جانبيه آثار نَقْش ديموطيقي (؟) محفور. هذا وقد عُثِر كذلك على مصفاة من الفضة لها مقبضين في هيئة طائر.[٨]

وأخيرًا عُثِر على ورقة من البرنز للزينة من أثر لا يعرف كُنْهه، كما عُثِر على رءوس سهام ذات ثلاثة جوانب.[٩]

الملك أمانيسلو ويلقب (عنخ-نفر-أب-رع)



حكم هذا الملك من عام ٢٧٩–٢٨٤ق.م ودُفِن في الجبَّانة الجنوبية بمروي في الهرم رقم ٥.[١٠]

[٦] R.C.K. IV. P. 27 ff. and fig. 7.

[٧] R.C.K. III Pl. 3d; R.C.K. Pl. 24.

[٨] Ibid. Fig. 8. Pl. LII A.

[٩] Ibid. Fig. 8 & Pl. 28.

[١٠] R.C.K. IV. Fig. 14. P. 37, and Fig b. No. 9A.

أقيم هرم هذا الملك كالعادة في هذه المنطقة وغيرها من بلاد السودان من الحجر الرملي، ويتألف وجهه من مجاديل مدرجة منحدرة، وليس له قاعدة، وحجمه ١٢٫٨٧ مترًا مكعبًا.

وحرم هذا الهرم اختفى.

ومقصورة هذا الهرم مقامة كذلك من الحجر الرملي، وبوابتها محفوظة في جزئها الشمالي فقط، وجدرانها مزينة بالنقوش الجنازية.[١١]

ولم يعثر لهذا الهرم على ودائع أساس.

ويصل الإنسان إلى المبنى الذي أسفل هذا الهرم بسُلَّم عدد درجه ثلاثون، ويقع على مسافة ثمانية أمتار شرقي البوابة، ويحتوي هذا المبنى على ثلاث حجرات متوسطة الحجم،[١٢] وقد وُجِدت حجرة الدفن منهوبة، ولم يترك اللصوص إلا بعض أشياء نخصُّ بالذكر منها ما يأتي:

(١) خرزة من ورق الذهب على شكل برميل.
(٢) ثلاث قطع من العاج مقعرة.
(٣) ثلاث قطع من الزجاج غير الشفيف للترصيع لونها أحمر وأخضر وأزرق.
(٤) قطعة من عظم أو قرن.
(٥) قطع من الزجاج البالي غير الشفيف لونها أخضر.
(٦) ست قطع من الصبغة الزرقاء.
(٧) خمس خرزات من الخزف الباهت أسطوانية الشكل.[١٣]

هذا ويقال: إن زوج «أمانيسلو» هذا لها هرم بهذه الجبَّانة أقل حجمًا من هرمه، وتُدعَى «خنووا Khenuwa»[١٤] وقد نُهِب هرمها كالمعتاد.

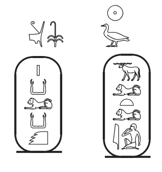
[١١] R.C.K. III; N. Wall Pl. 3 f; S. W. Wall Pl. 3 H.

[١٢] R.C.K. III. P. 37.

[١٣] Ibid. Fig. 14.

[١٤] R.C.K. IV. P. 37.

الملكة بارترى (كاداك)



حكمت هذه الملكة من عام ٢٨٤–٢٧٥ق.م ودُفِنت في الجبَّانة الجنوبية بالهرم رقم عشرة.[١٥]

وهذه الملكة كانت تحكم البلاد باسمها فعلًا، ومن المحتمل أنها كانت زوج الملك «بيعنخي-يريكي-قا» والمفروض أنها عاشت بعد موت زوجها، وأخذت مقاليد الحكم في يديها، وحملت ألقاب الملك كما فعلت «خنتكاوس» من قبلها في أوائل الأسرة الخامسة.

ولكن نجد أن «ريزنر»[١٦] يسمي صاحب الهرم رقم ٩ في جبَّانة مروي الجنوبية ملكًا لا ملكة، وذلك لأن الطغراءتين اللتين يمكن قراءتهما بسهولة، وهما اللتان على الجدار الشمالي من مقصورة هذا الهرم قد سُبِقتا بعبارة: (سارع) (= ابن رع)، وبعبارة: «نسوت بيتي» (= ملك الوجه القبلي) على التوالي، هذا بالإضافة إلى أنه في حجرة الدفن نجد الاسم المنقوش على الجدار الغربي الجنوبي للباب حتى الحجرة الثانية يبتدئ بمتن بالعبارة التالية: «كلام يقوله الملك.» ثم يأتي بعد ذلك طغراء[١٧] مُهشَّم، ومن كل ذلك استخلص «ريزنر» أن صاحب هذا الهرم هو ملك لا ملكة دون أن يفطن إلى أن لقب ملك قد أُعْطِي من قبل «خنتكاوس» و«حتشبسوت» من بعدها عندما تسلمت كل منهما مقاليد الملك منفردة في حكم البلاد.

وعلى أية حال فإن الصورة المرسومة على كل من الجدار الشمالي والجنوبي، وهي الصورة الرئيسية في المنظر هي لامرأة بكل وضوح،[١٨] والواقع أن الملكة قد مُثِّلت على الجدار الشمالي وبيدها زهرة اللوتس وبراعم، يضاف إلى ذلك أن «لبسيوس»[١٩] يتحدث

١٥ .R.C.K. IV Fig. 22 on Plate II B, Plate XIV D

١٦ .J.E.A. IV. P. 38

١٧ .R.C.K. III. Pl. IV A, B

١٨ .L.D. Texte V. P. 324

١٩ .R.C.K. IV. P. 47. Note 4

عن هذه الأشكال بأنها لملكة، وفضلًا عن ذلك نجد أن قبرها لا يحتوي إلا على حجرتين في المبنى السفلي للهرم؛ وهو العدد الذي كان يُخصَّص عادة للزوجة الملكية منذ عهد «نباتا» المبكر، في حين أن الملوك كان لكل على حسب العادة ثلاث حجرات.

هذا ونعلم أن المملكة المروية قد أنجبت عدة ملكات في عصر متأخر، وهؤلاء النسوة كنَّ يحملن كل نعوت الملك، ومما سبق فإن هذه الملكة كانت تحكم البلاد بوصفها ملكًا، وعلى هذا الزعم فإن الطغراء الثاني لهذه الملكة وهو «كالكاي» يمكن أن يعادل اسم الملكة «كاندال» بإسقاط حرف النون. هذا مع العلم أن حرف اللام وحرف الدال يمكن أن يحل الواحد منهما محل الآخر في اللغة المروية.[٢٠]

وهرم هذه الملكة مقام من الحجر الرملي، ومداميكه مدرجة بانحدار، وليس له قاعدة، وحجمه ١٠,٤٥ أمتار، وقد اختفى حرمه.

ومقصورته مبنية بالحجر الرملي ولها بوابة ومدخل ذو قنوات، وقد هُشِّمت البوابة التي تقع في الجهة الجنوبية لحدٍّ كبير، وجدران هذه المقصورة منقوشة بمناظر دينية[٢١] هذا ولم توجد لهذا الهرم ودائع أساس.

المبنى السفلي: يؤدي للمبنى السفلي الذي تحت هذا الهرم سُلَّم مؤلَّف من أربع وعشرين درجة منتظمة أمام المقصورة، ويحتوي هذا المبنى على حجرتين من غير درج أو أُسْكُفَّة تؤدي إليهما.

والحجرة الأولى A مساحتها ٣,٢٠ × ٢,٥٥ متر، ولها سقف مقبب، وجدرانها ملونة.

فيُشاهَد على الجدارين الشمالي والجنوبي لوحات مُثِّل عليها صور آلهة بوجوههم نحو الغرب، ونُقِشت فوقهم وأسفلهم وبينهم أسطر بالهيروغليفية، وعلى الجدار الغربي يُشاهَد قرص مجنح وأصلال على مدخل الباب الذي جزؤه الأعلى مستدير مثلث، وعلى السقف مثلت الإلهة «موت» برأسها متجهة نحو الغرب. هذا ويُلحَظ أن النقوش ومعظم الأشكال لا يمكن قراءتها.

والحجرة الثانية مساحتها ٤ × ٣,٧٥ أمتار، وكانت جدرانها في الأصل ملوَّنة، غير أنه لم تبق من هذه الألوان إلا صورة باهتة باللون الأصفر على الجدارين الغربي

---

[٢٠] R.C.K. III: N. Wall Pl. IV A, S. Wall.

[٢١] Ibid. Plp. XVA.

والجنوبي للكُوَّة، ويوجد في وسط الحجرة أريكة كان يوضع عليها التابوت، وعليها ملاط من الجبس، وملونة باللون الأبيض.

وقد وجدت في حجرة الدفن بعض قطع تماثيل مجيبة[٢٢] مطلية بطلاء خفيف باللون الأزرق، وكذلك عُثِر على عين مومياء، وبعض عظام بشرية قليلة، يضاف إلى ذلك بعض كسر من أوانٍ مصنوعة من المرمر، وقطع من العاج يُحتَمل أنها من صندوق مزخرف، وأخيرًا وُجِد إناء سليم من الفخار كما وجدت قطع من ست أوانٍ أخرى على الأقل.

الملك أمان ... تخا (؟)

حكم هذا الملك من ٢٧٥–٢٦٣ق.م ودُفِن في جبَّانة «مروي» الشمالية في المقبرة رقم أربعة.[٢٣]

أقيم هذا الهرم من الحجر الرملي، ومداميك وجهه مدرجة ومنحدرة، ويرتكز على قاعدة في أغلب الظن، وحجمه ١٣٫٧٠ مترًا مكعبًا، ولم يسجل لهذا المعبد حرم. أما مقصورته فوُجِدت مُهشَّمة، وهي كذلك مقامة من الحجر الرملي، وكان جدارها لا يزال قائمًا عندما زارها «لبسيوس»، وقد سجل[٢٤] لنا ذلك فيما تركه لنا عن هذه المنطقة. هذا ولم توجد لهذا الهرم ودائع أساس.

والمبنى السفلي الذي كان تحت هذا الهرم هُدِّم تمامًا، ويُعزَى ذلك بسبب خاص إلى الحفائر التي قام بها «بدج» في عام ١٩٠٣، والواقع أن الحفائر التي قام بها «بدج»[٢٥] قد شَوَّهت معالم هذا الهرم، ومن ثَم لم يمكن أخذ مقاساته ومقاسات حجراته على الوجه الأكمل، والظاهر أنه كان يحتوي على حجرتين، ولم يوجد ما يدل على دفن، وكل ما وجد فيه من آثار هو رأس صغير من البرنز مفصول من تمثال.

---

[٢٢] Pl. IV. B; W. Wall Pl. IV.

[٢٣] R.C.K. Fig. 26. Pl. XVI A. P. 52.

[٢٤] R.C.K. III Pl. 4 d.

[٢٥] Budg The Egyptian Sudan I, P. 353–4.

الملكة … بنايكا (؟)

حكمت هذه الملكة من عام ٢٦٣–٢٤٨ق.م ودُفِنت في جبَّانة «مروي» الشمالية بالهرم رقم٥٣.[٢٦]

والظاهر أن هذه الملكة كانت تحكم البلاد فعلًا، غير أن اسمها مما يُؤسَف له لم يوجد كاملًا في النقوش.

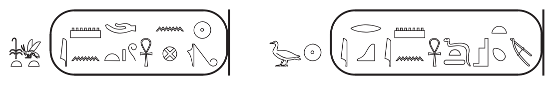
وتدل شواهد الأحوال على أن المبنى العلوي لهذا الهرم قد هُدِّم؛ ليحل محله مبنى هرمين آخرين، وهما الهرم رقم خمسة بالجبَّانة الشمالية، والهرم رقم ستة في نفس الجبَّانة، ومن ثَم نجد أن حرم هذا الهرم قد هُدِّم، ولم توجد له ودائع أساس.

ويؤدي للمبنى السفلي لهذا الهرم سُلَّم مؤلف من ٤٨ درجة منتظمة، والمفروض أنه كان أمام المقصورة التي وُجِدت بدورها مُهشَّمة تمامًا.

ويحتوي هذا المبنى على ثلاث حجرات؛ الأولى، ومساحتها ٢٦٠ × ٣ أمتار، وهي مسقوفة، والثانية ومساحتها ٢,٢٠ × ٢,٦ متر وسقفها خرَّ عليها.

والحجرة الثالثة مساحتها ٣,٥ × ٢,٨ متر، وسقفها مُهدَّم، ويوجد في وسطها أريكة للتابوت، وقد وُجِدت حجرة الدفن منهوبة تمامًا، ولم يوجد في أنحاء هذا الهرم من الآثار إلا سدادة إناء دون أي خاتم عليها.[٢٧]

الملك أركاماني (أرجامنز)



حكم هذا الملك من عام ٢٤٨ إلى ٢٢٠ق.م على وجه التقريب، ودُفِن في جبَّانة مروي الشمالية[٢٨] بالهرم رقم سبعة، وهو ابن الملكة السابقة المسماة … «بنايكا» (؟).

أقيم هرم هذا الملك من الحجر الرملي، ومجاديله مدرجة بعض الشيء، وليس له قاعدة.

[٢٦] راجع R.C.K. IV. Fig. 3.

[٢٧] راجع R.C.K. IV. P. 57 note 6.

[٢٨] R.C.K. IV. Fig. 34, Pl XVIIIA. P. 63.

ويُلحَظ في واجهة هذا الهرم الشرقية عند الركن أنه قد حفرت صورة العين السليمة (وزات)،[٢٩] ويبلغ حجمه ١٧٫٥ مترًا.

وحرم هذا الهرم قد اختفى. أما مقصورته الجنازية فمبنيَّة بالحجر الرملي، وقد بقي منها الجدارن الجانبية، وجزء كبير من السقف، وجدرانها الداخلية مزيَّنة بالنقوش الجميلة.[٣٠]

ودائع الأساس:[٣١] وُجِدت لوحات من المعدن، وقطع من إناء من البرنز في كل من أركان الهرم الأربعة، ومما هو جدير بالذكر هنا أن قطع البرنز التي وجدت من إناء كان مغشًّى بلويحات من الذهب والفضة يظهر أنها كانت قد كُسِرت عن قصد، وكلها من إناء واحد؛ وذلك لأن القطع التي وجدت في وديعة الركن الجنوبي الغربي تلتئم مع القطعة التي عثر عليها في وديعة الركن الجنوبي الشرقي.

المبنى السفلي: يصل الإنسان إلى المبنى السفلي لهذا الهرم بسُلَّم يتألف من ثلاث وأربعين درجة غير منتظمة وضيقة قُطعت في شرقي المقصورة، ويحتوي هذا المبنى على ثلاث حجرات؛ مساحة الأولى: ٣٨ × ٥٫٥٠ أمتار، ولها عمودان مبنيان، وسقف، وهي خالية من النقوش.

والحجرة الثانية: مساحتها ٣ × ٥٫٩ أمتار، وهي مسقوفة أيضًا.

والحجرة الثالثة: مساحتها ٤٫٢ × ٥٫٢ أمتار، ولها سقف، وخالية من النقوس.

هذا، ويوجد في محور هذه الحجرة الأخيرة أريكة لوضع تابوت المتوفَّى عليها،[٣٢] وهي مبنيَّة من الحجر الرملي، وملصقة بالجدار الغربي للحجرة، وجوانبها الظاهرة منقوشة، ومما يلفت النظر في هذه النقوش أنه يوجد في العمود الأول الكامل الذي يقع خلف الصورة الثالثة على الجانب الجنوبي طغراء والد «أرجامنز».[٣٣]

مكان الدفن: وُجِد منهوبًا.

---

[٢٩] Ibid. Pl. XVIII.

[٣٠] R.C.K. III. N. Wall, Pl. IV E, S. Wall Pl. V A.

[٣١] W. Wall Pl. V. B; Ibid. Pl. XXIV C.

[٣٢] Ibid. Fig. 35, E and Pl. XIX; N. side Pl. XX, S. Side Pl. XXI.

[٣٣] Ibid. Beg. N. 53.

والآثار التي تركها اللصوص كلها قطع مُهشَّمة نذكر منها بعض قطع مختلفة من الخزف الأحمر والزجاج غير الشفيف، ورءوس سهام من الكرنلين، وثلاث قطع من مائدة قربان من الخزف الأزرق، وقطع من إناء كبير من الفخار، وقطع من الزجاج الأزرق الشفيف، وخرز من الخزف المطلي، وقطع من أوراق الذهب ... وغير ذلك.[٣٤]

هذا، وقد نقش طغراء هذا الملك في نقوش مقبرته، وفي معبد «الدكا» مرات عدة كما ذكرنا ذلك من قبل.[٣٥]

المناظر التي على جدران المقصورة:

يوجد على الجدار الذي على الجهة اليسرى ثلاثة صفوف من النقوش، يُشاهَد فيها كهنة يحملون أعلامًا، ويحملون سفنًا مقدسة، كما تُشاهَد آلهة تضحي، وكان يطلق البخور أمام القربان، كما يُرى كاهن يطلق البخور ويقدم القربان في الخلف أمام ملك جالس وملكة وأميرات، وأصلال تقبض على سكاكين عند القاعدة.

الجدار الأيمن: يوجد على هذا الجدار ثلاثة صفوف من النقوش مُثِّل عليها يوم الحساب في عالم الآخرة، وكذلك مُثِّل الملك وأربعة عجول. هذا، ونقرأ على هذا الجدار عناوين فصول من كتاب الموتى، كما مُثِّل كاهن يطلق البخور ويقدم قربانًا من الخلف أمام الملك الذي يُرى جالسًا ومعه الملكة والأميرات وفي يد كل واحدة منهن صَنَّاجة.[٣٦]

وعلى الجدار الخلفي نشاهد تماثيل «أوزير» و«إزيس» و«نفتيس» وسفينة «رع» وفوق هؤلاء يُشاهَد الملك والآلهة في الصف الأعلى، كما نشاهد جنيات في الصف الأسفل على كلٍّ من الجانبين.[٣٧]

---

[٣٤] R.C.K. IV. P. 64 and Fig. 36.

[٣٥]

(1) Chapel N. Wall: R.C.K. III. Pl. 4E.
(2) Chapel N. Wall: L. D. Texte V. P. 304.
(3) Chap. W. Wall: R.C.K. III. Pl. 5 B.
(4) Coffin beneh font: R.C.K. IV. Fig. 35.
(5) Coffin beneh N. side R.C.K. IV. Fig. 35.
(6) Coffin beneh. S. side R.C.K. IV. Fig. 35.

[٣٦] راجع L.D. V. 35-6 and Texte V. P. 304.

[٣٧] راجع L.D. V, 39, cf. Texte V. P. 304.

حجرة الدفن: يُشاهَد في حجرة الدفن في نهاية الجدار الشرقي تابوت المتوفَّى في صورة مومياء برأس صقرٍ موضوعة على أريكة، وعند رأس المومياء تقف «إزيس» رافعة إحدى يديها، وعند قدمي المومياء تقف «نفتيس» رافعة كلتا يديها، وخلف كلٍّ منهما نشاهد خمسة آلهة؛ يرفع كلٌّ واحد منهم يديه إلى أعلى.[٣٨]

هذا، وقد تحدثنا فيما سبق عن أعمال الملك «أرجامنز» في بلاد النوبة، وبخاصة في معبد «الدكة»، وما كان له من اتصال بملوك البطالمة، بخاصة في عهد كلٍّ من «بطليموس الثاني» و«بطليموس الرابع» اللذَين عاصرهما على أرجح الأقوال.

وإلى اللقاء في الجزء السادس عشر إن شاء الله.

[٣٨] راجع R.C.K. IV. Pl. 35.

قائمة المراجع

Alliot, M: Le Culte d’Horus à Edfu au temps des Ptolémées. Tom. I et II.

Bell, Sir H. I: Hellenic Culture in Egypt (J.E.A. VIII, 139).

Bell, Sir H.I: Egypt from Alexander the Great to the Arab Conquest (Ox-ford, 1948).

Beurlier F: De divinis quos accepernut Alexder et Successones paricula Prima Regimonti 1887.

Bevan, E: A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty. (London, 1927).

Blackman, A.M: The Temple of Dendur (Le Caire, 1911).

Blackman, A.M: Libations to the dead in modern Nubia, and Ancient Egypt (J.E.A. III, 1916).

Botti, G: Testi Demotici, 1941.

Bouche-Leclercq, A: Histoire des Lagides 4 vols. (Paris, 1903—07).

Breasted, J.H: The Dawn of Conscience, New-London 1947.

British Museum: A guide to the Egyptian Galleries (Sculpture) (1909).

Brugch. H: Thesaurus inscriptionum. Aegyptiacrum (1884).

Bruyère, B: Rapport sur les fouilles de Deir–el–Medineh (1934–1935). Troisième artie: Le village. Les Décharges publiques, etc. (Le Caire 1939).

Carnarvon and Carter: Five Years' Exploration at Thebes, (London, 1912).

Carter, H: Report on the tomb of Amenhotep I (J.E.A. II, 1916).

Carter, H: A tomb prepared for Queen Hatscheput (Annales du Serv. XVI, 1917).

Cerny, J: La constitution d'un avoir conjugal en Egypte (Bul. IFAO, 1937).

Cerny, J: Late Ramesside Letters (B.A. Bruxelles 1939).

Cerny, J: The Temple (t hwt) as an abbreviated name for the temple of Medinet–Habu (J.E.A. XXVI, 1940).

Cerny, J: The Will of Naunakhte (J.E.A. XXXI, 1945).

Chassinat, E: Le temple de Denderah I—V.

Chassinat, E: Le temple d'Edfu Tom. I—XIV.

Chicago In: Medinet Habu.

Claire Préaux: L'Economic Royale des Lagides (Bruxelles 1939).

Claire Préaux: Les Egyptiens dans la Civilisation Hellénistique d'Egypte "Chronique 35 (1943) p. 152". (148—160).

Dumischen Altagyptischen Kalendarinschriften..

Dumischen Baugeschichte des Dendera Tempels.

Dows Dunham: Royal emetries of Kush I—IV (Boston Mass 1950—1957).

Dictionnaire de la civilization Egyptienne (1960).

Diodorus of Sicily: edited by T.E. Page, E. Capps, W.H.D. Rouse the loeb classical Library with an English translation by C.H., Oldfather (London, 1933).

Edgar: Zenon papyri.

Edgerton, W.F: A clause in the marriage settlement (Ae.Z. 64, 1029).

Edgerton, W.F: Notes on Egyptian Marriage chiefly in the Ptolemaic period, Chicago, 1931.

Edgerton, W.F: Report on the Graffiti at Medinet–Habu (A.J.S.S.L.L. 50, 1934).

Erichsen, W: Demotische Lesestucke (Leipzig, 1937–1939).

Erichsen, W: Demotische Lesestucke (Leipzig, 1937–1939).

Erichsen, W: Ein demotischer Ehevertrag aus Elephantine, (Berlin, 1939).

Erman–Grapow: Worterbuch der Aegyptischen Sprache (Leipzig, 1926–1931).

Fisher, C.S: A group of Theban Tombs. Work of the Echley B. Coxe Jr. Expedition in Egypt (University of Pennsylvania Museum Journal) Philadelphia, 1924.

Fritz Hintze: Studien zeir Meroitischen Chronologie und zu Den opertafeln aus Den Pyramiden von Meroe (1959).

Foucart, G: Etudes Thébianes (Bul. IFAO, 1924, pp. 1–209).

Gardiner, Sir A.H: The Inscription of Mes (U.G.A.A. IV, 3 (1905).

Gardiner, Sir A.H: Four Papyri of the XVIIIth Dynasty from Kahun (Aez. XLII, 1956).

Gardiner, A.H. and Sethe, K: Egyptian Letters to the Dead (London, 1928).

Gardiner, Sir A.H: A Lawsuit arising from the purchase of two slaves (J.E.A. XXI, 1935).

Gardiner, Sir A.H: Adoption Extraordinary (J.E.A. XXVI, 1940).

Gardiner, Sir A.H: Ramesside texts relating to the taxation and transport of corn (J.E.A. XXVII, 1941).

Gardiner, Sir A.H: Ancient Egyptian Onomastica (Oxford, 1947).

Gauthier et Sottas: un Decret Trilingue en l'honneur de Ptolemé IV.

Glanville S.R.K: (editor) Studies Presented to F. LL. Griffith, (Oxford, 1932).

Glanville S.R.K: (Catalogue of the Demotic Papyri in the British Museum, 1939).

Glanville S.R.K: (editor) The Legacy of Egypt, Oxford, 1934.

Glanville S.R.K: Notes a Demotic Papyrus from Thebes (B.M. 10026). (Essays and Studies presented to Stanley Arthur.

Cook in COS No.2..

Coodneough: The Jprisprudence of the Jewish Courts in Egypt. (New Haven,1929).

Grenfell, B.P. and Hunt, A.S: The Tebtunit Papyri.

Griffith: The inscription of Sint and Der Refeh.

Griffith, F.L.I: The Petrie Papyri, Hieratic papyri from Kahun and Gurab (London, 1898).

Griffith, F.L.I: The Stories of the High Priests of Memphis (Oxford, 1900).

Griffith, F.L.I: Catalogue of the Demotic Papyri in the ohn Rylands Library (Manchester, 1909).

Griffith, F.L.I: The Earliest Marriage Contracts (P.S.B.A. XXXI, 1909).

Griffith, F.L.I. and Thompson, Sir II: The Demotic Magical Papyrus of London and Leiden, London, 1904, (Oxford, 1921).

Griffith, F.L.I: Catalogue of the Demotic graffiti of the Dodecaschoenus, (Oxford, 1935–1937).

Griffith, F.L.I: «Marriag», (Enc, of Religion and Ethics, Vol. VIII, p. 443).

Griffith, F.L.I: The Adler Papyri (Oxford, 1939).

Gunn, B: The Religion of the Poor in Ancient Egypt (J.E.A. III).

Herodotus: Book I–IV with English translation by A.D. Godley (Loeb. Class, Libr.).

Holscher, U: Excavations at Medinet-Habu (C.O.I.C. vols. 5, 7, 10, 15, etc.).

Holscher, U: The Excavation of Medinet-Habu, Ch.Or. Inst. Pub1. XXI, 1934.

Hughes, G.R. and Nims, h. F: Some observations of the B.M. demotic Theben archive (A.J.S.L. LVII, 1940).

Jerome: Select letters.

Johns, C.H.W: Babylonian and Assyrian Laws, Contracts and Letters, Edinburgh, 1904.

Josephus: 9 vols. Ed. Leob. Instin.

Junker, H: Papyrus Lonsdorfer I, Wien, 1921.

Junker, H: Der Berecht Strabos uber den heilegen Falken von Philae in Lecht der Aegyptischen Quéllen W.Z.KM, 26 (1912) 42–46.

Kees, H: Apotheosis by drowning (Stud. Present to Griffith, p.402) London, 1932.

Kuentz, Ch: Quelques monuments du Culte de Sobek (Bul. IFAO, 1929).

Lexa, F: Grammaire Demotique (Praha 1949).

Leemanys: Aegyptische Mon. (Leyden).

Lepsius, C.R: Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien.

Macadam: The Temples of Kawa I–IV.

Manetho: Transl. by W. G. Waddel (Loeb Class. Libr. 1940).

Mahaffy, J.P: The Empire of the Ptolemus.

Mariette, A: Deir–el–Bahari, documents topographiques recueillis dans ce temple etc. (Leipzig, 1877).

Mariette, A: Denderah, Tome IIV.

Mattha, G: Demotic Ostraca. Le Caire, 1945.

Mattha, G: The Legal Code of Hermopolis (Bul. Inst. d'Egypte, XXIII).

Meyer, P.M: Das Heerwesen und Rômer in Egypten. Leipzig 1900.

Moller, G: Zwei aegyptische Ehevertrage aus vorsaitischer Zeit, (1918).

Moret, A: Le rituel du culte divin journalier en Egypte.

Murray, M: The Culte of the Drowned in Egypte (Ae.Z. 51).

Morgan de: Ombos.

Naville, E: The Store–city of Pithon.

Niese, B: Geschichte der Greechischen und Madedonische Stuaten seit der Schlacht bei haeronea Bd. I–II, Gotha, 1893–1899.

Nims, Charles F: Notes on University of Michigan Demotic papyri from Philadelphia (J.E.A. XXIV), 1938.

Northampton, Spiegelberg and Newberry: Report on some excavations in the Theban Necropolis (London, 1908).

Peet, T.E: The Great Tomb robberies of the twentieth Egyptian Dynasty (Oxford, 1930).

Petrie: Memphis.

Petrie, Sir F: Memphis I (London, 1909).

Petrie, Sir F: Qurneh (London, 1909).

Pirenne, J: Histoire des Institutions et du Droit Privé de l'ancienne Egypte, 4 vols, Bruxeles, 1932–1935.

Pirenne, J. and Van de Walle. B: Documents Juridiques Egyptiens (A.H. D.O. Tome 1, Bruxelles, 1937).

Pirenne, J: L'Ecrit pour argent et l'écrit de cession dans l'ancien droit égyptien (R.I.D.A. tome 1er), Bruxelles, 1948.

Plaumann, P: Die Demotischen und griechishen Eponymendatier-ungen (Ae.Z. 50) 1912.

Plutarch: 14 vol. Loeb Ed.

Plutarch: Polybius W.R. Patron 6 vols. Leob. Ed.

Plaumann, G: "Hiereis" (Pauly's Real-Encyclopadie der Classischen Al-tertumswissenschaft).

Porter, B. and Moss, R: Topographical bibliography of Ancient Egyptian hieroglyphic texts, reliefs and paintings, (1927–1951) in 7 vols.

Ranke, H: Die Aegyptischen Personennamen (Gluckstadt, 1935).

Reich, N.J: Demotische und Grielechische Texte auf Mumientafelchen (Leipzig, 1908).

Reich, N: Papyri Juristischen Inhalts in Hieratischer und Demotischer Schrift aus dem British Museum (Wien, 1914).

Reich, N: A notary of Ancient Thebes (Mus. Jour. Philadelphia, 1923).

Reich, N.J: Marriage and Divorce in Ancient Egypt (Mus. Jour. Philadel-phia, 1924).

Reich, N.J: New Documents from the Serapeum of Memphis MIZ. I, 1933.

Reich, N.J: Witness, Contract, Copies (MIZ, III, 31–50), 1936.

Reinach, Th: Papyrus grecs et démotiques (Paris, 1905).

Revillout, E: Nouvelle Chrestomathie Démotique (Paris, 1878).

Revillout, E: Données Géographiques et Topographiques sur Thèbes (Rev. Eg. I, 1880).

Revillout, E: Chrestomathie Dtmotique (Paris, 1880).

Revillout, E: Les obligations en Droit Egyptien comparé aux autres droits de l'antiquité (Paris, 1886).

Revillout, E: Mélanges sur la Métrologie, L'économie politique et l'histoire de l'Ancienne Egypte (Paris, 1895).

Revillout, E: Notice des Papyrus Démotiques Archaiques et autres texts juridiques, etc. (Paris, 1896).

Revillout, E: Précis du Droit Egyptien comparé aux autres droits de l'antiquite (Paris, 1899–1903).

Revillout, E: Le procès d'Hermias d'après les documents démotiques et grecs (Paris, 1882–1903).

Revillout, E: La femme dans l'antiquité (Jour. Asiat., Vol.7) Paris, 1906.

Revillout, E: Origines égyptiennes du droit civil romain, (Paris, 1912).

Roeder: Die Aegyptische Gotterwelt.

Rostovtzeff: Social and Economic History of the Hellenistic World, 3 vols. (Oxford, 1941).

Rowe, A: Newly-identified Monuments in the Egyptian Museum showing the Deification of the Dead (Ann. Du Serv. XL).

Seidl, E: Demotische Urkudenlehre nach den fruhptolemaischen Texten (Munch. Beitr. X. Papyrusforschung und Rechtsgeschiste Heft 27, 1937).

Seidl, E: Die Teilungsschrift (M.D.U. Kairo, Band 8/1939).

Seidl, E: Ptolemaische Rechtsgeschichte.

Seidl, E: Das Erloschen der Obligation im Ptolemaischen Recht (Napoli, 1948).

Sethe, K: Hieroglyphische Urkunden der Griechische–romischen Zeit in urkunden des Aegyptischen Altertums II. Leipzig 1904.

Sethe, K: Aegyptische Inschrift auf den Kauf eines Hauses aus dem alten Reich (Leipzig, 1911).

Sethe, K. and Partsch, J: Demotische Urkunden zum Aegyptischen Burgschaftsrechte vorzuglich der Ptolemaerzeit (Leipzig, 1920).

Siculus, Diodorus: Leob Lassical Library.

Sethe, K: Amun und die acht Urgotter von Hermopolis (Berlin, 1929).

Spiegelberg: Sitzungsberechte der bayerischen Akademie der Wissenschaften, Philosoph. Philog. und histor. Klasse 1925. Beitrage zur Erklaung neuen dreisprachigen Priesterdek retes zur Ehren des Ptolemais Philopator.

Spiegelberg, W: Zwei Beitrage zur Geschichte und Topographie der Thebanischen Necropolis im Neuen Reich (Strassburge, 1898).

Spiegelberg, W: Aegyptische und Griechische Eigennamen (Leipzig, 1910).

Spiegelberg, W: Die Demotischen Papyrus der Strassburger Bibliothek (Strassburg, 1902).

Spiegelberg, W: Demotische Papyrus aus den Koniglichen Museen zu Berlin (Leipzig, 1902).

Spiegelberg, W: Der Papyrus Libbey (Strassburg, 1907).

Spiegelberg, W: Die Demotischen Papyrus der Musées Royaux du Cinquantenaire (Bruxelles, 1909).

Spiegelberg, W: Die Demotische Papyri Hawswaldt … aus Apollinopuolis "Edfu" (Leipzig, 1913).

Spiegelberg, W: Die Sogennante Demotische Chronik (Leipzig, 1914).

Spiegelberg, W: Demotische Papyri (Veroffentlichungen aus den badischen Papyrus Sammlungen) Heidelberg, 1923.

Spiegelberg, W: Demotische Grammatik (Heildelberg, 1925).

Spiegelberg, W: Die Demotische Papyri Loeb (Munich, 1931).

Spiegelberg, W: Die Demotischen Denkmaler (Cairo Cat. Gen). 3 vols., 1904–1908, 1932.

Spiegelberg, W: La Littérature Démotique, (Chronique No. 15. 1933).

Sottas, H: Papyrus Démotiques de Lille (Paris, 1921).

Strabo: Geography 8 vols. Leob. Ed.

Stack, M.L: Die Dynastie der Ptolemaer 1894.

Tarn, W.W: Hellenistic Civilisation, 3rd ed. (London, 1941).

Taubenschlag, R: The law of Greco-Roman Egypt in the light of Papyri. Second Ed. (1955).

Thompson, Sir H: Theban Ostraca, (1913).

Thompson, Sir H: Eponymous Priests under the Ptolemies (Studies presented to Griffith), London, 1932.

Thompson, Sir H: Note on t hyr.t in boundaries of Ptolemaic conveyances of Land (J.E.A. XXIII).

Taubenschlag, R: The Law of Greco-Roman Egypt in the Light of the Papyri: Vol. II, Warsaw, 1948. Vol. I, (New York, 1944).

Wilkinson, Sir J.G: Modern Egypt and Thebes, 2 vols., (London, 1843).

Wilkinson, Sir J.G: The Manners und Customs of the Ancient Egyptians, 3 vols., (London. 1878).

Winlock, H.E: Excavations at Thebes (Bul. M.M.A., 1922).

دوريات

Aegyptus: Rivista italiana di egittologia e di papirologia (Milano).

A.S.: Service des Antiquités Annales (Le Cairo).

A.J.S.L.L.: America Journal of Semitic Languages and Literatures (Chic-ago).

A.Z.: Zeitschrift fur aegyptische Sprache und Altertumskunde (Leipzig).

A.H.D.O.: Archives d'Histoire du Droit Oriental (Bruxelles).

Bul. Instè d'Egypte: Bulletin de l'Institut d'Egypte (Le Caire).

Bul. IFAO: Bulletin Institut Français d'Archéologie Orientale (Le Caire).

C.A.H.: Cambridge Ancient History. Vol. V.

Cat. Gen.: Catalogue Général du Musée du Caire.

C.O.I.C: Chicago Oriental Institute Communications (Chicago).

Chronique: Chronique d'Egypte (Bruxelles).

Demotica I and II, (Munchen, 1925–1928).

J.E.A.: Journal of Egyptian Archaeology (London).

J.H.S.: Journal of Hellenic Studies (London).

J.N.E.S.: Journal of Near Eastern Studies (Chicago).

MIZ: MIZRAIM, Journal of papyrology, Egyptology, history of history of Ancient Laws and their relations to the Civilisations of Bible Lands, Edited by Nathaniel Julius Reich, V. (IIIX) 1933–1938 New York.

M.D.I.: Mitteilungen des Deutschen Instituts fur Aegyptische Altertum-skusde, Cairo.

Mus. Jour.: Museum Journal University of Pennsylvania (Philadelphia).

P.S.B.A.: Proceedings of the Society of Biblical Archaeology (London).

Rec. Trav.: Recueil de Travaux relatifs à la philologie et à l'archéologie Egyptiennes et Assyrienes (Paris).

Rev. Egypt.: Revue Egyptologique (Paris).

T.S.B.A.: Transactions of the Society of Biblical Archaeology (London).


هنداوي